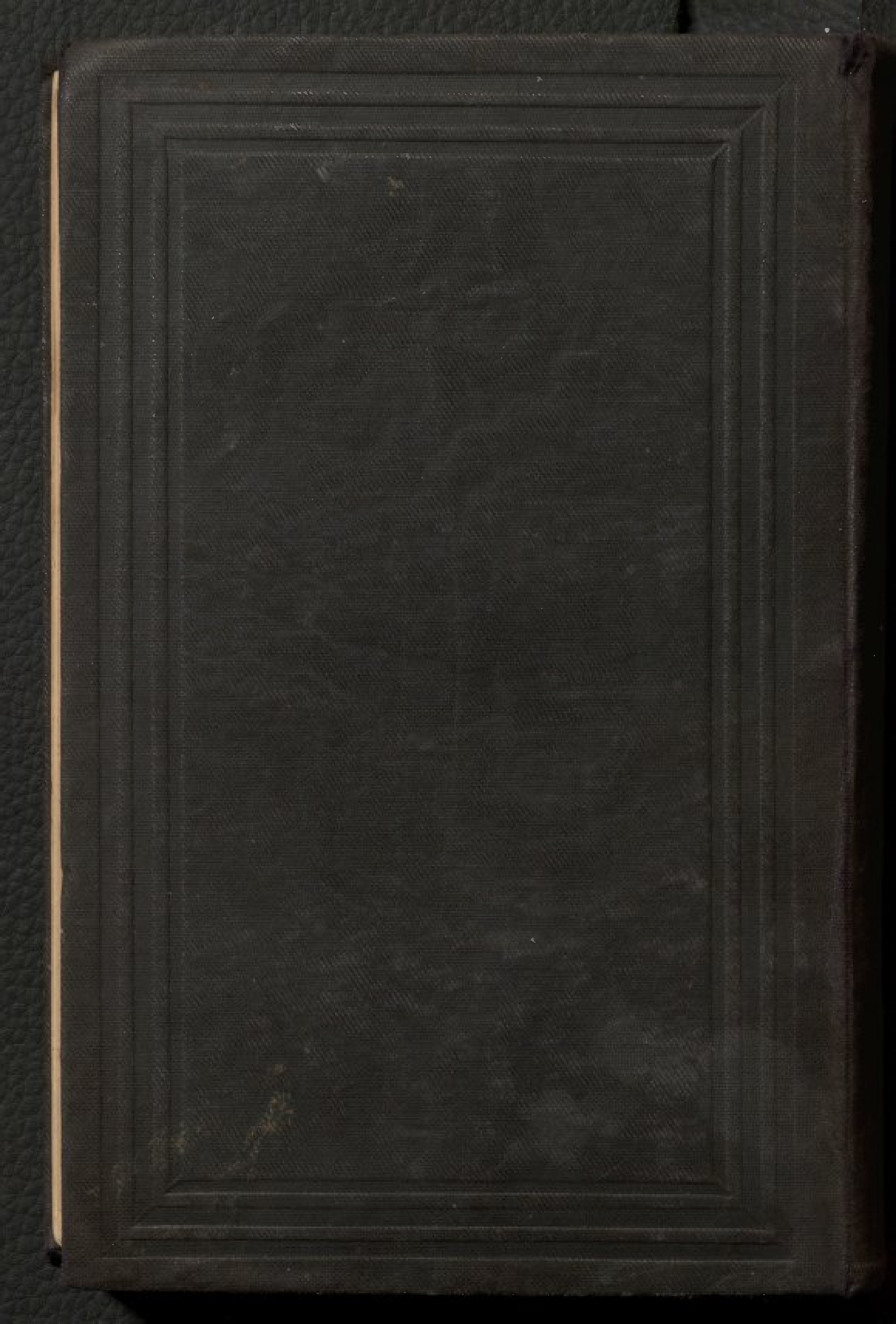
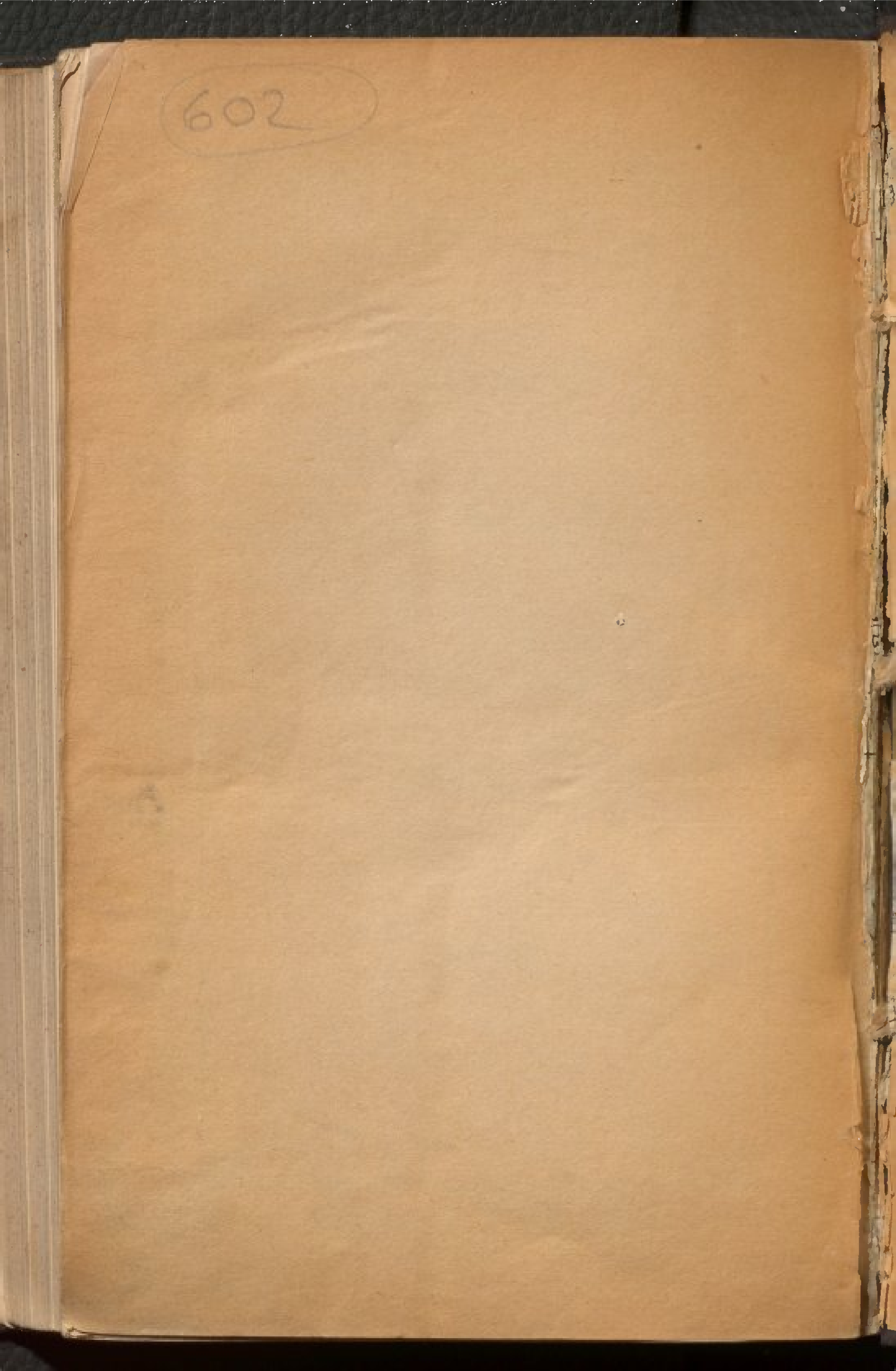
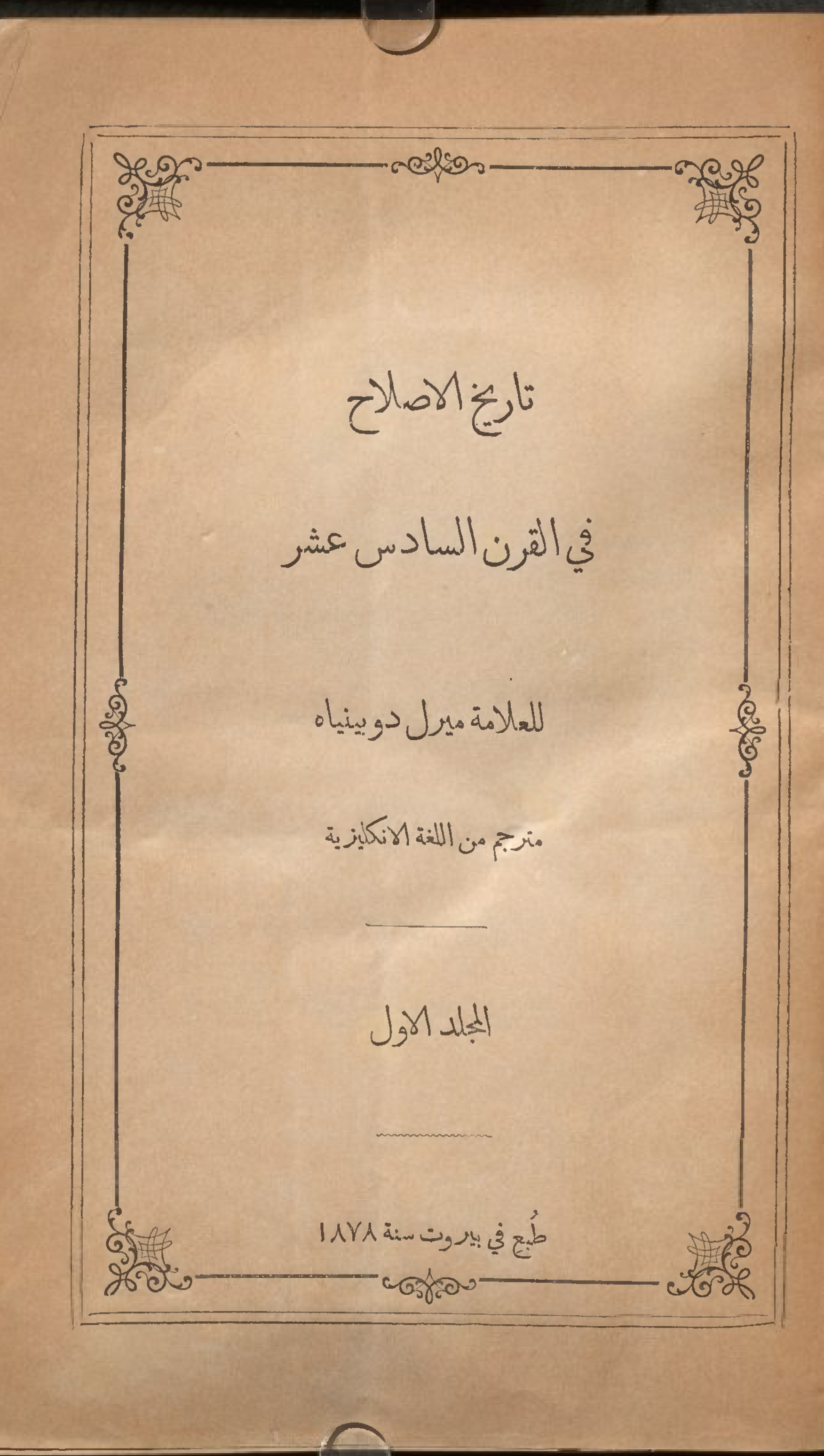



602



تاريخ الاصلاح

في القرن السادس عشر

للعلامة ميرل دوبينياه

مترجم من اللغة الانكليزية

المجلد الاول

طُبع في بيروت سنة ١٨٧٨

فهرس الكتاب

الكتاب الاول

حالة اوروبا قبل الاصلاح

الكتاب الثاني

ولادة لوثيروس وظروف صباهُ من سنة ١٤٨٣ الى ١٥١٧

الكتاب الثالث

الغفرانات والقضايا من سنة ١٥١٧ الى ايار سنة ١٥١٨

الكتاب الرابع

من ايار الى كانون الاول سنة ١٥١٨

الكتاب الخامس

الجدال في ليپسك سنة ١٥١٩

الكتاب السادس

منشور البابا سنة ١٥٢٠

الكتاب السابع

مجمع وُرمس من كانون الثاني الى ايار سنة ١٥٢١

فصل صفحة

الكتاب الثامن

اهل بلاد سويسرا من سنة ١٤٨٤ الى ١٥٢٢

الكتاب التاسع

سنة ١٥٢١ و١٥٢٢

تاريخ الاصلاح

المجلد الاول

الكتاب الاول

حالة اوروپا قبل الاصلاح

الفصل الاول

نمو البابا وية الى زمان هلدبراند وانتصاره على حكم السياسة

انهُ في الاعصر المعروفة بالاعصر المتوسطة والمظلمة دخل الى الكنيسة المسيحية انواع من الفساد في الايمان والاعمال بين الاكليروس والعوام وفي القرن الخامس عشر والسادس عشر نهض اناس ذوو تقوى وغيرة لاجل اصلاح الامور واجرى الله على ايديهم تغيرًا عظيمًا في الكنيسة فاصطلحت وانتقذت من المخاطر المحيطة بها يومئذٍ وأُطلق على تلك الحوادث اسم الاصلاح وهذا ما شرعنا في ذكر اجلّ اموره بالتتابع وبالله التوفيق

ان كل اديان العالم عند ظهور الديانة المسيحية كانت اساساتها قد تزعزعت من اركانها والاديان الجنسية التي ارتضى بها الاباء لم يرتضِ بها ابناؤُهم والاجيال الحديثة لم تستطع ان تسكن بالرضى تحت ظل الطقوس القديمة وآلهة كل امة عند نقلها الى رومية خسرت هناك سطوتها كما ان الامم انفسهم فقدوا هناك حريتهم بمقابلة بعضها بعضًا وجهًا لوجه في عاصمة العالم ابطل بعضها بعضًا وزال ما كان لها من الالوهية فكاد العالم يصبح بلا ديانة وطفح

على وجه الغمر الحاوي خرافات القدماء ضربٌ من الكفر خالٍ من الروح والحيوة جميعًا ولكنهُ نظير جميع التعاليم السلبية لم تكن لهُ قوة لاصلاح الفساد ولا لتجديد ما قد تهدم من اركان الايمان ولما سقطت الالهة الجنسية سقطت معها التعصبات الطائفية فالممالك المختلفة انحلَّت وامتزجت احداها بالاخرى حتى انهُ في اوروبا واسيا وافريقيا لم تكن الَّا مملكة واحدة متسعة وابتدا الجنس البشري ان يشعر بعموميتهِ ووحدتهِ . حينئذٍ صار الكلمة جسدًا وظهر الله بين الناس كانسان لكي يخلص ما قد هلك وفي يسوع الناصري حل كل ملء اللاهوت جسديًّا

ولا ريب ان هذه الحادثة هي اعظم الحوادث المذكورة في تواريخ العالم لان الادوار السابقة اعدَّت لها طريقًا واللاحقة اخذت منها مجراها فهي مركزها ورباط وحدتها فلم يكن بعدها معنًى للخرافات العامة الزهيدة التي سلمت منها ثم اضمحلَّت تحت سطوة اشعة الحق السرمدي

ان ابن الانسان عاش ثلثًا وثلثين سنة على الارض يشفي المرضى ويرد الخطاة ولم يكن لهُ مكان يسند اليهِ راسهُ مظهرًا في اتضاعهِ هذا من العظمة والقداسة والقوة واللاهوت ما لم يشاهدهُ العالم قبل ثم تالم ومات ثم قام من الموت وصعد الى السماء وتلاميذهُ مبتدئين في اورشليم جالوا في المملكة الرومانية وسائر العالم يبشرون في كل مكان بربهم موجد الحيوة الابدية ومن وسط شعب يزدرئ بجميع الشعوب خرجت رحمة دعت جميع الناس واعتنقتهم وجمع غفير من اهل اسيا واليونان والرومانيين الذين كان كهنتهم حينئذٍ يجذبونهم عنفًا الى ارجل الاوثان الخرس آمنوا بالكلمة وهذا الايمان اضاء كل الارض بغتةً كشعاع من الشمس واخذت نسمة الحيوة تهبُّ على فلاة الموت الوسيعة فقام على الارض شعب جديد وامة مقدسة تحيَّر منها اهل العالم وبهتوا اذ راوا في تلاميذ الجليلي من الطهارة والزهد والمحبة والشجاعة ما لم يخطر لهم ببالٍ قط

والذي ميَّز على الخصوص الديانة الجديدة عن الطُرُق البشرية التي قبلها

مبدآن الواحد منهما يتعلق بخدام عبادتها والآخر بتعاليمها

ان خدام الاديان الوثنية كانوا آلهتها الا قليلاً فان كهنة مصر وغاله اي فرانسا وداشيا وجرمانيا وبريطانيا والهند قادوا الشعب الى حيثما ارادوا اذ كان الشعب مغمض العينين. اما يسوع المسيح فاقام خداماً ولكنهُ لم يتم لديانتهِ كهنوتاً فانزل عن عروشها هولاء الاصنام وابطل تلك الرياسة القاهرة واسترجع من الانسان ما كان الانسان قد اختلسهُ من الله وعاد فوصل النفس بينبوع الحق الالهي باشهارهِ نفسهُ المعلم الوحيد والوسيط الفريد اذ قال ان معلمكم واحدٌ اي المسيح وانتم جميعاً اخوة (مت ٢٣ :٨) واما من جهة التعاليم فان الطرائق البشرية علمت بان الخلاص هو من الانسان واديان الارض كانت قد اخترعت خلاصاً ارضياً . قالوا للناس انهم ينالون السماء جزاءً واقاموا لها ثمناً يا لهُ من ثمن زهيد واما الديانة التي من الله فعلمت بان الخلاص انما ياتي من الله وحدهُ وانهُ هبةٌ مجانية من السماء وانهُ صادر عن صفح بنعمة الحاكم المطلق اي الله المعطي الحيوة الدائمة (ايو ٥:١١)

ولاشك ان الديانة المسيحية لاتُحصَر في هذين المبدأين الآ انهما باعتبار التاريخ يحكمان على الموضوع وبما ان المقام لا يسمح بذكر كل وجه المضادة بين الحق والباطل اقتضى انتخاب اوضحها فهذان هما المبدآن الاصليان للديانة التي استولت يومئذٍ على المملكة الرومانية وعلى العالم وما دمنا داخل حدودها نبقى داخل حدود الديانة المسيحية وخارج حدودها لا نرى الديانة المسيحية وعلى حفظها وفقدها تتوقف عظمتها وسقوطها وهما مقترنان اقتراناً تاماً لانهُ لا يمكننا ان نرفع شان كهنة الكنيسة واعمال المومنين ما لم نحط المسيح عن وظيفتهِ وسيطاً وفادياً واقتضى ان يقوى واحد من هذين المبدأين في تاريخ الديانة والآخر في تعليمها وقد تسلطا كلاهما في ابتدائها فلنفحص كيف فقدا ولنذكر اولاً ما عرض للاول منهما

ان الكنيسة كانت في الابتداء جماعةً من الاخوة يرشدهم بعض الاخوة

والجميع كانوا متعلمين من الله ولكلٍّ منهم حق ان يستقي من ينبوع النور الالهي (يو ٦:٤٥) والرسالات التي حكمت حينئذٍ في المسائل العظيمة من جهة التعاليم لم تكن تحت امضاء شخص مفرد مقرونًا بالقاب الافتخار والعظمة مثل الحاكم او الوالي بل انما كان افتتاحها بهذه الكلمات ان الرسل والمشيخة والاخوة يسلمون على الاخوة (اع ١٥:٢٣) الّا ان الرُسُل في تلك الرسالات نفسها سبقوا فاخبروا بانهُ من وسط تلك الاخوية تقوم سلطة تلاشي ذلك النظام البسيط الاصلي (٢ تس ص ٢) فلننظر الى ظهور تلك السلطة المضادة الكنيسة بهذا المقدار ونتبعها في نموها من مباديها الصغرى حتى تسلطت على جانب كبير من العالم المسيحي

ان بولس الطرسوسي الذي هو من اعظم رسل الديانة الحديثة يومئذٍ وصل اسيرًا الى رومية عاصمة المملكة وقصبة العالم يبشر وهو في الاسر بالخلاص الذي من الله فقامت كنيسة بجانب عرش القياصرة اعضاؤُها في اول الامر من بعض اليهود الذين آمنوا واليونانيين والرومانيين فصارت لها شهرة بواسطة تعليم رسول الامم وموتهِ هناك وبقيت مدة من الزمان تضيءُ بنور ساطع كمنار على علم واشتهر ايمانها في كل مكان ولكنها بعد قليل انحطت عن درجتها الاولى ولا ريب ان ارتقاء رومية الوثنية ورومية المسيحية الى الاستيلاء على العالم عنفًا انما كان من مبادي صغيرة

ان رعاة كنيسة رومية او اساقفتها الاولين بادروا الى تلمذة المدن والقرى المجاورة لهم والاضطرار الذي شعر بهِ الاساقفة او الرعاة في المجاورة الى الالتجاء في الامور العسرة الى مرشد مستنير والمعروف الذي ابدتهُ نحوهم كنيسة العاصمة ساقتهم الى الاتحاد معها اتحادًا قويًّا وكما حدث دائمًا في ظروف كهذه هذا الاتحاد الصوابي حال عاجلًا وصار استنادًا والاكرام المقدم الى اساقفة رومية من تلقاء تلك الكنائس على سبيل الرضى فعن قريب ادعوا بانهُ حقهم الشرعي ولا يخفى كل مطالع ان تعدي طالبي السلطة بالتدريج يقوم بهِ جزء عظيم من التاريخ

كما ان مدافعة المتعدى عليهم عن حريتهم يقوم بها الجزء الاخر منهُ والسلطة الكنائسية لم تسلم من السكر المعتري كل المرتفعين الذي يسوقهم الى طلب زيادة الارتقاء ايضاً بل خضعت لهذه الشريعة العمومية المستولية على الطبيعة البشرية

الا ان سلطة اساقفة رومية كانت في ذلك الوقت محصورةً في ملاحظة الكنائس ضمن ولاية والي رومية (راجع قانون ٦ من مجمع نيقية) ولكن الدرجة التي كانت لتلك المدينة المتملكة في العالم فتحت باباً لطمع اساقفتها الاولين لان اعتبار اساقفة المسيحيين في القرن الثاني كان بالنسبة الى عظمة المدينة التي قطنوا بها وكانت رومية في تلك الايام اكبر واغنى واقوى مدينة في العالم فكانت كرسي المملكة وام الشعوب . قال بوليانوس جميع سكان الارض يختصون بها (بوليانوس خطاب اول) واقلوديانوس يلقبها ينبوع الشرائع (اقلوديانوس في مدحهِ القنصل ستليخون كتاب ثالث) فقالوا في انفسهم اذا كانت رومية ملكة المدن فلماذا لا يكون راعيها ملك الاساقفة ولماذا لا تكون الكنيسة الرومانية ام العالم المسيحي ولماذا لا تكون جميع القبائل بنيها وسلطانها شريعتهم المطلقة فكان امراً سهلاً للقلب الطميع ان يحتج هذا الاحتجاج وهكذا فعلت رومية الطميعة وعند ما سلمت رومية الوثنية سلمت لخادم اله السلام المتواضع الجالس في وسط خرابانها نفس الالقاب والعظمة التي ظفر بها سيفها القهار من شعوب الارض

والاساقفة في اقسام المملكة المختلفة اذ سبوا بالسحر الذي سحرت بهِ رومية جميع الشعوب مدة ادوار كثيرة اقتدوا بقدوة اساقفة المدن المجاورة لرومية وساعدوا في عمل الاختلاس واسقف رومية اعان هولاء الاساقفة على توسيع سلطتهم وزيادة كرامتهم وفي الابتداء لم يكن في ذلك شيءٌ من الخضوع اصلاً بل انما كانوا يعاملون الراعي الروماني كانهم مساوون لهُ (راجع تاريخ الكنيسة لاوسابيوس ٥:١ راس ٢٤ وسقراط راس ٢١ وكبريانوس رسالة ٥٩ و٧٢ و٧٥) ولكن السلطة المختلسة تنمو وتزداد وتربى بسرعة عجيبة مثل فائدة الفائدة فالنصائح

التي كانت في اول الامر اخوية استحالت سريعًا الى اوامر مطلقة في فم الحبر الروماني والمكان الاول بين المساوين لهُ ظهر الهُ عرشًا واساقفة الغرب ارتضوا بهذا التعدي من قبل اساقفة رومية اما غيرةً من الاساقفة الشرقيين او لانهُ كان احب اليهم الخضوع لرياسة بابا من ان يخضعوا لحكم سلطة زمنية . ومن الجهة الاخرى كان المسيحيون في الشرق مقسومين الى طوائف واحزاب تتشاجر على مسائل لاهوتية وكانت كل طائفة مجتهدة على جذب راي رومية الى حزبها لانتظارهم الظفر من مساعدة الكنيسة الاولى في الغرب. واما رومية فلم تنسَ هذه الاستغاثات والالتماسات وسرَّها ان ترى جميع الشعوب يطرحون طوعًا انفسهم في يدها ولم تهمل فرصة ولا واسطة لتقوية سلطانها وامتداده ومديح بعض الكنائس لها وتملق كنائس اخرى اياها وطلب مشورتها صارت في عينيها وبين يديها القاب سلطانها وصكوكهُ . فهذه حالة الانسان . اذا ارتقى مرتبة يسكر من كاس السلطة فيدور دماغهُ وما قد امتلكهُ من السلطة يحركهُ على طلب الزيادة

ومما وافق ادعاء رومية في ذلك الوقت التعليم بسلطان الكنيسة وضرورية وحدتها الظاهرة الذي شاع بين الطوائف

ان الكنيسة هي جماعة المقدسين بيسوع المسيح (١كو ١ :٢) جماعة الابكار المكتوبين في السماء (عب ١٢ :٢٣) على ان كنيسة ربنا ليست سرية فقط وغير منظورة اذ لم يكن بد من ظهورها ايضًا وقد وُضع سرَّا المعمودية وعشية الرب لاجل اظهارها والكنيسة المنظورة لها صفات تختلف عن الصفات التي تتميز بها الكنيسة غير المنظورة فالكنيسة غير المنظورة التي هي جسد المسيح انما هي واحدةٌ بالضرورة وواحدةٌ الى الابد . والكنيسة المنظورة تشترك لا محالة بوحدة الكنيسة غير المنظورة الّا انها باعتبارها في نفسها هي متعددة وقد وُصفت بذلك في العهد الجديد فانهُ عند ذكرهِ كنيسة الله الواحدة (١كو ١٥ :٩ وا تي ٣ :١٥) يشير ايضًا الى ظهورها للعالم فيذكر عدة كنائس اي غلاطية ومكدونية وجميع كنائس

القديسين (١ كو ١٦:١ و ٢ كو ٨: ١ وغل ١: ٢٢ و ١ كو ١٤: ٣٣) فان حصلت هذه الكنائس على الوحدة الظاهرة كان كذلك . والاّ فلا تخسر بذلك صفة واحدة من الصفات الجوهرية لكنيسة المسيح والرباط المتين الذي ربط اولاً اعضاء الكنيسة بعضهم ببعض انما هو ذلك الايمان الحي القلبي الذي اقرنهم جميعاً بالمسيح راسهم الاّ انهُ اتفق سريعاً حدوث علل مختلفة انشأت وأنمت في افكار الناس الزعم بضرورية الوحدة الظاهرة ايضاً والمعتادون على رسوم مدنية وعوائد مملكة ارضية ادخلوا افكارهم وعوائدها الى ملكوت المسيح الارضي الابدي وقصدوا تمشية الكنيسة على نسق نظام الحكومة السياسية فتركوا بساطة نظامها الاول وتغاضوا عن رباط الايمان الواحد علةً للوحدة الظاهرة والباطنة وزعموا انهم يحصلون على الوحدة بسلطان اساقفة ورؤساء اساقفة وبطاركة وباباوات وتيجان ومجامع وقوانين وطقوس واحتفالات فانفردت الكنيسة الحية بالتدريج داخل قلوب قليلة متوحدة وظهرت مكانها كنيسة خارجية ادَّعت بان جميع طقوسها هي ترتيب الهي والكهنة اخفوا كلمة الله عن الناس وعلّموا بان الخلاص لا يُحصَل عليهِ الاّ بواسطة الطقوس التي اخترعوها هم وانهُ لا احد يقدر ان ينالهُ الاّ بهذه الاقنية وقالوا انهُ ليس احد يقدر بواسطة ايمانهِ ان يفوز بالحيوة الابدية وان المسيح اعطى الرسل والرسل اعطوا الاساقفة مسحة الروح القدس وان هذا الروح لا يمكن الحصول عليهِ الاّ من طغمة هولاء الخلفاء . اما في اول الكنيسة فكل من كان لهُ روح يسوع المسيح كان عضواً من اعضاء الكنيسة واما هم فعكسوا الامر وذهبوا الى ان من كان عضواً للكنيسة فهذا وحدهُ يقدر ان ينال الروح . اما الرسل فجعلوا الايمان لازماً لعضوية الكنيسة واما هولاء فجعلوا عضوية الكنيسة علة الايمان فكلما تشيعت وامتدت هذه الآراء زاد الانفصال بين الاكليروس وعامة الشعب وخلاص الانفس لم يتوقف بعد على الايمان بالمسيح بل ايضاً بنوعٍ اخص على الاتحاد مع الكنيسة ووكلاء الكنيسة ورؤساؤها صاروا شركاء المسيح في الاتكال الذي يجب ان يكون على المسيح وحدهُ وصاروا هم

الوسطاء الحقيقيين لرعاياهم وتغافلوا عن كون كل المسيحيين كهنةً وملوكًا لالهنا وشبهوا خدام كنيسة المسيح بكهنة العهد القديم والذين لم يخضعوا للاسقف حُسبوا مثل قورح وداثان وابيرام والانتقال من كهنوت خصوصي كالذي كان حينئذٍ في الكنيسة الى كهنوت مطلق كالذي تدّعي بهِ كنيسة رومية كان امرًا سهلاً

فلما قوي الوهم بلزوم وحدة منظورة للكنيسة ظهر بالحال وهمٌ آخر وهو لزوم راس واحد منظور تقوم بهِ الوحدة ومع اننا لانجد في الانجيل رسمًا لترأس بطرس على بقية الرسل ومع ان قضية الترأس من شانهِ ان يضاد العلاقة الاخوية التي ارتبط بها الاخوة معًا ومع انهُ مضادٌ ايضًا لروح الانجيل الذي بالعكس يامر التلاميذ بان يخدموا بعضهم بعضًا وان يسلموا بوجود معلم واحد ورب واحد فقط ومع ان المسيح وبّخ بصرامةٍ تلاميذهُ كلما ظهر في قلوبهم اللحمية رغبة وميل الى الترأس قد اخترعوا لبطرس رياسةً وهمية واسندوها على آيات من الانجيل فسروها تفسيرًا معوجًا واخذ الناس يعتقدون بان هذا الرسول والذين يلقبون انفسهم خلفاءهُ في رومية هم النواب المنظورون للوحدة المنظورة اي روساء الكنيسة العامة ومن ثم اخذوا يبنون قصصًا عن ذهاب بطرس الى رومية واستشهادهِ هناك وذلك لااصل لهُ ولايمكن اثباتهُ من التواريخ التي يوثق بها بل منها يتضح ان بطرس لم يدخل رومية قط ·

ومما اعان ارتقاء البابا وية في الكنيسة انشاء البطاركة لانهُ في الثلاثة القرون الاول كانت كنائس قصبات الممالك قد حازت كرامة خصوصية فان مجمع نيقية في قانونهِ السادس يذكر ثلاث مدن قد استعملت كنائسها حسب قولهِ سلطانًا من زمان طويل على كنائس الاقاليم المجاورة لها وتلك المدن هي الاسكندرية ورومية وانطاكية واصل ذلك قصد القياصرة ان ينظموا الكنيسة على نمق الحكم السياسي وذلك واضح من تسمية اسقف تلك المدن اولاً فانهُ لُقِّب لقب الحاكم السياسي اي ἔξαρχος وبعد حين سُمّي بطريركًا (راجع مجمع سردقه قانون ٦ ومجمع خلكيدون قانون ٨ وقانون ١٨) والمجمع الثاني المسكوني عيَّن

بطاركية جديدة اي بطاركية القسطنطينية رومية الجديدة والعاصمة الثانية للمملكة وبيزنتيوم التي بقيت مدة مستطيلة غير معتبرة حصلت على نفس الحقوق التي كانت لكنيسة رومية وجعل مجمع خلكيدونية كنيسة انطاكية وبيزانتيوم ورومية في رتبة واحدة واشتركت رومية في تلك الايام في السلطان البطريركي مع تلك الكنائس الثلث ولكن لما اخرب العرب بفتوحاتهم كرسي الاسكندرية وكرسي انطاكية وعند ما انفصلت كرسي القسطنطينية عن الغرب بقيت رومية وحدها وظروف الدهر جمعت جميع الكنائس الغربية حول كرسيها فاصبحت بلا معارض ولم يلبث حتى صار لها معاونون اقوياء وهم الجهالة والغباوة والخرافات التي كثرت وقويت في الكنيسة في تلك الاعصر المظلمة فتلك الاشياء قيدت الكنيسة وسلمتها مغطاة العينين مقيدة الرجلين واليدين الى يد رومية وكذلك الملوك والرؤساء الذين في تلك الايام تمرد عليهم رعاياهم عرضوا طاعتهم على رومية على شرط انها تعينهم على اخضاع رعاياهم غير ان بعض الكنائس رفضت تسلطها ونادت بظلمها وتعديها كما يتضح من رسالة كبريانوس اسقف قرطاجنة في افريقية الى اسطفانوس اسقف رومية (انظر مصنفات كبريانوس رسالة ٧٥) والرعايا ايضًا استنجدت برومية على ملوكها فصارت هي الرابحة ان غلب هذا او ذاك وفي ذلك الوقت خرج من غابات الشمال اقوى المساعدين على امتداد السلطة الباباوية فان البرابرة الذين كانوا قد تغلبوا على الغرب واستوطنوا فيه بعد ان ارتووا من الدماء وشبعوا من النهب ألقوا سيوفهم المضرجة بالدماء امام السلطة العقلية التي لقيتهم وجهًا لوجه واذ كانوا قد تتلمذوا حديثًا الى الديانة المسيحية جاهلين صفات الكنيسة الروحية راغبين في رونق وفخرة خارجية في الديانة واذ لم يزالوا على جانب عظيم من البربرية والتوحش سلموا انفسهم الى رئيس احبار رومية وبواسطة مساعدتهم هذه صار الانتصار على ممالك الغرب واخضاعها امرًا يسيرًا . فالاستروغوث والفيسيغوث والفندال والألان والبرغنديون واللمبارد كلهم اولاد الشمال المتوغل في العبادة الباطلة هولاء

نصبوا على الكنيسة الغربية سلطانًا كرسيهُ على شاطي نهر التيبر

وبينما كانت هذه الامور المذكورة جارية في الغرب اذا بالعرب نهضوا من بلادهم وغلبوا على جانب عظيم من قارة اسبانيا وشمالي افريقيا واما في الكنيسة فكان الشر لم يزل يتزايد . وفي القرن الثامن نرى اساقفة رومية يقاومون من الجهة الواحدة سلطانهم الشرعي قيصر القسطنطينية ويجتهدون على طردهِ من ايطاليا ومن الجهة الاخرى يستميلون الى حزبهم ملوك فرانسا اذ راوا تلك الدولة اخذت بالنمو والتقدم في الغرب وبينما هم على هذه الحالة اذا بصياح العرب في بلاد الاندلس وصياح اللمبارديين على ابواب رومية مهددين كل اهلها بالقتل فالتفتت الى پپن ملك الافرنك الذي كان قد اختلس الملك اختلاسًا فوعدهُ البابا بمساعدة سلطان الكنيسة على اثباتهِ في الملك وهو وعد البابا بالمساعدة العسكرية فطرد اللمبارديين من مدن القيصر القسطنطيني في ايطاليا ولكن عوضًا عن تسليم مفاتيحها الى صاحبها الشرعي وضعها عند قدمي اسقف رومية وحلف انهُ لم يجرد السيف لاجل الانسان بل لاجل الكفارة عن خطاياهُ ولدفع ما كسبهُ الى ماري بطرس الذي اعانهُ وهكذا اقامت فرانسا سلطان البابا الروماني . ثم جلس على كرسي المملكة الفرنساوية كرلوس الكبير وعندما حضر الى رومية المرة الاولى صعد على درج كنيسة ماري بطرس يقبّل بورع كل درجة منهُ وفي المرة الثانية نراهُ سلطان جميع الشعوب التي تالفت منها المملكة الغربية وسلطان رومية نفسها والبابا لاون الثالث استصوب ان يلقب امبراطورًا مَن كان بيدهِ السلطان الامبراطوري وفي عيد الميلاد سنة ٨٠٠ وضع تاج القياصرة الرومانيين على راس ابن پپن ومن ذلك الوقت صار البابا تابعًا لمملكة الافرنج ولم يعد لهُ تعلق مع الشرق . قطع نفسهُ عن شجرة ناخّة ساقطة لكي يطعّم نفسهُ في نصبة برية ذات عنفوان ونشاط واُعِدّ لهُ بين تلك القبائل الجرمانية التي اتحد معها ارتفاع لم يكن لهُ رجاء ان يظفر بهِ

اما كرلوس الكبير فلم يخلف لخلفائهِ الضعفاء الاّ بعض فضلات عظمتهِ

لانهُ في القرن التاسع كثر الاختلاف وفي كل مكان اضعفت الفتن السلطة المدنية فرات رومية ذلك وقتاً مناسباً لرفع نفسها ففي اي وقت يمكن الكنيسة ان تنتهز فرصة لكي تتحرر من الحكم المدني وتستقل بنفسها احسن من ذلك الوقت الذي فيهِ انكسر التاج الذي كان كرلوس قد لبسهُ وبقيت كسرهُ مطروحة في كل ناحية من مملكتهِ

وحينئذٍ ظهرت القوانين المعروفة بقوانين ايسيدوروس الكاذبة والمقصود بها انشاء اقوال منسوبة الى بعض اساقفة القدماء فحواها تايد سلطان اسقف رومية . وفسادها وكذبها ظاهران من لغتها لانهُ في هذا المجموع من قوانين الباباوات المزورة ينطق اقدم الاساقفة من عصر تاسيتوس وكونتليانوس باللغة اللاتينية المتغيرة المختصة بالقرن التاسع كانَّ امرء القيس او طرفة بن العبد او الحريري نطقوا بلغة اهل كسروان او بعربية اليهود ونُسِبت عوائد وترتيبات الافرنج الى الرومانيين في ايام القياصرة وفيها اقتبس بعض الباباوات آيات من الكتاب المقدس اللاتيني حسب ترجمة ايرونيموس الذي عاش بعدهم بقرن او قرنين او ثلاثة قرون وبموجبها كاتب فيكتور اسقف رومية سنة ١٩٢ ثاوفيلوس رئيس اساقفة الاسكندرية سنة ٢٨٥ والمزور الذي لفق هذا المجموع اجتهد لكي يبرهن ان جميع الاساقفة استمدوا سلطانهم من اسقف رومية الذي استمد سلطانهُ بدون واسطة من المسيح وهو لم يكتفِ بذكر جميع غلبات الباباوات المتتابعة فقط بل تقهقر بها ايضاً الى اقدم الازمنة . والباباوات لم يخجلوا من ان يستعينوا بهذا التزوير لاثبات دعاويهم السخيفة فانهُ في سنة ٨٦٥ اخرج نيقولاوس الاول من مخازن هذا المزور سلاحاً يحارب بهِ الولاة والاساقفة وبقي هذا الاستنباط الوقح الكاذب مخزن السلاح لرومية مدَّة عدة قرون الاَّ ان رذائل الباباوات وذنوبهم وقَّفت الى حينٍ مفعول هذه القوانين والباباوية اقامت عيد دخولها الى مائدة الملوك باحتفالات السكر الفاضحة فسكرت وفقدت حواسها في الخلاعة والبطر . ونحو ذلك الزمان حسب التقليد ارتفعت

على العرش البابا وي امراة اسمها يوئنة التجأت الى رومية مع عاشقها وكُشِف امرها بمخاض الولادة قد اتاها في وسط زياح وموكب احتفالي ولا حاجة لنا الى تعظيم عار البلاط البابا وي بغير لزوم فنقول ان النساء العواهر في تلك المدة تولت احكام رومية وذلك العرش الذي ادّعى بالارتفاع على جلال القياصرة كان غرقان في اعماق الرذائل فان ثيودورا وماروزيا كانتا توليان وتخلعان حسبما تشاء ان الذين يلقبون انفسهم روساء كنيسة المسيح وتضعان عشاقهما واولادهما واولاد اولادهما على كرسي مار بطرس . وتلك القبائح التي تشهد مورخو رومية بصحتها ربما كانت اصل القصة عن البابا يوئنة

وفي تلك الايام صارت رومية ساحة القلق والاضطراب وكان النزاع في امتلاكها بين اقوى عيال ايطاليا الا ان امراء تسكانا كانوا على الاكثر الغالبين وسنة ١٠٣٣ تجاسر ذلك البيت على ان وضع على الكرسي البابا وي فتًى قد نشأ في الفساد باسم بنادكوس التاسع وهذا الصبي من عمر اثنتي عشرة سنة عندما صار بابا عاش في نفس الرذائل الهائلة الخسيسة التي تربى فيها (حسب شهادة دسيداريوس رئيس عام كسينو الذي صار بابا بعد حين باسم فكتور الثالث) وحزب آخر اختار سلوسترس الثالث عوضًا عنهُ وبنادكتوس المذكور الذي كان ضميرهُ مثقلاً باوزار الزنى ويداهُ مضرجتين بالدماء باع الوظيفة البابا وية لواحد من اكليروس رومية (وذلك حسب شهادة بونيتسو اسقف سوتري وبعد ذلك اسقف بلاسنتزا) واما ملوك جرمانيا فاذ امتلأوا حنقًا من تلك القبائح طهروا رومية بحد السيف وتلك المملكة نادت بحقوقها الفائقة ونشلت التاج المثلث من الحمأة التي كان قد سقط بها وانقذت البابا وية المنحطة بدفعها اياها الى رجال معتبرين روساء لها فان هنري الثالث عزل ثلاثة باباوات سنة ١٠٤٦ وباصبعهِ المزينة بخاتم اشراف رومية اشار الى الاسقف الذي يجب ان تسلم ليدهِ مفاتيح مار بطرس فتسلم الكرسي بالتتابع اربعة باباوات جميعهم من اهل جرمانية مختارون من الملك وعند موت الحبر الروماني

كان يوجه وكلاء من تلك الكنيسة الى البلاط الملوكي نظير معتمدي باقي الابرشيات لكي يلتمسوا اسقفاً جديداً وكان الملك ينظر بفرح الى الباباوات يصلحون الاحوال ويقوون الكنيسة ويقيمون مجامع وينصبون ويخلعون الاساقفة بدون التفات الى ملوك سائر الدول والباباوية بهذه الدعاوي حسب زعم الملك انما رفعت سلطان الملك مولاها الاعلى . ولكن خامرهُ شك لئلاَّ تصير هذه الاعمال واسطة لرفض سلطانهِ فيما بعد لان السلطان الذي استرجعهُ الباباوات هكذا شيئاً فشيئاً ربما تحول بغتةً الى مضادة الملك نفسهِ كما ان الحية اذا دفئت ربما تلسع الذي دفأها وهكذا كان

وفي ذلك الوقت ابتدأ عصر جديد للباباوية فانها نهضت من انضاعها وداست ملوك الارض تحت قدميها وادَّعت بان رفع شان الباباوية هو رفع شان الكنيسة ومد الديانة وغلبة الروح على الجسد ونصر الله على العالم فهذه مباديها وفيها مكسب الطمع وعذر الترفض وكل هذا التدبير الجديد ظهر في شخص واحد وهو البابا هلدبراند

ان البابا هلدبراند الذي قد تجاوز بعضهم الحد في مدحهِ والبعض في ذمهِ انما هو مشخَّص الحبرية الرومانية في كل سطوتها ومجدها فانهُ من جملة اولئك الاشخاص المذكورين في التاريخ الذين تجتمع فيهم الصفات اللازمة لانشاء ترتيبٍ جديد نظير ما ظهر تحت ظروف اخرى في كرلوس الكبير ولوثيروس ونابوليون الاول

كان هذا الراهب ابن نجار من سافوي وتربى في دير روماني وكان قد ترك رومية في تلك المدة التي فيها خلع هنري الثالث ثلاثةً من الباباوات كما ذُكِر انفاً والتجأ الى فرانسا الى دير كلوني الموصوف بالتقشف وفي سنة ١٠٨٤ اذ كان الملك في مدينة وُرْمس يتراس على الجمعية الجرمانية في تلك المدينة نسمى برونو اسقف تول بابا فلبس المذكور الحلة الحبرية باسم لاون التاسع . فاسرع هلدبراند الى هناك وابى قبولهُ بناء على انهُ قد لبس التاج من يد السلطة

الزمنية اما لاون فخضع لسلطة عقلٍ اقوى من عقلهِ فتذلل حالاً وخلع الحلة الحبرية ولبس ثوب سائح وخرج يطلب رومية حافيًا ومعهُ هلد براند كما قال مورخ من مورخي ذلك العصر وذلك لكي يقع عليهِ هناك الانتخاب القانوني من الاكليروس والشعب الروماني فمن هذا الوقت صار هلد براند روح البابا وية حتى صار نفسهُ بابا وكان قد حكم على الكنيسة عن يد عدة احبار قبل ان حكم بشخصهِ تحت اسم غريغوريوس السابع . وتسلط على هذا العاقل الحاذق فكرٌ واحدٌ غالبٌ اي ان يقيم مملكة روحية ظاهرة مادية تحت رياسة منظورة راسها البابا نظير نائب يسوع المسيح وذِكرهُ حكم رومية الوثنية المطلق سبى عقلهُ وهيج غيرتهُ وطلب ان يسترجع الى رومية البابا وية كل ما قد خسرتهُ رومية القياصرة وقال لهُ بعض مملقيهِ ان ما لم يقدر ماريوس وقيصران يجرياهُ بواسطة سفك كثرة الدماء انت قد اكملتهُ بكلمةٍ

ان غريغوريوس السابع لم يكن مرتشدًا من روح الرب فان روح الحق والتواضع والاناة لم يكن معروفًا عندهُ بل اضحى الحق كل ما وجد ان ذلك ضروري لنجاح مقاصدهِ وفعل ذلك على الخصوص في قضية برنجاريوس رئيس شمامسة انجرس . كان جسورًا طميعًا ثابتًا في مقاصدهِ وكان ايضًا صاحب تدرب وحذاقة في استعمال الوسائط التي تبلغ الى النجاح والامر الذي شرع بهِ هو ترتيب اجناد الكنيسة اذ راى تحصيل القوة ضروريًّا قبل الهجوم على المملكة فعقد مجمعًا في رومية حكم بعزل الرعاة عن عيالهم حتى لا ينفصلوا مطلقًا عن الطغمة الاكليريكية وشريعة البتولية التي استنبطها الباباوات الذين هم من الرهبان والتي الزموا الناس بها صيرت الاكليروس عمومًا نوعًا من الرهبان. وادّعى غريغوريوس السابع بالتسلط التام على الاساقفة والخوارنة المسيحيين مثل تسلط رئيس دير على الرهبان الذين تحت يدهِ ورُسُل هلد براند الذين حسبوا انفسهم بمنزلة ولاة رومية القديمة جالوا في البلاد يحرمون الرعاة زوجاتهم الشرعيات وان اقتضى الامر كان البابا نفسهُ يهيج الشعب على الاكليروس

المتزوجين

وقبل كل شيء قصد غريغوريوس ان يحرر رومية من الخضوع للملكة ولكن لولا الاضطرابات التي ازعجت هنري الرابع في صغر سنهِ وعصيان امراء جرمانية على ذلك الملك الصغير التي ساعدتهُ على اجراء مقاصدهِ لما تجاسر على تصور امر جسور كهذا . وحسِب البابا في ذلك الزمان من جملة عظماء المملكة وباتفاقهِ مع الامراء والروساء العظام قوي حزبهُ باستجلاب جمهور الاكابر اليهِ ثم نهى جميع الاكليروس تحت وعيد الحرم عن قبول وظائفهم من يد الملك فهكذا قطع تلك الرُبُط القديمة التي ربطت الكنائس ورعاتها بالسلطة الملكية وذلك انما كان لكي يربطهم جميعًا بالكرسي البابا وي فاجتهد ان يربط الخوارنة والملوك والشعب بذلك الكرسي وان يجعل البابا ملكًا عامًا للجميع اذ ادَّعى بان رومية وحدها هي التي يجب على كل خوري ان يخاف منها وان يلقي كل رجائهِ واتكالهِ عليها وبان ممالك الارض وسلاطينها هم تحت سلطانها وان جميع الملوك يجب ان يرتعدوا من الصواعق التي يرميها جوبتير رومية الحديثة فالويل للملك الذي قاومها لان البابا حل الرعايا من الحلف بالطاعة لملوكها ووضع كل البلاد تحت الحرم وابطل العبادة الجهارية واغلق الكنائس واخرس الاجراس وابطل الاسرار ومدَّ اللعنة حتى الى الموتى وحكم على التراب انهُ لا تواري في القبر من كان تحت غضب اسقف رومية

كان البابا منذ ابتداء وجودهِ تحت امر الملوك الرومانيين او الفرنساويين او الجرمانيين على التوالي فصار بينهم حرًّا ودخل بينهم كعديلهم حتى لا نقول مولاهم الآن غريغوريوس السابع قد ذُلل في دورهِ فان رومية أُخِذت وهلدبراند التزم ان يهرب ومات في سلرنو وهو يقول احببتَ العدل وابغضت الاثم ولهذا اموت في المنفى

ثم ان خلفاء غريغوريوس نظير جنود بعد الانتصار قبضوا كغالبين على الكنائس المستعبدة فان اسبانيا التي أُنقذت من العرب وبروسيا التي دعيت

من عبادة الاوثان سقطتا بين يدي الحبر المتوّج والحروب الصليبية التي قامت بتحريضاته كانت واسطة لامتداد سلطانهِ وتوطيدهِ والسائحون الاتقياء خيّل لهم انهم قد راوا قديسين وملائكة يقودون جماهيرهم المتسلحة وعند ما دخلوا بالتواضع حفاة الى داخل اسوار اورشليم احرقوا اليهود في مجامعهم وسفكوا بدم الالف من العرب الاماكن التي اتوا لكي يتتبعوا فيها خطوات رئيس السلام المقدسة وحملوا الى الشرق اسم البابا الذي لم يُعرَف هناك منذ انفصل عن حكم اليونانيين وتعلق بحكم الافرنج

وفي جهة اخرى اكملت سطوة الكنيسة ما لم يقدر عليهِ سلاح الجمهور والمملكة واهل جرمانيا القوا عند قدمي اسقف رومية الجزية التي ابى اسلافهم ان يقدموها لاعظم القواد وامراؤهم اذ كانوا يتولون تخت السلطنة ظنوا انهم قد قبلوا تاجًا من الباباوات والحال انهُ نير قد وُضع على اعناقهم فممالك المسيحيين التي خضعت لسلطان رومية الروحي صارت بذلك عبدة لها تدفع لها الجزية

وهكذا تغير في الكنيسة كل شيء . كانت اولاً جماعة اخوة فقام في حضنها رياسة مستعبدة مع ان جميع المسيحيين كانوا سابقًا كهنوتًا لله الحي وكان لهم رعاة متواضعون لارشادهم ثم ارتفع فوق هولاء الرعاة راس متكبر وفم صغير ينطق بالعظائم مملو كبرياء ويد حديدية اضرت جميع الناس اكابر واصاغر اغنياء وفقراء عبيدًا واحرارًا ان يقبلوا سمة الوحش وتلك المساواة الطاهرة الاصلية التي للنفوس قدام الله غُفِل عنها وبصوت انسان واحد انقسم عالم المسيحيين الى حزبين غير متساويين فمن الجهة الواحدة حزب الاكليروس اختلسوا اسم الكنيسة وسموا انفسهم الكنيسة وادعوا بان لهم حقوقًا خصوصية في عيني الرب ومن الجهة الاخرى قطعان ذليلة تقدم طاعة عمياء بغير سوال اي شعب مكموم الفم ومقيد اليدين والرجلين مدفوع بيد قوم متكبرين فكل سبط ولسان وامة من المسيحيين في اوروبا خضع للملك المدعي بهذه السلطنة العريضة الا المختارون الذين حفظهم الله وسترهم وعرفهم انهم لم يجثوا للبعل ولم يقبلوهُ

الفصل الثاني

الايمان الميت والاعمال الميتة

مبدأُ الديانة المسيحية هو ان الخلاص انما هو من الله . وهذا المبدأُ متضمن انفصال الانسان عن خالقهِ وعدم استطاعتهِ على اعادة نفسهِ الى ما سقط منهُ فلا يطمع بعودهِ اليهِ الاَّ بنعمة الله وحدها . وفي الاعصار التي نحن في تاريخها غلب التعليم بان الخلاص من الانسان كما سبقت اليهِ الاشارة. والشرور الناتجة من هذا التعليم الفاسد كانت من جملة الاسباب المُعِدَّة الناس للاصلاح . اما الديانة المسيحية الحقيقية فتميزت عن سائر الاديان بهذا المبدا اي ان الخلاص انما هو من نعمة الله اما الكنيسة فنُسي فيها هذا المبدا وشاع فيها الاخر المشار اليهِ اي ان الخلاص بواسطة الانسان

ان سكان اورشليم واسيا وبلاد اليونان ورومية في ايام الملوك الرومانيين الاولين سمعوا هذه البشارة المفرحة انكم بالنعمة مخلَّصون با لايمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله (اف ٢:٨) فقبلت انفس كثيرة خاطئة هذه الاخبار المفرحة وكلام القوة هذا وجُذِبت بها الى الذي هو مصدر السلام وقامت كنائس كثيرة مسيحية في وسط شعب ذلك العصر المفسود

ولكن لم يمضِ الاَّ مدة قليلة حتى وقع غلط في ماهية هذا الايمان المنقذ فالايمان حسب الرسول بولس هو الواسطة التي بها يدخل المؤمن بجملتهِ بفكرهِ وقلبهِ وارادتهِ على امتلاك الخلاص المشترى لهُ بواسطة تجسد ابن الله وموتهِ فيسوع المسيح يمتلك عليهِ بواسطة الايمان وهو لهُ المجد حالاً يصير كل شيء للانسان وفي الانسان فهو يحيي طبيعتنا البشرية حيوة روحية والانسان المتجدد هكذا المعتوق من سلاسل الخطية ومحبة الذات يشعر بعواطف جديدة ويعمل اعمالاً جديدة فان لم يكن الايمان تخصيص الخلاص فهو لاشيء ويقع التشويش

في كل الطريقة المسيحية وتختم ينابيع الحيوة الجديدة وتنقلب الديانة المسيحية من اساساتها

وهكذا حدث فان هذا الفكر عن الايمان قد نُسِي بالتدريج وصار عاجلاً كما هو الآن عند كثيرين مجرد عمل الفكر وخضوعًا مجردًا لسلطان آخر ومن هذا الغلط الاول نتج بالضرورة ضلالٌ ثانٍ فانهُ اذ قد تجرد الايمان من صفتهِ العملية لم يكن بعد ذلك منقذًا ولا تُعَدُّ الاعمال اثمارهُ فتغلَّب بالضرورة في الكنيسة التعليم بان الانسان يتبرر بالايمان والاعمال معًا وعوضًا عن الوحدة المسيحية المتضمنة في مبدإٍ واحد اي الايمان والاعمال النعمة والشريعة الاعتقاد والواجبات قامت تلك الثَّنويَة المضرة التي تفصل بين الديانة والآداب وتعدُّهما امرين مستقلين لا تعلق ضروري بينهما وهذا الغلط المهلك بفصلهِ الاشياء التي لا تقبل الانفصال ووضعهِ النفس في جهة والجسد في جهةٍ اخرى صار علةً للموت الروحي ويليق ان يقال لاصحابهِ كما قال الرسول لاهل غلاطية أبعد ما ابتدأتم بالروح تكمَّلون الان بالجسد (غل ٣:٣)

والتعليم الاخر الذي ساعد في نقض تعليم النعمة هو تعليم بيلاجيوس الذي زعم ان الطبيعة البشرية ليست ساقطة وان فساد الطبيعة الموروث لا اصل لهُ وان الانسان لهُ قدرة على عمل الصلاح فلا تلزمهُ الاَّ الارادة لكي يكملهُ (بيلاجيوس في نعمة الله راس ٤) فلو كانت الاعمال الصالحة تقوم بافعالٍ خارجية فقط لكان ما ذهب اليهِ بيلاجيوس صحيحًا ولكن اذا نظرنا الى المحرَّكات التي تصدر منها تلك الافعال نجد في كل قسم من طبيعة الانسان محبة الذات والتغافل عن الله والفساد وعدم الاقتدار على الصلاح وتعليم بيلاجيوس الذي نفاهُ اوغسطينوس من الكنيسة عند ظهورهِ فيها دخل شيئًا فشيئًا بوقاحة ومكر تحت صورة العبارة التي استعملها اوغسطينوس نفسهُ فانتشر هذا الضلال بسرعة مذهلة في كل عالم المسيحيين وخطر هذا التعليم ظهر على الخصوص في هذا الامر وهو انهُ بوضعهِ الصلاح خارج القلب لا داخلهُ جعل قيمة عظيمة للاعمال

الخارجية ولممارسة الرسوم الدينية والاعمال التقشفية وبمقدار ما مارس الانسان هذه الاعمال بمقدار ذلك حُسِب باراً وزعم انهُ بواسطتها يربح السماء وعن قريب قوي الزعم بوجود اناس قد تجاوزوا في القداسة الدرجة المطلوبة منهم وصار عندهم منها ما يستغنون عنهُ لاجل افادة اخرين وبينما افسد تعليم بيلاجيوس التعليم المسيحي شدد ايضاً رياسة الاكليروس واليد التي خفضت شان النعمة رفعت شان الكنيسة لان النعمة هي من الله والكنيسة هي الانسان

بالنسبة الى شعورنا بان جميع الناس مذنبون امام الله يكون تمسكنا بالمسيح مصدر النعمة الوحيد فكيف نقدر اذاً ان نجعل الكنيسة في رتبة واحدة مع المسيح والحال انها ليست سوى جماعة من الذين هم جميعاً بالطبيعة في حالةٍ واحدة شقية ولكن حالما ننسب الى الانسان قداسة خصوصية واستحقاقاً شخصياً يتغير كل شيءٍ ويُعَدُّ الاكليروس والرهبان افضل واسطة لنوال نعمة الله على ايديهم وهذا ما قد حدث مراراً بعد ايام بيلاجيوس اي نُزِع من يد الله حق اعطاء الخلاص وصار في ايدي الكهنة الذين وضعوا انفسهم مكان الرب والانفس المتعطشة الى الغفران لم يعد يلزمها ان تنظر الى السماء بل الى الكنيسة ولا سيما الى راسها المزعوم وصار الحبر الروماني لتلك الانفس العميا الهاً ومن ثمَّ نتجت عظمة الباباوات وفساد لا يوصف وامتدَّ الشر الى ابعد من ذلك ايضاً لان المذهب البيلاجي بعد ما علَّم بان الانسان يقدر ان يحصل على حالةٍ كاملة من القداسة علَّم ايضاً بان استحقاقات القديسين والشهداء تُنسَب الى الكنيسة ونُسِبت قوة خصوصية لشفاعتهم فقُدِّمت اليهم الصلوة وصار الناس يستغيثون بهم في جميع مصائب هذه الحيوة وعلى هذا المنوال دخلت عبادة وثنية حقيقية مكان عبادة الاله الحي الحقيقي

ثم ان مذهب بيلاجيوس كثَّر ايضاً الطقوس والاحتفالات وذلك لان الانسان اذ توهم انهُ بالاعمال الصالحة يستحق النعمة لم يجد واسطة لذلك اكثر مناسبة من اعمال العبادة الخارجية فتوسعت الشريعة الطقسية الى غير حد

وجُعِلت في درجة واحدة مع الشريعة الادبية اواعلى منها وهكذا تثقلت ضمائر الناس ثانيةً بنيرٍ قيل فيهِ في ايام الرسل انهُ لا يطاق (اع ١٥ : ١٠)

والذي عكس الديانة المسيحية بنوع خصوصي هو التعليم بلزوم الاعمال الوفائية الذي نتج باستقامةٍ من مذهب بيلاجيوس وفي اول الامر كانت تقوم ببعض الاشارات الجهارية الدالَّة على التوبة كانت تطلبها الكنيسة من الذين قد أُخرجوا منها لاجل الشكوك وطلبوا الرجوع ثانيةً الى حضنها . ثم بالتدريج امتدَّ ذلك الى كل خطية حتى الخطايا السرّيَّة وحُسِب نوعًا من التاديب يجب قبولهُ لاجل نوال الغفران من الله بواسطة حلة الكاهن فالتبس التاديب الكنائسي بالتوبة المسيحية التي بدونها لا تبرير ولا تقديس وعوضًا عن النظر الى المسيح لاجل الغفران بواسطة الايمان وحدهُ طُلِب على الاكثر في الكنيسة بواسطة التاديب واعمال التوبة ثم عُلِّق اعتبار عظيم على علامات التوبة الخارجية اي الدموع والاصوام واماتة الجسد واما تجديد القلب الداخلي الذي هو وحدهُ التوبة الحقيقية فنُسِي وغُفِل عنهُ

وبما ان الاقرار الظاهر واحتمال التأديب هما اسهل من استئصال الخطية وترك الرذيلة اهمل كثيرون محاربة شهوات الجسد واحبوا ان يتمتعوا بها مع ممارسة بعض الاعمال التقشفية المشار اليها واعمال التوبة هذه المعوض بها عن خلاص الله كثرت في الكنيسة من ايام ترتوليانوس الى القرن الثالث عشر وفُرِض على الناس ان يصوموا ويمشوا حفاة وان لا يلبسوا كتانًا الخ وان يتركوا بيوتهم واوطانهم في طلب البلدان البعيدة اوان يتركوا العالم ويدخلوا في عيشة رهبانية الامر الذي ليس له رسوم في الكتب الالهية

وفي القرن الحادي عشر اضيف الى الاعمال المشار اليها انفًا الجَلْد الاختياري وبعد قليل انتشر كثيرًا في ايطاليا التي كانت حينئذٍ كثيرة القلاقل فالاشراف والسوقة من الشيوخ والشبان حتى الاولاد من عمر خمس سنين جالوا بلا سترةٍ الأَ قطعة من القماش مشدودة على الوسط وذهبوا ازواجًا

ومئات والوفا وعشرات الالوف الى المدن والقرى يزورون الكنائس في اشد فصل الشتاء يضربون انفسهم وبعضهم بعضاً بالسياط من دون شفقة حتى عجّت الاسواق من البكاء والانين وبكى من نظر اليهم ومن سمع صراخهم وقبلما بلغ المرض هذه الدرجة بمدة طويلة كان العالم المركوب من الكهنة يئنُّ في طلب النجاة حتى ان الكهنة انفسهم وجدوا انهُ ان لم يستعملوا علاجاً يسقط سلطانهم المزعوم من ايديهم ومن ثمَّ اخترعوا تلك التجارة المعروفة بالغفرانات. قالوا للتائبين على ايديهم لا تقدرون ان تكملوا المفروض عليكم ولهذا نحن كهنة الله ورعاتكم نحمل هذا الحمل الثقيل على انفسنا. قال راجينو رئيس دير بروم عوضاً عن صوم سبعة اسابيع تدفعون عشرين ريالاً ان كنت من الاغنياء وعشرة ان كنت اقل غنًى و١٠٠/٠ منهُ اذا كنت فقيراً وهلمَّ جراً في الامور الاخرى اما اصحاب الشجاعة فرفعوا اصواتهم ضد هذه التجارة غير ان صراخهم لم يجدِ نفعاً

اما البابا فرأى في الحال الفوائد الكبرى التي تحصل لهُ من هذه الغفرانات واسكندر هالس المسمى العالِم الذي لا يُرَدُّ عليهِ اخترع في القرن الثالث عشر تعليماً بهِ تضبط تلك المداخيل الوافرة وتدخل الى الخزانة البابوية وهذا التعليم جعلهُ اكليمنضس السابع من قواعد الايمان بموجب براءةٍ منهُ. وهو ان يسوع المسيح قد عمل اكثر كثيراً من اللازم لمصالحة الانسان مع الله ومع ان نقطة واحدة من دمهِ تكفي لذلك قد سكبهُ بفيضان لكي يقيم خزنة لكنيستهِ لا تفرغ الى الابد وان فائض استحقاقات القديسين وجزاء الاعمال الصالحة التي عملوها فوق واجباتهم قد أُضيفت ايضاً الى تلك الخزنة وان حفظ هذه الخزنة وتدبيرها مستودع بيد نائب المسيح على الارض وهو يعطي لكل خاطئ لاجل الخطايا المرتكبة بعد المعمودية من استحقاقات المسيح واستحقاقات قديسيهِ هذه حسب القياس والكمية التي تقتضيها خطاياهُ. فمن يتجاسر على مقاومة عادة ذات اصل مقدس كهذه

وهذه التجارة التي لا يقبلها العقل امتدت سريعًا واتسعت . كان فلاسفة الاسكندرية سابقًا قد تكلموا عن نارٍ يتطهر بها الناس وكثيرون من العلماء القدماء كانوا قد تمسكوا بهذا الراي وحكمت رومية بان هذا الراي الفلسفي هو من عقائد الكنيسة والبابا بموجب براءةٍ ضمّ المطهر الى مملكتهِ وزعم انهُ في ذلك المكان يجب على الناس ان يكفّروا عن الخطايا التي لم يقدروا ان يكفروا عنها هنا على الارض الآن الغفرانات تعتق نفوسهم من تلك الحالة المتوسطة التي تجزهم خطاياهم فيها واثبت هذا التعليم توما اكويناس في كتابهِ المشهور المعروف بخلاصة علم اللاهوت ولم تُهمَل واسطة من الوسائط اللازمة لاملاء ضمائر الناس هولاً ورعبةً والكهنة رسموا بالوان هائلة العذابات التي تقوم بواسطة تلك النار المطهرة على جميع الذين يصيرون فريستها والى الآن نرى في اماكن كثيرة من البلاد البابوية صورًا موضوعة في الكنائس والاماكن المشهورة فيها صور الانفس المسكينة طالبة بالزفرات من وسط اللهيب القادح تخفيف آلامها ممن يقدران يؤخر دفع ثمن الفداء الذي اذا سقط في خزنة رومية يفتدي النفس من مثل تلك العذابات

وبعد ذلك بقليل لكي تكون هذه التجارة تحت ترتيب مخصوص اخترعوا تعريفة الغفرانات المشهورة المملوة من الشكوك التي تغيرت اكثر من خمسين مرة وربما كان اختراعها في ايام البابا يوحنا الثاني عشر والآذان السليمة تشمئز من ذكر القبائح التي تتضمنها فان الزنا بين الاقارب ان لم يكشف كانت كلفتهُ ٢٠/٠ من الريال و٠٠/٣ اذا كُشِف ووُضع ثمن معيّن للقتل وقتل الجنين والزنا والحنث والسرقة وهلمّ جرًّا وبسبب ذلك صرح كلاود دي اسبنس اللاهوتي الروماني تبًّا لرومية ونحن نقول ايضًا تبًّا للطبيعة البشرية لانهُ لا يمكنا ان ننسب عارًا الى رومية الأَّ ويلحق الانسان نفسهُ ورومية عبارة عن هي الطبيعة البشرية المرتفعة الظاهرة اشر خصالها

اما بونيفاشيوس الثامن اجبر الباباوات واطمعهم بعد غريغوريوس السابع

فاستطاع على اجراء اعمالٍ اكثر من اسلافهِ فانهُ في سنة ١٣٠٠ اشهر منشورًا يخبر بهِ الكنيسة ان كل مئة سنة كل من زار رومية ينال غفرانًا كاملاً فكان الناس ياتون افواجًا من جميع اقطار الارض من ايطاليا وسيسيليا وكرسيكا وسردينيا وفرانسا واسبانيا وجرمانيا وهنكاريا واخذ في هذه الزيارة الشيوخ من ابناء ستين وسبعين سنة وفي شهر واحد زار رومية مئتا الف سائح وجميع هولاء السياح اتوا بهدايا ثمينة والبابا والرومانيون راوا خزائنهم امتلأت والطمع الروماني حالما راى ذلك عيَّن يوبيلاً كل خمسين سنة ثم كل ثلاثين سنة ثم كل خمس وعشرين سنة ثم لاجل تخفيف التعب عن المشترين وتكثير الربح للبائعين نُقِل اليوبيل وغفراناتهُ من رومية الى كل سوق في عالم المسيحيين ولم يعد اقتضاء لان يترك الانسان وطنهُ وما ذهب الآخرون لاجل التفتيش عليهِ وراء جبال ألبا صار كل انسان يقدر ان يشتريهُ على باب بيتهِ . واذ لم يكن بممكن ان يبلغ الشر درجة اعلى فحينئذٍ بالعناية الالهية ظهر المصلح

قد راينا ما اصاب المبدا المتسلط على تاريخ الديانة المسيحية وقد راينا ايضًا ما اصاب ما كان يجب ان يتداخل في تعليمها اي فقد كليهما فان اقامة جماعة وسطاء بين الله والناس ونوال الخلاص الذي هو عطية مجانية من الله بواسطة الاعمال والتاديب والدراهم فذلك هو البابابوية

وان يفتح للجميع بواسطة يسوع المسيح من دون وسيط بشري ومن دون تلك القوة التي تدعو نفسها الكنيسة مدخلاً مجانيًا الى موهبة الحيوة الابدية العظيمة التي يقدمها الله للانسان فذلك هو الديانة المسيحية والاصلاح

ان البابابوية هي سور شامخ مبني بواسطة اجتهاد قرون كثيرة بين الله والانسان فاذا اراد احد ان يتسورهُ يجب ان يدفع او يقاصَّ ومع ذلك لا يقدر ان يعبرهُ

والاصلاح هو القوة التي هدمت هذا السور وارجعت المسيح الى الانسان وبذلك فتحت طريقًا سهلاً يقدر ان يصل بهِ الى خالقهِ

البابوية تضع الكنيسة حاجزًا بين الله والانسان

الديانة المسيحية الاصلية والاصلاح يجعلان الله والانسان يتقابلان وجهًا لوجه . البابوية تفصل بينهما واما الانجيل فيجمع بينهما

فبعد ما تتبعنا تاريخ انحطاط وسقوط المبدأين العظيمين اللذين كان يجب ان يميزا ديانة الله عن جميع الطرق البشرية فلننظر ماذا كانت بعض نتائج هذا التغيير العظيم . وقبل ذلك لنقدم الكرامة الواجبة لكنيسة القرون المتوسطة التي خلفت كنيسة الرسل وكنيسة الآباء وسبقت كنيسة المصلحين فان الكنيسة لم تزل الكنيسة ولئن كانت ساقطة وتزداد عبودية يومًا فيومًا والمعنى هو انها كانت دائمًا اصدق صديق للانسان فان يديها ولئن كانتا مقيدتين لم تزل قادرة على رفعها للبركة وعبيد يسوع المسيح الافاضل الذين كانوا بروتستانت حقيقيين نظرًا الى تعاليم الديانة المسيحية الجوهرية انبعث منهم نور بهج في مدة الاعصار المظلمة وفي احقر الاديرة وابعد الابرشيات وُجد رهبان وخوارنة مساكين خففوا آلام الكنيسة الكاثوليكية الشديدة ولم تكن هي الكنيسة البابوية فان الاولى كانت هي المضيَّق عليها والثانية المضيِّقة والاصلاح الذي اشهر الحرب ضد الواحدة اتي لكي يخلص الاخرى . ويجب التسليم بان البابوية نفسها صارت بعض الاوقات في يد الله الذي ياتي بالخير من الشر واسطةً لمنع جموح الملوك ومطامعهم

الفصل الثالث

في الذخائر والعوائد الخلاعية في الفصح الغالبة في الكنيسة وفتن الكهنة والاساقفة والباباوات

ذكرنا في ما تقدم بعض احوال اوروبا قبل الاصلاح فلننظر الآن الى حال الكنيسة قبل الاصلاح

ان الشعوب المسيحية يومئذٍ لم يعودوا ينظرون الى اله قدوس حي راجين منهُ هبة الحيوة الابدية المجانية بل التزموا للحصول عليها ان يستعملوا جميع الوسائط التي اخترعها اصحاب الخرافات والمخاوف والتخيلات فملأُوا السماء قديسين ووسطاء وظيفتهم ان يلتمسوا هذه الرحمة وملأُوا الارض اعمالاً تقوية وذبائح وسننًا وطقوسًا تُنال الرحمة بواسطتها وهاك صورة ديانة تلك المدة من قلم رجل كان راهبًا مدة طويلة قال. ان آلام المسيح واستحقاقاتهِ حُسبت حكاية باطلة كأنها نظير خرافات هوميروس ولم يكن احد يفتكر بالايمان الذي نصير بواسطتهِ شركاء بر الخلاص وميراث الحيوة الابدية وحُسِب المسيح ديانًا صارمًا مستعدًّا ليدين جميع الذين لا يلتجئون الى شفاعة القديسين او الى الغفرانات البابوية ووُضع في موضعهِ شفعاء اخرون اولاً مريم العذراء ثم القديسون الذين كان الباباوات على الدوام يزيدون عددهم وهولاء الوسطاء انما كانوا يتشفعون فقط بالذين خدموا الطغمة الرهبنية التي تسمت على اسمائهم ولذلك لم يكن داعٍ لاطاعة ما امر بهِ الله في كتابهِ بل لعمل تلك الاعمال المخترعة من الرهبان والخوارنة التي منها مدخول للخزنة وتلك الاعمال هي تلاوة السلام لكِ يا مريم الخ وصلوات للقديسين او للرسل والبكاء ليلاً ونهارًا. وكَثُرت المعابد والمزارات على عدد الجبال والغياض والاودية غير انهُ انفتح باب لبدل تلك الاعمال بالدراهم ولهذا كان الناس ياتون الى الاديرة والخوارنة بالفلوس وبكل ما لهُ قيمة كالدجاج والبط والاوز والبيض والشمع والتين والسمن والجبن وحينئذٍ كانت تُلحن الاناشيد وتُقرَع الاجراس والبخور يملأُ المقدس وتقدمت الذبائح وفاضت الموائد بالاطعمة ودارت الاقداح وخُتمت الولائم السكرية بقداس احتفالي والاساقفة تركوا الوعظ وصار عملهم تكريس الكهنة والاجراس والرهبان والكنائس والمعابد والايقونات والكتب والمقابر وكل ذلك منهُ مدخول وافر وحُفِظَت العظام والايدي والارجل في علب ذهب وفضة وتقدمت في القداس للمومنين لكي يقبّلوها وهذا ايضًا كان ينبوع ربحٍ عظيم

وكل هولاء اعتقدوا ان البابا الجالس كالهٍ في هيكل الله (٢ تس ٢: ٤) لا يغلط (ميكونيوس تاريخ الاصلاح)

كانت في كنيسة جميع القديسين في وِتمبرج خشبة قالوا انها قطعة من سفينة نوح وشيءٌ من عُكَّاب اتون الفتية الثلثة وقطعة خشب من سرير يسوع المسيح وشيءٌ من شعر لحية القديس كرستوفوروس و ٩٠٠٠ ذخيرة من الذخائر الاخر المختلفة قيمةً وفي مدينة شافهاوسن أَرَوا نَفَس ماريوسف الذي استلقاهُ نيقوديموس في كف جلدٍ لهُ وفي ورتمبرج كان بائع الغفرانات يبيع بضاعتهُ وفي راسهِ ريشة كبيرة ماخوذة من جناح الملاك ميخائيل ولم يكن يحتاج الواحد الى سفرٍ طويل لاجل التفتيش على هذه الكنوز الكريمة لان الذين ضمنوها من الكنيسة طافوا كل البلدان يبيعونها ثم حملوها من مكان الى مكان ووزعوها على بيوت المومنين لكي يوفروا عليهم مشقة السياحة واكلافها وهولاء البائعون كانوا يدفعون ثمنًا معينًا لاصحاب الذخائر اي شيئًا في المئة من ارباحهم فتوارى ملكوت السموات وفُتح مكانهُ على الارض سوق للرجاسات وهكذا ملأَ روح النفاق الكنيسة . واقدس امور الكنيسة اي المواسم التي تعينت للتاملات المقدسة والمحبة الطاهرة تنجست بالملاعيب والشعبذات الوثنية وعلى نوع خصوصي ملاعيب الفصح وبناء على حفظ عيد قيامة المسيح بالفرح كان الواعظون يجتهدون في مواعيظهم على اضحاك السامعين فمنهم من كان ينعق كالغراب ومنهم من كان يصفر كالاوز واخرون كانوا يجذبون الى المذبح عاميًا لابسًا ثياب راهب ومنهم من كان يقصُّ على السامعين قصصًا غير لائقة جدًّا ومنهم من كان يخبر بحيل القديس بطرس ومن الجملة انهُ في بعض الحوانيت مكر بالحانوتي ولم يدفع لهُ حسابهُ والاكليروس الدون استغنموا هذه الفرصة للضحك على روسائهم فتحولت الكنيسة مراسح لاصحاب الملاهي والكهنة مشعبذين

فاذا كان هذا حال الديانة فماذا كان حال الاداب . ولا نشك ان الفساد في ذلك الزمان لم يكن عامًّا بل عند الاصلاح ظهر كثيرون من الانقياء والابرار

وذوي عقول ثاقبة وهولاء كانوا آلة بيد الله لاحياء الكنيسة من موتها غير ان الشرور في تلك الايام بلغت درجة لم تبلغها قبل ولا بعد . ففقدت الاداب بفقد الايمان فان بشائر الحيوة الابدية في قوة الله لتجديد الانسان فان نُزِع الخلاص المعطى من الله تنتزع الاعمال الصالحة وهذه هي العاقبة التي صارت في تلك الايام

ان تعليم الغفرانات وبيعها كانا محركين قويّين للشر بين قوم جاهلين . نعم حسب تعليم الكنيسة الغفرانات تنفع الذين وعدوا باصلاح سيرتهم وتمموا وعدهم ولكن ماذا ينتظر من تجارة أُختُرِعت لمجرد الربح الحاصل بواسطتها فان بائعي الغفرانات طبعًا اجتهدوا على ترويج بضاعتهم بتحسينهم اياها في اعين الناس واظهار منافعها والعلماء انفسهم لم يفهموا هذا التعليم ولم يرَ فيهِ الجمهور غير الاباحة لارتكاب الخطية والتجار بها لم يهتموا باصلاح غلط يوافق مسواقهم كل الموافقة فكم كانت الاضطرابات والذنوب المرتكبة في تلك الاعصر المظلمة اذ اشتُرِيت المغفرة بالدراهم . وماذا يخاف الانسان منهُ اذا كان بواسطة شيء قليل من الدراهم لاجل بناء كنيسة مثلاً ينجو من خوف العقاب في العالم الآتي واي رجاء للاصلاح اذا قُطِع الاتصال بين الله والانسان وتُرِك الانسان وهو في حالة الابتعاد عن الله الروح والحيوة للاستناد على الطقوس والسنن الحسية محاطًا بكل ما يؤدي الى الموت الروحي فاول من سقط في هذه الورطة الخوارنة. كيف لا وهم مقطوعون عما امر الله بهِ ومجبرون على قهر انفسهم حسب امر الناس لا حسب امر الله فبالضرورة صاروا معرضًا لتجربةٍ شديدةٍ ولم يستطيعوا بمجرد القول ان يقتلعوا الغريزيات ويعتقوا انفسهم من سلطان الطبيعة فسقطوا عند التجربة وكثرت بسببهم المعاثر وفي اماكن كثيرة كان الشعب يفرحون عند ما راوا كاهنًا لهُ سرية لكي تستأمن النساء المتزوجات مكرهُ وكم كان مهينًا بيت الخوري في تلك الاوقات اذ كان يعول المرأة والاولاد الذين تلدهم لهُ بالعشور والقرابين وكان ضميرهُ في انزعاج وهو في خجل امام الشعب وقدام اهل بيتهِ وقدام الله والامُّ فضلاً عن الفقر والحاجة اذا مات الخوري كانت تهتم في ذلك

قبل حلولهِ وتسرق بيتها فان صيتها العار واولادها عارٌ دائمًا لا يخفى واذ كانوا محتقرين من الجميع غاصوا في الخصومات والدعارة. هذه هي عائلة الخوارنة وهذه هي الامور المخيفة التي اطمعت الشعب على ارتكاب المعاصي وكانت الضياع كثيرة القلاقل والبلابل ومساكن الخوارنة غالبًا مغاير للفساد فان كرنيلي ادريان في بروجس (راجع تاريخ البلاد الواطية) والريس ترنكلير في كبل (تاريخ الكنيسة لهوتنجر) اقتديا بعوائد الشرق اي اخذ كل واحد منهما لنفسهِ حريمًا من النساء والخوارنة رافقوا اصحاب الدعارة والخلاعة فكانوا يترددون الى الحوانيت ويلعبون بالقمار ويختمون سكرهم بالخصومات والتجديف (راجع منشور هوجو اسقف قسطنسيا ٣ اذار ١٥١٧)

ثم ان مجمع شافهاوسن نهى الكهنة عن الرقص جهرًا الا في الاعراس وعن حمل اكثر من نوع واحد من السلاح وحكم ايضًا بان كل خوري وُجِدَ في بيت الزواني يُقطَع وفي اسقفية منتز كانوا يتسورون الحيطان ليلاً ويسببون كل نوع من التشويش والقلقلة في الحوانيت والدكاكين ويكسرون الابواب والاقفال وفي بعض الاماكن كان الخوري يدفع للاسقف خراجًا مرتبًا على المراة التي يساكنها وعلى كل ولد تلدهُ لهُ وواحد من اساقفة جرمانية قال جهارًا ذات يوم في وليمة عظيمة انهُ في سنة واحدة حضر امامهُ احد عشر الف خوري لاجل هذه الغاية وذلك على شهادة اراسموس العالِم الشهير

وهذه الانواع من الفساد بين عامة الخوارنة في تلك الايام امتدت الى الرتب العليا بين الاكليروس فان روساء الكنيسة كانوا يفضلون جلبة المعسكر على الحان المذبح وكان من اخص صفات الاسقف ان يستطيع اعتقال السيف والرمح ويخضع جيرانهُ الى الطاعة لهُ فان بلدوين رئيس اساقفة تريف كان في حرب متواصلة مع جيرانهِ ورعاياهُ فهدم قلعهم وبنى الحصون ولم يكن يهتم بشيء الاّ توسيع حدود ابرشيتهِ وواحد من اساقفة الخستادت كان عند فصل الدعاوي يلبس درعًا تحت ثيابهُ ويقبض سيفًا كبيرًا بيدهِ قائلاً انهُ يقاوم خمسة من

اهل بافاريا اذا لم يفاجئوهُ مفاجأةً . والاساقفة كانوا في كل مكان في حرب مع اهالي بلادهم لان الشعب طلب الحرية والاساقفة طلبوا الطاعة العمياء واذا ظفر الاساقفة خمدوا نار الفتنة بدم الرعايا ولما زعموا انهم اطفأُوها أُضرمت باقرب وقت ثانيةً

وما اشنع كانت روية عرش الاحبار الرومانيين في الازمنة التي قبل الاصلاح فقلما رات رومية نفسها فسادًا مثل فساد ذلك الوقت

ان رودريجو برجيا بعد ان ساكن سيدة رومانية مدَّةً ساكن ايضًا واحدة من بناتها اسمها روزا ڤانوزا ورُزِق منها خمسة بنين . كان رئيس اساقفة وكردينالاً في رومية يساكن ڤانوزا ونساءً اخر ويزور الكنائس والمستشفيات عند ما خلا الكرسي الروماني بموت اينوشنسيوس الثامن فرشا كل واحد من الكردناليين بمبلغ متفق عليهِ فانتخبوهُ بابا وراى الناس اربعة بغال حاملة فضة دخلت جهارًا الى قصر سفورزا احد الكردناليين الاكثر اعتبارًا فصار برجيا بابا ولُقِّب اسكندر السادس وابتهج غاية الابتهاج بحصولهِ على اقصى مرغوبهِ

ويوم تكريسهِ اقام ابنهُ قيصر فتًى كثير الخلاعة وشرس الاخلاق رئيس اساقفة ڤالنشيا واسقفًا على بمبالونا ثم اقام في الفاتيكان عرس ابنتهِ لوكريتسيا وحضرت الوليمة سريتهُ السيدة جوليا بيلاً واقيم في هذا العرس ملاعيب واغاني فاحشة قال واحد من المورخين ان كل الاكليروس كانت لهم سراري وجميع اديرة العاصمة كان لها اسم ردي

وكانت بلاد ايطاليا يومئذٍ مقسومة الى حزبين الجُوَلْف والغِبلين مثل القيسي واليمني في الشرق فانتصر برجيا للجولف وبعد ما اهلك بمساعدتهم الغبلين دار على الجولف ومحقهم ولكنهُ لم يرضَ ان يشاركهُ احدٌ في الغنائم وفي سنة ١٤٩٧ ولَّى اسكندر ابنهُ الاكبر على ولاية بناونتو ثم اختفى اسكندر بغتةً . ورجل بيّاع حطب على شط التيبر اسمهُ جرجس سكيافوني راى جثة انسان تُطرَح في

النهر تحت ظلام الليل الاَّ انهُ لم يخبر بذلك لانهُ امر كثير الوقوع وكانت جثة المذكور وكان اخوهُ قيصر المحرك الى قتلهِ ولم يكتفِ بذلك لان صهرهُ وقف في طريق تقدمهِ وفي ذات يوم استاجر قيصر مَن ضرب صهرهُ خنجرًا على نفس درج قصر الحبر الروماني فحُمِل مدميًا الى مخدعهِ ولزمتهُ زوجتهُ واختهُ واذ كانتا خائفتين من ان يسمهُ قيصر هيأتا لهُ الطعام بايديهما واقام اسكندر حراسًا على الابواب اما قيصر فضحك من ذلك وقال في مسامع البابا ما لا يُعمَل على الغذاء يعمل على العشاء وهكذا كان فانهُ دخل ذات يوم الى مخدع صهرهِ الناقه من مرضهِ واخرج زوجتهُ واختهُ ودعا جلادهُ ميكيلوتو ولم يكن يثق الاَّ بهِ وامرهُ ان يخنق صهرهُ امام عينيهِ وكان لاسكندر صاحب اسمهُ بيروتو بغضهُ قيصر حسدًا منهُ فهجم عليهِ امام بيروتو فالتجأَ هاربًا واختبأَ تحت الرداء الحبروي واعتنق البابا بذراعيهِ فضربهُ قيصر بالخنجر وشب دمهُ في وجه البابا قال واحد من المعاصرين المعاينين هذه المناظر ان البابا يحب ابنهُ وهو عائش في خوف عظيم منهُ

وكان قيصر اجمل وانشط اهل عصرهِ . قتل سبعة ثيران برية بسهولة وكل صباح وُجد قتيل جديد قُتِل ليلاً في اسواق رومية والسم امات الذين لم يكن الخنجر يطالهم ولم يكن احد يتجاسر على الحركة او التنفس في رومية لئلاَّ ياتي دورهُ والمرتكب هذه الاجرام قيصر برجيا ومجلس هذه القبائح عرش الحبر الروماني . عند ما يسلم الانسان نفسهُ لقوة الشر فكلما ادَّعى بالارتفاع قدام الله بمقدار ذلك ينحدر غائصًا في اعماق جهنم . فالولائم الكثيرة والفواحش والخلاعة التي صنعها البابا وابنهُ قيصر وابنتهُ لوكريتيا في البلاط الحبري لا يمكن وصفها حتى ولا التفكر بها بدون اقشعرار والغياض النجسة التي كانت للقدماء لم ترَ شيئًا مثل ذلك والمورخون يتهمون اسكندر بالزنا مع ابنتهِ لوكريتيا ولكن لا برهان كافٍ على ذلك وكان البابا قد اعدَّ سمًّا في علبة من الحلواء بعد الطعام اما الكردينال الذي أُعِد لهُ السم فتحذر فوُضِعت العلبة المسمومة قدام

اسكندر فاكل منهاومات فهذه صفات الانسان الذي تبوأ الكرسي البابوي في ابتداء القرن الذي ظهر فيهِ الاصلاح

وعلى هذه الكيفية الاكليروس لم يعطلوا اسمهم فقط بل اسم الديانة ايضًا وما اصدق قول بعضهم ان طغمة الاكليروس مضادة لله ولمجدهِ والشعب يعرف ذلك جيدًا وذلك واضح بكل الوضوح من كثرة الاغاني والامثال والاضاحيك على الاكليروس الجارية بين الجمهور ومن اشباه وصور الرهبان والخوارنة المرسومة على كل حائط وعلى اوراق لعب القمار وكل عاقل كان يشمئز عند نظرهِ الى خوري او عند استماع صوتهِ ولو على بعد . وعم الفساد جميع الرتب وأُرسل على الناس روح الضلال حتى يصدقوا الكذب (٢ تس ٢: ١١) وفساد الاداب تبع فساد الايمان وركب سرّ الاثم الكنيسة المستعبدة

ونتجت نتيجة اخرى بالضرورة من الاهمال الذي سقط فيهِ تعليم الانجيل الاساسي فان جهالة العقل جرّ فساد القلب والكهنة بعد ما قبضوا على حق توزيع الخلاص المختص بالله وحدهُ اكتسبوا بهذه الواسطة اعتبار الشعب فاية حاجة لهم بعد الى درس العلوم المقدسة لان وظيفتهم لم تكن بعد تفسير الكتب المقدسة بل اعطاء صكوك الغفرانات ولاجل اتمام هذه الخدمة لم تكن العلوم ضرورية

قال ومبهلنج انهم في القرى كانوا يختارون للوعظ رعاع الناس من المشعبذين من الشحاذين من الصيادين من سياس الخيل ورؤساء الاكليروس انفسهم كانوا غالبًا غرقى في الجهل فان اسقف دنفلد كان يهني نفسهُ لانهُ لم يتعلم قط اليوناني ولا العبراني والرهبان ادّعوا بان جميع الارطقات نبعت من هاتين اللغتين وعلى الخصوص من اليونانية قال واحد منهم ان العهد الجديد كتاب مملوء من الافاعي والاشواك وقال ايضًا ان اليوناني لغة جديدة اخترعت حديثًا فيجب ان نكون على حذر منها واما العبراني ايها الاخوة الاعزاء فقد تحقق ان كل من تعلمهُ يصير يهوديًا بالحال هذه على شهادة هرسباخ صديق

ايراسموس وهو من العلماء البابا ويين المعتبرين ورجل اسمهُ توما ليناسر واحد من الاكليروس المشهورين ما قرأ العهد الجديد مدة عمرهِ وفي آخر حياتهِ طلب نسخة من الانجيل واتفق فتحهُ اياهُ عند قول المخلص وانا اقول لكم لا تحلفوا البتة فطرح الكتاب عنهُ بقسمٍ لانهُ كان معتادًا على الحلفان وقال اما ان هذا ليس هو الانجيل واما اننا نحن لسنا نصارى . وعمدة معلمي اللاهوت في باريس عرضت للمجلس الاعلى قائلة لا بد من فساد الديانة اذا سمحتم بدرس اليوناني والعبراني . وما وُجد من العلم بين الاكليروس لم يكن علمًا روحيًا دينيًّا بل علماء اللاتيني في ايطاليا احتقروا الكتاب المقدس في تلك اللغة لقلة فصاحتها وهي النسخة المعروفة بالفلكاتا التي حكمت كنيسة رومية باستعمالها ونهت من استعمال كل ترجمة اخرى وبعض الاكليروس كانوا يترجمون عبارات الكتاب المقدس على سياق نَفَس فرجيليوس وهوراتيوس والكرد ينال بمبو عوضًا عن لفظة الروح القدس كتب نَفَس النسيم السماوي وعوضًا عن مغفرة الخطايا كتب انعطاف الارواح والالهة المتسلطين وعوضًا عن يسوع ابن الله كتب منرفا النابتة من راس جوبتير وفي ذات يوم وجد صاحبًا لهُ يترجم الرسالة الى الرومانيين فقال لهُ دع هذه الامور اللائقة بالاطفال . اضحوكات مثل هذه لا تليق بعاقل

هذه بعض عواقب الترتيب الغالب يومئذٍ الذي ضغط مثل الكابوس على قلب الديانة المسيحية فمن يشك بلزوم الاصلاح بعد الوقوف على امور مثل هذه لان جوهر الديانة المسيحية ضاع وفنيت قوة الكنيسة في كل موضع امتدَّ اليهِ السلطان الروماني

الفصل الرابع

في بعض الامور الجارية قبل الاصلاح

ان الفساد الغالب في الكنيسة المسيحية في تلك الايام لم يكن امرًا حديثًا

على الارض لان الترفض والكفر والجهالة وفساد الآداب انما هي اثمار القلب الفاسد الطبيعية وكثيرًا ما استولت على الاديان والمذاهب فافسدتها ولاشتها. فهل للديانة المسيحية ان تسقط ايضًا تحت هذا الحمل كما سقط غيرها من الاديان او هل فيها من الحيوة والنشاط ما يقاوم كل هذا الفساد ويصلحهُ ولا ريب بان فيها سرًّا ليس في غيرها وهو انها تناسب احتياجات البشر الدينية فان نسيها البعض لسبب تغلب الشر والشهوات على قلوبهم تحيا في قلوب الذين يشتاقون الى شيءٍ افضل من هذه الامور الزائلة وفي قلوب الذين يجدون بها تعزية لا يجدونها في شيءٍ آخر وفضلاً عن ذلك هي من الله وهو تعالى لا يدعها تسقط وظهر منها في القرن السادس عشر نفس الفعل الذي ظهر منها في اولها وفي ايام الاصلاح قاومت كل ما ضاددها وغلبت على كل ما قاومتهُ كما غلبت في ايام بطرس وبولس واخذت مفعولاً واحدًا بين شعوب مختلفة الاطباع والظروف واحياء الكنيسة يومئذٍ كان حسب القاعدتين اللتين بموجبهما يحكم الله على كنيستهِ في كل وقت. القاعدة الاولى انهُ تعالى يهيّئ الطريق لاتمام مقصدهِ تدريجًا مدة طويلة. الف سنة عندهُ كيوم واحد والثانية انهُ متى حان الزمان ينتج اعظم النتائج من احقر الاسباب. هكذا يفعل في الطبيعة وفي امور البشر فاذا قصد ان يخلق شجرة عظيمة عالية يضع في الارض بزرة صغيرة واذا قصد ان يصلح كنيستهُ يفعل ذلك باحقر الوسائط ويجري عن ايديهم ما لم يقدر عليهِ السلاطين ولا العلماء. وينبغي هنا ان نلاحظ الظروف والوسائط التي بها اعدّ الله طريق الاصلاح

كانت السلطنة الرومانية الباباوية في تلك الايام على غاية ما يكون من الاركان والامن زاعمة ان لا شيء يستطيع ان يزعج سطوتها او يقللها وكانت قد غلبت على المجامع المسكونية وسحقت تابعي يوحنا هس في بوهيميا والوالدنسيين في ايطاليا وفرانسا واخضعت لحكمها كل المدارس غير ان مدرسة باريس احيانًا انكرت عصمة رومية والاساقفة خضعوا لها وارسلوا اليها بعض مداخيلهم

حتى يستامنوا على سائرها والاكليروس من الرتب الدون خضعوا لروسائهم طمعًا بالارتقاء او خوفًا من سلطانهم وعامة الناس قدموا طاعة عميا والملوك في قلوبهم احتقروا اسقف رومية ولكن لم يتجاسروا على مقاومتهِ خوفًا من تهييجهِ رعاياهم عليهم

ومع هذا الاطمئنان الظاهر كان في الكنيسة تذمر وتمقم . فمن الناس من حامى عن سلطان البابا المطلق ومنهم من طلب تقييدهُ بشرائع وقوانين وكلا الفيئتين خامرها شك في حق تسلطه على وجهٍ من الاوجه وان لم يصرحوا بذلك علانية فخوفًا من خسارة القليل الباقي من الايمان والدين في قلوب الناس وصار الاستعداد للاصلاح شيئًا فشيئًا في الدوائر الثلاث اي دائرة السياسة ودائرة الرياسة ودائرة العلم والمعارف فالملوك والروساء والاتقياء والرعاة والعلماء والفلاسفة من كل رتبة صاروا آلة لاجراء الاصلاح في القرن السادس عشر

الامر الاول الذي خسرتهُ رومية هو اعتبارها في اعين الملوك والشعوب وذلك ليس بسبب الضلالات والخرافات التي ادخلتها الى الكنيسة باحالتها الوظيفة الروحية الى العالمية بالتمام فترك خدام الكنيسة اي الاساقفة والخوارنة الاشتغال بالامور الروحية وتوغلوا في ارجاس الجسد وبدلوا البراهين العلمية بالاغتصاب والقهر فاستخدمت السلطة الزمنية لكي تمكن السلطان الروحي ثم استخدمت السلطان الروحي لكي تمكن الزمني وصارت الامور الكنائسية آلة بيدها لنوال الغايات العالمية والتقدمات التي قدَّمها الشعب للحبر المسيحي بناء على زعمهم انهُ حبر ومسيحي انفقها على اقامة مجد ملكي وعلى الجيوش فصارت السلطة الروحية واسطة بها وضع رجالهُ على اعناق الملوك ولما راى الملوك انها صارت زمنية مثلهم لم يعودوا يعتبروها وقالوا صارت واحدًا منا فاخذوا يسالون عن صحة دعاويها العريضة وكان السوال قد اخربها الى التمام لولا امرٌ واحد وهو انها احتالت حتى صار تعليم اولاد الملوك والاكابر في يدها فربتهم على الاعتقاد بعصمتها وبحقها بالتسلط من صغرهم فلا يخفى ان التعليم الذي يتشربهُ

الولد مع ابن امهِ يعسر عليهِ تركهُ ولو اقتنع بفسادهِ . ولما راوا البابا يضحي حقوق الحبرية المدَّعى بها لكي يحصل على حقوق زمنية ويسلم بالامور الروحية لكي يتم عقد زواج بين اولادهِ او اقاربهِ وبنات ملوك الزمان ويستعمل كل انواع الغش والمكر والحنث لكي يبلغ مقاصده الزمنية وقع البرقع عن عيونهم ودفعوا البطل بالبطل ومكروا بالماكر بهم وكذبوا على الكاذب عليهم والملك لويس الثاني عشر ضرب سكة مكتوب عليها باللاتيني Perdam Babylonis Nomen اي اني اهلك اسم بابل ومكسميليانوس امبراطور اوستريا المشهور بالتقوى لما بلغهُ خيانة ليون العاشر قال اظن ان هذا البابا ايضًا منافق . مدة عمري لم يحفظ بابا كلامهُ معي . ان شاء الله يكون هذا اخيرهم

ولما انتبه اليها الملوك كما تقدم طلبوا تخفيف الاثقال التي حملتهم رومية اياها من عشور واموال وجزية ضعفت بها الشعوب وفرغت خزائن الملوك فملك سكسونيا فردريك الملقب الحكيم تعيَّن ملكًا من قبل الامبراطور سنة ١٤٨٧ وفي ١٤٩٣ زار القبر المقدس في اورشليم وهناك صار عضوًا من الرتبة المسماة فرسان القبر المقدس وكان مشهورًا بالكرم والغنى والحكمة ولما غاب الامبراطور من اوستريا ناب عنهُ هذا الملك وفي ذات يوم وقعت مفاوضة بينهُ وبين الرئيس العام ستوبتس في شان الواعظين الذين كانت مواعيظهم فخامة الكلام واحتجاجات عالمية وتقليدات بشرية فقال الملك كل هذه المواعيظ لا فعل لها وكل حيلةٍ ضدها حيلةٌ اخرى اما الكتب المقدسة فذات جلالٍ وفعل يلغي كل علمنا وكل احتجاجنا وتلزمنا ان نقول لم يتكلم انسان مثل هذا قط فاجاب الرئيس العام المشار اليهِ وهذا فكري بالتمام فقبض الملك بيدهِ قائلاً اوعدني انك تثبت على هذا الفكر . ولما ظهر الاصلاح كان هذا الملك من الحامين عنهُ وقال مثل ما قال غمالائيل ان كان هذا الراي او هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوهُ . (اع ٥ : ٣٨ و ٣٩) قال الملك ذات يوم الى سبنجلر واحد من اشهر علماء ذلك الزمان قد انتهت

الامور الى درجة فيها لا يستطيع الانسان شيئاً . الله وحدهُ يقدر ان يصلح الحال ولذلك نضع هذه الاشياء الكلية الاعتبار في يدهِ. هذا هو الملك الذي اختارهُ الله آلة للمحاماة عن الاصلاح في اولهِ

الفصل الخامس

ذكر بعض الامور المُعِدَّة طريق الاصلاح

قد ذكرنا في الفصل السابق كيف اعدَّ الله طريق الاصلاح بين الملوك والحكام ولننظر الآن الى الحال بين رعاياهم فلولا استعداد الشعب لما نفع استعداد حكامهم الاَّ قليلاً . اما ما كشف عنهُ الملوك واطَّلعوا عليهِ من احوال رومية فعُرِف عند الشعب ايضاً وتحقق عندهم ان اسقف رومية انما هو انسان وانهُ احياناً انسان شرير جداً فلم يحسبوهُ اقدس من اساقفتهم الذين عرفوهم بعاداً عن القداسة ايَّ بُعدٍ فصاروا يكرهون اسم رومية من كل قلوبهم

كان الامبراطور يومئذٍ راس الامبراطورية المولفة من ممالك متحدة ملوكها اوامراؤُها يجتمعون في ما سُمي الدِيَة الامبراطورية لاجل سن الشرائع الموافقة وعلى الامبراطوران يجري حكم ذلك المجلس وتعين من هولاء الملوك والامراء سبعة من احكمهم واقواهم لهم حق انتخاب خليفة الامبراطور فسُمُّوا منتخبين وكان اهل شمالي جرمانيا يومئذٍ من جنس السكسون وهم متصفون بشدة الباس ونشاط الجسم وحب الحرية الى الدرجة القصوى وقوي هذا الجنس فقاوم الامبراطور عندما حاول جواز الحد في امرهِ ونهيهِ وكانت جرمانيا يومئذٍ مركز العالم المسيحي متصلة بهولاندا وسويسرا وانكلترا وفرانسا وايطاليا والمجر وبوهيميا وبولونيا ودنيمارك فكان موقعها على غاية الموافقة لتجديد الحيوة في الجسد المسيحي

كلهِ ووافق ذلك كونها مؤلفة من عدة ممالك ومقاطعات مستقلة على نوع فاذا تقاوم الحق في الواحدة وجد ملجأ وحماية في اخرى

وكانت بلاد جرمانيا يومئذٍ قد اخذت في التقدم في امر العلوم والصنائع وشاع العلم بين عامّة الناس اكثر مما شاع في الممالك الاخر ولم يدخل بينهم الفساد الذي يرافق التمدن الكاذب غير الصحيح ولم يكونوا متوغلين في الترفُّه واشباع الشهوات الحيوانية بل كانوا على سعة متوسطة من جهة الغنى معتنين بصنائعهم وفلاحتهم وزراعتهم لاجل امر المعيشة وحفظوا انفسهم على نوع من الاستقلالية من جهة معتقداتهم ولما ظهر لهم فساد رومية لم يلبثوا حتى طرحوا سلاسل عبوديتها ونيرها الحديدي عن رقابهم وكانوا على غاية الكدر من جهة مشاجرات الاساقفة الدائمة وقساوتهم ومداخلتهم في امور السياسة ومن امثلة ذلك ان اهل مدينة فرانكفورت تحزبوا مع الدوك لويس ملكهم ضد ارادة البابا فوقعوا تحت الحرم الكبير وبقوا ٢٨ سنة بلا قداس وبلا معمودية وبلا اكليل زيجة وبلا جنازات حسب طقس الكنيسة الرومانية ولما رجع الرهبان والخوارنة ضحكوا عليهم وسبب ذلك تصرف الرهبان والخوارنة انفسهم وكثيرًا ما حدثت فتن وقتال من تلقاء الاموال الجزيلة التي فرضها الاساقفة على رعاياهم حتى قامت الرعايا دفعًا عن نفسها

اما بلاد سويسرا في ذلك الوقت فكانت ١٣ مقاطعة مرتبطة بعهد المدافعة والمهاجمة اهلها ذوو شدة وباس محبو الحرية الى الدرجة القصوى ولما قصد اساقفتها جواز الحد في سلطتهم قاوموهم اشد المقاومة ولما قصد اسقف جنيفا الاستنجاد ببعض دول ايطاليا لكي يقهر رعاياهُ طردوهُ وكل تابعيهِ وقاتلوا عن حريتهم اشد المقاتلة ونجحوا

اما بلاد ايطاليا فكانت قصبتها رومية وكلُّ مدن البلاد اقتدت بقدوة القصبة في الشراهة والفساد الديني والادبي. وكانت سلطة البابا والاكليروس مطلقة غير مقيدة ولم يكن للاهالي غير الخضوع التام او الحبس والعذاب

الجسدي الى الموت. اما بلاد اسبانيا فكانت من اول الشعوب غنًى وعلمًا وتسلط عليها الترفض الديني وصار اجل املاكها اوقافًا للاديرة والكنائس وغلب ديوان التفتيش السرّي على كل البلاد حتى لم يستطع احد ان يتفوه بكلمة في امر الدين بدون خطر الوقوع في ايادي رهبنة دومنيكوس العديمي الشفقة والرحمة والحنو ان كان على الشيخ الفاني او الطفل الرضيع ومن ترفضهم غير المحدود طردوا العرب من البلاد عن اخر مع انهم كانوا مسالمين اصحاب خبرة في امور الزراعة والصنائع وكل ما يؤول الى عمار البلاد نافعين غير ضارين لكن الاكليروس لم يطيقوهم في المملكة لانهم لم يخضعوا لهم في امر الدين ولهذا السبب عاملوا اليهود ايضًا بغاية القساوة والظلم وكانت مملكة برتوكال على هذه الحالة نفسها

اما مملكة فرانسا فكان فيها كثيرون من العلماء الانقياء ومدرسة باريس قاومت تعديات رومية وظهر ان كل المملكة مستعدة لطرح النير البابوي وللعود الى التعاليم الانجيلية البسيطة واذ ذاك فسلط عليها بيت فالواه ولاجل تمكين سلطنتهم استنجدوا القوة الاكليريكية والرومانية فانجدتهم فاثاروا اشدّ الاضطهاد على اصحاب الاصلاح وبعد ما كانت فرانسا قد تحررت من عبوديتها واستقلت بحقوقها السياسية والادبية عادت الى ما كانت عليهِ وسقطت

اما بلاد هولاندا فكانت اول بلاد اوروبا تجارةً وقوة بحرية اهلها وهم ذوو شدة وباس وحرية لا سيما الجهات المجاورة البحر الشمالي وفي تلك الجهات تمكن الاصلاح وغلب اما الجهات الجنوبية فسلمت لرومية وللاكليروس

وينبغي على كل مطالع ذي عقل ان يسال ما هو مراد القوم الذين يصرخون بلا انقطاع الكنيسة الكنيسة . اذا الف او وعظ او تكلم احدهم يقول الكنيسة الكنيسة يجب الخضوع للكنيسة والاطاعة للكنيسة والحماية عن الكنيسة والتحزب للكنيسة فيا ترى ما هي الكنيسة عندهم. ان الكنيسة عندنا انما هي جماعة

من المؤمنين بالمسيح اما عند هولاء فالكنيسة هي الاكليروس لا غير. فالاطاعة للكنيسة هي الاطاعة لاوامر الاكليروس . والحماية عن الكنيسة هي الحماية عن الرهبان والاساقفة والاديرة وارزاقها ولا يعنون بالكنيسة الاَّ انفسهم . اما الشعب الرعية جماعة المؤمنين فلا تُعَدّ ولا تُحسَب ولا تدخل لهم ببال الاَّ على هيئة معدن يستخرجون منها الذهب والفضة

اما بلاد انكلترا في تلك الايام فتارة قوي فيها الحزب الاكليروسي الروماني واخرى حزب الاصلاح والحرية حتى غلب عقل الجنس السكسوني الانكليزي وبعد احتمال اضطهاد شديد تحرر من نير رومية وامتد الاصلاح في انكلترا وفي اسكوتسيا وبقي الدين البابوي الغالب في ابرلاندا فبقيت في الجهل والانحطاط الى هذا اليوم وتبقى على ذلك حتى تتحرر من البابوية

وكذلك قوي الاصلاح وغلب في بلاد اسوج ونروج بين هولاء الاشداء الشماليين . اما بلاد روسيا فكانت الكنيسة الشرقية هي الغالبة فيها ولم تدخل تحت النير الروماني البابوي قط فاستراحت من قلاقلها الاَّ في بولونيا حيث هيج اصحاب لويولا الفتن حتى اهلكوا انفسهم وتابعيهم

اما في بوهيميا فابتدأ الاصلاح قبلما ابتدأ في غيرها من بلاد جرمانيا بنحو ١٠٠ سنة ولكن القوة الاكليروسية اطفأت ذلك النور وسكبت عليهِ دماء الوف من اهلها

هذا هو ملخص حال اوروبا في اوائل القرن السادس عشر

الفصل السادس

الشهود للحق في ذلك الزمان

في الفصل السابق ذكرنا الاستعداد للاصلاح بين ملوك اوروبا وممالكها

ودولها فلننظر الآن الى الاستعداد له الذي حصل في العلوم اللاهوتية وفي الكنيسة

ان علم اللاهوت المعتنى بهِ في الكنيسة يومئذٍ كان على غاية الموافقة للاعصار المظلمة ولو دامت تلك الاعصار لدام وعند ما انفتحت عيون الناس وتقدم العالم في المعارف ظهر عندهم فساد ما علَّم بهِ الرهبان والاكليروس من العلوم اللاهوتية واضاف البابا وات الى العقائد الكنائسية من وقت الى وقت ما وافق غاياتهم ونزعوا من تلك العقائد ما لم يوافقهم واهل المدارس مزجوا مع التعاليم الصحيحة ما اعدمها فعلها وقوَّتها فكانَّ الحق السماوي استتر في تلك المدة بين التعاليم الكاذبة لكي لا تنتبه اليهِ رومية فتنزعهُ بالتمام . مثال ذلك بقي من التعاليم الصحيحة الفداء بالمسيح وفعل الروح القدس في قلب الانسان ولكن الاول تغطى بالاعمال التقشفية التي بها زعموا انهم ينالون الخلاص والثاني تغطى بفعل اسرار الكنيسة المزعوم بهِ لا سيما المعمودية ثم لما انتبه الناس من نومهم وغفلتهم جردوا تلك التعاليم عن استارها واغطيتها فكانت آلة لقلب كل ذلك البناء . نزعت رومية تعليم التبرير بالايمان او بالاحرى تغطى تحت الاعمال التقشفية ولما ظهر للوجود كما هو معلن في الكتب المقدسة ازال سريعًا كثرة الشفعاء والوسطاء وابطل قيمة القداديس والاعمال الوفائية والغفرانات

ومن الذين قاوموا رومية في تلك الاعصار المظلمة واجتهدوا على اعادة التعاليم الصحيحة اكلاوديوس رئيس اساقفة تورين من ايطاليا في القرن التاسع وبطرس دي بروي وتلميذهُ هنري وارنولدوس من بريشيا في القرن الثاني عشر فهولاء اجتهدوا غاية الاجتهاد بان يعيدوا الناس الى العبادة الروحية الداخلية عوضًا عن الخارجية التي عولوا عليها وكان في محلات شتَّى اناس ذوو تقوى يحبون الانفراد والتامل بالامور الروحية امتنعوا عن المداخلة في مشاجرات المدارس اللاهوتية واجتهدوا على جذب الناس عن الاتكال على الطقوس والاحتفالات الى السلامة الداخلية الروحية الحاصلة من الاتكال التام على الله

ففاوموا شرور اوقاتهم وفساد تعاليمها ولكن لم يفهموا التبرير بالايمان فهمًا جليًّا

اما الولد نسيون (نسبةً الى بطرس ولدو) فسكنوا جبال بيدمونت في شمالي ايطاليا منفصلين عن كنيسة رومية انفصالاً تامًّا قرونًا متتابعة. كان بطرس ولدو تاجرًا غنيًّا في مدينة ليون من اعمال فرانسا وعاش نحو سنة ١١٧٠ اباع كل مقتنياتهِ وفرق الثمن على الفقراء قصدًا ان يعيد الديانة المسيحية الى حالها الاول وسكن بين اهل بيدمونت واصلح حال المسيحيين في تلك الجهات فانتسبت الطائفة اليهِ مع انها كانت قبلهُ زمانًا ومن اولها كانت تقاوم ضلالات رومية وخرافاتها مقاومة شديدة

وفي سنة ١٣٦٠ قام في انكلترا وكلف وعلَّم بوجوب الالتفات الى الله وكتابهِ دون الالتفات الى بابا رومية

وفي بلاد بوهيميا علَّم ووعظ يوحنا هس نحو مئة سنة قبل زمان لوثيروس ووجه اشد مقاومتهِ ضد فساد الاكليروس. فقبض عليهِ اعداؤهُ وسجنوهُ فقال هس ان اعداء الحق قد اغلقوا على الاوز ولكن عوضًا عن الاوز سوف يرسل الله نسورًا. اشار بقولهِ الاوز الى نفسهِ لان هس باللغة البوهيمية معناهُ الاوز. ثم اجتمع مجمع باباوي في قنسطانس من بلاد سويسرا وطلب حضور يوحنا هس فابى حتى اعطاهُ الامبراطور سجسموند صك الامان والحماية فلما حضر خالفوا مواعيدهم ومواعيد الملك والقوهُ في سجن فراى في الليل رؤيا. كان قد صوَّر على حيطان مصلاه في مدينة براك صورة المسيح فراى في الرؤيا البابا والاساقفة يمحون تلك الصورة فانغم من الرؤيا جدًّا ثم في الليلة التالية راى عدة مصورين يعيدون الصورة على احسن ما كانت قبل وحولهم جمهور غفير من الناس ولما انتهوا من عملهم قالوا ليات ِالآن البابا واساقفتهُ. لا يقدرون ان يمحوها بعد. ولما راى هذه الرؤيا فرح وقال لهُ بعض اصحابهِ اشتغل بما تحامي بهِ عن نفسك ولا تلتهِ بالاحلام فقال لستُ بناظر احلام لكني متيقن ان صورة المسيح هذه لا تمحى مطلقًا. قد اجتهدوا على محوها ولكنها تتصور حينئذٍ في كل القلوب بواسطة

واعظين احسن وافضل مني وكل شعب يحب المسيح يفرح بذلك وانا متيقظًا من نوم الموت ومنتهضًا من قبري اطفر فرحًا وابتهاجًا

ولم يكن مقاومو رومية بين الذين حسبتهم هي خارجين عنها بل منها وفيها قام شهود للحق ليسوا بقابلي العدد وزعمهم ان الديانة المسيحية قبل الاصلاح لم يكن لها وجود الاَّ تحت صورة الكنيسة البابابوية غلط محض . بل كثيرون من معلميها قبل القرن السادس عشر مالوا الى نفس التعاليم التي صرح بها البروتستانت في مدينة اوغسبرج سنة ١٥٣٠ ومن هولاء انسلموس رئيس اساقفة كنتربري . الف مولفًا حاويًا اجل التعاليم الانجيلية . في كتاب لهُ يرشد بهِ المشرف على الموت وفيهِ يقول انظر الى يسوع المسيح وحدهُ . وماري برناردوس يقول ان جاءت خطيتي من قبل آخر فلماذا لا ياتي برّي من قبل آخر . خير لي ان يوهب لي من ان يكون غريزيًا فيّ . ومثل ذلك اقوال كثيرين من اهل المدارس يقاومون الضلالات الشائعة

وفضلاً عن الافراد المشاهير كان الوف من الانفس التقية لم يعرفهم العالم جعلوا اتكالهم على يسوع المسيح وبرهِ الكامل بدون التفات الى كثرة الشفعاء والوسطاء الذين علَّم بهم البابا واعوانهُ منهم راهب اسمهُ ارنولدي . كل يوم صلَّى في قلايتهِ هذه الصلاة ايها الرب يسوع اومن انك انت وحدك فدائي وبرّي . وكرستفوروس اونتهيم اسقف باسل من سويسرا كتب اسمهُ على لوح من الزجاج مصوَّر عليهِ صورة المسيح وكتب حول الصورة هذه العبارة . رجائي بصليب يسوع . انا طالب نعمةً لا اعمالاً . وهذا اللوح لم يزل محفوظًا في باسل . وكان في باسل راهب اسمهُ مرتينوس كتب هذا الاقرار . ايها الاله الرحوم اعلم اني لا اخلص ولا ارضي قداستك الاَّ باستحقاق ابنك الوحيد وآلامهِ . يا يسوع البار كل خلاصي بيدك . لا نستطيع ان تحول عني ايدي محبتك لانها صنعتني وصورتني وفدتني . انك قد كتبتَ اسمي بقلم من حديد على جنبك ويديك ورجليك كتابة لا تمحى . وهذا الاقرار جعلهُ في علبة من الخشب ووضع العلبة في

ثقب في حائط قلايتهِ وبينما كان الفعلة يهدمون بناء عتيقًا كان بعض الدير وذلك في ٢١ كانون الاول ١٧٧٦ انكشفت تلك العلبة فيها الاقرار المذكور فكم من تلك الكنوز الخفية لا يعلمها الاَّ الله وحدهُ

ان هولاء الرجال الانقياء عاشوا على انفراد فكان ايمانهم القويم لانفسهم. لم يعرفوا كيفية افادة الاخرين بهِ ولم يستطيعوا ان يقولوا غير ما قالهُ الاخ مرتينوس المذكور اني وان لم استطع ان اقر بهذه الاشياء شفاهًا اقر بها بقلمي وبقلبي. فوجد الحق ملجأً في بعض القلوب التقية وإن لم يكن لهُ سبيل في العالم

وبعض هولاء وان لم يتجاسروا على التصريح بتعليم الخلاص الحقيقي جهارًا خوف القتل ما كفوا عن التأنيب والتوبيخ على الفساد الغالب في الكنيسة الرومانية التي هم من اعضائها. زعم الاكليروس المجتمعون في مجمع قسطنس انهم اطفأُوا النور واباد وهُ لما حرقوا يوحنا هس ولكنهُ قام بعدهُ رجال شهدوا للحق ولم تُقطَع سلسلتهم بل بقيت متصلة الى حين الاصلاح العام وقُتِل منهم كثيرون وذري رماد جثثهم الى اربع رياح السماء وذكرهم يملأُ مجلدات

ومن هولاء راهب كرملي من البلاد الواطية اسمهُ توما كُونكتي قال ان اقبح القبائح تُرتكَب في رومية وان الكنيسة محتاجة الى اصلاح واننا ان ثبتنا على خدمة الله لانخاف حرم البابا فسمع لهُ اهل البلاد بكل فرح فقُبِض عليهِ وحكم عليهِ الاكليروس بالحريق وكان ذلك في سنة ١٤٣٢

والكردينال ادراوس رئيس اساقفة كراين أُرسل الى رومية سفيرًا من قِبَل الامبراطور وقبل ذهابهِ كان معتقدًا بقداسة البابا ولما اكتشف لهُ الحال في البلاط البابا وي وراى ان تلك القداسة انما هي وهمية فعلى بساطة قلبهِ اعترض البابا الكائن يومئذٍ وهو سكستوس السادس وخاطبهُ بعبارات انجيلية تعترضهُ على تصرفهِ غير اللائق فاستهزأُوا بهِ واضطهدوهُ ولما راى ذلك حاول ان يجمع مجمعًا عامًا في باسل سنة ١٤٨٢ قائلاً ان الكنيسة كلها متزعزعة بالاحزاب والهرطقات والخطايا والرذائل والفساد والضلال وشرور

لا تحصى حتى كادت بير العمق تبلعنا ولاجل ذلك ندعو مجمعًا عامًا لاجل اصلاح الايمان الكاثوليكي وتطهير الآداب . فأُلقي في السجن في باسل ومات مسجونًا واول من قاومهُ واحد من اعضاء ديوان التفتيش اسمهُ هنري . قال كل العالم طالب مجمعًا. لا تصلح الكنيسة بمجمع . العليُّ يعيدنا الى حالتنا الاولى بوسائط غير معروفة عندنا الآن . فمنطوق هذا الرجل من ديوان التفتيش نطق بهِ بقرب وقت ولادة لوثيروس وهو اكبر حجة لضرورية الاصلاح

وايرونيموس سافونارولا دخل رهبنة الدومينكانيين في مدينة بولونية سنة ١٤٧٥ وانعكف على الصلوة والصوم والتقشف صارخًا يا الله انت صالح فحسب صلاحك علمني برك . وانتقل الى مدينة فيرنتسا ووعظ فيها بكل نجاح . قال ينبغي ان نجدد الكنيسة . واستمسك بالمبدا الكبير الذي بهِ وحدهُ يتم هذا العمل العظيم . قال الله يغفر خطايا البشر ويبررهم برحمتهِ. الرحمات في السماء تعادل عدد المبرَّرين على الارض لانهُ لا احد يخلص باعمالهِ ولالاحد ما يفتخر بهِ ولو سالنا كل هؤلاء الخطاة المتبررين في الحضرة الالهية هل نجوتم بقوة انفسكم لقالوا صوتًا واحدًا ليس لنا ليس لنا يا رب بل لاسمك نعطي المجد ولذلك يا الله انا طالب رحمتك ولااحضر اليك بري لانهُ متى بررتني انت بنعمتك يصير برك لي لان النعمة هي بر الله . ايها الانسان ما دمت غير مؤْمن تبقى خاليًا من النعمة بسبب خطيتك . اللهمَّ خلصني ببرك اعني بابنك الذي هو وحدهُ بين البشر خالٍ من الخطية . وعلى هذا النسق نادى هذا الرجل بالتبرير بالايمان . اما الروساء فقاوموهُ اشد المقاومة ولكنهُ لم يزل ينادي بكلام الله . قال اهربوا من بابل اهربوا منها يعني رومية واجابتهُ رومية حسب عادتها . في سنة ١٤٩٧ البابا اسكندر السادس الشهير بشرورهِ اخرج امرًا ضدهُ وفي سنة ١٤٩٨ شنقوهُ ثم حرقوهُ بالنار في الساحة الكبيرة في مدينة فيرنتسا .

ويوحنا ڤترار بوس راهب فرنسيسكاني قاوم فساد الكنيسة . قال الاولى ان نذبح ولدًا من ان ندخلهُ في رتبة دينية غير مصلحة . ان رايت خوريك او

خورياً آخر ابقى امراةً في بيتهِ يجب ان تذهب ونجرها من البيت قهراً . من الناس من يتلو صلوات للعذراء مريم لكي يروها ساعة الموت ولكنك سوف ترى الشيطان ولا ترى العذراء . ثم الزموهُ بان يرجع بمقالهُ فسلم لهم سنة ١٤٨٩

يوحنا لاَلِيَر دكتور من مدرسة باريز . سنة ١٤٨٤ قاوم سلطة الاكليروس وظلمهم . قال كل رتب الاكليروس لهم سلطة واحدة على حدٍ سواء . الكنيسة الرومانية ليست هي راس الكنائس . يجب ان تُحفَظ وصايا الله والرسل اما وصايا الاساقفة وكل اسياد الكنيسة انما هي قش . قد خربوا الكنيسة بمكرهم . الخوارنة في الكنيسة الشرقية يخطئون ان لم يتزوجوا . ولو اننا نحن في الكنيسة الغربية تزوجنا لما اخطانا بهذا المقدار . منذ عصر البابا سليبستروس الكنيسة الرومانية ليست كنيسة مسيحية بل كنيسة سياسية كنيسة لاجل تحصيل الدراهم . لسنا ملتزمين بتصديق التقليدات من جهة القديسين كما اننا لسنا ملتزمين ان نصدق التقليدات في تاريخ الدُوَل . انتهى ملخصاً

ومن الانقياء المعلمين الذين قاوموا فساد رومية في تلك الايام يوحنا من وساليا دكتور في اللاهوت في مدينة ارفورث مشهور بعلمهِ وحذاقتهِ نادى بان الكتب المقدسة وحدها دستور ايمان المسيحيين . وفي تلك الايام زعموا ان اصحاب الديانة انما هم الرهبان فقط حتى صارت الديانة والترهب لفظتين مترادفتين . قال المشار اليهِ . ليست الديانة (يعني الترهب) تخلصنا بل نعمة الله . ان الله منذ الازل قد كتب اسماء مختاريهِ في سفر الحيوة وغير المكتوب فيهِ لن يخلص ابداً . بنعمة الله فقط يخلص المختارون والذي يقصد الله خلاصهُ بنعمتهِ يخلص ولو حرمهُ كل خوارنة العالم والذي يشاء الله ان يدينهُ يهلك ولو اتفق الكل على خلاصهِ . فباية وقاحة قد حكم خلفاء الرسل بواجبات لم يامر بها المسيح في كتابهِ بل اخترعوها هم بسبب محبتهم للذهب والرياسة . اني لا اعتبر بابا ولا كنيسة ولا مجمعاً بل اعطي كل المجد للمسيح . انتهى . نادى هذا الرجل بهذه التعاليم من المنبر وكاتب اصحاب يوحنا هس في بوهيميا فاستحضرهُ ديوان

التفتيش والقوة في سجن من سجونهم وهو رجل شيخ هرم ضعيف ومات في السجن سنة ١٤٨٢

يوحنا من غوخ رئيس دير مالين نحو سنة ١٤٨٠ علّم بان الحرية الدينية هي جوهر كل الفضائل وقال عن التعاليم الشائعة في ايامهِ انها كثيرة الضلال. قال الكتب المقدسة وحدها تُعتبَر دستورًا للايمان اما مولفات الآباء فلا سلطان لها الاَّ حسب موافقتها الكتب المقدسة القانونية وقال في الرهبان ان الشيطان يخجل من التفكر بما يتجاسر الراهب على عملهِ

ومن اشهر هولاء المعلمين يوحنا وسّل لُقِّب نور العالم كان رجلاً شيخًا محب الحق معلم اللاهوت في كولن وفي لوفين وباريز وهيدلبرج وكرونجن بالتتابع قال ان ماري بولس وماري يعقوب يعلمان تعاليم متنوعة غير متناقضة وكل واحد منهما يقول ان البار بالايمان يحيا ولكن بايمانٍ يفعل بالحب. ومن سمع بشارة الانجيل وآمن واتكل على مَن يبررهُ ويباركهُ واجبهُ يسلم نفسهُ لهُ تمامًا ولا ينسب برًّا لنفسهِ. وانهُ يجب على الخروف ان يميز طعامهُ ويجتنب ما يضرهُ ولو عرضهُ عليهِ الراعي نفسهُ وينبغي على الشعب ان يتبع راعيهُ الى المرعى. ولكن ان لم يقدهم الى المراعي فهو ليس راعيًا ولا يجوز للرعية ان تتبعهُ ولاشيء اضر على الكنيسة من فساد الاكليروس وكل مسيحي من الاكبر الى الاحقر ملتزم ان يضاد الذين يفسدون الكنيسة وينبغي ان نطيع اوامر الاساقفة والمعلمين الى حدّ ما علمنا بذلك بولس الرسول في (١ تس ٥: ٢١) حيث قال امتحنوا كل شيء. تمسكوا بالحسَن. ويطاع الذين يجلسون في كرسي موسى اذا علَّموا تعاليم موسى. ونحن خدام الرب ولسنا خدام البابا لانهُ قيل للرب الهك تسجد واياهُ وحدهُ تُعبد. وان الروح القدس قد ابقى لنفسهِ احياء الكنيسة وحفظها واصلاحها ولم يترك ذلك للحبر الروماني الذي غالبًا لا يبالي بشيء من ذلك. وان المراة اذا كانت مؤمنة وكان في قلبها محبة تستطيع ان تحكم وتميز ما هي ارادة الله فكم بالحري الرجل العاقل انتهى

وعلى هذا الاسلوب كثرة الاصوات والتعاليم قبل ظهور الاصلاح فيبين جليًّا ان الاصلاح ابتدأ قبل عصر لوثيروس زمانًا وكل هذه الاصوات لم تستطع رومية ان تقاومها الأ باقوال بعض الرهبان العديمي العلم والتقوى

وكان الاصلاح قد ابتدأ ليس بين المعلمين فقط بل بين الشعب ايضًا . وتعاليم وكْلِف امتدت من اكسفورد الى باڤاريا وبوهيميا وبروسيا واكثر اقسام المانيا وفي بوهيميا قامت طائفة شهيرة قوية شهدت ان المسيح هو الاساس الذي بُنيت عليهِ الكنيسة لا بطرس ولا خلفاؤُهُ وارسلوا مرسلين الى جهات شتَّى يرشدون الناس الى تعاليمهِ وفي سنة ١٥١١ ابتدأ نقولاوس كوس من رُستِق ان يعظ جهارًا ضد البابوية واندراوس بِرولس رئيس عام رهبنة الاوغسطينيين في دير هِلسبرت اي دير باب السماء بينما يقراون الكتب المقدسة كان ينهاهم قائلاً يا اخوتي انتم سامعون شهادة الكتب المقدسة . نقول اننا بالنعمة صرنا الى ما نحن عليهِ وبها فقط نبقى على ما نحن فمن اين اذًا كل الظلام وكل الخرافات التي نراها . يا اخوتي ان الديانة تحتاج الى اصلاح عظيم جريع وكاني اراهُ مقبلاً . فقال لهُ الرهبان ما بالك لا تبتدئ انت بهذا الاصلاح وتقاوم كل هذه الضلالات قال يا اخوتي تروني رجلاً شيخًا هرمًا ضعيف الجسد وليس لي العلم ولا النشاط ولا المواهب اللازمة لعمل مهم مثل هذا ولكن الله سوف يقيم جبارًا كافيًا من جهة العمر والمواهب والعلم والفصاحة وهو يكون المقدَّم ويبتدي بالاصلاح ويقاوم الضلال والله يعطيهِ شجاعة لكي يقاوم اقوياء الارض . انتهى . ويستحق الاعتبار ان المصلح قام من تلك الرهبنة نفسها

كان في دير الاوغسطينيين في ايسناخ راهب اسمهُ يوحنا هلتن واخذ يدرس نبوات دانيال ورؤْيا يوحنا وكتب على هذين السفرين شرحًا وفيهِ وبخ خلاعة عيشة الرهبان فاغتاظوا منهُ والقوهُ في السجن وكان متقدمًا في العمر فمرض في السجن مرضًا شديدًا وطلب رئيس الدير فلما حضر اليهِ الرئيس لم يصغَ الى ما اراد المسجون ان يكلمهُ بهِ بل اخذ يوبخهُ على تعاليمهِ الذي على قول

الرئيس كان مضرًّا على كرار الرهبان ومطبخهم فتنهد المسجون وقال انا حامل تعبيرانك حبًّا بالمسيح لانني لم اقل شيئًا يضر على الرهبنة . بل ونبت شرورها فقط ولكن في سنة ١٥١٦ يقوم رجل آخر بلاشيكم ولا تستطيعون مقاومتهُ .زعم ان العالَم ينتهي سنة ١٥٥١ لم ينتهِ ولكن ولد المصلح قبل ذلك الوقت قليلاً في نفس مدينة ايسناخ بقرب سجن هذا الراهب وشرع في عملهِ سنة ١٥١٧ اي سنة واحدة بعد الوقت الذي حدَّدهُ المشار اليهِ

الفصل السابع

في الاستعداد للاصلاح باحياء العلوم والمعارف

ذكرنا في الفصول السابقة كيفية اشتراك اعضاء الكنيسة الاحياء في اعداد طريق الاصلاح روساء وشعب وعلماء كل واحد في رتبتهِ . وقام لنجدة الاصلاح معين آخر وهو العلم .كان العقل البشري قد اخذ بالتقدم وهذا الامر وحدهُ كافٍ لعتق العقل من العبودية .كما اذا سقطت بزرة صغيرة بجانب جدار عتيق تنبت شجرة وتنمو وبنموها تهدم الجدار

كان الحبر الروماني قد اقام نفسهُ حارسًا على الشعوب وكان ذلك امرًا سهلاً لحذاقة عقلهِ وجهالة الشعب فابقاهم على قدر الامكان في حالة الجهل ثم كسروا القيود وفتحوا عيونهم وعاشت عقولهم فسالوا وفتشوا وبحثوا وطلبوا من قائدهم الذي لهُ زمان يقودهم بدون سوال حجةً وسببًا لكل خطوة وسالوا ماهي غاية الله في اعلانهِ نفسهُ للعالم وهل للانسان حق ان يقيم نفسهُ وسيطًا بين الله والناس

امرٌ واحد فقط لهُ استطاعة حفظ كنيسة رومية على سطوتها وهو ارتفاعها علمًا ومعرفة فوق الشعب . فلو بقيت سابقة الشعب في المعارف والعلوم لبقيت سلطتها على الناس ولكن الناس بعد ما تقدموا قليلاً راوها دونهم وتحتهم وهي

اخذت بالهبوط لما اخذوا هم بالارتقاء . فلما صار الناس يرتفعون نحو الامور العقلية كان الاكليروس منهمكًا في الامور الارضية والصوالح الدنيوية وفي بلاد ايطاليا اولاً اخذ العقل يرتفع فوق الثرى وفي القرن الرابع عشر قام الشاعر دانتي وفي بعض اشعارهِ جعل اقوى الباباوات في جهنم والشاعر بترارك طلب بكل شجاعة اعادة الكنيسة الى حالتها الاولى ويوحنا من مدينة رافنّا علّم العلوم اللاتينية في مدرسة بادوا وفيورنتسا وكريسولورس ترجم اشهر مصنفات اليونان القدماء في فيورنتسا وبافيا والذين نزحوا من بلاد الشرق بسبب الاضطراب الحاصل فيهِ يومئذٍ اخذوا معهم علوم اليونان وكتبهم الشهيرة فعاش حب الوطن بين اهل ايطاليا وقام منهم جمهور من العلماء الذين اجتهدوا على اعادة علماء اللاتينيين القدماء الى رتبتهم الواجبة فانفجر نور عظيم ولم يتضرر بذلك الاّ رومية . قال هولاء الغيورون على العلم ان تعاليمهم لم تمس ايمان الكنيسة ولكنهم قاوموا اهل اللاهوت قبلما قاومهم المصلحون ومنهم من وضع يدهُ على اعز الامور في كنيسة رومية فالشاعر دانتي المشار اليهِ ما زال متمسكًا بتعاليم رومانية كثيرة ولكنهُ نادى بالايمان كما فعل المصلحون بعدهُ قال الايمان يجعلنا من رعية السماء . الايمان حسب الانجيل هو مبدأ الحيوة . هو الشرارة التي تمد يومًا فيومًا حتى تصير لهيبًا حيًّا ويضيء علينا الكوكب من السماء وبدون ايمان لا عمل صالح ولا حيوة صالحة تفيدنا شيئًا . مهما تعاظمت الخطية فاذرع النعمة الالهية اوسع وتعتنق كل من يتوب لله والنفس لا تهلك من تلقاء حرم الحبر الاعظم . والمحبة الابدية تطالها ما دام الرجاء مزهرًا فالبر من الله ومن الله وحدهُ بالايمان . انتهى

وبعد ذلك بمدة وجيزة قام لاورنتيوس ڤالا وامتحن عقائد الكنيسة بالتاريخ القديم فنكر ما قالهُ الاكليروس من جهة الكتابة بين المسيح والملك ابجر ورفض ما قالوهُ من جهة اصل تلك القوانين المسماة قوانين الرسل واظهر كذب ما قالتهُ رومية من جهة هبة الملك قسطنطين لها املاكًا

ثم ان هذا النور الجديد البازغ من درس مصنفات القدماء آل الى الخراب لا الى البنيان ولم يكن فيهِ ما يصلح الحال ويحيي الديانة بل كثيرون من هولاء العلماء التابعين الفلاسفة والشعراء القدماء قاوموا اصول الديانة وفي مدرسة بولونيا وپادوا علّم بطرس بمبوناتيوس ان خلود النفس والعناية الالهية بامور البشر من التخمينات الفلسفية . حكي يوحنا فراسيس پيكو عن واحد من البابوات انهُ لم يعتقد بوجود الله وعن آخر من البابوات بانهُ اقرَّ لصاحب من اصحابهِ عدم اعتقادهِ بخلود النفس ثم بعد موتهِ ظهر لهُ وقال ان النار المؤبدة التي الآن تاكلني تقنعني بخلود النفس التي ظننت انها تموت بموت الجسد

وروي عن البابا ليون العاشر انهُ قال ذات يوم لكاتبهِ بمبو ان كل عصر عارفٌ بكم افادتنا وافادت مَن لنا هذه الخرافة المسيحية . والضحك والمسخرة بكل امر مقدس صار عادة وحُسِبت الديانة واسطة فقط للحكم على الناس حتى قال اراسموس الشهير في سنة ١٥١٦ اخشى انهُ بدرس الكتب القديمة تعود العبادة الاصنامية القديمة . فلو ما ظهرت حينئذٍ الديانة المسيحية الصحيحة واحيت الايمان في قلوب البشر لفقد الدين من العالم فالاصلاح حفظ الديانة والهيئة الاجتماعية ولو قصدت كنيسة رومية مجد الله وخير الناس لفرحت بالاصلاح فرحًا زائدًا

ثم ان النور الذي انفجر في ايطاليا لم يُحصَر في تلك البلاد بل بزغت شعاعهُ الى بعيد وقطعت جبال الالب

ان امور الكنيسة كانت سببًا للتردد غير المنقطع بين كل جهات العالم المسيحي وبلاد ايطاليا فظهر لاهل البلاد الشمالية بواسطة هذا التردد تقدم اهل ايطاليا من جهة المعارف فذهب بعض اشراف جرمانيا الى ايطاليا واقاموا فيها حتى اكتسبوا علومها ثم عادوا الى بلادهم واحيوا فيها تلك العلوم التي كانت علة الارتقاء والتقدم فكثر العلماء في جرمانيا في مدة وجيزة وانتشر فيها اجلّ كتب القدماء واختُرِعت صناعة الطبع نحو سنة ١٤٤٠ فطُبِعت تلك الكتب

وكتب اخرى مؤلفة ضد الفساد الذي شاع في الكنيسة والمحرضة العقل البشري على السؤال والبحث عن القديم وطلب اكتشاف الجديد

اما درس كتب القدماء فنتيجتهُ في بلاد جرمانيا اختلفت عن نتائجهِ في بلاد ايطاليا . اما اهل ايطاليا فكانوا قد خسروا ايمانهم بسبب ما راوهُ من فساد رومية اذ لم يعرفوا للديانة المسيحية وجهاً آخر غير ما قدمتهُ لهم رومية اما اهل جرمانيا فلكونهم بعيدين عن رومية لم يتاثروا بهذا المقدار من فسادها فلم يزالوا محافظين على الايمان نوعاً ولما عاشت العلوم القديمة بينهم كما تقدم فعوضاً عن ان تلقيهم في الكفر التام كما فعلت في اهل العلم من ايطاليا استخدموها معيناً للديانة فانهدمت اساسات الدين في ايطاليا وتمكنت على اساس متين في جرمانيا وتالف هناك جمعيات شتّى علمية من اعضائها الاشراف والملوك كلهم مجتهدون على توجيه فوائد العلوم الى تحسين الديانة ونقدمها فازالوا الخرافات الكثيرة التي بها فسد الاعتقاد وطهروا الايمان من العقائد المفسدة التي دخلت اليهِ بالجهل والطمع والترفض

ولم يلبث اهل اللاهوت من الرهبان حتى انتبهوا الى الخطر الواقع على مقامهم وسطوتهم فرفعوا صوتاً ضد تلك الدروس التي كانوا قد مدحوها في ايطاليا وفرانسا لانها هناك رافقت الخلاعة والبذخ وعقدوا جمعيات لمقاومة العلوم والمعارف لانهم راوا الايمان القديم مقبلاً على اثرها وكان من اشهر علماء ذلك العصر ايراسموس الشهير وفي ذات يوم اخذ راهب يحذر رجلاً من هرطقات ايراسموس . فسالهُ الرجل ما هي هذه الهرطقات وبماذا تقوم . قال الراهب انهُ لم يقرأ شيئاً من مصنفاتهِ ولكن هرطقتها في فصاحة لاتينيتها . كان الرهبان يكتبون لاتينية هي بالنسبة الى اللاتينية الفصيحة كنسبة اللغة المالطية الى لغة الحجاز

ولم يلبث حتى انتشرت الحرب بين اهل العلم وهولاء اللاهوتيين . راى اللاهوتيون الرومانيون التقدم العقلي الحادث وحسبوا ان دوام عدم التقدم

والظلام الدامس اسلم للكنيسة الرومانية فقاوموا المعارف للحماية عن رومية وبهذه المقاومة نفسها عجلوا سقوطها ورومية نفسها على سبيل الغلط اعانت اعداءها واضرّت اصحابها وفي عصر لاون العاشر اخذت تقوّي العلوم والمعارف وساعدت العلماء والمدارس ولم يرَ البابوات ان ذلك لهدم سلطانهم وازالة ملكهم والمدارس التي كانت تحت سلطنة الاكليروس حامت عن نفسها بطرد اصحاب العلوم الجديدة منها فطُرِد المعلم ريجيوس من كولن وسلتس من ليبسك وهرمان فان دم بوش من رُستُك ومع هذا كلهِ زادوا عددًا وعلمًا فقام من القديم عالم جديد في تلك الاعصر المتوسطة ولم يكن بممكن ان تعيش الفئتان على السلم غير انهُ لاجل نصرة الحق اقتضى اولاً استخراج اسلحتهِ من المخازن التي لبثت فيها مدة اعصار متتابعة وهذه الاسلحة هي الكتب المقدسة كتب العهد القديم والعهد الجديد واقتضى احياءه معرفة اللغة العبرانية واليونانية والرجل الذي اختارتهُ العناية الالهية لهذه الغاية هو يوحنا ريوخلن

نشا في مملكة بادن وفي سنة ١٤٧٣ ارسلهُ الدوك مع ابنهِ فردريك الى مدرسة باريس فعاشر هناك رجلاً يونانيًا من اسبارتا اسمهُ هرمونيموس ويوحنا وسّل الملقب نور العالم المذكور آنفًا فتعلم العبراني واليوناني واقام باحتياجات نفسهِ بنسخ اشعار اليونان وخطبهم لاجل التلاميذ الاغنياء وسمع من يوحنا وسل تعاليم خرقت عقلهُ مثل قولهِ قد غلط البابوات. كل كفَّارة انسانية عن الخطية تجديف ضد المسيح الذي اصلح البشر مع الله وبررهم تمامًا. الله وحدهُ يغفر الخطايا. لا داعي للاعتراف بخطايانا في اذني خوري. المطهر لا وجود له الّا الله نفسهُ وهو نار آكلة تطهر من كل دنس. هذه التعاليم استفادها ريوخلن من يوحنا وسّل

ولما بلغ ريوخلن ٢٠ سنة من العمر صار معلم الفلسفة واللاتيني واليوناني في باسل وعرف التكلم باليونانية فحُسِب من اغرب الامور في تلك الايام ان المانيًا يتكلم باللغة اليونانية. وشق ذلك كثيرًا على اصحاب كنيسة رومية اذ راوا هولاء

الحذاق يبحثون في الكنوز القديمة وقالوا كل هذه الدروس تؤول الى تقليل التقوى لان اليونان هراطقة . ثم نُقِل ربوخلن الى مدرسة طبنجن ورافق الدوك الى رومية ولما اجتمع مع البابا على احتفال تام قدَّم ربوخلن خطابًا باللاتينية بربع الفصاحة فدُهش اهل ايطاليا لما سمعوا المانيًّا يفوقهم فصاحة. وانتهز كل فرصة لكي يقتني كتبًا يونانية وعبرانية والف قاموسًا لاتينيًّا وكتابًا في صرف اللغة اليونانية ونحوها وترجم مزامير التوبة السبعة وشرحها واصلح الترجمة اللاتينية المعروفة بالفلكاتا وألَّف في اللغة الالمانية قاموسًا عبرانيًّا وكتابًا في صرف العبراني ونحوهِ وهكذا فتح الباب لاولاد بلادهِ ان يتعمقوا في معرفة هاتين اللغتين التي فيها كُتِبَت الكتب المقدسة وكان شهيرًا غيورًا على التعليم مثل غيرتهِ وشهرتهِ في العلم ولم يهمل واسطة لكي يدخل العلوم بين اهل المانيا وافاد الاصلاح كثيرًا بسطوتهِ على الشبان وطلبة العلم ومن جملة الذين تعلموا تحت يدهِ شاب اسمهُ فيلبس شوارتسارض ومعنى هذه الكنية الارض السوداء فحسب عادة تلك الايام ركّب لهُ اسمًا يونانيًّا على هذا المعنى وسماهُ فيلبس ملانكثون الذي صار صاحب لوثيروس ومعينهُ ورجل يمينهِ ورفيقهُ وبينما كان ربوخلن في دروسهِ هاجت عليهِ عداوة اهل المدارس العتيقة فاضطر الى محاجة شديدة مع هولاء وكانت من جملة سوابق الاصلاح وهذه كيفية الامر

كان في مدينة كولون حاخام يهودي قد تعمد وهو من اصحاب رئيس ديوان التفتيش هوخستراتن . واتفق مع الدومينكانيين والتمس من الامبراطور مكسمليانوس امرًا الى اليهود بان يحضروا كل كتبهم العبرانية عدا التوراة الى محل الحكومة البلدية في كل بلدة لكي تحرق واسندوا هذا الالتماس على ان في تلك الكتب تجاديف على المسيح واصدر الامبراطور امرًا حسب مرغوبهم . ثم استفتى الامبراطور ربوخلن بخصوص هذه الكتب قبل احراقها فعيَّن منها الكتب المؤلفة ضد الديانة المسيحية ولم يقاوم اعدامها والتمس ان تبقى البقية وقال ان السبيل لجلب الاسرائيليين الى الايمان هو تعيين معلمين في كل مدرسة

يعلمون اهل اللاهوت العهد القديم في العبراني حتى يستطيعوا ان يحاجوا علماء اليهود. فاذعن الامبراطور الى رايهِ فرُدَّت الكتب الى اصحابها. فلما راى الحاخام والدومينكاني فريستهما قد انفلتت من ايديهما اشتعلا غيظًا واختارا عبارات من كتب ريوخلن وحرفوا معانيها وحكموا على المؤلف بالهرطقة وبالميل الى مذهب اليهود وتهددوهُ بسجن ديوان التفتيش وفي اول الامر خاف ريوخلن منهما ولما طلبا منهُ شروطًا مهينة اشهر سنة ١٥١٣ حجة على ثالبيهِ في كولون فيها بيَّن صفاتهما حق البيان فحلف الدومينكانيون انهم ينتقمون منهُ واقام هوخستراتن المذكور مجلسًا في مدينة منتس وحكم على ريوخلن بالهرطقة وحرق كتبهُ ولما راى ذلك اهل العلم شعروا بان ما فُعل ضد ريوخلن فُعِل ضدهم جميعًا واحتشدوا لهُ والعامة كذلك حتى لم يستطع الدومينكاني ان يجري مقاصدهُ ورفع ريوخلن دعواهُ الى البابا لاون العاشر الذي لم يكن يميل الى الرهبان الجهلاء المترفضين فاحال الدعوى الى اسقف مدينة اسبيرس فحكم ببراءة ريوخلن والزم الرهبان بدفع اكاليف الدعوى ولما كان الدومينكانيون من اشد اصحاب الباباوية ومن اقوى دعائمها رفعوا هم ايضًا الدعوى الى رومية واذ لم يتجاسر البابا المذكور ان يغيظهم اصدر امرًا بترك الدعوى بدون ان يحكم فيها. فبواسطة اذاعة المعارف صار انتباه بين العامة ورفعوا صوتًا لم يتجاسر اهل الرفض ان يقاوموهُ خوفًا على انفسهم وبعد هذه النصرة على الدومينكانيين بمدة كاتب لوثيروس ريوخلن قائلاً. ان الرب قد فعل بك لكي يضيء نور الكتب المقدسة في جرمانيا حيث فقد وجودها كل هذه الادوار الكثيرة

الفصل الثامن

ايراسموس

ظهر في اول القرن السادس عشر رجلٌ من روتردام اسمهُ ايراسموس

ألف كتبًا كثيرة حاسبًا ان اعظم اعمال حياتهِ انما هو مقاومة تعاليم المدارس والاديرة. ولم يكن ريوخلن قد بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة عند ما وُلد هذا الشهير فريد عصرهِ. كان في البلاد الواطية رجل ذو نشاط وحذاقة اسمهُ جيرارد من اهالي جودا احبَّ ابنة طبيب ولم تكن سيرتهُ حينئذٍ حسب مبادي الديانة المسيحية او غلبتها اهواؤهُ وكان ابوهُ واخوتهُ التسعة يحثونهُ على اعتناق العيشة الرهبنية فهرب من وطنهِ تاركًا عشيقتهُ مرغريتا قريبةً ان تلد فولدت ابنًا ولم يُخبَر جيرارد بهِ غير انهُ بعد ذلك ورد اليهِ خبر من والديهِ ان تلك التي احبها قد ماتت فاغتمَّ غمًّا زائدًا ومضى فدخل في زمرة الاكليروس وكرَّس نفسهُ بالتمام لخدمة الله. ثم رجع الى هولاندا وكانت مرغريتا لم تزل حية فلم تشا ان تتزوج باخر واما هو فبقي امينًا على نذورهِ الكهنوتية فاتجهت محبتهما كليهما الى ولدهما وبذلت امهُ لاجلهِ اعظم عناية. واما ابوهُ فعند رجوعهِ ارسلهُ الى المدرسة مع انهُ لم يبلغ من العمر سوى اربع سنين. ولم يكن قد بلغ الثالث عشرة عند ما اعتنقهُ يومًا معلمهُ سنشيموس من داونتر بفرح قائلاً ان هذا الولد سيرتقي الى اسمى درجة من العلوم

وبالقرب من ذلك الوقت ماتت امهُ وبعد ذلك بقليل مات ابوهُ فاصبح ابراسموس وحدهُ وكره الرهبنة التي حثهُ اوصياؤهُ على اعتناقها كرهًا شديدًا بل يجوز القول انهُ كان ضدها منذ ولادتهِ فارتضى اخيرًا ان يدخل ديرًا للرهبان القانونيين لكنهُ شعر حالاً بضيقٍ من جرَّاء ثقل نذورهِ ثم حصل على شيء من الحرية في ديوان رئيس اساقفة كمبراي ثم بعد قليل في مدرسة باريس حيث اتَّبع دروسهُ مع الفقر الكلي وباجتهاد لا مزيد عليهِ. وكان ما يحصلهُ من المال يصرفهُ حالاً اولاً بشراء كتب يونانية ثم بشراء كُسًى لنفسهِ وكثيرًا ما طلب هذا الهولاندي المسكين صدقة اوصيائهِ ولكنهُ طلبها عبثًا. وبعد ذلك كانت لذتهُ العظمى في تدبير وسائط لاعالة التلاميذ من الشبان الفقراء. واذ كان مهتمًّا جدًّا في اتباع الحق والمعرفة ساعد رغمًا عن ارادتهِ في محاورات الطلبة وانف

من درس اللاهوت حذرًا من ان يجد فيهِ شيئًا من الغلط يحكم عليهِ بسببهِ بانهُ اراتيكي

في ذلك الوقت شعر ابراسموس بما لهُ من القوى العقلية وحصل بدرسهِ كتب القدماء نظامًا ولطافة في الانشاء رفعتهُ فوق ابرع تلاميذ باريس فابتدأ يعلّم وبهذه الواسطة حصل على اصدقاء مقتدرين واشهر بعض التصانيف فاكتسب الفخر والمديح . واذ عرف مذاق الجمهور وارتبط بربط المدارس والاديرة كرّس نفسهُ تمامًا للعلوم فظهرت في مؤلفاتهِ كافةً تلك النيرة الوقادة والذكاء الجلي الحيّ المنور الذي يطرب ويعلّم معا في وقت واحد . واجتهادهُ الذي مارسهُ في تلك المدة كان دابهُ في كل حياتهِ حتى انهُ في اسفارهِ التي كانت غالبًا على ظهور الخيل لم يكف بل الّف وهو على الطريق يقطع البلاد راكبًا وكان حالما يبلغ المنزل يدوّن افكارهُ على الورق . فحصل باكرًا صيتًا عظيمًا بين العلماء غيران الرهبان بغضوهُ بغضًا شديدًا وطلبوا الانتقام منهُ . وعند ما دعاهُ الامراء لم يعجز عن اعتذارات يتخلص بها من دعواتهم . لانهُ كان احب اليهِ ان يعيش مع الطبّاع فروبانيوس يصلّح المسودات من ان يعيش بالتنعم والنعم في مجالس كرلوس الخامس او هنري الثامن او فرنسيس الاول او من ان يلبس برنيطة الكردينالية التي عُرِضت عليهِ

ولما ارتقى هنري الثامن الى كرسي الملك سنة ١٥٠٩ ادعا الشريف مونت جوي ابراسموس وهو حينئذٍ في انكلترا ان ياتي ويعاني العلوم تحت لواء ملكهم وسنة ١٥١٠ خطب في كمبريدج . وكانت لهُ صداقة مع وارهام رئيس الاساقفة ويوحنا كولات والشريف توما مور دامت مدة حياتهم وسنة ١٥١٦ اتى الى باسل واستوطنها سنة ١٥٢١

واما تاثيرهُ في امر الاصلاح فقد بالغ في ذلك جماعة واخرون حطوا قدرهُ والحق انهُ لم يكن مصلحًا ولا كان قادرًا على ذلك لكنهُ اعدّ الطريق للاخرين فانهُ لم يقتصر على تنبيه بني عصرهِ الى محبة العلم وروح الفحص

والتفتيش اللذين قادا الاخرين الى ما هو ابعد مما ذهب هو نفسهُ اليهِ بل كان وهو تحت حماية روساء معتبرين وامراء مقتدرين قادرًا ايضًا على فضح رذائل الكنيسة ومضاداتها وهجوها بكلام شديد جدًا

وهذا الشابُّ قاوم الرهبان والشرور المتغلبة مستعملاً في ذلك الطريق الدارج فانهُ لاحظ بحذاقة كل ما حدث وعلى شفتيهِ تبسم لطيف متضمن هجوًا ومع انهُ كان في تصرفهِ جبانًا مرتبكًا حتى يخال ان نفخة من الهواء تلقيهِ على الارض نثر في كل جهة تعانيفهُ الفصيحة الموجعة ضد لاهوتيي عصرهِ وانواع عباداتهم ثم ان طبيعتهُ وحوادث حياتهِ جعلت هذا الميل عادةً فيهِ تظهر من مؤلفاتهِ التي لا ننتظر فيها شيئًا من التهكم فكان يطعن كانهُ برؤُوس الابر اولئك اللاهوتيين الجهلة الذين اشهر الحرب ضدهم وهجا حماقة ذلك العصر وشرورهُ واهلهُ بتشخيصهِ الحماقة تحت اسم موريا ابنة الاله فلوطون ومعنى موريا الحماقة باليونانية وهي تخبر عن نفسها انها ولدت في الجزائر السعيدة وأُطعمت السِكر والوقاحة وانها ملكت مملكة مقتدرة تصفها وتصف بالتوالي جميع ممالك الدنيا التي لها وتحكي بنوع خصوصي عن الاكليروس الذين لا يعترفون بفضلها مع انها قد اثقلتهم من نعمها . وتقلب بتهكماتها وتعانيفها تعاريج المنطقيين التي تاه فيها اللاهوتيون وتلك الاقيسة الخارجة عن الاصول التي ادَّعوا بانهم يسندون بها الكنيسة وترفع الحجاب عن اختلافات الرهبان وجهلهم وعوائدهم النجسة واوهامهم الفارغة الشنيعة

تقول كل هولاء رعيتي الذين اعظم لذتهم في اشاعة الاكاذيب العجيبة او الاصغاء لها والذين يستعملونها على طريق مخصوص لكي يخدعوا بها الاخرين ويملأُوا اكياسهم هم جميعًا لي. ومن هذه الرتبة عينها اولئك الذين يتمتعون بالزعم الكاذب اللذيذ بانهُ ان اتفق لهم روْية قطعة خشب او صورة بوليفيموس او كريستوفوروس لا يموتون ذلك اليوم

ثم تقول موريا اواه ما هذه الحماقات التي اكاد انا نفسي اخجل منها . اما

نرى كل بلاد تدعي بقديس خاصّ بها ولكل مصيبة قديس ولكل قديس شمعة. فهذا يشفي من وجع الاسنان وذاك يعين النساء في الولادة وذاك يرجع ما قد سلبهُ اللص وذاك يقي المواشي وذاك يحفظ من الغرق وآخر يفيد من اوجه شتّى معًا وعلى الخصوص البتول ام الله التي يتكل عليها الناس اكثر مما يتكلون على ابنها . فاذا قام في وسط هذه الخزعبلات انسان حكيم وتكلم بهذه الحقائق الخشنة اي انكم لا تهلكون اشقياء اذا عشتم كمسيحيين وانكم تكفّرون عن خطاياكم اذا قرنتم صدقاتكم بالتوبة والدموع والسهر والصلوة والصوم وبتغيير كامل في سيرتكم وان هذا القديس يحفظكم اذا اقتديتم بسيرتهِ . نعم اقول لو نطق رجل حكيم في مسامعهم بهذه العبارات فاية سعادة يستلبهم اياها واي اضطراب واي ضيق يلقيهم فيهما. فان عقل الانسان هكذا مرتّب بحيث يؤَثر فيهِ الخداع اكثر مما يؤثر فيهِ الحق . واذا كان قديس مشكوك فيهِ اكثر من آخر كمار جرجس او مار خريستوفورس او القديسة برباره يُطلب اليهِ اكثر من القديس بطرس او القديس بولس بل اكثر من المسيح نفسهِ. ولم تقف موريا عند ذلك بل تطعن ايضًا في الاساقفة الذين يركضون وراء الذهب اكثر من ركضهم وراء النفوس والذين يظنون انهم قد عملوا كفاية ليسوع المسيح اذا جلسوا في كراسيهم براحة وفخر عظيم نظير آباء قديسين تجب عبادتهم وينطقون بالبركات والاناثيمات. وتتجاسر ايضًا فتطعن في مجلس رومية والبابا نفسهِ الذي يصرف وقتهُ في الملاهي تاركًا واجبات وظيفتهِ لمار بطرس اذ تقول هل يمكن ان يكون ثمَّ اعداء للكنيسة اكبر من هولاء الاحبار غير الطاهرين الذين بواسطة سكوتهم يسعون بان يُنسَى يسوع المسيح ويربطونهُ بتراتيبهم الآئلة الى الكسب وبواسطة تفاسيرهم المعوّجة يكذّبون تعليمهُ ويصلبونهُ ثانيةً بواسطة سيرتهم الردية

والمصوّر هولبين صوّر لكتاب ايراسموس هذا صورًا مضحكة على طريق الهجو والتهكم فيها ادخل البابا لابسًا اكليلهُ المثلث . وربما لم يوجد تاليف مثل

هذا ناسب بالتمام احتياجات عصرهِ ولا يمكننا ان نصف التاثير الذي حصل من ذلك الكتاب في كل العالم المسيحي . فانهُ قد طُبع سبعًا وعشرين مرة في مدة حيوة ايراسموس وتُرجم الى جميع لغات اوروبا فكان اعظم واسطة لتثبيت ميل العصر الى مضادة الكهنة

وايراسموس جمع بين التهكم والعلم والمعرفة بالعلوم . فان درس اليوناني واللاتيني كان قد فتح بابًا جديدًا للعقل الحديث الذي كان مبتدئًا بالانتباه من غفلتهِ في اوروبا . واعتنق ايراسموس مذهب الايطاليانيين وهو ان العلوم يجب ان تُدرَس في كتب القدماء وانهُ يجب على الناس ان يدرسوا الجغرافية في استرابون والطب في هبقراط والفلسفة في افلاطون والمثولوجيا في اوفيديوس والعلوم الطبيعية في افلينيوس وان تُترَك التصانيف المناقضة التي كانت جارية الى ذلك الوقت بل نقدم خطوة ايضًا وهي خطوة جبار ولا بد انها قادت الى كشف عالم جديد هو اعظم باعتبار الفوائد الحاصلة منهُ للجنس البشري من العالم الذي كشفهُ كولمبوس واضافهُ حديثًا الى العالم القديم . وكان مبداهُ ان الناس لا يجب ان يدرسوا اللاهوت بعد في سكوتوس واكويناس بل انما يجب ان يتعلموهُ في كتب آباء الكنيسة ولا سيما العهد الجديد مبينًا انهُ لا يجوز لهم ان يقتنعوا حتى ولا بالترجمة اللاتينية المشحونة بالغلطات . وخدم الحق خدمة لا تثمن بواسطة اشهارهِ نسخة صحيحة من العهد الجديد اليوناني الاصل الذي كان قليل الشهرة في الغرب كما لو لم يكن لها وجود وظهرت هذه النسخة في باسل سنة ١٥١٦ قبل الاصلاح بسنة واحدة . وهكذا عمل ايراسموس للعهد الجديد ما كان قد عملهُ ريوخلن للقديم . ومن ذلك الوقت فصاعدًا صار اللاهوتيون قادرين ان يقراوا كلمة الله باللغة الاصلية ويعرفوا نقاوة التعاليم المصلحة

وقال ايراسموس عند اشهارهِ العهد الجديد ان رغبتي هي ان ارجّع ذلك المجادل البارد في الكلام الملقب علم اللاهوت الى ينبوعهِ الاصلي . وانا اسال الله ان يجعل هذا العمل مثمرًا للديانة المسيحية بقدر ما كابدت فيهِ من التعب

والاجتهاد . وهذه الطلبة قد استجيبت فانهُ باطلاً ما صرخ الرهبان قائلين يحاول ان يصلح الروح القدس . فالعهد الجديد الذي اشهرهُ ابراسموس انبعث منهُ ضياء ساطع من النور . وتفسيرهُ الرسائل والانجيل مارمتى ومار يوحنا ونشرهُ كتب كبريانوس وايرونيموس وترجمتهُ اوريجانوس واثناسيوس وفم الذهب ومباديه للاهوت الحقيقي ومواعظهُ وشروحهُ مزامير مختلفة ساعدت جدًا على انشاء الشوق الى الله وعلم اللاهوت الخالص حتى ان نتائج اتعابهِ تجاوزت مقاصدهُ وريوخلن وابراسموس اعطيا الكتاب المقدس للعلماء . واما لوثيروس فاعطاهُ للشعب

ثم ان ابراسموس عمل امورًا غير هذه فانهُ باعادتهِ العهد الجديد اعاد ما علمهُ هذا الوحي . قال ان المقصد الاسمى في احياء العلوم الفلسفية هو الحصول على معرفة ديانة الكتاب المقدس النقية البسيطة . ويا لهُ من راي شريف . ويا ليت اصحاب فلسفتنا الحديثة يفهمون وظيفتهم كما فهمها هو . وقال ايضًا انا عازم بثبات ان اموت في درس الكتب المقدسة فان فيها كل فرحي وكل سلامي . وقال ايضًا ان جملة كل الفلسفة المسيحية هي ان نلقي كل آمالنا على الله وحدهُ الذي بنعمتهِ المجانية ليس باستحقاقنا يعطينا كل شيء بواسطة يسوع المسيح وان نعلم اننا بموتهِ قد افتدينا وان نموت عن الشهوات العالمية وان نسلك حسب تعليمهِ ومثالهِ ليس فقط بالامتناع عن ضرر الاخرين بل بعمل الخير للجميع ايضًا وان نحتمل تجاريبنا بالصبر على رجاء جزاء مستقبل واخيرًا ان لا ندّعي استحقاقًا لانفسنا بناء على فضائلنا بل نقدم الشكر لله لاجل كل قوّتنا واعمالنا

ثم ان ابراسموس رفع صوتهُ ضد تلك التراتيب الكنائسية الكثيرة المتعلقة بالملابس والصوم والاعياد والنذور والزواج والاعتراف التي كانت تضايق الشعب وتغني الاكليروس . قال قلما يفتكرون ان يفسروا الانجيل في الكنائس والجانب الاعظم من مواعظهم انما يرتبونهُ لاجل ارضاء رسل الغفرانات . ويلزم من ذلك حذف اطهر تعاليم المسيح او تحريفها لاجل منفعتهم . فلم يبقَ رجاء

للشفاء ما لم يغير المسيح نفسهُ قلوب الروساء والاحبار ويحركهم الى طلب التقوى الحقيقية

وكانت موءلفات ابراسموس تلحق احداها الاخرى بسرعة فاشتغل بلا انقطاع . وكانت تصانيفهُ تقرا حالما تاتي من تحت قلمهِ فتلك الحيوة وذلك النشاط وذلك العقل الغنيّ الرفيع الحاذق الشجاع الذي سُكب بسخاء في تلك المجاري الواسعة على معاصريهِ سبى وسحر الجمهور الغفير الذي ابتلع تصانيف فيلسوف روتردام بشهوة كلية فاصبح سريعاً اشهر اهل عصرهِ وكانت النياشين والجوائز تاتيهِ من كل جهة

واذا نظرنا الى الانقلاب العظيم الذي بعد ذلك بقليل جدد الكنيسة يلزمنا الامر الى الاقرار بان ابراسموس كان نظير قنطرة عبرت عليها عقول كثيرة فان كثيرين ممن كانوا يخافون الحقوق الانجيلية متى قُدِّمت بكل قوتها ونقاوتها سمحوا لانفسهم بالانقياد اليهِ الى ان صاروا اخيراً الحزب الاكثر غيرةً للاصلاح

غير ان نفس الظروف التي اهَّلتهُ لاعداد الاصلاح جعلتهُ غير موءهَّل لتكميلهِ . قال لوثيروس ان ابراسموس قادرٌ جدًّا على دحض الضلال الا انهُ لا يعرف كيف يعلّم الحق فان انجيل المسيح لم تكن منهُ النار المضرمة نشاطهُ الحافظتهُ اي المركز الذي تفرع منهُ جهادهُ . بلغ درجة سامية من العلم بهذا السبب فقط كان مسيحيًّا وبسبب عجبهِ المتجاوز الحد لم يوءثر كثيرًا في بني عصرهِ . وكان يقدّر بكل دقة العاقبة لشهرتهِ واسمهِ من كل ما عملهُ ولم يكن شيءٌ احب اليهِ من استماع الكلام عن نفسهِ وصيتهِ . وكتب بعُجب مثل عُجْب الولد لاحد اصدقائهِ المخلصين في المدة التي اشهر نفسهُ فيها ضد لوثيروس قائلاً ان البابا قد ارسل اليَّ رسالة مملوة من المحبة والمديح وقال كاتبها ان هذا شرف لم ينلهُ غيري فان البابا نفسهُ املى كل كلمة منها

ثم ان ابراسموس ولوثيروس باعتبار الاصلاح هما عبارتان عن امرين

عظيمين اي حزبين عظيمين موجودين في دورها بل في كل دور . فالحزب الواحد مؤلف من اناس ذوي تعقل بلا جسارة والاخر من اناس ذوي عزم وشجاعة وكان هذان الحزبان حينئذٍ متشخصين برئيسيهما المشهورين . فكان اصحاب التعقل يظنون ان درس العلم اللاهوتي ينتج منهُ بالتدريج اصلاح الكنيسة وذلك من دون اذًى. واما اصحاب العزم فظنوا ان انتشار افكار مستقيمة بين العلماء فقط لا ينهي الخرافات من بين الشعب . وان اصلاح هذا او ذاك يكون قليل التاثير ما دامت الكنيسة غير متجددة

وقال ابراسموس مرارًا ان سلامًا مضرًّا افضل من حرب عادلة في الغاية. وظن ان الاصلاح الذي يحرك الكنيسة ربما جعلها في خطر الانقلاب وكان امثالهُ كثيرون في ذلك الوقت ولا يزال بعضهم الى ايامنا هذه . وخاف لما راى رغبة الناس تنهض بنشاط والشر في كل مكان ممزوجًا بخيرٍ قليل والترانيب الموجودة تخرب من دون امكان وضع غيرها مكانها وسفينة الكنيسة ترشح من كل جانب واخشى لئلاً يبتلعها العمق اخيرًا . وقال ايضًا ان الذين يحاولون ادخال البحر الى بقعة حيث لم يكن قبل انما يحاولون عملاً يخيب آمالهم لان هذا العنصر متى دخل مرة لا يذهب الى حيث يريدون بل يهجم الى حيث شاء ويحدث خرابًا عظيمًا . وقال ايضًا يجب على كل حال اجتناب القلاقل في كل مكان والافضل ان نحمل الولاة الاشرار من ان نزيد الشر بواسطة التغيير

اما الشجعان من معاصريهِ فكانوا مستعدين بالجواب وقالوا ان التاريخ قد برهن بالكفاءة ان ما يحقق الغلبة انما هو ايضاح الحق ومقاومة الكذب بثبات . ولو توانوا لكانت حيل الحكومة وخداع الديوان البابادي قد اخمدت الحق حالما ظهر. أما استُعملت وسائط السلام قرونًا متتابعة وأما التأم مجمع بعد آخر لاجل اصلاح الكنيسة ولم يُفدِ ذلك شيئًا. فلماذا نحاول الآن مراجعة عمل قد قصر مرارًا كثيرة عن النجاح

ولا شك ان اصلاحًا كاملاً لا يتم من دون اذى فاي شيء صالح او عظيم ظهر بين الناس بدون ان يسبب هياجًا فالخوف من امتزاج الشر بالخير ولو كان صوابيًّا لا يوقف اجراء اشرف الاعمال واطهرها فلا يليق ان نخاف من الشر الذي ربما يحدث من هياجٍ عظيم بل يجب ان نتشجع لمقاومتهِ والغلبة عليهِ

وعدا ذلك بين الحركة الصادرة من انفعالات البشرية وتلك التي تصدر من روح الله فرق جوهري فان الواحدة تزعزع الجماعة والاخرى تقويها. وانهُ لغلطٌ عظيم ان نظن كما ظن ابراسموس ان منع المشاجرات المؤذية كان ممكنًا في حالة العالم المسيحي الكائنة حينئذٍ اذ امتزجت عناصر متضادة اي الحق والكذب والحيوة والموت. لان ذلك مثل محاولة سد فوهة بركان يزوف عند ما تكون العناصر المغتاظة في حرب داخل صدرهِ. حدث في القرون المتوسطة اضطراب اكثر من مرة واحدة عند ما كانت الاشارات اليها اقل ما كانت في ازمنة الاصلاح ولم يكن الناس حينئذٍ ملتزمين بالمدافعة والتسكيت بل بالقيادة والارشاد

ومن يقدر ان يتصور الخراب المخيف الذي كان قد حدث لولا الاصلاح لان الهيئة الاجتماعية التي كانت فريسة الف عنصر من الخراب وخالية من كل صفات التجديد والصيانة لولاهُ لاضطربت اضطرابًا هائلاً. وكان ذلك عند ابراسموس اصلاحًا حقيقيًّا مثل الاصلاح الذي لا يزال يحلم بهِ كثيرون من الناس الجبناء ولا ريب ان ذلك كان خرب الجماعة المسيحية. لان الشعب المحتاج الى تلك المعرفة والتقوى التي اوصلها الاصلاح الى ادنى الرتب من الناس اذا تُرِك الى انفعالاتهِ الطامحة والى روح العصاوة غير الهادي يكون كوحشٍ بري شرس لا سبيل الى كبحهِ ولا بالقيود

ثم ان الاصلاح لم يكن سوى نفوذ روح الله بين الناس اي مبدا نظام ارسلهُ الله الى الارض. نعم انهُ حرك عناصر الهياج الكامنة في قلب الانسان الآن الله ضبطها فان التعاليم الانجيلية اهلكت ما حُكِم بهلاكهِ ولكنها قوّت في كل

مكان ما وجبت صيانتهُ . وكان مفعول الاصلاح في الهيئة الاجتماعية بناء ما قد هُدِم . ولاحد يقول انهُ كان آلة هلاك الأَصحاب التعصب . وقيل بصواب في حق عملِهِ ان السكة تشق الارض لكنها تزيدها خصبًا

والمبدا العظيم الذي تمسك ابراسموس بهِ هوائت بالنور فيضمحل الظلام من نفسهِ ونعم المبدا . ولوثيروس سلك بموجبهِ . ولكن عند ما يجتهد اعداء النور في اطفائهِ او في اختطاف المصباح من يد حاملهِ لا يجوز ان نسمح لهُ بذلك حفظًا للسلام بل يجب ان نقاوم الخبيث

وكان ابراسموس خاليًا من الشجاعة مع ان هذه الصفة ضرورية للاصلاح كما هي ضرورية لافتتاح مدينة . وكان جبانًا جدًّا فكان منذ طفوليتهِ يرتعد من ذكر اسم الموت ويعتني بصحتهِ اعتناء غريبًا ويستعمل كل الوسائط للانتقال من مكان دخلهُ مرض معدٍ وكانت رغبتهُ في التمتع بملاذ العيشة اعظم من عجبهِ وكان ذلك سبب رفضهِ مرارًا فرصة للتقدم

ولهذا لم يحق لهُ ان يدَّعي بصفات مصلح . قال اذا كانت آداب بلاط رومية الفاسدة تستدعي في الحال علاجًا قويًّا فليس ذلك شغلي ولا شغل الذين هم نظيري . لم تكن لهُ قوة الايمان الشديد الذي حرَّك لوثيروس . كان لوثيروس دائمًا مستعدًّا لبذل حياتهِ لاجل الحق وقال ابراسموس جهارًا ليطلب الاخرون الاستشهاد واما انا فلا اظن بنفسي اني مستحق هذا الشرف لانني اخاف اذا حدثت فتنة اني اشبه بطرس في سقوطهِ

ومع انهُ اعدَّ الطريق للاصلاح بواسطة مخاطباتهِ وكتاباتهِ اكثر ممن سواهُ ارتعد عند ما راى قرب ذلك العاصف الذي هو نفسهُ هيجهُ . واراد ان يخسر كل شيء اذا لزم لاجل ترجيع هدو الازمنة السالفة الآن الوقت كان قد فات لان السد انتقض ولم يعد في طاقة الانسان ان يوقف الطوفان العتيد ان ينظف العالم ويخصبهُ . وكان ابراسموس قويًّا ما دام آلة بيد الله وبعد ذلك لم يُحسَب شيئًا . وفي اخر الامر لم يعلم اي حزب يتبع اذ لم يعجبهُ حزبٌ . وخاف

الجميع حتى قال ان في السكوت وفي الصمت لخطراً . ولا بدَّ في كل حركة دينية عظيمة من مثل هولاء المترددين المعتبرين من جملة وجوه لكنهم مضرون للحق ولعدم ارتضائهم ان يغيظوا احداً يغيظون الجميع

فماذا كان قد اصاب الحق لو لم يقم الله انصاراً اشجع من ابراسموس . فاصغ الى النصيحة التي نصحَ بها وبغليوسَ زويكام الذي صار فيما بعد رئيس محكمة بروسلس السامية نظراً الى كيفية تصرفهِ نحو المشاقين (لانهُ قد لقب المصلحين بهذا اللقب) قال ان صداقتي لك تدعوني الى ان ارغب منك ان تعتزل عن الحزبين ولا تعطيهم فرصة للقول ان زويكام صار واحداً منا . فاذا اعجبك تعليمهم ينبغي ان يكون بالاقل مرائيا . واجتنب على الخصوص المحاورة معهم . ويجب على الحاذق ان يحتال على هولاء الناس كما فعل الرجل المائت مع الشيطان الذي سالهُ بماذا تؤمن فان الرجل المسكين خوفاً من ان يوخذ بارتقةٍ اذا اقرَّ بايمانهِ اجاب اني اومن بما تومن بهِ الكنيسة فسالهُ وبماذا تومن الكنيسة اجاب بما اومن بهِ انا ثم اعاد عليهِ السوال فاجاب كالاول . وهكذا جاورجيوس دوك سكسونيا العدوّ الالدّ للوثيروس سال ابراسموس سوالاً فاجابهُ جواباً ملتبساً فقال لهُ يا عزيزي ابراسموس اغسل لي الفرو من غير ان تبلَّهُ . وسكوندوس كوريو في كتاب من كتبهِ وصف سمائين السماء الباباوي والسماء المسيحي وقال انهُ لم يجد ابراسموس في احداهما بل رآهُ يدور بينهما على افلاك لانهاية لها

تلك صفات ابراسموس . افتقر الى ذلك العتق الداخلي الذي وحدهُ يمنح الحرية الكاملة . وكم كان اختلف عمَّا هو لو ترك محبة الذات وضحى كل شيء لاجل الحق لكنهُ بعد ما اجتهد في الاصلاح برضى روساء الكنيسة وبعد ما تركهُ لاجل رومية عند ما راى هذين الامرين لا يتفقان خسر مقامهُ عند جميع الاحزاب لانهُ من الجهة الواحدة لم يقدر اقرارهُ ان يخمد غضب متحزبي الباباوية القساة لانهم شعروا بجميع الشرور التي عملها معهم فلم يريدوا ان يغفروا لهُ .

ورشقة الرهبان العنفاء بالمثالب واللعنات عن المنابر ودعوه لوشيانوس الثاني وثعلبًا قد افسد كرم الرب . وعلّق معلمٌ من قسطنسيا صورة ابراسموس في مكتبتهِ لكي يقدر في كل دقيقة ان يبصق في وجههِ . ومن الجهة الاخرى ابراسموس اذ ترك الانجيل دستورًا خسر محبة اشرف اهالي عصرهِ واعتبارهم وربما الزمهُ الامر الى رفض تلك التعزيات السموية التي يسكبها الله في قلوب جنود المسيح الصالحين وذلك ظاهر من الدموع المرة والاسهار المؤلمة والقلق وكره الاطعمة والانف من قراءة الاشعار التي كانت قبلاً تعزيتهُ الوحيدة ومن الهيئة العبوسة والوجه المصفر والاعين المنكسرة المطرقة الى الارض وبغضة الوجود الذي دعاهُ حيوة قاسية والتعطش الى الموت التي وصفها لاصدقائهِ . فيا لهُ من شقيٍّ

الفصل التاسع

الاشراف

ان نفس علامات التجديد التي رايناها بين الامراء والاساقفة والعلماء كانت ايضًا بين اهل العالم اي بين الاشراف والفرسان والجنود فان اشراف جرمانيا ساعدوا كثيرًا في امر الاصلاح واتحد كثيرون من افاضل ابناء جرمانيا اتحادًا قويًا مع اصحاب العلوم . واذ كانوا مضطرمين غيرةً حارة ومتجاوزين احيانًا كثيرة حدود الاعتدال اجتهدوا في انقاذ بلادهم من النير الروماني

وساعدت اسباب كثيرة في اقامة اصحاب للاصلاح بين رتب الاشراف . فان بعض الذين ترددوا الى المدارس اضطرمت في قلوبهم تلك النار التي اضطرم العلماء بها . واخرون ممن تربى على مبادي كريمة مالت قلوبهم بسبب

هذا الاستعداد الى قبول تعاليم الانجيل . وكثيرون وجدوا في الاصلاح روح شجاعة خلب البابهم وسلب عقولهم والبعض الذين اغتاظوا من الاكليروس ساعدوا بكل قوتهم لكي ينزعوا منهم سلطتهم القديمة واستقلالهم من الحكم المدني وليخضعوهم لامرائهم . فكان هولاء ممتلئين من الحمية والغيرة الوقَّادة وحسبوا الاصلاح مقدمةً لتجديد عظيم في الحكومة وظهرت المملكة لهم خارجة من يد تلك الدولة برونق جديد فحبّوا حالة فضلى مقبلة بمجدٍ قريبة الدخول في العالم بواسطة سيوف الفرسان وبكلمة الله

ان اولريخ ڤان هوتن الملقب ديموستنس الجرمانيين بسبب خطبهِ المملوة طعنًا في البابا كان بمنزلة حلقة موصلة الفرسان بآل العلم ولم يشتهر بكتاباتهِ اكثر مما اشتهر بسيفهِ . واذ تسلسل من عائلة قديمة فرانكونية أُرسِل في السنة الحادية عشرة من عمرهِ الى دير فولدا كان عتيدًا ان يترهب فيهِ لكنهُ لم يمِل الى هذه الطريقة فهرب من الدير في سن الست عشرة وذهب الى مدرسة كولون حيث تفرغ لدرس اللغات والشعر ثم بعد ذلك بمدة جال من مكان الى آخر . وفي حصار بادوا سنة ١٥١٣ حضر على صفة جنديٍ واتى رومية ورأى كل فسادها وشكوكها وشحذ هناك السهام التي رشقها بها بعد ذلك

وعند ما رجع الى جرمانيا ألَّف رسالة ضد رومية سماها الثالوث الروماني مبيّنًا فيها تشاويش البلاط البابوي واشار الى وجوب ملاشاة ظلم رومية وتعديها قهرًا . ومما قالهُ في تلك الرسالة ان ثلاثة اشياء تُجلَب من رومية وهي ضمير ردي ومَعِدة مشوشة وكيس فارغ وثلاثة اشياء لا تعتقدُ بها رومية وهي خلود النفس وقيامة الاموات وجهنم . وثلاثة اشياء تتجر بها رومية وهي نعمة المسيح والوظائف الكنائسية والنساء . واشهار تلك الرسالة الجاَهُ الى ترك ديوان رئيس اساقفة منتز حيث ألَّفها

اما قضية ريوخان مع الدومينيكيين فكانت الراية التي جمعت معًا كل اهل العلم والولاة والاشراف الذين كانوا ضد الرهبان . واما قهر اصحاب ديوان

التفتيش الذين قيل انهم لم ينجوا من حكم قاطع مطلق عليهم الأ بواسطة الرشوة والمكر فشجع اضدادهم جراءةً . وارباب الشوري في المملكة وعظماء اشهر المدن نظير بكهيار من نورمبرج وبيوتنجر من اوجسبورج وستوس من كولون ومشاهير الواعظين نظير كابيتو واكولباذيوس والاطباء والمورخون وجميع الادباء والخطباء والشعراء الذين حمل اولريخ رايتهم وقادهم فقام منهم عسكر الريوخلينيين الذين أُشهرت قائمةٌ باسماء انفارهِ . والثمرة الاكثر اعتبارًا الناتجة من هذا الجمهور العلمي كانت الاشعار المشهورة المعنونة رسائل رجال غير معروفين وكان اكثرها تاليف هوتن وكروتوس روبيانوس واحد من اصحابهِ في المدرسة ولا يعلم ايهما ادرك هذا الامر اولاً والظاهر ان عدة من الفلاسفة المجتمعين في قلعة ابرنبرج ساعدوا فيهِ . كان مفعولها مذهلاً يوهم فيها ان الرهبان اخصام ريوخلن المنسوبة اليهم تلك الرسائل يجثون في مسائل ذلك العصر والمواد اللاهوتية حسب طريقتهم المالوفة وبلاتينية بربرية فيسالون مكاتبهم اورتوين غراتيوس وهو استاذ في مدرسة كولون سوالات سخيفة جدًا وعديمة الفائدة تمامًا يتقلد بذلك مسائل الرهبان فيظهر بذلك سخافة عقولهم وجهلهم وسداجتهم وخرافاتهم الكثيفة ورحهم الدني الخشن وشراهتهم المفرطة الدنية التي بها جعلوا بطونهم آلهتهم ويظهرون ايضًا كبرياءهم وغيرتهم الوحشية وتعصبهم الجنسي ومحبتهم للاضطهاد وكثيرًا من اعمالهم المضحكة وافراطهم وقبائحهم مع حوادث مختلفة مشككة في سيرة هوخستراتن وبفافركرن واخرين من روساء حزبهم ونَفَس تلك الرسائل تارةً نَفَس مُراءٍ واخرى نَفَس ولد جعل لها تاثيرًا مضحكًا للغاية ومع ذلك تراها جميعها في مناسبة تامةً حتى ان رهبان دومينيكوس ورهبان فرنسيس الانكليز قبلوا هذا التاليف بكل فرح ظانين انهُ بالحقيقة مرتّب حسب مبادي رهبنتهم ولاجل المحاماة عنها حتى ان رئيسًا في برابنت ببساطتهِ العظيمة اشترى نسخًا كثيرة وارسلها هدايا لمشاهير الدومينيكيين

واما الرهبان فاذ ازدادوا حمية ضد ذلك وحنقًا طلبوا من البابا كتابة

شديدة ضد جميع الذين يتجاسرون على قراءة تلك الرسائل الآن لاون العاشر لم يجب طلبهم فالتزموا ان يحتملوا هزء الجمهور ويخمدوا نيران غضبهم ولم يوجد قط تاليف ضرَب المحامين عن الباباوية ضربات اشدّ من تلك الآن الانجيل لم يكن ليغلب بالهزل والهجو . ولو بقي الناس سالكين في ذلك الطريق ولو التجأ الاصلاح الى روح العالم الهازل عوضاً عن مقاومة الضلال بيد الله لما نجح فان لوثيروس شجب بكل جراءة تلك الاهاجي . واذ ارسل اليهِ واحد من اصدقائهِ رسالة عنوانها فحوى طلبة باسكين اجابهُ قائلاً الظاهر ان الخزعبلة التي ارسلتها اليّ الّفها ذو عقل سقيم وقد اطلعت عليها بعضاً من اصدقائي وجميعهم اتفقوا معي في ذلك . وفي كلامهِ عن هذا المؤلف نفسهِ يكتب لاخر يبين لي ان كاتب هذا الابتهال هو مولف رسائل الناس غير المعروفين فاني امدح غايتهُ لا عملهُ لانهُ لا يقدر ان يجتنب الشتائم والافراط . هذا حكمٌ صارمٌ الآ انهُ يرينا ميل لوثيروس وكم فاق معاصريهِ غير انهُ لم يتبع دائماً هذا المبدا الحكيم

واذ التزم اولريخ ان يترك حماية رئيس اساقفة منتز طلب حماية كرلوس الخامس الذي كان حينئذٍ في اختلاف مع البابا . ولذلك توجه الى بروسلس حيث عقد الامبراطور ديوانهُ . ولكنهُ فضلاً عن انهُ لم يحصل على شيء من مطلوبهِ بلغهُ ان البابا قد طلب من كرلوس ان يرسلهُ موثق اليدين والرجلين الى رومية وكان المفتش هوخستراتن مضطهد ريوخان واحداً من الذين امرهم لاون العاشر باحضارهِ لاجل المحاكمة فترك اولريخ برابنت مغتاظاً من مثل هذا الطلب من الامبراطور وحالما خرج من بروسلس صادف هوخستراتن في طريقهِ فخاف المفتش جداً لما رآهُ وركع على ركبتيهِ مستودعاً نفسهُ بيد الله والقديسين فقال الفارس اني لا أُنجّس سيفي بدمك . ثم ضربهُ بعض الضربات بقفا سيفهِ واطلق سبيلهُ

وبعد هذه الامور التجأ اولريخ الى قلعة ابرنبرج حيث فتح فرنسيس من سكنجين ملجأً لجميع المضطهدين من قبل البابا وبين المترفضين وبغيرتهِ الوقادة

انشأ في ذلك المكان تلك الرسائل المعتبرة التي وجهها الى كل من كرلوس الخامس وفردريك ملك سكسونيا والبرت رئيس اساقفة منتز والامراء والاشراف وتلك الرسائل جعلته في اعلى طبقات التاليف وفي ذلك المكان ايضًا ألَّف جميع تلك التصانيف التي غايتهُ ان يقراها الشعب ويفهمها والتي حركت ولايات جرمانيا كافةً الى كراهة رومية ومحبة الحرية واذ تفرغ بكل حمية للاصلاح اراد ان يقود الاشراف الى حمل السلاح لاجل المحاماة عن الانجيل وان يهجموا بالسيف على رومية التي قصد لوثيروس ان يحربها بكلام الله فقط وبقوة الحق التي لا تُقهر

الّا اننا نتعجب من آراء هوتن الحليمة اللطيفة وهو في وسط تلك الحمية الحربية فانهُ عند وفاة ابويهِ ترك لاخوتهِ كل مال العائلة مع انهُ كان البكر وترجاهم ان لا يكتبوا اليهِ ولا يرسلوا لهُ شيئًا من الدراهم لئلّا يصيبهم اذى من شر اعدائهِ ويقعوا معهُ في الخطر اذ ليس لهم علاقة معهُ في ما عملهُ فان لم يكن اولريخ من انصار الحق كان من اكبر اعداء الضلال وكذا يقال عن فرنسيس سكنجين صديقهِ وحاميهِ الفاضل . فان هذا الفارس الكريم الذي حكم كثيرون من معاصريهِ بانهُ استحق الاكليل الملكي اشتهر في الرتبة الاولى بين المحاربين الذين كانوا اضدادًا لرومية ومع انهُ سرَّ جدًّا باستماع جلبة القتال كان مملوًّا من المحبة الحارة للعلم وكثير الاعتبار لاهلهِ . واذ كان قائدًا للجيش الذي زحف على ورتمبرج اوعز الى جنودهِ انهُ اذا أُخِذت ستوتجرد عنوةً تجب المحافظة على بيت ذلك العظيم يوحنا ربوخلن ومالهِ وبعد ذلك دعاهُ سكنجين الى معسكرهِ واعتنقهُ ووعدهُ بالنجدة في خصامهِ مع رهبان كولون . كانت صناعة الحرب منذ مدة طويلة افتخرت على العلم . واما العصر الذي نحن آخذون في تاريخهِ فيرينا منظرًا جديدًا . فنرى تحت دروع اناس مثل اولريخ هوتن وسكنجن تلك الحركة الادابية التي ابتدأ الناس يشعرون بها في كل صقع فان الاثمار الاولى التي قدمها الاصلاح للعالم هي الابطال الذين كانوا اصحاب الفنون السليمة

ولما رجع هوتن من بروسلس والتجأ الى قلعة سكنجين دعا الفارس المذكور الى درس التعاليم الانجيلية وفسر له الاركان التي تُبنَى عليها فسالهُ الفارس متعجبًا هل يتجاسر احدٌ على محاولة هدم مثل هذا البناء ومن يقدر على ذلك

ثم ان كثيرين ممن اشتهروا بعد ذلك بين المصلحين وجدوا ملجأً في قلعتهِ منهم مرتين بوسر واكويلا وشوبيل وكولمباذيوس حتى ان هوتن بالصواب دعا ابرنبرج مراح الصديقين وكان من واجبات اكولمباذيوس الوعظ كل يوم في القلعة . واما الابطال المجتمعون هناك فضجروا اخيرًا من استماع هذا القدر من الكلام عن فضائل الديانة المسيحية اللطيفة فظهرت لهم المواعظ طويلة جدًّا مع ان اكولمباذيوس اجتهد كثيرًا في تقصيرها. نعم كانوا يذهبون كل يوم الى الكنيسة الآن ذلك كان في الاكثر لاجل سماع البركة وتلاوة صلوة قصيرة حتى ان اكولمباذيوس صرخ قائلاً ويحكم ان كلمة الله تُزرَع هنا على ارض محجرة

وبعد ذلك بقليل لما اراد سكنجين ان يحامي عن الحق بطريقتهِ اشهر حربًا ضد رئيس اساقفة تريف لكي يفتح بابًا للانجيل كما قال . واجتهد لوثيروس عبثًا في ردعهِ عن ذلك فهجم على تريف بخمسة الاف فارس والف رجل. واما رئيس الاساقفة الشجاع فالزمهُ بمساعدة ملك البالاتين ووالي هسى الزمهُ بالرجوع عنها . وفي الربيع التالي هجم عليهِ الامراء المتحدون في قلعتهِ في لندستين وبعد وثبات دموية التزم سكنجين بالتسليم بعد ان جُرِح جرحًا مميتًا. فدخل الامراء الثلاثة الى القلعة وبعد ان فتشوا فيها وجدوا الفارس البطل في مخدع مضطجعًا على فراش الموت فبسط يدهُ الى ملك البالاتين من دون ان يظهر التفاتًا الى الامراء الذين معهُ . اما هم فازعجوهُ بالاسئلة والشتائم . فقال لهم دعوني ارتاح لانهُ يجب عليَّ الآن ان استعد الى مجاوبة مولى اعظم منكم . وعند ما سمع لوثيروس بموتهِ صرخ قائلاً ان الرب عادل ويستحق الحمد جدًّا فانهُ لا يريد ان انجيلهُ يمتد بالسيف

فهذه النهاية المحزنة للبطل الذي لو صار ملكًا او امبراطورًا لربما رفع جرمانيا الى درجة سامية من المجد ولكنهُ اذ انحصر في دائرة ضيقة اضاع القوى العظيمة التي كان مزينًا بها الآن الحق الالهي الآتي من السماء لم يكن عتيدًا ان يحل في صدور هولاء الحربيين ولم يكن يغلب بواسطة اسلحتهم. وان الله بواسطة ملاشاته مقاصد سكنجين غير العاقلة ثبت ايضًا شهادة مار بولس القائل اسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون (٢ كو ١٠: ٤)

وكان فارس اخر اسمهُ هرموث من كرونبرج صديق هوتن وسكنجين اكثر حكمةً واعمق معرفةً بالحق فانهُ كاتب برزانة عظيمة لاون العاشر طالبًا منهُ ان يرد قوَّتهُ الزمنية الى صاحبها الاصلي اي الامبراطور واذ خاطب رعاياهُ كاب لهم اجتهد ان يوضح لهم تعاليم الانجيل وحثهم على الايمان والطاعة والاتكال على يسوع المسيح الذي هو رب الكل وارجع للامبراطور علوفتهُ وهي ٢٠٠ دوكات لانهُ لم يرد ان يخدم من ادار اذنيهِ لاعداء الحق . وعبارة من عباراتهِ ترفعهُ كثيرًا على هوتن وسكنجين وهي ان معلمنا السموي الروح القدس يقدر متى شاء ان يعلّم في ساعة واحدة من الايمان الذي بالمسيح يسوع اكثر ما يمكن تعلمهُ في مدرسة باريس مدة عشر سنوات

ولم يكن اصحاب الاصلاح بين العظماء والاشراف فقط بل امتد الامر الى الشعب كما يظهر من كثرة القصائد والحكايات الشائعة يومئذٍ فيها تهكم على الاكليروس المحبين بطونهم والمال الظلمة القساة القلوب وعلى الخوارنة واولادهم لان الخوارنة كانوا ممنوعين عن الزواج ولكنهم ربوا اولادًا كثيرين وقام من عامة الناس شبان ارتقوا الى اعلى درجة في الكنيسة واخرون في الرتب الدون اعانوا كثيرًا على تقدم الاصلاح ونصرتهِ

ومن هولاء حنس سخس ابن خياط في نورمبرج وُلد في اليوم الخامس من تشرين الثاني سنة ١٤٩٤ وسُمّي حنس اي يوحنا باسم ابيهِ واذ كان آخذًا في العلوم عرض لهُ مرض عضال اضطرهُ الى ترك دروسهِ والدخول في صناعة

اسكاف فاستفاد بالحرية التي نالها ضميرهُ بواسطة تلك الصناعة الدنية الارتقاء الى ذلك العالم الاعلى الذي تاقت اليهِ نفسهُ

والتسابيح التي لم تلبث ان تُسمَع في حصون الاشراف وجدت ملجأً بين سكان مدن جرمانيا البهجة فاقيم مدرسة ترتيل في كنيسة نورمبرج وهذه التراتيل التي اشترك حنس فيها فتحت قلبهُ لحركات دينية وكانت واسطة لتنبيه محبة الشعر والموسيقى فيهِ الآن عقلهُ لم يقدر ان يبقى محصورًا داخل جدران حانوتهِ بل احب ان يرى بعينيهِ ذلك العالم الذي قرأ عنهُ كثيرًا في الكتب واخبرهُ عنهُ اصحابهُ اخبارًا كثيرة وشحنتهُ مخيلتهُ بالعجائب وسنة ١٥١١ ذهب متوجهًا نحو الجنوب ولم ياخذ معهُ سوى صرة صغيرة من اللوازم ولم يمضِ سوى مدة قصيرة حتى صادف رفاقًا من التلامذة اصحاب الملاهي يطوفون من بلدة الى اخرى وكابد منهم تجارب كثيرة خطرة فشعر بقتال قوي في ضميرهِ . فكانت الشهوات من جهة وعواطفهُ المقدسة من جهة في حرب متواصلة واذ خاف من العاقبة فرَّ هاربًا واختبأَ في قرية والس الصغيرة في اوستريا سنة ١٥١٢ حيث عاش بالاختلاء متفرغًا لاتقان الصنائع اللطيفة واتفق ان الامبراطور مكسيمليان مرَّ يومًا على تلك القرية فاختلط الفتى الشاعر بذلك الموكب وانطلق مع الامبراطور فجعلهُ بين صياديهِ فانستهُ غوغاء قصر انسبرك عزمهُ المقدس الّا ان ضميرهُ صرخ ثانية صراخًا عظيمًا فالقى ثيابهُ المزخرفة جانبًا وترك القصر وذهب الى شوانس ثم بعد ذلك الى مونخ حيث نظم نشيدتهُ الاولى في اكرام الله بنغمة معتبرة سنة ١٥١٤ وعمرهُ حينئذٍ عشرون سنة فنال بسببها مديحًا عظيمًا . وفي اسفارهِ كانت لهُ فرص مختلفة لملاحظة البراهين الكثيرة المحزنة للفساد الذي كانت الديانة مدفونة تحتهُ

ولما رجع حنس الى نورمبرج استوطن هناك وتزوج ووُلِد لهُ بنون . وعندما بزغ الاصلاح اصغى ملتصقًا بالكتب المقدسة العزيزة عندهُ نظير شاعر الّا انهُ لم يكن ايضًا يفتش فيها على التشابيه والاناشيد بل على نور الحق ولم يمض سوى

وقت قصير حتى كرس اوتاره لهذا الحق . فخرجت من حانوت دني بقرب ابواب مدينة نورمبرج العاصمة الحان سُمع صداها في كل جرمانيا واعدّت عقول الناس الى زمان جديد وامالت الشعب في كل مكان الى محبة الانقلاب الذي كان آخذًا في التقدم وكانت اناشيد حنس سخس والكتاب المقدس الذي نظمهُ شعرًا عونًا قويًّا لهذا العمل العظيم . وربما يعسر الحكم في من اعانهُ اكثر ملك سكسونيا نائب الامبراطور ام اسكاف نورمبرج

وهكذا كان في كل رتبة شيء بشّر بالاصلاح فظهرت الانذارات في كل جهة والحوادث تقدمت بسرعة واوعدت باخراب عمل اقران الظلمة ووعدت بتجديد كل شيء وتزعزعت رياسة الاكليروس التي اقامتها اجتهادات ادوار كثيرة على العالم وكان سقوطها قريبًا . ونشر النور الذي قد كُشف حديثًا افكارًا كثيرة جديدة بسرعة لا تدرك في كل البلدان وتحركت في كل رتبة من الجماعات حيوة جديدة . وصرخ هوتن يا لهُ من عصر . ان العلوم تنمو والعقول انتبهت ومجرد العيشة في هذه الايام فرح عظيم . والعقول التي قد انطرحت غافلة ادوارًا هكذا كثيرة ظهر انها ترغب ان تفتدي الوقت الذي قد اضاعتهُ فلو تُركت من دون عمل ومن دون ما يعولها او لو تقدم لها فقط ما سد رمقها لظهر من ذلك الجهل بطبيعة الانسان فالعقل البشري الساقط راى جليًّا ماذا كان وماذا يجب ان يكون وابصر بدون خوف الهوة العظيمة الفاصلة بين ذينك العالمين فكان الامراء العظام جلوسًا على الكراسي ورومية المنهمكة النخرة مرتجة على عرشها وروح القتال القديم مات وشغل مكانهُ روح جديد هبَّ دفعةً واحدة من محراب العلوم واوطان البسطاء واخذت الكلمة المطبوعة اجنحة حملتها كما تحمل الريح البزور الخفيفة حتى الى ابعد الاماكن ايضًا . وكشف الهندَين وسع حدود العالم وكان كل شيء يذيع قدوم حركة عظيمة

هذا ولم يكن احدٌ عارفًا من اين تاتي الضربة التي تهدم البناء القديم وتقيم بناء جديدًا من خراباتهِ . فمن كان اعظم حكمة من فردريك او اعلم من ريوخلن

واكثر مواهب من ابراسموس اواشجع من سكنجين اوافضل من كرونبرج ومع ذلك لم تكن عنيدة ان تصدر من احدٍ منهم فان العلماء والامراء والقواد حتى الكنيسة نفسها كانوا جميعًا قد نقضوا شيئًا من الأسس الآ انهم وقفوا على ذلك ولم تظهر في جهة من الجهات اليد القوية العنيدة ان تكون آلة بيد الله للبنيان . الآ ان جميع الناس ارتأوا انها تظهر سريعًا وادَّعى البعض انهم راوا في الكواكب علامات صحيحة لقرب ظهورها واذ نظر البعض الى حال الديانة الشقي تنبأوا بقرب مجيء المسيح الكذاب وقال البعض بعكس ذلك انهُ قد قرب اتيان اصلاح واذ كان العالم يتوقع منتظرًا ذلك اذا لوثيروس اقامهُ الله لاتمام تلك المقاصد الكبرى

الكتاب الثاني

في ولادة لوثيروس وظروف صباهُ من سنة ١٤٨٣ الى ١٥١٧

الفصل الاول

ولادة لوثيروس وصباه

ان الله الذي يصرف ادواراً لاعداد عملهِ يتممهُ متى اتى حينهُ باضعف الآلات ومن عادتهِ تعالى ان يصدر نتائج عظيمة بوسائط حقيرة وهو ماشٍ على هذا القانون في الطبيعة وفي تصرفهِ مع البشر فانتخب مصلحي الكنيسة من نفس الرتبة التي اتخذ منها الرسل فاختارهم من صف لم يكن من الدرجة الدنيا ولا توازي درجتهُ الرتب المتوسطة تماماً وذلك لكي يظهر للعالم ان العمل لم يكن من انسان بل من الله فالمصلح زونكليوس وُلد في كوخ راعٍ من جبال الپا وملانكثون لاهوتي الاصلاح نبغ من دكان سلاحيٍّ ولوثيروس من بيت رجل فقير شغيل في المعدن

ان القسم الاول من حياة الانسان الذي يكتسب فيهِ خصالهُ الادبية هو معتبرٌ جدًّا وكان كذلك بنوع خصوصي في امر لوثيروس فان الاصلاح بجملتهِ متضمن فيهِ ودرجات هذا العمل المختلفة تبعت احداها الاخرى في نفس ذلك الرجل العتيد ان يكون آلةً لاصدارهِ قبل اشاعتها حقيقة بين الناس ومعرفة التغيير الذي حدث في قلب لوثيروس هي المفتاح الذي يفتح لنا الباب لمعرفة اصلاح الكنيسة . ولا يمكننا ان ندرك الامور العامة الاَّ بدرس الخاصة والذين

يهملون هذه يجهلون تلك الأ في ظاهر امرها ولعلهم يتوصلون الى معرفة بعض الحوادث وبعض النتائج الاَّ انهم لا يدركون قط طبيعة ذلك التجديد الغريزية لانهم يجهلون مبدا حيانهِ نفسهُ . فسبيلنا اذًا قبل الفحص عن الحوادث التي غيَّرت وجه العالم المسيحي ان ندرس الاصلاح في لوثيروس نفسهِ

انهُ في قرية مورا بالقرب من الاحراش الثورنجية وليس بعيدًا من المكان الذي ابتدأ فيهِ بونيفاشيوس رسول جرمانيا ينادي بالانجيل سكنت مدة ادوار متتابعة عائلة قديمة كبيرة باسم لوثيروس وجرت العادة بين الفلاحين الثورنجيين ان الابن الاكبر يرث مسكن ابيهِ وحقولهُ وان ينتقل الاولاد الاخرون الى اماكن اخر في طلب معيشتهم. فتزوج واحد من هولاء اسمهُ يوحنا لوثيروس بمرغريتا لندمان ابنة رجل من سكان نيوستدت في اسقفية ورتسبرج . ثم تركا سهول ايسناخ وذهبا ليسكنا في ايسلابن وهي قرية صغيرة في سكسونيا ليكسبا هناك خبزها بعرق وجهها

وروى سكندروف عن ربهان الرئيس في ايسناخ سنة ١٦٠١ ان ام لوثيروس انطلقت الى سوق ايسلابن ظانةً ان وقت ولادتها لم يزل بعيدًا وانها خلاف انتظارها ولدت هناك ابنًا . ومع ان سكندروف هو ممن يوثق بهِ بيان ان ما اخبر بهِ هنا ليس بصحيح ولا واحد من اقدم مورخي لوثيروس ذكر هذا الامر وعدا ذلك بين مورا وايسلابن نحو اربعة وعشرين فرسخًا ومن كانت في حالة ام لوثيروس لا يُصدَّق انها تحاول قطع مسافة كهذه لاجل التفرج على سوق وقول لوثيروس نفسهِ يبين خطاء هذا الزعم

وكان يوحنا لوثيروس رجلاً مستقيمًا مجتهدًا في شغلهِ سليم القلب وثابتًا في عزمهِ الى حد العناد . واذ كان مهذبًا اكثر من اهل رتبتهِ في الغالب كان يقرا كثيرًا والكتب حينئذٍ نادرة الوجود فانتهز كل فرصة لتحصيلها فصرف في مطالعتها اوقات راحتهِ التي اختلسها من اشغالهِ الشاقة المتوالية . واما مرغريتا فكانت حاوية جميع الفضائل التي تزين امراة نقية صالحة ولا سيما الحشمة وخوف

الله ومحبة الصلوة حتى اعتبرتها نساء الجيرة بمنزلة قدوة يجب الاقتداء بها

ولا نُعلم بالتحقيق مدة اقامتها في ايسلابن عند ما ولدت مرغريتا ابنًا في اليوم العاشر من تشرين الثاني قبل نصف الليل بساعة واحدة . وسأل ملانكثون ام صديقهِ مرارًا كثيرة عن زمان ولادتهِ فكانت تجيبهُ انني اذكر جيدًا اليوم والساعة الّا انني لا اعلم السنة على التحقيق . ولكنَّ يعقوب اخا لوثيروس وهو رجل "مستقيم" "امين" قال انهُ حسب راي العائلة كلها وُلِد لوثيروس ليلة عيد مار مارتينوس في العاشر من تشرين الثاني سنة ١٤٨٣ ولوثيروس نفسهُ كتب على زبور عبراني لم يزل الى الآن اني قد وُلدت سنة ١٤٨٣ . واول فكر جال في خاطر ابويهِ التقيين ان يكرسا لله حسب ايمانهما الولد الذي رزقهما اياهُ . وفي الغد الذي وقع يوم الثلثا حمل الاب ابنهُ الى كنيسة مار بطرس حيث تعمد ودُعي مرتينوس تذكارًا لليوم الذي وُلِد فيهِ

واذ لم يكن الولد قد بلغ الستة اشهر من عمرهِ انتقل ابواهُ من ايسلابن الى منسفلدت وبينهما نحو خمسة فراسخ . واذ كانت معادن تلك الاطراف حينئذٍ مشهورة جدًّا وزعم يوحنا لوثيروس وهو من اصحاب الكد والجد بانهُ ربما تكثر عائلتهُ وترجى ان يربح معاشًا احسن لنفسهِ ولاولادهِ في تلك البلدة . ففي هذه القرية نشأ لوثيروس وشب وفيها ابتدأ ظهور نشاطهِ وهناك بانت مزاياهُ في كلامهِ وفي افعالهِ وكانت سهول منسفلدت وشطوط نهر ويرّ هي ملعبهُ الاول مع اولاد جيلهِ وجيرتهِ

وكانت المدة الاولى من سكنى يوحنا وزوجتهِ في منسفلدت كثيرة المصاعب والمشقات فعاشا في اول الامر بفقر شديد . قال المصلح ان والديَّ كانا فقيرين جدًّا فان ابي كان قطّاع حطب فقيرًا وحملت امي مرارًا حطبًا على ظهرها لكي تحصّل اسباب معيشة اولادها وكابدا اشد الاتعاب من اجلنا . فقدوة الوالدين اللذين احترمهما غاية الاحترام والاخلاق التي غرساها فيهِ عوّدتهُ باكرًا على العمل والتوفير ورافق امهُ مرارًا الى الحرش لكي يجمع من هناك حزمة صغيرة

من القضبان على استطاعة حماه

ان الله قد وعد بالبركة على اتعاب الصديقين واختبر يوحنا لوثيروس انجاز ذلك الوعد. واذ اصطلحت احوالهُ قليلاً اقام مسبكين في منسفلدت والى جانب هذين ارداد لوثيروس الصغير نشاطاً ومن ثمرة هذا العمل حصل ابوهُ فيما بعد على مصاريف دروسهِ. قال متيسيوس الصالح انهُ من عائلة معدني كان موسس العالم الروحي عتيداً ان يخرج وذلك رمز لما ازمع الله ان يعملهُ في تطهيره بني لاوي اي رعاة الكنيسة بواسطتهِ وتصفيتهم في كورهِ (تاريخ متيسيوس سنة ١٥٦٥ صفحة ٣) واذ كان يوحنا لوثيروس معتبراً عند الجميع لاجل استقامة سيرتهِ التي لا لوم فيها واصابة رايهِ جُعِل من اعضاء المجلس في منسفلدت قصبة المقاطعة المسماة بهذا الاسم. ولولا ذلك ربما كان الشقاء المفرط قد سحق قلب الولد ولكن سعة العيش بعد ذلك في بيت ابيهِ فتحت قلبهُ ورفعت سجيتهُ

ثم ان يوحنا استفاد من مقامهِ الجديد معاشرة الجماعة التي رغبها فاعتبر جداً العلماء ومراراً كثيرة دعا الى مائدتهِ اكليروس المكان ومعلميهِ فرأى في بيتهِ صورة تلك الاجتماعات الانيسة بين اهل بلادهِ التي تشرفت بها جرمانيا في ابتداء القرن السادس عشر وكانت مرآة تندفع عنها صور الحوادث الكثيرة التي ظهرت بالتتابع في تلك الازمنة المضطربة واستفاد الولد منها. ولا شك ان نظر اولئك الرجال الذين قُدِّم لهم هذا المقدار من الاعتبار في بيت ابيهِ حرَّك في قلبهِ الرغبة المفرطة في ان يصير هو نفسهُ معلماً او عالماً

وحالما صار في سن يقدر فيهِ على قبول التعليم اجتهد ابواهُ في ان يعلماهُ معرفة الله ويربياهُ بخوفهِ وان يغرسا فيهِ الفضائل المسيحية فبذلا كل جهدهما في هذه التربية الباكرة العائلية. فركع الاب مراراً كثيرة بجانب سرير الولد وصلى صلوة حارة بصوت مرتفع متوسلاً الى الله ان يجعل ابنهُ يذكر اسمهُ تعالى ويساعد يوماً في انتشار الحق. والله بنعمتهِ الجزيلة اصغى الى صلوة الوالدين على ان رغبة الوالد لم تحصر في الامر الذي ذكرناهُ

واذ رغب ابو لوثيروس بان ابنهُ يحصّل مبادي تلك العلوم التي اعتبرها
هو نفسهُ بهذا المقدار طلب بركة الله عليهِ وارسلهُ الى المدرسة وكان لم يزل
صغيرًا جدًّا فان اباهُ او نيقولاوس املار شابًّا من شبان منسفلدت كان يحملهُ
على ذراعيهِ الى بيت غريغوريوس اميليوس ثم بعد ذلك يعود لاجل ترجيعهِ
الى البيت واتفق بعد حين ان املار تزوج بواحدة من اخوات لوثيروس

ثم ان تقوى والديهِ ونشاطهما وفضيلتهما المدققة جعلت فيهِ خصالاً صالحة
وصوّرت فيهِ عواطف منتبهة واخلاقًا هادية . وحسب طريقة التربية الجارية
في تلك الايام كان يعوّل على التاديب والتخويف للحث على الدرس . ومع ان
مرغريتا كانت احيانًا تمدح قساوة زوجها المفرطة كانت مرارًا تبسط ذراعيها
الحنونتين لابنها لكي تخفف احزانهُ وتعزيهُ ومع ذلك كانت هي نفسها تتجاوز
حدود تلك الوصية الحكيمة القائلة من يحب ابنهُ يودبهُ باكرًا وكانت اخلاق
مرتينوس القاسية مرارًا كثيرة سببًا للتاديب والتوبيخ قال فيما بعد ان ابويَّ
عاملاني بصرامة حتى صرت جبانًا جدًّا فان امي قاصتني يومًا لاجل جوزة
بقساوة عظيمة حتى جرى مني الدم الَّا انهما لم يميزا الطبائع مع ان ذلك ضروري
جدًّا لكي يُعرَف متى واين وكيف يجب التاديب فان التاديب امر ضروري
الَّا انهُ يجب وضع التفاحة بجانب القضيب . انتهى

ولقي هذا الولد المسكين في المدرسة معاملة ليست باقل قساوة من تلك
فان استاذهُ جلدهُ خمس عَشرة جلدة متوالية في صباح واحد . قال لوثيروس
في اخبارهِ عن ذلك يجب ان نضرب الاولاد ولكن يجب ايضًا في الوقت نفسهِ
ان نحبهم . وعلى هذا المنوال علمتهُ تربيتهُ باكرًا احتقار ملاهي العيشة الشهوانية
واصاب واحدٌ من اقدم مورخي حياتهِ بقولهِ العتيد ان يصير كبيرًا يجب ان
يبتدي صغيرًا واذا تربى الاولاد برفاهة وحنو مفرطين منذ طفوليتهم يضرهم
ذلك مدة حياتهم

وما تعلمهُ مرتينوس في المدرسة اصول قواعد الايمان والوصايا العشر

وقانون الرسل والصلوة الربانية وبعض التراتيل وبعض الصلوات ونحواً لاتينياً الّفهُ في القرن الرابع دوناتوس استاذ القديس ايرونيموس وهذبهُ في القرن الحادي عشر رجل اسمهُ ريميجيوس واحد من الرهبان الفرنساويين وطالما اعتُبر في كل المدارس . ودرس ايضاً تاريخ شيسبويانوس وهو تاليف غريب جدًّا أُلّف في القرن العاشر او الحادي عشر . واخيرًا تعلم كل ما امكن تعليمهُ في مدرسة منسفلدت اللاتينية

اما افكار الولد فلا يظهر انها اتجهت هناك نحو الله . ولم يتبين فيهِ شيءٌ من حركات الدين سوى الخوف فقط . فانهُ كلما سمع كلاماً عن يسوع المسيح اصفرّ خوفاً لان المخلص لم يتصوَّر امامهُ الاَّ بصفة قاضٍ مغتاظ . وهذا الخوف العبدي المضاد بهذا المقدار للديانة الحقيقية ربما اعدهُ لقبول بشارة الانجيل المفرّحة ولذلك الفرح الذي شعر بهِ فيما بعد عند ما تعلم معرفة ذلك الذي هو وديع ومتواضع القلب

ورغب يوحنا لوثيروس ان يجعل ابنهُ معلماً فان النهار الذي ابتدأ يشرق في كل مكان دخل ايضاً بيت معدني منسفلدت ونبَّه هناك افكارًا بالارتقاء فان طبع ابنهِ الغريب واجتهادهُ الراهن جعلاهُ يتوقع منهُ اموراً عظيمة . ومن ثمَّ سنة ١٤٩٧ عند ما بلغ مرتينوس الاربع عشرة سنة عزم ابوهُ على فراقهِ وارسالهِ الى مدرسة رهبان مار فرنسيس في مجديبرج واما امهُ فارتضت بذلك قهرًا . فاستعد لوثيروس لترك بيت ابيهِ

وكانت مجديبرج عالماً جديدًا للوثيروس ومع احتياجهِ الشديد (لانهُ بالكد كان عندهُ ما يكفيهِ لمعيشتهِ) استفهم واستمع برغبةٍ . وفي ذلك الوقت كان اندراوس برولس رئيس رهبان مار اوغسطينوس يحاجُّ في وجوب اصلاح الديانة والكنيسة الاَّ انهُ لم يكن هو الذي اودع اولاً في قلب الفتى اصل الافكار التي ظهرت فيهِ بعد ذلك

وكانت تلك التلمذة صعبة على لوثيروس اذ القي بين العالم في سن الرابعة عشرة

من دون اصدقاء وارتجف في حضرة معلمهِ وجال بالمٍ في اوقات التنزه طالبًا خبزهُ برفقة اولاد افقر منهُ . وقال اني كنت استعطي مع رفاقي شيئًا من الطعام لكي تكون لنا وسائط لسد فاقتنا . وكنا ذات يوم وهو عيد الميلاد نطوف معًا في القرى المجاورة من بيت الى بيت مرتلين الترنيمات المعتادة عن الطفل يسوع المولود في بيت لحم الى ان وقفنا قدام باب بيت فلّاح منفرد في اقصى القرية ولما سمع الفلّاح ترنيماتنا الميلادية خرج ببعض الاطعمة اراد ان يعطينا اياها ونادى بصوت عالٍ ونغمةٍ جشّاء يا اولاد اين انتم فخفنا من هذه الكلمات وهربنا راكضين بسرعة على قدر استطاعتنا ولم يكن سبب للخوف لان الفلّاح اراد ان يساعدنا بمعروف ولكن كانت قلوبنا كثيرة الخوف بسبب تهديدات وظلم المعلمين التي حكموا بها على تلاميذهم حتى ان الخوف اعترانا بغتةً واخيرًا اذ لم يزل الفلّاح يدعونا وقفنا ونسينا خوفنا وركضنا راجعين اليهِ وقبلنا من يدهِ الطعام الذي اراد ان يعطينا اياهُ . ثم يستتلي لوثيروس قائلاً انهُ من عادتنا ان نخاف ونهرب عند ما يكون ضميرنا مذنبًا ومرتعدًا وفي هذه الحالة نخاف ايضا من المساعدة التي تتقدم لنا ومن اصدقائنا وهم يرغبون ان يعملوا معنا كل خير

ولما انتهت السنة اذ سمع يوحنا ومرغريتا بالضيقة الحاصلة على ابنهما بسبب المعيشة في مجد يبرج ارسلاهُ الى ايسناخ حيث كانت مدرسة شهيرة ولهم اقارب كثيرون . وكان لهما اولاد اخرون ومع ان اسباب معيشتهما قد ازدادت لم يقدرا على اعالة ولدهما في مكان غريب فان مسابك يوحنا لوثيروس وكدّهُ لم يكن ينتج لهُ منها الاّ القليل فوق قوت عائلتهِ وترجى انهُ متى وصل مرتينوس الى ايسناخ يقدر باوفر سهولة ان يحصل وسائط معيشتهِ الاّ انهُ لم ينجح في تلك البلدة لان اقاربهُ الساكنين هناك لم يلتفتوا اليهِ بشيءٍ او ربما الشدة فاقتهم لم يقدروا ان يساعدوهُ بشيءٍ

واذ شعر بالجوع التزم كما في مجد يبرج ان يتفق مع رفقائهِ في المدرسة في الترتيل من باب الى باب لاجل نوال كسرة من الخبز . ولم تزل هذه العادة

جارية الى الآن في مدن كثيرة جرمانية وكان مرتينوس المحتشم المسكين مرارًا كثيرة لا يلقى الاّ كلام الشتيمة والاهانة واذ امتلأ كآبة سكب دموعًا كثيرة سرًّا وغلب عليهِ هم المستقبل

وبعد ان طُرِد يومًا من ثلاثة بيوت واستعد للرجوع الى مكانهِ صائمًا وصل الى ساحة مار جرجس ووقف لا يتحرك غارقًا في افكار محزنة امام بيت رجل فاضل من اهل المدينة . فهل يترك دروسهُ لاجل حاجة الخبز ويرجع للشغل مع ابيهِ في مسابك منسفلدت واذا بباب قد فُتح بغتةً وظهرت امراة وهي ارسولا زوجة كونراد كوتا ابنة متسلم ايلفلد ويلقبها مورخو ايسناخ بالشونامية التقية تذكارًا للملك التي الزمت برغبةٍ النبي اليشع ان يميل وياكل خبزًا معها . ورات هذه الشونامية المسيحية اكثر من مرةٍ الفتى مرتينوس في اجتماعات المومنين وتاثرت بعذوبة صوتهِ وبورعهِ وسمعت الكلمات الجافية التي خوطب بها هذا التلميذ الفقير واذ راتهُ واقفًا كئيبًا هكذا امام بابها اتت الى مساعدتهِ واشارت اليهِ ان يدخل وقدمت لهُ طعامًا لسد جوعهِ

واما كونراد فمدح جودة زوجتهِ وهو ايضًا التذَّ كثيرًا بعشرة الغلام حتى اخذهُ بعد ايام قليلة لكي يسكن معهُ في بيتهِ ومن ذلك الوقت فصاعدًا صارت دروسهُ في امان فلم يعد ملتزمًا ان يرجع الى معادن منسفلدت ويدفن الوزنات التي اعطاهُ اياها الله وهكذا في الوقت الذي لم يعرف فيهِ ماذا يصيبهُ فتح الله قلب وبيت عائلة مسيحية لقبولهِ وجعل هذا الامر في نفسهِ ثقة قوية بالله لم يقدر اشد التجارب ان يزعزعها مدة عمرهِ

وعاش لوثيروس في بيت كوتا عيشةً غير العيشة التي عرفها قبل ذلك الوقت وكانت ايامهُ تمر بهدوٍ خالية من الاحتياج والاهتمام وصار ضميرهُ اكثر سكونًا واخلاقهُ اكثر بشاشة وبهجة وقلبهُ انفتح وانتبهت جميع قواهُ عند اشراق لطف اشعة المحبة وابتدأ يرتقي في النشاط والفرح والابتهاج فكانت صلواتهُ اكثر حرارة وتعطشهُ الى المعرفة اعظم وتقدمهُ في العلوم اسرع

ثم اضاف الى الآداب الفنون اللطيفة لان هذه ايضًا كانت آخذة في التقدم في جرمانيا فان الناس الذين يقيمهم الله للعمل بين معاصريهم يتاثرون هم ايضًا بكل روح العصر الذي يعيشون فيهِ فتعلم لوثيروس اللعب على الصافور والكمنجة ومع هذه الآلة الاخيرة كان يغني مرارًا كثيرة بصوتهِ الجيد الرفيع فيتسلى في ساعات الكدر وكان يسرهُ ان يشهر بنغاتهِ عظم شعورهِ بمعروف تلك التي تبنتهُ لنفسها اذ كانت مغرمة بالموسيقى وهو نفسهُ احب هذه الصناعة حتى الى سن الشيخوخة ونظم بعض الترنيمات الحسنى الشهيرة واوقعها على نغمات اشتهرت مثلها وقد انتقلت الى لغات كثيرة

وكانت تلك الازمنة سعيدة للوثيروس فلم يقدر ان يتذكرها من دون تحريك عواطفهِ وعند ما اتى بعد ذلك بسنين كثيرة واحد من اولاد كونراد لكي يدرس في وتمبرج عند ما كان تلميذ ايسناخ المسكين قد صار عالم عصرهِ الاول فقبلهُ بفرح عند مائدتهِ وتحت سقف بيتهِ فاراد ان يكافي الابن بشيء لاجل المعروف الذي قبلهُ من والديهِ. وتذكارًا لهذه المراة المسيحية التي عالتهُ عند ما طردهُ العالم باسرهِ نطق بهذه العبارة الجليلة لا شيء على الارض احلى من قلب امراة تحلهُ التقوى

ولم يخجل قط من تلك الايام التي فيها لاجل الضيق من الجوع طلب بالتسول الخبز الضروري لدرسهِ ومعيشتهِ. كلاَّ ولكنهُ تامل بالشكر الفقر العظيم الذي كابدهُ في صباهُ وحسب ذلك من جملة الوسائط التي استعملها الله لوصولهِ الى ما وصل اليهِ بعد ذلك ولهذا ادَّى لهُ الشكر بسببهِ وكان الاولاد الفقراء الذين التزموا باتباع هذا النوع من العيشة يمسون قلبهُ فيقول لا تزدروا بالاولاد الذين يجولون في الاسواق يطلبون قليلاً من الخبز لاجل حب الله فاني انا قد فعلت ذلك بعينهِ نعم ان ابي بعد ذلك بقليل عالني بمحبة عظيمة ومعروف في مدرسة ارفرت وذلك بعرق جبينهِ الاَّ اني كنت شحاذًا مسكينًا والآن بواسطة قلمي قد ارتقيت بهذا المقدار حتى لا احسد احدًا على عيشتهِ. او جمعت

ثروات العالم جميعها لا ابدل بها ما املكهُ ولكن لو لم اذهب الى المدرسة ولو لم انعلم الكتابة لما كنت حيث انا . وهكذا راى هذا الرجل الشهير في مباديهِ هذه الحقيرة اصل كل مجدهِ ولم يخشَ من التذكر بان الصوت الذي ارعد المملكة والعالم تسوَّل مرةً طالبًا لقمة خبز في ازقة بلدةٍ صغيرة . والمسيحي يلتذ بهذه التذكرات لانها تفكرهُ بان الافتخار يجب ان يكون بالرب وحدهُ .

ففوة فهمهِ ونشاط فكرهِ وجودة ذاكرتهِ جعلتهُ سريعًا يسبق جميع الدارسين معهُ . فتقدم بسرعة وعلى الخصوص في اللاتيني والفصاحة والشعر وكتب خطبًا ونظم اشعارًا واذ كان بشوشًا وغيورًا وسليم القلب احبهُ معلموهُ والطلبة رفقاؤُهُ. وتعلق بنوع خصوصي بواحد من اساتذتهِ اسمهُ يوحنا تريبونيوس وهو رجل عالِم لين الجانب وعندهُ من اعتبار الشبان كل ما يوافق لتقويتهم . فلاحظ مرتينوس انهُ كلما دخل تريبونيوس المدرسة يرفع برنيطتهُ مسلمًا على التلاميذ . وذلك تنازل عظيم في تلك الازمنة ففرح مبتهجًا بذلك واعتبر نفسهُ فرفع اعتبار المعلم اعتبار التلاميذ لنفسهِ . واما رفقاء تريبونيوس الذين لم يستعملوا هذه العادة فاذ اظهروا لهُ ذات يوم تعجبهم منهُ لاجل تنازلهِ المفرط اجاب (ولم يكن جوابهُ اقل تاثيرًا من فعلهِ في لوثيروس) انَّ بين هولاء الصبيان اناسًا سيجعلهم الله يومًا قوادًا وكتبةً وعلماء وولاةً ولئن كنتم لا ترونهم الآن بسمات شرفهم فيليق بكم ان تعاملوهم بالاعتبار . ولا ريب ان التلميذ اصغى بلذةٍ الى هذه الكلمات وربما تصوَّر نفسهُ بعمامة العلماء على راسهِ

الفصل الثاني

حداثة لوثيروس

ولما بلغ لوثيروس السنة الثامنة عشرة من عمرهِ وقد ذاق حلاوة العلوم

واضطرم برغبة المعرفة اشتاق الى فوائد مدرسة كلية فاراد ان يذهب الى واحد من تلك الينابيع العلمية حيث يقدر ان يروي ظماه الى المعارف. اما ابوهُ فطلب منهُ ان يتعلم الفقه ولعظم رجائهِ بوزنات ابنهِ اراد ان يتجر بها ويشهرها لدى الجميع وفي فكرهِ تصورهُ يباشر اشرف الاعمال بين اصحابهِ ويربح انعام الملوك ويشرق في مرسح العالم فتم الراي ان يذهب الى ارفرت

فوصل لوثيروس الى تلك المدرسة الكلية سنة ١٥٠١ وكان يودوكوس الملقب علاَّمة ايسناخ يعلّم هناك الفلسفة . حكى ملانكثون انهُ في ذات الوقت لم يكن يُعلَّم في ارفرت شيءٌ الاَّ طريقة من الاحتجاج كثيرة الصعوبات وزعم انهُ لو صادف لوثيروس معلمين اخرين يهذبونهُ بالفلسفة الحقيقية لاعتدلت شراسة اخلاقهِ ونلطفت . فتفرغ التلميذ الجديد لدرس فلسفة القرون المتوسطة في مصنفات اوكام وسكوتوس وبونوفنتورا وتوما اكوينا لكنهُ كره بعد حين تلك الالهيات المدرسية وصار عند ما يتلفظ احد باسم اريستوطاليس في حضرتهِ يرتجف غضبًا حتى قال مرةً لو لم يكن اريستوطاليس انسانًا لحسبتهُ شيطانًا . ثم ان عقلهُ المتعطش الى العلوم احتاج الى اغذية غير تلك فطفق يدرس افضل مؤلفات القدماء ومؤلفات شيشرون وورجيليوس وغيرهما من المؤلفين المعوَّل عليهم ولم يكتفِ كاكثر الطلبة بتعلم اقوالهم عن ظهر قلبهِ بل اجتهد في ادراك قرار افكارهم واكتساب الروح الذي لهم وتخصيص حكمتهم بنفسهِ والوقوف على مقصود مؤلفاتهم واغناء عقلهِ بعباراتهم الكثيرة المعاني واستعاراتهم البهجة. وجاء مرارًا كثيرة الى معلميهِ بمسائل فسبق الدارسين معهُ سريعًا . ولذاكرتهِ الحافظة وشدة قوتهِ الخيالة ترسخ في ذهنهِ كل ما قراهُ او سمعهُ كانهُ قد راهُ بنفسهِ وهكذا زها لوثيروس في اوائل عمرهِ. قال ملانكثون ان المدرسة باسرها اندهلت من حذاقتهِ

ولم يكن درس لوثيروس في هذا السن مجردًا لاجل تهذيب عقلهِ بل كانت لهُ ايضًا تلك الافكار الرزينة وذلك القلب المتجه نحو السماء التي يمنحها الله للذين

قصد ان يجعلهم خدامهُ الاعظم غيرة. وشعر بالافتقار التام الى الله ذلك الشعور الذي هو علة تواضع عميق واعمال عظيمة فطلب بحرارة البركة الالهية على اتعابهِ مفتتحًا النهار كل صباح بالصلوة ثم يذهب الى الكنيسة ثم يرجع بعد ذلك الى درسهِ غير مضيع دقيقة من الوقت. ومن اقوالهِ ان الدرس شطران وافضل شطريهِ الصلوة

وكان يصرف في مكتبة المدرسة كل وقت استطاع ان يوفرهُ من الدروس القانونية. ما زالت الكتب يومئذٍ نادرة الوجود ولهذا كان امرًا عظيمًا الرخصة لهُ بان يستفيد من كنوز ذلك المجموع العظيم وفي احد الايام بعد ان مضى عليهِ سنتان في ارفرث ولهُ من العمر عشرون سنة بينما هو يقلب كتبًا كثيرة في المكتبة الواحد بعد الاخر لكي يعرف اسماء مولفيها وقع في يدهِ كتاب لم يكن قد راى الى ذلك الوقت مثلهُ فقرأَ عنوانهُ فاذا هو الكتاب المقدس كتاب نادر الوجود وغير معروف في تلك الاوقات فعجبهُ ذلك واخذتهُ الحيرة عند ما وجد فيهِ اقوالاً كثيرة غير تلك القطع من الاناجيل والرسائل التي كانت الكنيسة قد انتخبتها لكي تُقرَا على الشعب في وقت العبادة الجمهورية كل يوم احد في السنة والى ذلك النهار ظن ان تلك القراءات حاوية جميع كلام الله وحينئذٍ راى صفحات كثيرة واصحاحات شتَّى واسفارًا عديدة لم تخطر لهُ على بال فيما مضى فخفق فوادهُ عند ما امسك بيديهِ الكتاب الموحى بهِ من الله وابتدأَ يقلب تلك الصفحات الالهية باهتمام وتاثر لا يوصف واول صفحة تامل فيها هي المخبرة عن حنة وصموئيل فاخذ يقرا بفرح لا مزيد عليهِ. فان ذلك الولد الذي نذرهُ ابوهُ لله كل حياتهِ وتسبيحة حنة التي تعلن فيها ان الله يرفع البائس من الحضيض والمسكين من المزبلة لكي يجعلها بين الاعزاء وذلك الصبي الذي نشأَ قدام الله في الهيكل وذانك الذابحين ابني عالي اللذين كانا شريرين يعيشان بالشراهة ويقودان شعب الله الى الخطية كل هذا التاريخ وكل هذا الوحي الذي كشفهُ حينئذٍ نبَّه في ضميرهِ حاسيات مجهولة لديهِ قبل. ثم رجع الى منزلهِ بقلب ممتلىءٍ بود

لو يمنحهُ الله مثل هذا الكتاب ملكاً لهُ . وكان الى ذلك الوقت يجهل اليوناني والعبراني كليهما والارجح انهُ لم يدرسهما في السنتين او الثلث سنين الاولى من اقامتهِ في المدرسة . وكان الكتاب المقدس الذي ملأ قلبهُ حبوراً كما تقدم باللغة اللاتينية ثم رجع عاجلاً الى المكتبة لكي يمعن النظر في كنزهِ فقرأً ايضاً متواتراً ثم من حيرتهِ وفرحهِ عاد وقراهُ مرة اخرى فابتدات حينئذٍ ان تشرق على ضميرهِ الاشعة الاولى من حقٍّ طالما استتر عن العالم

وهكذا ارشدهُ الله الى كشف كلمتهِ والوقوف على ذلك الكتاب الذي كان عتيداً ان يمنح منهُ يوماً لاهل بلادهِ ترجمةً عجيبة قد قرأً فيها اهالي جرمانيا كلمة الله مدة ثلثة قرون وربما كانت تلك المدة الاولى التي نُقِل فيها هذا الكتاب العزيز يومئذٍ من مكانهُ في مكتبة ارفرث فان هذا الكتاب الموضوع على رفوف مجهولة في مكانٍ مظلم صار بعد قليل كتاب حيوة امة باسرها . ففي ذلك الكتاب المقدس كان الاصلاح مستتراً

وفي تلك السنة نفسها نال لوثيروس شهادة المدرسة بدرجة بكالاوربوس في العلوم

واحدث لهُ الاجتهاد المفرط الذي اجتهدهُ استعداداً للفحص علةً خطرة فظهر ان الموت قريب منهُ وشغلت عقلهُ افكار دينية مهمة فظن ان حياتهُ الزمنية قاربت النهاية واهتم الجميع فيهِ قائلين ان زوال كل آمالهم من جهتهِ محزن وعادهُ اصدقاءهُ كثيرون منهم خوري معتبر مسنٌّ سرَّ جداً باجتهادهِ وتصرفهِ في المدرسة . واذ لم يقدر لوثيروس ان يخفي الافكار الشاغلة فكرهُ قال اني اذهب عن قريب من هذا العالم فاجابهُ الشيخ برفقٍ قائلاً تشجع يا عزيزي انك لا تموت بهذا المرض فان الهنا سيجعلك انساناً يعزي كثيرين كلاًّ في دورهِ لان الله يلقي صليبهُ على الذين يحبهم والذين يحملونهُ بصبر ينالون حكمةً عظيمة . فاثرت هذه الكلمات في الفتى المضنوك لانهُ كان قريباً من الموت جداً عندما سمع صوت خوري يذكرهُ بان الله كما قالت ام صموئيل يرفع البائس فسكب

الخوري الشيخ تعزيات حلوة في قلبهِ وشدد عزمهُ اما هو فلم ينسَ ذلك كل عمرهِ . قال مثيسيوس صديق لوثيروس الذي ذكر هذه الحادثة ان هذه اول نبوة سمعها العالِم الفاضل وكثيرًا ما تذكرها ويمكننا ان نفهم بسهولة باي معنى يدعو مثيسيوس هذه الكلمات نبوّة

ولما صح لوثيروس من مرضهِ حصل فيهِ تغيرٌ عظيم فان الكتاب المقدس والمرض وكلمات الخوري الشيخ نبهتهُ تنبيهًا جديدًا غير انهُ الى ذلك الوقت لم يعلُ ضميرهُ امر خصوصي . ونبهُ امرٌ آخر فيهِ افكارًا مهمة دينية وذلك انهُ في عيد الفصح ولعلهُ سنة ١٥٠٣ انطلق لكي يصرف زمانًا قصيرًا مع عائلتهِ وهو متقلد سيفًا حسب عادة ذلك العصر فعثر بهِ فسقط النصل وقطع احد الشرايين العظام في رجلهِ واذ ركض رفيقهُ الوحيد مسرعًا ليطلب لهُ الاعانة ووجد نفسهُ وحدهُ والدم يجري بكثرة بدون ان يقدر على منعهِ اضطجع على ظهرهِ ووضع اصبعهُ على الجرح واذ كان الدم ينزف مع كل اجتهادهِ على قطعهِ وهو شاعر بقرب الموت صرخ يا مريم اعينيني . واتى اخيرًا جراح من ارفرث وضمد الجرح . ثم انفتح الجرح في الليل فغشي عليهِ فدعا ايضًا العذراء بصوت عظيم . قال بعد حين اني لو متُّ في ذلك الزمان لمت متكلاً على مريم ولم يمضِ سوى مدة قصيرة حتى ترك هذا الاستناد الباطل ودعا مخلصًا اقوى . ثم واظب درسهُ وفي سنة ١٥٠٥ رُقي الى درجة دكتور الفنون والفلسفة . وكانت مدرسة ارفرث في تلك الايام اشهر مدارس جرمانيا والبقية لم تكن الاَّ مدارس صغيرة بالنسبة اليها فاقاموا احتفال ترقيتهِ بزهوٍ عظيم حسب العادة واتى الموكب بالمصابيح الموقدة لكي يقدم الكرامة للوثيروس وكان العيد حافلاً جدًّا وحدث فرح عمومي واذ تشدد بهذه الكرامات مال كل الميل الى درس الفقه طبق مرغوب ابيهِ الاَّ ان ارادة الله كانت غير ذلك وبينما اشتغل بدرس علوم مختلفة وابتدأ يعلّم طبيعيات اريستوطاليس وادبياتهِ مع فروع اخر من الفلسفة لم يكف قلبهُ عن الصراخ اليهِ قائلاً ان الديانة هي الامر الوحيد المحتاج اليهِ وانهُ قبل كل

شيء يجب ان يحصّل خلاص النفس واذ عرف غضب الله على الخطية وتذكر القصاصات التي يهدد بها كلمة الخاطىء سأل نفسهُ وهو خائف هل هو بالتاكيد حاصل على محبة الله فاجاب ضميرهُ لا . وكان في طبيعتهِ عجولاً وذا عزيمة فعزم على فعل كل ما يوكد لهُ رجاء ثابتًا بالحيوة الابدية وحدث امران متواليان ازعجا نفسهُ وعجلا عزمهُ

وذلك انهُ كان بين اصحابهِ في المدرسة شخص اسمهُ الكسيس عاش معهُ باوثق صداقة وفي صباح احد الايام شاع خبرٌ في المدرسة بان الكسيس قد قُتِل فبادر لوثيروس الى الوقوف على حقيقة هذا الخبر وازعجهُ فقد صديقهِ هذا الفجائي وسأل نفسهُ ماذا يصيبني لو دُعِيت هكذا من دون تنبيه فامتلأ ضميرهُ اشد الاهوال

وفي صيف سنة ١٥٠٥ عند ما أُطلقت لهُ الحرية من المدرسة الى حين عزم على التوجه الى منسفلدت لكي يزور ايضًا مسكن صباهُ العزيز ويعتنق ابويهِ وربما اراد ايضًا ان يكشف قلبهُ لابيهِ لكي يخبرهُ من جهة الطريقة التي صورها في فكرهِ ويستاذنهُ في الاشتغال بمصلحة اخرى عالمًا بجميع الصعوبات المستعدة لهُ . فان عيشة اكثر الخوارنة الكسلانة لم تُرضِ معدنيَّ منسفلدت المجتهد وعدا ذلك كان الاكليروس قليلي الاعتبار في العالم ومداخيلهم في الاكثر كانت قليلة . والاب انكر على نفسهِ اشياء كثيرة لكي يعين ابنهُ في المدرسة ورآهُ يعلّم جهارًا في مدرسة شهيرة مع انهُ كان ابن عشرين سنة فقط فلم يكن يحتمل انهُ يرفض رجاءهُ السامي بهِ الذي كان قد رباهُ في صدرهِ منذ سنين ولا نعلم ماذا حدث في مدة اقامة لوثيروس في منسفلدت . ولكنهُ عرف شدة رغبة ابيهِ وربما خاف من ان يكشف ضميرهُ لهُ . ثم ترك بيت ابيهِ لكي يعود الى كرسي التعليم ولم يكن بعيدًا عن ارفرث الاّ قليلاً حتى ادركتهُ زوبعةٌ عظيمة كما يحدث كثيرًا في تلك الجبال فاومض برق وسقطت صاعقةٌ لدى رجليهِ فالقى نفسهُ على ركبتيهِ يخال ان ساعتهُ ربما كانت قد انت والموت والدينونة والابدية

اجتمعت عليهِ مع كل اهوالها وسمع صوتًا لم يعد يمكنهُ ان يقاومهُ . واذ اكتنفهُ هول الموت والمهُ كما قال هو نفسهُ نذر نذرًا انهُ اذا خلصهُ الرب من هذا الخطر يترك العالم ويكرس على التمام نفسهُ لله وبعد ان نهض عن الارض ونصبَ عينيهِ الموت الذي لا بد ان يدركهُ يومًا اخذ يفحص نفسهُ باهتمام ويسال ماذا يجب ان يعمل . والافكار التي ازعجتهُ قبل رجعت حينئذٍ بعزم اشد . نعم انهُ قد اجتهد في اكمال جميع واجباتهِ ولكن ما هي حالة نفسهِ هل يقدر ان يتراءى امام عرش الاله الرهيب بقلب غير طاهر . لا بد ان يتقدس . وصار فيهِ ثمَّ تعطش الى القداسة بمقدار تعطشهِ فيما سبق الى المعرفة ولكن اين يقدر ان يجدها او كيف يقدر على الوصول اليها فان المدرسة يسرت لهُ وسائط للحصول على مرغوباتهِ الاولى فمن يسكن ذلك الالم ومن يطفيء النار التي تحرقهُ والى اية مدرسة قداسة يحوّل خطواتهِ فارتأى ان يدخل ديرًا فتخلصهُ العيشة الرهبانية اذ قد سمع مرارًا كثيرة بقدرتها على تغيير القلب وتقديس الخاطي وجعل الانسان كاملاً فعزم على الدخول الى الرهبانية لزعمهِ انهُ فيها يصير طاهرًا وهكذا ينال الحيوة الابدية

هذه هي الحادثة التي غيرت كل دعوتهِ وكل احوالهِ وفي هذا نرى اصبع الله فان يدهُ تعالى هي التي طرحت على الطريق معلم الفنون الشاب لكي يوجه حياتهُ الى جهة جديدة على التمام . وكتب لهُ فيما بعد روبيانوس واحد من اصدقائهِ في مدرسة ارفرث هكذا ان العناية الالهية لاحظت ما كنت عتيدًا ان تصير يوم طرحتك الى الارض وانت راجع من بيت ابيك نارٌ من السماء كبولس آخر بالقرب من مدينة ارفرث واختطفتك من جماعتنا ودفعتك الى قانون مار اوغسطينوس . فحصلت ظروف متشابهة في رجوع الآلتين العظيمتين اللتين استعملتهما العناية الالهية في الحركتين العظيمتين اللتين حدثتا على الارض وهما القديس بولس ولوثيروس

ثم ان لوثيروس رجع الى ارفرث ولم يتغير عزمهُ الا انهُ لم يكن يستعد

بدون الم شديد ليقطع الربط العزيزة لديهِ بهذا المقدار فلم يخبر احدًا بعزمهِ غير انهُ دعا ليلةً اصدقاءهُ في المدرسة الى عشاء بهج بسيط واطربت آلات الموسيقى مرة اخرى اجتماعهم الانيس . وذلك وداع لوثيروس للعالم ومن ذاك الوقت فصاعدًا عوضًا عن لذاتهِ ودروسهِ واصحابهِ المحبوبين صار عشير الرهبان وعوضًا عن تلك المخاطبات البهجة المليحة سكوت صومعة وعوضًا عن الاغاني المطربة ترانيل المعبد الهادي الخشوعية . زعم ان الله دعاهُ ولهذا ضحى كل شيءٍ فدعهُ هذه المرة الاخيرة يتمتع بافراح شبابهِ فلذت الوليمة اصدقاءهُ وكان هو نفسهُ حيوة الاجتماع ولكن حالما اطلقوا العنان لافراحهم لم يكن قادرًا على ضبط الافكار الثقيلة التي ملأت عقلهُ فتكلم مخبرًا اصدقاءهُ بقصدهِ فاجتهدوا ان يزحزحوهُ عنهُ ولكن اجتهادهم كان عبثًا . وفي تلك الليلة نفسها اذ خاف من الحاحهم ولجاجتهم ترك منزلهُ وخلف وراءهُ جميع ملابيسهِ وكتبهِ ولم ياخذ معهُ الّا ورجيليوس وبلوتوس والى ذلك الوقت لم يكن عندهُ الكتاب المقدس فانطلق وحدهُ بهذين الكتابين تحت ظلام الليل الى دير نُسَّاك مار اوغسطينوس وطلب الدخول ففتح لهُ الباب ثم أُغلِق . فها قد انفصل الى الابد من ابويهِ ومن رفقائهِ في الدرس وذلك في ١٧ آب سنة ١٥٠٥ وعمرهُ حينئذٍ احدى وعشرون سنة وتسعة اشهر

الفصل الثالث

لوثيروس في دير مار اوغسطينوس

لما دخل لوثيروس الدير زعم انهُ صار مع الله وان نفسهُ صارت في امان وانهُ عن قريب يكتسب تلك القداسة التي اشتاق اليها ذلك الاشتياق . اما الرهبان فتحيروا عندما راوا الشاب العالِم وغالوا في مديح شجاعتهِ واحتقارهِ

العالمَ . اما هو فلم ينسَ اصدقاءهُ بل كتب اليهم يودعهم ويودع العالم . وفي اليوم التالي ارسل تلك المكاتيب مع الثياب التي كان لم يزل لابسها الى ذلك الوقت وارجع الى المدرسة خاتمهُ خاتم معلم الفنون حتى لا يبقى شيء يذكّرهُ بالعالم الذي رفضهُ

واما اصدقاؤهُ في ارفرث فاخذهم العجب اذ راوا ذكيًّا رفيعًا مثل هذا يذهب ويخبي نفسهُ في تلك الطريقة الرهبنية التي هي نوع من الموت . واذ امتلأُوا غمًّا شديدًا جدًّا بادروا سريعًا الى الدير مؤملين ان يقنعوهُ بترك تلك الطريقة المحزنة ولكن تعبهم ذهب عبثًا فانهم احاطوا بالدير يومين كاملين يحاصرونهُ تقريبًا لعلهم يرون لوثيروس يخرج الى خارج ولكن الابواب بقيت مغلقة بتحرز ومرَّ شهرٌ من غير ان يقدر احدٌ ان يرى هذا الراهب المبتدئ حتى يكلمهُ

وكان لوثيروس قد بادر فاخبر والديهِ بالتغيير العظيم الذي حدث في حياتهِ فتعجب ابوهُ وخاف على ابنهِ كما يخبرنا لوثيروس نفسهُ في كتابهِ الى ابيهِ عن النذور الرهبانية فان كلًّا من ضعفهِ وصباهُ وجماحهِ قادت اباهُ الى الخوف من انهُ عند ما تزول الوسوسة التي استولت عليهِ تسقطهُ عوائد الدير السيئة في الياس او في خطية عظيمة لعلمهِ ان هذا الضرب من المعيشة كان علة لهلاك كثيرين فضلًا عن انهُ كان قد رجا لابنهِ طرقًا خلاف ذلك وامل انهُ يتزوج زواجًا غنيًّا كريمًا فانقلبت جميع مقاصدهِ في ليلة واحدة بواسطة هذا العمل الخالي من الفطنة فكتب لابنهِ مكتوبًا قاسيًا جدًّا يخاطبهُ فيهِ بكلام الاهانة كما يخبرنا لوثيروس مع انهُ من عادتهِ ان يخاطبهُ دائمًا بمحبة بعد ارتقائهِ الى درجة معلم الفنون فترك كل محبتهِ واعلن لهُ قطع نصيبهِ من محبتهِ الابوية وعبثًا ما اجتهد اصدقاء ابيهِ وزوجتهُ ايضًا في ملاطفة اخلاقهِ وباطلًا ما قالوا لهُ اذا قدمت قربانًا لله فليكن احسن ما عندك واعزهُ حتى ابنك اسحاقك فان شيخ منسفلدت لم يكن يصغي الى شيء من هذا الكلام

وبعد ذلك ببرهة يسيرة كما يخبرنا لوثيروس في عظة وعظها في وتمبرج في

٢ ك ٢٠ سنة ١٥٤٤ ظهر الطاعون واثكل يوحنا لوثيروس اثنين من بنيهِ وبالقرب من ذلك الوقت اتى شخص وقال للاب الثاكل ان راهب ارفرث قد مات ايضًا فانتهز حينئذٍ اصدقاؤهُ الفرصة لارجاعهِ بالرضى على المبتدي الشاب قائلين لهُ اذا كان ذلك خبرًا كاذبًا فاظهر بالاقل قبولك مصيبتك بتسليم ابنك قلبيًا الى الرهبنة فاجاب بقلب منسحق ولم يزل على بعض الإباء قائلاً فليكن كذلك واسال الله ان يعطيهُ النجاح . وبعد ذلك بمدة عند ما اخبر لوثيروس اباهُ بعد مصالحتهِ اياهُ بالحادث الذي حركهُ الى دخول الرهبنة اجابهُ ابوهُ الفاضل ليت الله لم يسمح انك تكون قد حسبت علامةً من السماء ما كان مجرد خداع من الشيطان

ولم يكن حينئذٍ في لوثيروس ما جعلهُ بعد ذلك مصلح الكنيسة ودخولهُ في الدير برهان قوي على ذلك فان عملهُ هذا كان مطابقًا لعوائد ذلك الجيل تلك العوائد التي كان عتيدًا عن قريب ان ينقذ الكنيسة منها . والمزمع ان يكون مرشدًا الى الحق اضاف حجرًا جديدًا على بناء الخرافات باليد العتيدة ان تنقضهُ . وحسب اعتقاد تلك الايام انتظر لوثيروس الخلاص من قبل نفسهِ بواسطة الاعمال والسنن البشرية ولم يعلم ان الخلاص ياتي بجملتهِ من الله وطلب مجد نفسهِ وتبرير نفسهِ غير ملتفت الى برّ الرب ومجدهِ ولكنهُ بعد ذلك تعلم سريعًا ما جهلهُ . والتغيير العظيم الذي وضع الله وحكمتهُ في قلبهِ عوضًا عن العالم وتقليداتهِ والذي اعدّ الانقلاب العظيم العتيد ان يكون صار في دير ارفرث

وعند دخول مرتينوس لوثيروس الدير غيَّر اسمهُ واخذ اسم اوغسطينوس . فقبلهُ الرهبان بفرح . ووافق جدًّا كبرياءهم وعجبهم ان يروا واحدًا من اعظم معلمي العصر اعتبارًا يترك المدرسة ليدخل ديرًا من اديرتهم الاَّ انهم مع ذلك عاملوهُ بقساوة والقوا عليهِ ادنى المصالح فارادوا ان يذللوا معلم الفلسفة ويعلموهُ ان علمهُ لا يجعلهُ اعلى رتبة من اخوتهِ وفضلاً عن ذلك توهموا انهم يصدونهُ بهذه الواسطة عن الاجتهاد بهذا المقدار في العلوم التي لم تحصل للدير فائدة منها

فالتزم معلم الفنون اولاً ان يباشر وظيفة بواب لكي يفتح الابواب و يغلقها و يدوّر الساعة ويكنس الكنيسة و ينظف صوامع الرهبان . ثم ان الراهب المسكين الذي كان بوابًا وقندلفتًا وكناسًا معًا عند ما يفرغ من عملهِ يصرخ اليهِ الرهبان احمل كيسك وجُل في المدينة فكان يجول في جميع اسواق ارفرث حاملاً كيسهُ يتسوّل من بيت الى بيت وربما التزم ان يقف على ابواب اولئك الذين كانوا مرةً اصدقاءهُ او ادنى منهُ وكان عند رجوعهِ يلتزم اما ان يحبس نفسهُ في كوخ واطئ ضيق حيث لا يقدر ان يرى شيئًا سوى جنينة صغيرة مساحتها بعض الاقدام المربعة اوان يرجع فياخذ بمصالحهِ الدنية الأ انهُ احتمل ذلك جميعهُ . واذ مال طبعًا الى بذل كل جهدهِ في اي عمل باشرهُ دخل في الرهبنة من كل قلبهِ وعدا ذلك كيف يشفق على جسدهِ او يرضيهِ وقد دخل الدير لكي يكتسب التواضع وقداسة النفس

وبادر هذا الراهب المسكين الكالّ من التعب وصرف الدقائق التي استطاع ان يوفرها من تلك الاعمال الدنية في الدرس والمطالعة وباختيارهِ اعتزل عن عشرة الاخوة لكي ينكبّ على مساعيهِ المحبوبة فاطلع الرهبان على ذلك سريعًا وتقمقموا عليهِ وخطفوا كتبهِ منهُ قائلين تعال تعال ان الراهب يفيد الدير لا بالدرس ولكن بشحاذة الخبز والذرة والبيض والسمك واللحم والنقود . فامتثل لوثيروس وترك كتبهُ وحمل كيسهُ واذ لم يندم على اخذهِ هذا النير على نفسهِ اراد ان يكمل شغلهُ وحينئذٍ ابتدأ يظهر في ضميرهِ ذلك الثبات غير المتزعزع الذي بهِ اجرى بالفعل ما عزم عليهِ في قلبهِ وبمقاومتهِ ميل طبيعتهِ اكتسبت ارادتهُ عزمًا وقوة وامتحنهُ الله في الامور الصغيرة لكي يتعلم الثبات في الامور العظيمة وعدا ذلك لكي يقدر ان يعتق جيلهُ من الخرافات الشنيعة التي كانوا يئنون تحتها اقتضى ان يشعر هو اولاً بثقلها ولكي يفرغ الكاس اقتضى ان يشرب كل ما فيها الى ثمالتها

ولم تطل هذه العبودية الصارمة لان رئيس الدير بواسطة المدرسة التي

اختص بها لوثيروس اعتقهُ من الواجبات الدنية الموضوعة عليهِ فرجع الراهب الشاب حينئذٍ الى دروسهِ بنشاط جديد ومال الى قراءة تصانيف آباء الكنيسة ولا سيما كُتب مار اوغسطينوس ورغب مطالعة تفسير المزامير لهذا الاب الجليل وكتابهُ في الحرف والروح ولم يكن يعجبهُ شيء اكثر من آراء هذا الاب في فساد ارادة الانسان وفي النعمة الالهية وشعر باختبارهِ حقيقة هذا الفساد والاحتياج الى تلك النعمة فطابقت اقوال القديس اوغسطينوس حواس قلبهِ. ولو امكنهُ الانتماء الى مدرسة اخرى غير مدرسة يسوع المسيح لانتمى لا محالة الى مدرسة عالم هيپو وعرف تقريبًا عن ظهر قلبهِ تاليف بطرس دي ابلي وجبرائيل بيال واعجبهُ جدًّا قول الاول انهُ كان الاولى التسليم بان الخبز والخمر هما المتناولان حقيقةً لا عرضًا في العشاء الرباني لو لم تكن الكنيسة قد حكمت بخلاف ذلك

ودرس ايضًا باعتناء تصانيف اللاهوتيين اوكام وجرسون اللذين يقاومان بكل حرية سلطان الباباوات وضم الى هذه المطالعات دروسًا أُخر غيرها وسُمِع في المحاورات الجهارية يحل الحُجج الاكثر صعوبة ويتخلص من حبائل تُنصَب لهُ لا يقدر احدٌ غيرهُ على التخلص منها فانذهل جميع المصغين اليهِ من ذكائهِ

الَّا انهُ لم يدخل الدير لكي ينال صيتًا في الذكاء والعلوم بل لكي يطلب طعامًا لتقواهُ ولهذا حسب تلك الاتعاب امورًا عرضية

وكان احب كل شيء عندهُ ان يستقي حكمةً من ينبوع كلمة الله الصافي فوجد في الدير نسخةً من الكتاب المقدس مربوطة بسلسلة فكان مرارًا كثيرة يرجع الى تلك النسخة المربوطة وقلما كان يفهم من هذا الكلام الَّا انهُ كان مع ذلك احب درس اليهِ وحدث احيانًا انهُ صرف يومًا كاملاً في آية واحدة واحيانًا تعلم على ظهر قلبهِ بعض القطع من كلام الانبياء. ورغب على الخصوص ان يحصل من كلام الانبياء والرسل معرفة ارادة الله معرفة تامة لكي ينشو في خوف الرب ويقيت ايمانهُ بشهادة الكلمة الالهية الراهنة

والظاهر انهُ بالقرب من ذلك الوقت ابتدأ يدرس الكتب المقدسة

بلغاتها الاصلية ويضع اساسًا لاكل اشغالهِ وانفعها اي ترجمة الكتاب المقدس واستعمل قاموس ربوخلن العبراني الذي كان قد اشتهر حديثًا ولعل معلمهُ الاول يوحنا لانجي واحد من رهبان الدير رجل ماهر باليوناني والعبراني عاشرهُ دائمًا . واستعمل ايضًا كثيرًا التفسير الجليل لنيقولاوس ليرا الذي توفي سنة ١٣٤٠ . ولهذا قال بفلوج الذي صار بعد ذلك اسقف ناومبرج لو لم يضرب ليرا على اوتارهِ لما رقص لوثيروس قط وفي القول تورية لان معنى ليرا العود

وكان الراهب الشاب يدرس باجتهاد ورغبة هذا مقدارهما حتى حدث مرارًا انهُ لم يصلِّ صلواتهِ اليومية مدة ثلثة او اربعة اسابيع معًا الَّا انهُ عاجلًا خاف من مخالفة رسوم قانونهِ وحينئذٍ حبس نفسهُ في مخدعهِ لكي يجبر النقص وابتدأ يكرر باهتمام كل الصلوات التي قد اهملها غير مفتكر بالاكل ولا الشرب حتى انهُ مرةً بقي ستة اسابيع متوالية لم يطبق عينيهِ في النوم الَّا نادرًا جدًّا

واذ كان مضطرمًا بالرغبة في الحصول على تلك القداسة التي لاجلها دخل الدير استعمل جميع قشف الحيوة التقوية فاجتهد ان يصلب جسدهُ بالاصوام والاماتات والاسهار واذ انحصر في مخدعهِ كانهُ في سجن جاهد بلا انقطاع ضد افكار قلبهِ الماكرة وعواطفهِ المنحرفة . وكان طعامهُ غالبًا قليل من الخبز وشيءٌ من الحشائش وعدا ذلك كان من طبعهِ القناعة الكلية فان اصحابهُ بعد ان دفع الفكر بشراء السماء بواسطة التقشف راوهُ مرارًا كثيرة يقنع نفسهُ باحقر الاطعمة ويبقى اربعة ايام على التوالي من دون اكل ولا شرب كما يشهد بذلك ملانكثون الذي يوثق بشهادتهِ من كل وجهٍ ومن هذا الامر نحكم بفساد الحكاية التي شيعها الجهل والتعصب ضد لوثيروس نظرًا الى شراهتهِ وفي المدة التي كلامنا فيها لم يعزَّ عليهِ شيءٌ الَّا وهو مستعد لتركهِ او لعملهِ لكي يقتني القداسة او يملك السماء ولم تحوِ الكنيسة الرومانية راهبًا اتقى منهُ ولا راى الدير اجتهادًا اشدَّ واثبت لشراء السعادة الابدية بالاعمال وبعد ان صار لوثيروس مصلحًا وحكم بانهُ لا يمكن نوال السماء بمثل تلك الوسائط عرف جيدًا ماذا قال وكتب

الى جرجس دوك سكسونيا قائلاً انني كنت بالحقيقة راهبًا تقيًا واتبعت قوانين رهبنتي بتدقيق لا اقدر ان اعبّر عنهُ فلو قدر الراهب ان ينال السماء بواسطة اعمالهِ الرهبنية لاستحقيتها لا محالة ويشهد لي بذلك جميع الرهبان الذين يعرفونني ولو دام الحال على ذلك مدة اطول لكنت اوصلت تقشفي الى اماتة جسدي موتًا بواسطة سهري وصلواتي ودرسي واتعاب اخر

وها قد قربنا من الوقت الذي جعل لوثيروس انسانًا جديدًا والذي بواسطة اعلانهِ لهُ محبة الله غير المحدودة اهّلهُ على اشهارها للعالم

ان لوثيروس لم يجد في هدو الدير والكمال الرهباني المزعوم بهِ راحة الضمير الذي تطلّبهُ هناك فاراد ان يحصل على الوثيقة بخلاصهِ لان هذه كانت احتياج نفسهِ العظيم وبدونها لم تكن لهُ راحة الآن المخاوف التي ازعجتهُ في العالم تبعتهُ الى مخدعهِ في الدير بل ازدادت هناك كانّ صدا الصوامع اجاب اضعف انين قلبهِ فزادهُ اضعافًا وقادهُ الله الى هناك لكي يعرف نفسهُ وييأس من قوة نفسهِ وفضيلة نفسهِ فان ضميرهُ المستنير بالكلمة الالهية اخبرهُ بما تقوم بهِ القداسة الآ انهُ امتلأ خوفًا عند ما لم يجد في قلبهِ ولا في سيرتهِ القداسة الموصوفة في كلام الله وذلك اكتشافٌ محزنٌ جدًّا يكتشفهُ كل انسان نصوح فلم يكن برٌّ من داخل ولا برٌّ من خارج بل كان كل شيء اهمالاً وخطية ونجاسة وكلما ازداد لوثيروس نشاطًا ازدادت قوة تلك المقاومة السرية الدائمة التي تقاوم بها طبيعةُ الانسان الخيرَ حتى اغرقتهُ في لجة الياس

واما رهبان ذلك العصر ولاهوتيوهُ فشجعوهُ لكي يرضي العدل الالهي بالاعمال الاستحقاقية. اما هو فافتكر اي اعمال يمكن صدورها من قلب نظير قلبي وكيف اقدر ان اقف قدام طهارة دياني باعمال نجسة من نفس مصدرها. قال رايت نفسي خاطئًا عظيمًا امام عيني الله ولم اكن اظن انهُ يمكنني ان ارضيهُ بواسطة استحقاقاتي الذاتية. فكان مزعجًا ومغمومًا واجتنب مخاطبات الرهبان ذات الخفة والبلادة واذ كانوا غير قادرين على ادراك الامواج التي لطمت نفسهُ

نظروا اليهِ بحيرة وبخوهُ على سكوتهِ واغتمامهِ وقد اخبرنا كوكلاوس انهم اذ كانوا يوماً يتلون القداس في المعبد وبينهم لوثيروس تحت شدة اضطراباتهِ وهو في الخورس في وسط الاخوة كئيباً منصدع القلب فلما سجد الكاهن واوقد البخور قدام المذبح ورُتل المجد وكانوا يقرأُون الانجيل لم يقدر الراهب المسكين على ضبط نفسهِ فصرخ بصوت محزن وهو راكع على ركبتيهِ لا انا لا انا فارتعد الجميع من ذلك وتوقف الاحتفال لحظة من الزمان . ولعل لوثيروس سمع حينئذٍ توبيخاً على شيء علم انهُ بري منهُ ولعلهُ جاهر بعدم استحقاقهِ ان يكون واحداً من اولئك الذين حصل لهم موت المسيح عطية الحيوة الابدية

وكان ضمير لوثيروس المنتبه يميل بهِ الى اعتبار اصغر الزلات خطية عظيمة ولم يكشف عن زلة الاَّ واجتهد ان يكفّر عنها باشد الامانات التي لم تفدهُ شيئاً الاَّ كشفها لهُ عن عدم منفعة كل العلاجات البشرية . قال انني كنت اعذب نفسي حتى الموت تقريباً لكي احصل على السلام مع الله لقلبي المضطرب وضميري المنزعج ولكنني اذ كنت محاطاً بظلام كثيف لم اجد راحة

ان قداسة العيشة الرهبنية التي سكَّنت ضمائر كثيرة والتجا اليها لوثيروس نفسهُ في ضيقهِ ظهرت لهُ سريعاً غير نافعة بل انها طريقة مذهب غاش كاذب . قال لما كنت راهباً لم تعترني تجربة الاَّ وصرخت حالاً اني هالك فالتجي الى الف طريقة لكي اسكت صراخ ضميري واذهب كل يوم الى الاعتراف ولم ينفعني ذلك شيئاً . واذ كنت اركع بحزن كنت اعذب نفسي بكثرة افكاري فاصرخ قائلاً ايها الانسان الشقي ها انك لم تزل حسوداً غير صبورٍ غضوباً فلا يفيدك شيئاً دخولك تحت هذا القانون المقدس . وذلك مع انهُ ربي على الاعتقاد بان تلك الاعمال هي العلاج الشافي للنفس المعلولة . ولما امتحنها ووجدها غير كافية تحقق ان الانسان ولو دخل المقدس يحمل في صدرهِ انسان الخطية وانهُ ربما يغير ثوبهُ ولا يغير قلبهُ . فكيف العمل . هل كل هذه القوانين والرسوم اختراعات بشرية . فظن هذا الفكر مرةً تجربة من الشيطان ومرة اخرى رآهُ حقاً لا يُدفع .

واذ كان في مناظرة مع الصوت المقدس الذي تكلم الى قلبهِ ومع الرسوم المعتبرة القديمة صرف المسكين حياته في حرب متواصلة. ومشى نظير خيال في دهاليز الدير التي رثا صداها لحزنهِ فنهك جسمهُ وضعفت قوتهُ واحيانًا وقع كميت

واذ كان مرةً موعبًا من الحزن حبس نفسهُ في مخدعهِ ولم يسمح لاحد ان يدنو منهُ مدة ايام وليالٍ اما لوكاس ادمبرجر واحد من اصحابهِ فانشغل فكرهُ من نحوهِ وعندهُ الاطلاع على حال الراهب التعيس فاخذ معهُ بعض الصبيان المعتادين على الترتيل في الخورس وقرع باب مخدعهِ فلم يكن من يفتح او يجيب وازداد خوف ادمبرجر فكسر الباب ووجد لوثيروس منطرحًا على الحضيض لا تظهر عليهِ علامات الحيوة فحاول باطلاً افاقتهُ فلم يتحرك فابتدأ حينئذٍ الاولاد يغنون نشيدة حلوة فكانت اصواتهم الرائقة كرقية للراهب المسكين الذي كان يلتذ دائمًا في الترتيل فاخذ في الاستفاقة بالتدريج من اغمائهِ والترتيل سكن روعهُ حينًا يسيرًا ولكنهُ احتاج الى دواءٍ آخر واقوى لشفائهِ على التمام. واحتاج الى ذلك الصوت اللين الحكيم صوت الانجيل الذي هو صوت الله نفسهِ (امل ٩ ١٢:١) وعرف ذلك جيدًا ولهذا قادتهُ اضطراباتهُ ومخاوفهُ الى ان يدرس بغيرة جديدة كتابات الرسل والانبياء

الفصل الرابع

لوثيروس وستوبتز

ان لوثيروس لم يكن اول راهب اعترتهُ هذه التجارب فان جدران الاديرة المظلمة غالبًا سترت اشر الرذائل التي لو كُشفت لجعلت كل ضمير مستقيم يرتعد الّا انها ايضًا سترت فضائل مسيحية انتشرت هناك بالهدو ولو اطّلع العالم على تلك الفضائل لاخذهُ العجب منها. واذ كان اصحاب هذه الفضائل يعيشون مع

انفسهم ومع الله فقط لم يُلتفت اليها ومراراً كثيرة لم تُعرف في نفس الدير الذي كانت فيهِ غير ان سيرتهم كانت معروفة لدى الله وحدهُ . واحياناً وقع هولاء المتوحدون في نوع من التصوُّف وهو علة تعتري ادق العقول فاصابت في القرون الاول الرهبان الاولين على شطوط النيل وهو يفني من دون فائدة انفس الذين يقعون فيهِ . ولو رُفع احد هولاء الى درجة سامية لاظهر هناك فضائل استمر فعلها واتسع ولو وُضع السراج على منارة لاضاء كل البيت وانتبه كثيرون بواسطة هذا النور وهكذا من دور الى دور تسلسلت هذه الانفس الصالحة لامعة كمصابيح منفردة في نفس الازمنة التي فيها كانت الاديرة على الغالب مقرًّا لانجس الرذائل

كان في دير من الاديرة الجرمانية شاب اسمهُ يوحنا ستوبتز من عائلة مسنيانية شريفة احب منذ نعومة اظفارهِ المعرفة والفضيلة وشعر بلزوم الانفراد لكي يفرغ نفسهُ للعلوم. الَّا انهُ وجد سريعاً ان الفلسفة ودرس الطبيعيات لا يفيد كثيراً في امر الخلاص الابدي فاخذ في درس اللاهوت لكنهُ اجتهد بنوعٍ خصوصي ان يقرن المعرفة بالعمل وحسب شهادة بعض مورخيهِ قال باطلاً نتسمى لاهوتيين ان لم يوافق سلوكنا هذا اللقب الشريف ودرس الكتاب المقدس ولاهوت اوغسطينوس ومعرفة ذاتهِ والجهاد الذي جاهدهُ نظير لوثيروس في محاربة اخاديع قلبهِ وشهواتهِ اقتادتهُ الى الفادي فوجد راحة لنفسهِ في الايمان بالمسيح وتعليم الانتخاب بالنعمة تمكن في ضميرهِ واستقامة حياتهِ وسعة معرفتهِ وفصاحة منطقهِ وحسن خلقهِ واخلاقهِ جعلتهُ محبوباً لدى اهل عصرهِ . وفردريك الملقب الحكيم ملك سكسونيا اتخذهُ صديقاً لهُ واستخدمهُ في امور كثيرة مهمة واسس مدرسة وتمبرج تحت نظارتهِ . وكان تلميذ القديس بولس والقديس اوغسطينوس وهو اول اللاهوتيين في تلك المدرسة العتيدة ان يخرج منها نورٌ يضيءُ مدارس وكنائس شعوب هذا مقدارها وحضر في المجمع اللاتراني وكيلاً لرئيس اساقفة سلتزبرج وصار رئيساً لقانونهِ في ثورنجيا وسكسونيا واخيراً

نائباً عامّاً الرهبان مار اوغسطينوس لكل جرمانيا

واغتمّ ستوبتز من جرى فساد الآداب وخطاء التعاليم المفسدة الكنيسة كما يتضح ذلك باجلى بيان من كتاباتهِ عن محبة الله وعن الاقتداء بموت المسيح ومن شهادة لوثيروس الاّ انهُ حسب الشر الاول اهم من الثاني . وعدا ذلك وداعتهُ وعدم ثبات عزمهِ مع رغبتهِ في ان لا يتجاوز حدود دائرة العمل الذي ظنّ انهُ مختص بهِ جعلتهُ اكثر لياقة ليكون مصلح دير من ان يكون مصلح كنيسة فرغب ان لا يرقي احداً الى الوظائف المعتبرة الاّ المشاهير من الناس واذ لم يجد مثل هولاء ارتضى بتولية غيرهم . قال يجب ان نحرث على الخيل اذا وُجدت وعلى الثيران حيث لا خيل

قد ذكرنا الكآبة والمقاتلات الداخلية التي كان لوثيروس فريسةً لها في دير ارفرث . وفي ذلك الوقت بُشّر بان النائب العام قادمٌ . وفي الوقت اتى ستوبتز لكي يزور الزيارة المعتادة . اما صديق فردريك هذا موسس مدرسة وتمبرج ورئيس الاوغسطينيين فابدى كثيراً من المعروف نحو الرهبان الذين تحت سلطانهِ ووقع نظرهُ على واحدٍ من هولاء الاخوة وهو شابٌ معتدل القامة قد اضنكهُ الدرس والصوم والاسهار المستطيلة حتى لأُلأْت عظامهُ تحت جلدهِ وعيناهُ غائرتان ومنظرهُ منخفض ذليل ووجههُ دالٌّ على اضطراب في ضميرهِ وهو عرضةٌ لآلاف من المقاتلات ومع ذلك كان قويّاً نشيطاً وكل ظاهرهِ رزيناً كائباً ذليلاً واذ تمرنت فراستهُ بطول الاختبار اطّلع بسهولة على ما جال في عقلهِ وميز الراهب الفتى دون جميع الذين احدقوا بهِ وشعر بالانجذاب نحوهُ وعلم بما لهِ العظيم ومال ميلاً ابويّاً نحو مرؤوسهِ هذا . فانهُ كان قد اصابهُ ما اصاب لوثيروس من الحرب الداخلية ولهذا فهم احوالهُ وعرف كيف يرشدهُ الى طريق السلام التي كان قد وجدها هو نفسهُ . وما اطّلع عليهِ من الظروف التي جاءت بلوثيروس الى الدير زادهُ ايضاً شفقةً عليهِ فطلب من الرئيس ان يعاملهُ باكثر لطافة واعطى في مدة اقامتهِ هناك دالةً للاخ الشاب عليهِ . واذ دنا بهِ

اليهِ بمحبة اجتهد بكل الوسائط ان ينفي عنهُ خوفهُ الزائد بسبب الاعتبار والهيبة اللذين لا بد من وجودهما بالضرورة نحو شخص ذي رتبة سامية كستوبتز

اما قلب لوثيروس الذي اغلقتهُ المعاملات الجافية الى ذلك الوقت فانفتح حينئذٍ وانبسط تحت اشعة المحبة اللطيفة (راجع ام ٢٧:١٩) كما في الماء الوجهُ للوجهِ كذلك قلب الانسان للانسان . ووجد قلب لوثيروس مجاوبة في قلب ستوبتز فالنائب العام فهم ذلك والراهب شعر بدالة نحوهُ لم يشعر بمثلها نحو غيرهِ فكشف لهُ سبب انكساف بالهِ واخبرهُ بالافكار المرهبة التي ازعجتهُ . وحينئذٍ ابتدأت في دير ارفرت تلك المفاوضات المملوة من الحكمة والتعليم . والى ذلك الوقت لم يكن احدٌ قد فهم حال لوثيروس واذ كانوا يومًا على المائدة في بيت الاكل والراهب الشاب ذليل ساكت حتى انهُ بالكد يمس طعامهُ قال لهُ ستوبتز بعد ان نظر اليهِ متفرسًا فيهِ لماذا انت حزين هكذا ايها الاخ مرتينوس فاجاب بانين عميق آه اني لا اعلم ماذا يصيبني . فقال ستوبتز ان هذه التجارب لهي اوجب لك من الاكل والشرب . فلم يقف هذان الرجلان على هاتين الكلمتين ولم يمضِ سوى مدة قصيرة حتى حصلت في الدير تلك المفاوضات الودادية التي ساعدت كثيرًا في انتشال المصلح من حالهِ المظلمة

قال لوثيروس موئسًا لستوبتز انني باطلاً اعهد الله عهودًا كثيرة فان الخطية هي دائمًا الاقوى . فاجاب النائب العام ناظرًا الى ما سبق من اختبارهِ في نفسهِ انني قد حلفت اكثر من الف مرة لالهنا القدوس بان اعيش بالتقوى ولم احفظ قط نذوري . واما الآن فاني لا احلف ايضًا لاني عالم باني لا اقدر ان افي عهودي فان لم يرحمني الله حبًا بالمسيح ويمنحني انتقالاً سعيدًا عند ما اترك هذا العالم فاني لا اقدر ابدًا بمساعدة جميع نذوري وجميع اعمالي الصالحة ان اقف قدامهُ بل اهلك لا محالة

وكان الراهب يخاف عند الافتكار بعدل الله فكشف عن كل خوفهِ للنائب العام وارتعد من قداسة الله التي لا توصف وجلالهِ السامي . ومن يحتمل

يوم مجيئهِ ومَن يثبت عند ظهوره (مل ٣: ٢) واذ عرف سنو بتز ابن توجد الراحة ارشد الشاب اليهِ قائلاً لماذا تعذب نفسك بكل هذه الافكار السامية انظر الى جروح يسوع والى الدم الذي سفكهُ من اجلك فهناك تظهر لك نعمة الله وعوضًا عن ان تزعج نفسك بسبب خطاياك اطرح نفسك بين يدي الفادي فاتكل عليهِ على برارة حياتهِ وكفارة موتهِ ولا تنقبض عنهُ منذ برًا فان الله ليس غضبان عليك ولكنك انت غضبان على الله فاصغَ الى ابن الله فانهُ قد صار انسانًا لكي يعطيك وثيقة النعمة الالهية وهو يقول لك انت خروفي فاسمع صوتي ولا احد يخطفك من يدي

واذ لم يجد لوثيروس في نفسهِ التوبة التي افتكر انها ضرورية للخلاص اجاب بما من عادة ذوي الضمائر المتضايقة ان تجيب بهِ قائلاً كيف اقدر ان اتجاسر على الاعتقاد بحصولي على نعمة الله ما دمت خاليًا من الرجوع الحقيقي فيجب ان اتغير قبل ان يقبلني

فبيّن لهُ مرشدهُ المعتبر انهُ لا يمكن الرجوع الحقيقي ما دام الانسان خائفًا من الله كقاضٍ قاسٍ. فسالهُ لوثيروس فماذا تقول اذًا للضمائر الكثيرة المامورة بآلاف من الاعمال التي لا تطاق لنوال السماء. ثم طرق مسامعهُ جواب النائب العام او بالحري لم يصدق بانهُ قول انسان بل ظهر لهُ كصوت من السماء. قال لا توجد توبة حقيقية الاَّ التي تبتدئ بمحبة الله ومحبة البرّ وما يتوهم الاخرون انهُ نهاية التوبة وكمالها انما هو بالعكس ابتداؤُها ولكي تمتلئ محبةً لما هو صالح يجب ان تمتلئ اولاً من محبة الله فاذا رغبت ان ترجع فلا تعتمد على جميع هذه الامانات وهذه العذابات بل احب الذي احبك اولاً

فاصغى اليهِ لوثيروس برغبة وملأتهُ هذه التعزيات فرحًا لم يعرفهُ قبل واشرق عليهِ نور جديد فافتكر في ضميرهِ ان يسوع المسيح نعم ان يسوع المسيح نفسهُ هو الذي يعزيني تعزية عجيبة بواسطة هذه الكلمات الحلوة الشافية

ولا شك ان تلك الكلمات دخلت الى اعماق قلب الراهب كسهمٍ حاد

رشقةُ انسان قوي . لكي نتوب يجب ان نحب الله . واذا اهتدى بواسطة هذا النور الجديد ابتدأ يقابل الكتب المقدسة مفتشًا على جميع الآيات المتعلقة بالتوبة والرجوع وتلك الكلمات التي خاف منها فيما مضى صارت له كما قال درسًا مقبولاً والذَّ نزهةٍ . وجميع آيات الكتب المقدسة التي خوَّفتهُ ظهرت حينئذٍ انها تجري اليهِ مسرعة من كل جهة وتبتسم وتضحك حوله

قال لوثيروس مع اني الى ذلك الوقت كنت باهتمام اذلل نفسي قدام الله واجتهد ان اظهر نحوهُ محبة كانت محض اضطرار وخداع لم يوجد في الكتب المقدسة لفظة امرّ لديَّ من لفظة التوبة آه ما ابهج كلمات الله عندما نقراها ليس في الكتب فقط بل في جروح يسوع المسيح الكريمة ايضًا

ومع انهُ تعزى بكلمات ستوبتز وقع احيانًا في الياس فان ضميرهُ الضعيف شعر بالخطية ايضًا وحينئذٍ نفى يأسهُ كل فرح الخلاص فصرخ يومًا بحضرة النائب العام اواه خطيتي خطيتي خطيتي فاجابهُ النائب هل انت خاطى لا في الظاهر فقط وهل لك ايضًا مخلص في الظاهر فقط ثم استتلى قائلاً اعلم ان يسوع المسيح هو مخلص الذين هم خطاة كبار حقيقيون ممن يستوجب الهلاك الابدي

ولم يكن مجرد الخطية التي اكتشفها لوثيروس في قلبهِ ما ازعجهُ بل زادت انزعاجات ضميرهِ بواسطة انزعاجاتهِ في امور عقلية واقلقتهُ بعض وصايا الكتاب المقدس الطاهرة وبعض تعاليم هذا الكتاب زادت ايضًا عذاباتهِ . فالحق الذي هو الواسطة العظيمة التي بها يسبغ الله الراحة على الانسان يجب ان يبتدئ بالضرورة بنزعهِ منهُ الوثيقة الكاذبة التي تهلكهُ . ومما ازعجهُ على نوع خصوصي تعليم الانتخاب والقاهُ في بحث لا قرار لهُ فهل يعتقد بان الانسان انتخب الله اولاً نصيبًا لهُ او بان الله انما هو الذي اختار الانسان اولاً . فالكتاب المقدس والتاريخ والاختبار اليومي وتصانيف اوغسطينوس قد اوضحت باجمعها انهُ يجب علينا دائمًا وفي جميع الاحوال ان نرتقي الى تلك العلة الاولى وتلك الارادة المطلقة

التي بها أُوجِد كل شيءٍ وعليها تتوقف جميع الاشياء لكنهُ بسبب حميتهِ اراد ان يرتقي الى ما فوق ذلك ايضًا فاحب ان ينفذ الى اعماق راي الله ويكشف عن غوامضهِ ويرى ما لا يُرَى ويُدرِك ما لا يُدرَك . واما ستوبتز فردعهُ قائلاً لهُ ألاَّ يحاول ان يقيس الاله المكنون بل يقصر نفسهُ على ما اظهرهُ تعالى لنا بيسوع المسيح وقال لهُ انظر الى جروح المسيح وحينئذٍ ترى احكامهُ نحو بني البشر تشرق لامعة ولا نقدر ان نفهم ذلك بدون يسوع المسيح قال الرب بهِ تجدون ماذا انا وماذا اطالب ولا تقدرون ان تجدوا ذلك في مكان آخر لا في السماء ولا على الارض

وفعل النائب العام اكثر من ذلك ايضًا فانهُ بيَّن للوثيروس مقاصد العناية الابوية في سماحها بتلك التجارب والحروب المختلفة والتي كانت نفسهُ تتكبدها واراهُ اياها على كيفية تقوّي عزائمهُ فبهذهِ التجارب يعدُّ الله لذاتهِ الانفس التي يتخذها آلةً لعمل مهم. فيجب ان نختبر السفينة قبل القائها في البحر الواسع واذا كان التهذيب ضروريًا لكل انسان فالتهذيب المخصوص للذين قد حكم بان يكونوا قواد عصرهم. فهذا ما اظهرهُ ستوبتز لراهب ارفرث اذ قال لهُ ان تمرين الله اياك في حروب كثيرة هكذا ليس باطلاً فانك سوف ترى انهُ يستخدمك عبدًا لهُ في امور عظيمة

فهذه الكلمات التي اصغى لوثيروس اليها بحيرة وتواضع ملأتهُ شجاعةً وارتهُ في نفسهِ قوة لم يكن يظن انها موجودة فيهِ وحكمة هذا الصديق المستنير ومهارتهُ اظهرت شيئًا فشيئًا الرجل القوي لنفسهِ . ثم ان ستوبتز زاد على ذلك بنصحهِ اياهُ نصائح كثيرة ثمينة في دروسهِ اذ حثهُ على ان يستخرج من ذلك الوقت فصاعدًا كل لاهوتهِ من الكتاب المقدس ويلقي بعيدًا عنهُ طرق المدارس قائلاً لهُ ليكن درس الاسفار المقدسة شغلك المحبوب . وما من احد تبع مشورة صالحة اكثر مما تبع لوثيروس هذه المشورة والذي سر لوثيروس على الخصوص هو اهداء ستوبتز اياهُ نسخةً من الكتاب المقدس لكنها لم تكن تلك النسخة اللاتينية

المشدودة بجلد احمر ملك الدير التي رغب رغبة شديدة في اقتنائها وحملها معهُ من مكان الى آخر لانهُ اعتاد على صفحاتهِ وعلم اين يجد كل آية طلبها . ولكن صارت تحت يدهِ خزنة الله من ثم فصاعدًا واخذ يدرس الكتب المقدسة بغيرة متزايدة ولاسيما رسائل بولس الرسول واضاف الى ذلك تصانيف اوغسطينوس فقط وكل ما قراهُ انغرس في اعماق قلبهِ وعلمهُ جهادهُ فهم الكلمة الالهية . فان الحقل قد حُرِث جيدًا ولذلك غرق فيهِ الزرع غير البالي ولم ينطلق ستوبتز من ارفرت حتى اشرق نورٌ جديد على لوثيروس

ولكن العمل لم يكن قد كمل بعد . فالنائب العام اعدَّ الطريق لهُ واما الله فحفظ تكميلهُ لآلة اضعف وضمير الاوغسطيني الشاب لم يجد راحةً بعد . واما جسدهُ فقُهِر تحت حرب نفسهِ وانبساطها فاصابهُ مرضٌ اوصلهُ الى حافة القبر وكان ذلك في السنة الثانية من اقامتهِ في الدير فاشتدَّت ضيقاتهُ ومخاوفهُ عند قرب الموت وكانت خطاياهُ وطهارة الله تزعج ضميرهُ واذ كان ذات يوم مضطجعًا على فراشهِ والموت محدق بهِ من كل جهة دخل راهبٌ شيخٌ الى مخدعهِ وخاطبهُ ببعض العبارات المعزية ففتح لهُ لوثيروس قلبهُ وعرَّفهُ بالمخاوف التي تعذبهُ . اما الشيخ الوقور فلم يقدر ان يتتبَّع تلك النفس في جميع شكوكها كما فعل ستوبتز ولكنهُ عرف قانون ايمانهِ ووجد فيهِ تعزية كبيرة لقلبهِ ولهذا استعمل نفس هذا العلاج لاخيهِ الشاب ورجَّعهُ الراهب الشيخ الى ذلك القانون الرسولي الذي كان لوثيروس قد تعلمهُ في صباهُ في مدرسة منسفلدت وكرَّر عليهِ ببشاشةٍ ومحبةٍ قول القانون اومن بغفران الخطايا . فهذه الكلمات البسيطة التي نطق بها الراهب التقي بنصاحةٍ في هذه الدقيقة الاخيرة عزت قلب لوثيروس تعزيةً عظيمة وبعد قليل قال في نفسهِ وهو على سرير مرضهِ انا اومن بمغفرة الخطايا فقال الراهب آه يجب ان تؤمن لا بمغفرة خطايا داود وبطرس فقط لان الشياطين انفسهم يؤمنون بذلك ولكن الله قد امر ان نؤمن بان خطايانا قد غُفِرت . فكم كانت هذه الوصية تسر لوثيروس المسكين . ثم قال لهُ الراهب

الشيخ اسمع ما يقول القديس برنردوس في خطابهِ على البشارة ان شهادة الروح القدس في قلبك هي هذه قد غُفِرت لك خطاياك

ومن تلك اللحظة اشرق النور في قلب راهب ارفرت الشاب . نُطِق بكلمة النعمة واقرَّ هو بها فترك دعوى كل استحقاق للخلاص وسلم نفسهُ بثقةٍ لنعمة الله بيسوع المسيح . وهو لم يرَ في اول الامر ما هي نتائج المبدا الذي قد سلَّم بهِ فانهُ لم يزل مخلصاً في تعلقهِ بالكنيسة البابَاوية الآ انهُ لم يبقَ لهُ بعد احتياج اليها لانهُ قَبِل الخلاص من الله نفسهِ بدون واسطة ومن ذلك الوقت فصاعدًا تلاشى المذهب البابَاوي من قلبهِ فاخذ في التقدُّم وابتدأ يطلب في كتابات الانبياء والرسل كل ما يأول الى تقوية الرجاء الذي ملأَ قلبهُ فطلب كل يوم عونًا من العلاء وازداد ايضًا كل يوم النور في نفسهِ . وصحتهُ العقلية ردت اليهِ صحتهُ الجسدية فقام سريعًا من سرير مرضهِ وحصل على حيوة جديدة نفسًا وجسدًا

ولما مرَّ على لوثيروس سنتان في الدير وكان عتيدًا ان يُسام قسيسًا كان قد استفاد كثيرًا ونظر بفرحٍ كيف تفتح لهُ وظيفة الكهنوت بابًا ليفيد الاخرين بما كان قد اكتسبهُ وقصد ان يستفيد من الاحتفال القريب الوقوع المصالحة الكاملة مع ابيهِ فدعاهُ الى الحضور طالبًا منهُ ايضًا ان يعيّن اليوم. اما يوحنا لوثيروس فمع انهُ لم يكن قد صالحهُ على التمام قبل الدعوة وعيَّن لذلك الاحد الواقع في ٢ ايار سنة ١٥٠٧ وكان من جملة اصدقاء لوثيروس يوحنا براون نائب ايسناخ . كان مشيرًا صادقًا لهُ في مدة اقامتهِ في تلك المدينة . وكتب لوثيروس اليهِ في ٢٢ نيسان ومكتوبهُ هذا اليهِ هو اقدم مكاتيب هذا المصلح وهذا عنوانهُ الى يوحنا براون الكاهن القديس الموقر للمسيح ولمريم (ولا يوجد اسم مريم في مكاتيب لوثيروس سوى مكتوبين هما اقدم مكاتيبهِ) ان الله المجد القدوس في جميع اعمالهِ بما انهُ قد تنازل بانعامٍ عظيم لكي يرفعني انا الشقي والخاطي العديم الاستحقاق من كل وجهٍ ويدعوني برحمتهِ الوحيدة المجانية الى خدمتهِ السامية يجب عليَّ لكي اشهد بشكري لهذه الجودة الالهية الفائقة ان اكمل

من كل قلبي اقلما يكون على قدر ما يستطيعهُ رماد وتراب جميع واجبات هذه الوظيفة المستودعة بيدي

ولما اتى اليوم المعيَّن لم يتأَخر معدني منسفلدت عن القدوم ليحضر رسامة ابنهِ . واعطاهُ علامةً ثابتةً لمحبتهِ وسخائهِ عشرين فلورينًا

وعند احتفال الرسامة سامهُ هيرونيموس اسقف برَندنبرج . وعند ما أُعطي لوثيروس سلطان التقديس وضع الكاس بيدهِ ونطق بهذه الكلمات المعتبرة اقبل سلطان تقديم الذبيحة عن الاحياء والاموات . فاصغى لوثيروس حينئذٍ بهدوٍّ الى هذه الكلمات التي اعطتهُ سلطانًا ان يعمل عمل ابن الله الآانهُ في السنين التابعة اقشعر منها قائلاً ان الارض لم تفتح فاها وتبتلعنا هو من عظمة صبر الرب وطول اناتهِ وبعد ذلك تناول الاب الطعام في الدير مع ابنهِ الخوري الجديد واصدقائهِ والرهبان . فاخذوا في الحديث على دخول مرتينوس الى الدير ومدح الرهبان ذلك كانهُ من الاعمال الاكثر استحقاقًا اما يوحنا المصرّ على فكرهِ الاول فالتفت الى ابنهِ وسألهُ ألم تقرا في الكتاب المقدس انهُ يجب عليك ان تطيع اباك وامك . فاثرت هذه الكلمات بلوثيروس وذكَّرتهُ على نوع جديد العمل الذي جاء بهِ الى الدير وبقيت مدة طويلة تتردد في قلبهِ . وبعد ما ارتسم لوثيروس بمدة قليلة اخذ في سفر قصير ماشيًا الى الابرشيات والاديرة المجاورة حسب مشورة ستوبتز وذلك اما لينزه عقلهُ ويعطي جسمهُ الرياضة الضرورية او ليعوّدهُ الوعظ

وكان عيد جسد المسيح عتيدًا ان يقام باحتفال عظيم في ايسلابن والنائب العام عتيد ان يحضر هناك فتوجه لوثيروس ايضًا الى هناك اذ كان لم يزل محتاجًا الى ستوبتز ولهذا التمس كل فرصة للاجتماع بهذا المرشد المستنير الذي قاد نفسهُ الى طريق الحيوة فكان الاحتفال حافلاً وزاهرًا وستوبتز نفسهُ حمل البرشانة ولوثيروس تبعهُ لابسًا ثيابهُ الكهنوتية والفكر بان الذي حملهُ النائب العام هو يسوع المسيح نفسهُ وبان المخلص هناك شخصهُ امامهُ اثر بغتةً بمخيلة

لوثيروس وملاهُ رعبةً هذا مقدارها حتى انهُ بالكد قدر على التقدم فتساقط العرق نقطًا نقطًا عن وجههِ وتاخر وافتكر انهُ يموت من الكآبة وشدة الخوف واخيرًا انتهى الاحتفال وُوضع الجسد المزعوم بهِ الذي نبَّه جميع مخاوف لوثيروس بوقار في المقدس. واذ وجد لوثيروس نفسهُ منفردًا مع ستوبتز سقط بين يديهِ واعترف بخوفهِ. وحينئذٍ ذلك النائب العام الصالح الذي عرف من زمان طويل ذلك المخلص اللطيف الذي لا يكسر القصبة المرضوضة قال لهُ بحلم ليس هو يسوع المسيح يا اخي. يسوع المسيح لا يخيف بل انما يعزّي. ولم تكن ارادة الله ان يبقى لوثيروس مخفيًا في دير منفرد بل حضر الوقت لانتقالهِ الى مكان اوسع وستوبتز الذي كان لوثيروس في عشرتهِ دائمًا راى واضحًا ان طبيعة هذا الراهب الشاب النشيطة لا يجب حصرها في دائرة ضيقة مثل تلك فتكلم عنهُ مع ملك سكسونيا. وفي سنة ١٥٠٨ وربما في اخرها دعا هذا الملك المستنير لوثيروس لكي يصير استاذًا في مدرسة وتمبرج وفي ذلك الحقل كان عتيدًا ان يقاتل مقاتلات كثيرة صعبة وشعر لوثيروس بان دعوتهُ الحقيقية هي الى هناك فطُلب منهُ ان يحضر الى موضعهِ الجديد بكل سرعة فاجاب دعوة الداعي من دون ابطاء ولسرعة انتقالهِ لم يحصل على وقت لكي يكاتب ذلك الذي لقبهُ معلمهُ واباهُ المحبوب يوحنا براون خوري ايسناخ ولكنهُ كتب اليهِ بعد اشهر قليلة قائلاً ان انتقالي كان سريعًا حتى ان الذين كنت عائشًا معهم بالكد عرفوهُ. قد ابتعدت عنك الآن شطري الافضل باقٍ عندك. وكان لوثيروس قد مكث ثلاث سنين في دير ارفرث

الفصل الخامس

لوثيروس في مدرسة وتمبرج الكلية . تعاليمهُ ومواعيظهُ

انهُ في سنة ١٥٠٢ انشأ فردريك ملك سكسونيا مدرسة جديدة في وتمبرج

وذكر في براءة تلك المدرسة السامية وانعاماتها انهُ هو وشعبة يعتبرونها مُرشدة ولم تخطر لهُ ببال في ذلك الوقت كيفية نجاز قواهِ . ورجلان من مضادي الطريقة الفلسفية وهما يوليخ من مارستادت استاذ الطب والفقه والفلسفة وستوبتز كان لهما يد قوية في تشييد تلك المدرسة واختارت المدرسة القديس اوغسطينوس قديسها ولهذا الانتخاب معنى عظيم . فتلك المدرسة التي كانت لها حرية عظيمة وحُسِبت نظير مجلس تُرفَع اليهِ الدعاوي لجزمها في جميع الامور الصعبة ناسبت جدًّا ان تكون سرير الاصلاح وساعدت مساعدة قوية في تقدم لوثيروس ونجاح عملهِ

ولما وصل لوثيروس الى وتمبرج انطلق الى دير رهبان مار اوغسطينوس حيث أُعِدَّ لهُ منزل لانهُ مع كونهِ معلمًا لم يزل راهبًا ودُعي لكي يعلّم الطبيعيات والمنطق واذ اقاموهُ على هذه الوظيفة لا بد انهم لاحظوا علومهُ الفلسفية التي درسها في ارفرث ورتبة معلم الفنون التي رُقي اليها . وهكذا التزم لوثيروس وهو جائع عطشان في طلب كلمة الله ان يتفرغ لدرس الفلسفة الارسطوطاليَّة دون كل شيء غيرها تقريبًا . وكان محتاجًا الى خبز الحيوة الذي يعطيهِ الله للعالم والتزم ان يشتغل في الفنون البشرية فكم انحصر وكم تنهد تحت هذا الاضطرار وكتب الى براون قائلاً اني بنعمة الله في خير الاَّ انني التزم بدرس الفلسفة بكل قدرتي فانني منذ الدقيقة الاولى من وصولي الى وتمبرج رغبت جدًّا ان ابدل ذلك بعلم اللاهوت ولكن (لئلاَّ يُظن انهُ اراد علم اللاهوت كما كان جاريًا في تلك الايام استثنى قائلاً) كلامي عن علم لاهوت يطلب لب الجوزة لا قشرها والقمح لا التبن والمخ لا العظام . ثم قال بتلك الثقة التي هي حياتهُ نفسها . كيفما كان الله هو الاله . والانسان هو على الاكثر مخطئ في احكامهِ ولكن هذا هو الهنا وهو يقودنا بجودهِ الى ابد الابدين اه . العلوم التي التزم لوثيروس بدرسها افادتهُ جدًّا لانها اعدتهُ لمحاربة خطباء المدرسيين في السنين التابعة

ولكنهُ لم يقدر ان يقف عند هذا الحد وعن قريب فاز بمرغوب قلبهِ

ونفس القوة التي دفعتهُ قبل ذلك ببعض السنين من الحكمة الى العيشة الرهبانية دفعتهُ حينئذٍ من الفلسفة الى الكتاب المقدس فاجتهد بغيرة في اتقان اللغات القديمة ولاسيما العبراني واليوناني لكي يحصل المعرفة والعلوم من نفس الينابيع التي انبثقت منها وكل حياتهِ لم يكل من العمل. وبعد وصولهِ الى المدرسة باشهر قليلة ابتغى درجة معلم اللاهوت فنالها في اخر اذار سنة ١٥٠٩ مع الحث على تفريغ نفسهِ للاهوت المبني على الكتاب المقدس والتزم كل يوم بعد الظهر بساعة ان يعلّم من الكتاب المقدس ويا لها من ساعة كريمة لكل من المعلم والتلاميذ زادتهم تعمقًا في المعاني الالهية المتضمنة في تلك الالهامات المفقودة مدة طويلة من عند الشعب والمدارس

فابتدأ بتفسير المزامير ثم انتقل الى رسالة بولس الى اهل رومية ودخل نور الحق قلبهُ على الخصوص عند تاملهِ بتلك الرسالة وصرف ساعات متتابعة وهو في مخدعهِ المنفرد في درس الكلام الالهي ورسالة مار بولس هذه موضوعة امامهُ وفي ذات يوم وصل الى العدد السابع عشر من الاصحاح الاول فقرا هذه العبارة من نبوة حبقوق ان البار بحيا بالايمان فأثّر هذا القول فيهِ كثيرًا فقال في نفسهِ اذًا للبار حيوة تختلف عن حيوة الاخرين وهذه الحيوة هي عطية الايمان وهذا الوعد الذي قبلهُ في قلبهِ كانّ الله نفسهُ غرسهُ هناك كشف لهُ سر الحيوة المسيحية وزاد فيهِ تلك الحيوة. وبعد ذلك بعدة سنين اذ كان مشتغلاً في مصالحهِ العديدة خُيّل لهُ كانهُ لم يزل يسمع هذه الكلمات ان البار بحيا بالايمان

ثم ان خطب لوثيروس المعدة على الكيفية المشار اليها قلما اشبهت ما سُمِع في هذا الشان قبل ذلك الوقت ولم يكن المتكلم معلم فصاحة بليغًا ولا مدرسيًا بل مسيحيًا قد شعر بقوة الحقوق الموحى بها التي اتخذها من الكتاب المقدس وافاضها من ذخائر قلبهِ واجهرها جميعًا مملوة من الحيوة لسامعيهِ المندهلين منهُ فلم يكن تعليمهُ تعليم انسان بل تعليم الله

وهذه الطريقة الحديثة بالتمام لتفسير الحق حصل منها ضجة عظيمة وانتشرت

اخبارها طولاً وعرضًا وجذبت الى المدرسة المقامة حديثًا جمهورًا من التلاميذ الشبان الغرباء حتى ان كثيرين من المعلمين حضروا لاستماع خطب لوثيروس ومن جملتهم ملرستادت الذي لُقّب مرارًا كثيرة نور العالم وكان اول مدير للمدرسة وقبل ذلك وهو في ليبْسِك قاوم بنشاط التعاليم المدرسية المضحكة وانكر ان النور المخلوق في اليوم الاول هو علم اللاهوت حسب تعليم الرهبان واعتقد بان درس الآداب يجب ان يكون اساس ذلك العلم . قال ان هذا الراهب سوف يخجل جميع العلماء ويدخل تعليمًا حديثًا ويصلح كل الكنيسة لانهُ يبني على كلمة المسيح وليس احد في العالم يقدران يقاوم او يهدم تلك الكلمة حتى ولو قاومها بجميع سلاح الفلسفة والسفسطيين والرواقيين والالبرتيين والتوماويين وبكل الترتارينوس (هو كتاب من الكتب المعتبرة في ذلك الوقت)

اما ستوبتز الذي كان آلة لله في اظهار جميع المواهب والذخائر المكنونة في لوثيروس فطلب منهُ ان يعظ في كنيسة الاوغسطينيين . واما المعلم الشاب فابى ذلك لانهُ رغب في ان يبقى محصورًا في واجباتهِ للمدرسة وارتعد من الفكر بتحمُّل واجبات القسيسية فوقها وعبثًا طلب ستوبتز ذلك منهُ . اجابهُ لالا . انهُ ليس امرًا زهيدًا ان نخاطب الناس في مكان الله اه فيا لهُ من تواضعٍ عميق في هذا المصلح العظيم للكنيسة . واما ستوبتز فاصرَّ على طلبهِ . واما لوثيروس الذكي فكما قال واحد من كاتبي سيرتهِ وجد خمس عشرة حجة للاستعفاء من اجابة هذا الطلب واخيرًا اذ لم يزل رئيس الاوغسطينيين على اصرارهِ قال لوثيروس آه يا دكتور انك بهذا العمل تعدمني حياتي فاني لا اقدر على احتمال ذلك ثلثة اشهر . فاجاب النائب العام حسنًا فليكن كذلك باسم الله . لان الرب الهنا يحتاج في العلاء الى اناس اتقياء ماهرين . فالتزم لوثيروس ان يسلّم لارادتهِ

كان في وسط الساحة في وتمبرج كنيسة قديمة من خشب طولها ثلثون

قدمًا وعرضها عشرون قدمًا وكانت جدرانها المدعومة من كل جهة آخذة في الدمار فارتقى الواعظ منبرًا من الواح ارتفاعهُ ثلاثة اقدام وفي ذلك المكان الحقير ابتدأ وعظ الاصلاح . وكانت ارادة الله ان يكون للعتيد ان يرد مجدهُ احقر ابتداء فان اساسات كنيسة الاوغسطينيين الجديدة كانت قد وُضِعت حديثًا ولهذا التزموا باستعمال ذلك المكان الخرب للعبادة . قال ميكونيوس واحد من معاصري لوثيروس الذي يذكر هذه الظروف ان هذا البناء تليق مقابلتهُ بالاسطبل الذي وُلد فيهِ المسيح . فان الله ارتضى انهُ في ذلك المكان الحقير يولد ابنهُ الحبيب ثانيةً . وبين تلك الآلاف من الكنائس المتروپولية والبلدية التي ملأت العالم لم توجد كنيسة في ذلك الزمان اختارها الله للتبشير المجيد بالحيوة الابدية

وعظ لوثيروس وكان كل شيء في هذا الخادم الجديد موثرًا في السامعين فان وجهه المتكلم وهيئتهُ الشريفة وصوتهُ الرائق الرنّان سبت كل سامعيهِ . وكان اكثر الواعظين قبل زمانهِ يطلبون بالحري ما يطرب سماعهم لا ما يردهم الى الحق . فالخشوع العظيم الذي ظهر في جميع مواعظ لوثيروس والفرح الذي قد ملأت معرفة الانجيل قلبهُ بهِ جعلا لفصاحتهِ سلطانًا وحرارة وورعًا لم تكن لاسلافهِ . قال واحد من اخصامهِ ان لوثيروس اذ كان مزينًا بعقل ثاقب وذاكرة جيدة ويستعمل لغة امهِ بسهولة عجيبة لم يكن دون احد معاصريهِ في الفصاحة واذا تكلم عن المنبر فكانهُ قد هاج بحركة شديدة تجعل مناسبة بين حركاتهِ وكلماتهِ توثر في عقول سامعيهِ تاثيرًا مذهلاً ويذهب بهم كالتيّار الى حيثما شاء وهذا المقدار من القوة والنعمة والفصاحة يندر وجودهُ في ابناء الشمال اه . قال بوسوية كانت لهُ فصاحة حية وذات فاعلية عظيمة تسحر الشعب وتسبيهم

ولم يمضِ الأمدة قصيرة حتى ضاقت الكنيسة الصغيرة على السامعين الذين ازدحموا وانتخب مجلس وتمبرج حينئذٍ لوثيروس واعظًا لهم ودعوهُ الى الوعظ

في كنيسة المدينة فكان التاثير الحاصل منهُ هناك اعظم واقوى. وادهش سامعيهِ نشاط عقلهِ وفصاحة منطقهِ وسمو التعاليم التي بشَّر بها فذاع صيتهُ الى اماكن بعيدة حتى ان فردريك الحكيم نفسهُ اتى مرة الى وتمبرج لكي يسمع وعظهُ

وكان ذلك ابتداء حيوة جديدة للوثيروس وعاقب كسل الدير كدٌّ عظيم . والحرية والكد والاعمال النشيطة المتواترة التي قدر ان يتفرغ لها حينئذٍ في وتمبرج اوجدت هدوءًا وسلامة في ضميرهِ وجُعِل حينئذٍ في المكان اللائق لهُ وكان عمل الله قريبًا ان يظهر تقدمهُ الجليل

الفصل السادس

ذهاب لوثيروس الى رومية وما جرى من امرهِ هناك

وبينما كان لوثيروس يعلّم في المدرسة وفي الكنيسة حدث ما فصلهُ عن اعمالهِ مدة اي في سنة ١٥١٠ او حسب راي بعضهم سنة ١٥١١ او سنة ١٥١٢ أُرسِل الى رومية وسبب ذلك ان سبعة اديرة من رهبنتهِ وقع اختلاف في بعض القضايا بينها وبين النائب العام . وكانت حذاقة عقل لوثيروس وكلامهُ الفعال واقتدارهُ على المحاورة علة انتخابهِ وكيلاً لتلك الاديرة السبعة لكي يقيم دعواها امام البابا . وظهرت في هذا الامر العناية الالهية . لانهُ كان امر ضروري ان يعرف لوثيروس رومية لانهُ اذ كان مملوءًا من تعصبات الدير واضاليلهِ ظن دائمًا ان رومية هي مقرُّ القداسة

فاخذ في طريقهِ وقطع جبال البا لكنهُ لم ينحدر الى سهول ايطاليا الغنية الخصبة حتى وجد في كل خطوة ما القاهُ في الحيرة والشك وأُضيف الراهب الجرماني الفقير بكل ترحب في دير غني من اديرة رهبان بناديكتوس على شطوط نهر پو في لمبرديا وكانت مداخيل ذلك الدير تبلغ ٢٦٠٠٠ دوكات

منها ١٢٠٠٠ معيَّنة للمائدة و ١٢٠٠٠ للبناء والباقي لاحتياجات الرهبان . فجمال المساكن وغنى الملابس ورفاهة الاطعمة حيَّرت لوثيروس . فان الرخام والحرير والبذخ في جميع اصنافهِ كانت منظرًا جديدًا للاخ المتواضع من دير وتمبرج الحقير فتعجب وهو صامت ثم يوم الجمعة ازداد عجبًا عند ما راى مائدة رهبان بناديكتوس تئن تحت حمل من اللحم وعند ذلك لم يستطع الصموت فقال ان البابا والكنيسة ينهيان عن مثل هذه الامور فحنق الرهبان من توبيخ الجرماني الخشن هذا . واذ اصرَّ لوثيروس على طعنهِ وربما توعَّدهم باشهار ذلك عنهم ظن البعض منهم ان الاوفق ان يجدوا طريقةً للتخلص من ضيفهم الملحّ فحذرهُ حاجب الدير من الخطر على حياتهِ اذا اطال الاقامة هناك ومن ثمَّ خرج من ذلك الدير الشهواني ولما بلغ بولونيا وقع في مرض عضال ونسب البعض ذلك الى عواقب سمٍّ والاكثر مطابقة للعقل ان تغيير الاطعمة اثَّر في راهب وتمبرج القنوع الذي كان اغلب طعامهِ الخبز والحشائش ولم تكن هذه المرضة للموت ولكن لاجل مجد الله . فعاد واستولى على لوثيروس الحزن والغم اللذان كانا طبيعيين لهُ بهذا المقدار وقال في نفسهِ انهُ لامرٌ محزن جدًّا الموت هكذا بعيدًا عن جرمانيا تحت هذا الفلك الحارّ وفي ارض غريبة وضيق النفس الذي شعر بهِ في ارفرت رجع بقوة جديدة وشعورهُ بانهُ خاطئ ازعجهُ وملأ الفكر بدينونة الله رعبًا . ولكن لما بلغت هذه المخاوف اشدها تذكر كلام القديس بولس الذي كان قد قرع قلبهُ في وتمبرج وهو قولهُ ان البار يحيا بالايمان فانار نفسهُ نظير شعاع سماوي فاستفاق وتعزّى ورجعت اليهِ صحتهُ بسرعة واخذ في طريقهِ نحو رومية منتظرًا ان يجد هناك الامور تختلف جدًّا عن عيشة اديرة لمبارديا وكاد لا يصبر حتى يمحو بالنظر الى قداسة رومية التاثيرَ المحزن الذي تاثر بهِ ضميرهُ بما راآهُ في سفرهِ على شطوط نهر الپو

واخيرًا بعد مشقة طويلة تحت حرارة شمس ايطاليا في ابتداء الصيف قرب من المدينة ذات السبعة الجبال فخفق قلبهُ داخلهُ وتاقت عيناهُ حتى تريا ملكة

العالم والكنيسة . وعند ما لح المدينة الملقبة الابدية من بعدٍ مدينة مار بطرس ومار بولس وقصبة الكاثوليكيين سقط على ركبتيهِ وصرخ السلام عليكِ يا رومية المقدسة فوصل لوثيروس الى رومية ووقف المعلم الوتمبرجي في وسط خرابات المدينة المتملكة تلك الخرب الناطقة اي رومية الشهداء والمعترفين بيسوع المسيح الكثيرين فهناك سكن پلوتوس وفرجليوس اللذان اخذ تصانيفهما معهُ الى الدير وجميع اولئك الرجال العظماء الذين كان قلبهُ مرارًا يختلج عند قراءة تاريخهم ورأى هناك تماثيلهم وخرابات الابنية التي تشهد بمجدهم . الآن كل ذلك المجد وكل تلك القوة قد وليا وداست قدماهُ ترابهم وتذكر في كل خطوة الدموع التي سكبها شيپيو عند ما نظر الى خرابات قرطاجنة اي قصورها الملتهبة واسوارها المتزعزعة وقال هكذا يصيب رومية يومًا فقال لوثيروس حقًّا ان رومية شيپيو وقيصر قد صارت رمة ومن علو تلال الردم صارت اساسات البيوت حيث كانت الاسقفية قديمًا . ثم زاد وهو ناظرٌ نظرًا محزنًا نحو الخرابات قائلاً هناك هناك اجتمعت معًا في الازمنة القديمة ثروة العالم وذخائرهُ . فجميع تلك الكسر التي صدمتها قدماهُ في كل خطوة نادتهُ داخل اسوار رومية قائلة ان الاقوى في عيني الانسان يهدمهُ بسهولة روح الرب

ولكن مع تلك الارمدة غير المقدسة امتزجت ارمدة اخر مقدسة فاخذ لوثيروس يتذكر بها ومدفن الشهداء ليس بعيدًا عن مدافن اكابر رومية وعظمائها . ورومية المسيحية مع آلامها كانت لها سطوة على قلب الراهب السكسوني اعظم من سطوة رومية الوثنية مع كل مجدها فالى هناك وصلت تلك الرسالة التي كتب بولس فيها ان البار يحيا بالايمان . ولم يكن بعيدًا عن ابيوس فوروس والثلاثة الحوانيت . وهناك بيت نركسوس وهناك قصر قيصر حيث خلّص الرب الرسول من انياب الاسد فكم كانت تلك التذكرات تقوي قلب راهب وتمبرج

الآن منظر رومية كان في ذلك الوقت مختلفًا جدًّا عما هو في الازمنة

القديمة . فان يوليوس الثاني المحب للحرب كان جالسًا على الكرسي البابوي لا لاون العاشر كما قال بعض مشاهير المورخين الجرمانيين سهوًا لا محالة وان لوثيروس كثيرًا ما اخبر عن صفة من صفات هذا البابا فانهُ عند ما بلغهُ هذا الخبر ان الفرنساويين كسروا جيشهُ عند مدينة رافنا كان آخذًا في تلاوة فرضهِ فطرح الكتاب وصرخ بحلف فظيع قائلاً وانت ايضًا قد صرت فرنساويًا (يعني الله) أَ فهكذا تحمي كنيستك ثم التفت الى جهة البلاد التي افتكر بالالتجاء اليها وقال يا قديس سويتسر صلّ لاجلنا ولم يكن يرى في تلك المدينة التعيسة غير الجهل والخفة والخلاعة والنفاق واحتقار كل شيء مقدس وتجارة قبيحة في الامور الالهية الاَّ ان الراهب التقي بقي ايضًا مدة على انخداعهِ

وحدث وصول لوثيروس الى رومية بالقرب من وقت عيد مار يوحنا وسمع الرومانيين يكررون حولهُ مثلاً جاريًا بينهم اي طوبى للام التي يقدّس ابنها في ليلة مار يوحنا . فقال في نفسهِ آه كم يكون عندي من الفرح اذا جعلت امي سعيدة فاجتهد ابن مرغريتا التقي ان يتلو قداسًا في ذلك اليوم في كنيسة مار يوحنا الاَّ انهُ لم يقدر لكثرة الازدحام . وزار جميع الكنائس والمعابد بورع ووداعة وصدّق كل الاكاذيب التي أُخبِر بها ومارس بورع جميع العوائد المسماة العوائد المقدسة المفروضة فرحًا بالفرصة على مباشرة اعمال صالحة كثيرة كانت اهالي بلادهِ محرمتها . وقال في نفسهِ واسفاه . ان ابي وامي لم يزالا حيين فاية لذة كانت تحصل لي بانقاذي اياهما من نار المطهر بواسطة قداساتي وصلواتي واعمال أُخر كثيرة ممدوحة . وجد النور الاَّ ان الظلمة لم تكن قد زالت من عقلهِ بالتمام . تجدد قلبهُ الاَّ ان عقلهُ لم يستنر بعد . وكان لهُ ايمان ومحبة الاَّ انهُ كان محتاجًا الى المعرفة ولم يكن امرًا زهيدًا التخلص من ذلك الليل المدلهمّ الذي غشى الارض مدة ادوار هكذا كثيرة

قدّس لوثيروس مرارًا كثيرة في رومية واجرى ذلك بكل الورع والاحترام المقتضيين حسب زعمهِ ولكن اية كآبة داخلت قلب الراهب السكسوني عند ما

شاهد تصنع خوارنة رومية المحزن النفاقي عند ممارستهم سر المذبح . وهولاء كانوا يضحكون عليهِ لاجل سذاجتهِ واذ كان يوماً يقدس وجد ان الخوارنة قد اكملوا سبعة قداسات على مذبح بالقرب منهُ قبل ان اكمل هو قداسهُ وصرخ واحد منهم قائلاً اسرع اسرع وارجع الى سيدتنا ابنها . يشيرون بذلك اشارة مسخرية الى استحالة الخبز الى جسد يسوع المسيح ودمهِ. في وقت آخر لم يصل لوثيروس الى قراءة الانجيل حتى تمم خوري بجانبهِ كل القداس وصرخ اليهِ اجتز اجتز Passa Passa اسرع اخلص منهُ حالاً . وازداد حيرة عند ما وجد في اكبر الاكليروس الباباويين ما كان قد وجدهُ في الاكليروس الدون لانهُ زعم فيهم اموراً افضل وكانت العادة في البلاط الباباوي مضادة الديانة المسيحية ولم يُحسَب احدٌ من اصحاب الآداب ما لم يتمسك براي مثخرف او اراتيكي في تعاليم الكنيسة . فكانوا قد اجتهدوا في اقناع ابراسموس بواسطة بعض العبارات من افلينيوس بانهُ لا فرق بين نفوس الناس والحيوانات وذهب البعض من اعوان البابا الشبان الى ان الايمان الارثودكسي انما هو نتيجة حِيَل بعض القديسين واختراعاتهم

ثم ان ارسالية لوثيروس من قِبَل الرهبان الاوغسطينيين الجرمانيين كانت وسيلة لدعوتهِ الى اجتماعات عديدة من كنائسيين مشهورين وعلى الخصوص اذ كان يوماً على الطعام مع عدة اساقفة اظهروا امامهُ علانية شعوذتهم ومخاطباتهم النفاقية ولم يستنكفوا من ان يتلفظوا امامهُ بآلاف من الاضاحيك ظانين انهُ لا محالة نظيرهم في هذا المعنى ومن جملة ما اخبروا بهِ قدام الراهب بضحكٍ وافتخار بهِ انهم احياناً عند ما يكونون آخذين في القداس على المذبح كانوا عوضاً عن الكلام السرّي الذي يستحيل الخبز والخمر بقوتهِ الى جسد مخلصنا ودمهِ حسبما زُعم في ذلك الوقت عند من صدق تعليم الاكليروس ويتلفظون على العناصر بهذه العبارة الهزئية خبزٌ انت ولا تزال خبزاً خمرٌ انتِ ولا تزالين خمراً ثم يرفعونها فيحني جميع الشعب ويسجد لها . اما لوثيروس فبالكد صدّق

سماع ذلك لانهُ مع كونهِ مملوءًا من الشبيبة والزهو في معاشرة الاصدقاء كان يكرم على نوع عجيب الامور المقدسة ويحترمها . فكانت شعوذات رومية حجر عثرة له فقال كنت راهبًا شابًّا مهتمًّا تقيًّا وكان هذا الكلام يغمني جدًّا فافتكرت في نفسي اذا تكلموا هكذا في رومية بحرية وجهارًا على الموائد فكيف الامر اذا طابقت اعمالهم كلامهم واذا كان كلٌّ من البابا والكردينالين والانصار يقدسون هكذا فما اعظم غشهم اياي انا الذي قد سمعتهم يتلون بورع قداسات كثيرة بهذا المقدار . وعاشر لوثيروس مدةً رهبان رومية وعامتها . وبعضهم مدحوا البابا وحزبهُ والاكثرون تذمروا عليهِ وذموهُ بحرية واية اخبار لم يشيعوها عن البابا المتسلط حينئذٍ وعن اسكندر السادس وعن اخرين كثيرين واخبرهُ يومًا اصدقاؤهُ الرومانيون كيف ان قيصر برجيا عند ما هرب من رومية قُبِض عليهِ في اسبانيا . واذ كانوا ذاهبين بهِ الى القتل طلب الرحمة والتمس معرّفًا يزورهُ في سجنهِ فارسلوا اليهِ راهبًا فقتلهُ ولبس ثيابهُ وهرب ثم صار بابا . قال لوثيروس اني سمعت ذلك في رومية وهو امر محقق . ذات يوم كان ماشيًا في زقاق واسع ينتهي الى كنيسة مار بطرس فوقف بحيرة قدام تمثال حجري يمثل بابا بصورة امراة قابضة على صولجان ومتردية برداء باباوي وحاملة طفلاً على يديها فقيل لهُ انها فتاة من منتز اختارها الكردينالية بابا فولدت ابنًا مقابل هذا المكان ولذالك لا يجتاز احدٌ من الباباوات بهذا الزقاق . قال لوثيروس اني لمتعجب كيف يسمح البابا ببقاء هذا التمثال . وظن لوثيروس انهُ يجد بناء الكنيسة محفوفًا بالبهاء والقوة الآن ابوابها كانت متكسرة والحيطان مضرمة بالنار فشاهد خراب المقدس ورجع الى الوراء بانفةٍ فان كل احلامهِ كانت في القداسة ولم يجد سوى الرجاسة

ولم تكن التشاويش خارج الكنيسة اقل تاثيرًا بهِ من التي داخلها . قال مدبري رومية هم اشداء وقساة جدًّا فان القاضي او المتسلم يطوف المدينة باسرها كل ليلة على ظهر جواد بثلاث مئة تابع من اعوانهِ ويقبض على كل من

يجد في الاسواق واذا صادف رجلاً بالسلاح يشنقهُ او يطرحهُ في نهر تيبر ومع ذلك المدينة مملوة من التشاويش والقتل والحال انهُ في الاماكن التي بُشّر بها بكلام الله باستقامة وطهارة يستولي السلام والنظام من دون احتياج الى استعمال صرامة الشريعة . وقال في مكان آخر لا يقدر احد ان يتصوَّر ما هي الخطايا والاعمال الفظيعة المرتكبة في رومية فانهُ لكي تُصدَّق يجب ان تُرَى وتُسمَع وهكذا من عادتهم القول انهُ اذا وُجدت جهنم فتكون رومية مبنية فوقها فهي هوتة يخرج منها كل نوع من الخطية

فاثَّر هذا المنظر في ضمير لوثيروس تاثيرًا عميقًا في ذلك الوقت وزاد بعد ذلك بقليل . وقال بعد ذلك بسنين كثيرة كلما قربنا من رومية نصادف عددًا اكبر من المسيحيين الاردياء . والمثل الدارج يقول ان من يذهب الى رومية اول مرة يفتش على منافق وفي المرة الثانية يجدهُ وفي المرة الثالثة ياخذهُ معهُ الآن الناس قد صاروا الآن هكذا حاذقين حتى انهم يستوفون هذه الثلاث السفرات في سفرة واحدة . وذكر شيئًا مثل ذلك ماكياڤلي المشهور واحد من اذكياء ايطاليا الفائقين ومن اردياءهم الذي عاش في فلورنسا عندما اجتاز لوثيروس بتلك المدينة في طريقهِ الى رومية . قال من اوضح العلامات لقرب خراب الديانة المسيحية (يريد بذلك المذهب الباباوي) انهُ كلما قرب الناس الى عاصمة العالم المسيحي يقل وجود الروح المسيحي فيهم فان القدوات الملومة ورذائل ديوان رومية هي علة فقد ايطاليا كل مبادي التقوى وجميع الحاسيات الدينية . ثم يستتلي هذا المورخ العظيم ويقول اننا نحن الايطاليان مديونون بنوع خصوصي للكنيسة والخوارنة في صيرورتنا اردياء واشرارًا اه . وبعد ذلك بمدة شعر لوثيروس بشدة لزوم هذا السفر حتى انهُ قال لو اعطوني مئة الف فلوريني لما كنت اعدل عن نظر رومية (اي حتى ينتبه بذلك من غلطهِ)

ونفعتهُ هذه الزيارة كثيرًا ايضًا نظرًا الى العلم فانهُ نظير ريوخلن اغتنم

فرصة اقامتهِ في رومية للتعمق في معاني الكتب المقدسة فدرس العبراني على معلم يهودي مشهور اسمهُ الياس لاوي فحصل جانبًا من تلك المعرفة للكلمة الالهية التي كانت رومية عنيدة ان تسقط تحت هجماتها . وكان هذا السفر اهم شيء للوثيروس من جهة اخرى فانهُ فضلاً عن رفع الحجاب وظهور الاستخفاف النفاقي والكفر الهزئي المستترين تحت الخرافات الرومانية تشدد هناك الايمان الحي الذي غرسهُ الله فيهِ. وقد ذكرنا كيف سلم نفسهُ في اول الامر لجميع السنن الباطلة التي تامر بها الكنيسة البابا وية لاجل التكفير عن الخطية واذ رغب ذات يوم في ان ينال غفرانًا وُعِد بهِ من البابا لجميع الذين يصعدون على ركبهم على درج في رومية سمي درج بيلاطس زَحف بتواضع صاعدًا على ذلك الدَرَج الذي قيل عنهُ انهُ نُقِل بنوع عجيب من اورشليم الى رومية كما يقولون ان بيت العذراء في الناصرة نُقل الى مكان اسمهُ لورتّو في ايطاليا . وبينما كان مباشرًا هذا العمل الاستحقاقي ظن انهُ سمع صوت رعدٍ يصرخ من اعماق قلبهِ كما حصل في وتمبرج وبولونيا ان البار يحيا بالايمان وهذه الكلمات التي قرعت اذنيهِ مرتين نظير صوت ملاك من الله ترددت بدون انقطاع وبقوة داخل قلبهِ فقام بذهول عن الدَرَج الذي كان يجر عليهِ جسدهُ واخذ يرتعد من نفسهِ وكان خجلاً عند ما نظر الى اي عمق اوصلتهُ الخرافة فهرب بعيدًا عن محل حماقتهِ . وكان لهذه الآية القوية سلطان سرّي على حيوة لوثيروس وكانت عبارة ابداعية للمصلح والاصلاح كليهما وبهذه الكلمات قال الله حينئذٍ ليكن نور فكان نور

وغالبًا يلزم ان يُعرَض الحق على عقولنا مرارًا شتّى لكي يصدر عنهُ المفعول اللازم . فان لوثيروس كان قد درس الرسالة الى اهل رومية درسًا متعمقًا ومع ذلك لم يظهر لهُ واضحًا تعليم التبرير بالايمان الواضح في تلك الرسالة ولكن بعد الحوادث المذكورة فهم جيدًا ما هو البر الذي وحده يقوم امام الله وقبل لنفسهِ من يد المسيح تلك الطاعة التي ينسبها الله من عطيتهِ المجانية للخاطي حالما يرفع عينيهِ بتواضع نحو ابن الانسان المصلوب وتلك اللحظة هي النقطة التي دارت عليها

حيوة لوثيروس الداخلية فان ذلك الايمان الذي خلصهُ من اهوال الموت صار روح تعليمهِ في امور اللاهوت وسندهُ المتين في كل خطر والمبدا الذي اكسب مواعيظهُ نشاطًا ومحبتهُ قوةً وراحة ضميرهِ اساسًا وجهادهُ شجاعةً وحياتهُ ومونة عزاءً . ولكن هذا التعليم العظيم بخلاصٍ يصدر من الله لا من الانسان لم يكن قوة الله لخلاص نفس لوثيروس فقط بل انما صار ايضًا على طريق اسمى قوة الله لاصلاح الكنيسة وهو نفس السلاح الذي استعملتهُ الرسل بعزم. فأُهمِل مدة مستطيلة جدًّا ثم أُخذ اخيرًا على كل رونقهِ الاصلي من خزانة الاله الكلي القدرة وفي نفس الدقيقة التي نهض فيها لوثيروس عن ركبتيهِ من دَرَج بيلاطس باضطراب وذهول عند التامل بهذه الكلمات التي كان بولس منذ خمسة عشر دورًا قد خاطب بها اهالي تلك العاصمة نهض ايضًا الحق الذي كان لم يزل اسيرًا ومقيدًا الى ذلك الوقت في الكنيسة نهوضًا لا يعقبهُ سقوط

فلنصغَ الآن لما قالهُ لوثيروس نفسهُ عن هذه القضية . قال مع اني كنت راهبًا طاهرًا لا عيب فيهِ كان ضميري مع ذلك مملوًّا من الاضطراب والكآبة ولم اكن اطيق ذكر برّ الله ولم يكن عندي محبة لذلك الاله القدوس العادل الذي يقاصُّ الخطاة بل كنت مملوًّا من الغيظ السرّي عليهِ وكنت ابغضهُ لانهُ لا يكتفي بتخويفنا بالشريعة وشقاء الحيوة نحن الخطاة الذين قد خربنا بواسطة الخطية الاصلية بل زاد ايضًا عذاباتنا بواسطة الانجيل . ولكن عند ما فهمت هذه الكلمات بروح الله وتعلمت كيف يصدر تبرير الخاطي من نعمة ربنا المجانية بالايمان شعرت حينئذٍ باني قد وُلِدت ثانيةً نظير انسان جديد ودخلت من الابواب المفتوحة الى نفس فردوس الله . ومن ذلك الوقت فصاعدًا صرت انظر الكتب المحبوبة المقدسة بعين اخرى وقرات الكتاب المقدس وجمعت عددًا كبيرًا من الآيات التي علمتني ماهية عمل الله وكما اني في السابق كرهت من كل قلبي ذكر بر الله ابتدات من تلك الساعة ان اعتبر قيمة ذلك واحبهُ وحسبت ذلك الكلام احلى كلام الكتاب المقدس واشدهُ تعزيةً وبالحقيقة كان

لي كلام بولس الرسول هذا الباب الحقيقي للفردوس اه

وهكذا كلما التزم لوثيروس في اوقات مختلفة ان يقر بهذا التعليم ينتبه ما فيهِ من الغيرة الوقادة والنشاط الشديد . وفي ذات مرة مهمة قال ارى ان الشيطان يحارب دائمًا هذا التعليم الاساسي بواسطة معلميهِ وانهُ في هذا المعنى لا يقدران يهدا ابدًا ولا يستريح فاذًا انا المعلم مرتينوس لوثيروس المنادي بدون استحقاق بانجيل ربنا يسوع المسيح اقر بهذا التعليم ان الايمان وحدهُ بدون اعمال يبرّر قدام الله واحكم بانهُ يبقى ويدوم الى الابد رغمًا عن امبراطور الرومانيين وعنفًا عن البابا وجميع الكردينالية مع الاساقفة والخوارنة والرهبان والراهبات وقهرًا عن الملوك والامراء والاشراف وجميع العالم والشياطين انفسهم وانهم اذا حاولوا محاربة هذا الحق يجلبون نيران جهنم على رؤُوسهم فهذا هو الانجيل الحقيقي الطاهر واقراري انا الدكتور لوثيروس حسب تعليم الروح القدس اه . الى ان قال ما احد مات عن خطايانا الاَّ الرب يسوع المسيح واقول ذلك مرة اخرى انهُ اذا كان كل العالم وجميع الشياطين يمزق كلٌّ غيرهُ اربًا ويتمزقون من الغيظ فلا يقل صدق ذلك البتة . واذا كان هو وحدهُ (اي المسيح) رافع خطايانا فلا يمكن ان يكون رافعها نحن واعمالنا . لكن الاعمال الصالحة تتبع الفداء كما ان الثمرة تنمو على الشجرة فهذا تعليمنا وهذا ما يعلّم بهِ الروح القدس وجميع شركة القديسين وقد تمسكنا بهِ بثبوت باسم الله آمين . وهكذا وجد لوثيروس ما تغافل عنهُ على نوعٍ ما جميع العلماء والمصلحين حتى افاضلهم ففي رومية اعطاهُ الله هذه المعرفة الواضحة لتعليم الديانة المسيحية الاساسي . وذهب الى مدينة الاحبار لاجل حل بعض المشاكل التي تتعلق بنظام الرهبنة فجلب منها في قلبهِ خلاص الكنيسة

الفصل السابع

رجوع لوثيروس الى وتمبرج وما جرى في اثناء ذلك

فترك لوثيروس رومية ورجع الى وتمبرج وقلبهُ ملآن حزنًا وغضبًا . واذ حوَّل عينيهِ بكراهة عن المدينة الحبرية وجَّهها برجاءٍ نحو الكتب المقدسة اي نحو تلك الحيوة الجديدة التي لاح لهُ حينئذٍ ان كلمة الله وعدت بها العالم وتلك الكلمة زادت تسلطًا على قلبهِ من قبل كل ما خسرتهُ الكنيسة فانفصل عن الواحد لكي يتمسك بالآخر . وكان كل الاصلاح متضمنًا في تلك الحركة الوحيدة اي الالتفات الى الله عوضًا عن الالتفات الى الكاهن

اما ستوبتز والملك المنتخب فلم ينسيا الراهب الذي دعواهُ الى مدرسة وتمبرج ويبان ان للنائب العام سبق علم بالعمل المطلوب في العالم وانهُ اذ وجد ذلك صعبًا عليهِ اراد ان يحث لوثيروس على مباشرتهِ ولا شيءَ اغرب ولا اعجب من امر هذا الرجل الذي نراهُ في كل مكان يحث لوثيروس على التقدم في الطريق الذي دعاهُ الله اليهِ ثم ذهب وانهى حياتهُ مغمومًا في دير. اما الملك فوعظ المعلم الشاب اثر فيهِ تاثيرًا عميقًا وتعجب من قوة عقلهِ وشدة بلاغتهِ وسمو القضايا التي فسرها . واذ رغب الملك وصديقهُ ستوبتز في ترقية رجل مثل هذا جزما على اعطائهِ درجة سامية اي درجة دكتور في اللاهوت فانطلق ستوبتز الى الدير واخذ لوثيروس الى الجنينة وجلس هناك معهُ تحت شجرة (كان لوثيروس فيما بعد يدل تلاميذهُ عليها) وقال لهُ يا صديقي يجب ان تصير الآن دكتور الكتب المقدسة فخشي لوثيروس من هذا الفكر واخافهُ هذا الشرف السامي . فاجاب اطلب شخصًا اكثر استحقاقًا واما انا فلا يمكنني ان اقبل بذلك . قال النائب العام ملحًّا عليهِ ان للرب الهنا شغلاً كثيرًا في الكنيسة

وهو محتاج في هذا الزمان الى معلمين شبان نشيطين. قال ملانكثون ربما قال هذا القول على سبيل الهزل الآ ان الظروف كانت موافقة له لانهُ في الغالب تسبق علامات كثيرة جميع الحركات العظيمة

فاجاب لوثيروس اني نحيف وضعيف الجسم ولا رجاء لي بطول البقاء فانظر الى رجل قوي. قال النائب العام ان لله عملاً في السماء كما له على الارض فسواء كنت ميتاً ام حياً له بك حاجة في كرمهِ. فزاد اضطراب الراهب وقال ان الروح القدس وحدهُ يقدر ان يعمل معلمي اللاهوت. فقال ستوبتز اعمل ما يطلبهُ منك ديرك وما آمرك بهِ انا نائبك العام لانك قد وعدت بان تطيعنا. فاجاب الاخ ولكن فقر حالي ظاهر فاني لا اقدر ان اقيم بالمصاريف المطلوبة لمثل هذه الدرجة. فقال صديقهُ لا تضطرب من هذا القبيل فان الملك قد انعم عليك بان يتحمل كل المصاريف على نفسهِ واذ ضيّق على لوثيروس من كل جهة راى من واجباتهِ ان يسلّم

وفي آخر صيف سنة ١٥١٢ اخذ لوثيروس في طريقهِ الى ليپسك لكي ياخذ من خزائن الملك ما يحتاج اليهِ من النقود لاجل مصروف ترقيتهِ. ولكن حسب عادة المجلس لم تصل الدراهم الى يدهِ سريعاً فملَّ الاخ وطلب الانطلاق الآ ان الطاعة الرهبنية الزمتهُ بالاقامة واخيراً في ٤ تشرين الاول اعطاهُ پفافنجر ويوحنا دولتزيج خمسين فلورينا وفي الرجعة التي اعطاهما اياها لم يستعمل الآ لقب راهب فكتب انا مرتينوس الاخ من رتبة النساك الخ ثم اسرع راجعاً الى وتمبرج

وكان في ذلك الوقت اندراوس بودنستين من مدينة كرلستدت رئيس عمدة اساتيذ اللاهوت وعُرِف باسم كرلستدت فحصّل بودنستين في بلادهِ مبادي العلوم الاولى وكان في طبيعتهِ رزيناً معبساً وربما مال الى الحسد والتقلب في اخلاقهِ الآ انهُ كان شديد الرغبة في المعرفة وذا مواهب عظيمة وتردَّد على عدة مدارس لكي يزيد خزائن علمهِ ودرس اللاهوت في رومية وبعد رجوعهِ

من ايطاليا جعل اقامتهُ في وتمبرج وصار معلم اللاهوت وقال فيما بعد انني في ذلك الوقت لم اكن بعد قرات الكتب المقدسة وبذلك نفهم فهمًا صحيحًا ما هو علم اللاهوت حينئذٍ . وكرلستدت فضلاً عن وظيفتهِ اي وظيفة معلم كان قانونًا ورئيس شمامسة . وهذا هو الانسان العتيد ان يحدث انشقاقًا في الاصلاح . وفي ذلك الوقت انما حسب لوثيروس دونهُ الآن الراهب الاوغسطيني صار بعد قليل موضوع حسد لهُ فقال ذات يوم اني لا اكون دون لوثيروس عظمةً . واذ كان كرلستدت في ذلك الوقت بعيدًا جدًّا عن ادراك الدرجة السامية التي كان لوثيروس عتيدًا ان يرتقي اليها منح خصمهُ هذا المستقبل اعلى رتبة في المدرسة اي رتبة دكتور في اللاهوت . وفي ١٨ تشرين الاول سنة ١٥١٢ قُبِل لوثيروس معلمًا في اللاهوت فحلف اليمين الاعتيادي اي اني اقسم بان احامي عن الحق الانجيلي بكل قدرتي . وفي اليوم التالي قلدهُ بودنستين باحتفال بحضرة جمهور غفير ملابس دكتور اللاهوت . فجُعل دكتور الكتاب المقدس لا دكتور الكلام وبذلك التزم ان يفرغ نفسهُ لدرس الكتاب المقدس لا لدرس التقليدات البشرية وقيَّد نفسهُ بقسَم (كما يخبر هو نفسهُ) بالكتب المقدسة المحبوبة لديهِ فوعد بالتبشير بها بامانة والتعليم بها بنصاحة وبدرسها كل حياتهِ وبالمحاماة عنها بالجدال والكتابة ضد كل المعلمين الكاذبين على قدر ما يعطيهِ الله من القوة

وكان هذا القسم الاحتفالي دعوة لوثيروس الى الاصلاح وحَمْلُ ضمير المعلم الجديد الالتزامَ المقدس بتعليم الحق المسيحي بحرية والمناداة بهِ بجسارة اعتقهُ من الحدود الضيقة التي ربما حصرهُ نذرهُ الرهباني فيها واذ دُعِي من قبل المدرسة ومن قبل ملكهِ باسم السلطنة الامبراطورية وسلطان رومية نفسهِ واذ ارتبط قدام الله بقسم عظيم جدًّا صار من تلك الساعة مناديًا جسورًا بكلمة الحيوة وفي ذلك اليوم الذي يستحق الذكر تقلد لوثيروس اسلحة المحاماة عن الكتاب المقدس . ومن ثمَّ نحسب ذلك القسم الذي اقسم بهِ لوثيروس للكتب المقدسة

من جملة العلل لاحياء الكنيسة فان سلطان كلمة الله المعصوم وحدهُ كان مبدأ الاصلاح الاول الاساسي فكل اصلاح خصوصي ما حصل بعد ذلك في تعليم الكنيسة او آدابها او سياستها او في عباداتها لم يكن الَّا نتيجة هذا المبدا الاول . وبالكد نتصور الشعور الناتج في تلك الايام من هذا الحق الاصلي البسيط الذي غُفِل عنهُ كل تلك المدة المستطيلة فان اناسًا قليلين ممن هم اوسع نظرًا من العامة سبقوا ونظروا وحدهم نتائجهُ العظيمة . ولم يمضِ سوى مدة قصيرة حتى نادت اصوات جميع المصلحين بشجاعة بهذا المبدا القوي الذي سحق رومية الى الغبار قائلين ان المسيحيين لا يقبلون سوى التعاليم المبنية على صريح كلمات يسوع المسيح وكلمات الرسل وكلمات الانبياء فليس لانسان ولا لجماعة من المعلمين حق ان يامر بتعاليم جديدة

وبهذه الامور تغيرت ظروف لوثيروس فان الدعوات التي قبلها هذا المصلح صارت كدعوة من تلك الدعوات غير الاعتيادية التي دعا بها الرب الانبياء تحت العهد القديم والرسل تحت الجديد . والعهد السامي الذي تعهد بهِ اثر في نفسهِ تاثيرًا عميقًا جدًّا حتى ان تذكُّر ذلك القسم كفى في السنين التابعة لتعزيتهِ في وسط اعظم الاخطار واخوف المخاصمات . وعند ما راى اوروبا باسرها هائجة ومرتجة بواسطة الكلام الذي نادى بهِ وكانت وشايات رومية وتوبيخات اتقياء كثيرين وشكوك قلبهِ الشديد الحس واهوالهُ تكاد تجعلهُ يتقاعد ويخاف ويقع في الياس تذكَّر القسم الذي كان قد اقسم بهِ واستمر راسخًا مطمئنًّا مملوءًا فرحًا . قال مرة وهو في ضيقٍ شديد انني قد تقدمت باسم الرب ووضعت نفسي في يديهِ فلتكن مشيئتهُ . من طلب منهُ ان يجعلني معلمًا الى ان يقول فان كان هو الذي ابدعني فليعضدني كذلك والَّا فان كان قد ندم على ما فعل فلينتزع مني وظيفتي ثم يستتلي قائلاً فهذه القضية اذًا لا تزعجني فاني اطلب شيئًا واحدًا فقط وهو حفظ نعمة الله في كل ما قد دعاني لاعملهُ معهُ . وقال في وقت آخر من باشر امرًا من دون دعوة الهية فانما يطلب مجد نفسهِ واما انا المعلم مرتينوس

لوثيروس فقد اضطررت الى ان اكون معلمًا فان البابا وية ترغب ان توقفني عن تكميل واجباتي الاَّ انكم ترون ماذا اصابها وسوف يصيبها اردا من ذلك فانهم لا يقدرون ان يحاموا عن انفسهم مني فقد عزمت باسم الله ان ادوس الاسود واطأ التنانين والحيات تحت قدمي وهذا يبتدئ في حياتي وسيكمل بعد مماتي

ومن الوقت الذي اقسم فيهِ لوثيروس ذلك القسم لم يعد يطالب الحق لنفسهِ فقط بل طلبهُ للكنيسة ايضًا واذ كان مملوءًا من تذكرات رومية راى امامهُ طريقًا على نوع غير واضح كان قد تعهد بالسلوك فيهِ بكل عزم نفسهِ والحيوة الروحية التي لم تكن قد ظهرت الاَّ فيهِ امتدَّت الى الاخرين وهذه هي الدرجة الثالثة في نموهِ فان دخولهُ الدير حوَّل افكارهُ نحو الله. ومعرفة غفران الخطايا وبرّ الايمان اعتقت نفسهُ. وقسمهُ عمدهُ معمودية النار التي صيرتهُ مصلحًا للكنيسة. ثم اتجهت افكارهُ سريعًا على طريق عمومي نحو الاصلاح في خطاب كتبهُ لكي يقدمهُ رئيس لاتزكو في المجمع اللاتراني فيهِ اظهر ان فساد العالم ناتج من تعليم الخوارنة خرافات وتقليدات هكذا كثيرة عوضًا عن التبشير بكلام الله النقي وعلى رايهِ كلمة الحيوة وحدها لها قوة على تجديد الانسان تجديدًا روحيًا. ومن ثمَّ برهن ان خلاص العالم يتوقف على انتشار التعليم الصحيح لا على مجرد اصلاح العوائد الخارجية. الاَّ انهُ في بعض الامور لم تكن تصرفاتهُ توافق بعضها بعضًا لانهُ بقي متمسكًا بآراء متضادة الاَّ ان روح قوة اشرق في جميع كتاباتهِ وهو بشجاعة قطع الربط التي بها اسرت تعاليم المدارس افكار الناس وفي كل شيء تجاوز الحدود التي حصرتهُ فيها كل الحصر آراء القرون السابقة وفتح مسالك جديدة. وكان الله معهُ. والاخصام الاولون الذين قاوموهم هم اولئك الفلاسفة المشهورون الذين كان هو نفسهُ قد درس كتبهم بهذا المقدار وكانوا حينئذٍ في اعلى طبقات الرياسة في جميع المدارس فاظهر انهم على تعليم بيلاجيوس ودحض بعنف اريسطوا ابا المدارس وتوما اكوينا وحاول انزالها جميعًا عن المنبر الذي

ساد فيهِ احدهما على الفلسفة والاخر على اللاهوت

قال في رسالتهِ الى لانجي ان كتب اريسطو وبرفيريوس والمتكلمين بالهيئات هي دروس غير نافعة في ايامنا ولست ارغب في شيء اكثر من ان اظهر للعالم ذلك المشعوذ الذي اضل الكنيسة باتخاذهِ حجابًا يونانيًا وان ابيّن عيبهُ للجميع . وفي كل محاورة جمهورية نادى بان كتابات الرسل والانبياء هي اثبت واسمى من جميع سفسطات المدارس وكل لاهوتها. وكانت تلك العبارات جديدة يومئذٍ الآن الناس تعودوها بالتدريج وبعد ذلك بنحو سنة كتب الى بعض اصحابهِ قائلاً ان الله يعمل معنا ولاهوتنا والقديس اوغسطينوس يتقدمان بنوع عجيب ويتسلطان في مدرستنا واما اريسطو فقد اخذ في الانحطاط وهو مائل نحو خرابهِ الابدي الذي هو قريب وخطبة على الكلام لا ينتج منها شيء الاّ الملل وليس احد يصغى لهُ ما لم يقر باللاهوت المطابق للكتاب المقدس . فطوبى للمدرسة التي يُشهَد عنها بمثل هذه الشهادة

وبينما اخذ لوثيروس في دحض اريسطو تحزب لابراسموس وريوخلن ضد اعدائهما فدخل في المحاورة مع هولاء الرجال العظام ومع تلاميذ اخرين منهم بركهيمر وموتيانوس وهوتن الذين هم من ذلك الحزب عينهِ . وبالقرب من ذلك الزمن اكتسب صديقًا اعانهُ كل الاعانة مدة حياتهِ وهو رجل كان يومئذٍ في دار الملك مشهور لاجل حكمتهِ وخلوصهِ اسمهُ جرجس سپالاتين وُلد في سپالانوس او سپالات في اسقفية ايخستدت وكان سابقًا خوري قرية هوهنكرخ بالقرب من احراش ثورنجيا ثم انتخبهُ بعد ذلك الملك فردريك الملقب الحكيم ليكون كاتم اسرارهِ وخوريهُ ومعلمًا لابن اخيهِ يوحنا فردريك العتيد ان يلبس يومًا اكليل الملك . وكان سپالاتين سادج القلب في وسط دار الملك خائفًا عند حدوث الحوادث العظيمة ويقظًا فطنًا نظير مولاهُ امام لوثيروس الحارّ الذي كاتبهُ كل يوم ونظير ستوبتز كان اصلح لازمنة السلامة . فوجود مثل هولاء الناس امر ضروري لانهم كالمواد اللطيفة التي تلف بها الجواهر والبلور

لاجل حفظها من مضار الانتقال فتبان كانها لا فائدة لها ومع ذلك بدونها جميع تلك المواد الكريمة تتكسر وتفقد . اما سپالاتين فلم يكن رجلاً ينتظر منهُ احداث اعمال عظيمة ولكنهُ اجرى بامانة وهدو الامر الموضوع عليهِ وكان في اول الامر من اعظم المساعدين لمولاهُ في جمع ذخائر القديسين التي اعتبرها جدًّا فردريك مدة طويلة الآ انهُ هو والملك رجعا بالتدريج نحو الحق . والايمان الذي عاد حينئذٍ فظهر في الكنيسة لم يغصبهُ كما غصب لوثيروس بل ارشدهُ تدريجًا وصار صديقًا للوثيروس في دار الملك ووسيطًا بواسطتهِ جرت جميع الاعمال بين لوثيروس والامراء ووسيطًا بين الكنيسة والحكومة وكان بين الملك وسپالاتين صداقة عظيمة وكانا يسافران معًا في مركبة واحدة غير ان عوائد الدار الملكي ضايقت الواعظ الصالح فاصيب براقيا شديدة . فرغب ان يترك كل تلك الكرامات ويصير ايضًا راعيًا بسيطًا في احراش ثورنجيا لكن لوثيروس عزّاهُ وحثهُ على الثبوت في رتبتهِ فحصل سپالاتين على اعتبار عند الجميع وابدى الامراء والعلماء نحوهُ اخلص الاعتبار وقال ابراسموس انني اكتب باسم سپالاتين ليس بين اصدقائي المخلصين فقط بل بين اكرم المحامين عني ايضًا وذلك ليس على الورق بل على قلبي

وخصام ريوخلن مع الرهبان احدث حينئذٍ ضجة عظيمة في جرمانيا وارتبك انقى الناس غالبًا في اي جانب ياخذون لان الرهبان كانوا متعطشين الى ملاشاة الكتب العبرانية التي فيها تجاديف على المسيح فارسل الملك واعظهُ لكي يستشير لوثيروس دكتور وتمبرج في تلك القضية لان اسمهُ كان قد اشتهر . وهنا جواب لوثيروس وهو اول مكتوب كتبهُ الى واعظ دار الملك فقال

ماذا اقول . ان هولاء الرهبان يدّعون انهم يخرجون بعلزبوب ولكن لا باصبع الله فلا اكف عن التنهد والنوح من جراء ذلك . اننا نحن المسيحيين قد ابتدأنا ان نكون حكماء في الخارج ومجانين في الداخل فانهُ في كل جزء من اورشليمنا تجاديف اردا من تجاديف اليهود بمئة مرة وكل ما هو هناك فانهُ مملوء

من الاصنام الروحية فمن واجباتنا ان نخرج ونلاشي بغيرة مقدسة هولاء الاعداء الداخلين . ولكننا نتغافل عما هو اهم والشيطان نفسهُ يقنعنا في ان نترك ما يختص بنا في نفس الوقت الذي يصدُّنا عن اصلاح ما يختص بالاخرين

الفصل الثامن

بعض تعاليم لوثيروس الجهارية

ان لوثيروس لم يتغافل عن امور نفسهِ في هذا الجدال فان ايمانًا حيًّا بالمسيح ملأَ قلبهُ وحياتهُ . قال انهُ في قلبي يملك وحدهُ (ويجب ان يملك وحدهُ) الايمان بربي يسوع المسيح الذي هو بداءة ووسط ونهاية جميع الافكار التي تشغل ضميري في النهار والليل . فكان كل سامعيهِ يصغون اليهِ متعجبين عند ما تكلم عن ذلك الايمان بيسوع المسيح سواء جلس في كرسي التعليم او قام في منبر الوعظ وانتشر نور عظيم من تعليمهِ وتعجب الناس من عدم اقرارهم بتلك الحقائق التي اتَّضحت من كلامهِ كل الوضوح . قال ان رغبة الانسان في تبرير نفسهِ هي علة جميع اوجاع قلبهِ واما من يقبل المسيح مخلصًا فانهُ يتمتع بالسلام وليس بالسلام فقط بل بطهارة القلب ايضًا لان كل تبرير القلب هو ثمرة الايمان لان الايمان هو عمل الهي فينا يغيّرنا ويولدنا ولادة جديدة اذ يصدر من الله نفسهِ ويقتل آدم العتيق فينا وبواسطة الروح القدس المعطى لنا يعطينا قلبًا جديدًا ويصيرنا اناسًا جددًا. وقال ايضًا ليس بنظريات فارغة بل بهذه الطريقة العملية نحصل على معرفة يسوع المسيح معرفة منقذة

وفي ذلك الوقت خطب لوثيروس تلك الخطب عن الوصايا العشر الواصلة الينا معنونةً مناداة للعامة وفيها بعض الغلط لا محالة لان لوثيروس انما استنار بالتدريج كما قال الحكيم اما سبيل الصديقين فكنورٍ مشرق يتزايد وينير

الى النهار الكامل (ام ٤: ١٨) ومع وجود تلك الغلطات فاي حق واية بساطة واية بلاغة في تلك الخطب ولا عجب من تاثيرها عند سقوطها من فم الواعظ الجد بد على مسامع سامعيهِ في جيلهِ ونقتصر على اقتباس بعض العبارات الماخوذة من اولها

صعد لوثيروس على منبر وتمبرج وقرا هذه الكلمات لا يكن لك آلهة اخرى امامي (خر ٢٠: ٣) ثم التفت الى الشعب المزدحم في الكنيسة فقال ان جميع بني آدم هم وثنيون . وقد تعدوا هذه الوصية الاولى (وكانت بالجرمانية واما الاقتباسات هنا فهي من ترجمة لاتينية) ولا ريب ان هذا القول الغريب نفَّر سامعيهِ فاخذ المتكلم يثبت قولهُ فقال العبادة الوثنية نوعان احدهما خارجي والاخر داخلي اما الخارجي فهو السجود للخشب والحجر والحيوانات والاجرام السموية . واما الداخلي فهو ان الانسان خائفًا من القصاص او طالبًا شهوة نفسهِ لا يعبد الخليقة ولكن يحبها في قلبهِ ويتكل عليها ..... فما هي هذه الديانة . أَلا تحنون ركبكم امام الغنى والكرامة ولكنكم تقدمون لها قلوبكم التي هي اشرف جزء منكم ويُحكَم عليكم بانكم تعبدون الله بالجسد وتعبدون الخليقة بالروح . وهذه العبادة الوثنية غالبةٌ في كل انسان حتى يبرا بواسطة عطية الايمان الذي بالمسيح يسوع المجانية . وكيف يتم الشفاء . اسمعوا فاخبركم . ان الايمان بالمسيح ينزع منكم كل اتكال على حكمتكم وبركم وقوتكم ويعلمكم انهُ لو لم يمت المسيح عنكم ولو لم يخلصكم هو لما قدرتم انتم ولا خليقة اخرى على ذلك وحينئذٍ تتعلمون ان تحتقروا كل تلك الاشياء التي لا تفيدكم شيئًا . فلا يبقى لكم الاَّ يسوع المسيح . المسيح وحدهُ . المسيح الذي هو كل كفاءة لنفسكم واذ لا ترجون شيئًا من اية خليقة كانت فليس لكم الاَّ المسيح الذي منهُ ترجون كل شيء وتحبونهُ فوق كل شيء . اما المسيح فهو الاله الوحيد الفريد الحقيقي ومتى اتخذتموهُ الهًا لكم لا يكون لكم آلهة اخرى

فعلى هذا المنوال بيَّن لوثيروس كيف ترجع النفس الى الله خيرها الاعظم

بواسطة الانجيل حسبما قال الرب يسوع المسيح انا هو الطريق لا ياتي احد الى الآب الاَّ بي . ومن يخاطب جيلهُ على هذا المنوال لا بد انهُ يتوخى شيئًا اكثر من اصلاح بعض الغلطات بل يجتهد فوق كل شيء ان يثبت الديانة الحقيقية وعملهُ ليس سلبيًّا يهدم الموجود بل على الاكثر ايجابي يبني ويجدد . ثم وجَّه لوثيروس خطابهُ بعد ذلك ضد الخرافات التي ملأَت حينئذٍ العالم المسيحي مثل الاشارات والخطوط السرية وحفظ بعض الايام والاشهر والعرافة والاعتقاد بالاخيلة وتاثير الكواكب والسحر والفال والجان وحراسة القديسين وهلمَّ جرًّا قاومها جميعًا الواحد بعد الاخر وبذراع قوية طرح جميع الآلهة الكاذبة

الاَّ انهُ اعلن على الخصوص ذخائر كلام الله في قاعة خطبهِ قدام جماعة من الشبان المتنورين الجائعين والمتعطشين للحق . قال صديقهُ الفاضل ملانكثون انهُ كان يفسر الكتاب المقدس على طريقة جعلت جميع الاتقياء واصحاب الخبرة يحكمون بانهُ قد اشرق صباحٌ جديد على التعليم بعد ليل ظلام طويل . بيَّن الفرق بين الناموس والانجيل ونقض الضلال الشائع حينئذٍ في الكنائس والمدارس اي ان الناس بواسطة اعمالهم يستحقون غفران الخطايا ويصيرون ابرارًا امام الله بتاديب جسدي خارجي وهكذا قاد قلوب الناس مرجعًا اياهم الى ابن الله . ونظير يوحنا المعمدان اشار الى حمل الله الذي رفع خطايا العالم واوضح كيف تغفر الخطية مجانًا بواسطة ابن الله وان الانسان يقبل هذه البركة بواسطة الايمان . فلم يغير الطقوس ولكن بالعكس لم يكن في رهبنتهِ احد ادقّ منهُ حفظًا لها ولا اشدّ محاماة عنها الاَّ انهُ اجتهد اكثر فاكثر في تفهيم الجميع هذه التعاليم العظيمة الجوهرية اي التجديد وغفران الخطايا والايمان والتعزية الحقيقية التي في الصليب واثرت جدًّا في الاتقياء حلاوة التعليم وقبلهُ العلماء بفرح حتى لاق القول ان المسيح والرسل والانبياء قد خرجوا حينئذٍ من ظلمة سجن نجس

والثبات الذي استند بهِ لوثيروس على الكتب المقدسة اكسب تعاليمهُ سلطانًا قويًّا وزادتهُ قوةً بعض الظروف الاخر . ومن اخص صفاتهِ مطابقة

سيرتهِ لكلامهِ وظهر للكل ان تلك الخطب لم تخرج من شفتيهِ فقط بل نبعت من قلبهِ وجرت بالفعل في جميع اعمالهِ وعند ما ظهر الاصلاح بعد ذلك بقليل قبلهُ اناس كثيرون من اهل السطوة ممن نظر بتاسف الى تلك الانقسامات في الكنيسة وممن اكتسبهُ لوثيروس قبلاً بواسطة قداسة سيرتهِ وجودة عقلهِ وعوضاً عن المضادة قبلوا ذلك التعليم الذي شهد لهُ باعمالهِ وكلما احب الناس الفضائل فبالنسبة الى ذلك مالوا الى المصلح. وكان جميع اللاهوتيين الامناء من حزبهِ حسب شهادة الذين عرفوهُ ولا سيما احكم اهل عصرهِ ملانكثون وايراسموس خصم لوثيروس المشهور وقد تجاسر الحسد والتعصب على الطعن في سيرتهِ والحال ان وتمبرج تغيرت بواسطة كرازة الايمان هذه وصارت تلك المدينة مركز نور مدَّ بسرعة الى كل جرمانيا واشرق على الكنيسة باسرها وسنة ١٥١٦ اشهر لوثيروس كتابَ لاهوتيٍّ متصوّف غير معروف الاسم (ولعلهُ ابلند واحدًا من خوارنة فرانكفورت) عنوانهُ اللاهوت الجرماني بهِ يوضح المولف كيف يقدر الانسان ان يحصل على الكمال بواسطة التطهير والتنوير والشركة اما لوثيروس فلم يمل قط الى التصوُّف ولكن استفاد منهُ كراهة تعاليم الفلاسفة الناشفة واحتقار الرسوم والسنن المنادى بها كثيرًا من الكنيسة والاقتناع بعجز الانسان واحتياجهِ الى النعمة والتصاقًا بالكتاب المقدس وكتب الى ستوبتز اني افضّل لاهوت التصوُّف والكتاب المقدس على جميع الفلاسفة وبذلك جعل كل المعلمين في الرتبة الثانية تحت كُتَّاب الكتب المقدسة وربما اعانهُ اللاهوت الجرماني في معرفة الاسرار وعلى الخصوص العشاء الرباني معرفةً اصحّ لان المولف يذهب الى ان الافخارستيا تعطي المسيح للانسان ولا تقدم المسيح تقدمة لله وكتب لوثيروس مقدمة للكتاب المذكور بها يوضح انهُ بعد الكتاب المقدس والقديس اوغسطينوس لم يعثر قط على كتاب تعلم منهُ عن الله والمسيح والانسان وجميع الاشياء الاخر مثلما تعلمهُ من ذلك الكتاب وكان كثيرون من العلماء قد ابتداوا يطعنون في معلمي وتمبرج ويقرفونهم بابتداع اشياء جديدة. قال لوثيروس

كان القوم يقولون انهُ لم يكن قط من علَّم بما نعلّم بهِ والحال ان كثيرين علّموا مثلما نعلّم ولكن غضب الله الذي استوجبتهُ خطايانا منعنا عن نظر اولئك والتعلم منهم فان المدارس منذ مدة طويلة نفت كلام الله فليقرأوا هذا الكتاب وحينئذٍ يحكمون هل لاهوتنا حديث ام لا لان هذا الكتاب ليس هو حديثًا فيظهر ان لوثيروس استخرج من لاهوت التصوُّف كل ما احتواهُ من الصلاح ورَفَض البقية والغلطُ العظيم في التصوُّف هو التغافل عن موهبة الخلاص المجانية

وكان لوثيروس ذا قلبٍ شفوق رقيق ورغب ان يكون لجميع الذين احبهم ذلك النور الذي ارشدهُ الى طريق السلام واغتنم كل فرصة من كونهِ معلمًا او واعظًا او راهبًا وبمكاتباتهِ الكثيرة لاعطاء كنزهِ للاخرين . كان واحد من اخوتهِ الاولين في دير ارفرث الراهب جرجس سبنلاين مقيمًا في دير ماميخين وربما كان ذلك بعد ان صرف مدة قصيرة في وتمبرج وسبنلاين هذا كان قد وكل لوثيروس ببيع اشياء مختلفة تركها عندهُ وهي جبة وكتاب تاليف معلم من ايسناخ وقلنسوة فتمم لوثيروس هذه الوكالة بامانة فباع الجبة بفلوريني والكتاب بنصف فلوريني والقلنسوة بفلوريني كما يتضح من مكتوب كتبهُ الى سبنلاين بتاريخ ٧ نيسان سنة ١٥١٦ ودفع الثمن للاب العام الذي كان لهُ في ذمة سبنلاين ثلاثة فلورينات ثم ادار سياق الكلام سريعًا من حساب بضائع راهب الى موضوع اهم فكتب الى الاخ جرجس قائلاً كنت اسرّ جدًّا ان اعرف حالة نفسك الم تملّ من برّ نفسها الم تفز بالحرية الى الآن والّا تثق ببر المسيح فان الكبرياء في ايامنا تضلّ كثيرين وعلى الخصوص اولئك الذين يبذلون كل جهدهم لكي يصيروا ابرارًا واذ لا يعرفون برّ الله المعطى لنا مجانًا بيسوع المسيح يريدون ان يقفوا امامهُ باستحقاقاتهم ولكن ذلك لا يمكن ان يكون . وعند ما كنتَ ساكنًا معي كنتَ في هذا الغلط وكذلك كنتُ انا واما الآن فاني احارب ذلك بدون انقطاع والى الآن لم اظفر بالغلبة التامة عليهِ

آه يا اخي العزيز تعلَّم معرفة المسيح واياهُ مصلوبًا وتعلَّم ان ترتل لهُ ترتيلاً

جديدًا وان تيأس من نفسك وان تقول لهُ ايها الرب يسوع المسيح انت برّي وانا خطيتك وقد اخذت ما هو لي واعطيتني ما هو لك وقد صرتَ ما لم تكنهُ قبلاً لكي اصير انا ما لم اكنهُ قبلاً فاحذر يا عزيزي جرجس من ان تدعي الطهارة بحيث لا تعود تقر بانك خاطئ لان المسيح انما يسكن مع الخطاة ونزل من السماء حيث كان بين الابرار لكي يعيش ايضًا بين الخطاة فتامل باهتمام في محبة المسيح هذه فتذوق كل تعزيتها التي لا توصف ولكن لو كانت اتعابنا واحزاننا قادرة ان تعطي سلامًا للضمير فلماذا مات المسيح . انك لا تجد سلامًا الاَّ فيهِ اذ تيأس من نفسك ومن اعمالك وتتعلم باية محبة يفتح ذراعيهِ لقبولك اذ يحمل كل خطاياك على نفسهِ ويعطيك كل برّهِ

فهكذا بقوة اوضح لوثيروس التعليم القوي الذي خلص العالم في العصر الرسولي وكان عتيدًا ان يخلصهُ ثانية في ايام الاصلاح فسرهُ بنشاط ووضوح كانهُ تقهقر الادوار الكثيرة المتوسطة الموعبة جهلاً وخرافاتٍ واعطى يدهُ في ذلك للقديس بولس الرسول

ولم يقصد ان ينير سبئلاتين وحدهُ في هذا التعليم الاساسي وانزعج من قلة الحق الذي وجدهُ بهذا المعنى في مولفات ايراسموس وراى تنوير رجل كهذا ذي سلطة عظيمة بهذا المقدار امرًا عظيم الشان جدًا واختار كيف يتم هذا القصد وصديقهُ في دار الملك اي خوري الملك اعتبرهُ ايراسموس كل الاعتبار وهو الذي التفت اليهِ لوثيروس فكاتبهُ قائلاً يا عزيزي سبالاتين ان الذي يغيظني في ايراسموس العالم بهذا المقدار هوانهُ ببر الاعمال والشريعة الذي يتكلم عنهُ الرسول هو يفهم تكميل الشريعة الطقسية والحال ان برّ الشريعة لا يقوم بالطقوس فقط بل بجميع اعمال الوصايا العشر حتى ان هذه الاعمال لو اكملت من دون ايمان بالمسيح لربما صيرت اناسًا كاملين في اعين العالم مثل فبريشيوس وريجولوس وغيرهما من الوثنيين الافاضل الاَّ انها والحالة هذه لا تستحق ان تُسمَّى برًّا اكثر مما تستحق ثمرة المشمش ان تُسمَّى تينًا لاننا لا نصير ابرارًا كما يزعم

اريسطو بمباشرة اعمال بارة ولكن متى صرنا ابراراً فحينئذٍ نعمل مثل هذه الاعمال . فالانسان يجب ان يتغير اولاً ثم بعد ذلك تتغير اعماله فان هابيل قبله الله اولاً ثم قربانه فارجوك ان تكمل واجبات صديق ومسيحي بايضاح هذه الامور لابراسموس . وهذا المكتوب أُرخ سُطِّر بالعجلة من زاوية ديرنا في ١٩ تشرين الاول سنة ١٥١٦ وهو يبين على طريق صريح النسبة بين لوثيروس وابراسموس وخلوص رغبة لوثيروس التي شعر بها في اكمال ما ظن انه يفيد ذلك المعلم الفاضل فائدة حقيقية . ولا ريب ان المضادة التي ابداها ابراسموس نحو الحق الزمت لوثيروس بعد مدة الى مقاومتهِ جهاراً غير انه لم يفعل ذلك الاَّ بعد ان اجتهد في انارة خصمهِ . وحينئذٍ توضحت افكار صريحة وعميقة من جهة ماهية الصلاح واشتهر هذا المبدا وهو ان ما يقوم بهِ الصلاح الحقيقي في عملٍ من الاعمال ليس هو ظاهرهُ بل الروح الذي يُمارَس بهِ وضربت بهِ جميع تلك السنن الخرافية التي بقيت ادواراً كثيرة تضايق الكنيسة وتمنع الفضائل المسيحية من النمو والزهو داخلها

قال لوثيروس في وقت آخر انا اقرا الآن مولفات ابراسموس وكل يوم يقل اعتبارهُ عندي . احب ان اراهُ يوبخ بهذا المقدار من الثبات والعلم جهلَ الخوارنة والرهبان الدنيّ الاَّ انني اخاف من انه لا ينفع تعليم يسوع المسيح منفعة كبيرة . لان ما للانسان هو اعز اليهِ مما هو لله . اننا عائشون في ازمنة خطرة والانسان لا يكون مسيحيًّا صالحًا فطنًا بناءً على معرفتهِ باليوناني والعبراني فان ايرونيموس العارف خمس لغات هو دون اوغسطينوس الذي لم يكن يعرف الاَّ لغة واحدة ولئن كان ابراسموس يرتئي العكس واني بكل حرص اخفي راياتي من جهة ابراسموس خوفًا من ان اعين اخصامهُ وعسى ان يعطيهُ الرب فهمًا في حينهِ المختار

والامران اللذان رغب لوثيروس في اثباتهما ثانية هما عجز الانسان وقدرة الله الكلية . فالفلسفة والديانة اللتان ترشدان الانسان الى قوتهِ الذاتية هما تعيستان ورديتان وادوارٌ كثيرة امتحنت هذه القوة التي يُفتخر بها بهذا المقدار

ووجدت بطالتها ومع ان الانسان قد وصل بقوة الطبيعة الى درجة سامية في كل ما يتعلق بوجودهِ الزمني لم يمكنهُ قط ان يبدد الظلمة التي تستر عن نفسهِ معرفة الاله الحقيقي ولا ان يغير ميزة واحدة من مزايا قلبهِ. والدرجة الاسمى من الحكمة التي وصل اليها اصحاب العقول الثاقبة او اصحاب النفوس المتعطشة الى الكمال هي درجة الياس من انفسهم. ومن ثمَّ هو تعليم كريم ومعزٍ وصادق على التمام التعليم الذي يكشف عجزنا لكي ينادى بقوة من الله بها نقدر ان نعمل جميع الاشياء وهو بالحقيقة اصلاح عظيم الذي يحامي على الارض عن مجد السماء ويبرهن قدام الانسان حقوق الله القدير

ولم يكن احد يعرف احسن من لوثيروس الرباط الوثيق غير المنحل الذي يصل بين خلاص الله المجاني واعمال الانسان الحرة ولم يبين احد باكثر ايضاح منهُ انهُ بمجرد قبول كل شيء من المسيح يقدر الانسان ان يعطي كثيرًا لاخوتهِ وكان دائمًا يصوّر هذين العملين عمل الله وعمل الانسان في صورة واحدة ولذلك بعد ان اوضح للاخ سبنلاين ما هو المراد بالبر المنقذ قال اذا آمنت ايمانًا وطيدًا بهذه الاشياء كما يجب عليك لانهُ ملعون من لا يومن بها فاقبل اخوتك الذين لم يزالوا في حالة الجهل والغلط كما قبلك يسوع المسيح واحتملهم بصبر واجعل خطاياهم خطاياك واذا كان لك شيء صالح فاشركهم فيهِ. قال الرسول اقبلوا بعضكم بعضًا كما ان المسيح ايضًا قبلنا لمجد الله (رو ١٥: ٧) واما البر الذي لا يطيق الآخرين لانهُ يجدهم اشرارًا والذي لا يطلب الاَّ التوحد في البرية عوضًا عن ان يبدي نحوهم الاحسان بالاناة والصلوة والقدوة فهو برٌّ برثيٌّ لهُ واذا كنت انت زنبق المسيح ووردهُ فاعلم ان مسكنك هو بين الاشواك ولهذا يجب ان تحذر لئلاَّ تصير انت نفسك شوكًا بعدم صبرك ودينونتك الصارمة وكبريائك الخفية فان المسيح يملك في وسط اعدائهِ. ولو طلب ان يعيش بين الصالحين فقط ويموت لاجل الذين يحبونهُ فقط فمن اجل مَن كان قد مات وبين مَن كان قد عاش

انهُ لامر يستحق الاعتبار كيف اظهر لوثيروس هذه المبادي المفعمة محبة في سيرتهِ فان راهبًا اوغسطينيًّا من ارفرث اسمهُ جرجس لايفر كان معرضًا لتجارب كثيرة فبلغ ذلك لوثيروس نحو اسبوع بعد ما كتب المكتوب السابق الى سبنلاين كاتبهُ بكلام التعزية قائلاً قد بلغني انك متلطم من عواصف كثيرة وان نفسك تُدفَع الى هنا وهناك بالامواج التي تلطمها الى ان يقول ان صليب المسيح منقسم بين العالم باسرهِ وكل انسان ينال نصيبهُ منهُ فلا يجب لذلك ان ترفض ما قد اصابك منهُ فاقبلهُ بالحري ذخيرة مقدسة لا في اناء فضة او ذهب بل في ما هو افضل جدًّا في قلب من ذهب. في قلب مملوء وداعة واذا كان عود الصليب قد تقدس هكذا بواسطة جسد المسيح ودمهِ حتى صرنا نعتبرهُ كاكرم الذخائر فكم بالاولى يجب ان مظالم الناس واضطهاداتهم وتعذيباتهم وبغضتهم تكون ذخائر مقدسة لنا لانها لم تلامس جسم المسيح فقط بل قد اعتنقها وقبلها وباركها ايضًا بمحبتهِ غير المتناهية

الفصل التاسع

القضايا الاول التي اشهرها لوثيروس

ان تعليم لوثيروس اثمر اثمارهُ الطبيعية فان كثيرين من تلامذتهِ ساقتهم ضمائرهم الى الاقرار جهارًا بتلك الحقوق التي كشفتها لهم مثالات معلمهم ومن جملة سامعيهِ تلميذٌ شاب اسمهُ برناردوس فلدكرخن معلم طبيعيات اريسطو في المدرسة الكلية وبعد ذلك الوقت بخمس سنوات صار اول من تزوج من الاكليروس الانجيليين. واراد لوثيروس ان فلدكرخن يعضد تحت نظارتهِ بعض القضايا او التعاليم المتضمنة مباديهِ فبهذه الواسطة ذاعت التعاليم التي علَّم بها لوثيروس كل الذيع وحدث هذا الجدال سنة ١٥١٦ وهو اول هجوم لوثيروس على سلطة

السفسطيين والباباوية كما يصفها هو نفسهُ ومع ضعفها سببت لهُ يومئذٍ اضطراباً فقال بعدها بسنين كثيرة عندما اشهرها بين مولفاتهِ انني اسمح بطبع هذه القضايا لكي لا اسقط في العجب والكبرياء من تلقاء عظمة العمل الذي اخذتُ فيهِ والنجاح الذي كللهُ الله بهِ لانها تظهر على التمام حقارتي اعني الضعف والجهل والخوف والرعدة التي بها شرعت في هذه الحرب . وكنتُ حينئذٍ وحدي واقتحمت هذا العمل واذ لم اقدر على الرجوع سلمت بقضايا كثيرة مهمة للبابا حتى اني عبدتهُ ايضاً . وهاك بعض القضايا المشار اليها

ان آدم العتيق هو باطلة الاباطيل فهو الباطلة العمومية وهو يجعل جميع الخلائق الاخر باطلة مهما كانت جديدة

ان آدم العتيق يسمى الجسد ليس لانهُ يقتاد بشهوات الجسد فقط بل ايضاً لانهُ ليس مولوداً ثانية من الله بواسطة الروح القدس ولو كان عفيفاً فطناً باراً

ان الانسان الذي لا نصيب لهُ في نعمة الله لا يقدر ان يحفظ وصايا الله ولا ان يعد نفسهُ كلياً او جزئياً لقبول النعمة بل يبقى بالضرورة تحت سلطان الخطية

ان ارادة الانسان من دون نعمة ليست حرة بل هي مستعبدة وذلك بارتضائها ايضاً

ان المسيح قوتنا وبرّنا الذي يفحص القلوب والكلى هو وحدهُ مميز استحقاقاتنا وقاضيها

بما ان كل شيءٍ ممكن للمومن بواسطة المسيح فهو امر خرافي ان نلتمس عوناً آخر ان كان من ارادة الانسان او من القديسين

فحدثت من هذا الجدال ضجة عظيمة وقد حُسِب ابتداء الاصلاح . واقتربت الساعة لظهوره واسرع الله فاعدَّ الواسطة التي قضى باستعمالها . واذ بنى الملك كنيسة جديدة في وتمبرج على اسم جميع القديسين ارسل ستوبتز الى

البلاد الواطية ليجمع ذخائر لاجل زينة البناء الجديد فاقام النائب العام لوثيروس لكي يسد مسدهُ في غيبتهِ وعلى الخصوص لكي يزور الاربعين ديرًا في مسنيا وثورنجيا . فتوجه لوثيروس اولاً الى كرِماً ثم الى دريسدن واجتهد في كل مكان ان يذيع الحقوق التي كان قد كشفها وان ينير ابناء رهبنتهِ فقال للرهبان لا تربطوا انفسكم باريسطو ولا بمعلم آخر يعلم فلسفة غاشة بل اقرأوا كلمة الله باجتهاد ولا تلتمسوا الخلاص من تلقاء قلوبكم ولا اعمالكم الصالحة بل في استحقاقات المسيح وفي نعمة الله

وهرب راهب اوغسطيني من دريسدن من ديرهِ واتى الى منتز حيث قبلهُ رئيس الاوغسطينيين فكتب لوثيروس الى الرئيس ملتمسًا منهُ ان يرد النعجة الضالّة مستقلبًا بهذه العبارات المملوءة محبةً وحقًا انا اعلم انهُ لا بد من حدوث العثرات فلا عجب ان يسقط الانسان بل العجب هو ان يقوم ايضًا ويقف مستقيمًا فان بطرس سقط لكي يعلم انهُ لم يكن الاَّ انسانًا وفي ايامنا نرى ارز لبنان يسقط والملائكة (وذلك فوق كل تصور) سقطوا في السماء وآدم سقط في الفردوس فلماذا اذًا نتعجب اذا تحركت قصبة بالزوبعة او انطفأت فتيلة مدخنة

ثم تقدم لوثيروس من دريسدن الى ارفرث فجاء لكي يجري اعمال النائب العام في نفس الدير الذي فيهِ من مضي احدى عشرة سنة كان يدبر الساعة ويفتح الابواب ويكنس الكنيسة وعيَّن رئيسًا على الدير صديقهُ يوحنا لانجي العالِم التقي الاَّ انهُ كان قاسي الطبع فحثهُ على الحلم والصبر وكتب اليهِ بعد ذلك بقليل يقول البس روح الوداعة نحو رئيس نورمبرج وذلك انما هو لائق لانهُ قد ابدى روح المرارة والخشونة فان المرارة لا تُدفَع بالمرارة ولكن الحلاوة تدفع المرارة اي ان اصبع الله تخرج الروح الخبيث . ونتاسف على ان لوثيروس نفسهُ في بعض الاحوال نسي هذه النصيحة الجليلة

ولم يكن في نيوستدت الواقعة على نهر اورلا الاَّ الاختلاف فاشتدَّ الخصام والمنازعات في الدير وكان الرهبان في حرب مع رئيسهم فثاروا على لوثيروس

بتشكياتهم فالرئيس مخائيل دراسل او تورنانو كما سماهُ لوثيروس مترجمًا اسمهُ الى اللاتينية القى جميع صعوباتهِ امام لوثيروس فاجابهُ السلام السلام انت تطلب السلام ولكن ما تطلبهُ انما هو سلام العالم لا سلام المسيح. أما تعلم ان الهنا قد وضع سلامهُ في وسط الحرب فمن لا يزعجهُ احدٌ ليس لهُ سلام ولكن الذي يزعجهُ جميع الناس واشياء هذه الحيوة ويحتمل كل ذلك بالهدو والفرح فهو المالك السلام الحقيقي فانت تقول كما قال اسرائيل قديمًا السلام السلام ولكن لا سلام بل الاجدر ان تقول مع المسيح الصليب الصليب فعن قريب لا يكون لك صليب لان الصليب لا يلبث صليبًا حالما تقول بمحبة ايها الصليب المبارك لا عود كعودك واذ رغب لوثيروس انهاء تلك المنازعات اذن للرهبان عند رجوعهِ الى وتمبرج بان يختاروا لانفسهم رئيسًا آخر

وبعد غيبة ستة اسابيع رجع الى وتمبرج مغتنمًا من كل ما قد رآهُ الآن السفر اكسبهُ معرفة اتم بحال الكنيسة والعالم وزادهُ ثقة بفائدة اختلاطهِ مع الناس وفتح لهُ فرصًا كثيرة لاقامة مدارس وترسيخ التعليم الاساسي ان الكتب المقدسة وحدها ترينا الطريق الى السماء ولحث الاخوة على العيشة معًا بالقداسة والعفة والسلام. ولا شك ان هذا المصلح زرع زرعًا كثيرًا صالحًا في اديرة الاوغسطينيين المختلفة عند زيارتهِ اياها والرهبنات التي طالما عضدت رومية عضدًا شديدًا ربما اعانت الاصلاح اكثر مما أضرتهُ على الخصوص رهبان مار اوغسطينوس وقد تحوَّل الى جهة الانجيل جميع الاتقياء تقريبًا ذوي العقل الكريم الرفيع المستترين في الاديرة ولم تمضِ الاَّ مدة قصيرة حتى دار دم جديد كريم في تلك الرهبنات التي كانت على نوعٍ ما شريانات الكنيسة الجرمانية. وعندما كانت افكار الوتمبرجي الاوغسطيني الجديدة اعظم موضوعات الحديث في القلايات والاديرة لم يكن شيءٌ منها معروفًا في العالم. وصارت اديرة كثيرة على هذا المنوال مرضعات لعدة مصلحين وحالما هاجت الحرب واشتد القتال بين النور والظلام خرج اناس اتقياء مقتدرون من سترتهم وتركوا انفصال العيشة الرهبانية لكي

يكونوا خداماً لشياطين لكلمة الله وفي مدة تلك النظارة سنة ١٥١٦ ابنظ لوثيروس بواسطة كلامهِ انفساً كثيرة كانت نائمة ولهذا سميت تلك السنة كوكب صبح نهار الانجيل

ثم رجع لوثيروس الى عملهِ الاعتيادي وتراكم عليهِ الشغل حينئذٍ . كان معلماً وواعظاً ومعرّفاً وفوق كل ذلك تحمل اشغالاً اخر كثيرة زمنية تتعلق برهبنتهِ ودبرهِ . فكتب الى بعض اصحابهِ قائلاً انني احتاج الآن نادراً الى كاتبين لانني لا اعمل شيئاً آخر كل النهار الا كتابة مكاتيب فانا واعظ للدير واقرا الصلوات على المائدة وانا راعٍ وخادم الرعية وناظر الدروس ووكيل الرئيس اي اشتغل شغل احد عشر رئيساً وناظر برك السمك في لتزكو ومشير حوانيت هرزبرج في تورجو ومدرّس على رسالات بولس ومفسر للمزامير الى ان يقول وبالنادر لي وقت لتلاوة الصلوات اليومية وترتيل ترنيمة فضلاً عن حربي مع اللحم والدم ومع الشيطان والعالم ثم يقول فتحقق من ذلك ما اكسلني

وبالقرب من ذلك الوقت ظهر الوباء في وتمبرج فترك عدد كبير من المعلمين والتلامذة المدينة واما لوثيروس فبقي وكتب الى صديقهِ في ارفرث قائلاً لا اعلم هل يسمح لي الوباء بتكميل الرسالة الى غلاطية فان هجماته مفاجئة وشديدة وهو ياخذ كثيرين وعلى الخصوص الشبان . وانت تنصحني ان اهرب فالى اين اهرب . اظن ان العالم لا ينتهي ولو مات الاخ مرتينوس . فاذا انتشر الوبا فسوف افرق الاخوة الى كل جهة واما انا فمكاني هنا وواجباتي لا تسمح لي بترك موضعي الى ان ياخذني ذلك الذي دعاني ليس لاني لا اخاف من الموت لاني لست بولس بل انما شارحهُ ولكن ارجو ان الله ينجيني من الخوف . فهذا هو عزم معلم وتمبرج الذي لم يقدر الوباء ان يكرهَهُ على نقل خطوة واحدة فهل يخاف قدام رومية وهل يسلم لها خوفاً من القتل

الفصل العاشر

الذخائر . وعظ لوثيروس امام الملك وحشمهِ

ان لوثيروس ابدا قدام اعزاء هذا العالم نفس الشجاعة التي اظهرها في وسط البلايا الهائلة . اما الملك فسرَّ جدًّا من النائب العام الذي حصد حصادًا غنيًّا من الذخائر في البلاد الواطية ولوثيروس قصَّ على سپالاتين امر الذخائر هذا وحدوث هذه الحادثة بقرب اول ظهور الاصلاح شيءٌ غريب والامر واضح ان المصلحين انفسهم لم يعلموا الى اين تؤديهم الافكار والمبادي التي شرعوا بها وتراءَى للملك ان الاسقفية هي اصغر جزاء تجازى بهِ خدامات النائب العام . واما لوثيروس الذي كتب اليهِ سپالاتين في هذا الصدد فقاوم هذا الراي بشدة فاجابهُ قائلًا ان اشياء كثيرة ربما تعجب اميرك وهي مع ذلك تغضب الله . فلست انكر انهُ ماهر في قضايا هذا العالم واما في ما يختص بالله وخلاص النفوس فاني احسبهُ هو ومشيرهُ پفافنجر اعميين سبعة اضعاف العمى ولست اقول هذا في قفائهما كثالب فلا تخفهِ عنهما لانني انا مستعدٌّ في جميع الاحوال ان اقولهُ لهما كليهما في وجههما ثم قال لماذا تحفون هذا الرجل (اي ستوبتز) بجميع زوابع الاهتمامات الاسقفية وعواصفها

ولم يغتظ الملك من مجاهرة لوثيروس هذه بل كتب سپالاتين للوثيروس قائلًا ان الملك مرارًا كثيرة يتكلم عنك بكل الاعتبار . وارسل الملك فردريك الى لوثيروس شيئًا من الجوخ الفاخر جدًّا لكي يفصل من ذلك رداء فكتب قائلًا انهُ افخر مما يليق لي لو لم يكن هدية ملك فانني لا استحق ان يفتكر بي احدٌ وكم بالاقل ان يفتكر بي ملك ولا سيما ملك عظيم كهذا والذين يفتكرون فيَّ

بالردي فهولاء احسن اصدقائي فاشكر ملكنا على معروفهِ نحوي ولكنني لا اقدر ان اسمح بان تمدحني انت ولا ان يمدحني انسان آخر ايًّا كان لان كل مديح الانسان باطل وليس شيءٌ صادقًا الاَّ ما ياتي من الله

ولم يرد الواعظ الفاضل سپالاتين ان يحصر نفسهُ في واجباتهِ في دار الملك بل رغب ان يفيد الشعب ونظير اشخاص كثيرين رغب تتميم ذلك من دون اهانة ومن دون عثرة بواسطة ارضاء الجمهور فكتب الى لوثيروس يقول عيِّن لي كتابًا اترجمهُ الى لغة امّنا يكون مرضيًا للجميع وفي الوقت ذاتهِ مفيدًا ايضًا فاجابهُ لوثيروس. يا للعجب. كتاب مرضٍ ومفيد معًا مثل هذا الملتمس فوق طاقتي لان رضى الناس بالشيء يقل بالنسبة الى حسنهِ فايُّ شيء انفع من يسوع المسيح ومع ذلك هو للاكثرين رائحة موت وربما تقول لي انك تريد ان تفيد الذين يحبون الصالح فقط. فاذًا أسمعهم صوت يسوع المسيح وليكن محققًا عندك انك لا تكون مفيدًا ومرضيًا معًا الاَّ للقليل القليل جدًّا لان الخراف نادرة الوجود في بلاد الذئاب هذه. الاَّ ان لوثيروس مدح لصديقهِ مواعيظ تاولار الدومينيكاني فقال انني لم اقرأ قط لا في اللغة اللاتينية ولا في لغتنا لاهوتًا اصح ولا اكثر مطابقة للانجيل مما في تلك المواعيظ فذق اذًا وانظر ما اطيب الرب ولكن لا تفعل ذلك الاَّ بعد ان تكون قد ذقت اولاً وشعرت ما امرَّ كل شيء فينا

وسنة ١٥١٧ اتصل لوثيروس بالدوك جرجس السكسوني. كان لبيت سكسونيا في ذلك الزمان رئيسان وذلك ان اميرين اسم الواحد ارنست واسم الآخر البرت اخذهما في صباهما من قلعة التنبرج كونز من كاوفنجن صارا بموجب معاهدة ليپسك مؤسسي البيتين اللذين لم يزالا يعرفان باسميهما فالملك فردريك بن ارنست كان في الوقت الذي نحن في صددهِ رئيس الفرع الارنستي وابن عمهِ الدوك جرجس رئيس الفرع الالبرتي وكانت دريسدن وليپسك كلتاهما في مُلك هذا الدوك الذي جعل اقامتهُ في دريسدن وامهُ

صيدونية هي ابنة جرجس بوديابرد ملك بوهيميا والمقاتلة الطويلة التي قاتلت بها بوهيميا رومية منذ عهد يوحنا هس لم تكن من دون تاثير في امير سكسونيا وكثيرًا ما اظهر ميلاً الى اصلاح حتى قال الخوارنة انهُ قد ارتضع ذلك من لبن امهِ وانهُ من ولادتهِ عدوٌّ للاكليروس . فكان يزعج الاساقفة ورؤساء الاديرة القانونيين والرهبان بطرق شتّى وابن عمهِ الملك فردريك التزم مرارًا ان يتشفع بهم عندهُ وظهر ان الدوك جرجس يكون من اشد المحامين عن الاصلاح واما فردريك الورع الذي في السنين السابقة لبس نخاسات كودفري في القبر المقدس واقسم وهو متقلد سيف فاتح اورشليم الطويل الثقيل بانهُ يحارب عن الكنيسة نظير ذلك الفارس القديم البطل فظهر انهُ عتيد ان يكون محاميًا غيورًا لرومية ولكن في كل ما يتعلق بالانجيل ترى خيبة آمال الحكمة البشرية مرارًا كثيرة اذ حدث عكس ما كنا نظنهُ فان الدوك فرح جدًا باذلال الكنيسة والاكليروس وقهر الاساقفة الذين كانت مداخيلهم اكثر كثيرًا من مداخيلهِ واما قبول التعليم الانجيلي المذل كبرياءهُ والاقرار بانهُ خاطي مجرم غير قادر على الخلاص الاَّ بالنعمة فقط فامر آخر فاراد ان يصلح الاخرين ولكنهُ لم يبالِ باصلاح نفسهِ وربما كان قد سرَّ بالزام اسقف منتزبان يرتضي بابرشية واحدة وان لا يقتني اكثر من اربعة عشر حصانًا في اسطبلهِ كما قال مرارًا الاَّ انهُ لما راى آخر غيرهُ آخذًا في التقدم نظير مصلح وراى راهبًا بسيطًا يتكفل بهذا العمل والاصلاح يكتسب محامين كثيرين بين الشعب صار حفيد الملك الهسي المتكبر اشد خصم للاصلاح الذي في اول الامر اظهر انهُ مسرورٌ بهِ

وفي شهر تموز سنة ١٥١٧ طلب الدوك جرجس من ستوبتز ان يرسل اليهِ واعظًا فصيحًا عالمًا فمدح لهُ لوثيروس بانهُ رجل كثير العلم وذو سيرة لا لوم فيها فدعاهُ الملك الى الوعظ في دريسدن في كنيسة القلعة في عيد القديس يعقوب الاكبر . فلما اتى الوقت توجه الدوك وارباب ديوانهِ الى الكنيسة لكي يسمعوا الواعظ الويتمبرجي فاغتنم لوثيروس تلك الفرصة لكي يشهد للحق قدام

مثل ذلك الجمهور فاختار موضوعهُ من الانجيل الذي قُرِئَ في ذلك النهار وهو حينئذٍ تقدمت اليهِ ام ابني زبدي مع ابنيها الخ (مت ٢٠: ٢٠ الى ٣٢) فوعظ في اشواق الناس وصلواتهم غير الصوابية ثم تكلم بكلام قوي في وثيقة الانسان بخلاصهِ وبرهن ما قالهُ بان الذين يقبلون كلمة الله بايمان هم تلاميذ يسوع المسيح الحقيقيون المنتخبون الى الحيوة الابدية ثم اخذ في الكلام عن الانتخاب المجاني وبيَّن ان هذا التعليم اذا أُخِذ مع عمل المسيح لهُ قوة عظيمة لنفي مخاوف الضمير حتى ان الناس عوضاً عن ان يهربوا بعيداً عن الله البار عندما يرون عدم وجود البرّ في انفسهم يقتادون بلطافة الى طلب الالتجاء اليهِ ثم ختم عظتهُ بنموذج ثلاث عذارى استنتج منهُ اموراً تفيد للبناء

وأثَّرت كلمة الحق كل التاثير في سامعيهِ واثنان منهم على الخصوص اصغيا اصغاء تاماً الى خطاب الراهب الوتمبرجي اولهما امراة ظهر على وجهها لوائح الشعور العميق وهي السيدة دي لاسال التي كانت في الرتبة الاولى عند زوجة الدوك والاخر ابرونيموس امسر مشير الدوك وكاتم اسرارهِ وكان امسر عاقلاً وسيع المعرفة واذ كان من اهل دار الدوك وحاذقاً في امور السياسة رغب ان يكون في صلح مع الحزبين المتخاصمين فاراد ان يُحسَب في رومية محامياً عن البابا وية وان يتلألأ في الوقت نفسهِ في جرمانيا بين علماء عصرهِ الّا انهُ استتر تحت هذه الملاسة طبيعة فظة . واول اجتماع بين لوثيروس وامسر كان في كنيسة القصر في دريسدن الّا انهما بعد ذلك تخاصما مراراً كثيرة

ثم حضرت ساعة الطعام لاهل الدار وفي مدة قصيرة اجتمعت عائلة الدوك مع الاعوان على المائدة وصار الحديث طبعاً في واعظ الصباح فقال الدوك للسيدة دي لاسال كيف وجدتِ الوعظ فاجابت لو امكنني ان اسمع وعظاً آخر فقط نظيرهُ لكنت اموت بالسلام فقال جرجس بغضب وانا كان احب اليّ ان اخسر مبلغاً عظيماً من ان اكون سمعتهُ لان مثل هذه المواعيظ انما من شانها ان تجعل الناس يخطئون بطمانينة . وعند ما اشهر المولى رايهُ على هذا

المنوال اطلق انصارهُ العنان لاظهار عدم ارتضائهم وكل واحد منهم مستعد للطعن فقال قوم ان لوثيروس في نموذجهِ عن الثلث العذارى اشار الى ثلث نساء من نساء الدار وصاروا يهذرون في ذلك هذرًا لا ينتهي وكانوا يجاكرون الثلاث النساء اللواتي زعموا ان راهب وتمبرج اشار اليهنّ جهارًا . وقال آخرون انهُ رجل جاهل وقال غيرهم انهُ راهب متكبر وصار كل واحد ينكت على الوعظ ويضع من الكلام ما يشاء في فم الواعظ فسقط زرع الحق في وسط دار قليل الاستعداد لقبولهِ وصار كل واحد يوجههُ حسب هواهُ ولكن مع ان الكلمة صارت سبب عثرة لكثيرين صارت حجر قيام للسيدة الاولى المشار اليها واذ مرضت بعد ذلك بشهر قبلت بكل ثقة نعمة الخلاص وتوفيت بفرح . واما الدوك فربما لم يذهب سدًى استماعهُ تلك الشهادة للحق ومع كل مضادتهِ للاصلاح في مدة حياتهِ نعلم انهُ عند موتهِ صرّح بانهُ ليس لهُ رجاء الَّا في استحقاقات يسوع المسيح

اما امسر فمن الضرورة ان يقدم الكرامات الواجبة للوثيروس باسم مولاهُ فدعاهُ الى العشاء فابى لوثيروس واما امسر فالح عليهِ واقنعهُ بقبول الدعوة فظن لوثيروس انهُ يلاقي بعض الاصدقاء فقط وعند حضورهِ الى الطعام راى سريعًا انهم قد نصبوا لهُ شركًا لان معلمًا في الفنون من ليپسك وبعض رهبان مار دومينيكوس كانوا مع كاتم اسرار الامير . واذ كان معلم الفنون معتدًا بنفسهِ ومملوءًا بغضًا للوثيروس خاطبهُ بمحبة وعذوبة ولكنهُ احتد سريعًا واخذ يصرخ بكل قوتهِ فابتدأ الجدال على شقشقات اربسطو والقديس توما . واخيرًا طلب لوثيروس من معلم الفنون ان يجدّ على راي التوماويين ما هو تكميل وصايا الله فحاول المجادل المرتبك في هذه الامور وقال باسطًا يدهُ اعطِني اجرتي كانهُ درّس دروسًا قانونية متخذًا الضيوف الذين معهُ تلاميذ لهُ . قال المصلح وعند هذا الجواب الاحمق ضحكنا جميعًا وانصرفنا

وفي اثناء هذا الحديث كان راهب دومينيكاني مصغيًا على الباب فاشتهى

ان يدخل ويبصق في وجه لوثيروس الّا انهُ منع نفسهُ وافتخر بذلك بعد حين واذ كان امسر مسرورًا بنظر ضيوفهِ يتجادلون وهو يحفظ الترتيب الواجب اجتهد بالاعتذار الى لوثيروس عن الطريقة التي صُرِفت فيها تلك الليلة واما لوثيروس فرجع الى وتمبرج

الفصل الحادي عشر

رجوع لوثيروس الى وتمبرج واشهارهُ بعض القضايا ضد اصحاب بيلاجيوس

ثم رجع لوثيروس بغيرة الى عملهِ آخذًا في اعداد ستة او سبعة لاهوتيين شبان عتيدين بعد قليل ان يُفحَصوا لكي يرخَّص لهم بالتعليم والذي سرهُ اكثر من كل شيء هو ان تقدمهم يكون واسطة لتكذيب ارسطو وقال اني ارغب ان اكثر عدد اعدائهِ على قدر ما يمكنني من العجلة . ولاجل هذه الغاية اذاع نحو ذلك الوقت بعض القضايا المستحقة النظر اهم مواضيعها حرية الارادة وكان قد اشار الى ذلك في القضايا الفلدكرخينية المشار اليها سابقًا وزاد تعمقًا في هذه المسئلة . فمنذ ابتداء الديانة المسيحية كانت حرب حادة بين التعليم بحرية الانسان والتعليم بعبوديتهِ فان البعض كبلاجيوس ومعلمين آخرين علموا بان للانسان من ذاتهِ حرية او قوة لمحبة الله وعمل اعمال صالحة . واما لوثيروس فانكر هذه الحرية وذلك ليس لكي يُعدِم الانسان اياها ولكن لكي يحصل الانسان عليها فالجدال في هذه المسئلة العظيمة ليس هو كما يُظَن بين الحرية والعبودية بل انما هو بين الحرية الصادرة من الانسان وتلك الصادرة من الله فالذين يعدُّون انفسهم محامين عن الحرية يقولون للانسان ان لك قوة لعمل اعمال صالحة فلا حاجة لك الى حرية اكثر واما الاخرون الذين يلقبون بالمحامين عن العبودية فيقولون بالعكس ان الحرية الحقيقية انما هي ما تحتاج اليهِ والله

يعرضها عليك في الانجيل. فهولاء يتكلمون عن الحرية لكي يديموا العبودية وهولاء يتكلمون عن العبودية لكي يمحوا الحرية فهكذا كان الجدال في ايام القديس بولس والقديس اوغسطينوس ولوثيروس فالذين يقولون لا تغيروا شيئًا هم اعوان العبودية والاخرون الذين يقولون دعوا سلاسلكم تسقط هم اعوان الحرية

ولكن اذا جمعنا كل الاصلاح في هذه المسئلة الخصوصية فاننا نخدع انفسنا فهي واحدٌ فقط من التعاليم الكثيرة التي تمسَّك بها معلم وتمبرج والادعاء بان الاصلاح علَّم بقدَر لا يرد مضاد للحرية انما هو ضلال غريب بل انعتق به العقل البشري اذ بقطعهِ الربط العديدة التي ربط بها الاكليروس ضمائر الناس وترجيعهِ افكار الحرية والاستقامة والفحص المطلق اعتق اهل عصرهِ وايانا وذريتنا الى اقصى الاجيال . فهاك بعض التسع والتسعين قضية التي اذاعها لوثيروس في الكنيسة ضد تفلسفات اللاهوت البيلاجيوسية

القول بان الانسان الذي صار شجرة فاسدة لا يقدر ان يريد ولا يعمل شيئًا الَّا الشر هو قول صادق

القول بان الارادة اذا تُرِكت لنفسها تقدر ان تعمل الخير كعملها الشر قول كاذب لانها ليست حرة بل في عبودية . وليس في طاقة ارادة الانسان ان تختار او ترفض كل ما عُرِض عليها

لا يقدر الانسان من طبيعتهِ ان يريد ان الله يكون الله بل يفضل ان يكون هو نفسهُ الهًا وان الله لا يكون الله

ان الاستعداد الفاضل المعصوم الوحيد للنعمة هو انتخاب الله وقضاؤهُ الابدي

انهُ كاذب القول بان اذا عمل الانسان كل ما يقدر عليهِ يزيل كل موانع النعمة

بالاجمال لا تملك الطبيعة عقلاً صافيًا ولا ارادة صالحة

في جانب الانسان لا يسبق النعمة شيء غير العجز والعصيان ايضاً

لا فضيلة ادبية من دون كبرياء او من دون حزن اعني بذلك من دون خطية

من البداءة الى النهاية لسنا نحن سادة اعمالنا بل عبيدها

لا نصير ابرارًا بعمل البر ولكن بعد ان نصير ابرارًا نعمل البر

من قال ان اللاهوتي غير المنطقي" هو اراتيكي وبليد يتمسك بقضية اراتيكية جهلية

لا قياس يصح في امور الله

لو امكن اطلاق القياس على الاشياء الالهية لحصلت معرفة بالثالوث الاقدس لا الايمان بهِ

بالاجمال نسبة اريسطو الى اللاهوت كنسبة الظلمة الى النور

عداوة الانسان لنعمة الله اشد من عداوتهِ للشريعة نفسها

من كان بدون نعمة الله يخطيء على الدوام وان لم يسرق ولا قتل ولا زنى فانهُ يخطي بعدم تتميم الشريعة روحيًا

فعدم القتل وعدم الزنى في الخارج فقط وبالنظر الى العمل فقط انما هو برّ المرائين

شريعة الله وارادة الانسان خصمان وبدون نعمة الله لا يمكن مصالحتهما ابدًا

ما تامر بهِ الشريعة لا تريدهُ الارادة ابدًا ما لم تتدلس بسبب الخوف او المحبة متظاهرة بالارادة

الشريعة هي مؤدبة الارادة ولا يغلبها غير الصبي الذي وُلد لنا (اش ٩:٦)

الشريعة تجعل الخطية تكثر لانها تغضب الارادة وتقاومها

واما نعمة الله فانها تكثر البر بيسوع المسيح الذي يجعلنا ان نحب الشريعة

كل عمل من اعمال الشريعة يبان صالحًا في الخارج واما في الداخل فهو خطية

الارادة عند ما تتجه نحو الشريعة بدون نعمة الله تفعل ذلك لاجل مرامها فقط

تبًّا لجميع اولئك الذين يعتمدون على اعمال الشريعة

طوبى لجميع اولئك الذين يباشرون اعمال نعمة الله

الشريعة الصالحة التي بها لنا الحيوة هي محبة الله المفاضة على قلوبنا بالروح القدس (رو ٥:٥)

النعمة لا تعطى لكي يسرع العمل ويكثر ولكن لانهُ بدون نعمة لا يمكن وجود عمل محبة

أن يحب احد الله هو ان يبغض نفسهُ وان لا يعرف شيئًا غير الله

على هذا الاسلوب ينسب لوثيروس الى الله كل الصلاح الذي يقدر الانسان على عملهِ. لانهُ لا يجتهد على ترقيع او ترميم ارادة الانسان بل يقوم بلزوم اعطائهِ ارادة جديدة بالتمام فالله وحدهُ لهُ حق ان يقول ذلك لان الله وحدهُ يقدر ان يتممهُ وهذا من اعظم واهم الحقائق التي يقدر العقل البشري على ادراكها

وبينما نادى لوثيروس بعدم قدرة الانسان لم يتطرَّف الى الجهة الاخرى فانهُ يقول في القضية الثامنة لا ينتج من ذلك ان الارادة من طبيعتها مفسودة اي ان طبيعتها هي طبيعة الشر نفسهِ كما قد علَّم اتباع مانيس فان طبيعة الانسان في الاصل كانت في ذاتها صالحة فتحولت عن الخير الذي هو الله ومالت نحو الشر الآن اصلها المقدس المجيد لم يزل باقيًا وهي قادرة بقوة الله على استرجاع هذا الاصل والديانة المسيحية هي التي تتكفل بترجيعهِ لها نعم ان الانجيل يظهر الانسان في حالة الذل وعدم الاقتدار ولكنهُ بين مجدَين وعظمتين اي مجد سقط منهُ ومجد دُعِي اليهِ والانسان يعرف ذلك ويرى باقل تامل ان كل ما يقال لهُ عن طهارتهِ وقدرتهِ ومجدهِ الحاضرة ليس هو الَّا خرافة بها يعلل كبرياءَهُ ويلاطفها

ثم ان لوثيروس في قضاياه لم يدحض ما يدَّعى بهِ من صلاح ارادة الانسان فقط بل ايضًا على الاكثر ما يدَّعى بهِ من جهة نور عقلهِ نظرًا الى الاشياء الالهية فالفلسفة كانت قد رفعت عقلهُ كما رفعت ارادتهُ وهذا اللاهوت حسبما وصفهُ بعض معلميهِ لم يكن في الحقيقة الاَّ نوع من التفلسف وذلك مشار اليهِ في القضايا المار ذكرها حتى يخالها الانسان انها متجهة الى مضادة تفلسف ايامنا وفي تلك القضايا التي هي علامة ظهور الاصلاح لام لوثيروس الكنيسة وخرافات العوام التي اضافت الى الانجيل الغفرانات والمطهر وسننًا اخر كثيرة مغايرة لهُ ففي القضايا التي ذكرناها قاوم المدارس والتفلسفات التي كانت قد نزعت من الانجيل بعينهِ التعليم بحكم الله المطلق والتعليم بوحيهِ ونعمتهِ . وصادم الاصلاح التفلسف قبل ان اتجه ضد الخرافات فانهُ نادى بحقوق الله قبل ان قطع الزيادات التي زادها الانسان وكان ايجابيًا قبل ان صار سلبيًا وهذا امر لم يعتبر كما يحق لهُ وان لم نلتفت اليهِ لا نقدر ان نفهم باستقامة تلك الحركة الدينية وطبيعتها الحقيقية . وكيفما كان ظهرت الحقوق التي نادى بها لوثيروس بهذا النشاط كانها حديثة . وكان اعضاد هذه القضايا في وتمبرج امرًا سهلًا لانهُ هناك كان سلطانهُ عظيمًا . ولو اقامها في مدرسة وتمبرج لربما قيل انهُ اختار ميدانًا لا يجاسر احد على البروز فيهِ لمقاومتهِ وبطلب الجدال في مدرسة اخرى راى انهُ يزيد تلك القضايا شهرةً وبالشهرة يقوم الاصلاح فحوَّل عينيهِ الى ارفرث التي اظهر لاهوتيوها انفسهم مغتاظين جدًّا منهُ

فارسل تلك القضايا الى يوحنا لانجي رئيس ارفرث وكتب اليهِ قائلًا ان فكري غير مرتاح حتى اعلم حكمك في هذه القضايا ويترجح ظني ان ما هو في رايي ارثودكسي يحسبهُ لاهوتيوك محالًا بل هرطقةً . فارجوك ان تخبرني بقدر ما يمكنك من السرعة ما هو رايك فيها وتخبر ارباب اللاهوت والجميع بانني مستعد ان ازوركم وان احامي عن هذه القضايا جهارًا في المدرسة او في الدير . ولا بيان انهم قبلوا البروز الى الميدان مع لوثيروس بل اقتنع رهبان ارفرث بان

اخبروهُ بان هذه القضايا اغاظتهم جدًّا . ولكنهُ رغب في ارسالها الى جهة اخرى من جرمانيا ولاجل هذه الغاية حوَّل نظرهُ الى شخص يكثر ذكرهُ في تاريخ الاصلاح فيجب علينا ان نعرفهُ

وذلك ان معلمًا مشهورًا اسمهُ يوحنا مابر كان يعلّم حينئذٍ في مدرسة انكلستادت في باڤاريا . وُلِد في اك قرية في سوابيا ولُقِّب غالبًا المعلم اك فكان هذا صديقًا للوثيروس يعتبر مواهبهُ ومعارفهُ وكان شديد الفطنة وقد قرأ كتبًا كثيرةً وكان ذا ذاكرة فاضلة يقرن المعارف بالفصاحة . ودلت اشاراتهُ وصوتهُ على نباهة عقلهِ وكان نظرًا لمواهبهِ في جنوب جرمانيا مثل لوثيروس في شمالها فكانا اشهر اللاهوتيين في ذلك العصر ولئن اختلفا مزيةً فكانت انكلستادت تقريبًا في مناظرة مع وتمبرج . فجذب صيت هذين المعلمين من كل جهة الى المدرستين المذكورتين جمهورًا من التلاميذ المتعطشين الى استماع تعليمهما . وصفاتهما الشخصية جعلتهما عزيزين لدى تلاميذهما

وكان بين التلاميذ الذين اجتذبهم صيت اك الى مدرسة انكلستادت شاب اسمهُ اوربانوس راجيوس وُلِد على شطوط بحيرةٍ في جبال الپا ودرس اولاً في مدرسة فريبرج في بريسجو وعند وصول اوربانوس الى انكلستادت شرع في درس العلوم الفلسفية وصار محبوبًا لدى المعلم اك واذ اضطر الى تدبير امر معيشتهِ التزم بخدمة بعض الشبان من الاشراف ولم يلتزم بالسهر فقط على سلوكهم ودرسهم بل ايضًا ان يشتري بمال نفسهِ الكتب والثياب التي يحتاجون اليها وهولاء الشبان كانوا يلبسون الملابس الفاخرة ويحبون عيشة التنعم . واذ ارتبك راجيوس في امرهِ طلب من والديهم ان ياخذوهم فاجابوهُ تشجع ولا تجزع . فكثرت عليهِ الديون والحّ دائنوهُ عليهِ بطلب الوفاء فاحتار في امرهِ . وفي ذلك الوقت كان الامبراطور يجمع عساكر لمحاربة الاتراك ولما بلغ مكتتبو العساكر انكلستادت كتب اوربانوس نفسهُ معهم من ياسهِ واذ كان لابسًا ثيابهُ الجندية وظهر بين الصفوف عند ما اوشكوا ان يتواروا عن المدينة اتى المعلم اك

مع جملة من اصحابهِ الى الصف الذي كان فيهِ اوربانوس وتحير من نظرهِ اياهُ بين الجنود فقال لهُ ناظر اليهِ بنظر حادّ يا اوربانوس راجيوس اجاب الجندي الشاب ماذا فقال المعلم اك ما هي علة هذا التغيير فاخبرهُ الشاب بقصتهِ . فاجاب اك انا اتكفل بذلك وحينئذٍ اخذ بلطتهُ منهُ وانطلق بهِ واما آباء الاولاد فعند ما تهددهم المعلم اك بانهُ يشكوهم الى واليهم ارسلوا الدراهم اللازمة لمصاريف اولادهم فأنقذ اوربانوس راجيوس وصار بعد مدة من جملة حصون الاصلاح

وافتكر لوثيروس ان يذيع قضاياهُ في مذهب بيلاجيوس ومذهب الفلاسفة في جنوب المملكة على يدي المعلم اك غير انهُ لم يرسلها اليهِ راسًا بل ارسلها الى صديق آخر لهُ اسمهُ خريستوفورس شيورل كاتب مدينة نورمبرج طالبًا منهُ ان يوصلها الى المعلم اك في انكلستادت التي هي قريبة من نورمبرج . قال اني ارسل اليك قضاياي وارجوك ان توصلها الى عزيزنا اك العالِم العاقل لكي ارى واسمع ماذا يفتكر عنها . فهكذا تكلم لوثيروس في ذلك الوقت عن المعلم اك وهكذا كانت الصداقة بينهما ولم يكن لوثيروس الذي نقض تلك الصداقة الآن الحرب لم تكن عتيدة ان تقع في ذلك الميدان ومع ان تلك القضايا دارت على تعاليم اهم من التي اضرمت الكنيسة بعد شهرين لم يلتفت اليها احد وعلى الاكثر كانت تُقرأ داخل حيطان المدارس ولم توثر خارجها وذلك لانها انما كانت قضايا مدرسية او تعاليم لاهوتية بخلاف القضايا التي خلفتها بعد فانها اتجهت الى شرٍّ مما بين الشعب آخذًا في نقض العهود في كل جرمانيا من كل جهة وطالما اقتنع لوثيروس باحياء تعاليم منسية سكت عنهُ الناس سكوتًا ولكن عند ما ذكر الشرور التي اضرّت بكل العالم اصغى كل واحد اليهِ

ومع ذلك لم يقصد لوثيروس في احد الحالين اكثر من تهييج جدال من النوع المعتاد عليهِ بين اللاهوتيين في المدارس وافكارهُ انحصرت في هذه الدائرة

ولا افتكر انهُ يصير مصلحًا فانهُ كان متواضعًا قليل الثقة بنفسهِ الى درجة
الاضطراب . قال انني نظرًا الى جهلي يجب ان اختبئ في زاوية
من غير ان يعرفني احد تحت الشمس . الآن يدًا قد برة
اجتذبتهُ من الزاوية التي رغب ان يختبئ بها
عن العالم وطرحتهُ في ميدان
الحرب حادثةٌ سوف
نذكرها حدثت
بغير ارادتهِ

الكتاب الثالث

في الغفرانات والقضايا . من سنة ١٥١٧ الى ايار ١٥١٨

الفصل الاول

مواعيظ تتزل وبيع الغفرانات

في ذلك الوقت حصل هياجٌ عظيم بين شعب جرمانيا . وذلك بان الكنيسة كانت قد فتحت سوقًا عظيمةً على الارض . ومن ازدحام افواج الشارين وصراخ البائعين وملاعبهم سميت سوقًا ولكنها سوق ادارها الرهبان والبضاعة التي نادوا بها وعرضوها بثمن بخس كانت على قولهم خلاص النفوس . وهولاء التجار جالوا في البلاد راكبين بعربة حسنة ترافقها ثلاثة فرسان خيالة يعيشون بالرخاء ويصرفون بالسخاء حتى يخال ان رئيس الاساقفة دائرٌ في ابرشيتهِ مع انصارهِ وحشمهِ لا دلاَّل اعتيادي او راهب متسوّل . وكان عندما يدنو الموكب من مدينة يتقدم رسول الى الوالي يقول ان نعمة الله والاب الاقدس على ابوابك وفي الحال تصير حركة عظيمة في المكان فان الاكليروس الكهنة والراهبات والمجلس ومعلمي المدارس وتلاميذهم والتجار براياتهم الرجال والنساء الشبان والشيوخ كانوا يخرجون للقاء هولاء التجار حاملين بايديهم شموعًا موقدة ويتقدمونهم باصوات الالحان والاجراس جميعًا حتى قال واحد من المورخين لو حضر الله نفسهُ لما استطاعوا ان يكرموهُ اكثر من ذلك وبعد ان يفرغوا من السلام يتجه الموكب نحو الكنيسة وتُحمَل براءة البابا في صدر الموكب على

وسادة مخمل او على رقعة ذهب ثم يتلوها رئيس بائعي الغفرانات حاملاً في يدهِ صليب خشبٍ كبيرًا احمر وهكذا يتقدم جميع الموكب بالترتيل والصلوات ودخان البخور وصوت الارغن والموسيقى يستقبل بالترحب الراهب التاجر مع اعوانهِ الى الهيكل ويضع الصليب الذي بجملة قدام المذبح معلقًا عليهِ راية البابا وفي مدة اقامتهِ هناك ياتي اكليروس المكان والمعرّفون وغيرهم بقضبان بيض كل يوم بعد صلوة العشاء او قبل السلام لكي يعبدوهُ . وهيج هذا الخطب العظيم احساسًا زائدًا في مدن جرمانيا الهادئة ونظر الناظرون بنوع خصوصي الى واحد من هولاء البائعين وهو حامل الصليب الاحمر يباشر الجزء الاعظم من الشغل لابس اللباس الدومينيكي منتفخًا بروح الكبرياء وصوتهُ خشن مرعد . كان في عز نشاطهِ مع انهُ قد بلغ السنة الثالثة والستين من عمرهِ . فهذا الرجل ابن صائغ من ليبسك اسمهُ دائز ولُقّب يوحنا دِيزل او تتزل . درس العلوم في مسقط راسهِ ورُقي الى الدرجة البكلاوربوس في العلوم سنة ١٤٨٧ وبعد ذلك بسنتين دخل في الرهبنة الدومينيكانية وحلت على راسهِ كرامات عديدة فكان معلمًا في اللاهوت ورئيسًا للدومينيكانيين وقاصدًا رسوليًا وعضوًا من ديوان التفتيش وأُعطيت لهُ وظيفة بيع الغفرانات ومن ذلك الوقت مارسها من دون انقطاع . والحذاقة التي ابداها هو في وظيفة دنيا حصلت لهُ سريعًا وظيفة قاصد اول فكان مدخولهُ ثمانين فلورينًا كل شهر مع كل مصاريفهِ ولهُ عربة وثلاثة افراس الآن ارباحهُ العرضية زادت كثيرًا على علوفتهِ المعينة فانهُ سنة ١٥٠٧ ربح في فريبرج الفي فلوريني في بوميمن واذ كانت لهُ وظيفة مشعوذ كانت لهُ اخلاق مشعوذ ايضًا . وثبت عليهِ في انسبروك ارتكاب الزنا وسوء الاداب وكادت رذائلهُ تسبب قتلهُ والامبراطور مكسمليان امر ان يوضع في عدل ويلقى في النهر الآن فردريك ملك سكسونيا تشفع فيهِ ونال لهُ السماح غير ان هذه المثالة لم تعلمهُ الحشمة . واخذ اثنين من بنيهِ معهُ على قول ملتيتز قاصد البابا في بعض مكاتيبهِ . واستحال وجود رجل في جميع اديرة جرمانيا اكثر اهلية من

تتزل لمباشرة العمل الذي أُسلم الى يدهِ فانهُ اضاف الى لاهوت راهب غيرة مفتش وروحهِ مع وقاحة عظمى . والامر الذي سهل عملهُ بنوع خصوصي هو حذاقتهُ في استنباط تلك القصص الكاذبة التي تسبي عقول الجمهور فاستحل جميع الوسائط التي اعانت على ملء صندوقهِ . كان برفع صوتهُ ويبدي فصاحة مشعوذٍ ويعرض غفراناتهِ على كل آتٍ وكان احذق من كل دلال على مدح بضاعتهِ

وعند ما ركز الصليب وتعلق عليهِ راية البابا يتبوأ تتزل المنبر وبصوت سلطان يبتدي بمدح قيمة الغفرانات في حضرة الجمهور الذي اجتذبهُ الاحتفال الى المكان المقدس وكان الشعب يصغى شاخصاً عند ما يسمعون عن الفضائل الغريبة التي يبشر بها فان مورخاً يسوعياً في كلامهِ عن الرهبان الدومينيكانيين الذين اخذهم تتزل معهُ يقول ان البعض من هولاء الواعظين حسب العادة جازوا حدود القضية التي كانوا آخذين فيها وبالغوا في مديح قيمة الغفرانات حتى اقنعوا الشعب بان خلاصهم محقق بها وكذلك نجاة الانفس من المطهر حالما يدفعون الدراهم واذا كان هذا حال التلاميذ فنتصور بسهولة حال المعلم فهاك خطبة خطبها بعد رفع الصليب الاحمر

قال ان الغفرانات هي اثمن واشرف مواهب الله

ثم اشار الى الصليب وقال ان لهذا الصليب نفس قوة صليب يسوع المسيح ذاتهُ

تعالوا وانا اعطيكم صكوكاً كلها مختومة كما يجب بها غفران الخطايا التي تقصدون أن ترتكبوها في المستقبل

انني لا ابدل وظيفتي بوظيفة القديس بطرس في السماء لانني قد خلصت بغفراناتي نفوساً اكثر عدداً مما خلصها ذلك الرسول بعظاتهِ

لا توجد خطية هي عظيمة بحيث لا تحل هذه الغفرانات فاعلها حتى انهُ اذا اهان احد مريم العذراء ام الله الامر الذي هو لا محالة غير ممكن فليدفع فقط

بالزيادة وكل ذلك يُغفَر لهُ

فتاملوا انهُ لاجل كل خطية مميتة يلزمكم بعد الاعتراف والندامة ان تقاصوا عنها سبع سنين اما في هذه الحيوة او في المطهر فكم هي الخطايا المميتة المرتكبة في يوم واحد وكم في اسبوع وكم في شهر وكم في سنة وكم في كل الحيوة آه ان كل هذه الخطايا تكاد لاتُحصَى وهي توجب قصاصاً غير محدود في نيران المطهر والآن بواسطة رسائل الغفرانات تنالون غفرانها دفعة واحدة ما عدا اربعة محفوظة للكرسي الرسولي ثم عند ساعة الموت تنالون صفحاً كاملاً عن جميع عقاباتكم وخطاياكم

ثم اخذ تتزل ايضاً في حسابات تجارية فقال أَما تعلمون انهُ اذا اراد احد ان يزور رومية او بلاداً اخرى فيها خطر على المسافرين يرسل نقودهُ الى البنك وعلى كل مئة فلوريني يدفع خمسة او ستة او عشرة فوق الاصل وبواسطة مكاتيب البنك تدفع لهُ نقود من دون خطر في رومية او في مكان آخر وانتم لا تقبلون بربع فلوريني مكاتيب الغفرانات هذه التي بواسطتها تدخلون الى الفردوس لا معدناً دنياً بل نفساً الهية غير مائتة من دون وقوعها في شيء من الخطر

ثم انتقل الى موضوع آخر فقال وفضلاً عن ذلك ان الغفرانات لا تفيد الاحياء فقط بل الموتى ايضاً وذلك لا يحتاج فيهِ الى التوبة ايضاً. فيا ايها الكهنة والاشراف والتجار والزوجات والشبان والعذارى اما تسمعون آباءكم وباقي اقاربكم الموتى يصرخون من اعماق الهاوية ويقولون اننا نقاسي عذابات هائلة وصدقات حقيرة تخلصنا وانتم تقدرون ان تعطوا ذلك ولا تفعلون

فارتعد الجميع من هذه الكلمات التي تفوَّه بها بصوت مرعد هذا الراهب الوقح الكذاب . ثم قال تتزل انهُ في اللحظة التي فيها يطن النقود في اسفل الصندوق تنجو النفس من المطهر وتطير معتقة الى السماء. يا ايها الشعب الجاهل المتوحش الذي لا يفهم النعمة المقدمة لهُ بهذا الوفور اتابون الدخول الى السماء

وهي مفتوحة الآن في كل مكان فمتى تدخلون اذاً . الآن تقدرون ان تفتدوا نفوساً كثيرة . فيا ايها الانسان الغليظ الرقبة والعديم الفكر انك بواسطة ثلثة وعشرين غرشاً تقدران تخلص اباك من المطهر ومع ذلك انت عديم الشكر بهذا المقدار حتى انك لا تخلصهُ . وانني اكون بريئاً في يوم الدينونة واما انت فسوف تعاقب باكثر صرامة لاجل اهمالك خلاصاً هذا مقدارهُ . فاقول انهُ وإن لم يكن لك الا رداءٌ واحد يجب ان تخلعهُ وتبيعهُ لكي تنال هذه النعمة فان الرب الهنا لا يملك بعد لانهُ قد سلَّم كل السلطان للبابا

ثم اخذ يستعمل اسلحة اخرى فقال أتعلمون لماذا يوزع سيدنا الاقدس مثل هذه النعمة الغنية . الغاية في ذلك ان يرمم كنيسة مار بطرس وبولس الخربة بحيث لا يكون لها نظير في العالم . وتلك الكنيسة تتضمن جسدي الرسولين الطاهرين بطرس وبولس واجساد كثيرين من الشهداء . آه ان تلك الاجساد المقدسة في البناء الحاضر هي الآن مدوس عليها ومبللة ومدنسة ومحتقرة وآخذة في البلى بسبب المطر والبرد . آه فهل تبقى هذه البقايا المقدسة في الحمأة وفي حالة الاهانة

واثرت هذه العبارة في كثيرين ممن اضطرموا شوقاً الى مساعدة المسكين لاون العاشر الذي لم تكن لهُ الوسائط اللازمة لوقاية جسدي بطرس وبولس من الهواء والمطر . ثم التفت الخطيب الى المزدرين والمقاومين الذين ضادوا عملهُ ونادى قائلاً انا اشهرهم محرومين

ثم خاطب الانفس الراغبة مقتبساً بنفاق بعض العبارات التقوية من الكتاب المقدس فقال طوبى للاعين التي ترى ما ترون لانني اقول لكم ان انبياء وملوكاً كثيرين اشتهوا ان يروا ما انتم ترون ولم يروا وان يسمعوا ما انتم تسمعون ولم يسمعوا وختم كلامهُ مشيراً الى الصندوق القوي الذي توضع فيهِ الدراهم قائلاً ادفعوا ادفعوا ادفعوا . وكتب لوثيروس الى بعض اصحابهِ ان تتزل كان ينادي بتلك الكلمات بعجيج هائل بهذا المقدار كانهُ ثور مجنون يثب على الشعب

وينطحهم بقرنيهِ . وكان عند انتهاء خطابهِ ينزل عن المنبر ويركض نحو الصندوق ويطرح فيهِ امام كل الشعب قطعة من النقود حتى يرن رنًّا قويًّا في مسامعهم

فهذه هي الخطب التي اصغت جرمانيا اليها في ذلك الوقت ومثلها سُمع في ايامنا بين اعوان البابا . وعند نهاية الخطاب حُسب ان الغفرانات قد تمكن عرشها في المكان باحتفال واجب وترتب كراسي الاعتراف المزينة بنيشان البابا وحُسب النواب والمعرفون الذين اختاروهم وكلاء معرفي رومية الرسوليين في زمان اليوبيل العظيم وتعلق على كراسي الاعتراف باحرف كبيرة اساؤهم والقابهم . وحينئذٍ يزدحم الجمهور حول المعرفين وياتي كل واحد بقطعة من النقود بيدهِ فان الرجال والنساء والاولاد والفقراء حتى الذين عاشوا بالتسول وجدوا فلوسًا وبعد ما وضح المعرفون عظمة الغفران ثانيةً لكل شخص على حدة سالوا التائبين هذا السوال كم من الدراهم تقدران تدفع لاجل نوال صفحٍ تام كهذا قال رئيس اساقفة منتز للنواب في وصيتهِ لهم يجب ان تسالوا هذا السوال في تلك اللحظة لكي يُحَث التائبون على الاعطاء بالزيادة . ووُعِد باربع نِعَم كريمة للذين يساعدون في بناء كنيسة مار بطرس فقال النواب حسب الوصية المعطاة لهم خطًّا ان النعمة الاولى التي نبشركم بها هي الغفران الكامل لكل خطية ثم يليها ثلاث نِعمٍ اخرى الاولى حق انتخاب معرّف حتى اذا حضرت ساعة الموت يعطي حلة كل خطية حتى ومن اعظم الذنوب المحفوظة للكرسي الرسولي. الثانية الشركة في جميع البركات والاعمال والاستحقاقات التي للكنيسة الكاثوليكية والصلوات والاصوام والصدقات والزيارات . الثالثة خلاص النفوس التي في المطهر

فلاجل نوال النعمة الاولى يحتاج الى انسحاق القلب واعتراف الفم او اقلها يكون نية الاعتراف واما الثلاث الأُخر فيمكن نوالها من دون انسحاق وبدون اعتراف بمجرد الدفع . وقبل ذلك قال خريستوفورس كولولمبس في مدحهِ قيمة الذهب ان ملكهُ يقدر ان يُدخل النفوس الى الفردوس وهذا هو نفس

تعليم رئيس اساقفة منتز والنواب البابا وية . قالوا اما الذين يريدون ان يخلصوا النفوس من المطهر وينالوا غفران جميع مخالفاتهم فليلقوا دراهم في الصندوق فان الندامة والاعتراف ليسا بضروريين فليبادروا فقط الى احضار نقودهم لانهم بذلك يعملون انفع عمل لنفوس الموتى وبناء كنيسة مار بطرس وحقًّا ان اعراض بركات اعظم بثمن ابخس مستحيل

وعند نهاية الاعتراف الذي كان يتم بسرعة يسرع المومنون الى بائع الغفرانات وهو واحد لا غير ومقعدهُ بالقرب من الصليب يتفرس بالذين يدنون منهُ ويؤكد طريقتهم ومشيتهم وملبوسهم ويطلب مبلغًا يناسب ظاهر حالة الشخص الذي يتقدم فكان الملوك والملكات والامراء ورؤساء الاساقفة والاساقفة حسب القياس يلتزمون بدفع ٢٥ دوكاة لاجل غفران اعتيادي ورؤساء الاديرة والمشايخ ومن يليهم رتبةً يدفعون عشرة وباقي الاشراف وخدمة الرعية وجميع الذين ملكوا خمس مئة فلوريني يدفعون ستة والذين مدخولهم مئتا فلوريني يدفعون واحدًا ومن سوى ذلك فنصف فلوريني فقط وان لم يمكن اجراء هذه التعريفة حرفيًا فقد أُعطي للنائب الرسولي سلطان كامل لكي يتصرف كما يشاء حتى يجري كل شيء حسب العقل السليم وكرم المعطي . وجعل تتزل خراجًا خصوصيًا لخطايا خصوصية فكان على تكثير النساء ست دوكات وعلى تنجيس الاشياء المقدسة تسع دوكات وعلى القتل ثمان دوكات وعلى العرافة دوكتان . واما سمسون الذي باشر في سويسرا نفس التجارة التي باشرها تتزل في جرمانيا فكان لهُ قياس يختلف نوعًا عن هذا فانهُ على قتل الاطفال طلب اربعة فرنكات وعلى قتل الوالد او الاخ دوكاة واحدة

وصادف النواب الرسوليون احيانًا صعوبات في تجارتهم وحدث مرارًا في المدن والقرى جميعًا ان الرجال قاوموا هذه التجارة ونهوا زوجاتهم عن دفع شيء لهولاء التجار فما هي حيلة الزوجات . قال البائعون يسالونهنَّ أَليس لكنَّ حلي او مال آخر تحت مطلق تصرفكنَّ فاذا كان لكنَّ ذلك تقدرنَ على

صرفو في هذا العمل المقدس ضد ارادة ازواجكنّ

اما اليد التي منحت الغفران فمُنعت عن قبض الفلوس تحت اشد العقاب لاسباب كافية منها الاختشاء من ان تلك اليد لا تكون امينة فيلتزم التائب نفسهُ بالقاء ثمن مغفرتهِ في الصندوق ونظروا بحنق الى كل من لم يفتح كيسهُ . واذا وُجد بين الجمهور الذين ازدحموا حول كراسي الاعتراف مَن ذنبهُ مشتهر ولئن كان ذنبًا لا تلاحظهُ الشرائع المدنية التزم ان يبتدئ بتقديم توبة جهارية فياخذونهُ الى الكنيسة او الى مخدع بجانبها وهناك ينزعون ثيابهُ عنهُ ويخلعون حذاءهُ ولا يتركون عليهِ الَّا القميص ويكتفون ذراعيهِ على صدرهِ ويضعون شمعةً في اليد الواحدة وعصًا في اليد الاخرى ويمشي التائب حينئذٍ في راس الموكب الى الصليب الاحمر ويبقى راكعًا حتى نهاية الترتيل وتقدمة القداس وبعد ذلك يبتدئ التائب بترتيل مزمور ارحمني يا الله فيتقدم حالًا المعرِّف الى التائب ويقتادهُ نحو النائب فياخذ النائب العصا ويضربهُ بلطافة ثلاثًا على ظهرهِ قائلًا يرحمك الله ويغفر خطيتك وحينئذٍ يبتدئ التائب بترتيل يا رب ارحم ثم يقتاد الى امام الصليب حيث يعطيهِ المعرف الحلة الرسولية ويشهرهُ معادًا الى شركة المومنين . فيا لها من شعوذة محزنة تختم بكلمات الكتاب المقدس التي لا تكون في مثل ذلك الوقت الَّا مجرد نفاق . ولنذكر صورة رسالة من رسائل الحلة فانهُ امر يستحق العناية ان نتعلم فحوى تلك الصورة التي أَدت الى اصلاح الكنيسة وهي

ربنا يسوع المسيح يرحمك يا فلان ويحلك باستحقاقات آلامهِ الكلية القداسة وانا بالسلطان الرسولي المعطى لي احلك من جميع القصاصات والاحكام والطائلات الكنائسية التي استوجبتها وايضًا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفظيعة ومن كل علة ولئن كانت محفوظة لابينا الاقدس البابا وللكرسي الرسولي وامحو جميع اقذار العجز وكل علامات الملامة التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وارفع القصاصات

التي كنت تلتزم بمكابدتها في المطهر واردك حديثاً الى الشركة في اسرار الكنيسة واقرنك في شركة القديسين واردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى انهُ في ساعة الموت يغلق امامك الباب الذي يدخل منهُ الخطاة الى محل العذابات والعقاب ويفتح الباب الذي يودي الى فردوس الفرح وان لم تمت مدة سنين مستطيلة فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تاتي ساعتك الاخيرة

باسم الآب والابن والروح القدس آمين

الاخ يوحنا تتزل النائب قد امضى ذلك بيدهِ

فبابة حذاقة ودهاء امتزجت هنا الكلمات الادعائية الكاذبة مع العبارات المقدسة المسيحية . وجميع المومنين التزموا بالاعتراف في المكان الذي ارتكز فيهِ الصليب الاحمر ولم يُستثنَ احد الاَّ المرضى والشيوخ والحوامل غير انهُ اذا كان في الجيزة بعض الاشراف في حصونهم او بعض الاكابر في قصورهم كانوا يعفون لانهم لا يريدون ان يختلطوا بهذا الجمهور لان دراهمهم كانت تستحق عناية النواب والسعي في طلبها

واذا وُجد اديرة نهى روَساؤُها رهبانهم عن الانطلاق الى الاماكن التي ركز فيها الغفران كرسيهُ ضدًّا لتجارة تتزل وجدت وسائط لعلاج هذا الضرر بارسالهم اليهم معرفين لهم سلطان ان يعفوهم من قوانين رهبنتهم وطاعة روَسائهم كما يفعل قصاد رومية الآن مع طوائف الشرق ولم يكن موضع في معدن الذهب الاَّ وقد وجدوا وسائط لشغلهِ

ثم ياتي بعد ذلك الغاية والمقصد من كل هذا العمل وهو احصاء الدراهم ولاجل زيادة الامان كان للصندوق ثلثة مفاتيح احدها بيد تتزل والثاني بيد خازن مرسل من بيت فُغَّر من اوجسبرج الذي أُسلِم لهُ هذا العمل العظيم والثالث كان بيد السلطة المدنية وعند اتيان الوقت فُتحت صناديق المال قدام شهود وأُحصِي ما فيها وقُيِّد . أفلا بالضرورة يقوم المسيح ويطرد هولاء

الصيارفة المدنسين من المقدس

وعند فراغ المصلحة كان التجار يستربحون من انعابهم نعم ان وصايا النائب العام كانت تنهاهم عن الانطلاق الى الحوانيت والاماكن الردية الاسم الأانهم قلما بالوا بتلك النواهي والذين يتجرون بالخطية يسهل عليهم ارتكابها . قال مورخ روماني ان هولاء الجامعين عاشوا عيشة غير مرتبة يبددرقون في الحوانيت وبيوت القمار والاماكن الردية الاسم كل ما وفرهُ الشعب من احتياجاتهِ . وقيل انهم مرارًا كثيرة وهم في الحوانيت كانوا يراهنون خلاص النفوس على رمية كعب

الفصل الثاني

بعض ما جرى بسبب الغفرانات

فلنرجع الآن الى الحوادث التي احدثها بيع تلك الغفرانات في جرمانيا. لانها توضح من ذاتها احوال تلك الازمنة والاصح ان نعتمد على نفس عبارات الناس الذين نحن آخذون في تاريخهم

ان تتزل ابى ان يحل امراة غنية في مجدبيرج ما لم تدفع كما قال لهُ مئة فلوريني سلفًا فاستشارت المراة معرّفها الاعتيادي وهو من الطغمة الفرنسسكانية فاجابها ان الله يعطي مغفرة الخطايا مجانًا ولا يبيعها الاّ انهُ ترجاها ان لاتخبر تتزل بالمشورة التي اشار عليها بها ولكن التاجر اذ بلغهُ هذا الراي المضاد لارباحهِ صرخ قائلاً ان الذي اشار بذلك يستحق ان ينفى اويُحرَق

وبالنادر وجد تتزل اناسًا متنورين بالكفاءة لمضادتهِ واندر من هولاء مَن تجاسر على ذلك وفي الغالب ادار بسهولةٍ الجمهورَ المائلَ الى الخرافات . وذات مرة ركز صليب الغفرانات الاحمر في زويكو فبادر اليهِ الشعب لكي يلقوا في صندوقهِ المتين الدراهم التي تخلصهم وبات على جناح السفر من المكان

وكيسهُ ملآن دراهم فطلب منهُ خوارنة الكنيسة وخدمتها ان يعمل لهم وليمة الوداع
ورأى هذا الطلب عادلاً ولكن من ابن المصروف اللازم . لان الدراهم كانت
قد احصيت وخُتم عليها . ثم بالغد امر بقرع الجرس العظيم فبادر الناس افواجًا
الى الكنيسة وظن كل واحد ان امرًا غير مالوف قد حدث لعلمهم ان المصلحة
قد انتهت فقال تتزل قد كنتُ عزمتُ على الانطلاق هذا الصباح الآ انهُ في
الليلة الماضية يقظني من النوم انين شديد فاصغيت كل الاصغاء واذا هو من
المقبرة فوا اسفا ان نفسًا مسكينة كانت تدعوني وتترجاني بكل لجاجة ان انقذها
من العذابات التي تكاد تفنيها ولهذا ابقى يومًا آخر لكي احرك شفقة القلوب
المسيحية على هذه النفس الشقية وانا نفسي اكون اول الدافعين والذي لا يقتني
مثالي هذا يستحق العقاب . اه . فاي قلب لا يجيب هذه الاستغاثة وعدا ذلك
من يعرف اية نفس تصرخ هكذا من المقبرة . فكثرت الهدايا فاضاف تتزل
الخوارنة واعوانهم على وليمة فاخرة آخذًا مصاريفها من الهدايا المقدمة من اجل
تلك النفس من زويكو

وكان تجار الغفرانات قد زاروا هاجينو سنة ١٥١٧ فاخذت امرأة اسكاف
ورقة غفران ودفعت ثمنها فلورينًا ضد ارادة بعلها ثم توفيت بعد ذلك بقليل واذ
لم يقدم زوجها قداسات لاجل راحة نفسها قرفهُ الخوري بانهُ يحتقر الديانة
وامرهُ الوالي في هاجينو بالحضور الى الديوان فوضع الاسكاف غفران زوجتهِ
في جيبهِ وتوجه لكي يجاوب عن نفسهِ فسالهُ الوالي هل ماتت زوجتك اجاب نعم
فقال الوالي ماذا عملت لها قال دفنت جسدها واسلمت نفسها بيد الله فقال
هل قدمت قداسات لاجل راحة نفسها قال كلاً لانها لا تفيدها شيئًا اذ دخلت
السماء حالما ماتت فقال وكيف علمت ذلك قال هنا برهان ذلك واخرج الغفران
من جيبهِ فقرأ الوالي الورقة بحضرة الخوري وكان مكتوبًا فيها ان المرأة التي هي
لها لا تذهب عند ساعة موتها الى المطهر بل تدخل حالاً الى السماء فقال
الارمل اذا كان الخوري يذهب الى ان القداس لا يزال ضروريًا تكون زوجتي

قد خُدِعت من ابينا الاقدس البابا والاَّ فيكون الخوري هو الذي يخدعني واذ لم يكن جواب لهذا تُرِك سبيل الاسكاف وهكذا كانت بساطة العامة تشجب هذه الاخاديع الردية

واذ كان تتزل يعظ يومًا في ليبسك ويدخل في وعظهِ قصصًا مثل التي ذكرناها خرج تلميذان من الكنيسة بغضب قائلين لا يمكننا بعد ان نسمع اضاحيك هذا الراهب وملاعبهُ الصبيانية . وقيل ان واحدًا منهما هو الفتى كاميراريوس الذي صار فيما بعد صديقًا مخلصًا لملانكثون وكاتب سيرتهِ

ولا ريب ان الشاب الذي احدث فيهِ تتزل تاثيرًا اعمق مما احدثهُ في سائر شبان العصر انما هو ميكونيوس الذي اشتهر في ما بعد مصلحًا ومورخًا للاصلاح . تربى تربية مسيحية ومرارًا قال لهُ ابوهُ (وهو فرنكوني تقي) يا ابني صلِّ بتواتر لان جميع الاشياء تعطى لنا مجانًا من الله وحدهُ ودم المسيح هو الكفارة الوحيدة لخطايا العالم باسرهِ . يا ابني وان لم يخلص الاَّ ثلثة رجال فقط بدم المسيح فصدّق وآمن بثقة انك انت واحد من هولاء الثلثة . وهو اهانة لدم المخلص ان نشك بانهُ قادر على ان يخلص . ثم حذر ابنهُ من التجارة التي كانت آخذة في الامتداد في جرمانيا قائلاً لهُ ان الغفرانات الرومانية انما هي اشراك لصيد الفضة وواسطة لخداع الساذجين فان غفران الخطايا والحيوة الابدية لا تشترى بالدراهم . ولما بلغ الولد من العمر ثلث عشرة سنة أُرسِل الى المدرسة في انابرج لكي يكمل دروسهُ وبعد برهة وصل تتزل الى تلك المدينة وبقي هناك سنتين واتى الناس اليهِ افواجًا لكي يسمعوا عظاتهِ فكان يصرخ بصوت شديد قائلاً لا واسطة اخرى لنوال الحيوة الابدية سوى الاعمال الوفائية ولكن هذا الوفاء غير ممكن للانسان فليس لهُ سبيل الاَّ ان يشتريهُ من الحبر الروماني

ولما حان ذهاب تتزل من انابرج اشتدت مواعظهُ حرارة فصرخ بصوت تهديد اني عن قريب انزل الصليب واغلق ابواب السماء واطفئ اشعة شمس النعمة اللامعة امام عيونكم . ثم اخذ يتكلم برفق ويحث الشعب قائلاً الآن هو

الزمان المقبول هوذا يوم الخلاص ثم رفع صوتهُ ثانية مخاطبًا اهل تلك النواحي الذين غناهم بمعادنها هاتفًا يا اهالي انابرج ائتوا بدراهمكم وادفعوا بسخاء لاجل الغفرانات فتمتلئ معادنكم وجبالكم فضة خالصة. واخيرًا نادى في عيد العنصرة انهُ يوزع اوراقهُ على الفقراء مجانًا ولاجل محبة الله

وكان ميكونيوس الفتى من جملة سامعي تتزل فرغب جدًّا ان يغتنم تلك الفرصة فقال للنواب باللاتيني انا خاطئ مسكين واحتاج الى غفران مجاني فاجابهُ التجار انهُ لا يكون حظ في استحقاقات المسيح الاَّ للذين يساعدون الكنيسة اي يدفعون الدراهم فسال ميكونيوس فما هو اذًا معنى تلك المواعيد بالهبة المجانية الملصقة على ابواب الكنائس وحيطانها. وبعد ان ترجى تتزلَ اصحابهُ من دون فائدة من اجل الشاب قالوا للشاب ادفع اقلما يكون غرشًا فقال الشاب لا اقدر. قالوا ثلث شواهي فقال ليس عندي وحينئذٍ خاف الدومينيكيون لئلاَّ يكون مقصدهُ ان يصطادهم فقالوا لهُ اسمع نحن نهبك ثلاث شواهي. فاجاب الشاب بحنق انني لا اريد غفرانات مشتراة ولو اردتُ ان اشتري لكان يلزمني فقط ان ابيع كتابًا من كتبي فاني انما اطلب غفرانًا مجانًا لاجل حب الله وحدهُ ثم قال انك سوف تعطي حسابًا لله لانك سمحت بهلاك نفس لاجل ثلاث شواهي. قالوا من ارسلك لكي تصطادنا. اجاب الشاب وهو منصرف انهُ لم يكن ممكنًا لشيء غير الرغبة في نوال الغفران من الله ان يحملني على الحضور بين يدي مثل هولاء الخواجات العظام

قال فانغميت عند ما رجعت خائبًا من دون ان يشفقوا عليَّ الاَّ انني شعرت بعزٍ فيَّ يقول ان في السماء الهًا يغفر للنفوس التائبة من دون دراهم ومن دون ثمن حبًّا بابنهِ يسوع المسيح واذ تركت هولاء القوم لمس الروح القدس قلبي فصرت ابكي وصليت الى الله بكآبة وصرخت قائلاً يا الله بما ان هولاء الناس ابوا ان يغفروا خطاياي لانهُ لم يكن لي دراهم ادفعها اليهم فارحمني انت يا رب واغفرها بنعمتك الخالصة وانطلقت الى مخدعي وصليت نحو صليبي الموضوع

على خزانتي اذ وضعتهُ على كرسي وخررت قدامهُ ولا اقدر ان اصف لكم ماذا اعتراني فطلبت الى الله ان يكون لي ابًا وان يفعل بي ما يحسن بعينيهِ وشعرت ان طبيعتي تغيرت وارتدت وتحولت وما كان يسرني قبلاً صار مكروهًا لديَّ وكانت رغبتي الشديدة الوحيدة ان احيا مع الله وارضيهُ

فهكذا اعد نتزل نفسهُ طريق الاصلاح فانهُ بواسطة اعمال ظاهرة القباحة سهل الطريق لتعاليم انقى . والحنق الذي هيجهُ في قلوب شبان عصرهِ كان مزمعًا ان يظهر يومًا بقوة . وتتضح حقيقة ذلك من القصة الآتية

ان شريفًا سكسونيًا سمع نتزل يعظ في ليبسك فاغتاظ جدًّا من اكاذيبهِ فتقدم الى الراهب وسالهُ ان كان لهُ سلطان بان يغفر الخطايا التي ينوي الناس على ارتكابها فاجابهُ نتزل نعم بكل تحقيق فاني قد أُعطيت سلطانًا كاملاً من قداستهِ لهذه الغاية فقال الشريف حبذا ذلك اني ارغب ان آخذ ثارًا خفيفًا من احد اعدائي من دون ايقاع خطر على حياتهِ فاعطِني طرس غفران يبررني بالتمام واعطيك عشرة ريالات فابى نتزل ذلك الَّا انهما اتفقا اخيرًا على دفع ثلاثين ريالاً ثم انطلق الراهب من ليبسك بعد قليل فاكمن لهُ الشريف واعوانهُ في حرش بين يوتربوخ وتربلين ولما وصل الى هناك وثبوا عليهِ وضربوهُ قليلاً واخذوا منهُ صندوق الغفرانات المملو من الدراهم الذي كان معهُ فصاح نتزل صياحًا شديدًا ورفع دعواهُ الى المجالس واما الشريف فاعرض المكتوب الذي كان نتزل نفسهُ قد امضاهُ وعفى عنهُ بموجب نصهِ من كل طائلة . واما الدوك جرجس الذي كان قد اغتاظ جدًّا في اول الامر من هذه المعاملة فحالما قرأ المكتوب امر باطلاق المشكو عليهِ

وشغلت هذه التجارة افكار الناس في كل مكان وصارت موضوع الحديث في الحصون والمدارس وفي بيوت الاكابر والحوانيت والمنازل وجميع الاماكن التي يجتمع فيها الناس فكانت الآراء منقسمة فمن الناس مَن آمن ومنهم من غضب . واما اصحاب العقول من الناس فرفضوا بكراهة تعاليم الغفرانات فان

هذا التعليم كان مضاداً للكتاب المقدس والاداب حتى ان كل من لهُ معرفة بالكتاب المقدس او نور طبيعي رفضهُ باطناً وانتظر فقط فرصة لمقاومتهِ واما الشاكُّون في الديانة فوجدوا فيهِ طعاماً رغداً للهزء والسخرية والشعب الذين اغضبتهم سنين كثيرة عيشة الخوارنة بالخلاعة وكان خوف القصاص لا يزال يحفظهم داخل حدود معلومة اطلقوا العنان لكل بغضتهم وكنت تسمع في كل مكان تشكياً وطعناً في محبة المال التي ابتلعت الاكليروس . ولم يكتفوا بذلك بل قاتلوا سلطان المفاتيح وسطوة الحبر الروماني قائلين لماذا لا ينقذ البابا جميع النفوس من المطهر بمحبة مقدسة ولاجل شقائها العظيم مع انهُ يخلص هذا المقدار لاجل محبة المال الفاني ومحبة كنيسة مار بطرس ولماذا يقيمون دائماً اعياداً ومواسم عن الموتى ولماذا لا يريد البابا او يسمح برد المعاليم الاكليريكية ورواتب الكراسي المجعولة لاجل الموتى لانهُ الآن لا يفيد وايضاً لا يجوز تقديم الصلوة عن الذين انقذتهم الغفرانات الى الابد وما هو معنى هذه القداسة الجديدة لله وللبابا حتى انهم لاجل محبة المال يسمحون لانسان منافق عدو لله ان يخلص من المطهر نفساً صالحة محبوبة من الرب ولا يخلصونها هم انفسهم مجاناً بالمحبة بناءً على عظمة شقاوتها

وشاعت اخبارٌ كثيرة عن سيرة تجار الغفرانات وسلوكهم الفظيع المغاير للاداب فالحمالين الذين كانوا ينقلونهم وتجارتهم من مكان الى مكان واصحاب الحوانيت الذين ينزلون عندهم او اي من خدمهم بشيء اعطوهُ اجرةً طرس غفران لاربع انفس او خمس او لاي عدد كان حسب الظروف وهكذا كانت تعهدات الخلاص جارية في الحوانيت والاسواق نظير اوراق البنك او غيرها من اوراق النقود حتى قيل ان مقدمات مواعظهم واوساطها وخاتمتها هي قولهم ادفعوا ادفعوا ادفعوا

وفي ذات يوم صادف معدنيٌّ من شنيبرج بائع غفرانات فسالهُ هل يجب ان نعتقد بما قد قلتهُ لنا مراراً كثيرة عن قوة الغفرانات وسلطان البابا ونومن

اننا نقدر بالفائنا فلساً في الصندوق ان نخلص نفساً من المطهر فاجابهُ التاجر بالايجاب محققاً لهُ ذلك فقال المعدني اواه اذاً يلزم ان يكون البابا عديم الرحمة لانهُ لاجل عدم وجود فلس دني يسمح ببقاء نفس مسكينة تصرخ في اللهيب هذه المدة الطويلة فان لم يكن لهُ الآن دراهم حاضرة فليخزن بعض الالوف من الريالات ويخلص هذه النفوس دفعة واحدة ونحن الناس المساكين نرد لهُ بفرح راس المال مع الارباح

وضجر اهالي جرمانيا من تلك التجارة المولمة التي كانت جارية بينهم ولم يعد يمكنهم احتمال اخاديع مكرَّرة رومية كما دعاهم لوثيروس الّا انهُ لم يتجاسر اسقف ولا لاهوتي على مقاومة شعبذاتهم واخاديعهم فكانت جميع العقول في حالة التردد فسأل الناس بعضهم بعضاً الا يقيم الله رجلاً قوياً للعمل المزمع ان يتم ولكنهُ لم يظهر لعيونهم بعد

تنبيه للقارىء ليقس كل لبيب الاحوال والحوادث المذكورة في هذا الفصل على ما هو جارٍ في بلاد الشرق اليوم بين البابا وبين

الفصل الثالث

البابا لاون العاشر واحتياجهُ

ان البابا الجالس يومئذٍ في كرسي مار بطرس المزعوم لم يكن من عائلة برجيا بل هو لاون العاشر من عائلة المديشي الشريفة وكان فطناً نصوحاً كثير اللطف والوداعة واطئ الجانب عند المعاشرة وكرمهُ لا يحدُّ وآدابهُ اصلح من آداب اهل دارهِ على ان الكردينال پالاويشيني يقر بانها لم تكن بلا لوم وقد جمع مع هذه الصفات المحبوبة كثيراً من صفات ملك عظيم الشان وكان محبّاً للفنون والعلوم وكانت كوميديات ايطاليا الاولى تشخَّص في حضرتهِ وقلما أُلفت

في ايامهِ كوميديا لم يشاهد تشخيصها وكان مغرمًا بالموسيقى جدًّا فسُمِعت كل آلات الطرب في قصرهِ وسُمع مرارًا يهمهم بالالحان التي قد غُنّي بها في حضرتهِ وكان محبًا للعظمة فصرف مصاريف عظيمة على الولائم والملاعب والمراسح والهبات والجوائز ولم يكن بلاط يفوق بلاط هذا الحبر في الرونق والتنعم ومن ثمَّ عند ما سُمع ان يوليانوس مديشي اعتمد على سكنى رومية مع زوجتهِ الصبية صرخ الكردينال بيليانا اعظم انصار لاون قائلاً نشكر الله لانهُ لا ينقصنا شيءٌ سوى الخواتين والسيدات. دارٌ ملآنة نساء كانت ضرورية لتكميل ظرافة دار البابا. اما الاحساسات الدينية فكان لاون فاقدها تمامًا قال ساربي في تاريخ المجمع التريدنتيني ان اخلاقهُ كانت لطيفة بهذا المقدار حتى لو كانت لهُ معرفة بالديانة وميل نحو التقوى التي لم يكلف نفسهُ كثيرًا اليها لكان رجلاً كاملاً

احتاج لاون الى مبالغ وافرة من المال لانهُ التزم بتحصيل ما يكفي لمصاريفهِ الباهظة ولكرمهِ المفرط المبدرخ ولملء كيس الذهب الذي كان يطرحهُ كل يوم بين الشعب واقامة الملاهي العشقية المتواترة التي تشخصت في الفاتيكان والقيام بالطلب المتواتر من اقاربهِ واعوانهِ المولعين بالتنعمات ولمهر اختهِ التي تزوجت بالامير شيبيبو نغل البابا اينوشنتيوس الثامن ولارواء ظمأهِ في اقتناء الكتب والصور والتُحَف والتنعمات فاستشار ابن عمهِ الكردينال بوشى الذي كانت لهُ موهبة في جمع الدراهم مثل موهبة لاون في تبذيرها فاشار عليهِ ان يلتجيء الى الغفرانات ومن ثمَّ اصدر البابا منشورًا يبشر بغفران عام بصرف مدخولهُ في بناء كنيسة مار بطرس تلك الشهادة للعظمة الكهنوتية. وفي مكتوب كُتب في رومية تحت ختم صياد السمك في تشرين الثاني سنة ١٥١٧ طلب لاون من وكيلهِ على الغفرانات ١٤٧ دوكات ذهب لاجل شراء نسخة من الكتاب الثالث والثلاثين من تاريخ ليفيوس ولا ريب ان صرفهِ دراهم اهل جرمانيا في هذا الباب كان احسن استعمالاتهِ لها الآن انقاذ الانفس من المطهر

لاجل تحصيل الوسائط لشراء نسخة من تاريخ الحروب الرومانية كان امرًا غريبًا

وكان في ذلك العصر في جرمانيا امير شاب يشبه لاون العاشر في جملة اشياء وهو ألبرت الاخ الاصغر للمنتخب بواكيم من برندنبرج وهذا الشاب في السنة الرابعة والعشرين من عمرهِ صار رئيس اساقفة منتخبًا على منتس ومجد يبرج وبعد سنتين صار كردينالاً ولم تكن لالبرت الفضائل ولا الرذائل التي تظهر مرارًا كثيرة في سيرة عظماء الكنيسة الاكبرين بل كان شابًا هازلاً دنيويًا ولكنهُ اذ لم يكن خاليًا من الافكار الكريمة راى صريحًا اشياء كثيرة من مساوي المذهب الروماني وقلما التفت الى الرهبان الموسوسين المحدقين بهِ . واستقامتهُ مالت بهِ الى بعض الاقرار بعدالة مطلوبات الانجيليين وفي اعماق قلبهِ لم يكن مضادًّا عنيفًا للوثيروس فان كابيتو واحدًا من اشهر المصلحين بقي زمانًا طويلاً خوريهُ ومشيرهُ ومعتمدهُ المالوف وحضر ألبرت مواعظهُ دائمًا . قال كابيتو لم يحتقر الانجيل بل بالعكس اعتبرهُ جدًّا وبقي زمنًا طويلاً يمنع الرهبان من الوثوب على لوثيروس الاَّ انهُ اراد ان لوثيروس لا يفتح عليهِ بابًا وانهُ متى اشار الى غلط في التعليم اوالى رذائل الاكليروس الدون يكون على حذر من ان يكشف عيوب الاساقفة والامراء وفوق الجميع خاف من ان يختلط اسمهُ بتلك القضية . قال كابيتو للوثيروس خادعًا نفسهُ كما فعل كثيرون نظيرهُ تامل بمثال المسيح والرسل فانهم لاموا الفريسيين والكورنثيين الفسقة ولكنهم لم يشهروا قط اسماء الذين لاموهم فانت لا تعلم ما هو جارٍ في قلوب الاساقفة فانهُ ربما يوجد فيها خيرٌ اكثر مما تظن . اه . الاَّ ان طبيعة ألبرت المائلة الى الدنيا والملاهي اعتدلتهُ عن الاصلاح اكثر مما فعل خوفهُ ومحبتهُ الذاتية وهذا الشاب رئيس الاساقفة المنتخب المهين الحاذق اللطيف المسرف الذي سرَّتهُ لذات الموائد والأُهب الفاخرة والابنية المشيدة والتنعمات العشقية وعشرة العلماء كان في جرمانيا كما كان لاون العاشر في رومية وكان حشمهُ افخر حشم المملكة وكان مستعدًّا ان

يضحي جميع افكار الحق التي اختلست الدخول الى قلبهِ لاجل اللذات والعظمة غير انهُ ابدى الى النهاية نوعًا من المقاومة لهذه التجارب واظهر افكارًا احسن ومرارًا كثيرة ظهرت منهُ ادلة العدل والانصاف

وكان ألبرت مثل لاون في احتياج الى الدراهم. وبعض التجار الاغنياء من اوجسبرج يقال لهم بيت فُغَّر كانوا قد صرفوا عليهِ فطُلب منهُ ان يفي ديونهُ ومع انهُ كانت لهُ مداخيل بطركيتين واسقفية لم يكن قادرًا على دفع ثمن الرداء الاسقفي المسمى الپاليوم. (هذا الثوب المصنوع من صوف ابيض والمنقوش عليهِ صلبان سود والمبارك من البابا الذي كان يرسلها الى رؤساء الاساقفة علامة لدرجتهم تكلفهم ٢٦٠٠٠ او حسب البعض ٣٠٠٠٠ فلوريني) فالتجأ ألبرت الى نفس الوسائط التي التجأ اليها الحبر لاجل نوال الدراهم فتوخى ضمان الغفرانات او خطايا اهالي جرمانيا كما كانوا يقولون في رومية

بعض الاحيان باشر الباباوات انفسهم امر الغفرانات واحيانًا ضمنوها كما يضمن بعض الحكومات بيوت القمار فطلب ألبرت ان يشترك بفوائد هذه المصلحة مع لاون واجابهُ البابا الى سوالهِ وطالب منهُ ان يدفع حالاً ثمن الپاليوم والبرت الذي استند على الغفرانات لاجل سد هذا الباب طلب ايضًا من التجار بيت فُغَّران يفوا ذلك عنهُ واذ راوا انهم في امان من هذا القبيل دفعوا المبلغ المطلوب تحت شروط معينة وأُقيموا خزنة لهذا العمل فكانوا الصيارفة الملوكيين لتلك المدة ثم جُعلوا بعد ذلك امراء لاجل خدماتهم التي قدموها

واذ اقتسم سلفًا البابا ورئيس الاساقفة اسلاب نفوس جرمانيا الصالحة كان السوال الثاني مَن يُرسَل لاجراء هذا العمل فعُرِض ذلك اولاً على رهبنة مار فرنسيس وسمي رئيسهم شريك البرت الاَّ ان هولاء الرهبان لم يريدوا ان يشتركوا في هذا الامر لان رائحتهُ كانت رديئة عند جميع الناس الصالحين واما رهبان مار اوغسطينوس الاكثر تنورًا من غيرهم فكانوا اقل التفاتًا اليهِ من هولاء الاَّ ان رهبان مار فرنسيس خافوا من ان يغيظوا البابا الذي كان قد

ارسل الى فورلي رئيسهم العام برنيطة كردينال كلفت تلك الرهبنة الفقيرة المتسولة ٢٠٠٠٠ فلوريني فحكم الرئيس بان صوالحهم تستدعي ان لا يرفضوا ذالك جهاراً الَّا انهُ قدم لالبرت كل انواع الاعتذار ولم يقدرا قط على الاتفاق ولهذا ارتضى المنتخب بكل فرح ان ياخذ كل هذه القضية على نفسهِ واما رهبان مار دومينيكوس فاشتهوا ان تكون لهم شركة في هذا العمل العام القريب الاجراء . وتتزل الذي كان قد حصل على شهرة عظيمة في هذه التجارة اسرع الى منتز وعرض خدمتهُ على المنتخب واذ تذكر فطنتهُ التي ابداها في اشهارهِ الغفرانات لاجل الفرسان الجرمانيين في بروسيا وليڤونيا قبلوا معروضاتهِ وهكذا انتقلت كل تلك التجارة الى ايدي رهبنتهِ

الفصل الرابع

مشاجرة لوثيروس وتتزل . وعظ لوثيروس وحلم الملك المنتخب

ان لوثيروس بلغهُ خبر تتزل اولاً وهو في غرِمّا سنة ١٥١٦ آخذاً في زيارة الكنائس وذلك لان بعضهم اخبروا ستوبتز الذي لم يزل مع لوثيروس بان في ورتزن بائع غفرانات اسمهُ تتزل لهُ صيت عظيم وذُكر شيءٌ من عباراتهِ المتجاوزة الحد امام لوثيروس فصرخ لوثيروس بغضب سوف اشق طبلهُ ان شاء الله . وعند رجوع تتزل من برلين حيث قبلهُ بكل محبة المنتخب يواكيم اخو الضامن العام نزل في يوتربوخ . اما ستوبتز فبناء على ثقة الملك المنتخب فردريك بهِ كثيراً ما ذكر امامهُ شرور الغفرانات وسيرة بائعها الملومة . وامراء سكسونيا اغتاظوا من هذه التجارة المعيبة ومنعوا التاجر من الدخول الى ولاياتهم ولهذا اضطرهُ الحال الى البقاء في تخوم عضدهِ رئيس اساقفة مجديبرج الّا انهُ قرب الى سكسونيا على قدر استطاعتهِ لانهُ بين يوتربوخ وومبرج خمسة اميال

فقط . قال لوثيروس ان درّاس الاكياس هذا قد ابتدأ يدرس بشجاعة في كل بلاد حتى ان الدراهم ابتدات تقفز وتسقط برنة في الصندوق فازدحم الناس افواجًا افواجًا من وتمبرج الى سوق الغفرانات في بوتربوخ

ولم يزل لوثيروس في ذلك الوقت كثير الاحترام للكنيسة وللبابا . قال انني كنت في ذلك الوقت راهبًا وباباويًا شديدًا سكرانًا بهذا المقدار بل غارقًا في التعاليم الرومانية حتى اذا لزم الامر ساعدت برغبة في قتل كل من تجاسر على رفض ادنى طاعة للبابا وكنت شاولاً كما انهُ لم يزل كثيرون مثلهُ . ولكنهُ في الوقت نفسهِ كان قلبهُ مع ذلك مستعدًّا للاضطرام بالمحاماة عن كل ما اعتقد حقانيتهُ وبالمضادة لكل ما اعتقد انهُ غلط قال كنت معلمًا شابًا خارجًا حديثًا من الكور حارًّا وفرحًا بكلام الرب

وفيما لوثيروس جالس يوما في كرسي الاعتراف في وتمبرج اتى على التوالي كثيرون من اهل المدينة معترفين بذنوب فظيعة كالزنا والدعارة والرشوة والارباح المحرمة فهذه الذنوب التي نقر بها امام خادم الكلمة تلك النفوس التي يعطي عنها حسابًا يوم الدين فأنّب وقوّم وارشد ولكنهُ تعجب جدًّا عند ما سمع هولاء الاشخاص يقولون انهم لا يتركون خطاياهم وقال هذا الراهب الصالح متعجبًا بما انهم لا يَعِدون باصلاح حياتهم لا يقدر ان يحلهم . فالمساكين التجأُوا حينئذٍ الى اوراق غفراناتهم وعرضوها عليهِ معتقدين بصحتها فاجابهم لوثيروس ان تلك الاوراق لا تعنيهِ وان لم تتوبوا فجميعكم تهلكون هكذا فكانوا يصرخون ويدافعون واما الدكتور فلم يتزعزع بل قال يجب ان تتركوا عمل الشر وتتعلموا عمل الخير والا فلا حلة ويجب ان تكونوا على حذر كيف تصغون الى عجيج تجار الغفرانات هولاء فان لكم مصالح خيرًا من ابتياع هذه الغفرانات التي يبيعونها بثمن دني بهذا المقدار

فرجع سكان وتمبرج برعدة عظيمة مسرعين الى تتزل وقالوا لهُ ان راهبا اوغسطينيًّا قد ازدرى باوراقك وعند ما بلغ الراهب الدومينيكي ذلك عج

بسخط وهاج عن المنبر بكلام الشتيمة واللعنات ولكي يخيف الشعب بزيادة امر بايقاد النار مرارًا في السوق معلنًا بانهُ قد اتاهُ امر من البابا ان يحرق جميع الاراتقة الذين يتجاسرون على مقاومة غفراناته الكلية القداسة

فهذا هو الامر الذي لم يكن علة الاصلاح بل محركهُ الاول . اي راعٍ راى خراف حظيرتهِ في طريق لا بد من هلاكها فيهِ فطلب ان يردها عنهُ والى ذلك الوقت لم يكن قد جال في خاطرهِ فكرٌ في اصلاح الكنيسة والعالم . زار رومية وراى فسادها لكنهُ لم يقم لمضادتها وعلم بعض المساوي التي تنهد العالم المسيحي تحتها لكنهُ لم يفتكر باصلاحها ولم يرغب في ان يصير مصلحًا . ولم يقصد اصلاح الكنيسة اكثر ما قصد اصلاح نفسهِ . اما الله فاراد مصلحًا واختار لوثيروس ان يكون اداةً لهُ ونفس العلاج الذي اثر بهذا المقدار في شفاء جراحهِ استعملهُ يد الله بواسطتهِ لشفاء قروح العالم المسيحي . لم يبرح من الدائرة التي وُضع فيها وسعى فقط الى حيثما دعاهُ سيدهُ . واكمل في وتبرج واجبات معلم وواعظ وراعٍ . وكان جالسًا في الهيكل حيث اتاهُ اعضاء الكنيسة يكشفون قلوبهم لهُ وهناك في تلك الساحة هجم عليهِ الشر واتاهُ الضلال وطلب اهل الضلال منعهُ من اجراء واجبات وظيفتهِ وضميرهُ المرتبط بكلام الله لم يسلّم بذلك . أليس الله هو الذي دعاهُ . ولما راى المقاومة من الواجبات راى انها حق فاضطر الى التكلم . قال مثيسيوس هكذا قضى بالحوادث ذلك الاله الذي احب ان يرجع العالم المسيحي بواسطة ابن شغيل في الكور وان يجيز في اناتينه تعليم الكنيسة غير الخالص لكي يطهرهُ

ولا حاجة بعد ذكر ما تقدم الى نقض تهمة كاذبة اخترعها بعض اعداء لوثيروس عليهِ وذلك بعد موتهِ . قال ان الحسد الذي هو من طبيعة الجماعات الدينية والغيظ عند رؤية تسليم هذه التجارة المهينة الخبيثة للدومينيكيين دون الاوغسطينيين الذين لم تزل في حوزتهم الى ذلك الوقت هيجا لوثيروس الى مقاتلة تتزل ومقاومة تعاليمهِ . والواقع المحقق هو ان هذه التجارة قد عُرِضت اولاً

على رهبان مار فرنسيس الذين لم يريدوا ان يكون لهم تعلق بها وذلك كافٍ لدحض هذه الحكاية المكررة من مورخين قد نقل احدهم عن الاخر والكردينال بلاويشيني نفسهُ قال ان رهبان مار اوغسطينوس لم تكن قط هذه المصلحة بيدهم وفضلاً عن ذلك قد راينا مخاض نفس لوثيروس ولا يحتاج عملهُ الى ايضاح غير ذلك . واضطر الى الاقرار جهاراً بالتعليم الذي كان سبباً لراحة ضميرهِ وسعادتهِ . وفي الديانة المسيحية متى وجد احدٌ كنزاً لنفسهِ يرغب ان يشرك فيهِ غيرهُ . وفي ايامنا يجب ان نرفض تلك التعليلات الصبائية الساقطة التي يعلل بها بعضهم عن الحركة العظيمة الحادثة في القرن السادس عشر فانهُ يحتاج الى محل اقوى من ذلك لرفع العالم . ولم يكن الاصلاح محصوراً في لوثيروس بل كان ذلك القرن قد ولدهُ ولو لم يُولَد لوثيروس

ثم ان لوثيروس الذي حثهُ الامتثال لكلام الله والمحبة نحو الناس تبوأ المنبر وحذَّر سامعيهِ ولكن برفق كما قال هو نفسهُ . كان اميرهُ قد اشترى من البابا غفراناً خصوصياً لكنيسة الدار الملكية في ويتمبرج وبعض السهام التي رشق بها لوثيروس غفرانات المفتش اصابت غفرانات الملك . ولا باس فانهُ لم يبالِ بخطر الاهانة الذي يوقعهُ ذلك بهِ ولو طلب ارضاء الناس لم يكن عبداً للمسيح

قال هذا الخادم الامين لكلمة الله لشعب ويتمبرج لا يقدر احد ان يبرهن من الكتاب المقدس ان التبرير من قبل الله يطلب قصاصاً او مكافأةً من الخاطي والالزام الوحيد الذي يضعهُ علينا انما هو التوبة الحقيقية والرجوع الصادق والعزم على حمل صليب المسيح وعمل الاعمال الصالحة وانهُ لضلال عظيم ان يدَّعي الواحد لنفسهِ عملاً يرضي الله عن خطايانا لان الله يغفرها مجاناً بنعمتهِ التي لا تثمَّن . نعم ان الكنيسة المسيحية تطالب شيئاً من الخاطي وهذا الشيء يمكنها الصفح عنهُ لا اكثر ولا اقل واما هذه الغفرانات المعطاة من الكنيسة فانما تُحتمل بسبب المسيحيين المتوانين غير الكاملين الذين لا يمارسون الاعمال

الصالحة بغيرة وهي لا تحرك احدًا نحو القداسة بل انما تبقي كل انسان في نقصهِ

ثم اخذ يقاوم الدعاوي التي تحتها بيعت الغفرانات فقال كان احسن كثيرًا لو اعطوا حبًا بالله لاجل بناء كنيسة مار بطرس من ان اشتروا الغفرانات بهذه النية ولعلكم تقولون ألَا نشتري قط شيئًا من الغفرانات فاجيب قد قلت لكم واقول ايضًا شوري عليكم ان لا احد يشتريها. دعوها للمسيحيين المتناعسين واما انتم فاسلكوا منفردين ولاجل انفسكم فانهُ يجب علينا ان نحوّل المومنين عن الغفرانات ونحثهم على الاعمال التي يهملونها

واخيرًا التفت لوثيروس الى اخصامهِ وختم كلامهُ بقولهِ واذا صرخ احد باني اراتيكي لان الحق الذي انادي بهِ هو مضادٌ لصندوقهم القوي فاني قلما ابالي بصراخهم فان عقولهم مظلمة مريضة وهم اناس لم يذوقوا قط الكتاب المقدس ولا قراوا التعليم المسيحي ولا ادركوا اقوال معلميهم وهم مهترون في خرَق آرائهم الباطلة نسال الله ان يعطينا واياهم فهمًا صحيحًا آمين. وبعد هذه الكلمات نزل لوثيروس عن المنبر تاركًا سامعيهِ في هياج عظيم من جرى هذه العبارات الجسورة. ثم طُبِعت هذه العِظَة واثرت تاثيرًا عميقًا في كل من قراها. فردَّ تتزل عليها ثم جاوبهُ لوثيروس ايضًا الّا ان هذا الجدال لم يحدث حتى سنة ١٥١٨

فاقترب عيد جميع القديسين. وذكرت تواريخ تلك الايام امرًا مع انهُ قليل اللزوم لتاريخ ذلك العصر يفيدنا في معرفة احوالهِ وهو حلم الملك المنتخب ولا يُشَك بصدقهِ جوهريًا ولئن زاد فيهِ الذين رووهُ بعض الظروف. قال مورخٌ معتبر انهُ قد امتنع كثيرون من المورخين عن ذكرهِ خوفًا من ان يقول الاخصام ان تعليم لوثيروس قد بُني على الاحلام

اخبرتنا تواريخ تلك الايام ان الملك المنتخب فردريك السكسوني اذ كان في قصرهِ في شويتز وهو ستة فراسخ عن وتمبرج في ٣١ تشرين الاول باكرًا في الصباح مع اخيهِ الدوك يوحنا الذي كان حينئذٍ يوازرهُ في الحكومة وحكم وحدهُ

بعد موتهِ ومع رئيس ديوانهِ قال يا اخي يجب ان اقص عليك حلمًا حلمت بهِ في الليلة الماضية وارغب جدًّا ان افهم معناهُ وهو راسخ في ذهني حتى اني لا انساهُ ابدًا ولو عشت الف سنة لاني حلمتهُ ثلاث مرات وكل مرة بظروف جديدة

قال الدوك يوحنا هل هو حلم جيدٌ اوردي

قال الملك المنتخب لا اعلم الله يعلم

قال الدوك يوحنا لا تضطرب منهُ اسمعني اياهُ

قال المنتخب ذهبت الى سريري في الليلة الماضية متعبًا ومهمومًا ونمت سريعًا بعد تقديم صلواتي نومًا هاديًا نحو ساعتين ونصفٍ ثم انتبهت واشغلتني جميع انواع الافكار الى نصف الليل فصرت افتكر كيف اقيم عيد جميع القديسين وصليت عن النفوس الشقية في المطهر وطلبت من الله ان يرشدني ويرشد مشيريَّ وشعبي حسب الحق ثم نمت ايضًا وحلمت ان القادر على كل شيءٍ ارسل اليَّ راهبًا كان ابنًا حقيقيًا لبولس الرسول ورافقهُ جميع القديسين طاعةً لامر الله لكي يشهدوا لهُ ويحققوا لي انهُ لم ياتِ بغاية خداعية بل ان كل ما هو عنيد ان يعملهُ مطابقٌ لارادة الله وطلبوا مني ان اسمح لهُ بكتابة شيءٍ على ابواب كنيسة القصر في وتمبرج فاذنت لهُ بذلك عن يد رئيس ديواني وعند ذلك انطلق الراهب الى هناك وابتدا يكتب وكانت الاحرف كبيرة بهذا المقدار حتى اني قرأت وانا في شوينتز ما كتبهُ في وتمبرج والقلم الذي استعملهُ كان طويلاً بهذا المقدار حتى ان طرفهُ لحق رومية حيث ثقب اذني اسد (لاون العاشر) رابض هناك وزعزع الاكليل المثلث الذي على راس البابا فركض الكردينالية والامراء بسرعة واجتهدوا في اسنادهِ واناوانت ايضًا عرضنا مساعدتنا فمددت انا يدي وفي الحال استيقظت ويدي ممدودة وانا خائف جدًّا ومغتاظ جدًّا من هذا الراهب الذي لم يضبط قلمهُ ضبطًا احسن من ذلك . ثم رجعت الى نفسي فلم يكن الاَّ حلمًا

واذ كنت بين النوم واليقظة واطبقت عيني ثانيةً راجعني الحلم ايضًا واذ كان الاسد لم يزل منزعجًا من القلم ابتدأ يزأر بكل قوتهِ حتى ان كل مدينة رومية وجميع اقاليم المملكة المقدسة ركضوا لكي يعرفوا ماذا كان السبب وطلب منا البابا ان نقاوم هذا الراهب ووجّه خطابهُ اليَّ بنوع خصوصي لان الاخ ساكن في بلادي ثم انتبهت ايضًا وكررت الصلوة الربانية وتضرعت الى الله ان يحفظ قداستهُ ثم نمتُ

وحينئذٍ حلمت ان جميع امراء المملكة ونحن معهم اسرعنا الى رومية واجتهدنا الواحد بعد الآخر في كسر هذا القلم ولكنهُ على قدر اجتهادنا ازداد صلابةً وصوَّت كانهُ من حديد فتركناهُ آيسين ثم سالت الراهب لاني كنت تارةً في رومية وتارةً في وتمبرج من اين اتيت بهذا القلم وكيف صار قويًّا بهذا المقدار فاجاب ان هذا القلم كان لاوزةٍ من بوهيميا عمرها مئة سنة (يوحنا هس) وقد اعطاني اياهُ احد معلميَّ القدماء فهو صلب بهذا المقدار لانهُ لا يقدر احدٌ ان ينزع اللبَّ منهُ وانا نفسي متعجب جدًّا من ذلك . ثم سمعت بغتةً صراخًا شديدًا لانهُ من قلم الراهب الطويل خرج جيشٌ من الاقلام الاخر فانتبهت ثالثةً وكان طلوع الفجر

فقال الدوك يوحنا ماذا تظن يا رئيس الديوان فيا ليت عندنا يوسفًا او دانيالاً آخر متعلمًا من الله

فقال رئيس الديوان تعرف جلالتكم المثل السائر ان احلام الصبايا والرجال الحكماء والسادة العظام لها غالبًا معنًى مستور ولكننا لا نقف على معنى هذا الى زمان حتى تتم الحوادث المخبر بها واذ ذاك فعليك ان تسلم تتميمهُ الى الله واستودع جميع الامور بيدهِ

فقال الدوك يوحنا ان رابي كرايك ايها الرئيس فانهُ لا يليق بنا ان نزعج انفسنا في اكتشاف تفسير هذا الحلم فان الله يوجه كل شيءٍ الى مجدهِ

فقال المنتخب لعلَّ الهنا الامين يفعل هكذا واما انا فلا انسى هذا الحلم قط

وقد عرض لي تفسيرهُ ولكنني ابقيهِ مكنونًا في نفسي وربما يُظهِر مرور الزمان ان كنت اصبت بالتخمين ام لا

وهكذا حسب نسخة ويمار انصرف صباح اليوم الحادي والثلاثين من شهر تشرين الاول في شوينتز فلننظر كيف انصرف المساء في وتمبرج ولنرجع الى التاريخ الذي يوثق بهِ

الفصل الخامس

عيد جميع القديسين والقضايا الخمس والتسعون

ان كلام لوثيروس اثّر تاثيرًا قليلاً وبقي نتزل آخذًا في تجارتهِ وخطبهِ النفاقية من دون اضطراب . ولم يسلّم لوثيروس نفسهُ لهذه القبائح ولا بقي صامتًا لا يتكلم ضدّها. بل نظير راعٍ حثّ الذين اتوا الى استماع انذارهِ ونظير واعظ حذّر الشعب عن المنبر ولم يبقَ عليهِ الآن يتكلم من حيث هو لاهوتي وبقي عليهِ ان يخاطب لا انفسًا قليلة فقط في كرسي الاعتراف ولا جماعة المومنين وحدها في وتمبرج بل جميع اولئك الذين هم نظيرهُ معلمو كلمة الله فعزم على ذلك . ولم يفتكر بمحاربة الكنيسة ولا باستدعاء البابا الى المحاكمة بل بالعكس اعتبارهُ للبابا هو الذي سكّتهُ عن الدعاوي الكاذبة التي قللت اعتبار الحبر فاراد ان يحامي عن البابا ضد اولئك الناس الوقحين الذين تجاسروا على خلط اسمهِ الموقر بتجارتهم المشككة وعوضًا عن الفكر بحركة تقلب رياسة رومية ظنّ ان البابا والمذهب الكاثوليكي هما اعوانهُ ضد هولاء الرهبان الوقحين

وكان عيد جميع القديسين يومًا عظيمًا جدًّا لاهل وتمبرج وعلى الخصوص للكنيسة التي بناها الملك المنتخب هناك وملأها من الذخائر . فكان الخوارنة في ذلك العيد يخرجون تلك الذخائر مزينة بالذهب والفضة والحجارة الكريمة

ويتلونها امام الشعب المنذهل المنبهر من تلك البهجة . وكل من زار تلك الكنيسة واعترف في ذلك العيد نال غفرانًا وافرًا ومن ثمَّ كنت ترى السواح عند ذلك العيد العظيم يأتون الى وتمبرج افواجًا افواجًا . وفي ٢١ تشرين الثاني سنة ١٥١٧ عند الظهر في اليوم قبل العيد ذهب لوثيروس بجسارة الى الكنيسة التي كان ذاهبًا اليها جمهورٌ من السواح المعتقدين بالخرافات وعلَّق على الباب خمسًا وتسعين مصادرة او قضية ضد تعليم الغفرانات ولم يخبر بقصدهِ الملك المنتخب ولا ستوبتز ولا سپالاتين حتى ولا احدًا من اصحابهِ المقربين

قال لوثيروس فيها على سبيل فاتحة انهُ كتب تلك القضايا رغبةً في اظهار الحق في ضوء النهار الكامل وانهُ مستعد للمحاماة عنها في الغد في المدرسة ضد جميع اضدادهِ فحصل التفات عظيم نحوها وقُرِئت ونُقِلت من فمٍ الى فمٍ ولم يكن الاَّ قليل حتى هاجت السواح والمدرسة والمدينة باسرها

فلنذكر بعضًا من تلك القضايا التي كُتِبت بقلم الراهب وعُلِّقت على باب كنيسة وتمبرج

١ عند ما يقول ربنا وسيدنا يسوع المسيح توبوا يريد بذلك ان كل سيرة المومنين على الارض تكون توبة راسخة دائمة

٢ ان هذه الكلمة ليس معناها سر التوبة اي الاعتراف تحت يد الكاهن ولا وفاء قانون يضعهُ الكاهن

٣ ان ربنا بقولهِ هذا لا يتكلم عن التوبة الداخلية فقط فان التوبة الداخلية باطلة ما لم ينتج منها في الخارج كل نوع من اماتة الجسد

٤ ان التوبة والحزن اي الوفاء الحقيقي تدومان ما دام الانسان مغتاظًا من نفسهِ اي الى ان ينتقل من هذه الحيوة الى الابدية

٥ ان البابا لا يقدر ولا يريد ان يرفع قصاصًا الاَّ ما قد امر بهِ هو من تلقاء ارادتهِ او طبق القوانين اعني الفرائض البابا وية

٦ ان البابا لا يقدر ان يرفع دينونة بل انما يشهر ويثبت عفو الله الاَّ في

الامور المختصة بهِ نفسهِ واذا فعل خلاف ذلك تبقى الدينونة على التمام كما كانت

٧ ان شرائع القصاصات الكنائسية يجب حملها على الاحياء فقط ولا تعلق لها بالموتى

٢١ ان رسل الغفرانات يغلطون عند قولهم انهُ بواسطة الغفران الباباوي ينجو الانسان من كل قصاص فيخلص

٢٥ ان السلطان الذي للبابا على المطهر في كل الكنيسة هو نفسهُ لكل اسقف شخصيًا في ابرشيتهِ ولكل خوري في رعيتهِ

٢٧ القائلون انهُ حالما ترن الدراهم في الصندوق المتين تطير النفس خارجةً من المطهر انما يبشرون بحماقات بشرية محضة

٢٨ الامر محقق انهُ حالما ترن الدراهم يصل الطمع ومحبة الربح وينموان ويكثران. واما معاضدة الكنيسة وصلواتها فهي انما تتوقف على ارادة الله ومشيئتهِ الصالحة

٣٢ الذين يتوهمون انهم بواسطة الغفرانات صاروا في امنٍ نظرًا الى خلاصهم يذهبون الى الهلاك مع الذين يعلمونهم بذلك

٣٥ ان الذين يدَّعون انهُ لاجل تخليص نفس من المطهر او شراء غفران لا يحتاج الى حزن او توبة هم معلمو تعاليم مضادة للديانة المسيحية

٣٦ كل مسيحي يتوب حقًّا عن خطاياهُ ينال صفحًا كاملاً عن القصاص والجرم من دون احتياج الى الغفرانات

٣٧ كل مسيحي حقيقي سواءٌ كان ميتًا او حيًّا يشترك في جميع بركات المسيح والكنيسة بنعمة الله من دون ورقة غفران

٣٨ الّا انهُ لا ينبغي ان نحتقر الحلة الباباوية والغفران الباباوي لان هذا الغفران هو اشهار غفران الله

٤٠ التوبة والحزن الحقيقيان يطلبان القصاص ويحبانهِ ولكن رخاوة الغفران تحل من القصاص وتولد بغضةً لهُ

٤٢ يجب ان نعلّم المسيحيين ان البابا ليس لهُ فكر ولا رغبة في ان يعدل بوجه من الوجوه شراء الغفرانات باعمال الرحمة

٤٣ يجب ان نعلم المسيحيين ان الذي يعطي المسكين او يقرض المحتاج يعمل احسن من الذي يبتاع غفرانًا

٤٤ لان عمل المحبة يزيد المحبة ويصيّر الانسان انقى واما الغفران فلا يجعلهُ احسن بل انما يصيرهُ اكثر ثقة بنفسهِ واكثر طمانينة من جهة القصاص

٤٥ يجب ان نعلم المسيحيين ان كل من راى قريبهُ محتاجًا ومع ذلك يبتاع غفرانًا فهو لا يبتاع غفران البابا بل يجلب غضب الله

٤٦ يجب ان نعلم المسيحيين انهُ ان لم يكن لهم ما يفضل عن احتياجهم يجب عليهم ان يحفظوا ما عندهم لاهل بيوتهم لاجل تحصيل ضرورياتهم ولا يجوز ان يبدرقوا اموالهم في شراء الغفرانات

٤٧ يجب ان نعلّم المسيحيين ان شراء غفران هو امر اختياري لا الزام فيهِ

٤٨ يجب ان نعلّم المسيحيين ان احتياج البابا الى صلوات تُقدَّم بالايمان اشد من احتياجهِ الى المال فيرغب الصلوة اكثر من المال عند توزيعهِ الغفرانات

٤٩ يجب ان نعلّم المسيحيين ان غفران البابا جيد ان لم نتكل عليهِ ولكن لا شيء اضر منهُ اذا قلل صلاحنا

٥٠ يجب ان نعلّم المسيحيين ان البابا لو اطلع على اختلاسات المبشرين بالغفرانات لكان احب اليهِ ان كنيسة مار بطرس ام الكنائس تحترق وتصير رمادًا من ان يراها تُبنى بجلود غنم قطيعهِ ولحومهم وعظامهم

٥١ يجب ان نعلّم المسيحيين ان البابا (كما يجب عليهِ) احب اليهِ ان يوزع مالهُ الخصوصي على الفقراء الذين يسلب منهم الآن بائعو الغفرانات آخر فلس لهم ولو لزم الامر الى بيع كنيسة مار بطرس ام الكنائس

٥٢ ان رجاء الخلاص بالغفرانات هو رجاء كاذب فارغ حتى ولو رهن

رسل الغفرانات او البابا نفسهُ انفسهم ضماناً

٥٤ ان الذين بسبب التبشير بالغفرانات ينهون عن التبشير بكلام الله هم اعداء البابا ويسوع المسيح

٥٥ لا يمكن ان يكون للبابا فكرٌ غير هذا وهو انهُ اذا أُعلِن منح الغفران (وهو امر اصغر) بقرع الاجراس وببهجة واحتفال فكم بالحري يجب ان نكرم ونعظم الانجيل (الذي هو امرٌ اعظم) بقرع مئات من الاجراس وبمئات من الاحتفالات والطقوس

٦٢ ان كنز الكنيسة الحقيقي الكريم هو انجيل نعمة الله ومجدهُ المقدس

٦٥ ان كنوز الانجيل هي شباك قد اصطيد بها في القديم الاغنياء واصحاب اليسر

٦٦ واما كنوز الغفران فهي اشراك تصطاد الآن غنى الشعب وثروتهُ

٦٧ يجب على الاساقفة والرعاة ان يقبلوا نواب الغفرانات الرسولية بكل علامات الاعتبار

٦٨ الّا انهُ يجب عليهم اكثر ان يحترسوا بعيونهم واذانهم حتى لا يبشر النواب المذكورون باحلام تصوراتهم عوضاً عن اوامر البابا

٧١ من تكلم ضد غفران البابا فليكن ملعوناً

٧٢ ولكن الذي يتكلم ضد كلام مبشري الغفرانات الحمقى الوقاحى فليكن مباركاً

٧٦ ان غفران البابا لا يقدران يرفع اصغر الخطايا اليومية من حيث الجرم او الجناية

٧٩ هو تجديف القول ان للصليب المزين براية البابا مفعولاً نظير مفعول صليب المسيح

٨٠ ان الاساقفة والرعاة واللاهوتيين الذين يسمحون بان تُقال هذه الاشياء للشعب يلتزمون باعطاء الجواب عنها لا محالة

٨١ ان هذا التبشير الوقح ومدح الغفرانات بلا حياء كما يفعلون يجعل صعوبة على العلماء في المحاماة عن عظمة البابا وشرفهِ من مثالب المبشرين ومسائل عامة الشعب الحاذقة الصعبة

٨٦ فانهم يقولون البابا اغنى من كريسوس فلماذا لا يبني كنيسة مار بطرس الامّ بمالهِ دون مال المسيحيين الفقراء

٩٢ ليتنا نخلص من جميع هولاء المبشرين الذين يقولون للكنيسة سلام سلام ولا سلام

٩٤ يجب ان نحث المسيحيين على الاجتهاد في اتباع المسيح راسهم في وسط الصعوبات والموت والجحيم

٩٥ لان الدخول الى ملكوت السماء بالضيقات الكثيرة احسن جدًّا من تحصيل وثيقة جسدية بتعزيات سلام كاذب

فهكذا ابتدأ العمل وتضمنت جراثيم الاصلاح في قضايا لوثيروس هذه . وتقاومت بها قبائح الغفرانات وهذا هو اعظم مظاهرها الّا انهُ تحت هذه المهاجمة مبدا قلما التفت الناس اليهِ ولكنهُ كان عتيدًا ان يقلب يومًا بناء البابا وية من اساسهِ فان التعليم الانجيلي بغفران الخطايا المطلق المجاني أُقِرّ بهِ علانيةً اولاً في هذه القضايا ولم يكن بدٌّ من تقدم العمل قوةً . واتضح جليًّا ان كل من لهُ هذا الايمان بمغفرة الخطايا التي بشر بها لوثيروس وكل من لهُ هذه التوبة وهذا الرجوع وهذه القداسة التي نادى بنشاط بضروريتها لا يعود يسأل عن الفرائض البشرية بل ينجو من اشراك رومية ورُبطها وينال حرية ابناء الله فتسقط جميع الغلطات امام هذا الحق وبواسطتهِ ابتدأ النور يدخل في ضمير لوثيروس وبواسطتهِ ايضًا فاض النور على الكنيسة ومعرفة هذا الحق الواضحة هي ما احتاج اليها المصلحون المتقدمون ومن ذلك الاحتياج عدم اثمار اتعابهم واقرّ لوثيروس نفسهُ بعدُ انهُ بمناداتهِ بالتبرير بالايمان وضع الفاس على اصل الشجرة فقال ان مقاتلتنا المتمسكين بالمذهب البابا وي تقاتل التعليم . اما يوحنا

هس ووكلف فقانلا سيرتهم ولكن بمقاتلتنا تعليمهم نقبض الاوزة على عنقها . فكل شيء متوقف على كلمة الله التي نزعها البابا منا وحرَّفها وقد غلبتُ البابا لان تعليمي انما هو من الله واما تعليمهُ فمن الشيطان

وفي ايامنا ايضًا قد نسينا هذا التعليم العظيم اي التبرير بالايمان على كيفية غير ما صار في ايام آبائنا قال بعض معاصرينا ان مغفرة الخطايا في ايام لوثيروس كلفت بالاقل دراهم واما في ايامنا فان كل واحد ياخذ كفاءتهُ مجانًا وبين هذين الغلطين مشابهة عظيمة فانهُ ربما يُنسَى الله في ايامنا اكثر مما نُسِي في القرن السادس عشر . ومبدا التبرير بنعمة الله الذي اخرج الكنيسة من ظلمة شديدة في عصر الاصلاح هو وحدهُ يقدر ان يجدد جيلنا وينهي شكوكهُ وترددانهِ ويبيد محبة الذات التي تفترسهُ ويوطد اركان البر والآداب بين الشعوب وبالاختصار يقرن بالله ثانيةً العالم الذي قد انفصل عنهُ

كانت قضايا لوثيروس قوية بقوة الحق الذي نادت بهِ ولم تكن اقل قوة بواسطة ايمان المحامي عنها . فجرَّد بجراءة سيف الكلمة مستندًا على قوة الحق وشعر بانهُ باستنادهِ على مواعيد الله حلَّت لهُ المخاطرة بالاقل في بعض الامور . وقال عند كلامهِ عن هذا القتال الجسور مَن يرغب ان يبتدئ بعملٍ صالح يجب ان يباشرهُ متكلاً على صلاح ذلك العمل ومعاذ الله من انتظار العون والتعزية من العالم ولا يجب ان يخاف من انسان ولا من جميع العالم لان هذه الكلمات لا تكذب ابدًا وهي جيدٌ هو الاتكال على الرب ومن اتكل على الرب لا يخزى . ولكن مَن لا يريد او لا يقدر ان يخاطر ببعض الاشياء بالاتكال على الله يجب ان يحذر من الشروع في امر من الامور . اه . وبعد ما علَّق لوثيروس قضاياهُ على باب كنيسة جميع القديسين انفرد في مخدعهِ مملوًا من السلام والفرح اللذين ينتجان من عملٍ قد عُمِل باسم الرب ولاجل الحق الابدي

ومع الجسارة الموجودة في هذه القضايا فيها ايضًا دلالةٌ على ان كاتبها حينئذٍ لم يشك في سلطان كرسي رومية ولكنهُ في مضادتهِ تعليم الغفرانات طعن

بدون قصد في بعض الغلطات كشفها غير مرضٍ للبابا اذ رأى انها بعد حين توقع الشبهة في رياستهِ ولوثيروس لم ينظر الى بعيد ولكنهُ شعر بالجراءة الزائدة المتضمنة في العمل الذي شرع فيهِ وظنَّ انهُ يجب عليهِ ان يلطف جسارتها على قدر استطاعتهِ مع موافقة الحق ولذلك اشهر تلك الحقائق على هيئة قضايا مشكوك بها طلب فيها راي العلماء واضاف اليها حسب العادة الجارية اعلانًا مصرحًا بانهُ لم يقصد ان يثبت او يقول شيئًا ضد الكتب المقدسة ولا ضد آباء الكنيسة ولا ضد حقوق الكرسي الروماني واحكامهِ . وفي السنين التابعة عندما تامل لوثيروس بالنتائج غير المنتظرة التي نتجت من تلك المهاجمة الجسورة العظيمة تعجب من نفسهِ ولم يقدر ان يفهم كيف تجاسر على ذلك فان يدًا غير منظورة اقوى من يدهِ امسكت بهِ وقادت رسول الحق في طريقٍ مستور عن نظرهِ وربما كان قد ارتد الى الوراء لو سبق ورای صعوباتهِ اولو تقدم وحدهُ ومن ذات خاطرهِ . قال انني دخلت في هذا البحث من دون ترتيب معيَّن ومن دون معرفة او ميل وقد أُخِذت بغتةً من دون انتباه وانا استشهد على ذلك الله فاحص القلوب

وكان لوثيروس قد وقف على ينبوع تلك القبائح وذلك ان رجلاً اتاهُ بكتاب صغير مزين بنيشان رئيس اساقفة منتز ومجد يبرج يتضمن القوانين التي يجب اتباعها في بيع الغفرانات فتاكد ان ذلك الاسقف الشاب والامير المحبوب هو الذي امر بتلك الشعبذة او بالاقل وافقها وكان لوثيروس يخشى رئيسهُ هذا ويعتبرهُ . واذ لم يشا ان يقاتل الجو بل بالحري ان يخاطب الذين في يدهم تدبير الكنيسة بعث اليهِ بمكتوب واضح الحرية والتواضع وفي نفس اليوم الذي علق فيهِ لوثيروس القضايا كتب الى ألبرت قائلاً

اغفر لي ايها الاب بالمسيح الكلي الوقار والامير الجليل اذا تجاسرت انا الذي لست سوى نفيَّة الناس على الكتابة الى جلالك السامي فالرب يسوع المسيح يشهد لي اني اذ شعرت بزيادة حقارتي ودناءتي تاخرت عن المكاتبة

فالتمنازل سعادتك الى ملاحظة حبة تراب واقبل ابتهالي باطفك الاسقفي

ان بعض الاشخاص ينادون ببيع الغفرانات الباباوية في اعلى البلاد واسفلها باسم غبطتك ولااريد ان الوم ضجيج هولاء الكارزين لاني لم اسمعهم كما الوم الافكار الكاذبة التي يتمسك بها الشعب السادج الجاهل الذي عند ابتياعهِ الغفرانات يتوهم ان خلاصهُ قد صار محققاً

ان النفوس المستودعة تحت عنايتك ايها الاب الفاضل تُعلَّم لا للحيوة بل للموت والحساب الصارم العادل الذي سوف يُطلَب منك يزداد يوماً فيوماً. فلا اقدر ان اسكت بعد . كلاَّ . ان الانسان لا يخلص بواسطة عمل اسقفهِ ولا وظيفتهِ فان الصديقين انفسهم بالكد يخلصون وضيّقة هي الطريق المؤدّية الى الحيوة فلماذا اذاً هولاء المنادون بالغفرانات يعلمون الشعب حكاياتهم الفارغة فيجعلونهم يتكلون على وثيقة جسدية

على موجب قولهم الغفرانات وحدها تستحق الالتفات اليها ويُنادَى بها وتُمدَح . أَليس المبدا الوحيد الواجب على الاساقفة ان يعلموا الشعب بهِ هو الانجيل ومحبة يسوع المسيح . فان المسيح لم يامر قط بالتبشير بالغفرانات ولكنهُ بكل سلطان امر بالتبشير بالانجيل فما أَخطرهُ وما أَهولهُ ان يسمح الاسقف بصمت الانجيل وصوتُ الغفرانات وحدهُ يتردد بلا انقطاع في اذان قطيعهِ

فيا ايها الاب الفاضل بالله انهُ في النشرات المذاعة باسم غبطتك لاجل ارشاد الدواب (وهي لا شك من دون معرفتك) يقال ان الغفرانات هي الكنز الاثمن بواسطتها يتصالح الانسان مع الله وان التوبة غير لازمة للذين يبتاعونها

فماذا اقدر عليهِ وماذا يجب عليَّ ان اعملهُ ايها الاسقف الفاضل والامير الحكيم . اترجّى جلالك باسم ربنا يسوع المسيح ان تنظر بعناية ابوية الى هذه القضية وان تلاشي الكتاب بالكلية وان تامر الواعظين بان يعظوا مواعيظ غير هذه امام الشعب فان لم تفعل هكذا فخف من ان تسمع يوماً صوتاً عالياً يدحض آراء هولاء المبشرين ويكون ذلك عاراً عظيماً على سعادتك وجلالك اه.

وفي الوقت نفسهِ ارسل لوثيروس قضاياهُ الى رئيس الاساقفة المذكور مترجيًا اياهُ ان يقراها لكي يقتنع بان الاساس الذي بُنيت عليهِ الغفرانات هو ضعيفٌ جدًّا

فهكذا ظهر ان كل رغبة لوثيروس هي في ان رعاة الكنيسة ينتبهون ويعزمون على ملاشاة الشرور التي كانت آخذةً في اخرابها . ولا يمكن وجود شيءٍ اكرم ولا اكثر اعتبارًا من هذا المكتوب المُرسَل من راهب الى رجلٍ من اعظم امراء الكنيسة والمملكة ولم يكن قط احدٌ اكثر طاعة ومطابقة لوصية المسيح القائلة اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . وهذه ليست طريقة اصحاب الحركات الحارّين الذين يزدرون بالسلطة ويذمون الرياسات بل هو صراخ ضمير مسيحي صراخ كاهن يقدم الكرامة للجميع بل يخاف الله فوق كل شيءٍ ولكن جميع صلواتهِ وجميع طلباتهِ كانت بلا فائدة لان الفتى ألبرت اذ كان منهمكًا في اللذات والغايات الرياسية لم يجاوب معروضًا ثقيلاً كهذا . اما اسقف برندنبرج رئيس لوثيروس العالم التقي وقد ارسل اليهِ قضاياهُ فاجابهُ انهُ بذلك يقاوم سلطان الكنيسة ويجلب على نفسهِ انزعاجًا وغيظًا عظيمًا وان هذا الامر فوق طاقتهِ ونصحهُ برغبة ان يبقى ساكتًا . فسدَّ اكابر الكنيسة آذانهم عن صوت الله الظاهر بمثل هذا النشاط والرأفة بفم لوثيروس ولم يريدوا ان يفهموا علامات الزمان بل ضُرِبوا بذلك العمى الذي سبب خراب سلطات ورياسات كثيرة . قال لوثيروس بعد ذلك انهما كليهما ظنَّا ان البابا يقوى على اخٍ مسكينٍ متسوّل نظيري

وكان لوثيروس اقدر من الاساقفة على الحكم بمفاعيل الغفرانات المهلكة في اخلاق الشعب وسيرتهِ لانهُ خالط الشعب اختلاطًا مستمرًّا وراسًا بدون واسطة فرأى دائمًا وبالقرب منهُ ما بلغ الاساقفة بواسطة اخبار غير صحيحة فقط ومع ان الاساقفة تركوهُ لم يتركهُ الله وراس الكنيسة الجالس في السماء الذي أُعطي لهُ كل سلطان على الارض كان قد اعدَّ بنفسهِ التربة وجعل الزرع في

يدي خادمهِ واعطى زرع الحق اجنحة وفي لحظة بذرهُ في كنيستهِ طولاً وعرضاً

ولم يظهر احدٌ في اليوم التالي في المدرسة لدحض قضايا لوثيروس لان التجارة التنزلية كانت مذمومةً ومعيبة بهذا المقدار حتى لم يكن من يتجاسر على الانتصار لها الاَّ تنزل نفسهُ واتباعهُ . وتلك القضايا قد قضي باستماعها في مكان آخر غير الدير والمدرسة لانهُ حالما سُمِّرت على باب كنيسة وتمبرج تبع اصوات المطرقة الضعيفة ضربة قوية في كل جرمانيا بلغت حتى اساسات رومية المنعظمة متهددة بالخراب بغتةً اسوار البابا وية وابوابها واعمدتها وصارعةً انصارها ومرجفة اياهم وفي الوقت نفسهِ نبهت آلافًا من رقاد الضلال

فانتشرت تلك القضايا بسرعة البرق ولم يمضِ شهر حتى وصلت الى رومية . قال مورخ معاصرٌ انها في اسبوعين صارت في كل قسم من جرمانيا وفي اربعة اسابيع قطعت كل العالم المسيحي تقريبًا كأَنَّ الملائكة انفسهم حملوها ووضعوها امام عيون جميع الناس ولا يقدر احد ان يصدق الضجة الصادرة منها وبعد قليل تُرجمت الى لغة هولاندا ولغة اسبانيا وباعها مسافر في القدس الشريف . قال لوثيروس ان كل واحد تشكى من الغفرانات . وبما ان جميع الاساقفة والعلماء كانوا سكوتًا ولم يكن احد يتجاسر ان يعلق الجرس برقبة الهر صار لوثيروس المسكين دكتورًا شهيرًا لانهُ كما قالوا اتى واحدٌ اخيرًا تجاسر على ذلك الاَّ انني لم احب هذا المجد وكان اللحن الاَّ قليلاً اعلى مما يرتفع اليهِ صوتي

ان كثيرين من السواح الذين تقاطروا من كل جهة الى وتمبرج لاجل عيد جميع القديسين اخذوا معهم عند رجوعهم عوضًا عن الغفرانات القضايا الشهيرة التي كتبها الراهب الاوغسطيني وبتلك الواسطة ساعدوا في اذاعتها فكان كل واحد يقراها ويتأَمَّل بها ويشرحها وتحدَّث بها في جميع الاديرة والمدارس . والرهبان الصالحون الذين دخلوا الاديرة لكي يخلصوا نفوسهم بما انهم كانوا مستقيمين كرماء ابتهجوا من هذا الاقرار الساذج المؤثر بالحق ورغبوا

من قلوبهم ان يواظب لوثيروس العمل الذي ابتدأ بهِ . قالوا قام اخيرًا رجلٌ تجاسر على الشروع في هذه الحرب الخطرة وكان ذلك تعويضًا عن الضر الذي اصاب العالم المسيحي فارتضى بهِ ضمير الجمهور ورأت التقوى في تلك القضايا ساهمًا متجهًا نحو كل خرافة واللاهوت الجديد راى فيها نقض الآراء الفلسفية وحسبها الامراء والولاة كسياجٍ حصين يمنع هجمات السلطة الكنائسية وفرحت الامة عند نظرها هذا الراهب يقاوم على هذا المنوال مطامع البلاط الروماني وجماحهُ . ورجل يستحق كل التصديق من اعظم نظراء لوثيروس وهو ايراسموس قال للدوك جرجس السكسوني انهُ عند ما قاوم لوثيروس هذه الخرافة مدحهُ كل العالم باتفاق عام وقال في وقت آخر للكردينال كمباجيو ارى انهُ كلما زادت تقوى الناس وظهرت آدابهم قلت مضادتهم للوثيروس فان سيرتهُ ممدوحة حتى من الذين لا يطيقون عقائدهُ . وكان العالم قد ضجر من تعليمٍ كلهُ حكايا صبائية وسنن بشرية وخرافات عجائزية وتعطش الى ذلك الماء الحي الصافي المكنون الذي ينبع من عروق الانجيليين والرسل وكانت حذاقة لوثيروس كفوًا لاجراء هذه الامور ومن شان غيرتهِ ان تضطرم في عمل مجيد مثل هذا

الفصل السادس

ربوخلن وايراسموس والامبراطور والبابا والرهبان

اننا لكي نقف على المفاعيل المتنوعة العجيبة التي احدثتها في جرمانيا تلك القضايا يجب ان نقفو اثرها حيثما توجهت اي الى مكاتب العلماء ومخادع الرهبان ودور الامراء . فوصلت الى يد ربوخلن وهو معيي من الخصام الشديد مع الرهبان . والنشاط الذي ابداهُ الخصم الحديث في قضاياهُ انعشت جندي العلوم المعيي وارجعت الفرح الى قلبهِ الآيس وبعد قراءتها صرخ قائلاً . الشكر

لله قد لاقوا اخيرًا رجلًا يشغلهم بهذا المقدار حتى يلتزموا الى ترك شيخوختي تنتهي بسلام . اما ابراسموس الكلي الحذر على ذاتهِ فكان في البلاد الواطية عند وصول تلك القضايا اليهِ ففرح في الباطن عند ما راى اغراضهُ السرية في اصلاح الفساد قد انضبت بشجاعةٍ فمدح المولف حاثًا اياهُ على استعمال لطافة وحكمة اكثر على انهُ عند ما ذم بعضهم شراسة لوثيروس امامهُ قال ان الله قد رزق الناس جرّاحًا يسبر الجرح الى غوره لان المرض لا يُشفى الّا بهذه الطريقة وعند ما سألهُ بعد ذلك بقليل ملك سكسونيا ما هو يُكرهُ في امر لوثيروس اجاب مبتسمًا انني لا اتعجب مطلقًا من انهُ قد احدث كل هذه الحركة لانهُ ارتكب شرين لا يغفران اي هجم على تاج البابا وعلى بطون الرهبان

ان الدكتور فلاك رئيس دير ستينلاوستر كان قد ترك تلاوة القداس من زمان طويل لكنهُ لم يخبر احدًا بالسبب الحقيقي لذلك فوجد يومًا قضايا لوثيروس معلقة في بيت الاكل فانطلق اليها وابتدأ يقرأ ولم يقرأ الّا قليلًا منها حتى صرخ وهو غير قادر على ضبط فرحهِ قائلًا آه آه ان الذي نحن في انتظارهِ زمانًا طويلًا قد اتى اخيرًا وهو يعلمكم ايها الرهبان لعبة او لعبتين . ثم نظر الى المستقبل كما قال مثيثيوس واردف على سبيل التورية في لفظة وتمبرج فقال ان كل العالم يذهب و يطلب الحكمة في ذلك الجبل ويجدها (لان لفظة وتمبرج معناها جبل الحكمة) وكتب الى الدكتور لوثيروس ان يداوم تلك المجاهدة المجيدة بجسارة . وسماهُ لوثيروس رجلًا مملوًا فرحًا وعزاء

وكان في ذلك الوقت صاحب كرسي اودسبرج الاسقفي الشهير القديم لورانزو دي بيبرا رجلٌ تقيٌ حكيمٌ فاضلٌ كما شهد فيهِ معاصروهُ فعند ما اتى رجلٌ واخبرهُ بقصدهِ ان يضع ابنتهُ في دير قال لهُ الاولى ان تزوجها ثم قال واذا احتجت الى دراهم لاجل جهازها فانا اقرضك اياها . وكان الامبراطور وجميع الامراء يعتبرونهُ اعتبارًا تامًا . وكان من النائحين على تشاويش الكنيسة واكثر من ذلك على تشاويش الاديرة . فوصلت القضايا الى قصرهِ ايضًا

فقراها بفرحٍ عظيمٍ وقال جهاراً ان راي لوثيروس وافق رايهُ ثم بعد ذلك بمدة كتب الى الملك المنتخب فردريك يقول لا تدع الدكتور مرتينوس التقي ينطلق لانهم يوءذونهُ . ففرح الملك المنتخب جداً بهذه الشهادة واخبر المصلح بذلك بخط يدهِ

وقرأ الامبراطور مكسمليان سالف كرلوس الخامس قضايا راهب ويتنبرج فاعجبتهُ ومنها اطَّلع على اقتدارهِ ورأى ان ذلك الاوغسطيني المجهول ربما يصير يوماً عوناً قوياً لجرمانيا في محاربتها مع رومية ولذلك قال لملك سكسونيا بواسطة سفيرهِ احترز جداً على الراهب لوثيروس لانهُ ربما ياتي زمان فيهِ نحتاج اليهِ . وبعد ذلك بمدة قصيرة اذ كان في مشورة مع فننجر كاتم اسرار الملك المنتخب قال لهُ ماذا عامل اوغسطينيكم . حقاً ان قضاياهُ ليست زهيدة فانهُ يرقّص الرهبان رقصاً متعباً

ولم تُقبَل تلك القضايا في رومية حتى في الفاتيكان قبولاً ردياً كما كان يُظَنّ فان لاون العاشر حكم فيها نظير محامٍ عن الآداب لا نظير بابا . فاللذة التي وجدها فيها انستهُ الحقائق القاسية المتضمنة فيها وعندما طلب منهُ سلوستر بريريو خادم القصر المقدس الذي كان من اعمالهِ فحص الكتب أن يعامل لوثيروس كاراتيكي قال لهُ ان الاخ مرتينوس لوثيروس هو عاقل حاذق جداً وكل ما قيل ضدهُ انما هو حسد رهباني محض

ولم يتاثر احدٌ من قضايا لوثيروس تاثيراً اعمق من تاثيرها في تلميذ انابرج الذي طردهُ تتزل بلا شفقة كما ذُكِر انفاً . فان ميكونيوس كان قد دخل ديراً وفي نفس الليلة التي فيها وصل الى الدير حَلَمَ انهُ راى حقولاً بلا نهاية مزروعة قمحاً كلها ساطعة بسنابل ناضجة فقال صوت مرشدهِ احصد . فاعتذر بعدم المعرفة فاراهُ قائدهُ حاصداً يحصد بنشاط لا يُدرَك وقال لهُ المرشد اتبعهُ واعمل كما يعمل . وطلب ميكونيوس البر لم يكن اقل اجتهاداً من طلب لوثيروس اياهُ . ففرّغ نفسهُ وهو في الدير لجميع الاسهار والاصوام والاماتات والاعمال

التقشفية المستنبطة من الناس واخيرًا أيس من الحصول على مرغوبهِ بواسطة اتعابهِ فترك درسهُ واخذ في اعمال اليد فقط فكان تارةً يجلد كتبًا وتارةً يشتغل بالخرطة او غيرها من الاعمال المتعبة ولم يكفِ هذا الكد الخارجي لاجل تسكين قلق ضميرهِ فان الله قد خاطبهُ ولم يعد يقدر على الرجوع الى نعاسهِ السابق وبقيت حالتهُ هذه المضطربة عدة سنين . والبعض يظنون ان طرق المصلحين هي لينة وانهم بعد رفضهم الوصايا المامور بها من الكنيسة لا يبقى عليهم الّا اللذة والعزاء والذي يظنّ هذا الظن لا يعتبر انهم وصلوا الى الحق بواسطة حروب داخلية هي اعسر الف مرة من الفرائض التي تخضع لها بسهولة الضمائر المسلمة نفسها للعبودية

وفي سنة ١٥١٧ كانت قضايا لوثيروس قد أُذيعت وانتشرت في العالم المسيحي ودخلت ايضًا الدير الذي كان تلميذ انابرج مستترًا فيهِ فاختبأ في زاوية من الدير مع راهب آخر اسمهُ يوحنا فوَيغت لكي يتمكن من قراءتها فوجد فيها نفس الحقائق التي كان قد سمعها من ابيهِ فانفتحت عيناهُ وشعر بصوت داخلهُ يجيب ذلك الصوت الذي رن في كل جرمانيا فامتلأ قلبهُ عزاء وقال اني ارى واضحًا ان مرتينوس لوثيروس هو الحاصد الذي رايتهُ في حلمي والذي علمني ان اجمع السنابل وفي الحال اخذ يقرّ بالتعاليم التي نادى بها لوثيروس فخاف الرهبان عند ما سمعوهُ واخذوا يجادلونهُ وتحزبوا ضد لوثيروس وضد ديرهِ . فاجاب ميكونيوس ان هذا الدير هو مثل قبر ربنا . يريدون ان يمنعوا قيامة المسيح ولكن لا يستطيعون . واخيرًا لما راى رؤساؤهُ انهم لا يقدرون على اقناعهِ منعوهُ سنة ونصفًا من كل اختلاط مع العالم ولم يسمحوا لهُ بالكتابة ولا بقبول المكاتيب وتهددوهُ بالحبس مدة عمرهِ الآن ساعة نجاتهِ كانت قريبة وتعيّن بعد ذلك راعيًا لزويكو وكان اول من قاوم البابابوية في كنائس ثورنجيا وقال اني حينئذٍ صرت قادرًا على العمل مع ابي المحترم لوثيروس في حصاد الانجيل . وصفهُ يوناس بانهُ رجل نجح في كل عمل شرع فيهِ

ولاشك بوجود آخرين كانت لهم قضايا لوثيروس علامة حيوةٍ . فانها اضرمت نارًا جديدة في كثير من الصوامع والبيوت والقصور . والذين دخلوا الاديرة طلبًا للتنعم والراحة والاعتبار والكرامة صاروا يطعنون في اسم لوثيروس . واما الرهبان الذين عاشوا في الصلوة والصوم والامانة فصاروا يشكرون الله حالما سمعوا صراخ ذلك النسر الذي بشّر بهِ يوحنا هس قبل ذلك بمئة سنة حتى ان عامة الشعب الذين لم يفهموا صريحًا المسئلة اللاهوتية وعرفوا فقط ان هذا الرجل قاتل مملكة الرهبان الكسالى المتسولين ترحبوا بهِ بصوت المديح . وحصل تاثير كلي في جرمانيا بواسطة تلك القضايا الجسورة الآن البعض من معاصري المصلح راوا النتائج الصعبة التي ربما تؤدي اليها والموانع العديدة التي تعارضها فاخبروا بخوفهم علانيةً وفرحوا برعدة

وكتب الفاضل برنرد ادلمان قانون اوجسبرج الى صديقهِ پركهيمر قائلاً اني لخائفٌ كثيرًا من ان الرجل الفاضل تقع عليهِ الغلبة اخيرًا من تلقاء طمع المتعصبين للغفرانات وقوتهم فان قضاياهُ قد اثرت فيهم تاثيرًا ضعيفًا بهذا المقدار حتى ان اسقف اوجسبرج رئيسنا ومطريبوليطنا قد امر باسم البابا بغفرانات جديدة لاجل كنيسة مار بطرس في رومية فليبادر الى طلب المعونة من الامراء وليحذر من ان يجرب الله لانهُ فاقد العقل لا محالة اذا غض النظر عن الخطر العظيم الذي هو فيهِ . وفرح ادلمان عند ما بلغهُ ان هنري الثامن قد دعا لوثيروس الى انكلترا وقال انهُ في تلك البلاد يقدر ان يعلّم بالحق بامان . وتوهم كثيرون ان تعليم الانجيل مضطر الى مساعدة السلطة المدنية ولم يعلموا انهُ يتقدم بدون واسطة تلك السلطة بل انهُ كثيرًا ما تاخر واُضعف بواسطتها

ان ألبرت كرانز المورخ المشهور كان في همبرج على مضجع الموت عند ما أُحضرت قضايا لوثيروس اليهِ فقال انت مصيب يا اخ مرتينوس ولكنك لا تنجح ايها الراهب المسكين . اذهب الى مخدعك واهتف قائلاً يا رب تحنن

عليَّ . وخوري شيخ من هكستر في وستفاليا لما وصلت اليهِ القضايا وقراها في بيتهِ هز راسهُ قائلاً يا اخي العزيز مرتينوس انك اذا نجحت في ابطال هذا المطهر وتجار الاوراق هولاء كلهم فانت حقًّا نعم الرجل . واشارةً الى هذا القول كتب اربانيوس الذي عاش بعد ذلك بمئة سنة البيت الآتي

ماذا ترى قالَ ذاك الخوري من عجبٍ لو كانَ في هذهِ الايامِ موجُودا

وكثيرون من اصدقاء لوثيروس كانوا في احتساب من عملهِ هذا وكثيرون لاموهُ عليهِ

اما اسقف برندنبرج فاغتم عند ما راى خصامًا شديدًا مثل هذا في ابرشيتهِ ورغب ان يلاشيهُ وعزم على اجراء ذلك بالملاطفة فقال للوثيروس بواسطة رئيس دير لاينن اني لاارى في قضاياك عن الغفرانات شيئًا يضادُّ الحق الكاثوليكي فاني انا نفسي ارذل تلك الاشاعات العديمة الحكمة ولكن حبًّا بالسلام واكرامًا لاسقفك لاتكتب بعد في هذا الموضوع . فارتبك لوثيروس من كلام الاسقف معهُ بمثل هذا التواضع واجاب من دون فكر اطاعةً لحماستهِ قد قبلتُ . احب اليَّ ان اطيع من ان اعمل عجائب لو استطعتها . والملك المنتخب ناسف من ابتداء مخاصمة كانت عادلة لا محالة الا انهُ لم يمكن سبق النظر الى عواقبها ولم يرغب امير في حفظ السلام بين الجمهور اكثر مما رغب ذلك فردريك قال في نفسهِ اية نارٍ عظيمة جدًّا تضطرم عن هذه الشرارة واي اختلاف شديد وانشقاق بين القبائل يصدرهُ هذا الخصام الرهباني . ولح الملك المنتخب مرارًا كثيرة للوثيروس بالقلق الذي شعر بهِ من هذا القبيل

ولم يسلم لوثيروس من اللوم حتى من نفس رهبنتهِ وديرهِ في وتنبرج فان الرئيس والمرؤوسين خافوا جدًّا من ضجيج تتزل واصحابهِ فذهبوا بخوف ورعدة الى مخدع لوثيروس وقالوا لهُ نرغب اليك ان لا تجلب عارًا على رهبنتنا فان الرهبنات الاخر لا سيما الدومينيكيون قد طاروا فرحًا عند ما راوا انهم ليسوا

وحدهم تحت العار. فلما سمع لوثيروس هذا الكلام تاثر منهُ لكنهُ استفاق سريعًا واجاب ايها الآباء الاعزاء ان كان هذا العمل ليس من الله فانهُ يتلاشى ولكن اذا كان من الله فدعوهُ يتقدم. اما الرئيس وثاني الرئيس فلم يجيبا بشيء. ثم زاد لوثيروس قائلاً ان هذا العمل لم يزل آخذًا في التقدم وان شاء الله لا يزال متقدماً اكثر فاكثر الى النهاية آمين

واحتمل لوثيروس مقاومات اخر كثيرة ففي ارفرث لاموهُ على الطريقة القاسية المترفعة التي بها شجب آراء الاخرين. وهذا هو التوبيخ الذي من عادة الناس ان يوبخوا بهِ الذين قد اقتنعوا اقتناعًا صادرًا عن كلمة الله. وقرفوهُ ايضًا بالعجلة والخفة. قال لوثيروس يطلبون مني التلطف وهم يدوسونهُ تحت اقدامهم في الحكم الذي يجرونهُ عليَّ. اننا كل حين نرى القذى في عين اخينا ونغفل عن الخشبة التي في عيننا. ان الحق لا يربح بلطفي اكثر مما يخسرهُ بعجلتي. ثم يستطرد قائلاً وهو يخاطب لانجي ما الغلطات التي وجدتها انت ولاهوتيوك في قضاياي. لا يخفى ان الانسان بالنادر يعلن فكرًا جديدًا من غير ان يظهر عليهِ شيءٌ من لوائح الكبرياء او بدون ان يتَّرف بانهُ يهيج الخصومات فان التواضع نفسهُ او اخذ في شيء جديد لقرفهُ اعداؤُهُ بالكبرياء. فلماذا أُسلم المسيح وكل الشهداء الى الموت. ذلك لانهم ظهروا كانهم احتقروا حكمة ذلك الزمان ولانهم علموا اعمالاً جديدة من غير ان يستاذنوا اولاً بكل تواضع من اهل الآراء القديمة فلا يتوقع حكماء هذه الايام مني تواضعًا او بالحري رياء يحركني الى طلب رايهم قبل اذاعة ما تسوقني واجباتي الى اذاعتهِ. فان كل ما اعملهُ يُعمَل لا بفطنة الناس ولكن براي الله واذا كان العمل منهُ تعالى فمن يقدر ان يعيقهُ وان لم يكن منهُ فمن يقدر ان يجريهُ. فلا تكن ارادتي ولا ارادتهم ولا ارادتنا بل ارادتك ايها الاب القدوس الذي في السماء. فيا لها من شجاعة وغيرة كريمة وثقة بالله ويا لهُ من حقٍ في تلك الكلمات حق يدوم الى كل الادوار

ثم ان التوبيخات والتقريعات التي قُذِف بها لوثيروس من كل جهة لم

تخلُ من تاثيرٍ في ضميرهِ . وخابت آمالهُ لانهُ توقع ان يرى رؤساء الكنيسة ومشاهير الامة يتحدون معهُ جهارًا وكان الواقع بعيدًا عن ذلك كل البعد . ولم ينل غير كلمة المديح التي سمعها في اول تعجبهم وكثيرون ممن اعتبرهم كل الاعتبار كانوا الاكثر مجاهرة في قذفهِ فشعر بنفسهِ انهُ وحدهُ عند اسفل ذلك البناء العظيم الهائل الذي بلغت اساساتهُ الى مركز الارض وارتفعت حيطانهُ الى السحاب الذي حاول ان يضربهُ بمثل تلك الضربة الجسورة فاضطرب وضعف رجاؤهُ والشكوك التي ظن انهُ قد تغلب عليها رجعت الى ضميرهِ بقوة جديدة وارتجف عند ما افتكر بانهُ قد هيج كل سلطان الكنيسة ضدهُ فان التخلص من ذلك السلطان وسد الاذنين عن استماع ذلك الصوت الذي طاعتهُ الشعوب ادوارًا كثيرة والقيام ضد تلك الكنيسة التي تعوَّد منذ صباهُ ان يحترمها امًّا للمومنين هي امور كبيرة جدًّا على القدرة البشرية ولا سيما على راهب لا اعتبار لهُ نظيرهُ . ولم تكن خطوة كلفتهُ اكثر من تلك فكانت تلك الخطوة هي التي اقامت الاصلاح

ولا احد يقدر ان يصف المقاتلة التي حدثت في نفسهِ احسن من وصفهِ اياها قال اني ابتدات بهذا العمل بخوف شديد ورعدة شديدة وماذا كنت حينئذٍ انا الاخ المسكين الشقي المهان . كنت كجثة ميتة لا كانسان . فمَن كنت انا حتى اقاوم جلال البابا الذي ارتجفت امامهُ ملوك الارض وجميع العالم بل السماء وجهنم كانتا ملتزمتين باطاعة غمز عينيهِ . ولا يقدر احد ان يعرف ما احتملهُ قلبي في مدة هاتين السنتين الاوليين وفي اي ضعف او بالحري في اي ياس غرقت وتلك الارواح المتكبرة الذين حاربوا البابا بعدي بجراءة عظيمة جدًّا لا يمكنهم ان يتصوروا حالي حينئذٍ ومع كل حذاقتهم لم يقدروا ان يلحقوا بهِ ادنى اذية لو لم يكن الرب يسوع المسيح قد احدث بواسطتي انا الآلة الضعيفة غير المستحقة جرحًا بليغًا لن يبرا . واستكفوا بالنظر اليَّ فقط وتركوني وحدي في الخطر فلم اكن فرحًا ولا هاديًا ولا مترجيًا لانني في ذلك الوقت جهلت

اشياء كثيرة اعرفها الآن . نعم ان مسيحيين كثيرين انقياء سُرُّوا بقضاياي واعتبروها جدًّا ولكني لم اقدر ان اعرفهم او اعتبرهم آلات الروح القدس . فكنت انظر فقط الى البابا والكردينالية والاساقفة واللاهوتيين والقضاة والرهبان والخوارنة لاني في هولاء كنت اتوقع ان ارى تاثير الروح ولكن بعد الغلبة بواسطة الكتاب المقدس على جميع احتجاجاتهم فزت اخيرًا بنعمة المسيح ولكن بشدة عظيمة وتعب ووجع . والاحتجاج الوحيد الذي وقفني هو وجوب اصغائي الى الكنيسة لانني من اعماق قلبي احترمت كنيسة البابا كالكنيسة الحقيقية واحترمتها هذا الاحترام باخلاص ووقار اكثر من جميع اولئك المفسدين الاردياء المعيبين الذين لاجل مضادتي يرفعونها الآن الى هذا الحد ولو احتقرتُ البابا كما احتقرهُ حقًّا في قلوبهم اولئك الذين كانوا يمدحونهُ بشفاههم بهذا المقدار لخفتُ من ان الارض تفتح فاها حالاً وتبتلعني حيًّا نظير قورح واصحابهِ

فما اكرم تلك الحروب للوثيروس وما اعظم الاخلاص واستقامة الضمير اللذين تظهرهما وهو بواسطة تلك الوثبات الموجعة التي التزم ان يدافعها من داخل ومن خارج صار اكثر استحقاقًا لاعتبارنا مما كان لو اظهر جراءة غير مقرونة بمثل تلك المقاتلات ومخاض نفسهِ هذا يبرهن صريحًا ان عملهُ هو حق ومن الله اذ نرى ان العلة والمبدا جميعًا كانا في السماء فمن يتجاسر على الزعم بعد كل ما ذكرناهُ من الصفات بان الاصلاح كان عملاً سياسيًّا . كلاَّ . لم يكن نتيجة سياسة بشر بل نتيجة قوة الله فلو تحرك لوثيروس بواسطة انفعالات بشرية محضة لغرق لا محالة تحت مخاوفهِ ولاطفأَت غلطاتهِ وشكوكهُ النارُ المضطرمة في نفسهِ ولكان قد بزغ على الكنيسة شعاعًا وقتيًّا فقط كما فعل اناس كثيرون انقياء غيورون ممن وصلت الينا اسماؤُهم الآن الزمان المعيَّن من الله اتى حينئذٍ فالعمل لم يكن توقيفهُ وانعتاق الكنيسة لم يكن بد من اكمالهِ واقيم لوثيروس اقلما يكون لاعداد الطريق لذلك العتق التام ولتلك التقدمات العظيمة الموعود بها لملك يسوع المسيح وعلى ذلك اختبر صدق الوعد المجيد حيث قيل الغلمان

يعيون ويتعبون والفتيان يتعثرون تعثرًا واما منتظرو الرب فيجددون قوة يرفعون اجنحة كالنسور (اش ٠٤٠: ٣٠ و٣١) والقوة الالهية التي ملأت قلب العالم الوتمبرجي والتي ساقتهُ الى القتال ارجعت اليهِ سريعًا كل عزمهِ السابق

الفصل السابع

هجوم تتزل وجواب لوثيروس لهُ

ان تانيبات اصدقاء لوثيروس وجبانتهم وسكوتهم اضعفتهُ واما مقاومات اعدائهِ فبعكس ذلك شجعتهُ وكثيرًا ما يحدث مثل ذلك فان اعداء الحق الذين يزعمون ان يجروا عليهم بواسطة بغيهم يعاونون عمل الله نفسهِ . فانتهض تتزل للمحاماة عن الغفرانات ولكن بيد ضعيفة عارض اولأعظة لوثيروس التي كانت عند الشعب مثل قضاياه عند العلماء فرد على تلك الوعظة قضية بعد قضية حسب استطاعتهِ ثم شيع بانهُ مستعد للافناة خصمهِ على اكمل منوال ببعض القضايا التي اخذ يسردها وانهُ يحامي عنها في مدرسة فرنكفرت على نهر الاودر قال وحينئذٍ يحكم كل انسان من هو المبتدع الاراتيكي المشاق ومن هو غاطان وفاسٍ ومقحم وحينئذٍ يظهر لعيون الجميع من هو صاحب العقل السخيف الذي لم يشعر قط بالكتاب المقدس ولا قرأ قط التعاليم المسيحية ولا فهم قط معلميهِ الخصوصيين ولاجل تثبيت القضايا التي اقدمها انا مستعد لاحتمال جميع الاشياء الحبوس والجلد والغرق والحرق

وما يعجبنا عندما نقرا جواب تتزل الفرق بين اللغة الجرمانية التي استعملها والتي استعملها لوثيروس كانَّ بينهما اجيالاً متباعدة والغريب على الخصوص يعسر عليهِ فهم كلام تتزل واما كلام لوثيروس فمثل اللغة الجرمانية في ايامنا وجاوب لوثيروس تتزل من غير ان يسميهُ لان تتزل ايضًا لم يكن قد

سماهُ ولكنهُ لم يكن احد في جرمانيا الاَّ وعرف تاليف كلّ واحد منهما . ولكي يزيد تنزل قيمة غفراناتهِ قال انهُ لا فرق بين التوبة المطلوبة من الله والقانون الذي تضعهُ الكنيسة واما لوثيروس فاخذ يوضح تلك القضية

قال لوثيروس بعبارات استعارية حسب عادتهِ لكي اخلص من كثرة الكلام اطرح الى الريح (التي هي اقل شغلاً مني) بقية كلامهِ الذي هو زهور مصنفة واوراق يابسة واكتفي بفحص أُسس بنائهِ المبني من الشوك

ان القصاص الموضوع من قبل الاب الاقدس لا يمكن ان يكون هو ما يطلبهُ المسيح لان ما يضعهُ الاب الاقدس يمكنهُ رفعهُ ولو كان هذان القصاصان واحداً وشيئاً واحداً بعينهِ لنتج ان البابا يرفع ما يضعهُ المسيح ويبطل وصية الله . الى ان يقول . ان اراد فليحتقرني وليدعُني اراتيكيًّا ومشاقًّا وقاذفًا ومهما اراد فاني لا ابغضهُ لذلك ولكن اصلي من اجلهِ كما اصلي من اجل صديق الاَّ انهُ لا يمكني ان اطيقهُ يعامل الكتب المقدسة عزاءنا (رو ١٥: ٤) كما يعامل الخنزير عدل بلوط

لا يسوغ ان يشق على احد اذا راى في كلام لوثيروس احيانًا عبارات تُحسَب خشنة في عصرنا لانها حسب عادة تلك الايام وغالبًا تحت تلك الكلمات غير المقبولة في عرف ايامنا قوة ومناسبة تعوض عن خشونتها

ثم قال ايضًا . يقول اخصامنا ان الذي يشتري غفرانات يفعل احسن من الذي يحسن الى فقير لم يصل الى آخر درجات الفاقة فلو بلغنا ان قومًا ينجسون كنائسنا وصلباننا لاقشعررنا من ذلك الخبر وفي وسطنا اردا من ذلك القوم وهم الذين ينجسون ويلاشون المقدس الحقيقي الطاهر الوحيد اي كلمة الله التي تقدس جميع الاشياء . والذين يرغبون ان يتبعوا تلك الشريعة فليحذروا من ان يطعموا الجياع او يكسوا العراة قبل ان يموتوا حينما لا يعود لهم احتياج الى المساعدة

وينبغي ان نقابل غيرة لوثيروس على الاعمال الصالحة بما قالهُ عن التبرير

بالايمان ومَن لهُ ادنى اختبار او معرفة بالديانة المسيحية لا يحتاج الى هذا البرهان الجديد على حقٍ قد شعر هو نفسهُ ببرهانهِ اي انهُ كل ما زاد تعلقنا بالتبرير بالايمان زاد عندنا لزوم الاعمال وزاد تعلقنا بممارستها لان كل تراخٍ في تعليم التبرير بالايمان يجلب بالضرورة تراخيًا في الآداب فان لوثيروس ومار بولس قبلهُ ويوحنا هوارد بعدهُ هم برهان للقضية الاولى وكل انسان لا ايمان لهُ (ولا ريب بوجود كثيرين منهم في العالم) فهو برهان للثانية

وعند ما انتهى لوثيروس الى مثالب تنزل اجابها على هذا المنوال . قال عند ما اسمع هذه المثالب اتصوّر كانَّ حمارًا ينهق عليَّ وانني لمبتهج بها واكون مغمومًا جدًّا لو دعاني هولاء القوم مسيحيًا صالحًا . اه . ونحن يجب علينا ان نصف لوثيروس كما هو مع كل ضعفاتهِ ومن جملة ضعفهِ الهزل حتى الهزل الجافي. كان رجلاً عظيمًا رجل الله لا محالة الَّا انهُ كان مع ذلك انسانًا لا ملاكًا حتى انهُ لم يكن انسانًا كاملاً ومن لهُ حق ان يطلب الكمال فيهِ . غير انهُ في مقاومة خرافات رومية والرهبان وتلاميذ لوبولا نضطر احيانًا الى تغليظ العبارة لان امورهم امور تفوّر دم الحرّ وتجعل العاقل ينتف شعر راسهِ من ظلمهم وقهرهم وفظاظتهم وكانوا في ايام لوثيروس اقوى مما هم الآن فلا عجب من تغليظهِ كلامهُ معهم

ثم قال داعيًا خصمهُ الى النزال . واخيرًا وان لم تكن عادةٌ ان يُحرَق الاراتقة لاجل امر مثل هذا فهنذا في وتمبرج انا الدكتور مرتينوس لوثيروس فهل يوجد مفتش عازم ان ياكل الحديد ويضرم الصخور فاني اخبر من كان كذلك ان عليهِ الامان ان ياتي الى هنا فالابواب مفتوحة والطعام والماوى معدَّان لهُ وكل ذلك بعناية مراحم اميرنا الفاضل الدوك فردريك ملك سكسونيا المنتخب الذي لا يحامي عن الارتقات ابدًا

نرى ان لوثيروس لم يكن قليل الشجاعة . بل اتكل على كلمة الله وانها لصخرة لا تخيبنا ابدًا عند حلول الزوبعة . على ان الله الصادق في مواعيدهِ منحهُ عونًا آخر . اما اصوات الفرح التي قبِل بها الجمهور قضايا لوثيروس فتبعها

سكوت محزن فرجع العلماء بجبانة امام مثالب تتزل وطعنهِ وطعن الدومينيكيين.
والاساقفة الذين نادوا ضد فساد الغفرانات عند ما راوا من قاومها داروا لما راوا مضادةً خوفًا على مراتبهم كما فعل كثيرون من الاساقفة الذين قاوموا تعليم العصمة في المجمع الفاتيكاني اللويولي ثم لما ذهبوا الى اماكنهم وراوا تلاميذ اوبولا تجندوا الضررهم اذا ما قبلوا ذلك التعليم سلموا بجبانة لا مزيد عليها فاحتقرهم كل من عندهُ شرف نفس . والجانب الاكبر من اصدقاء المصلح خافوا وكثيرون منهم هربوا ولكن عند نهاية الرعبة الاولى ردتهم ضمائرهم اليهِ ايضًا وراهب وتمبرج الذي بقي مدة من الزمان وحدهُ تقريبًا في وسط الكنيسة جمع سريعًا حولهُ ثانيةً جمهورًا كبيرًا من الاصدقاء والمادحين

ومن اصدقائهِ هولاء سپالاتين الذي بقي امينًا في زمان ذلك الضيق وكانت صداقتهُ عزاءً وسندًا للوثيروس ومكاتبتهما لم تنقطع . قال لوثيروس في كلامهِ عن علامة مخصوصة للصداقة ظهرت منهُ اني اشكرك ولكن في اي امر لست انا مديونًا لك بسببهِ . وكان في اليوم الحادي عشر من تشرين الثاني سنة ١٥١٧ اي بعد اشهار القضايا باحد عشر يومًا وبالتالي في نفس الزمان الذي فيهِ كان هياج ضمائر الشعب اعظم ان لوثيروس سكب كلام شكرهِ في قلب صديقهِ . وهو امرٌ لذيذ ان نرى في نفس هذا المكتوب لسپالاتين هذا الرجل القوي الذي مارس اشجع عمل يخبر من اين اتت كل قوتهِ . قال اننا لا نقدر ان نعمل شيئًا من انفسنا ولكن نقدر ان نعمل كل شيءٍ بنعمة الله . ونحن لا نقدر على اي جهل كان ولكن اي جهل لا تقدر عليهِ نعمة الله وبالنسبة الى اجتهادنا على استقاء الحكمة من انفسنا نقرب الى الجهالة وهو ليس بصحيح ان هذا الجهل غير المتغلب يعذر الخاطىء والاَّ لما كان في العالم خطية

ان لوثيروس لم يكن قد ارسل قضاياهُ الى الملك ولا الى احد من اهل بلاطهِ . والظاهر ان خوري الدوك اعرب لصديقهِ عن بعض العجب من ذلك فاجاب لوثيروس انني ما اردت ان قضاياي تصل الى ملكنا الافضل

ولا الى احد من اهل بلاطهِ قبل ان تصل الى اولئك الذين يحسبونها متجهة اليهم بنوع خصوصي وذلك خوفاً من ان يظنوا انني قد اذعتها بامر الملك او لكي ارضيهُ او من مضادة لاسقف منتزلانهُ قد بلغني ان اناساً كثيرين يزعمون مثل هذا الزعم . واما الآن فاني اقدر ان احلف بكل طمانينة ان قضاياي أُذيعت من دون معرفة الدوك فردريك

ان سپالاتين عزّى صديقهُ وعضدهُ بواسطة سطوتهِ ولوثيروس من جهتهِ اجتهد ان يجاوب الاسئلة المقدمة اليهِ من هذا الخوري المحتشم ومن جملتها سوال قد سُئِل مراراً كثيرة في ايامنا وهو ما هي الطريقة الاحسن لدرس الكتب المقدسة . فاجاب لوثيروس قائلاً انك الى حد الآن ايها الكلي الفضل سپالاتين لم تسالني عن شيء فوق معرفتي ولكن ارشادك في درس الكتب المقدسة انما هو فوق طاقتي وان طلبت ولا بد معرفة طريقتي في ذلك فانا لا اخفيها عنك . فالامر محقق انهُ لا يمكننا ان نتوصل الى فهم الكتب المقدسة بواسطة الدرس او العقل فالتزامك الاول هو ان تبتدىء بالصلوة . فتضرع الى الله ان يعطيك برحمتهِ العظيمة ان تفهم كلمتهُ فهماً حقيقياً فانهُ لا يوجد مفسر آخر لكلمة الله غير صاحبها كما قال هو نفسهُ فانهم يكونون جميعهم متعلمين من الله فلا تطمع بشيء من قبل اجتهادك ولا من قبل فهمك بل اتكل على الله فقط وعلى قوة روحهِ وصدّق ذلك بناءً على شهادة انسان مختبر . اه . ومن هنا نطلع على كيفية وصول لوثيروس الى معرفة الحق الذي نادى بهِ فانهُ لم يكن كما زعم البعض بواسطة الاتكال على عقل متقحم ولا كما ذهب اخرون بواسطة اطلاقهِ عنان الشهوات الخبيثة بل انما شرب من الينبوع الاصفى والاسمى والاقدس اي ارشاد الله نفسهِ الذي التجأ اليهِ بالتواضع والثقة والصلوة . ولكن في ايامنا قل من اقتدى بهِ ومن ثمّ قل الذين يفهمونهُ وكلام لوثيروس هذا هو من نفسهِ تبرير للاصلاح عند كل عقل سليم

ووجد لوثيروس ايضاً عزاءً في صداقة اناس من العوام المعتبرين فان

خريستوفورس شيورل الفاضل كاتب مدينة نورمبرج العاصمة قدم لهُ اقوى البراهين على اعتباره اياهُ. ونحن نعرف ما اعزَّ علامة الاشتراك الحبي لقلب الانسان حينما يرى نفسهُ تحت المقاومة من كل جانب . اما كاتب نورمبرج ففعل اكثر من ذلك فانهُ اراد ان يزيد عدد اصدقاء لوثيروس ولاجل هذه الغاية طلب منهُ ان يكرّس احد تصانيفهِ لابرونيموس ابنر واحد من مشترعي نورمبرج المشهورين فاجابهُ المصلح بتواضع انت تعتبر دروسي كثيرًا واما انا فاني استخف بها جدًّا ولكنني مع ذلك ارغب ان اجيبك الى مرغوبك فقد فتشت مولفاتي ولكن بينها كلها (ولم استحقرها قط في ما مضى كما استحقرها الآن) لم اجد شيئًا الَّا وقد بان غير لائق بالكلية ان يكرّس لرجل عظيم كهذا من رجل حقير نظيري . فيا لهُ من تواضع عميق . لوثيروس هو المتكلم والمعلم ابنر الذي اسمهُ غير معروف عندنا هو الذي قابل نفسهُ بهِ . ولوثيروس لم يعمل شيئًا لاشهار قضاياهُ ولم يرسل تلك القضايا الى شيورل كما انهُ لم يرسلها الى الملك المنتخب ولا الى اهل بلاطهِ فاظهر كاتب نورمبرج تعجبهُ من هذا فاجاب لوثيروس ان قصدي لم يكن اشهار قضاياي بل انما رغبت ان انكلم في مضمونها مع بعض اولئك الذين هم دائمًا من حزبنا او مائلون الينا حتى الاشيها اذا ما حازت القبول وان قُبِلت اشهرها واما الآن فانها قد طُبِعت مرارًا وانتشرت الى ما هو ابعد مما كنت اترجى حتى اني ندمت على كتابتها . ليس لاني اخاف من اشهار الحق لدى الشعب لان هذا هو جل قصدي ولكن ذلك ليس هو الطريق لتعليمهم فانها تتضمن مسائل لا ازال اشك في صحتها ولو افتكرت ان قضاياي ينتج منها مثل هذه الحركات لكنت قد حذفت منها بعض الاشياء وصرَّحت باخرى بثقة اعظم . على ان لوثيروس غيَّر رايهُ هذا في السنين التابعة وعوضًا عن الفكر بانهُ حكى اكثر من اللازم قال كان يجب ان يقول اكثر مما قالهُ الآن الاشفاقات التي ابداها لشيورل تدل على كرم اخلاقهِ فانها تبين انهُ لم تكن لهُ غاية سابقة ولا روح تحزب ولا عجب وانهُ انما سعى في طلب الحق

ولما وجدهُ غيَّر قولهُ . قال بعد ذلك بسنين كثيرة انك تجد في كتاباتي انني قد سلمت بتواضع عميق للبابا في امور كثيرة مهمة ايضًا احسبها الآن مكروهة وتجديفية وامقتها . ولم يكن شيورل وحده من اصدقاء لوثيروس بين العامة بل المصوّر الشهير ألبرت دورر ارسل للوثيروس هدية معتبرة اعتبرها لوثيروس كل الاعتبار

وهكذا اختبر بالعمل صدق قول الحكمة الالهية ان الصديق يُحِبُّ في كل وقت اما الاخ فللشدة يولد . وتذكرها ايضًا لاجل افادة الاخرين وطلب خير كل الامة . وكان الملك المنتخب قد وضع جزية جديدة وشاع الخبر بوضع جزية اخرى وربما كان ذلك براي مشيرهِ ففنجر الذي رشقهُ لوثيروس مرارًا بهجوهِ المرّ . فالقى الدكتور نفسهُ بجراءة في معارضة ذلك وقال للملك لا يزدرِ سموك باسترحام مسكين متسوّل . اني اطلب اليك باسم الله ان لا تضع جزية جديدة فان قلبي قد انسحق كما ان قلوب كثيرين من اصدق عبيدك قد انسحقت ايضًا عند ما راوا كم حصل من الضرر على اسمك وشهرتك بسبب الجزية الاخيرة . نعم ان الله قد اعطاك فهمًا ساميًا حتى انك تدرك هذه الامور احسن مني ومن رعاياك ولكن ربما كانت ارادة الله ان عقلاً حقيرًا يرشد عقلاً عظيمًا لكي لا يثق احد بنفسهِ بل يتكل على الرب الهنا وحدهُ الذي اطلب اليهِ ان يحفظ صحة جسمك لاجل خيرنا ونفسك للسعادة الابدية آمين

على هذا الاسلوب الانجيل الذي امرنا بطاعة الملوك يجعلنا ايضًا نتشفع بالشعب فانهُ يوضح للرعايا واجباتهم ويذكر الملوك بحقوق شعبهم ولعل صوت مسيحي نظير لوثيروس متردد في ديوان ملك يغني عن جمهور من المشترعين والمبشرين . وفي نفس ذلك المكتوب الذي فيهِ علّم لوثيروس الملك المنتخب تلك المقالة العسرة لم يخشَ من ان يطلب منهُ طلبًا او بالحري يذكرهُ بوعدهِ اياهُ ان يعطيهُ رداء جديدًا . وحرية لوثيروس هذه في وقت خشي فيهِ انهُ يكون قد اغاظ فردريك توجب كرامة متساوية للملك والمصلح معًا . قال اذا كان

ففنجر هو الموكل بذلك فليعطني اياهُ بالفعل لا بكلام الصداقة فهو خبير بغزل الخطب اللطيفة ولكن الخطب قط لم تحايك جوخًا جيدًا . اه . زعم لوثيروس انهُ بواسطة النصيحة الصادقة التي قدمها لملكهِ قد استحق الرداء ولكنهُ بعد سنتين اذ لم يكن قد نال مطلوبهُ طلبهُ ثانيةً وذلك يدل على ان فردريك لم يتاثر من نصيحتهِ كل التاثر

الفصل الثامن

المحاورة في فرانكفورت . قضايا تتزل . احراق قضايا لوثيروس . احراق قضايا تتزل

ثم استفاقت عقول الناس من رعبتها الاولى ولوثيروس نفسهُ كاد يقول ان قضاياهُ لم يكن لها المعنى الواسع المنسوب اليها . والحوادث الجديدة الواقعة كادت تحوّل الالتفات العام الى امور اخرى وتلك الضربة الموجهة الى التعليم الروماني كادت تذهب ضائعةً في الهواء نظير ضربات كثيرة غيرها الّا ان المتحزبين مع رومية منعوا الامر من ان ينتهي على تلك الكيفية فاضرموا النار عوضًا عن تخميدها . وجرى ذلك عن يد تتزل والدومينيكيين لانهم اجابوا بجفاء على المقاومة التي صدتهم واذ اضطرمت رغبتهم في سحق الراهب الجسور الذي تجاسر على الاضرار بتجرهم وراموا اكتساب انعام الحبر الروماني صرخوا صرخة الغيظ زاعمين ان مقاومة الغفران المرسوم من البابا هي مقاومة البابا بنفسهِ فاستدعوا الى مساعدتهم كل الرهبان وجميع لاهوتيي مدارسهم وشعر تتزل في نفسهِ ان خصمًا مثل لوثيروس هو كبير عليهِ وحدهُ واذ انزعج من مقاومة لوثيروس واغتاظ الى الدرجة القصوى ترك جبرة وتبرج وانطلق الى فرنكفورت على نهر الاودر ووصل الى هناك في تشرين الثاني سنة ١٥١٧ وكانت مدرسة تلك

المدينة حديثة نظير مدرسة وتمبرج الّا انهـا ناسست من الحزب المضاد ومن جملة اساتيذها كونراد ويمبينا رجل فصيح خصم بوليخ القديم من ملأرستدت وحُسِب من اشهر لاهوتيي ذلك العصر فنظر ويمبينا نظرة حسود الى عالم وتمبرج ومدرستها وانغار من صيتها فطلب منهُ تتزل ان يجاوب على قضايا لوثيروس فكتب ويمبينا نشرتين من القضايا المضادة مقصود الاولى المحاماة عن تعليم الغفرانات ومقصود الثانية المحاماة عن سلطان البابا

وفي ٢٠ كانون الثاني سنة ١٥١٨ حدث ذلك الجدال المُعَدُّ من مدة طويلة الذي نودي بهِ باحتفال عظيم وعليهِ بنى تتزل آمالاً كبيرة فطلب تتزل الامداد من كل جهة وأُرسل رهبان من جميع الاديرة المجاورة فاجتمع نحو ثلث مئة راهب فقرا تتزل قضاياهُ ومنها هذه القضية

ان كل من قال ان النفس لا تنجو من المطهر حالما ترن الفلوس في الصندوق فهو في ضلال

وقدَّم قضايا يبيّن فيها ان البابا هو جالس بالفعل كالهٍ في هيكل الله حسب قول الرسول ووافق هذا البائع الوقح ان يستظل مع جميع فواحشهِ ورذائلهِ تحت رداء البابا . وقال انهُ مستعد ان يحامي عن القضايا الآتية قدام الجمهور الغفير الذي كان محدقاً بهِ

٣ يجب ان نعلّم المسيحيين ان البابا بعظم سلطانهِ هو فوق جميع الكنيسة الجامعة واعلى من المجامع وانهُ يجب علينا ان نطيع اوامرهُ بلا سوال

٤ يجب ان نعلم المسيحيين ان للبابا وحدهُ حقاً ان يحكم في كل قضايا الايمان المسيحي وان لهُ وحدهُ وليس لاحد غيرهِ سلطاناً لان يفسر معنى الكتاب المقدس حسب رايهِ وان يثبت او يرفض كل كلام الناس الاخرين او كتاباتهم

٥ يجب ان نعلم المسيحيين ان حكم البابا لا يمكن ان يخطئ في القضايا المتعلقة بالايمان المسيحي او الضرورية لخلاص الجنس البشري

٦ يجب ان نعلم المسيحيين انهُ في قضايا الايمان يجب ان نستند على راي

البابا كما هو متضمن في احكامهِ اكثر من استنادنا على آراء جميع العلماء الماخوذة من الكتاب المقدس فقط

٨ يجب ان نعلم المسيحيين ان الذين يضرون كرامة البابا او عظمتهُ يرتكبون خيانة عظيمة ويقعون تحت طائلة اللعنة

١٧ يجب ان نعلم المسيحيين بوجود اشياء كثيرة تعتبرها الكنيسة قضايا صادقة لاجدال عليها وان لم تكن موجودة في الكتاب المقدس القانوني او كتابات العلماء الاقدمين

٤٤ يجب ان نعلم المسيحيين ان يحسبوا الراتقة معاندين جميع الذين يظهرون بواسطة كلامهم او اعمالهم او كتاباتهم انهم لا يرجعون عن قضاياهم الهرطقية ولو هطل عليهم حرمٌ بعد حرم نظير البرَد او المطر

٤٨ يجب ان نعلم المسيحيين ان الذين يحامون عن غلطات الاراتقة والذين بواسطة سطوتهم يمنعونهم من الحضور امام القاضي الذي لهُ حق ان يسمعهم هم محرومون وان لم يغيروا في مدة سنة سلوكهم يحكم بخشائهم ويُعاقَبون عقابات مختلفة تكميلاً للشريعة وعبرةً للاخرين

٥٠ يجب ان نعلم المسيحيين ان الذين يسوّدون كتبًا كثيرة ويضيّعون مقدارًا من الورق هذه عظمتهُ والذين يجادلون وينادون جهارًا بخبث ضد الاعتراف السرّي وكفاءة الاعمال وغفرانات اسقف رومية الغنية العظيمة وسلطانهِ وان الاشخاص الذين يتحزبون للذين يبشرون بمثل هذه الامور او يكتبون فيها والذين يرضون بكتاباتهم ويوزعونها بين الشعب وفي العالم وان الذين يتكلمون خفية عن هذه الاشياء على سبيل الاحتقار والوقاحة قد سقطوا تحت طائلة القصاص المار ذكرهُ والقوا نفوسهم والآخرين معهم تحت الحكم الابدي في يوم الدين وتحت عار يستحقونهُ حتى في هذا العالم لانهُ اذا لمس احدٌ الجبل يُرجَم لامحالة

فنرى ان تتزل لم يقاوم اوثيروس وحدهُ. ربما كان ملك سكسونيا في

فكرهِ عندما كتب القضية الثامنة والاربعين وعدا ذلك في تلك القضايا رائحة قوية دومينيكانية وتهديد كل مقاوم بقصاص شديد هو برهان المفتشين الذي لا رد عليهِ * والرهبنة الدومينيكانية هي التي اخترعت ديوان التفتيش الابليسي الذي قُتِل بهِ الوف وربوات من المومنين وتعذبوا اشد العذابات ولاجل ذلك كان اجراء اعمال ذلك الديوان في يد الدومينيكيين غالبًا * والثلث مئة راهب الذين جمعهم تتزل تفرسوا واصغوا بسرور الى ما قالهُ . واما لاهوتيو المدرسة فاما انهم خافوا من ان يُحسَبوا من المتصرين للارتقة واما انهم كانوا مائلين جدًّا الى مبادي ويمبينا حتى لم ينتهضوا الى دحض تلك القضايا الغريبة التي قُرِئَت امامهم هناك وكل هذا الامر الذي صار فيهِ كلامٌ كثير كاد يكون من فئة واحدة فقط ولكن كان بين جمهور الطلبة الذين حضروا الجدال فتًى ابن نحو عشرين سنة اسمهُ يوحنا كنبسترو . فهذا كان قد قرأَ قضايا لوثيروس ووجدها مطابقة لتعليم الكتاب المقدس واذ اغتاظ هذا الشاب عند نظرهِ الحق يداس جهارًا تحت الاقدام من دون ان يبرز احد للمحاماة عنهُ رفع صوتهُ امام ذلك الجمهور وقاوم تتزل المدَّعي حتى تحير منهُ الحاضرون والدومينيكي المتحير الذي لم يتوقع مضادة من احد ارتبك جدًّا وبعد مناضلات قليلة ترك الميدان وفتح الطريق لويمبينا الذي قاوم باكثر نشاط الآن كنبسترو ضايقهُ جدًّا حتى ان الرئيس ويمبينا نفسهُ لكي ينهي خصامًا مضرًّا بهِ حكم بقطع الجدال (مثل عادة تلاميذ لويولا في ايامنا اذا انغلبوا في الجدال يسترون حالهم تحت الضجيج) وفي الحال رقَّى تتزل الى درجة دكتور جزاءً لهُ على هذا العمل المجيد . ولكي يخلص ويمبينا من الخطيب الشاب ارسلهُ الى دبر بيرتز في پوميرانيا آمرًا ان يُحرَس بكل صرامة الآن ان هذا النور المشرق بهذه الواسطة نُقِل من شطوط الاودر لكي يبزغ بعد قليل اشعة اعظم في كل پوميرانيا فان الله متى استحسن يستعمل حتى المتعلمين لاجل افحام المعلمين

واذ اراد تتزل ان يزيل الخجل الذي وقع عليهِ التجأَ الى حجة رومية الاخيرة

وجهة المفتشين اي الى النار فامر باقامة منبر ومحرقة في احدى السكك الشهيرة في جوار فرنكفورت وتوجه الى هناك باحتفال عظيم بنيشانهِ الذي كان لهُ من حيث هو مفتش للايمان واطلق العنان لكل شراستهِ عن المنبر وارعد وعج ونادى بصوتهِ الخشن قائلاً ان الاراتيكي لوثيروس يستحق القتل بالاحراق موثقًا بالعمود ثم وضع قضايا لوثيروس وعظتهُ على العمود على المحرقة واحرقها فكان ابرع بعمل مثل هذا مما هو بالمحاماة عن القضايا لانهُ في ذلك لم يصادف معترضين فحسب غلبتهُ تامة ثم رجع الدومينيكي الوقح الى فرنكفورت بالعز والجبروت . فاذا انغلبت فئة قوية تراها تلتجئ الى براهين نظير ما ذُكِر تعزيةً لنفسها

ان قضايا تنزل هي محطة ثانية تاريخية للاصلاح معتبرة لانها غيَّرت موضوع الجدال ونقلتهُ من اسواق الغفرانات الى القاعات الفاتيكانية وحولتهُ من تنزل الى البابا وفي مكان ذلك السمسار الدني الذي القى لوثيروس القبض عليهِ باحكام سديدة وُضع اقنوم الكنيسة فامتلأ لوثيروس حيرة ومن المحتمل انهُ هو نفسهُ كان يخطو هذه الخطوة عن قريب الآن اعداءهُ وفروا عليهِ المشقة ومن ثم لم يكن السوال عن تجارة ملومة بل عن رومية نفسها والضربة التي اجتهدت يد جسورة ان تهدم بها حانوت تنزل زعزعت نفس اركان العرش البابوي

وكانت قضايا تنزل بمنزلة صوت نفير لجميع اجناد رومية فحدث عجيج ضد لوثيروس بين الرهبان المضطربين من ظهور عدوّ اقوى من ربوخلن وايراسموس . ونُودِي ضد اسم لوثيروس في كل مكان عن منابر الدومينيكيين الذين اجتهدوا في هياج العامة وسموا الدكتور الشجاع مجنونًا ومفسدًا ومسكونًا ووصفوا تعليمهُ بكونهِ افظع الارتقات قائلين اصبروا اسبوعين فقط او شهرًا على الاكثر فيُحرَق هذا الاراتيكي المشهور . ولو توقفت القضية على الدومينيكيين وحدهم لاصاب العالِم السكسوني حالاً نفس ما اصاب ايرونيموس من براك ويوحنا هس الآن الله كان محافظًا عليهِ وكان مقضيًا على حياتهِ ان تكمّل ما

ابتدأ بهِ رماد المصلح البوهيمي لان كلاًّ منهما عمل عمل الله الواحد بموتهِ والآخر بحياتهِ . وكثيرون ابتدأوا يشيعون ان كل مدرسة وتمبرج التطخمت بالارتقة وحكموا بفظاعة شرها فقالوا دعونا نطرد هذا الشقي وكل حزبهِ واحدث هذا الكلام في اماكن كثيرة هياجًا في جمهور الجهال ضدهُ وتهيج فكر الجمهور ضد الذين شاركوا لوثيروس في آرائهِ وحيثما قوي حزب الرهبان وقع على اصدقاء الانجيل مفعول بغضهم وهكذا نظرًا الى الاصلاح اخذت نبوة مخلصنا في التنجاز حيث قال طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من اجلي كاذبين (مت ٥: ١١) وفي كل دور هذا هو الجزاء الذي يجازي به العالم اصدقاء الانجيل المخلصين

ولما سمع لوثيروس بقضايا انتزل وبالمقاومة العمومية التي كانت تلك القضايا رابة لها اضطرم غيرةً وشعر بضرورة مضادة هولاء الاخصام وجهًا لوجه ولم تستصعب نفسهُ الشجيعة الوصولَ الى تلك النتيجة وفي الوقت نفسهِ اظهر ضعفهم قوّتهُ وابان لهُ حالتهُ الحقيقية . ولكنهُ لم يطلق العنان لافكار الكبرياء هذه النابتة طبعًا في الانسان وكتب بالقرب من ذلك الوقت الى سپالاتين قائلاً يعسر عليَّ الامتناع عن احتقار اعدائي وعن الخطية ضد يسوع المسيح بهذا السبب اكثر ما تعسر عليَّ الغلبة عليهم فانهم جاهلون بهذا المقدار في الامور البشرية والالهية حتى ان محاربتهم عارٌ الاَّ ان نفس هذا الجهل هو الذي يعطيهم وقاحتهم التي لا توصف ويكسبهم وجهًا نحاسيًّا . اه . كانهُ في ايامنا هذه في هذه البلاد . وكثيرًا ما يشعر الانجيلي باحتقار اخصامهِ لشدة جهلهم وجهلهم انما هو علة وقاحتهم لان مَن لا يعرف شيئًا لا يخشى شيئًا وسلطة الاكليروس والرهبان متوقفة على جهل الشعب ولذلك يقاومون وسائط التنوير و يعلمون الشعب خرافاتهم التي هي عيب وعار وشين على العقل البشري حتى لانقول على الديانة . والذي شجع قلبهُ اكثر من كل شيء في وسط تلك الحرب العمومية هو اقتناعهُ بانهُ يحامي عن الحق . وكتب الى سپالاتين في اوائل سنة ١٥١٨ قائلاً لا تتعجب من

الاهانات الفظيعة الواقعة عليَّ فاني اصغى الى اهاناتهم بفرح فلو لم يلعنوني لما تحققنا بان العمل الذي اخذت فيهِ هو عمل الله نفسو. فان المسيح قد وُضع هدفًا للطعن فيهِ . وقال في وقت آخر انا عالمٌ بانهُ منذ ابتداء العالم من شان كلمة الله ان كل من اراد اذاعتها في العالم يلتزم كالرسل ان يترك كل الاشياء ويتوقع الموت ولو لم تكن كذلك لما كانت كلمة يسوع المسيح فان كلمة الله قد اشتُرِيَت بالموت ونُودِي بها بالموت وحُفِظت بالموت وبالموت يجب ان تُحفَظ وتنتشر . وهذا السلام في وسط الحرب هو شيءٌ غير معروف لدى ابطال العالم فاننا نرى احيانًا رؤساء حكومة او حزب سياسي يغرقون تحت جهادهم وهمومهم واما المسيحي فانهُ غالبًا يحصل على نشاط جديد في حربهِ وذلك لان لهُ ينبوعًا سريًّا تنبع منهُ الراحة والشجاعة لا يعرفهُ من غمض عينيهِ عن الانجيل . الآن شيئًا واحدًا ازعج لوثيروس احيانًا وهو الفكر بالانشقاقات التي ربما تحدث من مضادتهِ النشيطة لانهُ عرف ان كلمة واحدة قد تضرم العالم اجمع فخُيِّل لهُ احيانًا ملكٌ مجهز ضد ملك وربما شعبٌ ضد شعب فانغم قلبهُ المحب للوطن واضطربت محبتهُ المسيحية . رغب في السلام لكنهُ التزم ان يتكلم لان ذلك هو ارادة الرب . فقال اني ارتجف واقشعر عند الفكر باني ربما اكون سبب اختلاف بين مثل هولاء الامراء المقتدرين . ولكنهُ لم يزل صامتًا عن القضايا من قضايا تتزل المتعلقة بالبابا ولو انقاد الى انفعالاتهِ لاهجم لا محالة حالاً على ذلك التعليم الغريب الذي طلب خصمهُ ان يحمي نفسهُ تحت كنفهِ ولا ريب ان في تاخرهِ وهدوءِ وسكوتهِ شيئًا من الرزانة والوقار يدل بالكفاءة على الروح الذي كان لهُ فتربَّص ولم يكن ذلك من قبل الضعف لان الضربة متى حلَّت كانت اقوى بسبب تربصهِ

وبعد ان احرق تتزل قضايا لوثيروس وعظتهُ في فرنكفورت بادر فارسل قضاياهُ الى سكسونيا ظانًّا انها تكون ضدًّا لقضايا لوثيروس . وارسل المفتش رجلاً من هالى لاذاعة قضاياهُ فوصل الى وتمبرج واذ كان تلاميذ المدرسة لم

يزالوا حنقين من احراق تنزل قضايا معلمهم فحالما بلغهم خبر وصوله تجمهروا عليهِ واحد قوا بهِ والقوا الرعبة في قلبهِ وقالوا لهُ كيف تجاسرت على جلب مثل هذه الاشياء الى هنا واشترى بعضهم جانبًا من النسخ التي كانت معهُ وسلب الاخرون الباقي وهكذا تملكوا كل ما عندهُ اي نحو ثمان مئة نسخة ثم بغير علم الملك المنتخب ولا المشيخة ولا الرئيس ولا لوثيروس ولا احد المعلمين علقوا العبارة الآتية على الواح المدرسة وهي كل من اراد ان يحضر احراق قضايا تنزل وتجهيزها فليحضر الى الساحة بعد الظهر بساعتين

فاجتمع جماهير في الساعة المعينة وأُسلمت القضايا الدومينيكية الى لهيب النار في وسط صراخ عظيم ولم يسلم من الحريق الا نسخة واحدة فارسلها لوثيروس الى صديقهِ لانجي من ارفرت فهولاء الفتيان الكرماء المتحمسون تبعوا وصية الاقدمين العين بالعين والسن بالسن لا وصية يسوع المسيح . ولكن بعد ان قدم العلماء والمعلمون المثال في فرنكفورت هل نتعجب من اقتداء فتيان وتبرج بهم . وخبر هذا الاحتراق المدرسي انتشر سريعًا في كل جرمانيا واحدث حركة عظيمة فتألم لوثيروس الى قلبهِ من هذا الامر فكتب الى معلمهِ القديم بودوكوس في ارفرت قائلاً اني اتعجب من انك قد صدّقت باني سمحت باحراق قضايا تنزل فهل تظن اني فقدت عقلي بهذا المقدار ولكن ماذا اعمل . فانهُ في كل امر يخصني ترى كل واحد يصدّق كل ما قيل عني . فهل اقدر ان اسدّ افواه كل العالم . دعهم يقولون ويسمعون ويصدقون ما ارادوا عني فاني اشتغل ما دام الله يعطيني قوةً وبمعونتهِ لا اخشى شيئًا . وقال للانجي لا اعلم ماذا يحدث من هذه الامور الاّ ان الخطر الذي انا واقع فيهِ يشتد بها . وهذا العمل يبين لنا كيف كانت قلوب الشبان تضطرم بالغيرة نحو الامر الذي حامى لوثيروس عنهُ وكان ذلك علامة جيدة لان الحركة التي تحدث بين الشبان تنتشر حالاً بالضرورة بين الامّة كلها . اللهمّ بين الشبان الشجعان لا بين الشبان الذين قد فقدوا الذاتية بشربهم تعاليم اصحاب لويولا التي تسلب النفس كل شرفها والعقل

كل حريتهِ

ثم ان قضايا تتزل ووبمبينا مع انها لم تعتبر الاَّ قليلاً احدثت بعض التاثير فانها عظَّمت الجدال ووسَّعت الخرق في رداءِ كنيسة رومية وادخلت مسائل مهمة جدًّا في الجدال ومن ثمَّ ابتدأ روَساءُ الكنيسة ينظرون في المادة نظرًا اقرب ويتكلمون كلامًا شديدًا ضد المصلح . قال اسقف برندنبرج ،، حقًّا اني لا اعلم على من يستند لوثيروس حتى يتجاسر هكذا على مقاومة سلطان الاساقفة . ،، ما قال عن الحق شيئًا ولم ينكر على لوثيروس صحة ما قالهُ بل تعجب من جسارتهِ على مقاومة الاساقفة . واذ راى هذا الاسقف ان هذه الصعوبة الجديدة تستدعي همة جديدة اتى بنفسهِ الى وتمبرج فوجد لوثيروس مملوًّا من ذلك الفرح الداخلي الذي يصدر من ضمير صالح وعازمًا على الطعان واذ راى الاسقف ان الراهب الاوغسطيني طائعٌ سلطانًا اسمي من سلطانهِ رجع حنقًا الى برندنبرج وذات يوم في شتاءِ سنة ١٥١٨ وهو جالس امام النار قال ملتفتًا الى الذين حولهُ اني لا اسند راسي بالسلام الاَّ بعد ان اكون قد طرحت مرتينوس في النار نظير هذا العود وطرح العود في النار . ان انقلاب القرن السادس عشر لم يكن عتيدًا ان يتم بواسطة روَساءِ الكنيسة كما ان حركة القرن الاول لم تتم بواسطة المشيخة والمجمع فان روَساءَ الاكليروس في القرن السادس عشر كانوا ضد لوثيروس وضد الاصلاح وخدامهِ كما كانوا في القديم ضد المسيح وضد انجيلهِ وضد رسلهِ وضد الحق كما يحدث غالبًا في كل قرن وكل اصلاح حدث في العالم انما حدث من قبل الشعب لا من قبل الروَساءِ وفي كلام لوثيروس عن زيارة اسقف برندنبرج لهُ قال ،، ان الاساقفة ابتداوا يرون انهُ يجب عليهم ان يكونوا قد عملوا ما انا عاملهُ وهم في خجل من ذلك فانهم يدعونني متكبرًا وجسورًا . ولست انكر اني كذلك ولكنهم هم لا يعرفون ما هو الله ولا ماذا نحن ،،

الفصل التاسع

جواب پريريو والرد عليهِ . هوخستراتن والرهبان . جواب لوثيروس

ثم ان لوثيروس لافتهُ مقاومة اقوى من مقاومة نترل اياهُ . اي اجابت رومية نفسها جوابًا وخرج ردٌّ من داخل اسوار البلاط المقدس . ولكن لم يتنازل لاون العاشر الى الكلام في الالهيات بل قال يومًا انها مشاجرة رهبانية فالسبيل عدم المداخلة فيها وقال في وقت آخر ان كاتب تلك القضايا جرماني سكران وعند ذهاب البخار من راسهِ يتكلم كلامًا يختلف عن هذا كل الاختلاف . وفي ذلك الوقت كان فحاص الكتب دومينيكيًّا رومانيًّا اسمهُ سلوسترس مزوليني من پريريو او پريرياس ناظر القصر المقدس واطَّلع على قضايا الراهب السكسوني بسبب وظيفتهِ هذه . ويا لها من مقابلة بين فحاص روماني وقضايا لوثيروس . فحرية الكلام وحرية الفحص وحرية الاعتقاد صادمت في مدينة رومية تلك السلطة التي تدَّعي بان في قبضة يدها حق المعرفة وان تفتح وتغلق فم العالم المسيحي كارادتها وجهاد الحرية المسيحية التي تلد بني الله مع السلطة الباباوية المطلقة التي تلد عبيد رومية يُمثَّل في ايام الاصلاح الاولى بخصام لوثيروس وپريريو

اما الفحاص الروماني رئيس عام الدومينيكيين المعطى سلطانًا ليحكم بما يلتزم العالم المسيحي ان يعتقد بهِ وما يجب ان يرفضهُ ويجهلهُ فبادر الى المجاوبة واذاع كتابة تحت اسم لاون العاشر تكلم فيها عن الراهب الجرماني بكلام الازدراء وقال بفخفخة رومانية انهُ يريد ان يعرف هل لمرتينوس هذا انف من حديد او راس من نحاس لايمكن كسرهُ . ثم اخذ على سبيل المحاورة يدحض قضايا لوثيروس مستعملًا على التداول الهزء والاهانة والتهديدات . وجرى هذا الجهاد بين اوغسطيني وتبرج ودومينيكي رومية في نفس المسئلة التي هي مبدا الاصلاح اي

من هو القاضي الوحيد للمسيحيين. وما ياتي هو تعليم كنيسة رومية كما اوضحهُ بعض اعضائها الاكثر استقلالاً اي يوحنا كرسون في معاني الكتب المقدسة . قال ان حرف الكلام المكتتب هو ميت من دون روح التفسير الذي وحده يكشف عن معناهُ المستتر وهذا الروح لا يُعطَى لكل مسيحي بل للكنيسة اي للخوارنة وانهُ لجسارة عظيمة القول ان الذي وعد الكنيسة ان يبقى معها دائمًا حتى الى نهاية العالم يمكن ان يكون قد تركها تحت سلطان الغلط وربما قيل ان تعليم الكنيسة وترتيبها لم يلبثا كما نجدهما في الكتب المقدسة فلا ريب في ذلك ولكن هذا التغيير انما هو في الظاهر فقط وهو انما اصاب الصورة دون الجوهر ويمكننا ان نزيد على ذلك ان هذا التغيير هو متصل فان قوة الروح الالهي المحيية قد جعلت حقيقةً ما كان في الكتب المقدسة تصوُّرًا واكملت صورة الكلام ونمّقت رسومهُ غير الكاملة وتمّمت العمل الذي لم يعطِ الكتاب المقدس الاَّ رسمهُ الاول الخشن فاذًا يجب ان نفهم معنى الكتب المقدسة كما هو محكوم بهِ من الكنيسة بارشاد الروح القدس . ومن هنا يبتدئ الاختلاف بين العلماء الباباويين فذهب جماعةٌ منهم جرسون الى ان المجامع المسكونية هي وكلاءُ الكنيسة وذهب آخرون الى ان البابا هو مقرُّ روح التفسير وانهُ ليس لاحد حق ان يفهم الكتب المقدسة الاَّ كما حكم الحبر الروماني وهذا هو راي بربريو

فهذا هو التعليم الذي قاوم بهِ خادمُ البلاط المقدس الاصلاحَ الحديث وقدَّم ايضًا قضايا في سلطان الكنيسة والبابا نجل منها اعظم ما في كنيسة رومية العديم الخجل ومن المبادئ التي قدمها في اول كتاباتهِ قولهُ كل من لا يستند على تعليم الكنيسة الرومانية والحبر الروماني قانونًا للايمان معصومًا من الغلط منهُ قوة الكتب المقدسة وسلطانها فهو اراتيكي . ثم كتب على صورة محاورة كانَّها بين لوثيروس وسلوستروس طلب بها سلوستروس ان يدحض قضايا لوثيروس وكانت آراءُ الراهب السكسوني مستغربة لدى نخاس روماني وبذلك بيَّن بربريو انهُ لم يفهم حركات قلبهِ ولا ينابيع سيرتهِ ففاس معلم الحق على ذلك

القياس الحقير قياس عبيد رومية فقال يا عزيزي لوثيروس لو نلت من سيدنا البابا اسقفية جيدة وغفرانًا كاملاً لاجل اصلاح كنيستك لغنيت أُغنيةً اخرى ومدحت الغفرانات التي انت الآن آخذٌ في ذمها ثم اخذ الايطالياني المفتخر بلطف اخلاقهِ يتلفظ احيانًا باخشن الالفاظ فقال للوثيروس اذا كان من طبيعة الكلاب ان تعضَّ اخاف من ان اباك كان كلبًا . واخيرًا يتعجب الدومينيكي من تنازلهِ في كلامهِ مع الراهب العاصي ويختم كلامهُ بكشرهِ لخصمهِ انياب المفتشين القاسية بقولهِ ان الكنيسة الرومانية التي عنان سلطانها الروحي والزمني في يد البابا لعلها تغتصب بواسطة السلاح الزمني اولئك الذين بعد ان قبلوا الايمان ضلُّوا عنهُ وهي ليست بمضطرَّة لاستعمال البراهين لكي تقاتل العصاة وتقهرهم . وهذه هي عادتها في نفس هذه الايام لو طالت يدها

وكان لتلك الكلمات المرسومة بقلم احد اكابر الديوان الروماني معنًى كبير الاَّ انها مع ذلك لم تُخِف لوثيروس . ظن او ادَّعى الظن بان هذه المحاورة لم يكتبها بريريو بل اولريخ هوتن او غيرهُ ممن قدَّموا موادَّ للكتاب المعنون رسائل الناس المجهولين المشار اليها آنفًا وقصدهم في ذلك تهييج لوثيروس الى مضادة بريريو . وهو لم يشأ ان يرى كرسي رومية يتحرك الى مضادتهِ الاَّ انهُ بعد ان بقي ساكتًا الى زمان زالت شكوكهُ ان كانت لهُ شكوك من جهة كاتب تلك القضايا فاخذ في الرد واكمل جوابهُ في يومين

ان الكتاب المقدس كان قد صاغ لوثيروس وابتدأَ بالاصلاح ولوثيروس لم يكن يحتاج الى شهادة الكنيسة لكي يومن فان ايمانهُ اتى من الكتاب المقدس نفسهِ من داخل لا من خارج واقتنع كل الاقتناع بان التعليم الانجيلي مبني بناءً وطيدًا على كلمة الله حتى كان في عينيهِ كل سلطان خارجي باطلاً وفتح امتحان لوثيروس هذا مستقبلاً جديدًا للكنيسة . والينبوع الحي الذي نبع لراهب وتمبرج كان مزمعًا ان يصير نهرًا يروي ظمأَ الشعوب

قالت الكنيسة اي الاكليروس انهُ لكي نفهم كتاب الله يجب ان روح الله

يعطي فهمًا وذلك صحيح الآن غلطها كان في حصرها الروح القدس في جماعة مخصوصة من الناس وظنها بانهُ مختص بجماعات او مدارس او مدينة او جماعة كردينالية. قال ابن الله متكلمًا عن روح الله ان الروح يهب حيث يشاء. وقال في مكان آخر يكونون جميعًا متعلمين من الله. فان فساد الكنيسة وطمع الاحبار ونفسانيات المجامع وخصومات الاكليروس وعظمة الاساقفة كانت قد نفت من مساكن الاكليروس الروح القدس روح التواضع والسلام فترك مجامع المتكبرين وقصور اكابر الكنيسة واستوطن مع المسيحيين الساذجين والخوارنة المتواضعين وهرب من رياسة ظالمة طالما داست الفقراء تحت اقدامها وسفكت دماءهم ومن اكليروس متكبر جاهل رؤساؤهم امهر في استعمال السيف مما هم في استعمال الكتاب المقدس وسكن تارة مع الطوائف المحتقرة واخرى مع رجال الذكاء والعلم. وذهبت السحابة المقدسة عن الاديرة الغنية والكراسي المتكبرة واستقرت في مساكن المتواضعين المجهولة وفي المكاتب الهادية التي للشهود المتواضعة اصحاب الفحص الموافق الضمير الصالح. والكنيسة التي انحط قدرها بواسطة محبتها للسلطة والغنى وصارت مهانة في اعين الشعب بسبب استعمالها تعليم الحيوة استعمالاً دنيًا الكنيسة التي باعت الخلاص لكي تملأ خزائنها التي افرغتها بكبريائها وبذخها انتزع عنها كل اعتبار حتى ان اصحاب العقل لم يعودوا يعتبرون شهاداتها بل ازدروا بسلطة دنية الى تلك الدرجة والتفتوا بفرح نحو كلمة الله وشهادتهِ المعصومة كما الى الملجإ الوحيد الباقي لهم في مثل ذلك التشويش العام. وكان ذلك الجيل مستعدًا وكان الجمهور يحيّي بالسلام العمل الجسور الذي بواسطتهِ غيّر لوثيروس مقرّ اسمى آمال القلب البشري ونقلها بيد قوية من جدران الفاتيكان الى صخرة كلمة الله وهذا هو العمل الذي كان في ضمير لوثيروس في مجاوبتهِ لبريريو. فترك المبادئ التي ادخلها الدومينيكي في ابتداء تاليفهِ فقال ولكنني انا ايضًا اضع بعض المبادئ الاساسية تابعًا لمثالك

فالمبدأ الاول هو عبارة بولس الرسول وهي ان بشرنا كم نحن او ملاك من

السماء بغير ما بشرناكم فليكن اناثيما (غل ١: ٨)

والمبدأ الثاني هو قول القديس اوغسطينوس للقديس ايرونيموس انني قد تعلمت ان اعطي الكتب القانونية وحدها كرامة التصديق باعظم ثبات بانهُ لم يغلط شيء منها واما الآباء فانني لا اصدق ما يعلّمونهُ مجردًا لانهم علموا بهِ

فنرى ان لوثيروس وضع هنا بيد راهنة مبادئ الاصلاح الجوهرية اي كلام الله. كل كلام الله ولا شيء غير كلام الله. ثم قال اذا فهمت جيدًا هذه المبادئ تفهم ايضًا ان ما قلتهُ في محاورتك يُهدَم تمامًا بواسطتها لانك انما اتيت بعبارات القديس توما وآرائهِ فقط. ثم في نقضهِ اوّليات خصمهِ قال صريحًا انهُ يعتقد بان الباباوات والمجامع تغلط ويتشكى من تملقات الانصار الرومانيين الذين ينسبون السلطة الزمنية والروحية كلتيهما الى البابا ويصرّح بان الكنيسة تقوم فعليًا بالمسيح وحدهُ ووكالةً بالمجامع. واذ انتهى الى تهمة بريريو اياهُ قال لا شك انك تحكم عليّ بعد ان تحكم على نفسك ولكن لو رغبتُ في رتبة اسقفية لما استعملت حقًا العبارات التي تنفر اذناك من سماعها فهل تظن انني لا اعرف كيف تُنال الاستقفيات والكهنوت في رومية. أفلا يغنّي الاولاد في الاسواق هذه الكلمات المعروفة جيدًا (شعر)

بين بقاعِ العالمين طرّا أنجسها في رومة استقرّا

وجرت مثل هذه الاغاني في رومية قبل انتخاب احد الباباوات المتاخرين الآن. ان لوثيروس مع ذلك تكلم عن لاون العاشر باعتبار عند قولهِ. اعلم انهُ يمكننا ان نقايسهُ بدانيال في بابل فان براءتهُ قد اوقعت حياتهُ مرارًا كثيرة في خطر. ثم يختم كلامهُ بعبارات وجيزة جوابًا لتهديدات بريريو. قال واخيرًا تقول ان البابا هو حبر وامبراطور معًا وانهُ يقدر ان يغصب الى طاعتهِ بواسطة الحكم السياسي فهل انت عطشان الى الدم. الى ان يقول. فانا احقق لك انك لا تقدر ان تخيفني بواسطة عجرفتك ولا بواسطة تهديدات كلامك فاني ان

قُتِلت فان المسيح يحيا المسيح ربي ورب الجميع المبارك الى الابد آمين

وهكذا بيد قوية اقام لوثيروس ضد مذبح البابوية الكافر مذبحًا مذبح كلام الله الطاهر الذي هو وحدهُ معصوم الذي يطلب ان تجثو امامهُ كل ركبة واشهر نفسهُ بانهُ مستعد لتضحية حياتهِ عليهِ. ثم كتب پريريو جوابًا ثم كتابًا ثالثًا في صدق الكنيسة الذي لا يُنقَض وفي الحبر الروماني وادَّعى فيهِ مستندًا على الشريعة الكنائسية انهُ لو جرَّ البابا جميع العالم معهُ الى جهنم لا يمكن شجبهُ ولا عزلهُ فالتزم البابا اخيرًا ان يامر پريريو بالسكوت لانهُ اخجل كل اصحاب الكنيسة بدعاويهِ العريضة

ولم تمضِ الاَّ مدة قصيرة حتى نزل في الميدان خصمٌ جديد وهو ايضًا دومينيكيٌّ اسمهُ يعقوب هوخستراتن المفتش في كولن الذي كان يضاد ريوخلن واقشعر محبو العلوم من جسارة لوثيروس في مقاومة هذا القاسي القلب. وكان ضروريًّا ان يصدم الظلام والتعصب الرهبانيين ذلك العتيد ان يضربهما ضربة مميتة. ولم تبتدئ الرهبانية في الكنيسة حتى ابتدا الحق الاصلي يتوارى ومن ذلك الوقت نما الرهبان والضلالات معًا. ثم ظهر الانسان العتيد ان يعجل مجيء خرابها الاَّ ان هولاء الانصار الاشداء لم يقدروا ان يتركوا ميدان القتال من دون جهاد فبقيت الحرب كل مدة حيوة المصلح ولكنها تُشخص على نوع غريب في شخص هوخستراتن. والمتبارزان هما هوخستراتن ولوثيروس اي المسيحي الحر الشجاع ضد عبد الخرافات الرهبانية الجافي. فخسر هوخستراتن ضبط نفسهِ وازداد شراسةً وطلب بصوتٍ عالٍ قتل الاراتيكي فاراد ان يحصل الغلبة لرومية بواسطة اوتاد الحرق وصرخ قائلاً انهُ خيانة عظيمة ضد الكنيسة ان نسمح لهذا الاراتيكي الفظيع الهائل ان يعيش ساعة اخرى فليُنصَب الوتد لهُ حالاً. واشيع هذا الراي الفظيع مرارًا كثيرة جدًّا في بلدان كثيرة وشهدت للحق اصوات الشهداء الكثيرين حتى في وسط اللهيب كما كان في ازمنة الكنيسة الاولى اما المناداة بالسيف والوتد على لوثيروس فكانت عبثًا لان ملاك الرب حرسهُ

دائمًا وحفظهُ

فاجاب لوثيروس هوخستراتن بكلام مختصر ولكن بحمية عظيمة . قال لهُ عند ختام كلامهِ اذهب اذهب في سبيلك ايها القاتل المفترس الذي يصرخ في طلب دم اخوتهِ فان رغبتي الشديدة هي انك لا تدعوني مسيحيًا ومومنًا بل انك لا تزال تدعوني بالعكس اراتيكيًا . فهل تفهم انت هذه الاشياء ايها الرجل المتعطش الى الدم يا عدو الحق . واذا حملك غيظك الشديد على المبادرة الى عمل شيء ضدي فاحتذر في ذلك كل الاحتذار وانتهز الفرصة المناسبة . الله يعلم ما هي غايتي ان فسح في اجلي . ورجائي وانتظاري لا يخدعانني ان شاء الله . فسكت هوخستراتن

ثم تهيأت للمصلح ضربة اوجع من تلك فان الدكتور آك المشهور استاذ انكلستادت ومنقذ اوربانوس راجيوس وصديق لوثيروس كما ذُكِر آنفًا وصلت الى يدهِ القضايا المشهورة . ولم يكن آك من الرجال الذين يحامون عن الغفرانات . كان استاذًا في المدارس لا في الكتاب المقدس وماهرًا في تصانيف العلماء غير ماهر في كلام الله . وكان بريريو نائب رومية وهوخستراتن نائب الرهبان اما آك فنائب اهل المدارس . وتلك المدارس التي سادت مدة خمسة قرون على العالم المسيحي استنكفت ان تسلم عند ضربة المصلح الاولى فنهضت بكبرياء لكي تسحق الرجل الذي تجاسر على احتقارها وحدثت وقعات كثيرة بين آك ولوثيروس وبين المدارس والكلمة الالهية وابتدا الجدال في الوقت الذي نحن في ذكرهِ . فلم يقدر آك ان يجد غير غلطات في كثير من قضايا لوثيروس . ولا شيء يحملنا على الشك بخلوص نيتهِ وتمسك برايات المدارس بغيرة وقادة كالغيرة التي بها تمسك لوثيروس بكلام الله . وعلى ما نظن تالم شدة الالم عند ما وجد نفسهُ مضطرًا الى مضادة صديقهِ القديم غير ان الحقد ظاهر في طريقة مقاومتهِ . لان الإلم والغيرة لهما خلطة في الاسباب التي حركتهُ الى ذلك . وسمّى اجوبتهُ على قضايا لوثيروس بالاوبيلسكس واذ رغب في اول

الامر عدم التظاهر لم يُذِع تاليفهُ بل اكتفى بارسالهِ سرًّا الى رئيسهِ اسقف ليخستدت الّا انهُ انتشر حالًا اما بسبب تغافل الاسقف او بواسطة المؤلف نفسهِ فوقعت نسخة في يد لنك صديق للوثيروس وواعظ في نورمبرج فارسلها سريعًا الى المصلح . وكان آك خصمًا اقوى جدًّا من تتزل او پريربو او هوخستراتن وبمقدار ما فاق تاليفهُ تآليفهم في العلم والدهاء بمقدار ذلك كان اكثر خطرًا فتظاهر بالشفقة على خصمهِ الضعيف اذ علم ان الشفقة تولم اكثر من الغضب واوّح ان قضايا لوثيروس نشرت السم البوهيمي وان لها رائحة بوهيميا وبهذه التلويحات الخبيثة القى على لوثيروس تلك الكراهية والبغضة اللتين شعر بهما اهل جرمانيا نحو هس واهل بلادهِ المعدودين عندهم مشاقين . والخباثة الشاحنة تلك الرسالة اغضبت لوثيروس والفكر بان تلك الضربة اتت من صديق قديم زادهُ غمًّا ولكنهُ كان مستعدًّا للمحاماة عن الحق ولئن كان ذلك سببًا لخسارة محبة صديق . فسكب لوثيروس كآبة قلبهِ العميقة في مكتوب الى اغرانوس راعي زويكو . قال فيهِ ان الاوبيلسكس تسميهِ انسانًا سامًّا وبوهيميًّا واراتيكيًّا ومشاقًّا ومفتخرًا جافًا فضلًا عن الاهانات التي هي دون ذلك مثل سكران وبليد وجاهل ومحتقر الحبر الاعظم الخ وهذا الكتاب طافح باشنع الاهانات الّا ان الذي الفهُ هو انسان شهيرٌ روحهُ مملوءة علمًا وعلمهُ مملوء روحًا وقد دخل معي في محبة عظيمة حديثة وخرق تلك المحبة هو الذي يغمني اكثر وهو يوحنا آك دكتور اللاهوت مناظر مدرسة انكلستادت رجل شهير ومعتبر جدًّا بسبب مولفاتهِ ولو لم اكن عارفًا بافكار الشيطان لاستغربت جدًّا الشراسة التي حملت هذا الرجل على هتك حجاب صداقة حلوة وجديدة بهذا المقدار وذلك ايضًا من دون ان ينبهني ومن دون ان يكتب اليَّ ومن دون ان يقول لي كلمة واحدة

ومع ان قلب لوثيروس جُرِح لم تسقط شجاعتهُ بل بالعكس نهض متشددًا للقتال فقال لاغرانوس الذي اصابتهُ ايضًا مقاومة من عدو عنيف افرح

يا اخي افرح ولا تدع هذه الاوراق الطائرة تخيفك فانهُ كلما أطلق اخصامي العنان لشراستهم انتدم بزيادة فاني اترك الاشياء التي ورائي لكي ينجحوا عليها واسعى الى التي هي امامي لكي ينجحوا عليها في دورها . ثم شعر آك بخباثة عملهِ ورذالتهِ واجتهد بتبرير نفسهِ في مكتوب كتبهُ الى كارلستادت فيهِ سبى لوثيروس صديقهما المشترك وبانى كل اللوم على استف انجستدت وادَّعى انهُ كتب هذا الكتاب اجابةً الى طلبهِ وقال انهُ لم يكن قاصداً اذاعة الاوبيلسكس ولو قصد ذلك لاعتبر ربط الصداقة التي بينهُ وبين لوثيروس وطلب في آخر مكتوبهِ ان لوثيروس عوضاً عن مجادلتهِ اياهُ جهاراً يصوّب نبالهُ نحو لاهوتيي فرانكفورت. فان عالم انكلستادت الذي لم يخشَ ان يضرب الضربة الاولى ابتدأ يخاف عند ما تامل بقوة الخصم الذي اقتحمهُ فكان احب اليهِ ان يتخلص من الجدال ولكن الفرصة لذلك كانت قد فاتت

وكل تلك العبارات المملقة لم تقنع لوثيروس الذي ما زال مائلاً الى السكوت . قال اني ابلع بصبر هذه اللقمة اللائقة بسرباروس . الآن اصدقاؤهُ خالفوهُ في ذلك فطلبوا منهُ حتى الزموهُ بان يجاوب ومن ثمَّ جاوب على الاوبيلسكس بالاستريسكس قال اقاوم صدا الاوبيلسكس بنور النجوم الساطع . وعامل في هذا التاليف خصمهُ باقل قساوة مما عامل بهِ اخصامهُ السابقين الاَّ ان غيظهُ تلالا تحت ستر كلامهِ . فبيّن انهُ في تلك الاوبيلسكس المشوشة لم يكن شيء من الكتب المقدسة ولا شيء من آباء الكنيسة ولا شيء من القوانين الكنائسية وانها مشحونة من الشروح والرايات المدرسية اي من رايات مجردة واحلام فارغة وبالاجمال من نفس الاشياء التي كان لوثيروس قد ناقضها . واما الاستريسكس فهي مملوة من الحيوة والحركة وصاحبها يظهر الغيظ من جرى غلطات كتاب صديقهِ الاَّ انهُ يرثي لشخصهِ ويجدد تصريحهُ بالمبدا الاساسي الذي وضعهُ في جوابهِ لبريريو وهو ان الحبر الاعظم هو انسان قد يقع في الغلط واما الله فهو حق ولا يمكن ان يغلط ثم يقول لهُ انهُ جهالة لا مثالة

ان الانسان يعلّم من فلسفة اريسطو بما لا يقدر ان يثبتهُ بشهادة هذا المعلم القديم وانت تسلم بذلك . فكم بالاحرى وهو اعظم كل جهل ان يعلّم الانسان في الكنيسة وبين المسيحيين ما لم يعلّم بهِ المسيح نفسهُ فاين ذُكِر في الكتاب المقدس ان خزينة استحقاقات المسيح هي في يد البابا . ثم قال واما ثلبك الخبيث لي بالارتقة البوهيمية فهذا احتملهُ بالصبر لاجل حب المسيح فانني عائش في مدرسة مشهورة وفي مدينة ذائعة الصيت وفي اسقفية معتبرة وفي مملكة قوية حيث الجميع ارثود كسيون وحيث لا يمكن بلا شك ان يحتمل اراتيكي ردي بهذا المقدار . ولم يشهر لوثيروس الاسترسكس بل انما وزعها فقط على اصدقائهِ ولم تُعطَ للجمهور الاَّ بعد ذلك بمدة طويلة

وهذا الانفساخ بين معلم انكلستادت ومعلم وتمبرج حصل منهُ تاثير عظيم في جرمانيا . وكان لهما اصدقاء كثيرون مشتركون في الصداقة معهما وخاف اكثر من الكل شبورل الذي بواسطتهِ حصل الانصال بين المعلمين وهو من جملة الذين اشتاقوا الى روية اصلاح كامل في الكنيسة الجرمانية بواسطة اشهر اعضائها فاذا اخذ في الابتداء افضل لاهوتيي العصر بالمقاتلة وعند اتيان لوثيروس بالامور الحديثة قام آك وكيلاً عن الامور القديمة فاي انشقاق لا يخاف من حدوثهِ افلا يجتمع انصار كثيرون حول كل واحد من هذين القائدين والاَّ يقوم حزبان متضادان في وسط المملكة وبناء على هذا الخوف اجتهد شبورل في مصالحة آك ولوثيروس اما لوثيروس فقال انهُ اراد ان ينسى كل شيء وانهُ احب عقل آك ومدح علمهُ وان ما فعلهُ صديقهُ هذا القديم احزنهُ اكثر مما اغاظهُ فقال لشبورل انا مستعد للسلم والحرب ولكنني اختار السلم فاجتهد في ذلك وشاركنا انت في الحزن على ان الشيطان قد القى بيننا ضمير الاختلاف ثم افرح بعد ذلك بان المسيح برحمتهِ قد نزعهُ وبالقرب من ذلك الوقت كتب لآك مكتوبًا مملوًا محبة . واما آك فلم يجاوب حتى ولا بعث اليهِ بكلمة فلم يبقَ محل للصلح بل ازداد الخصام شدةً . وكبريا آك وروحهُ الحسود

قطعا سريعًا بالكلية آخر ربط تلك الصداقة التي اخذت تضعف يومًا عن يوم

الفصل العاشر

تفسير لوثيروس الصلوة الربانية

تلك التي سبقت الاشارة اليها هي المجاهدات التي التزم المحامي عن كلمة الله ان يقاسيها عند دخوله في عملهِ ولكن تلك المخاصمات مع رؤَساء الجماعة وتلك الجدالات المدرسية هي قليلة الاعتبار عند المسيحي فالمعلمون البشريون يظنون انهم قد ظفروا افضل ظفر اذا شحنوا بعض الجرنالات او صوَّتوا في بعض القاعات برأْياتهم وبما ان الامر معهم هو مجرَّد محبة الذات او التحزب دون خير البشر تراهم يكتفون بهذا النجاح العالي وهكذا تكون اعمالهم نظير الدخان الذي بعد ان يعمي الابصار يتلاشى من دون ان يبقي اثرًا وراءهُ فانهم قد تغافلوا عن وضع المنارة بين الجمهور ولم يلتفتوا الاَّ الى ظاهر الهيئة الاجتماعية وخارجها

وليس الحال كذلك مع المسيحي فانهُ لا يفتكر في حزب ولا نجاح مدرسي ولكن اهتمامهُ في خلاص النفوس ولهذا يترك طوعًا الخصام الساطع الذي يقدر ان يتعاطاهُ براحة مع جنود العالم مفضلاً عليهِ الاعمال المستترة التي تحمل نورًا الى بيوت الشعب ومخادعهم . وهذا ما عملهُ لوثيروس او بالحري اقتفاء لامر معلمهِ الالهي عمل هذا ولم يترك تلك (مت ٢٣:٢٣) وفي الوقت الذي حارب فيهِ المفتشين ورؤَساء المدارس وولاة القصر البابوي اجتهد في نشر معرفة صحيحة في امور الديانة بين الجمهور وهذا هو قصدهُ في كثير من تصانيفهِ الممدوحة التي اشهرها بالقرب من ذلك الوقت نظير عظاتهِ على الوصايا العشر التي وعظها قبل ذلك بسنتين في كنيسة وتمبرج كما تقدَّم ذكرهُ وتفسيرهِ الصلوة الربانية

للعوام البسطاء الجهال . وبما ان كل واحد يسرُّهُ ان يعرف كيف خاطب المصلح الشعب في ذلك الوقت نقتبس بعض العبارات التي ارسلها لكي تطوف في الارض كما قال في مقدّمة المؤلّف المشار اليهِ . ولا شك ان الصلوة التي هي عمل القلب الداخلي هي دائمًا من جملة الامور التي يبتدئ بها اصلاح حقيقي جوهري فاشتغل لوثيروس في هذا الموضوع من دون تأخُّر . ولا يمكن ان نُترجَم عباراتهُ القوية حتى تظهر قوة تلك اللغة التي نمت تحت قلمهِ وهو يكتب

قال متى صلّيت فلتكن كلماتك قليلة واما افكارك وعواطفك فلتكن كثيرة . ومهما كانت فلتكن عميقة . كلما قلّت الكلام حسنت صلاتك فان كلمات قليلة وافكارًا كثيرة هي من شان المسيحي واما كلمات كثيرة وافكار قليلة فهي من شان الوثني

الصلوة الخارجية الجسدية هي تمتمة الشفاه وتلفُّظ ظاهر الذي يتمُّ كلهُ من دون فكر طارقًا عيون الناس وآذانهم واما الصلوة بالروح والحق فهي الشوق الداخلي والحركات والتنهدات التي تخرج من اعماق القلب فالاولى هي صلوة المرائين وجميع الذين يتكلون على نفوسهم واما الثانية فهي صلوة ابناء الله الذين يسيرون بخوفهِ

ثم انتقل الى العبارة الاولى من الصلوة الربانية وهي

ابانا . فقال انهُ ليس بين الاسماء كلها اسمٌ يميل بنا نحو الله مثل قولنا ابانا فاننا لا نشعر ولا نتعزى كل هذه التعزية عند ما ندعوهُ ربنا او الهنا او ديّاننا . اما قولنا ابانا فيحرّك احشاء الرب لانهُ ليس صوت احب الى الآب ولا اعز عندهُ من صوت ابنهِ

الذي في السموات . من اعترف بان لهُ ابًا في السماء يحسب نفسهُ غريبًا على الارض ومن ثمَّ يحصل توق قوي في قلبهِ كالتوق الذي يحصل للولد الساكن بعيدًا من بلاد ابيهِ بين الغرباء في الشقاوة والحزن فكانهُ يقول آه يا ابي انت في السماء وانا ابنك التعيس على الارض بعيد عنك في وسط الخطر والعوز والضيق

ليتقدس اسمك. ان الغضوب الحسود الثالب والمفتري يهين اسم الله الذي اعتمد بهِ اذ يستعمل استعمالًا نفاقيًا الاناء الذي قدَّسهُ الله لنفسهِ فهو نظير خوري ياخذ الكاس المقدسة ويسقي بها خنزيرًا او يجمع بها زبلًا

ليأتِ ملكوتك . ان الذين يجمعون الاموال ويبنون بيوتًا فاخرة الذين يطلبون كل ما يحبهُ العالم ويتلفظون بهذه الصلوة بشفاههم يشبهون انابيب الارغن الكبيرة التي تصوّت بشدة بلا انقطاع في الكنائس بلا نطق ولا شعور ولا عقل

ثم اخذ لوثيروس في مقاومة ضلالة الزيارات يومئذٍ قال واحد يذهب الى رومية وآخر الى القديس يعقوب وهذا يبني كنيسةً وآخر يُغني معبدًا وكل ذلك لكي ينال ملكوت السماء ولكن الجميع يتركون الامر الجوهري وهو ان يصيروا هم انفسهم ملكوتًا لهُ . فلماذا نذهب الى ما وراء البحار في طلب ملكوت الله والحال يجب ان يكون في قلبك ملكوت الله. ثم قال انهُ لامر هائل ان نسمع تقديم هذه الطلبة وهي

لتكن مشيئتك. فاين نرى مشيئة الله هذه تعمل في الكنيسة. فان اسقفًا يقوم ضد اسقف وكنيسة ضد كنيسة والخوارنة والرهبان والراهبات يتخاصمون ويتحاربون ويتشاجرون وفي كل مكان لا يُرى سوى الاختلاف ومع ذلك كل حزب يدَّعي ان غايتهُ حميدة ونيتهُ مستقيمة وهكذا كلهم ياخذون في عمل الشيطان قائلين انهم عاملون لمجد الله واكرامهِ. ثم قال في تفسيرهِ قولهُ تعالى

خبزنا كفافنا اعطِنا اليوم. لماذا نقول خبزنا. لاننا نصلي لا لكي يكون لنا الخبز الاعتيادي الذي ياكلهُ الوثنيون والذي يعطيهِ الله لجميع الناس بل لاجل خبزنا اي خبزنا نحن اولاد الآب السموي

وما هو اذًا خبز الله هذا. انما هو يسوع المسيح ربنا القائل انا هو الخبز الحي النازل من السماء الذي يعطي الحيوة للعالم. ولهذا السبب (ولا نخدعنَّ انفسنا) جميع المواعيظ وجميع الارشادات التي لا تبرز يسوع المسيح امامنا وتعلّمنا ان

نعرفهُ لا يمكن ان تكون الخبز اليومي ولا قوت انفسنا. فلايَّة غاية أُعِدَّ هذا الخبز لنا. ان لم يُقدَّم لنا لا نقدر ان نذوقهُ. ذلك كما لو أُعِدَّت مائدة فاخرة وليس من يدور بالطعام او يسكب الخمر حتى ان الضيوف يلتزمون ان يغذوا ذواتهم بنظر الاطعمة ورائحتها ومن اجل هذا السبب يجب ان نبشر بالمسيح فقط

ولعلَّك تقول وما هو ان نعرف المسيح وما هي المنفعة التي تحصل لنا من ذلك فاجيب أَن تعلم ما هو يسوع المسيح ومعرفتهُ هو ان تفهم قول الرسول يسوع المسيح الذي صار لنا حكمةً من قِبَل الله وبرًّا وقداسةً وفداءً (اكو ١: ٣٠) وهذا تفهمهُ اذا اعترفت بان كل حكمتك هي جهالة مرذولة وبرّك اثم مرفوض وقداستك نجاسة مكروهة وفداءك دينونة شقية وشعرت بانك بالحقيقة قدَّام الله وقدَّام جميع الخلائق احمق وخاطئٌ ونجس ومشجوب واظهرت ليس بكلامك فقط بل من صميم قلبك وباعمالك انهُ ليس لك عزاءٌ ولا خلاص الَّا بيسوع المسيح والايمان هو اكل هذا الخبز من السماء

على هذا المنوال ثبت لوثيروس على عزمهِ على فتح عينَي شعب اعمى يقتادهُ الخوارنة حسب اختيارهم وكتابتهُ التي انتشرت في كل جرمانيا اوجدت نورًا جديدًا وبذرت بكثرة زرع الحق في ارض مُعَدَّة جيدًا لهُ واذ اهتمَّ بالبعيدين لم ينسَ القريبين

واما الدومينيكيون فشجبوا الاراتيكي الردي عن كل منبر. واما لوثيروس حبيب الشعب الذي لو اراد لهيج بكلمات قليلة امواج بحار الشعب فاحتقر انتصارًا مثل ذلك ولم يكن يفتكر الَّا بتعليم سامعيهِ. اما صيتهُ الذي امتد اكثر فاكثر والشجاعة التي بها اقام راية المسيح في وسط الكنيسة المستعبدة فجعلت الناس ان تسمع مواعظهُ برغبة زائدة. فكثر المصغون وسدد لوثيروس سهامهُ باستقامة نحو الغرض واذ تبوأ يومًا منبر وتمبرج اخذ في اثبات تعليم التوبة فوعظ حينئذٍ عظةً اشتهرت جدًّا فيما بعد وذكر فيها جملة من تعاليم الانجيل الاساسية واولًا قابل بين غفران الناس وغفران السماء قائلًا ان الغفران نوعان.

غفران برفع القصاص وغفران برفع الخطية فالاول يصالح الانسان مصالحة خارجية مع الكنيسة والثاني الذي هو الغفران السموي يصالح الانسان مع الله. وان لم يشعر الانسان داخل نفسهِ بسلام الضمير وفرح القلب اللذين يصدران من غفران الله فلا غفران ينفعهُ ولو اشترى جميع الغفرانات التي عُرِضَت للبيع على كل وجه الارض

ثم قال انهم يرغبون ان يعملوا اعمالاً صالحة قبل ان تُغفَر خطاياهم والحال انهُ يجب ان تُغفَر الخطية قبل ان يصير الناس قادرين على عمل اعمال صالحة فليست الاعمال هي التي تطرد الخطية ولكن متى طُرِدَت الخطية تتبع ذلك الاعمال الصالحة لان الاعمال الصالحة تجب ممارستها بقلب فرح وضمير صالح نحو الله اي مع الشعور بمغفرة الخطايا. ثم انتهى الى المقصد الاصلي من عظتهِ وهو المقصد العظيم من الاصلاح بجملتهِ. كان الاكليروس قد وضعوا الكنيسة اي انفسهم في مكان الله ومكان كلامهِ فهو يقاتل هذا الادعاء ويجعل كل شيءٍ يتوقف على الايمان بكلام الله بقولهِ. ان غفران الخطية ليس تحت سلطان البابا ولا تحت سلطان الاسقف ولا تحت سلطان الخوري ولا تحت سلطان انسان آخر بل انما يتوقف على كلمة المسيح فقط وعلى ايمانكم لان المسيح لم يقصد ان يبني عزاءنا وخلاصنا على كلام الانسان او عملهِ بل على نفسهِ وعلى كلامهِ وعلى عملهِ فقط فان توبتك واعمالك قد تخدعك واما المسيح الهك فلا يخدعك فهو لا يعجز والشيطان لا يهدم كلامهُ. اما البابا او الاسقف فليس لهُ سلطان اكثر مما لادنى الخوارنة نظرًا الى غفران الخطايا حتى انهُ ان لم يوجد خوري فكل مسيحي حتى المراة او الولد يقدر ان يعمل هذا الامر نفسهُ لانهُ اذا قال لك مسيحي بسيط ان الله يغفر الخطايا باسم يسوع المسيح وقبلت هذه الكلمة بايمان وطيد وكأَنَّ الله نفسهُ يخاطبك تنال الحلة من خطاياك. وان لم تؤمن بان خطاياك قد غُفِرَت فانك تجعل الله كاذبًا وتتكل على افكارك الباطلة اكثر من اتكالك على الله وكلمتهِ. وتحت العهد القديم لم يكن لنبي او خوري او ملكٍ سلطانٌ على المناداة

بغفران الخطايا واما في العهد الجديد فكل مؤمن له هذا السلطان. والكنيسة فائضة بغفران الخطايا. فاذا عزّى مؤمن نقي ضميرك بكلمة الصليب سواء كان رجلاً او امراة صغيراً او كبيراً فاقبل هذه التعزية بايمان وطيد بحيث يكون احب اليك ان تموت موتات كثيرة من ان تشكّ بكون ذلك كذلك قدّام الله. فتب واعمل كل ما هو في قوتك ولكن دع الايمان الذي لك بالغفران بالمسيح في اول رتبة ودعهُ وحده يدرّبك في ساحة الحرب الروحية

فهكذا تكلم لوثيروس مع سامعيهِ المتحيرين والمبتهجين من كلامهِ فجميع الموانع التي اقامها الخوارنة الوقحون لاجل ربحهم بين الله ونفس الانسان هُدِمت والانسان أُتي بهِ الى الههِ وجهاً لوجه وانحدرت كلمة الغفران صافية من الاعالي غير مارّة بالوف من القنوات المفسدة ولكي تكون شهادة الله فعّالة لم يعد يحتاج الى ان يضع الناس ختمهم الخادع عليها ودعوى طغمة الاكليروس تلاشت وتحررت الكنيسة من عبوديتهم

الفصل الحادي عشر

خوف اصحاب لوثيروس عليهِ . المتناقضات . النور الحقيقي

تلك النارُ التي أُوقِدَت في وتنبرج لم يكن بدٌّ من اضطرامها في اماكن اخرى ولم يكتفِ لوثيروس باذاعة الحق الانجيلي في مكان اقامتهِ بين التلامذة والشعب جميعاً بل رغب في تبذير زرع التعليم الصحيح في اماكن اخرى. وفي فصل الربيع من سنة ١٥١٨ كان مجمع الاوغسطينيين العام عتيداً ان ينعقد في هيدلبرج فدُعي لوثيروس اليهِ كاشهر انسان في الرهبنة فاجتهد اصدقاؤهُ بكل مكنتهم ليعدلوهُ عن ذلك السفر وبالحقيقة كان الرهبان قد اجتهدوا في جعل اسم لوثيروس ممقوتاً في جميع الاماكن التي كان لا بدَّ له من المرور بها وزادوا التهديدات

على الاهانات ولم يكن يلزم الاَّ قليل لتهييج شغب الجمهور في طريقهِ لعلهُ يكون سببًا لحتفهِ. قال اصدقاؤُهُ والاَّ فانهم يتمّمون بالمكر والحيلة ما لا يتجاسرون على عملهِ بالاغتصاب واما لوثيروس فلم يكن يعيقهُ عن اتمام شيءٍ من الواجبات خوف الخطر مهما كان قريبًا ولهذا سدَّ اذنيهِ عن كلام اصدقائهِ الناتج عن الخوف ودلهم على ذاك الذي اتكل عليهِ والذي تحت حفظهِ كان عتيدًا ان ياخذ في سفر صعب مثل ذلك وحالاً بعد عيد الفصح اخذ في طريقهِ بطمانينة ماشيًا وذلك في ١٢ نيسان سنة ١٥١٨

واخذ معهُ دليلاً اسمهُ اوربانوس حمل امتعتهُ القليلة لكي يرافقهُ الى ورتزبرج. فما اهمَّ الافكار التي تراكمت على قلب خادم الرب هذا وهو في طريقهِ. في ويسنفلس عرفهُ حالاً الراعي مع ان لوثيروس لم يعرفهُ قبلاً وترحَّب بهِ من قلبهِ. ومن ارفرت رافقهُ اخوان من رهبنة مار اوغسطينوس وفي يودنباخ صادفوا كاتم اسرار الملك المنتخب داجنهرد بففنجر وهذا اضافهم في المنزل حيث صادفوهُ وكتب لوثيروس الى سپالاتين انني قد سررت بان اخسّر هذا المولى الغني بعض الفلوس وانت تعرف اني احب كلما سمحت لي الفرصة ان افرض بعض الصدقات على الاغنياء لاجل منفعة الفقراء وعلى الخصوص اذا كان الاغنياء اصدقائي. فوصل الى كوبرج وقد اضنكهُ التعب فكتب الى اصحابهِ قائلاً ان كل شيءٍ حسن بنعمة الله ولكني اقرُّ باني قد اخطأت بالاخذ في هذا السفر ماشيًا غير اني اظن انهُ لا حاجة لي الى الغفرانات لاجل هذه الخطية لان ندامتي كاملة ووفائي تامٌ فقد غلب عليَّ التعب وكل المركبات مشغولة أليس هذا كافيًا وفوق الكفاءة من القصاص والاستحقاق والوفاء. واذ لم يقدر ان يجد مكانًا في المركبات الجمهورية ولم يرد احد ان يعطي مكانهُ لآخر التزم فوق اعيائهِ ان يخرج من كوبرج في الغد ماشيًا بذلٍّ فوصل الى اوتزبرج في الاحد الثاني بعد الفصح نحو المساء ومن هناك ارجع دليلهُ

وكان ساكنًا في تلك المدينة اسقف بيبرا الذي قبل قضاياهُ بفرح ومدح

عظيم وكان لوثيروس حاملاً مكتوبًا اليهِ من ملك سكسونيا ففرح الاسقف جدًّا من حصولهِ على فرصة التعرُّف شخصيًا ببطل الحق الشجاع هذا ودعاهُ حالاً الى قصرهِ الاسقفي فذهب فلقيهُ الى الباب ولاطفهُ في الكلام واعرض عليهِ ان يجهزهُ بدليل الى هيدلبرج الاَّ ان لوثيروس كان قد صادف في اورتزبرج صديقيهِ النائب العالم ستوبتز ولانجي رئيس ارفرث فاعطياهُ مكانًا في مركبتهما فشكر بيبرا على معروفهِ هذا وفي الصباح ترك الثلثة الاصدقاء اورتزبرج وسافروا معًا ثلثة ايام يتخاطبون وفي ٢١ نيسان وصلوا الى هيدلبرج فذهب لوثيروس ونزل في الدير الاوغسطيني هناك. وكان ملك سكسونيا قد اعطاهُ مكتوبًا الى الامير البلاتيني ولفغنج دوك باڤاريا فذهب لوثيروس الى قصرهِ المشيد الذي يتعجب الغرباء حتى هذه الايام من حسن موقعهِ وكان الراهب من سهول سكسونيا يتعجب من موقع هيدلبرج عند ملتقى نهر الرين ونهر نكر فدفع المكتوب الى يعقوب سمار مدير البيت وهذا عند ما قراهُ قال ان معك هنا سفتجة ثمينة . وقبل الامير لوثيروس بمعروف عظيم ودعاهُ مرارًا الى مائدتهِ مع لانجي وستوبتز. واستقبال بهجة كهذا كان سبب تعزية عظيمة للوثيروس قال انشرحنا جدًّا وسلَّى احدنا الآخر بمخاطبات لطيفة لذيذة ناكل ونشرب ونتفرج على جميع محاسن القصر البلاتيني متعجبين من الزينة والاسلحة والدروع وبالاجمال من كل شيءٍ معتبر ما في هذا القصر الذي هو بالحقيقة قصر ملكي

وكان على لوثيروس عمل آخر وعليهِ ان يشتغل ما دام النهار فاذ قد وصل الى مدرسة لها سطوة عظيمة على غربي جرمانيا وجنوبيها عليهِ ان يضرب هناك ضربة تحرك كنائس تلك البلاد ولهذا ابتدا يكتب بعض القضايا موضوعًا للجدال المشتهر. ومثل تلك الجدالات لم تكن نادرة ولكن لوثيروس افتكر ان هذه لكي تكون نافعة يجب ان تقبض بقوة على عقول الناس وفضلاً عن ذلك مال طبعًا الى ابراز الحق تحت صورة غريبة. اما معلمو المدرسة فلم يسمحوا باجراء الجدال في قاعتهم الكبيرة فالتزم لوثيروس ان ياخذ محلاً لذلك في دير

الاوغسطينيين وعيّنوا للجدال اليوم السادس والعشرين من شهر نيسان. وقبلت هيدلبرج بعد سنين التعليم الانجيلي ولعلّ اولئك الذين حضروا ذلك الجدال في الدير سبقوا ونظروا انهُ سوف يثمر ثمرًا في المستقبل

وجذب صيت لوثيروس اليهِ جمهورًا غفيرًا من السّاع فان المعلمين والتلامذة والقضاة والتجار اتوا اليهِ افواجًا وما ياتي هو بعض قضايا لوثيروس التي سماها المتناقضات وربما في هذه الايام يدعونها بهذا الاسم واما تحويلها الى قضايا بسيطة فسهل

١ ان شريعة الله هي تعاليم حيوة شافٍ ولكنها مع ذلك لا تستطيع ان تساعد الانسان في البلوغ الى البر بل بالعكس تعيقهُ في ذلك

٣ ان اعمال الانسان مهما كانت صالحة وحسنة ليست بالظاهر سوى خطايا مميتة

٤ ان اعمال الله مهما كانت في ظاهرها غير موافقة ومضرة لها مع ذلك استحقاق ابدي

٧ ان اعمال الصديقين انفسهم كانت خطايا مميتة ما لم يخافوا (وهم مملوون احترامًا لله) من ان اعمالهم تكون في الحقيقة خطايا مميتة

٩ ان القول بان الاعمال المعمولة خارجًا عن المسيح هي حقًا مائتة ولكنها ليست مميتة هو نسيان خوف الله وخَطِرٌ

١٣ منذ سقوط الانسان ليست حرية الارادة الّا كلمة بطالة واذا عمل الانسان كل ما يقدر عليهِ فلا يزال يخطئ خطايا مهلكة

١٦ الانسان الذي يتصوّر انهُ يتوصل الى النعمة بعملهِ كل ما يقدر عليهِ انما يزيد خطية ويكون جرمهُ مضاعفًا

١٨ انهُ محقق ان الانسان يجب ان ييأس كلّ الياس من نفسهِ لكي يستطيع قبول نعمة المسيح

٢١ ان لاهوتي العالم يدعو الخير شرًّا والشر خيرًا واما لاهوتيُّ الصليب

فانهُ يعلم تعليمًا صحيحًا في هذه القضية

٢٢ ان الحكمة التي تحاول ان تتعلم صفات الله الكاملة غير المنظورة في اعمالهِ تنفخ الانسان وتقسي قلبهُ وتعميهِ

٢٣ ان الشريعة تستدعي غضب الله وتقتل وتلعن وتقرف وتدين وتشجب كل من لم يكن بالمسيح

٢٤ ولكن هذه الحكمة (قضية ٢٢) ليست شرًّا والشريعة (قضية ٢٣) لا يجب رفضها ولكن الانسان الذي لا يدرس معرفة الله تحت الصليب يحوّل كل خيرٍ شرًّا

٢٥ ليس الانسان الذي يعمل اعمالاً كثيرة هو الذي يتبرر قدام الله ولكن الذي بدون اعمال لهُ ايمان كثير بيسوع المسيح

٢٦ الشريعة تقول اعمل هذا وما تامر بهِ لا يُعمل مطلقًا واما النعمة فتقول آمن بهِ وحالاً تُعمَل كل ما تامر بهِ

٢٨ ان محبة الله لا تجد شيئًا في الانسان ولكنها تخلق فيهِ ما يحبهُ الله ومحبة الانسان تصدر من حبيبهِ

وناقض خمسة من اللاهوتيين هذه القضايا وكانوا قد قرأُوها بكل عجب تبعث اليهِ الامور المحدثة وظهر علم لاهوت مثل هذا غريبًا في الغاية ومع ذلك بحثوا في هذه القضية حسب شهادة لوثيروس نفسهِ بلطافة جعلتهُ يعتبرهم كثيرًا بل بنشاط وقوة تمييز معًا. واما لوثيروس فاظهر لطافة عجيبة في اجوبتهِ وصبرًا لا نظير لهُ في استماع اعتراضات اخصامهِ وكل حذاقة ماربولس في حل المشاكل التي القوها عليهِ وكانت اجوبتهُ مختصرة مملوة من كلام الله وبهت العجب في سامعيهِ فقال كثيرون هُوَ من كل جهة نظير ايراسموس ويفوقهُ بامر واحد اي يعترف علانيةً بما يكتفي ايراسموس بالاشارة اليهِ. ولما قارب الجدال النجاز وترك اخصام لوثيروس الميدان وبقي اصغرهم المعلم جرجس نيجر وحدهُ يجادل البطل الشديد واذ اخافتهُ قضايا الراهب الجسورة ولم يكن يعلم الى اية جهة

يُنحى من وجهها صرخ بصوت خائف قائلاً لو سمع فلاحونا هذه الاشياء لرجموك حتى تموت وعند ما سمع الجمهور هذه الكلمات رفعوا اصواتهم بالضحك

ولم تصغَ قط جماعة هذا الاصغاء الى بحث لاهوتي فان كلمات المصلح الاولى كانت قد نبهت عقولهم والمسائل التي عوملت قبلاً بعدم المبالاة صارت حينئذٍ لذيذة ولاح على وجوه كثيرين من السامعين اثر الافكار الجديدة التي نبهتها في ضمائرهم اقوال العالم السكسوني الجسورة . واثَّر ذلك بنوع خصوصي في ثلاثة من الشبان اسم الواحد مرتينوس بوكر كان راهبًا دومينيكيًا ابن سبع وعشرين سنة وهو مع تعصبات رهبنتهِ لم يرد ان يضيع كلمة من كلام لوثيروس . وُلد في قرية صغيرة في الساس ودخل الدير في السنة السادسة عشرة من عمرهِ وظهرت منهُ سريعًا نباهة عظيمة حتى ان الرهبان الذين كانوا اكثر تنورًا توقعوا منهُ امورًا عظيمة وكان رؤساؤُهُ قد ارسلوهُ الى هيدلبرج لكي يتعلم الفلسفة واللاهوت واليوناني والعبراني . وفي ذلك الوقت اشهر ابراسموس عدة من تصانيفهِ فقراها بوكر بشوق ورغبة . ثم بعد قليل ظهرت كتابات لوثيروس فبادر الدارس الالساسي الى مقابلة تعاليم المصلح بالكتب المقدسة فداخلهُ بعض الشكوك في صدق الديانة الباباوية وعلى هذا الاسلوب انتشر النور في تلك الايام ولاحظ الامير الشاب بنوع خصوصي فان صوتهُ القوي الرنان واخلاقهُ اللطيفة ولغتهُ الفصيحة والحرية التي قاتل بها شرور تلك الايام جعلتهُ واعظًا متميزًا فانتخب خوريًا لدار الامير وكان في ممارسة وظيفتهِ هذه حينما وصل خبر سفر لوثيروس الى هيدلبرج فسرَّهُ ذلك جدًّا ولم يذهب احد الى دير الاوغسطينيين برغبة اشد من رغبتهِ فاخذ معهُ ورقًا واقلامًا وحبرًا ناويًا على كتابة ما يقولهُ الدكتور ولكن عند ما كانت يدهُ آخذة بسرعة في تتبع كلمات لوثيروس كتبت اصبع الله على قلبهِ باحرف لا تُمحى الحقوق العظيمة التي سمعها ونفذت الى نفسهِ اشعة تعاليم النعمة الأُوَل في تلك الساعة المشهورة فربح الدومينيكي للمسيح

وبقرب بوكر وقف يوحنا برنتز او برنتيوس. عمرهُ حينئذٍ تسع عشرة سنة وهو ابن والي مدينة من مدن سوابيا . وفي سن الثلاث عشرة دخل مدرسة هيدلبرج على صفة تلميذ ولم يكن احد اكثر منهُ اجتهادًا فكان يقوم نصف الليل للدرس وقد تمكنت فيهِ هذه العادة حتى انهُ في بقية حياتهِ كلها لم يقدر على النوم بعد تلك الساعة . وفي السنين المتاخرة افرز تلك الساعات الهادية لتامل في الكتاب المقدس وكان برنتز من اول من راى النور الجديد المشرق في جرمانيا فترحب بهِ بقلب فائض بالمحبة ودرس تصانيف لوثيروس برغبة وما اعظم كان فرحهُ عند ما امكنهُ استماع ذلك العالم نفسهُ في هيدلبرج. وواحدة من قضايا لوثيروس نبهت على الخصوص التلميذ الفتى وهي هذه ليس الانسان الذي يعمل اعمالاً كثيرة هو الذي يتبرر قدام الله ولكن الذي بدون اعمال لهُ ايمان بيسوع المسيح

كان في هيلبرون على نهر النكر امراة تقية زوجة شيخ من اشياخ البلد اسمها سنفت اقتدت بمثال حنة ونذرت بكرها للرب برغبة حارة في ان تراهُ يتفرغ لدرس اللاهوت وهذا الفتى المولود سنة ١٤٩٥ تقدم بسرعة في العلم ولكنهُ اما من الذوق او من حب الشهرة او اطاعة لارادة والدهِ اخذ في درس الفقه فاغتمت امهُ التقية عند ما رات ابنها اهرهرد تابعًا طريقة غير التي نذرتهُ لها فنصحتهُ وترجتهُ وكانت تطلب منهُ دائمًا ان يتذكر النذر الذي نذرتهُ يوم ميلادهِ . واخيرًا غلب الحاج امهِ فسلم لها ولم يمضِ الاَّ قليل حتى شعر بلذة في دروسهِ الجديدة حتى لم يكن شيء في العالم قادرًا على تحويلهِ عنها. فكان يعاشر بوكر وبرنتز كثيرًا وكانوا اصدقاء حتى الموت لان الصداقة الموسسة على محبة العلوم والفضيلة لا تتلاشى ابدًا كما قال احد مورخي سيرتهم وحضر مع صديقهِ في جدال هيدلبرج وقضايا العالِم الوتنبرجي وشجاعتهُ حركتهُ حركة جديدة فاعتنق تعليم تبرير الخاطي مجانًا ورفض راي الاستحقاقات البشرية الباطل

وفي اليوم التالي ذهب بوكر الى لوثيروس . قال بوكر خاطبتهُ مخاطبة

سرّية انيسة وكانت لي وليمة لطيفة جدًّا لا من الاطعمة بل من الحقائق التي وُضعت امامي وكان عند العالِم جواب لكل اعتراض اعترضتهُ وشرح كل شيء باعظم وضوح. يا ليت كان لي وقت لاكتب اكثر. وآراءُ بوكر اعجبت لوثيروس فكتب الى سپالاتين قائلاً هو الاخ الوحيد في رهبنتهِ وهو شاب فيهِ امل عظيم. قبلني بسذاجة وتكلم معي بكل نشاط وهو مستحق ثقتنا ومحبتنا. ثم ان برنتز وسنف واخرين كثيرين ممن تاثروا بالحقائق الجديدة التي ابتدات تشرق على ضمائرهم ذهبوا الى زيارة لوثيروس ايضًا فخاطبوهُ وجادلوهُ وكانوا يترجونهُ ان يفسر لهم ما لم يفهموهُ فاجابهم الى ذلك معززًا براهينهُ بكلام الله فانبعث من كل عبارة نورٌ جديد لضمائرهم وانفتح امامهم عالم جديد

وبعد انطلاق لوثيروس ابتدأ الكرماء العقول يعلمون في هيدلبرج فشعروا انهُ من واجباتهم ان يكملوا ما قد ابتدا بهِ رجل الله ولم يسمحوا بانطفاء النار التي اضرمها. فعند ما يصمت المعلمون يتكلم التلاميذ وبرنتز مع انهُ كان لم يزل فتًى حديثًا شرح انجيل مار متى اولاً في مخدعهِ ثم بعد ذلك عند ما ضاق المخدع على الحاضرين شرحهُ في قاعة الفلسفة واما اللاهوتيون فحسدًا من جمهور السامعين الذين اجتذبهم هذا الفتى حولهُ تحركوا بالغضب وحينئذٍ ارتسم برنتز ونقل خطبهُ الى مدرسة قانونيي الروح القدس وهكذا النار التي أُوقِدَت في سكسونيا ابتدات تضطرم حينئذٍ في هيدلبرج وزادت مراكز النور عددًا وقد دُعِي ذلك العصر عصر الزرع الپلاتيني

ولم يكن الپلاتيون وحدهم من جنى اثمار جدال هيدلبرج فان اصدقاء الحق الشجعان هولاء صاروا سريعًا انوارًا منيرة في الكنيسة وارتقوا جميعًا الى رتب سامية وتداخلوا في كثير من الجدالات التي سببها الاصلاح فكانت ستراسبرج وانكليترا بعد ذلك بقليل مديونتين لبوكر لاجل معرفة الحق الخالص. ونادى بهِ سنف اولاً في مربرج ثم في ستاتغرد وتوبنجن وجانا واما برنتز فبعد ان علم في هيدلبرج داوم عملهُ الى مدة طويلة في توبنجن وفي هالا في

سوابيا وسوف نلاقي ايضاً هولاء الرجال الثلثة في سياق تاريخنا هذا . وذلك الجدال قدَّم لوثيروس نفسهُ كثيرًا فكان ينمو كل يوم في معرفة الحق . قال انني من الذين يستفيدون من الكتابة ومن تعليم الاخرين لا من الذين يصيرون بغتةً علماء عظاماً مهرة من لا شيء . وابتهج جدًّا عند ما راى الرغبة التي قبل بها تلامذة المدارس الحق المشرق وهذا كان يسايهِ عند ما راى العلماء القدماء متاصلين جدًّا في آرائهم فقال ان عندي رجاء مجيدًا انهُ كما ان المسيح عند ما رفضهُ اليهود تحول الى الامم هكذا الآن نرى اللاهوت الجديد الذي رفضهُ هولاء الشيوخ الشيب باوهامهم الفارغة الوسواسية يترحب بهِ الجيل الجديد القادم

واذ انتهى المجمع افتكر لوثيروس بالرجوع الى وتمبرج واعطاهُ الامير البلاتيني مكتوباً الى الملك المنتخب بتاريخ اول ايار يقول فيهِ ان لوثيروس اظهر حذاقة عظيمة جدًّا في الجدال حتى انهُ بواسطتهِ تزداد كثيرًا شهرة مدرسة وتمبرج ولم يسمح لهُ بالرجوع ماشياً. وشيعهُ الى اوتزبرج رهبان مار اوغسطينوس في نورمبرج ومن هناك اخذ في طريقهِ الى ارفرث مع اخوة من تلك المدينة وحال وصولهِ ذهب الى بيت معلمهِ القديم بودوكوس . وكان المعلم الشيخ مغموماً كثيرًا ومنفعلاً من الطريق التي اخذ تلميذهُ فيها وكان من شانهِ وضع في اول كل قضايا لوثيروس حرف ثيتا يونانية الحرف الذي يستعملهُ اليونان للدلالة على التعجب (ان اليونان كان من عادتهم ان يضعوا الحرف الاول من لفظة ثناتوس وهو ثيتا مقابل اسماء المذنبين المحكوم عليهم بالموت) وكان قد كتب الى العالم الشاب كلام توبيخ فاراد لوثيروس ان يجاوب على مكاتيبهِ مواجهة واذ لم تسمح لهُ الفرصة لذلك كتب الى بودوكوس قائلاً ان كل المدرسة ما عدا اصحاب الوظائف يتفقون معي وفوق ذلك الامير والاسقف واساقفة آخرون كثيرون وجميع اهالي بلادنا الاكثر تنورًا يقولون بصوت واحد انهم الى هذا الوقت لم يعرفوا ولا فهموا يسوع المسيح ولا انجيلهُ وانني مستعد لقبول

توبيخك لانهُ وان يكن قاسيًا يظهر لي لطيفًا جدًّا فافتح اذًا قلبك من دون خوف واطلق غضبك فانني لااغتاظ منك ولا اقدر على ذلك والله وضميري هما شاهدان لي . فتاثر العالِم الشيخ من عبارات تلميذهِ القديم هذه واراد ان يجتهد في ايجاد واسطة لرفع الحرف الدال على التشجب فتفاوضا في تلك القضية ولكن النتيجة لم تكن مرغوبة فقال لوثيروس انني قد افهمتهُ اقلما يكون ان جميع عباداتهم هي نظير ذلك الوحش الذي قيل عنهُ انهُ يبتلع نفسهُ ولكن الكلام مع رجل اصم هو مشقة باطلة فان هولاء العلماء يتمسكون بعناد تفاصيلهم الحقيرة مع انهم يقرّون بعدم وجود شيء يشبهها الاَّ العقل الطبيعي كما يدعونهُ الذي هو هيولى مظلمة حقًّا عندنا نحن الذين لا نبشر بنور آخر غير يسوع المسيح الذي هو النور الحقيقي الوحيد

وخرج لوثيروس من ارفرث في المركبة المختصة بالدير التي اخذتهُ الى ايسلابن ومن هناك اذ كان اوغسطينيو المكان مفتخرين بعالِم سبَّب مجدًا عظيمًا هكذا لرهبنتهم ومدينتهم مسقط راسهِ شيعوهُ الى وتمبرج على خيلهم وبنفقتهم وكل واحد رغب ان يقدّم علامة محبة واعتبار لهذا الرجل الفريد الذي صار صيتهُ يشتهر متواصلاً . فوصل يوم السبت بعد عيد الصعود وكان السفر قد نفعهُ وراى اصدقاؤُهُ منظرهُ احسن واقوى مما كان قبل انطلاقهِ وسروا بكل ما اخبرهم بهِ فاستراح مدة بعد مشقات سفرهِ وجدالهِ في هيدلبرج ولكن تلك الراحة انما كانت استعدادًا لاتعاب اشدّ

الكتاب الرابع

من ايار الى كانون الاول سنة ١٥١٨

الفصل الاول

التقريرات . رسالة لوثيروس الى اسقفهِ ورسالتهُ الى البابا لاون العاشر

ان الحق رفع راسهُ اخيرًا في وسط العالم المسيحي وبعد ان غلب على انصار البابابوية الدون كان عتيدًا ان يدخل في ميدان الحرب مع رئيسها بنفسهِ وسنرى بعد قليل لوثيروس يقاتل رومية . وخطا هذه الخطوة بعد رجوعهِ من هيدلبرج لان قضاياهُ الاولى في الغفرانات كان قد وقع خلل في فهمها فعزم على ايضاحها ايضاحًا اكمل . ومن صراخ اعدائهِ الصادر عن بغض اعمى تعلَّم كم هو ضروري ان يكتسب للحق القسم الاكثر تنوُّرًا من الشعب ولهذا عزم على رفع الدعوى اليهم بكشفهِ لهم الاسس التي بُنِيَت آراؤُهُ الحديثة عليها واذ اقتضى ذلك معرفة حكم رومية في هذا الامر لم يتاخر عن ارسال ايضاحاتهِ الى هناك فقدَّمها باليد الواحدة الى علماء شعبهِ المتنورين الخالين من الغرض وباليد الاخرى القاها امام عرش ذلك الذي سمَّى نفسهُ الحبر الاعظم

وتلك الايضاحات التي دعاها التقريرات كُتِبَت بعبارات لطيفة جدًّا . واجتهد لوثيروس ان يلطف القضايا التي كانت قد سببت اعظم الهياج وبذلك اظهر تواضعًا حقيقيًّا ولكنهُ في الوقت نفسهِ اظهر انهُ غير متزعزع في آرائهِ وبكل شجاعة حامى عن القضايا التي الجاهُ الحق الى التمسك بها وكرر ايضًا القول بان

كل مسيحي تائب بالحق ينال مغفرة الخطايا من دون غفرانات باباوية وان البابا نظير ادنى خوري لايقدر ان يعمل شيئاً اكثر من ان يعلن فقط ما قد غفرهُ الله. وان خزينة استحقاقات القديسين المستودعة بيد البابا هي خرافة محضة وان الاسفار المقدسة هي الدستور الوحيد للايمان. فلنسمع عباراتهِ في بعض هذه القضايا

ابتدأ بايضاح طبيعة التوبة الحقيقية وقابل عمل الله الذي يجدد الانسان بخزعبلات كنيسة رومية فقال ان اللفظة اليونانية المترجمة توبوا معناها البسوا روحاً جديداً وضميراً جديداً وخذوا طبيعة جديدة حتى لا تبقوا ارضيين بل تصيروا سماويين الى ان قال ان المسيح هو معلم الروح لامعلم الحرف وكلامهُ هو روح وحيوة ولذلك يرشد الى التوبة بالروح وبالحق لابتلك القوانين الخارجية التي يستطيع اردا الخطاة ان يعملها من دون تواضع وهو يريد توبة ممكنة مباشرتها في جميع احوال الحيوة اي تحت الارجوان الملكي ورداء الخوري وتاج الامير وفي وسط الامجاد البابلية حيث عاش دانيال كما تحت عباءة الراهب ورثاث المتسوّل. ثم بعد قليل قال لا ابالي بما يرضي البابا او يغيظهُ فهو انسان كسائر الناس. وباباوات كثيرون احبوا لا الضلالات والرذائل فقط بل اموراً اغرب ايضاً فاني اصغى اذا حكم بموجب القوانين او بواسطة القوانين او عند ما يحكم بقضيةٍ ما حسب حكم مجمع لاحينما يتكلم حسب افكارهِ ولو فعلت خلاف ذلك أفما كان يجب ان اقول مع الذين لايعرفون المسيح ان قتل المسيحيين الهائل الذي احدثهُ البابا يوليوس الثاني كان عملاً صالحاً من راعٍ لطيف نحو قطيع المسيح

ثم قال انني لا اقدر الآن ان اتعجب من بساطة الذين ادَّعوا بان سيفَي الانجيل رمزٌ للسلطة الروحية والسلطة الزمنية نعم وان البابا يتقلد بسيف من حديد وهكذا يظهر نفسهُ للمسيحيين لاكاب حنون بل كجبار مخيف . ويلٌ لنا فان الاله الغضبان قد اعطانا السيف الذي اشتهيناهُ ونزع منا الذي ازدرينا

بهِ ولم يحدث في العالم حروب افظع من التي حدثت بين المسيحيين الى ان قال فذلك العقل الحاذق الذي كشف هذا التفسير اللطيف لماذا لم يفسر بهذه الطريقة الحاذقة نفسها المفتاحين اللذين أُعطيا للقديس بطرس لماذا لم يجعل من تعليم الكنيسة ان مفتاحًا يستخدم في فتح كنوز السماء وآخر في فتح كنوز الارض

وقال في مكان آخر انهُ يستحيل على الانسان ان يكون مسيحيًّا من دون امتلاك المسيح واذا امتلك المسيح فانهُ يمتلك في الوقت نفسهِ كل ما يختص بالمسيح. وما يعطي السلامة لضمائرنا هو انهُ بالايمان لاتبقى خطايانا لنا بل تصير للمسيح الذي وضعها الله جميعها عليهِ ومن الجهة الاخرى كل برّ المسيح يختص بنا نحن الذين اعطانا الله اياهُ فان المسيح يلقي يدهُ علينا فنبرا ويطرح رداءهُ علينا فنتظلل لانهُ هو المخلص المجيد المبارك الى الابد انتهى. فمع هذه الآراء من جهة غنى الخلاص بيسوع المسيح لم يبقَ احتياج الى الغفرانات. وبينما قاوم لوثيروس البابابوية تكلم كلامًا حسنًا عن لاون العاشر قائلاً ان الازمنة التي نحن فيها هي ردية بهذا المقدار حتى ان اسمى الناس لايقدرون ان يساعدوا الكنيسة فان لنا في الحاضر بابا صالحًا جدًّا لاون العاشر فان خلوصهُ وعلمهُ يملآننا فرحًا ولكن ماذا يمكن هذا الرجل الوحيد مع كل لطفهِ وحلمهِ ان يفعلهُ فانهُ يستحق ان يكون بابا في ايام افضل من هذه واما في ايامنا فلا نستحق الاَّ اناسًا كيوليوس الثاني واسكندر السادس

ثم تقدم الى المقصود فقال اني اقول ما اعنيهِ بجراءة واختصار اعني ان الكنيسة تحتاج الى اصلاح وهذا لا يمكن ان يكون عمل انسان مفرد كالبابا او عمل اناس كثيرين كالكردينالية والمجامع بل يجب ان يكون عمل كل العالم او بالحري هو عمل يختص بالله وحدهُ واما الزمان الذي يبتدئ فيهِ هذا الاصلاح فانما يعلمهُ من خلق الزمان الى ان قال ان الدفة قد كُسِرَت ولم يبقَ في طاقتنا ان نضبط الامواج القوية التي تغشانا

فهذا مثال للاقوال والافكار التي خاطب بها لوثيروس اهالي بلادهِ المتنورين . ثم اقترب عيد العنصرة وفي نفس الفصل الذي فيهِ شهد الرسل لخلصهم القائم من الاموات الشهادة الاولى لايمانهم اذاع لوثيروس الرسول الجديد هذا الكتاب المهيج الذي فيهِ نادى بقيامة للكنيسة. ويوم السبت في ٢٢ ايار سنة ١٥١٨ ليلة عيد العنصرة ارسل هذا الكتاب الى رئيسهِ اسقف برندنبرج صحبة المكتوب الآتي

ايها الاب الفاضل بالرب . قد مضت مدة منذ ابتدا التعليم الجديد غير المسموع بهِ المتعلق بالغفرانات يُنادَى بهِ في هذه البلاد واضطرب منهُ العلماء والجهلاء وان اشخاصًا كثيرين اعرف البعض منهم والبعض الآخر لا اعرفهُ شخصيًا طلبوا مني ان اشهر بالوعظ او بالكتابة فكري عن غرابة هذا التعليم حتى لا اقول وقاحتهُ وفي اول الامر صمتُّ وتاخرت ولكن اخيرًا وصلت الامور الى هذا الحد حتى ان قداسة البابا قد أُدخل فيهِ. فماذا كنت اقدر ان اعملهُ وكنت اظن انهُ يجب عليَّ ان لا اقبل ولا ارفض هذه التعاليم بل ان اقيم جدالًا في هذا الامر المهم الى ان تحكم الكنيسة المقدسة . واذ لم يقبل احد دعوتي الى النزال الذي دعوت اليهِ جميع العالم وحُسِبَت قضاياي لا قضايا جدلية بل احكامًا راهنة رايت نفسي ملتزمًا ان اشهر تفسيرًا لها فتنازل اذًا ايها الاسقف الرحوم واقبل هذه الاشياء الحقيرة التي اقدمها اليك ولكي يرى كل العالم اني لا اعمل بجسارة ومن دون فكر اترجاك ان تاخذ قلمًا وحبرًا وتمحو او تطرح في النار ايضًا وتحرق كل ما لا يعجبك فانا اعلم ان يسوع المسيح لا يحتاج الى اتعابي ولا الى خدماتي وانهُ يعلم كيف يُنادى ببشارتهِ للكنيسة من دون اسعافي وليس هذا لان مناشير اعدائي وتهديداتهم تخيفني ولكن بالعكس ولو لم يكونوا هكذا وقحين وعديمي الحياء بهذا المقدار لما سمع احد بي ولَخَبأْت نفسي في زاوية وهناك ادرس وحدي لاجل منفعتي الخصوصية وان كان هذا الامر ليس لله فلا شك انهُ لا يبقى لي ولا لانسان آخر بل للعدم فلتكن الكرامة والمجد لذلك الذي

يختصان بهِ وحدهُ

وكان لوثيروس لم يزل موعبًا وقارًا للذي زعمهُ راس الكنيسة فظن ان لاون عادل ومحب خالص للحق ولهذا عزم على الكتابة اليهِ وبعد ذلك باسبوع في احد الثالوث في ٣٠ ايار سنة ١٥١٨ اكتب مكتوبًا نذكر بعض القطع منهُ

ان مرتينوس لوثيروس الاخ الاوغسطيني يطلب الخلاص الابدي للاب الكلي الغبطة لاون العاشر الاسقف الاعظم

بلغني ايها الاب الاقدس انتشار اخبار ردية عني وان اسمي هو منتن الرائحة لدى قداستك فانهم يدعونني اراتيكيًا ومبتدعًا وخائنًا والوفًا اخر من الالقاب المهينة فما اراهُ يملأُني حيرةً وما اعلمهُ يملأُني خوفًا ولكن الاساس الوحيد لطانينتي لم يزل موجودًا وهو ضمير خالص سليم فانعم باصغائك اليَّ ايها الاب الاقدس اليَّ انا الذي لست سوى ولدٍ واميّ

وبعد ان ذكر لوثيروس اصل كل القضية يستتلي قائلاً فانهُ في جميع الحوانيت لم يكن يُسمَع شيءٌ الاَّ تشكيات من بخل الاكليروس ومعارضات على سلطان المفاتيح وعلى الاسقف الاعظم وكل جرمانيا شاهدة على ذلك وعند ما بلغتني هذه الامور نهضت غيرتي لاجل مجد المسيح كما ظهر لي. او كما يظهر للبعض النهب دم الشبيبة الحار . وقد حذَّرت كثيرين من امراء الكنيسة ولكن بعضهم ضحكوا عليَّ وبعضهم حولوا نحوي اذنًا صمَّاء لان هيبة اسمك ظهر انها قد منعت كل واحد وحينئذٍ اشهرت جدالي . فانظر ايها الاب الاقدس الى الاحراق الذي يسوغ ان يُقال انهُ قد اضرم العالم باسرهِ

فماذا اعمل الآن. فاني لا اقدر ان ارجع بما قلتهُ وارى ان هذه الاشاعة تجلب عليَّ بغضة لا تُدرَك من كل جانب . ولا لي ارادة ان اظهر قدَّام العالم لانهُ ليس لي علم ولا عقل وانا صغير جدًّا عن هذه الامور العظيمة ولاسيما في هذا العصر الشهير الذي لو عاش فيهِ شيشرون نفسهُ لالتزم ان يخبئ نفسهُ في زاوية مظلمة. ولكن لكي اسكن اخصامي واجيب الى سؤَالات اصدقاء كثيرين اشهرت افكاري

في هذه الرسالة وقد اشهرتها ايها الاب الاقدس لكي اكون في امن اعظم تحت ظل جناحيك فكل من شاء يقدر بهذه الطريقة ان يفهم باي بساطة قلب طلبت من السلطة الكنائسية ان ترشدني واي اعتبار ابديته نحو سلطان المفاتيح ولو لم اتصرف باستقامة لما امكن المولى الحليم فردريك دوك سكسونيا ومنتخبها المتلالي بين اصدقاء الحق الرسولي المسيحي ان يحتمل قط في مدرستهِ في وتمبرج انسانًا هكذا موذيًا كما يُدَّعى عليَّ باني هو . وهذا السبب ايها الاب الاقدس اترامى على قدمي قداستك واخضع نفسي لك بكل ما لي وبكل ما انا عليهِ فلاشِ عملي او حامِ عنهُ واشهرني مصيبًا او مخطئًا وخذ حياتي او ردَّها كما تهوى فاني اعتبر صوتك صوت يسوع المسيح الذي يحل ويتكلم فيك فان كنت قد استوجبت الموت فلا استنكف منهُ فان الارض للرب وملأها فليكن مسبحًا الى الابد آمين وليحفظك الى الابد آمين

حُرّر بيوم عيد الثالوث الاقدس سنة ١٥١٨

مرتينوس لوثيروس الاخ الاوغسطيني

فكم من التواضع والصدق في خوف لوثيروس او بالحري في اقرارهِ الصريح بان دمهُ الفتائي الحار ربما التهب بسرعة اكثر من الواجب وفي ذلك نرى خلوص انسان خالٍ من الادّعاء يخاف من سطوة اهوائهِ في نفس الاعمال التي هي الاكثر مطابقة لكلام الله وهذه العبارات تختلف جدًّا عن عبارات موسوس متكبر ونرى في لوثيروس رغبة وقّادة في ان يربح لاون الى جانب الحق ويمنع كل انشقاق ويجعل الاصلاح الذي نادى بضروريتهِ يخرج من راس الكنيسة وبالحقيقة لا يسوغ ان يقرّف مثل هذا بملاشاة تلك الوحدة في الكنيسة الغربية التي تأسّس عليها منذ ذلك الوقت اناس كثيرون جدًّا من كل الاحزاب فانهُ ضحّى كل شيء لكي يحفظها اي كل شيء ما عدا الحق فلم يكن هو الملاشي ولكن اخصامهُ الذين من جراء إبائهم الاقرار بكمال وكفاءة الخلاص الذي عملهُ يسوع المسيح مزقوا قميص المسيح عند قاعدة الصليب. وبعد ان كتب

لوثيروس هذا المكتوب كتب في اليوم نفسهِ الى صديقهِ ستوبتز النائب العام لرهبنتهِ وطلب ان الايضاحات والمكتوب تبلغ لاون على يدهِ. فقال اترجاك ان تقبل باحسان هذه الاشياء الحقيرة التي ارسلها اليك وترسلها الى البابا الفاضل لاون العاشر ولست اقصد بذلك ان اجتذبك الى الخطر الذي انا مكتنفٌ بهِ لاني انا عازم على ملاقاة الخطر وحدي ويسوع المسيح يرى هل ما قلتهُ ناتج منهُ او مني اي يسوع المسيح الذي بدون ارادتهِ لا يقدر لسان البابا ان يتحرك ولا قلوب الملوك ان تحكم . واما الذين يتهددونني فاجيبهم بقول ربوخلن ان من كان فقيرًا لايخاف شيئًا اذ ليس لهُ شيءٌ يخسرهُ فليس لي ملك ولامال ولا ارغب شيئًا من ذلك واذا كنت قد حصلت قبلاً على كرامة او صيت فدع الذي ابتدا ينزع ذلك عني يكمل عملهُ وكل ما تبقّى لي فانما هو جسد شقي انهكتهُ البلايا الكثيرة فان قتلوني بحيلة او بقهر فليكن المجد لله فانهم بذلك ربما يقصّرون حياتي ساعة او ساعتين وحسبي ان لي فاديًا كريمًا وحبرًا عظيمًا قد برًا يسوع المسيح ربي فاني اعترف لهُ ما دمت حيًّا فان لم يشاركني آخر في هذه التسابيح فماذا ذلك اليّ

ومن هذه الكلمات نطّلع على اعماق قلب لوثيروس

وبينما نظر لوثيروس هكذا بثقة نحو رومية اهتمت رومية في الانتقام منهُ حتى انهُ باكرًا في ثالث نيسان كان الكردينال رافائيل من ريفيرا قد كتب الى الملك المنتخب فردريك باسم البابا يلمح لهُ بانهُ قد ضعفت الثقة باستقامة ايمانهِ ويحذرهُ من حماية لوثيروس فقال لوثيروس ان الكردينال رافائيل بود جدًّا لو راى فردريك يامر بحرقي . فهكذا اخذت رومية في شحذ سلاحها على لوثيروس فارادت ان ترشقهُ بالسهم الاول ولو نجحت في اخراب ذلك الحصن الذي التجأ اليهِ راهب وتبرج لصار فريسة هينة عليها

وكان امراء جرمانيا محافظين على صيتهم من جهة استقامة ايمانهم فكانت ادنى تهمة بالارتقة تملأهم رعبة واستخدم بلاط رومية بحذاقة هذا الميل اما

فردريك فكان دائمًا متمسكًا بديانة اجداده ومن ثم اثَّر مكتوب رافائيل تاثيرًا عميقًا في ضميره ولكن كان من عادة الملك المنتخب ان لا يفعل قط شيئًا بالعجلة وعرف ان الحق ليس دائمًا مع الجانب الاقوى وعلمهُ الاختلافات بين المملكة ورومية ان لا يركن الى اغراض ذلك البلاط النفسانية وعرف انهُ ليس من الضرورة ان يكون عبدًا للبابا لكي يكون اميرًا مسيحيًا . وقال ملانكثون ان فردريك لم يكن من جملة اولئك الاشخاص العالميين الذين يامرون بتوقيف جميع التغييرات حالما تبتدئ . فسلم فردريك امرهُ لله فقرا باجتهاد الكتابات التي ظهرت ولم يسمح باخراب ما اعتقد بصحتهِ ولم يكن ذلك من عجزهِ لانهُ فضلاً عن كونهِ مستقلاً في ولاياتهِ كان لهُ في المملكة اعتبار لم ينقص الاَّ قليلاً جدًّا عن الاعتبار المقدم للامبراطور نفسهِ

ومن المحتمل ان لوثيروس بلغهُ شيءٌ من مكتوب الكردينال رافائيل هذا المرسل الى الملك المنتخب في ٧ تموز وربما كان الاحتساب من الحرم الذي اوعز اليهِ هذا المكتوب الروماني هو الذي حمل لوثيروس على الدخول في منبر وتمبرج في ١٥ تموز وتقديم خطبة في هذا الموضوع حصل منها تاثير عميق فجعل تمييزًا بين الحرم الظاهر والحقيقي . الاول يمنع من احتفالات الكنيسة والثاني من الشركة مع الله فقال انهُ لا يقدر احدٌ ان يصالح الخاطي الساقط مع الله الاَّ الازلي ولا يقدر احد ان يفصل الانسان عن الله الاَّ الانسان نفسهُ بواسطة خطاياهُ فطوبى للذي يموت تحت حرم جائر فانهُ اذ يحتمل قصاصًا مؤلمًا من ايدي الناس لاجل برّهِ ينال من يد الله اكليل السعادة الابدية . فمدح البعض من السامعين بصوت عالٍ هذه العبارات الجسورة والبعض الاخر لم يزدد الاَّ حنقًا بها

ولم يلبث لوثيروس وحدهُ في المعركة ومع ان ايمانهُ لم يكن يحتاج الى عون آخر غير عون الله كان قد نما حولهُ عسكر انصار حماهُ من اعدائهِ فان شعب جرمانيا سمع صوتهُ ومن خطبهِ وكتاباتهِ انبعث اشعة نور نبَّه معاصريهِ وانارهم

وارسل نشاط ايمانهِ ألسنة من نار على قلوبهم الجلدة . والحيوة التي وضعها الله في هذا العقل الغريب اتصلت بجسد الكنيسة المائت . والعالم المسيحي الذي بقي بلا حركة منذ قرون كثيرة تحرك بغيرة دينية وقادة وصار تعلق الناس بخرافات الرومانيين يتناقص يومًا فيومًا وقلت الايدي لتقديم الدراهم في شراء الغفران . وفي الوقت نفسهِ كان صوت لوثيروس لا يزال آخذًا في التزايد فاتجه الشعب نحوهُ وسلموا عليهِ بمحبة واحترام كمحامي الحق والحرية الشجاع . ولا شك ان جميع الناس لم يروا عمق التعاليم التي نادى بها لانهُ كفى الجزء الاعظم معرفتهم بانهُ قام ضد البابا وان سلطان الخوارنة والرهبان قد تزعزع بقوة كلمتهِ وكانت مقاومة لوثيروس في عيونهم كالمنارات المتوقدة على الجبال لتبشر الامة باسرها بانهُ قد حان الوقت لقطع قيودها ولم ينتبه لوثيروس الى ما كان قد عملهُ حتى حياهُ الكرماء العقول من الامة قائدًا لهم على ان قيام لوثيروس كان اكثر من ذلك عند عدد كبير من الناس فان كلام الله الذي نادى بهِ بحذاقة خرق قلوبهم نظير سيف ذي حدين واضطرمت في صدور كثيرة رغبة شديدة في نوال وثيقة الغفران والحيوة الابدية ومنذ القرون الاولى لم تعاين الكنيسة مثل ذلك الجوع والعطش للبر وكانت فصاحة بطرس الحبيس والقديس برنردس قد حرَّكت شعوب الاعصار المتوسطة الى لبس الصليب الفاني اما فصاحة لوثيروس فاقنعت اهالي عصرهِ بحمل الصليب الحقيقي اي الحق الذي يخلص فالخرافات التي كانت حينئذٍ تغشي الكنيسة كانت قد عطَّلت كل شيء والصورة كانت قد لاشت الحيوة واما اللغة القوية المعطاة لهذا الرجل فانبعث منها نسمة محيية على وجه العالم المسيحي . وفي اول الامر حملت قضايا لوثيروس المؤمنين وغير المؤمنين على حدٍّ سواء اما غير المؤمنين فلان التعاليم الايجابية العتيدة بعد ذلك ان تثبت لم تكن قد ظهرت بعد على التمام واما المؤمنون فلان اصولها كانت موجودة في ذلك الايمان الحي الذي نادى بهِ بكتاباتهِ بتلك القوة ومن ثمَّ كانت مفاعيل تلك الكتابات لا تُقدَّر فانها

ملأَت حالاً جرمانيا وسائر العالم وفي كل موضع غلب الاقناع السري بان الناس عن قريب يعاينون لا قيام طائفة جديدة بل ميلادًا جديدًا للكنيسة والهيئة الاجتماعية واولئك الذين كانوا حينئذٍ مولودين من الروح القدس احدقوا بالذي كان آلةً لهُ وكان العالم المسيحي مقسومًا الى حزبين الواحد يحارب مع الروح ضد الصورة والآخر مع الصورة ضد الروح ولا يخفى انهُ كان الى جانب الصورة كل علامات القوة والعظمة واما الى جانب الروح فلم يكن الاَّ العجز وكل ما لا يعتد بهِ واما الصورة الخالية من الروح فليست الاَّ جسدًا ضعيفًا يلقيهِ اول نسمة من الريح وقوتها الظاهرة لا تفيد الاَّ لتحريك العناد وتعجيل هلاكها وهكذا كلمة الحق البسيطة اقامت جيشًا قويًّا للوثيروس

الفصل الثاني

الديوان في اوجسبرج . خضوع الامبراطور للبابا . طلب لوثيروس الى رومية . رسالة البابا الى الملك المنتخب

وكان العون المشار اليهِ ضروريًّا جدًّا لان الاشراف ابتدأُوا يخافون واخذت المملكة والكنيسة في الاتحاد معًا على التخلص من ذلك الراهب المزعج ولو كان حينئذٍ على التخت الملكي ملك قوي شجاع لاغتنم الفرصة في تلك الحركة الدينية وهيَّج بالاتكال على كلمة الله وعلى الشعب حركة جديدة للمضادة القديمة بين المملكة والباباوية ولكن مكسيمليان كان قد شاخ وكان قد عزم ايضًا على استعمال كل الوسائط للوصول الى مقصد حياتهِ وهو تعظيم بيتهِ وبالتالي ترقية ابن ابنهِ الى التخت وكان الامبراطور في ذلك الوقت عاقدًا مجمعًا ملكيًّا في اوجسبرج وذهب الى هناك بامرهِ ستة من المنتخبين فكان هناك وكلاء لجميع الاقاليم الجرمانية واما ملوك فرانسا وهنكاريا وپولونيا فارسلوا سفراءهم واظهر

هولاء الامراء والسفراء مجدًا عظيمًا عالميًا وكانت حروب الاتراك من جملة الاسباب التي لاجلها انعقد ذلك المجمع واحّ وكيل لاون العاشر جدًا بالاجتماع لاجل تلك القضية واما الولايات اذ استفادوا حكمة من سوء استعمال ما قدموهُ في السابق فتبعوا مشورة المنتخب فردريك واكتفوا بالقول انهم يتبصرون في هذا الامر وفي الوقت نفسهِ اصدروا تشكيات جديدة من رومية واُشهِر في مدة الاجتماع خطاب لاتيني اشار بجسارة الى الخطر الحقيقي الذي كانت فيهِ امراء جرمانيا . قال مولفهُ انكم ترغبون ان تهزموا الاتراك فنعما ذلك ولكنني انا خائف جدًا من انكم تخطيون عن العدو فيجب ان تفتشوا عليهِ في ايطاليا لا في اسيا

وقضية اخرى ليست باقل اهتمامًا كانت من جملة اعمال ذلك المجمع فان مكسيميليان اراد ان ابن ابنهِ كرلوس ملك اسبانيا ناپلي يُنادى باسمهِ ملكًا للرومانيين وخليفتهُ في المقام الامبراطوري وكان البابا اخبر بصالحهِ من ان يرغب في ان يرى على التخت الملكي اميرًا يكون سلطانهُ في ايطاليا خطرًا على سلطان البابا وزعم الامبراطور انهُ قد استجلب الى رايهِ اكثر المنتخبين والولايات ولكن فردريك قاومهُ مقاومة شديدة وكل المشيرين وكل اصحابهِ اجتهدوا عبثًا ان يغيّروا فكرهُ وبيّن حينئذٍ كما بيّن مرارًا كثيرة ان لهُ عزمًا ثابتًا لا يحول عما تحقق بانهُ الواجب فقصر الامبراطور عن مطلوبهِ . ومن ذلك الوقت فصاعدًا كان هذا الامير يطلب انشراح خاطر البابا وذلك لكي يصيّرهُ عضدًا لهُ في اعمالهِ ولكي يعطي برهانًا اقوى على اتحادهِ معهُ كتب اليهِ بما ياتي وذلك في ٥ آب بقول ايها الاب الاقدس بلغنا منذ ايام قليلة ان اخًا من رهبان اوغسطينوس يُقال لهُ مرتينوس لوثيروس قد تظاهر بالتمسك ببعض القضايا في بيع الغفرانات وذلك يغمنا اكثر لان هذا الاخ وجد محامين كثيرين من جملتهم اناس من اصحاب الرتب السامية فاذا كانت قداستك واباء الكنيسة الكلّيو الوقار (اي الكردينالية) لا تستعملون سريعًا سلطانكم في ابطال هذه

الشكوك فهولاء المعلمون المؤذون لا يكتفون باخداع الشعب البسيط فقط بل يدخاون امراء عظاماً في هلاكهم ونحن نجتهد بالزام كل المملكة بكل ما تحكمون بهِ قداستكم في هذه القضية لاجل مجد الله

ولا بدَّ ان هذا المكتوب كُتِب حالاً بعد منافسة شديدة بين مكسيميليان وفردريك وفي ذلك اليوم بعينهِ كتب الملك المنتخب الى رافائيل من روفيرا ولا بدَّ انهُ كان قد بلغهُ ان الامبراطور كتب الى الحبر الروماني ولكي يستلقي الضربة اخذ في مكاتبة رومية وقال اني لا ارغب ابداً امراً آخر الاَّ اظهار خضوعي للكنيسة العامة. ومن ثمَّ لم احامِ قط عن كتابات المعلم مرتينوس لوثيروس ولا عن خطبهِ وعدا ذلك قد بلغني انهُ طلب دائماً ان يحضر تحت صك الامان امام قضاة علماء خالي الغرض مسيحيين لكي يحامي عن تعليمهِ ويخضع اذا أُقنع بواسطة الكتب المقدسة نفسها انهُ في غلط

واما لاون العاشر الذي كان الى ذلك الوقت قد ترك القضية تتبع مجراها الطبيعي فاذ نبهَّهُ صراخ اللاهوتيين والرهبان عيَّن مجمعاً كنائسياً في رومية لاجل فحص لوثيروس وأُقيم فيهِ سلوستر بريريو عدوهُ الكبير شاكياً وقاضياً فاستعد المجمع سريعاً وامر الديوان لوثيروس ان يحضر امامهُ بشخصهِ في مدة ستين يوماً

اما لوثيروس فاذ انتظر بهدوء في وتمبرج النتائج الحسنة التي توهم ان مكتوبهُ اللطيف الى البابا يحدثها وصل اليهِ في ٧ آب وذلك بعد ان ارسل مكسيميليان وفردريك كتابتهما بيومين اوامر من الديوان الروماني بالحضور فقال انهُ في نفس الدقيقة التي انتظرت فيها البركة رأيت الصاعقة تسقط عليَّ فاني كنت الحمل الذي كدر الماء الذي كان الذئب يشرب منهُ فان تنزل نجا واما انا فالتزمت ان اسمح لنفسي ان أُبتلَع. واحدثت تلك الاوامر خوفاً عمومياً في وتمبرج لانهُ في اي طريق اخذ لوثيروس لم يسلم من الخطر فان ذهب الى رومية يصير هناك فريسةً لاعدائهِ وان ابى يحكم عليهِ بالعصاوة كما كانت

العادة من دون اقتدار على النجاة لانهُ كان معروفًا عند الجميع ان الرسول البابوي بيدهِ اوامر ان يعمل كل ما امكنهُ لكي يهيج الامبراطور وجميع امراء جرمانيا ضد لوثيروس فامتلأ اصدقاؤهُ حيرةً فهل يجب ان واعظ الحق يلقي نفسهُ في خطر الموت في تلك المدينة العظيمة السكرى من دماء القديسين ومن دماء شهداء يسوع وهل يُرفَع راس سيف وسط العالم المسيحي المستعبد لكي يسقط فقط وهل يُصرَع ايضًا هذا الرجل الذي يبين ان الله قد صوَّرهُ لكي يقاوم سلطةً لم يقدر قبل ذلك احد على مقاومتها فراى لوثيروس انهُ لا يقدر احد ان يخلصهُ الاَّ الملك المنتخب ولكن كان احب اليهِ الموت من ان يُوقع اميرهُ في صعوبة واخيرًا اتفق اصدقاؤهُ على حيلة لا يكون منها خطر على فردريك وقالوا لينكر على لوثيروس ورقة امان وحينئذٍ يكون للمصلح عذر شرعي في عدم حضورهِ الى رومية

وفي ٨ آب كتب لوثيروس الى سپالاتين يترجاهُ ان يتوسط لهُ عند المنتخب بان تُسمَع دعواهُ في جرمانيا وكتب الى ستوبتز قائلاً انظر ما هي الفخاخ التي نصبوها لي وكيف انا محاط بالاشواك ولكن المسيح يحيا ويملك وهو هو امسًا واليوم والى الابد وضميري يحقق لي باني قد علَّمت الحق ولئن كان اكره عندهم لانني انا الذي اعلّم بهِ فالكنيسة هي رحم رفقة فلا بدَّ ان الاولاد تزدحم معًا حتى يكون منهم خطر على حيوة الام واما من جهة الباقي فاسال الرب ان لا اشعر بفرح مفرط في هذه التجربة وانا اسال الله ان لا يحسب لهم هذه الخطية

ولم يقتصر اصدقاء لوثيروس على المشاورات والتشكيات وكتب سپالاتين عن لسان المنتخب الى رنار كاتب الامبراطور قائلاً ان المعلم مرتينوس لوثيروس يقبل ان يُحكَم عليهِ من جميع مدارس جرمانيا ما عدا مدرسة ليپسك وارفرت وفرنكفورت على الاودر اللاتي تظاهرت بالتعصب عليهِ ولا يمكن ان يحضر الى رومية بنفسهِ. وكتبت مدرسة وتنبرج مكتوب ترجٍّ الى البابا تقول فيهِ عن لوثيروس ان ضعف بنيتهِ واخطار السفر تجعل طاعتهُ لاوامر قداستك امرًا

شاقًا عليهِ وغير ممكن ايضًا ثم ان ضيق نفسهِ وصلواتهِ تميل بنا الى الشفقة عليهِ ومن ثمَّ نترجاك ايها الاب الاقدس كاولاد مطيعين ان تنظر اليهِ كرجل لم يتلطخ قط بتعاليم مضادة لرايات الكنيسة الرومانية. وكتبت المدرسة في اليوم نفسهِ الى كرلوس من ملتز رجل سكسوني خادم للبابا الذي كان معتبرًا جدًّا عند لاون العاشر وفي هذا المكتوب شهدوا للوثيروس شهادةً اثبت من التي شهدوا بها في المكتوب الى البابا بقولهم ان الاب المحترم مرتينوس لوثيروس الاوغسطيني هو افضل اعضاء مدرستنا واشهرهم وقد راينا مدة سنين عديدة مواهبهُ وعلمهُ ومعرفتهُ العميقة بالفنون والآداب وسيرتهُ التي لا لوم فيها وسلوكهُ المسيحي الحقيقي. وتلك المحبة النشيطة التي ابداها نحو لوثيروس جميع الذين حولهُ هي افضل مديح لهُ

واذ توقَّع الناس بعناء نهاية هذا الامر انتهى باوفر سهولة مما كان يُنتظَر. والرسول دي ڤيو اذ خاب املهُ من العمل الذي أُرسِل لهُ وهو تهييج حرب عمومية ضد الاتراك اجتهد ان يرفع شان سفارتهِ ويعطيها رونقًا في جرمانيا بواسطة عمل آخر جليل وظن انهُ اذا قدر على ملاشاة الاراتقة يرجع الى رومية معتزًّا ولهذا طلب من البابا ان يسلم هذا الامر اليهِ وانسرَّ لاون جدًّا من فردريك لاجل مضادتهِ بعزم انتخاب كرلوس الفتى وشعر انهُ ربما يحتاج ايضًا الى مساعدتهِ وهو بدون التفات الى اوامرهِ السابقة كتب الى الرسول في ٢٣ آب ان يفحص عن القضية في جرمانيا والبابا لم يخسر شيئًا بهذا العمل وان لم يقدر على اقناع لوثيروس بالرجوع عن رايهِ فان الضجة والشكوك التي تحدث من حضورهِ الى رومية يتخلص منها . وقال لاون نأْمرك ان تُحضِر شخصيًّا امامك وتتبع وتقبض من دون تأَخُّر حالما تصل اليك ورقتنا هذه لوثيروسَ المذكورَ الذي قد اشهرهُ اراتيكيًّا اخونا العزيز ابرونيموس اسقف اسكولي. ثم اخذ البابا باشد التهديدات ضد لوثيروس قائلاً فاطلب لاجل نوال هذا المقصد ذراع ومساعدة ولدنا العزيز جدًّا بالمسيح مكسيمليان والامراء الآخرين الجرمانيين وجميع الجمعيات

والمدارس واصحاب الاقتدار من كنائسيين ومدنيين واذا قبضت عليهِ فاحفظهُ باسر حريز لكي يؤتى بهِ الينا

فنرى ان هذا التسليم من البابا انما كان واسطة اوثق لارسال لوثيروس الى رومية ثم يتلو ذلك كلام اللطف وهو قولهُ. واذا رجع الى واجباتهِ وطلب الصفح عن هذا العمل القبيح جدًّا من مجرد اختيارهِ ومن دون انتداب فاننا نعطيك سلطانًا ان تقتبلهُ في وحدة امّنا المقدسة الكنيسة . ثم رجع البابا عاجلاً الى لعناتهِ قائلاً واذا اصرَّ على عنادهِ ولم تقدر على القبض عليهِ فاننا نعطيك سلطانًا ان تشهر اسمهُ في كل قسم من جرمانيا وان تنفي وتلعن وتحرم جميع الذين هم مرتبطون معهُ وان تأْمر جميع المسيحيين ان يهربوا من معاشرتهم . ولم يكتفِ بذلك بل زاد عليهِ قولهُ ولكي يستأْصل هذا المرض السامّ على اكمل منوال فاحرم جميع الاساقفة والرهبنات والمدارس والجمعيات والامراء والاشراف واصحاب الاقتدار (واما الامبراطور مكسيمليان فانهُ دائمًا مُستثنًى) الذين لا يساعدون في القبض على مرتينوس لوثيروس المذكور واتباعهِ ولا يرسلونهم اليك تحت حراسة جيدة امينة وان كان لاسمح الله الامراء المشار اليهم والجمعيات والمدارس واصحاب الاقتدار او الذين يختصون بهم يعطون ملجأً لمرتينوس المذكور واتباعهِ ويعضدونهُ سرًّا او جهرًا بانفسهم او بواسطة الآخرين فاننا نربط جميع اولئك الامراء والجمعيات والمدارس واصحاب الاقتدار مع مدنهم وبلدانهم واقاليمهم وقراهم وكذلك المدن والقرى التي يلتجئ اليها مرتينوس المذكور ما دام باقيًا فيها وبعد خروجهِ منها بثلاثة ايام

وهذا الكرسي الوقح الذي يدَّعي انهُ نائب على الارض لذلك الذي قال لم يرسل الله ابنهُ الى العالم ليدين العالم لكن لينجي بهِ العالم داوم لعناتهِ وبعد ان حكم بالتاديبات على الكنائسيين تقدم وقال

واما العوام فان لم يطيعوا حالاً اوامرك من دون تأَخُّر ولا مقاومة فاننا نشهرهم ارديا‌ء (واما الامبراطور فانهُ دائمًا مُستثنًى) مقطوعين عن مباشرة شيء

من الاعمال الناموسية ومُحرَمين من الدفن المسيحي ومُعدَمي جميع الاملاك التي بيدهم من الكرسي الرسولي او من اي مولًى كان

فهذا هو القضاء الذي وقع على لوثيروس فرئيس اساقفة رومية استدعى كل شيء لهلاكهِ ولم يترك شيئًا حتى ولا هدو القبر وبان ان هلاكهُ صار محققًا فكيف يمكنهُ ان يهرب من تلك الرابطة الردية المتسعة الآن رومية كانت منخدعة فان العمل الذي ابتدا بروح الله لا يمكن ابطالهُ بواسطة احكام ديوانها.

ولم يكن البابا قد احتفظ على ظواهر فحص عادل لا غرض فيهِ فان لوثيروس كان قد حُكِم عليهِ بانهُ اراتيكي ليس قبل ان يسمع منهُ فقط بل ايضًا قبل انتهاء الزمان المرخَّص لهُ بالحضور فيهِ فان المرامات النفسانية التي لا تظهر قط اكثر شراسة في شيء مما تظهر في الجدالات الدينية تتجاوز كل حدود العدالة وتصادف اعمالاً غريبة كهذه من هذا القبيل ليس في الكنيسة الرومانية فقط بل ايضا في كنائس البروتستانت التي حادت عن الانجيل وفي كل مكان خالٍ من الحق كل شيء جائز ضد الانجيل ومرارًا كثيرة نرى الناس الذين يتحذرون في جميع الامور الأُخَر من ارتكاب ادنى ظلم لا يخافون من ان يدوسوا تحت ارجلهم كل قانون وشريعة في كل ما يلاحظ الديانة المسيحية او الشهادة المعطاة لها

واذ اطَّلع لوثيروس على هذا المكتوب اظهر غيظهُ منهُ بقولهِ ان هذا هو اغرب جزء في هذه القضية فان المكتوب صدر في ٢٣ آب وانا قد أُمِرت بالحضور في ٧ آب فالمدة بين صدور اوامر حضوري وهذا المكتوب ستة عشر يومًا فاحسب الآن ترَان سيدي ابرونيموس اسقف اسكولي ابتدا في مقاومتي وحكم عليَّ اراتيكيًا قبل وصول الاوامر اليَّ او على الاكثر في مدة ستة عشر يومًا بعد ان أُرسِلَت اليَّ فاين الستون يومًا المرخَّص بها في الاوامر فانها ابتدأَت في ٧ آب وكان يجب ان تنتهي في ٧ تشرين الاول . أَهذه هي طريقة وعادة ديوان رومية الذي في يومٍ بعينهِ يدعو وينذر ويشكو ويحكم ويشجب ويشهر

ذنب انسان بعيد هكذا عن رومية ولا يعرف شيئًا من هذه الامور فبماذا يجيبون على هذا ولا شك انهم نسوا ان يشحذوا عقولهم قبل الالتجاء الى هذه الحيلة

وبينما وضعت رومية سرًّا صواعقها في يدي رسولها طلبت بواسطة كلام الحلاوة والتمليق ان تفصل عن لوثيروس الامير الذي خافت من سلطانهِ فان البابا في ذلك اليوم بعينهِ اي في ٢٣ آب سنة ١٥١٨ كتب مكتوبًا الى منتخب سكسونيا فالتجأ الى مخاتلات السياسة القديمة التي قد لاحظناها واجتهد في تمليق عجب المنتخب بقولهِ. ايها الابن العزيز اننا عند ما نفتكر بعائلتك الشريفة الفاضلة وبك انت زينتها وراسها وعند ما نتذكر كيف انك انت واجدادك قد اجتهدتم دائمًا بان تحاموا عن الايمان المسيحي وعن شرف الكرسي المقدس وعظمتهِ لا يمكننا ان نصدّق ان رجلاً ترك الايمان يمكنهُ ان يستند على سمو نعمتك ويطلق بجسارةٍ العنان لخبثهِ وقد بلغنا من كل جهة ان اخًا اسمهُ مرتينوس لوثيروس احد رهبان القديس اوغسطينوس قد نسي نظير ابن للشرير ومحتقر لله اسكيمهُ وطريقتهُ التي تقوم بالتواضع والطاعة وهو يفتخر بانهُ لا يخاف سلطان احد ولا قصاصهُ واثقًا بانعامك وحمايتك. ولكن بناءً على معرفتنا بانهُ مغشوش قد استحسنّا ان نكتب الى عظمتك ونحثّك بالرب ان تحافظ على شرف اسمك نظير امير مسيحي مجد عائلتك الشريفة وزينتها العطرة وان تبرّر نفسك من هذه المثالب وان تحفظ نفسك ليس فقط من ذنب ثقيل كهذا الذي نُسِب اليك بل ايضًا من التهمة التي تجلبها عليك وقاحة هذا الاخ الجسور

واخبر ايضًا لاون العاشر المنتخب بانهُ قد ارسل كردينال القديس سكستوس لاجل الفحص عن هذه الدعوى وطلب منهُ ان يسلّم لوثيروس الى يد الرسول ولاجل الحذر زاد على ذلك بقولهِ راجعًا الى برهانهِ الاول لئلّا يتأسف يومًا اتقياء ازماننا هذه او الازمان الآتية ويقولوا ان اضرّ الاراتقة التي ابتُليت بها كنيسة الله نبغت تحت انعام تلك العائلة السامية الفاضلة ومساعدتها. فهكذا كانت الطريقة التي استعملتها رومية فانها باليد الواحدة اثارت بخور التمليق

المسكر وباليد الاخرى امسكت خفيًا تهديداتها ونقمتها . وجميع قوات الارض الامبراطور والباباأ والامراء والقصّاد ابتدأوا في القيام على هذا الاخ المسكين الذي قد شاهدنا تجاريبهُ الداخلية . وقامت ملوك الارض والرؤساء اجتمعوا جميعًا على الرب وعلى مسيحهِ

الفصل الثالث

دعوة ملانكثون الى مدرسة وتمبرج

انهُ قبل وصول ذلك المكتوب والمنشور الى جرمانيا عند ما كان لوثيروس خائفًا من ان يُضطرَّ الى الحضور في رومية حصل على تعزية بواسطة حادثة موافقة لهُ فانهُ كان محتاجًا الى صديق يكشف اليهِ احزان قلبهِ ويعزيهِ بمحبة في ساعة ضيقهِ فاعطاهُ الله صديقًا بهذه الصفة وهو ملانكثون

كان جرجس شوارتسأرد سلاحيًا ماهرًا في برِتَن بلدة صغيرة في البلاتينيَّة وفي ١٤ شباط سنة ١٤٩٧ ولدت لهُ زوجتهُ ابنًا سُمّي فيلبس واشتهر في السنين التالية باسم ملانكثون وكان جرجس معتبرًا جدًّا عند الامراء البلاتينيين وامراء باقاريا وسكسونيا وكان رجلًا كامل التقوى فانهُ كثيرًا ما ابى قبول الثمن المقدَّم لهُ من المشتري اذا كان زائدًا واذا وجد ان المشتري فقير الزمهُ باسترجاع النقود وكانت عادتهُ ان يقوم من فراشهِ نصف الليل ويصلي صلوة حارة جاثيًا على ركبتيهِ واذا اصبح الصباح من دون ان يتم هذا العمل الصالح بقي كل النهار غير مرتضٍ من نفسهِ وكانت امرأتهُ بربارة ابنة قاضٍ معتبر اسمهُ يوحنا ريوتر وكانت رقيقة القلب تميل نوعًا الى الخرافات الَّا انها كانت في الامور الأُخَر صاحية فطنة وهي المؤلّفة بعض الابيات الجرمانية المشهورة على السنة الناس نحواها

الاحسان لا يُغفِر
الانطلاق الى الكنيسة لا يعيق
تزييت عجلات العربانة لا يؤخّر
الثروة الناتجة من الظلم لا تنفع
كتاب الله لا يغشّ
وهذه ايضًا

ان الذين يحبون الاسراف فوق ما تاتي بهِ حقولهم ينتهون الى الخراب محالةً او يُساقون الى المشنقة

ولم يكن فيلبس قد بلغ سن الحادية عشرة عند وفاة ابيهِ وقبل وفاتهِ بيومين دعا ابنهُ الى جانب سريرهِ واوصاهُ ان يكون خوف الله دائمًا امام عينيهِ وقال اني ارى عواصف هائلة عتيدة ان تزعزع العالم وشاهدتُ امورًا عظيمة ولكن سوف تحدث امورٌ اعظم منها اسال الله ان يرشدك ويهديك . وبعد ان قبل فيلبس بركة ابيهِ أُرسِل الى مدينة سپير لكي لا يكون حاضرًا عند موت ابيهِ فانطلق وهو يبكي بكاءً مرًّا . والقاضي ربوتر الفاضل جد فيلبس الذي كان لهُ ايضًا ابن عاملهُ معاملة اب واخذهُ واخاهُ جرجس الى بيتهِ وبعد ذلك بقليل استأجر يوحنا هنكاربوس لاجل تعليم الصبيان الثلثة فكان المعلم رجلًا فاضلًا نادى في السنين التابعة بالانجيل بكل حمية وبقي كذلك الى ان شاخ ولم يكن يتغاضى عن شيء في الغلام فأدّبهُ لاجل كل زلة ولكن بحكمة قال ملانكثون سنة ١٥٥٤ انهُ بذلك صيّرني معلمًا فاحبني كابن واحببتهُ كابٍ ولي رجاءٌ اننا سوف نلتقي في السماء. وكان فيلبس سريع الفهم قريب التناول يجود في ايضاح ما قد تعلمهُ فلم يكن يحب الكسل بل كان دائمًا يفتش على من يبحث معهُ في ما تعلمهُ وحدث مرارًا ان علماء غرباء مرّوا على برتن وزاروا ربوتر فكان حفيد القاضي يتقدم حالًا اليهم ويدخل في الحديث معهم ويضايقهم جدًا في الجدال حتى اندهل السامعون منهُ وقد اضاف الى قوة عقلهِ لطافة عظيمة وهكذا كان

مقبولاً لدى الجميع وكان يغمغم في كلامهِ الاَّ انهُ نظير الخطيب اليوناني الشهير اجتهد في اصلاح هذا العيب حتى لم يبقَ لهُ آثار في السنين التابعة. وعند موت جدهِ ارسلوهُ مع اخيهِ وخالهِ الفتى الى مدرسة بفورزهيم فاقام هولاء الشبان مع واحدة من اقاربهم اخت ريوخلن المشهور واذ كان فيلبس راغبًا في العلوم تقدَّم فيها بسرعة تحت يد معلمهِ جرجس سملار وعلى الخصوص في اللغة اليونانية التي عشقها جدًّا . واتى ريوخلن مرارًا كثيرة الى بفورزهيم فتعرَّف في بيت اختهِ بضيوفها الشبان واعتراهُ سريعًا العجب من اجوبة فيلبس فوهبهُ كتاب النحو والكتاب المقدس في اليوناني وكان هذان الكتابان عتيدين ان يكونا درسهُ مدة حياتهِ كلها. ولما رجع ريوخلن من سفرهِ الثاني الى ايطاليا عمل قريبهُ الفتى وهو حينئذٍ ابن اثنتي عشرة سنة احتفالاً لقدومهِ باحضارهِ امامهُ بمساعدة بعض اصدقائهِ مقامة لاتينية كان قد انشاها فانذهل ريوخلن من حذاقة الفتى واعتنقهُ بمحبة ودعاهُ ابنهُ العزيز ووضع بهزل على راسهِ البرنيطة الحمراء التي أُعطِيَت لهُ عند ما رُقِي الى رتبة عالِم وفي ذلك الوقت بدل ريوخلن اسم شوارتسأَرد باسم ملانكثون ومعنى الكلمتين احداهما في الجرماني والاخرى في اليوناني ارض سوداء وكان اكثر العلماء في تلك الايام يترجمون اسماءهم الى اليوناني او اللاتيني على هذا المنوال

ولما بلغ ملانكثون اثنتي عشرة سنة توجَّه الى مدرسة هيدلبرج واخذ يطفئ غليل ظمئهِ الى المعارف فرُقِّي الى الدرجة الاولى من العلوم وهو ابن اربع عشرة سنة وسنة ١٥١٢ دعاهُ ريوخلن الى توبنجن حيث اجتمع كثيرون من العلماء فكان يحضر بالدور خطب اللاهوتيين والعلماء والمشترعين ولم يكن يحسب فرعًا من العلوم غير مستحقٍ درسهُ ولم تكن غايتهُ المديح بل امتلاك العلوم وثمارها. وكانت الكتب المقدسة موضوعًا خصوصيًا لدرسهِ وذكر الذين ترددوا الى كنيسة توبنجن انهُ مرارًا كثيرة كان يمسك كتابًا بيدهِ يقراهُ في فترات الخدمة وهذا الكتاب غير المعروف كان اكبر من كتب الصلوات فشُيِّع خبر بان

فيلبس كان يقرا كتبًا عالمية في تلك الفترات. اخيرًا بان ان ذلك الكتاب هو الكتاب المقدس المطبوع منذ مدة قصيرة في باسل بعناية يوحنا فروبينيوس وواظب كل حياتهِ على الدرس بانصباب غير منقطع وحمل دائمًا هذا الكتاب الثمين حتى الى الاجتماعات المشتهرة التي دُعي اليها. فرفض طرائق اللاهوتيين الفارغة وتمسك بكلمة الانجيل الواضحة وكتب ايراسموس بالقرب من ذلك الوقت الى اكولمباذ يوس قائلاً انني انتظر امورًا عظيمة وسامية جدًّا من ملانكثون اسال الله ان هذا الغلام يعيش بعدنا زمانًا طويلاً فانهُ سوف يكسف ايراسموس على التمام الاَّ ان ملانكثون اشترك في غلطات جيلهِ. قال في اواخر حياتهِ انني اقشعرُّ عند افتكاري بالكرامة التي قدَّمتها للايقونات عند ما كنت لم ازل باباويًّا وسنة ١٥١٤ رُقّي الى درجة معلم الفلسفة وابتدا حينئذٍ يعلّم وعمرهُ سبع عشرة سنة والبديع والرونق الظاهران في تدريسهِ جعلاهُ يفوق كثيرًا الطريقة الناشفة التي اخذ فيها الى ذلك الوقت العلماء وعلى الخصوص الرهبان وتعصب تعصبًا نشيطًا في المماحكة الجارية بين ريوخلن ومبغضي العلم في ايامهِ. وكان مقبولاً في كلامهِ ولطيفًا وديعًا في اخلاقهِ ومحبوبًا من جميع الذين عرفوهُ فاكتسب سريعًا صولة عظيمة وصيتًا قويًّا بين العلماء

وفي ذلك الوقت عزم المنتخب على استدعاء معلم مشهور الى مدرسة وتمبرج لكي يعلم اللغات القديمة فطلب واحدًا من ريوخلن فقدَّم لهُ ملانكثون وراى فردريك الشهرة العتيدة ان تحصل بواسطة هذا الفتى للمدرسة المحبوبة جدًّا عندهُ وفرح ريوخلن بهذا الباب الشريف الذي انفتح امام صديقهِ الشاب فكتب اليهِ مقتبسًا قول الله لابرهيم ابي الآباء قائلاً اخرج من ارضك ومن قبيلتك ومن بيت ابيك وتعال الى الارض التي اريك ونكون مباركًا (تك ١٢: ١و٢) ثم استتلى قائلاً نعم انني اترجى انهُ هكذا يكون الحال معك يا عزيزي فيلبس وغرسي وعزائي. وحسب ملانكثون هذه الدعوة من الله وعند انطلاقهِ امتلأت المدرسة حزنًا الاَّ انهُ كان فيها اشخاصٌ غاروا منهُ

وحسدوهُ فترك مسقط راسهِ صارخًا لتكن ارادة الرب وكان عمرهُ حينئذٍ احدى وعشرين سنة

وسافر ملانكثون راكبًا فرسًا برفقة كثيرين من التجار السكسونيين كما يرافق المسافر القافلة في الصحاري لانهُ كما قال ربوخلن جهل الطرق والبلاد جميعًا فسلم على المنتخب الذي وجدهُ في اوجسبرج وراى في نورمبرج بركهيمر الفاضل الذي كان يعرفهُ قبلاً وتعرَّف في ليپسك بوسلانوس اليهودي اليوناني العالم ومدرسة تلك المدينة عملت وليمة اكرامًا لهُ فتناولوا الطعام على طريقة مدرسية فتبع الصحون احدها الآخر باطعمة مختلفة وكلما أُتي بصحن واحد يقوم واحد من المعلمين ويخاطب ملانكثون بخطاب لاتيني قد اعدهُ قبلاً ويجيبهُ ملانكثون بالحال ارتجالاً واذ انزعج اخيرًا من كل تلك الفصاحة قال ايها الرجال الافاضل اسمحوا لي ان اجاوب خطبكم جميعها خطابًا واحدًا لانني اذ كنت غير مستعد لا اقدر ان اجعل انواعًا من البديع في اجوبتي كالتي اراها في خطبكم. فصاروا بعد ذلك ياتون بالصحون من دون خطب ترافقها . فوصل الى وتمبرج في ٢٥ آب سنة ١٥١٨ وذلك ثلثة ايام بعد ان امضى لاون العاشر منشورهُ الى كايتان ومكتوبهُ الى المنتخب

واما معلمو وتمبرج فلم يقبلوا ملانكثون بالمودة التي قبلهُ بها معلمو ليپسك وذلك لان اول ظهورهِ لهم لم يكن طبق انتظارهم فانهم راوا رجلاً شابًا بالظاهر اصغر مما هو بالحقيقة قصير القامة ضعيف الصوت كثير الحياء فقالوا أهذا هو العالم المشهور الذي مدحهُ ابراسموس بهذا المقدار وربوخلن اكبر ابناء عصرهما ولوثيروس الذي تعرَّف بهِ اولاً رفقاؤهُ لم ينتظروا منهُ امورًا عظيمة عند ما راوا صغر سنهِ وحياءهُ وجبانتهُ . وفي ٢٩ آب بعد وصولهِ باربعة ايام قدَّم خطابهُ الجهاري وكانت كل المدرسة مجتمعة وهذا الشاب كما يدعوهُ لوثيروس تكلم بلاتينية خالصة جدًا وظهر منهُ علم كثير وعقل ثاقب حتى تعجب منهُ كل سامعيهِ. وعند ما فرغ من خطابهِ احدقوا بهِ جميعًا مقدمين لهُ التهاني ولكنهُ لم يشعر

احد بفرح اكثر مما شعر بهِ لوثيروس فبادر وهنأ صديقهُ بعبارات الفرح والاعتبار وكتب في ٢١ آب الى سپالاتين قائلاً ان ملانكثون خطب بعد وصولهِ باربعة ايام خطبة مفعمة علماً وجمالاً حتى ان كل واحد اصغى اليهِ بحيرة وتعجب فاستفقنا سريعاً من الاوهام التي داخلتنا عند نظرنا الى قامتهِ ومنظرهِ والآن نمدحهُ ونتعجب من فصاحتهِ ونؤدي الشكر لك وللامير لاجل هذا المعروف الذي عملتماهُ نحونا فانني لست اطلب معلماً آخر في اليوناني الا انني اخاف من انهُ بسبب ضعف بنيتهِ لا يمكنهُ ان يعيش نظير عيشتنا واخشى لئلاً لا يمكننا ان نبقيهُ عندنا زماناً طويلاً بسبب قلة اجرتهِ وقد بلغني ان اهل ليپسك يظنون انهم ياخذونهُ منا فيا عزيزي سپالاتين احترز من ان تحتقر سنهُ او منظر شخصهِ فهو رجل يستحق كل كرامة

فابتدأ ملانكثون سريعاً يخطب على هوميروس وعلى رسالة مار بولس الى تيطس وكان مملوءاً من الحرارة فكتب الى سپالاتين قائلاً انني اجتهد بكل قدرتي ان اكسب رضى جميع الذين يحبون العلم والفضيلة من اهالي وتمبرج ثم كتب لوثيروس ايضاً بعد خطبتهِ باربعة ايام الى سپالاتين قائلاً انهُ ينبغي لي ان اوصيك بنوع خصوصي بفيلبس اليوناني العالِم والمحبوب جداً فان البيت الذي يخطب فيهِ هو دائماً مملوءٌ وجميع اللاهوتيين على الخصوص يذهبون لكي يسمعوهُ وقد جعل كل صف اعلى وادنى ومتوسط ياخذ في درس اليوناني .
واجاب ملانكثون على محبة لوثيروس فانهُ وجد فيهِ سريعاً جودةً وحذاقة وشجاعة ورصانة لم يجدها قط في انسان آخر الى ذلك الوقت فاحترمهُ واحبهُ وقال اذا وُجِد احد احبهُ واعزهُ من كل قلبي فهو مرتينوس لوثيروس . فهكذا التقى ملانكثون ولوثيروس وكانا صديقين الى الموت وما اعظم جودة الله وحكمتهُ الظاهرتين في جمعهِ بين رجلين مختلفين طبعاً بهذا المقدار بل هكذا ضروريين احدهما للاخر فكان لوثيروس ذا حرارة ونشاط وقوة وملانكثون ذا صفاءٍ وحكمة ووداعة فكان لوثيروس يقوّي عزائم ملانكثون وملانكثون يلطف

اخلاق لوثيروس فكانا كجوهرين احدهما كهربائيتهُ ايجابية والاخر سلبية يفعل احدهما بالاخر فلو كان لوثيروس من دون ملانكثون لربما فاضت المياه فوق شطوطهِ . وملانكثون لما أُخذ منهُ لوثيروس بالموت تردد وسلم حتى حيث لم يكن يجب التسليم فلوثيروس عمل كثيرًا بالقوة واما ملانكثون فلربما لم يفعل اقل من ذلك باتباعهِ طريقة الطف واهدا وكانا كلاهما مستقيمين مفتوحي القلب كريمين وكلاهما احبا بحرارة كلمة الحيوة واطاعاها بنصاحة وورع كل حياتهما

وحصل من وصول ملانكثون الى وتمبرج حركة ليس في تلك المدرسة فقط بل في كل جرمانيا وبين جميع علماء العالم ايضًا . وانصبابهُ على قراءة علماء اللاتينيين وعلى الفلسفة اكسبتهُ نسقًا وصفاء وتدقيقًا فسكب نورًا جديدًا وجمالاً لا يوصف على كل موضوعٍ اخذ فيهِ . وروح الانجيل اللطيف منح خصبًا وحيوةً لتاملاتهِ . وفي خطبهِ تسربل انشف المباحث نعمة فائقة تسبي السامعين كافةً . والجفاف الذي جعلتهُ الطريقة الفلسفية في التعليم وصل الى نهايتهِ فابتدأت بملانكثون طريقة جديدة للتعليم والدرس فقال مورخ جرماني مشهور شكرًا لهُ لان وتمبرج صارت مدرسة الامة

وبالحقيقة قد كان امرًا مهمًّا جدًّا ان رجلاً عرف اليوناني جيدًا يعلّم في تلك المدرسة لان نمو اللاهوت الحديث ألزم المعلمين والتلاميذ ان يدرسوا في اللغة الاصلية قوانين الايمان المسيحي القديمة فانكب لوثيروس بغيرة من ذلك الوقت وصاعدًا على درس ذلك . ومعنى كلمة يونانية جهلها الى ذلك الوقت اوضحت بغتة افكارهُ اللاهوتية فاي تعزية واي فرح شعر بهِ عند ما راى ان لفظة ميتانيا التي حسب الكنيسة اللاتينية تعني قصاصًا وترضية مطلوبة من الكنيسة وكفارة بشرية تعني حقًّا في اليوناني تغييرًا او ارتداد القلب فزال بغتةً من امام عينيهِ ضباب كثيف وهذان المعنيان لهذه اللفظة يكفيان من ذاتهما لوصف الكنيستين

ثم ان الدفع الى قدام الذي بهِ دفع ملانكثون للوثيروس في ترجمة

الكتاب المقدس هو من اعظم اثمار الصداقة بين هذين الرجلين العظيمين وسنة ١٥١٧ كان لوثيروس قد اخذ في الترجمة فجمع ما امكنهُ جمعهُ من الكتب اليونانية واللاتينية ثم بمساعدة صديقهِ العزيز فيلبس باشر من جديد عملهُ هذا بنشاط حديث والزم لوثيروس ملانكثون ان يشاركهُ في دروسهِ وكان يستشيرهُ في الآيات العويصة واخذ العمل العتيد ان يكون من اعظم اعمال المصلح في التقدم باكثر امان وسرعة وملانكثون من جهة تعلم اللاهوت الجديد وتعليم التبرير بالايمان الجميل العميق ملأهُ حيرة ولكنهُ قبل باستقلال الطريقة التي علَّم بها لوثيروس وتصرف بها على طريقة تناسب عقلهُ لانهُ وان كان ابن احدى وعشرين سنة فقط كان من جملة الناس الذين يبلغون باكرًا الى امتلاك كمال قواهم ويفتكرون لانفسهم ولا يستعيرون افكارهم من غيرهم من اول الامر . وامتدت غيرة المعلمين سريعًا الى التلاميذ واعتمدوا على اصلاح طريقة التعليم وباذن المنتخب رُفع من المدرسة علومٌ كان لها لزوم مدرسي فقط وفي ذلك الوقت بعينهِ ابتدأوا يجتهدون في درس كتب العلماء فتغير منظر وتمبرج وصارت مقابلتها مع بقية المدارس تزداد يوميًّا اعتبارًا الآن ذلك جميعهُ حدث داخل حدود الكنيسة ولم يكن احد يتوقع انهم كانوا عتيدين عن قريب ان يدخلوا في خصام عظيم مع البابا

الفصل الرابع

طلب لوثيروس للحضور امام القاصد في اوجسبرج وذهابهُ الى هناك

لا ريب ان وصول ملانكثون في وقتٍ مهم بهذا المقدار كان تسلية عظيمة للوثيروس ولا شك ان لوثيروس في المحاورات الحلوة الناتجة عن صداقة حديثة وفي وسط شغلهِ في الكتاب المقدس الذي تفرغ لهُ بغيرة جديدة كان احيانًا

ينسى رومية ويربريو ولاون والمجلس الكنائسي الذي كان عتيدًا ان يقف في حضرتهِ الآن ذلك لم يكن سوى لُحَيظة سريعة الزوال وكانت افكارهُ ترجع دائمًا الى ذلك المجلس المهول الذي استدعاهُ اعداؤهُ الاشداء اليهِ ولا بد ان مثل تلك الافكار ملأَت رعدةً نفسًا لم تكن غايتها شيئًا آخر سوى الحق ولكنهُ لم يجزع بل اتكل على امانة الله وقوّتهِ فبقي ثابتًا ومستعدًّا لكي يعرّض نفسهُ وحدهُ لغضب اعداء اشد من الذين اوقدوا نار يوحنا هس. وبعد وصول ملانكثون بايام قليلة وقبل معرفة عزم البابا على احالة دعوى لوثيروس من رومية الى اوجسبرج كتب لوثيروس الى سپالاتين قائلاً انني لا اطلب ان ملكنا يعمل ادنى شيء محاماةً عن قضاياي فاني راضٍ بان ادفع والقى في ايدي اخصامي فليسمح بوقوع كل العاصف عليّ. وما قد اخذت في المحاماة عنهُ لي رجاء اني اقدر ان احفظهُ بمساعدة المسيح واما الاغتصاب فلا بد لنا من الخضوع لهُ ولكن من دون ترك الحق

ان شجاعة لوثيروس صارت معدية واودع الناس واجبنهم عند ما راوا الخطر المحدق بشاهد الحق هذا تكلموا عبارات مملوة من الحرارة والغيظ. وكتب ستوبتز الفطن الوديع الى سپالاتين في ٧ ايلول قائلاً لا تكف عن حث الامير مولاك ومولانا على ان لا يدع نفسهُ تخشى زئير الاسود فليحامِ عن الحق من دون خوف على لوثيروس او ستوبتز او الرهبنة فليكن اقل ما يكون مكان واحد فيهِ يقدر الانسان ان يتكلم بحرية ومن دون خوف. وانا اعلم ان وبأ بابل وكدت اقول وبأ رومية قد أُطلق على جميع الذين يقاومون مساوي الذين يبيعون يسوع المسيح ورايت بنفسي واعظًا يطرح عن المنبر لاجل تعليمهِ الحق ومع انهُ كان يوم عيد رايتهُ يوثق ويطرح في السجن وقد راى آخرون مناظر اقصى من ذلك فلهذا السبب يا عزيزي سپالاتين اقنع سعادتهُ بان يثبت على آرائهِ الحاضرة

واخيرًا وصل الامر بحضور لوثيروس امام القاصد الكردينال في اوجسبرج

فصارت معاطاتهُ مع احد اكابر كنيسة رومية فطلب منهُ جميع اصدقائهِ ان لا يتوجه لانهم خافوا من ان تنصب الفخاخ لحياتهِ حتى في سفرهِ واجتهد البعض في وجود ملجأ لهُ وسنوبتز نفسهُ ستوبتز الجبان ارتعد من الفكر بالمخاطر المحدقة بلوثيروس الاخ الذي كان قد اخرجهُ من وحدة الدير والقاهُ في البحر الهائج الذي كانت فيهِ الآن حياتهُ في خطر آهِ اما كان احسن للاخ المسكين لو بقي الى الابد غير معروف . ولكن ماذا ينفع التاسف . قد فات الوقت وعلى الاقل لا بد انهُ يبذل كل جهدهِ في تخليصهِ ومن ثمَّ كتب من ديرهِ في سلزبورج في ١٥ ايلول يطلب من لوثيروس ان يهرب ويلتمس ملجأً عندهُ قائلاً يبين لي ان جميع العالم مغتاظ من الحق ومتفق على مضادتهِ والمسيح المصلوب قد أُبغِض على هذا المنوال ولست ارى ان لك شيئًا آخر تنتظرهُ غير الطرد وبعد قليل لا يعود احدٌ قادرًا من دون اجازة البابا ان يفتش الكتب المقدسة ويطلب فيها يسوع المسيح مع ان يسوع المسيح يامر بذلك فليس لك الأ اصدقاء قليلون ويا ليت الخوف من اعدائك لم يمنع هولاء القليلين من اشهار انفسهم معك والطريق الاوفق لك انك تترك وتمبرج الى حين وتاتي اليَّ وحينئذٍ نحيا ونموت معًا . ثم قال وهذا راي الامير ايضا

وورد الى لوثيروس من كل جهة اخوف الاخبار فالامير ألبرت من منسفلدت امرهُ ان يحترز من هذا السفر لان اكابر كثيرين قد اقسموا بالقبض عليهِ وشنقهِ او تغريقهِ ولكن لم يكن شيءٌ يخيفهُ ولم تكن لهُ نيةٌ ان ينتفع بما عرضهُ عليهِ النائب العام لانهُ ما اراد ان ينطلق ويختبي في ظلمة دير في سلزبورج بل ان يبقى في نصاحة في ذلك المنظر الهائج الذي وضعتهُ يد الله فيهِ لان ملكوت الحق انما يتقدم بواسطة الثبات رغمًا عن اعدائهِ وبمناداتهِ بالحق في وسط العالم فلماذا يهرب وهو ليس من جملة الذين يندبرون للهلاك بل من الذين يحفظون الايمان لخلاص انفسهم . وعبارة معلمهِ الذي اراد ان يخدمهُ واحبهُ اكثر من الحيوة قرعت قلبهُ على الدوام وهي من اعترف بي قدام الناس اعترف بهِ قدام

ابي الذي في السموات وفي كل الاوقات نجد في لوثيروس وفي الاصلاح هذه الشجاعة غير المتزعزعة وهذه الآداب السامية وهذه المحبة التي لا تحد التي كان ميلاد الديانة المسيحية الاول قد اظهرها للعالم. قال لوثيروس في الوقت الذي كلامنا فيهِ انا نظير ارميا رجل خصام ونزاع ولكن كل ما زادت تهديداتهم كثر فرحي فان زوجتي واولادي (لم تكن لهُ زوجة ولا اولاد حينئذٍ) لهم كل ما يحتاجون اليهِ وحقولي وبيوتي وخيراتي جميعها مرتبة (لم يكن لهُ غير الملابس التي لبسها) فقد عطلوا كرامتي وصيتي ولم يبقَ الاَّ شيءٌ واحد وهو جسدي الشقي فلياخذوهُ فانهم بذلك ينقصون حياتي ساعات قليلة واما نفسي فلا يقدرون ان ياخذوها والذي يرغب في المناداة بكلمة المسيح في العالم يجب ان ينتظر الموت في كل دقيقة لان زوجنا زوج دم (خر ٤: ٢٥)

وكان الملك المنتخب حينئذٍ في اوجسبرج وقبل ان ترك الاجتماع في تلك المدينة بقليل زار القاصد واذ دخل الكرد ينال العجب بسبب هذا التنازل من هذا الامير السامي القدر وعد فردريك بانهُ اذا حضر الراهب امامهُ يصغي اليهِ مثل اب ويطلق سبيلهُ بلطف. وكتب سپالاتين الى صديقهِ بامر الامير ان البابا اقام عمدة لكي تسمع دعواهُ في جرمانيا وان المنتخب لا يسمح بان يُساق الى رومية وانهُ يجب ان يستعد للسفر الى اوجسبرج فعزم لوثيروس على الطاعة. والتحذير الذي حذرهُ بهِ امير منسفلدت حركهُ الى طلب ورقة امان من فردريك فاجابهُ فردريك انها غير ضرورية وارسل اليهِ مكاتيب توصية الى اشهر المشيرين في اوجسبرج وجهزهُ ايضًا بدراهم للسفر فخرج المصلح المسكين بدون محامٍ ماشيًا لكي يضع نفسهُ في ايدي اعدائهِ. وما اعسر تصوُّر حاسياتهِ عند ما خرج من وتمبرج واخذ في طريقهِ الى اوجسبرج حيث انتظرهُ قاصد البابا فان غاية ذلك السفر لم تكن كغاية السفر الى هيدلبرج اي اجتماعًا ودادياً بل كان عتيدًا ان يقف امام القاصد الروماني دون ورقة امان وربما كان منطلقًا الى الموت الآن ايمانهُ لم يكن شيئًا خارجيًا بل انما كان فيهِ حقيقةً ومن ثمَّ اكسبهُ

سلاماً فتقدم في طريقهِ غير خائف باسم رب الجنود لكي يشهد للانجيل . فوصل الى ويمار في ٢٨ ايلول ونزل في دير رهبان مار فرنسيس. وواحدٌ من الرهبان لم يقدر ان يحوّل نظرهُ عنهُ وهو ميكونيوس وتلك اول مرة راى لوثيروس فيها فرغب في ان يدنو منهُ لكي يقول لهُ انهُ مديون لهُ لاجل راحة ضميرهِ وان كل رغبتهِ هي ان يشتغل معهُ . الآن ميكونيوس كان تحت المراقبة بتدقيق من رؤَسائهِ ولم يوذن لهُ بالكلام مع لوثيروس. وكان منتخب سكسونيا حينئذٍ مع ديوانهِ في ويمار وربما كان هذا هو السبب لترحب رهبان مار فرنسيس بالعالِم وثاني يوم وصولهِ كان عيد مار ميخائيل فقدس لوثيروس ودُعي للوعظ في كنيسة القصر وهذا كان دليل المحبة الذي اراد اميرهُ ان يسبغهُ عليهِ فوعظ ارتجالاً بحضرة اهل البلاط واختار موضوعهُ من (مت ١٨: ١ الى ١١) وهو الفصل الذي قُرِئَ في ذلك اليوم فتكلم بشدة ضدّ المرائين والذين يفتخرون ببرّهم ولكنهُ لم يقل كلمة عن الملائكة مع ان هذه هي العادة في يوم عيد مار ميخائيل

فشجاعة عالِم وتبرج المنطلق بهدوّ ماشياً لكي يجاوب عن دعوى كانت سبباً لموت كثيرين جدًّا من الذين قبلهُ تعجب منها جميع الذين راوهُ فتداول قلوبهم شوق واعجاب وشفقة. واذ كان يوحنا كستنار خزين رهبان مار فرنسيس مشفقاً من المخاطر المحدقة بضيفهِ قال لهُ يا اخي انك في اوجسبرج تصادف ايطاليين علماء واخصاماً دهاة يشغلونك شغلاً يكفيك فاخشى من انك لا تقدر ان تحامي عن دعواك ضدهم فانهم يلقونك في النار ولهيبهم يفنيك فاجابهُ لوثيروس برصانة يا عزيزي صلِّ الى الرب الهنا الذي هو في السماء واتلُ الصلوة الربانية مرةً عني وعن ابنهِ يسوع المسيح الذي عملهُ هو عملي لكي ينظر اليهِ فانهُ اذا حفظ عملهُ فعملي محفوظ ولكن ان لم يحفظهُ فلست اقدر انا ان احفظهُ وهو يحمل العار. واستمر لوثيروس على سفرهِ ماشياً حتى وصل الى نورمبرج واذ كان قريباً ان يقف امام امير للكنيسة اراد ان يقف امامهُ

بثياب لائقة فان ثيابهُ كانت عتيقة وبسبب السفر صارت اعتق فاستعار رداء من صديقهِ الامين ونسيسلاس لِنك واعظ نورمبرج

ولا شك ان لوثيروس لم يقتصر على زيارة لِنك بل زار ايضًا اصدقاءه الاخرين في نورمبرج نظير شبورل كاتب البلدة والبرت دورر المصوّر المشهور الذي عملت المدينة حديثًا تمثالاً لتذكارهِ وغيرهما فاستمد قوة من افاضل الارض هولاء مع ان كثيرين من الرهبان والعوام كانوا في وجل من سفرهِ واجتهدوا ان يزعزعوا عزمهُ طالبين منهُ ان يرجع متقهقرًا والمكاتيب التي كتبها من تلك المدينة تدلنا على الروح الذي حركهُ حينئذٍ قال انني قد صادفت اناسًا جبناء يريدون ان يقنعوني ان لااذهب الى اوجسبرج واما انا فانني عازم على التقدم اليها . فلتكن ارادة الرب فان المسيح يملك حتى في اوجسبرج وفي وسط اعدائهِ فليحيَ المسيح وليمت لوثيروس وكل خاطئ كما هو مكتوب فليرتفع اله خلاصي . استودعكم الله . اثبتوا وتوطدوا لانهُ لابد من الرفض اما من الله او من الانسان الّا ان الله صادق والانسان كاذب

اما لِنك وراهب اوغسطيني اسمهُ ليونارد فلم يقدرا ان يسمحا بانطلاق لوثيروس وحدهُ لكي يلاقي الاخطار المستعدة لهُ وعرفا طبيعتهُ وخافا من انهُ لاجل شدة عزمهِ وعظم شجاعتهِ ربما تعوزهُ حكمة من ثمَّ ذهبا برفقتهِ واذ كانوا بعيدين نحو خمسة فراسخ من اوجسبرج اصاب لوثيروس من شدة تعبهِ في الطريق وربما من الافكار المختلفة التي كانت تهيج في ضميرهِ الم من معدتهِ فظن انهُ يموت واما صديقاهُ فاستاجرا بعدة عظيمة مركبة ووضعاهُ فيها وفي مساء اليوم السابع من تشرين الاول وصلوا الى اوجسبرج ونزلوا في دير الاوغسطينيين فكان لوثيروس تعبًا جدًّا الّا انهُ استراح سريعًا ولا شك ان ايمانهُ ونشاط عقلهِ عضدا بسرعة جسمهُ النحيف

الفصل الخامس

القاصد دي ڤيو وسرّ الونكا . مكتوب لوثيروس الى ملانكثون

وحالما وصل لوثيروس وقبل ان يرى احدًا طلب من لِنك ان يتوجه الى القاصد ويخبرهُ بقدومهِ يريد بذلك ان يبدي نحوهُ كل الاعتبار الواجب فذهب لِنك وبكل احترام اخبر الكرد ينال بالنيابة عن عالِمٍ وتمبرج بانهُ مستعد للوقوف بين يديهِ حالما يصدر امرهُ ففرح القاصد جدًّا بهذا الخبر اذ صار اخيرًا هذا الاراتيكي الوقح في قبضة يدهِ واعدًا نفسهُ بان المصلح لا يخرج خارج اسوار اوجسبرج كما دخل وبينما انتظر لِنك الجواب من القاصد ذهب الراهب ليونرد لكي يخبر ستوبتز بوصول لوثيروس فان النائب كان قد كتب الى العالِم انهُ لا محالة يزورهُ حالما يبلغهُ خبر وصولهِ الى اوجسبرج ولم يرد لوثيروس ان يضيع دقيقة في اخبارهِ بقدومهِ

وكان المجمع قد انتهى والامبراطور والمنتخبون انصرفوا نعم ان الامبراطور لم يكن قد خرج من المكان بعد ولكنهُ كان مشتغلاً بالصيد في الجيرة فبقي سفير رومية وحدهُ في اوجسبرج . ولو توجه لوثيروس الى هناك وقت الاجتماع لصادف هناك مساعدين اقوياء واما في ذلك الوقت بان ان كل شيء يلوي تحت ثقل السلطان البابا وي . واسم القاضي الذي كان لوثيروس عتيدًا ان يقف امامهُ لم يكن ما يشجعهُ فان توما دي ڤيو الملقَّب بكايتان من مدينة كايانا في مملكة ناپلي حيث وُلد سنة ٤٦٩ الاحت فيهِ لوائح العظمة منذ صباهُ وفي السنة السادسة عشرة من عمرهِ دخل الدير الدومينيكي ضد ارادة والديهِ الصريحة واخيرًا صار رئيسًا عامًّا لرهبنتهِ وكردينالاً للكنيسة الرومانية واما ما كان شرًّا على لوثيروس هو ان هذا العالِم النحرير كان من اشد المتعصبين للاهوت المدرسي الذي كان

المصلح دائمًا يقاومهُ بكل عنف وقد بلغنا ان امهُ حلت وهي حبلى بهِ ان القديس توما نفسهُ يعلّم الولد الذي ولدتهُ وبدخالهُ الى السماء ولذلك عند ما صار دي ڤيو راهبًا دومينيكيًا غيّر اسمهُ من يعقوب الى توما وحامى بغيرة عن حقوق البابوية وتعاليم توما اكونيا الذي حسبهُ جوهرة اللاهوتيين واذ كان محبًّا للعظمة والافتخار تصرّف على موجب المبدا الروماني ان القصّاد فوق الملوك وجمع حولهُ موكبًا فاخرًا وفي اول يوم من آب اقام قدّاسًا احتفاليًّا في كرسي اوجسبرج ووضع بحضرة جميع امراء المملكة برنيطة الكردينال على راس رئيس اساقفة منتز الذي انحنى راكعًا امامهُ ودفع الى الامبراطور نفسهِ البرنيطة والسيف اللذين باركهما البابا. هذا هو الرجل العتيد ان يقف بين يديهِ راهب وتمبرج برداء قد استعارهُ وزد على ذلك ان علم القاصد وشراسة اخلاقهِ ونقاء آدابهِ جعلت لهُ سطوةً وسلطانًا في جرمانيا لم يكن سهلاً على غيرهِ من اكابر الرومانيين الحصول عليها ولا ريب ان انتخابهُ لهذه السفارة بُني على صيتهِ هذا لاجل قداستهِ ورأت رومية ان ذلك يكون واسطة لنجاح مقاصدها على نوعٍ عجيب وهكذا خصال كايتان الحميدة جعلتهُ اهول وعدا ذلك القضية التي سلمت بيدهِ لم يكن فيها اشكال قط فان لوثيروس كان قد أُشهِر اراتيكيًّا فان لم يرجع يرسلهُ القاصد الى السجن واذا هرب فكل من قبلهُ يقع تحت طائلة الحرم فهذا ما كان عتيدًا ان يمارسهُ بالنيابة عن رومية رئيسُ الكنيسة هذا الذي كان لوثيروس عتيدًا ان يمثل بين يديهِ

ورجعت قوة لوثيروس اليهِ مدة الليل . وصباح السبت في ٨ تشرين الاول بعد ان ارتاح من وعكة سفرهِ ابتدا يتامل بغرابة حالهِ . وكان على غاية التسليم منتظرًا ظهور ارادة الله بواسطة مجرى الحوادث ولم يكن يلتزم بالانتظار مدة طويلة لان شخصًا مجهولاً لديهِ ارسل اليهِ لكي يقول لهُ انهُ كان عتيدًا ان يزورهُ وانهُ ينبغي ان لا يذهب الى القاصد قبل مواجهتهِ وكان الرسول من قِبَل رجل ايطاليّ اسمهُ اوربانوس سرّالونكا كان قد ذهب الى جرمانيا مرارًا

نظير سفير من قِبَل دوك مونت فرات وكانت معرفة بينهُ وبين منتخب سكسونيا وعندهُ مكاتيب توصية لهُ وبعد موت الدوك تعلّق بالكردينال دي ڤيو. ودهاء هذا الرجل ومكرهُ ظاهران بالمقابلة بين اخلاقهِ واخلاق لوثيروس الكريمة ووصل هذا الايطاليُّ سريعًا الى الدير الاوغسطيني وكان الكردينال قد بعثهُ لكي يجسّ المصلح ويعدّهُ للرجوع الذي كان ينتظر منهُ وظن سرّالونكا ان تغرّبهُ في جرمانيا جعلهُ احذق جدًّا من سائر انصار الكردينال فزعم انهُ يقدر ان ينهي الامر بسرعة مع هذا الراهب الجرماني فوصل الى لوثيروس ومعهُ اثنان من اعوانهِ وادّعى انهُ قد اتى من تلقاء نفسهِ حبًّا بشخص من المقرَّبين لدى منتخب سكسونيا وحبًّا بالكنيسة وبعد ان سلّم هذا السفير تسليمًا ودادبًا على لوثيروس قال بمحبة

انني اتيت لكي اشير عليك مشورة صالحة كن حكيمًا وصالح الكنيسة واخضع للكردينال من دون احتساب واسترجع كلامك المشكك وتذكّر الرئيس يواكيم من فلورنسا فانهُ كما تعلم انت قد اشهر امورًا كثيرة اراتيكية الَّا انهُ لم يُشهَر اراتيكيًا لانهُ ارتدّ عن غلطهِ

وعند ذلك اخذ لوثيروس بكلام يبرّرهُ في ما فعلهُ

قال سرّالونكا احذر ذلك. أتريد ان تدخل في قائمة الذين هم ضد قاصد قداستهِ

قال لوثيروس اذا اقنعوني باني قد علّمت شيئًا ضد الكنيسة الرومانية فاكون انا الحاكم على نفسي وارجع حالًا عما قلتهُ والامر الجوهري الذي اريد ان اعرفهُ هل يستند القاصد على مار توما اكثر مما يرخص بهِ ايماننا فاذا كان يفعل هكذا فاني لا اسلّم

قال سرّالونكا فاذًا مرادك ان تبرز الى ميدان القتال

ثم اخذ الايطاليُّ يتكلم بعبارات يدعوها لوثيروس فظيعة وبرهن ان الواحد يمكنهُ ان يتمسك بقضايا كاذبة على شرط ان يكون منها دخل وتملأ

الخزانة وانهُ يجب ان يحترز في المدارس من جميع المباحث المضادَّة لسلطان البابا وانهُ بعكس ذلك يجب الحكم بان البابا يقدر بايماء واحد ان يغيّر او يحذف قضايا الايمان واسرع في حديثهِ على هذا النسق الاَّ ان هذا الايطاليَّ المحتال وجد سريعًا انهُ قد وقع في غفلة فرجع الى الملاطفة واخذ يجتهد في ان يقنع لوثيروس بالتسليم للقاصد في جميع الامور وان يرجع عن تعليمهِ واقسامهِ ومصادراتهِ

اما لوثيروس فمال في اول الامر الى تصديق تمويهات الخطيب اوربان كما يدعوهُ في اخبارهِ ولكنهُ سريعًا اقتنع بانها قليلة الاعتبار وانهُ مال الى جهة القاصد اكثر مما مال الى جهتهِ فقلَّل الكلام معهُ واكتفى بالقول انهُ يريد ان يظهر كل تواضع وان يقدّم براهين طاعتهِ ويعوّض عن غلطهِ وعند ما سمع سرَّالونكا ذلك صرخ بفرح اني اسرع الى القاصد وانت ستتبعني سريعًا وكل شيء يتدبر سريعًا على اتم المراد

فانصرف سرَّالونكا اما الراهب السكسوني الذي كان ادق فهمًا من هذا الروماني فاخذ يفتكر في نفسهِ ويقول ان هذا المحتال لم يعلّمهُ معلموهُ كما ينبغي. وكان لوثيروس معلقًا بين الرجاء والخوف الاَّ ان الرجاء غلب فان زيارة وتمويهات سرَّالونكا الذي دعاهُ بعد ذلك وسيطًا غلاَّطًا احيت شجاعتهُ. ورجال البلاط من اهالي اوجسبرج الذين كان المنتخب قد اوصاهم بلوثيروس كانوا جميعًا تائقين الى نظر الراهب الذي ذاع صيتهُ في كل جرمانيا وبيوتنجر المشير الملكي احد شرفاء المدينة الاشاهر الذي دعا لوثيروس مرارًا عديدة الى مائدتهِ والمشير لانجيمانتل والمعلم اورباخ من ليبسك والاخوان ادلمان القانونيون وكثيرون غيرهم توجهوا الى دير الاوغسطينيين وسلموا بمودة على هذا الرجل الفريد الذي قطع مسافة هذا مقدارها لكي يضع نفسهُ في ايدي النواب الرومانيين وسألوهُ أَمعك ورقة امان فاجاب الراهب الشجاع لا فصاحوا جميعًا يا لها من جسارة. قال لوثيروس انها لعبارة لطيفة للدلالة على عجلتي وحماقتي وطلبوا منهُ

جميعًا براي واحد ان لا يتوجه الى القاصد قبل ان ياخذ ورقة امان من الامبراطور نفسهِ وربما بلغ الجمهور شيءٌ من امر المنشور الباباوي الذي كان بيد القاصد فاجاب لوثيروس ولكنني قد خرجت طالبًا اوجسبرج من دون ورقة امان ووصلت الى ههنا سالمًا

فاجاب لانجيمانتل بمحبة وعزم ان المنتخب قد اوصانا بك فيجب عليك ان تطيعنا وتعمل كل ما نقولهُ لك . وطابق المعلم اورباخ على هذا الراي وقال اننا نعلم ان الكردينال مغتاظ منك من كل قلبهِ والانسان لا يقدر ان يركن الى هولاء الايطاليين . واخذ القانون ادلمان يهذا الامر نفسهِ وقال انك قد أُرسلت من دون حماية وقد نسوا ان يزوّدوك بما انت اكثر احتياجًا اليهِ . واخذ اصدقاؤهُ على انفسهم تحصيل ورقة الامان اللازمة من الامبراطور وحينئذٍ اخبروا لوثيروس كم هم الاشخاص حتى بين الاكابر الذين يميلون اليهِ فان سفير فرانسا نفسهُ الذي خرج من اوجسبرج منذ ايام قلائل قد تكلم فيك بكل اعتبار . وهذه الاشارة أثرت في لوثيروس وتذكرها بعد ذلك وهكذا كثيرون من الناس الاكثر اعتبارًا في احدى المدن الاولى من المملكة رُجعوا للاصلاح

ولما وصلوا الى هذا الحد من الكلام رجع سرّا لونكا وقال للوثيروس تعال ان الكردينال في انتظارك فانا نفسي آخذك اليهِ ولكن يجب ان تتعلم اولاً كيف تتصرف بين يديهِ فعند ما تدخل الى منزلهِ تخرّ ساجدًا بوجهك الى الارض وعند ما يامرك بالقيام تركع امامهُ وتنتظر امرهُ قبل ان تقف. فاعلم انك مزمع ان تحضر امام امير من امراء الكنيسة واما غير ذلك فلا تخف شيئًا فان كل شيءٍ ينتهي سريعًا من دون صعوبة

اما لوثيروس الذي كان قد وعد باتباع هذا الايطاليّ عند ما يدعوهُ فوجد نفسهُ في مشكل الاّ انهُ لم يتاخر عن اخبارهِ اياهُ بنصيحة اصدقائهِ في اوجسبرج وتكلم عن ورقة الامان

فاجاب حالاً سرّا لونكا احذر ان تطلب شيئًا من ذلك فانك لا تحتاج

اليهِ لان القاصد يحبك وهو مستعد لانهاء عملهِ بمحبة فاذا طلبت ورقة امان تعطل كل شيء

فاجاب لوثيروس ان مولاي المنعم منتخب سكسونيا اوصى بي جملة اناس من الاكابر في هذه المدينة فاشاروا عليَّ ان لا اباشر شيئًا من دون ورقة امان فيجب عليَّ ان اتبع مشورتهم لانني ان لم افعل ذلك وحدث امر فيكتبون الى المنتخب مولاي انني لم اسمع لهم

فثبت لوثيروس على عزمهم والتزم سرَّالونكا بالرجوع الى رئيسهِ واخبارهِ بالصخرة التي لطمت بها رسالتهُ عند ما وعد نفسهُ فيها بالنجاح. فهكذا انتهت المخاطبات في ذلك اليوم مع خطيب مونت فرات

ثم اتت لوثيروس دعوة اخرى ولكن لغاية اخرى فان يوحنا فروسخ رئيس الكرمليين كان صديقًا قديمًا للوثيروس ومنذ سنين نظير معلم للاهوت حامى عن بعض القضايا تحت رياسة لوثيروس فاتى لكي يراهُ وطلب اليهِ برغبة ان يقيم معهُ فانهُ ادَّعى حق قبول عالم جرمانيا ضيفًا عندهُ وفي ذلك الوقت لم يخف الناس من احترامهِ حتى امام عيني رومية فصار الضعيف هو الاقوى فقبل لوثيروس دعوتهُ وترك دير الاوغسطينيين وذهب الى دير الكرمليين.

ولم ينتهِ ذلك اليوم من دون تفكُّر عميق فان رغبة سرَّالونكا ومخاوف المشيرين دلَّت على صعوبات حال لوثيروس. ولكن الله في السماء كان محاميًا لهُ واذ كان الله يحرسهُ نام بدون خوف

وكان اليوم التالي يوم الاحد ٩ تشرين الثاني فحصل فيهِ على راحة اكثر قليلاً الاَّ انهُ تحمَّل اتعابًا من نوع آخر فكان كل حديث المدينة في العالِم لوثيروس وكل واحد رغب في ان يرى كما كتب لملانكثون اوروستراتوس الحديث هذا الذي سبَّب كل هذه الحريقة فازدحموا حولهُ عند ما مشى في الخارج ولا شك ان العالِم الصالح تبسم في نفسهِ من هذه الحركة الغريبة. والتزم باحتمال إلحاح من نوع آخر فانهُ اذا كان الشعب راغبين في ان يروهُ كانت

لهم رغبة اعظم في استماع كلامهِ فطُلِب منهُ من كل جهة ان يعظ . ولم يكن للوثيروس فرح اعظم من المناداة بالانجيل وسرَّهُ جدًّا ان ينادي بيسوع المسيح في تلك المدينة العظيمة وهو في تلك الاحوال . وابدى في ذلك الوقت كما فعل في اوقات أُخَر كثيرة رايًا صحيحًا نظرًا الى اللياقة واعتبارًا عظيمًا نحو روسائهِ فابى ان يعظ خوفًا من ان الناصد يظن انهُ فعل ذلك نكايةً فيهِ وتنفيرًا لهُ فكانت هذه الحشمة وهذه الرصانة مفيدتين كعظة

واما جماعة الكردينال فلم يسمحوا لهُ ببقائهِ هاديًا بل جددوا طلبهم وقالوا لهُ ان الكردينال يؤكد لك انعامهُ ومحبتهُ فماذا يخيفك فاستعملوا الوفا من البراهين لكي يقنعوهُ ان يحضر امام دي فيو فقال واحد من هولاء الانصار انهُ اب رحيم جدًّا وتقدم آخر وهمس في اذنهِ قائلاً لا تصدق ما يقولونهُ لك فانهُ لا يحفظ قط كلامهُ . فثبت لوثيروس على عزمهِ . وفي صباح الاثنين الواقع في ١٠ تشرين الاول رجع سرّالونكا الى عملهِ فاجتهد لكي ينجح في وساطتهِ فحالما وصل قال باللاتينية لماذا لا تحضر امام الكردينال فهو ينتظرك بكل رغبة فان كل هذه القضية تقوم بستة احرف REVOCA اي استرجع ما قلتهُ تعال ولا تخف شيئًا . فافتكر لوثيروس في نفسهِ ان هذه الستة الاحرف هي مهمة جدًّا . ولكن من دون التفات الى الامور التي يجب الرجوع عنها اجاب اني اتوجه اليهِ حالما تكون لي ورقة امان . فحنق سرّالونكا عند ما سمع هذه الكلمات وابرم ملحًّا عليهِ الاّ ان لوثيروس لم يتزعزع فزاد سرّالونكا حنقًا وصرخ قائلاً انك تظن ان المنتخب لا محالة يحمل السلاح لاجل المحاماة عنك ولاجلك يوقع نفسهُ في خطر خسارة الاقاليم التي ورثها من اجدادهِ

فقال لوثيروس لا سمح الله

فقال سرّالونكا متى تركك الجميع فاين تلتجي

فنظر لوثيروس بعين الايمان نحو السماء . وقال تحت السماء

فسكت سرّالونكا الى حين متاثرًا من بلاغة هذا الجواب غير المنتظر ثم قال

ماذا كنت تعمل لو قبضت بيدك على القاصد والبابا والكردينالية كما هم قابضون الآن عليك

فقال لوثيروس كنت ابدي نحوهم كل ما يمكن من الكرامة والاعتبار واما عندي فان كلام الله هو قبل كل شيء

فتبسم سرّالونكا مطقطقًا اصابعهُ كعادة الايطاليان وقال انني لا اصدق كلمة من ذلك

وحينئذٍ خرج وركب حصانهُ وتوارى ولم يرجع سرّالونكا الى لوثيروس بعد ذلك الّا انهُ بقي مدة طويلة يتذكر المقاومة التي لقيها من المصلح والتي كان معلمهُ عنيدًا بعد قليل ان يلقاها منهُ وسوف نسمعهُ بعد مدة يصرخ طالبًا دم لوثيروس

وبعد انطلاق سرّالونكا بقليل وصلت ورقة الامان فان اصدقاء لوثيروس اخذوها لهُ من مشيري الامبراطور وربما استشاروا الامبراطور في هذا المعنى لانهُ لم يكن بعيدًا عن اوجسبرج ويبين مما قالهُ الكردينال فيما بعد انهم طلبوا رضاهُ في ذلك لئلّا يغتاظ وربما كان هذا هو سبب اجتهاد سرّالونكا بهذا المقدار في اقناع لوثيروس ان لا يطلب ذلك لان المخالفة الظاهرة لورقة الامان تكون سببًا لاظهار غايات اراد سترها فكان الاصلح اقناع لوثيروس ان يترك هذه الطلبة الّا انهم وجدوا سريعًا ان الراهب السكسوني لم يكن من المتزعزعين

وكان مزمعًا ان يذهب الى القاصد وهو بطلبهِ ورقة امان لم يستند على ذراع لحم لانهُ علم يقينًا ان ورقة امان ملكية لم تحفظ يوحنا هس من الحريق بل انما اراد ان يتم ما يجب عليهِ من الطاعة لاصدقاء مولاهُ وقال في نفسهِ لا بد ان الله يحكم بقضائهِ فاذا طلب الله حياتهُ كان مستعدًّا لان يبذلها وفي تلك الدقيقة الرهيبة شعر باحتياجهِ الى المفاوضة مرة اخرى مع اصدقائهِ وعلى الخصوص مع ملانكثون العزيز جدًّا عندهُ فاغتنم فرصة بعض الدقائق الفارغة ليكتب اليهِ

فكتب اليهِ قائلًا اظهر نفسك رجلًا كما هي عادتك في جميع الاوقات وعلّم

شبابنا الاعزاء ماهو مستقيم ومقبول لدى الله واما انا فاني مزمع ان أُذبح عنك وعنهم ان كانت هكذا ارادة الرب فانهُ احب اليَّ ان اموت وافقد الى الابد عشرتك اللذيذة وذلك اعظم تعاستي من ان ارجع عما اعلم انهُ يجب عليَّ ان اعلّم بهِ وهكذا ربما اعطل بذنبي العلوم الفاضلة التي نحن الآن منصبُّون عليها. وايطاليا نظير مصر في القديم غارقة في ظلمة كثيفة جدًّا بحيث يمكن مسها فليس احد في تلك البلاد يعرف شيئًا عن المسيح او عما يختص بهِ ومع ذلك هم ساداتنا ومعلمونا في الايمان وفي الآداب وهكذا قد كمل غضب الله فينا كما قال النبي واجعل صبيانًا رؤساء لهم واطفالاً تتسلط عليهم (اش ٣: ٤) فاعمل واجباتك لله يا عزيزي فيلبس وحوّل غضبهُ بواسطة الصلوة الحارة الخالصة

ولما بلغ القاصد ان لوثيروس يحضر اليهِ في الغد جمع الايطاليين والجرمانيين الذين لهُ بهم الثقة العظمى لكي يستشيرهم في الطريق الذي ياخذ فيهِ مع الراهب السكسوني فانقسمت آراؤُهم فقال احدهم يجب ان نلزمهُ بالرجوع وقال آخر يجب ان نقبض عليهِ ونلقيهُ في السجن وظنّ ثالث ان الاوفق رفعهُ من الطريق وذهب رابع انهُ يجب ان يربحوهُ باللطافة والوداعة والظاهر ان الكردينال عزم على الطريقة الاخيرة اولاً

الفصل السادس

حضور لوثيروس الاول امام الكردينال القاصد ومحاورتهما . وصول ستوبتز

وجاء اليوم المعيَّن للمواجهة وهو ١١ تشرين الاول واذ بلغ القاصد قول لوثيروس بانهُ يريد ان يرجع عن كل ما يتبرهن انهُ ضد الحق امتلأ رجاء ولم يكن يشك بانهُ يكون امرًا سهلاً على رجل من رتبتهِ وعلمهِ ان يرد هذا الراهب الى طاعة الكنيسة

فانطلق لوثيروس الى منزل القاصد صحبة رئيس الكرمليين مضيفهِ وصديقهِ واخوين من الدير نفسهِ والمعلم لنك وراهب اوغسطيني وربما كان هو الذي جاء معهُ من نورمبرج وحالما دخل قصر القاصد اجتمع حولهُ جميع الايطاليان حشم امير الكنيسة هذا لان كل واحد رغب ان يعاين العالِم المشهور وازدحموا عليهِ جدًّا حتى عسر عليهِ التقدم فوجد لوثيروس السفير الرسولي وسرّالونكا في الديوان حيث انتظرهُ الكردينال فكانت ملاقاتهُ اياهُ باردة الاَّ انها لطيفة ومطابقة لعادة الرومانيين وحسب النصيحة التي اقتبلها لوثيروس من سرّالونكا خرّ امام الكردينال وعندما امرهُ بالقيام بقي على ركبتيهِ ثم امرهُ ثانيةً فوقف واتى كثيرون من الايطاليان الاشاهر اعوان القاصد الى الديوان لكي يحضروا المحاورة ورغبوا بنوع خصوصي في ان يروا الراهب الجرماني يتذلل امام نائب البابا . فبقي القاصد صامتًا وكان يبغض لوثيروس لانهُ مضاد لرياسة مار توما في الالهيات ولانهُ رئيس حزب حديث قوي عاصٍ في مدرسة حديثة قد ازعج اول اعمالها التوماويين وسرّ عند رؤيتهِ لوثيروس خارًّا امامهُ وظن كما لاحظ احد الحاضرين انهُ كان قريبًا من الرجوع واما العالِم فانتظر بتواضع امر الكردينال لكي يخاطبهُ وبما انهُ لم يتكلم فهم لوثيروس هذا السكوت انهُ نظير اذن للخطاب فابتدأ بهذه الكلمات

ايها الاب الافضل انني امتثالاً لاوامر قداستهِ الباباوية واطاعة لاوامر مولاي المنعم منتخب سكسونيا حضرت الآن امامك كابن مطيع خاضع للكنيسة المسيحية المقدسة واقرُّ باني قد اذعت القضايا والمصادرات المنسوبة اليّ وانا مستعد لان اصغى بكل طاعة الى ما يُشكَى بهِ عليّ واذا كنت قد غلطت فانا مستعد لان اخضع للتعليم بالحق

واما الكردينال فكان قد عزم على التظاهر كاب حنون شفوق نحو ولد ضال فاخذ حينئذٍ يلاطفهُ بالكلام فمدح تواضع لوثيروس واظهر ارتضاءهُ بذلك وقال لهُ يا ابني العزيز انك قد اقلقت كل جرمانيا بواسطة مجادلاتك

في الغفرانات فانا اعلم انك عالم جدًّا في الكتب المقدسة وان لك حزبًا كبيرًا ولهذا السبب اذا رغبت في ان تكون عضوًا للكنيسة وان يكون البابا ابًا لك منعمًا فاصغَ اليَّ

وبعد هذه المقدمة لم يتاخر القاصد عن ان يظهر دفعةً واحدة ما توقعهُ منهُ لانهُ كان واثقًا بخضوع لوثيروس فقال لهُ ههنا ثلث قضايا يجب ان اضعها امامك حسب امر ابينا الطاهر لاون العاشر اولاً يجب ان ترجع الى نفسك ونقر بغلطك وترجع عن غلطاتك وقضاياك ومواعظك . ثانيًا يجب ان تعد انك تمتنع في المستقبل عن اذاعة آرائك. ثالثًا يجب ان تتعهد انك تسلك بهدو اكثر وتحترز من كل ما يحزن الكنيسة او يقلقها

فقال لوثيروس ايها الاب الاقدس ارجو ان تريني منشور البابا الذي بواسطتهِ قد فُوِّض اليك امر هذه القضية

وعند هذا الطلب فتح سرّالونكا وباقي الايطاليان عيونهم بالعجب ومع ان الراهب الجرماني ظهر لهم رجلاً من نوع غريب جدًّا لم يقدروا ان يكتموا تعجبهم من هذا الطلب الجسور فان المسيحيين المتعوّدين العدل يحبون ان يُحفَظ العدل نحو الآخرين ونحو انفسهم ولكن الذين قد تعودوا رياسة مطلقة يتعجبون عند ما يُطلَب منهم التصرف بمقتضى القوانين الاعتيادية والترانيب والشرائع

فاجاب دي فيو ان اجابة هذا الطلب غير ممكنة ايها الابن العزيز بل يجب ان تقر بغلطاتك وتسهر جيدًا على كلامك في المستقبل ولا ترجع كما يرجع الكلب الى قيئهِ لكي يمكننا ان ننام من دون قلق ولا اضطراب وحينئذٍ انا ادبر كل شيء حسب امر وتفويض ابينا الاقدس البابا

فقال لوثيروس فتنازل اذًا واخبرني بماذا غلطت

وعند هذا الطلب الجديد ازداد الايطاليان الحاضرون عجبًا لانهم انتظروا ان يروا الجرماني المسكين يسقط على ركبتيهِ ويستغفر ولو قُدِّم هذا

السؤال الجسور لاحدٍ منهم لما تنازل الى مجاوبتهِ. واما دي فيو الذي ظن ان سحق هذا الراهب الحقير تحت ثقل سلطانهِ ليس امرًا شريفًا والذي كان يثق ايضًا بانهُ ينال غلبة هينة بواسطة علمهِ ارتضى ان يخبر لوثيروس بما قد قرّف بهِ وايضًا ان يدخل في جدال معهُ فيجب ان نعامل رئيس الدومينيكيين بالعدل وان نقر بانهُ ابدى اكثر استقامة واعظم لياقة واقل المًا ما ابداهُ آخرون مرارًا كثيرة في احوال كهذه فاجاب كانهُ بتنازل

ايها الابن الاعز هنا قضيتان قد قدمتهما انت ويجب عليك ان ترجع عنهما امام الجميع الاولى ان خزنة الغفرانات لا تقوم بآلام ربنا يسوع المسيح واستحقاقاتهِ. الثانية ان الذي يتناول السر المقدس يجب ان يؤمن بالنعمة المقدّمة لهُ

وبالفعل كل واحدة من هاتين القضيتين تضرب التجارة الرومانية ضربة مميتة فانهُ ان لم يكن للبابا سلطان في توزيع استحقاقات المخلص حسب ارادتهِ وكان الناس عند قبولهم الاوراق التي يتاجر بها صيارفة الكنيسة لا ينالون جزءًا من ذلك البرّ غير المحدود فورقة الغفرانات تفقد قيمتها وتكون كما لا قيمة لهُ كمجموع خرق وهكذا في الاسرار فان الغفرانات كانت على نوعٍ فرعًا غير اعتيادي من التجارة الرومانية. واما الاسرار فكانت تجارة راسخة والمحصولات الصادرة منها لم تكن قليلة. والحكم بان الايمان ضروري قبل ان تحصل منها فائدة حقيقية لنفوس المسيحيين يزيل كل رونقها من عيون الشعب لان البابا لا يقدر ان يعطي الايمان لان ذلك فوق طاقتهِ بل انما يصدر من الله وحدهُ فالحكم بضرورتهِ انما هو اعدام رومية التجارة والربح جميعًا ولوثيروس بمقاومتهِ لهذين التعليمين اقتدى بيسوع المسيح الذي في ابتداء خدمتهِ قلب موائد الصيارفة وطرد التجار من الهيكل وقال لا تجعلوا بيت ابي بيت تجارة

ثم قال كايتان وفي نقضي غلطاتك لا استشهد بكلام مار توما او غيرهِ من علماء المدارس بل استند بالتمام على الكتب المقدسة واتكلم معك بكل مودة.

ولكن حالما ابتدأ دي ڤيو يقدّم براهينهُ ترك القاعدة التي قال انهُ يسلك بموجبها. فنقض قضية لوثيروس الاولى بواسطة قانون للبابا اكليمنضس والثانية بواسطة آراء مختلفة من اللاهوتيين فتحوّلت المناقشة الى هذا القانون الباباوي في اثبات الغفرانات واذ حنق لوثيروس من السلطان الذي نسبهُ القاصد لحكم روماني صرخ قائلاً

انني لا اقدر ان اقبل مثل هذه القوانين كبراهين كافية في قضايا مهمة بهذا المقدار لانها تعوّج الكتب المقدسة ولا تقتبسها على معناها الصحيح

فقال دي ڤيو ان للبابا قوةً وسلطانًا على جميع الاشياء

فقال لوثيروس بسرعة ما عدا الكتب المقدسة

فقال دي ڤيو مزدريًا ألا تعلم ان البابا هو فوق المجامع فانهُ قد شجب وقاصّ حديثًا مجمع باسل

فقال لوثيروس ان مدرسة باريس قد استأنفت من هذا الحكم

قال دي ڤيو ان رجال باريس هؤلاء سوف ينالون جزاءهم

ثم انتقلا الى القضية الثانية وهي الايمان الذي حكم لوثيروس بضرورتهِ لفاعلية الاسرار واقتبس لوثيروس حسب عادتهِ آيات كثيرة من الاسفار المقدسة لاجل اثبات مذهبهِ. اما الكردينال فعاملها بالهزء وقال انك تتكلم عن الايمان بوجه العموم فاجاب لوثيروس كلاَّ. وان واحدًا من الايطاليان اذ غضب من مقاومة لوثيروس رغب جدًّا ان يتكلم واجتهد في ان يدخل كلامهُ الاَّ ان القاصد امرهُ بالسكوت واخيرًا التزم ان يوبخهُ بصرامة فترك الديوان بخزيٍ

ثم قال لوثيروس للقاصد اما الغفرانات فاذا تبيَّن لي انني في غلط فانا مستعد كل الاستعداد لقبول الارشاد فتلك القضية يمكن غض النظر عنها ومع ذلك نكون مسيحيين صالحين واما نظرًا الى قضية الايمان فاني اذا سلمت بادنى شيءٍ اكون قد انكرت يسوع المسيح فاني لا اقدر ان اسلّم ولا اسلم بهذا

الامر وبنعمة الله لن اسلّم

فحنق دي ڤيو وقال ان شئت وان لم تشأ يجب ان ترجع عن هذه القضية في هذا اليوم بعينهِ ولاجل هذه القضية وحدها ارفض واشجب كل تعليمك

فاجاب لوثيروس ليست ارادتي ولكن ارادة الرب فليفعل بي ما يحسن بعينيهِ ولكن لو كان لي اربع مئة راس فاحبُّ اليَّ ان افقدها جميعها من ان ارجع عن الشهادة التي شهدتُ بها للايمان المسيحي المقدس

قال دي ڤيو اني لم آتِ لكي اجادلك فارجع او استعد لاحتمال القصاص الذي استوجبتهُ

ورأى لوثيروس واضحًا انهُ لا يمكن انهاء هذه القضية بالمناقشة لان خصمهُ كان جالسًا امامهُ كانهُ البابا وتظاهر بانهُ يقبل بتواضع وخضوع كل ما قالهُ لهُ الّا انهُ سمع اجوبتهُ حتى التي بُنِيَت على الكتب المقدسة بامارات التهكُّم والازدراء. اما لوثيروس فافتكر ان الطريق الاوفق هو ان يجاوب الكردينال بالكتابة ظانًا ان هذه الواسطة تمنح اقل ما يكون عزاءً واحدًا للمتضايق لان الاخرين بهذه الوسيلة يقدرون على الحكم في الموضوع والخصم الظالم الذي بواسطة جلبتهِ يبقى مالك الميدان ربما يخاف من العواقب واذ ظهر على لوثيروس لوائح ارادة الانصراف قال القاصد أتريد ان اعطيك ورقة امان لتنطلق الى رومية

ولم يكن شيءٌ اكثر قبولاً لدى كايتان من قبول لوثيروس هذا الطلب لانهُ بذلك يتخلص من العمل الذي ابتدأ حينئذٍ يشعر بصعوباتهِ ويكون لوثيروس مع ارثقتهِ قد وقع في ايدٍ تنهي كل امر عاجلاً واما المصلح الذي رأى المخاطر المحدقة بهِ حتى في اوجسبرج فاحترز من قبول امر يدفعهُ موثَق اليدين والرجلين الى نقمة اعدائهِ فلذلك رفض هذا الامر كلما قدَّمهُ دي ڤيو لهُ وفعل ذلك مرارًا كثيرة . فكتم القاصد حنقهُ من اباءة لوثيروس والتجأ الى عظمتهِ وصرف الراهب بابتسام شفقةٍ اخفى تحتهُ خيبوبتهُ وبلاطافة رجلٍ يؤمل نجاحًا

احسن في مرة اخرى

ولم يصل لوثيروس الى دار القصر حتى ركض وراءهُ ذلك الايطالي الذي التزم من جراء توبيخات سيدهِ ان يخرج من الديوان ففرح بفرصة للتكلم بدون ان يراهُ كايتان واضطرم بالرغبة في ان يوقع العالِم في الارتباك بواسطة براهينهِ النيّرة فابتدأ وهو ماشٍ الى جانبهِ ان يقدّم سفسطاتهِ واما لوثيروس فاشمأزّ من هذا الرجل الاحمق فافحمهُ بكلمةٍ حملتهُ على الكف والرجوع خائبًا الى قصر الكردينال

ولم يكسب لوثيروس اعتبارًا لخصمهِ لانهُ سمع منهُ كما كتب بعد حين الى سپالاتين قضايا مضادة بالتمام لعلم اللاهوت الصحيح لو نطق بها غيرهُ لحُسِبت ارتقات عظيمة والحال ان دي ڤيو كان محسوبًا اعلم الدومينيكيين وكان پريريو ثانيًا لهُ . قال لوثيروس اننا نستنتج من ذلك ماذا يكون الذين في الرتبة العاشرة والمئة . ومن الجهة الاخرى ثبات لوثيروس وحسن تصرُّفهِ اوقع الكردينال وجلساءهُ في حيرة عظيمة وعوضًا عن ان يجدوا راهبًا مسكينًا يطلب الغفران على سبيل النعمة وجدوا رجلاً مستقلاً ومسيحيًا ثابتًا وعالمًا مستنيرًا يطلب ان التعريفات الظالمة تثبت ببراهين ويحامي عن تعليمهِ بكل انتصار وكل واحد في قصر كايتان صرخ ضد كبرياء الارانيكي وعنادهِ وجسارتهِ فعرف لوثيروس ودي ڤيو احدهما الآخر واستعدّا كلاهما للمقابلة الثانية

وعند رجوع لوثيروس الى دير الكرمليين صادفهُ امرٌ سارٌّ جدًّا فان ستوبتز نائب الاوغسطينيين العام صديقهُ واباهُ الروحي كان قد وصل الى اوجسبرج فاذ لم يمكنهُ منع سفر لوثيروس الى تلك المدينة اعطاهُ برهانًا جديدًا وقويًا لمحبتهِ اياهُ بانطلاقهِ الى هناك بنفسهِ على رجاء انهُ يعينهُ في امرٍ من الامور وهذا الرجل الفاضل سبق فرأى ان المحاورة مع القاصد ربما تكون لها عواقب هائلة وفعلت فيهِ مخاوفهُ على لوثيروس ومحبتهُ اياهُ وبعد تلك المواجهة الاليمة بهذا المقدار فرح جدًّا باعتناق صديق هكذا عزيز واخبرهُ كيف انهُ لم يكن

ممكنًا نوال جواب لهُ قيمة وكيف ان القاصد اصر على طلب الرجوع من دون توخّي اقناعهِ فقال ستوبتز انما يجب ان تجاوب القاصد بالكتابة

وبعد ان وقف ستوبتز على ما حصل في المقابلة الاولى لم يكن لهُ الاَّ رجاء قليل في مقابلة اخرى ومن ثمَّ قرَّ رايهُ على امر ظن انهُ ضروري في ذلك الوقت فعزم على اعتاق لوثيروس من التزامات رهبنتهِ مفتكرًا انهُ بهذه الواسطة يحصل على امرين احدهما اذا قصَّر في عملهِ كما لاح من ملاحظة كل شيء يمنع بذلك العار الناتج من شجب لوثيروس عن الالتحاق بكل رهبنتهِ والثاني ان يكون لهُ عذر في عدم اجابة الكردينال اذا امرهُ بان يلزم لوثيروس بالسكوت او الرجوع فتتم الاحتفال بمجاري العادة. ورأى لوثيروس واضحًا ماذا يجب ان يتوقعهُ حينئذٍ فامتلأت نفسهُ كآبةً عند نقض تلك العهود التي عقدها على نفسهِ في عنفوان صباهُ والرهبنة التي اختارها رفضتهُ ومحاموهُ الطبيعيون تركوهُ فصار غريبًا بين اخوتهِ مع ان قلبهُ امتلأ كآبةً عند افتكارهِ بذلك ورجع كل فرحهِ عند ما التفت بنظرهِ نحو مواعيد الهٍ امين قد قال لا اهملك ولا اتركك. ولما اخبر مشيرو الامبراطور القاصد بواسطة اسقف ترنت بان مع لوثيروس ورقة امان ملكية وامروهُ ان لا يجري شيئًا ضد العالِم حتى دي قيو واجاب بسرعة بهذه العبارة الرومانية الخالصة قائلاً جيدٌ الاَّ انني اجري اوامر البابا. وتلك الاوامر عرفنا ما هي

الفصل السابع

المواجهة الثانية بين لوثيروس والقاصد البابوي

وفي اليوم التالي وكان ذلك يوم الاربعاء ١٣ تشرين الثاني استعد الفريقان لمقابلة ثانية وظُنَّ انها تكون واسطة لانهاء الامر اما اصدقاء لوثيروس الذين

عزموا على مرافقتهِ الى قصر القاصد فتوجهوا الى دير الكرمليين فوصل بيوتنجر ورئيس ترنت المشيران الملكيان وستوبتز احدهم بعد الآخر ثم بعد قليل اتى الفارس فيلبس فيلتزخ والمعلم روهل مشيرا المنتخب اللذان امرهما مولاهما بالحضور في اوقات المحاورة وبالمحاماة عن حرية لوثيروس وكانوا قد وصلوا الى اوجسبرج مساء اليوم الدابر فابتهج جدًّا بتألفهم لديهِ قال ميثيسيوس أُمروا ان يجلسوا الى جانبهِ كما جاس الفارس كلوم الى جانب يوحنا هس في قسطنسيا فاخذ العالم معهُ كاتبًا شرعيًّا وتوجَّه الى قصر القاصد مصحوبًا بجميع اصدقائهِ . وفي تلك اللحظة تقدم ستوبتز اليهِ اذ فهم بالتمام الحالة التي هو فيها وعلم انهُ ان لم يشخص بعينيهِ الى الرب منقذ شعبهِ يسقط لا محالة وقال لهُ برزانة يا اخي العزيز تذكَّر دائمًا بانك قد ابتدأت بهذه الامور باسم الرب يسوع المسيح . فهكذا احاط الله عبدهُ المتواضع بانواع التعزية والتقوية

ولما وصل لوثيروس الى قصر الكردينال وجد خصمًا جديدًا وهو رئيس الدومينيكيين في اوجسبرج كان جالسًا بجانب رئيسهِ وكان لوثيروس قد كتب جوابهُ كما عزم وبعد تقديم التسليمات المعتادة قرأ الاقرار الآتي بصوت عالٍ

اني اصرّح باني اكرم الكنيسة الرومانية المقدسة وباني لا ازال اكرمها وقد سعيت في طلب الحق في محاورتي الجهارية وكل ما قلتهُ فاني لم ازل احسبهُ صحيحًا وصادقًا ومسيحيًّا ومع ذلك لست سوى انسان قابل للانخداع ولهذا اريد ان اقبل التعليم والتقويم في تلك الاشياء التي ربما غلطت فيها واقرُّ باني مستعد لان اجاوب شفاهًا او بالكتابة على جميع الاعتراضات والتعريفات التي ياتي بها السيد القاصد ضدي واقرُّ باني مستعد لان اسلّم مصادراتي للمدارس الاربع وهي باسل وفريبرج في بريسغو ولوفين وباريس وان ارجع عن كل ما تحسبهُ تلك المدارس غلطًا وبالاجمال انا مستعد لان اعمل كل ما يحق طلبهُ من مسيحي ولكنني بكل جدٍّ اقاوم الطريقة التي قد أُخِذ فيها في هذا الامر وارفض كل دعوى في الزامي بالرجوع من دون نقض تعليمي واقناعي باني مرتكب غلطًا

ولا ريب انهُ لا يمكن وجود شيءٍ اوفق الصواب ولا اعدل من قضايا لوثيروس هذه ولا بد انها قد اوقعت في ارتباك عظيم قاضيًا قد لُقِن سلفًا ما هو الحكم الذي يجب ان يحكم بهِ. فان القاصد الذي لم يكن ينتظر هذا الكلام اجتهد في ان يخفي خزيهُ تحت رداء الابتسام والتظاهر بالوداعة فقال للوثيروس مبتسمًا ان هذا لا داعي لهُ فاني لست اريد ان اجادلك سرًّا ولا جهرًا ولكنني اطلب تدبير هذه القضية بمحبة ابوية. وكانت كل غاية الكردينال ان يرفع من الطريق قوانين العدل الصارمة التي تحمي المشكو عليهِ وان يتعاطى كل هذه القضية كامرٍ بين رئيس ومرؤوسهِ وهي طريقة هيّنة تفتح بابًا اوسع للاعمال بالسطوة لا بالعدل

ثم قال دي ڤيو بصوت المحبة التامة يا صديقي العزيز اترجاك ان تترك عملًا لا فائدة لهُ كهذا ارجع الى نفسك واعترف بالحق فانا مستعد لان اصالحك مع الكنيسة والاسقف المطلق فارجع يا صديقي ارجع هكذا هي ارادة البابا فانك ان شئت او لم تشأ ذلك قليل الاعتبار. انهُ يصعب عليك ان ترفس مناخس

فلما رأى لوثيروس نفسهُ يُعامَل كانهُ ولدٌ عاصٍ ومطرود من الكنيسة صرخ لا اقدر ان ارجع ولكنني اريد ان اجاوب وذلك بالكتابة ايضًا فقد تجادلنا بالكفاءة البارحة. فامتلأ دي ڤيو حنقًا من هذه العبارة التي ذكَّرتهُ بانهُ لم يستعمل الحكمة الكافية ولكنهُ ضبط نفسهُ وقال بتبسم اية مجادلة انني لم اتجادل معك يا ابني العزيز ولا ارادة لي بالمجادلة ولكن اكرامًا لخاطر المنتخب الجليل فردريك انا مستعد للاستماع منك وان اعظك بطريقة ودادية ابوية. ولم يفهم لوثيروس لاي سبب كانت العبارة التي استعملها سببًا لحنق القاصد هكذا لانهُ قال في نفسهِ انني لو لم ارد ان اتكلم بلطافة لكان يجب ان اقول تخاصمنا عوضًا عن تجادلنا لان ذلك ما قد فعلناهُ حقيقةً في اليوم السابق

وشعر دي ڤيو بانهُ يجب عليهِ في حضرة الشهود المعتبرين الذين سمعوا تلك المحاورة ان يظهر اقلما يكون كانهُ متشوّق الى اقناع لوثيروس فرجع الى القضيتين اللتين اشار اليهما كغلطتين اساسيتين عازمًا على ان لا يترك فرصة الاَّ

قليلاً للمصلح لكي يتكلم فاستعمل طريقة الايطاليين في كثرة الكلام ورشق العالم بنبال الاعتراضات الكثيرة من دون انتظار جواب فكان تارةً يهزأُ وتارةً يوبخ وكان يتفاصح بحرارة شديدة ويمزج معًا الامور المتناقضة ويستعين بالقديس توما واريسطو ويصيح ويعصف ضد كل الذين يفتكرون بخلاف فكرهِ وحاول لوثيروس اكثر من عشر مرات ان يتكلم فقطع القاصد كلامهُ واوعبهُ تهديدات وقال لهُ ارجع ارجع فهذا كل ما يُطلَب منك. وحينئذٍ قال لهُ ستوبتز اترجاك ان تعطي الاخ مرتينوس وقتًا لكي يجاوبك. واما دي ڤيو فابتدا ايضًا واقتبس آراء مار توما فانهُ عزم على ان يكون الكلام لهُ وحدهُ في تلك الجلسة فان لم يقدر ان يقنع ولم يتجاسر على الضرب فانهُ يجتهد ما امكنهُ ان يوقع في الارتباك بواسطة شراستهِ

وراى لوثيروس وستوبتز جليًا وجوب قطع كل امل ليس فقط من تنوير دي ڤيو بواسطة الجدال بل من تقديم اقرار مفيد بالايمان ايضًا ولهذا انتقل لوثيروس الى طلبهِ الذي طلبهُ من اول الجلسة وزاغ الكردينال عنهُ حينئذٍ. وبما انهُ لم يؤذَن لهُ بالكلام ترجى ان يؤذَن لهُ اقل ما يكون بان يعطي القاصد جوابًا مكتتبًا وثنَّى ستوبتز هذا الطلب واتحد معهُ كثيرون من الحاضرين مع ان كايتان كان يكره كل شيء مكتتب لعلمهِ بان الكتابات ثابتة فاجاب الى طلبهم اخيرًا فانصرف الاجتماع على هذا المنوال وخابت الآمال بانهاء القضية في تلك الجلسة والتزم القوم ان يصبروا الى جلسة اخرى لكي يروا النهاية

واما الاذن الذي اعطاهُ رئيس الدومينيكيين للوثيروس بالكتابة جوابًا عن القضيتين المتعلقتين بالغفرانات والايمان فلم يكن اكثر مما يقتضيهِ العدل الصارم ومع ذلك يجب ان نمدح دي ڤيو على ما ابداهُ من الاعتدال وعدم المحاباة. فخرج لوثيروس من عند الكردينال مبتهجًا باجابة طلبهِ وفي ذهابهِ الى كايتان ورجوعهِ من عندهِ كان موضوعًا لنظر الجمهور وكان جميع الناس المتنورين مهتمين بهذا الامر كانهم هم العتيدون ان يمتحنوا وشعروا ان دعوى

الانجيل والعدل والحرية كانت حينئذٍ تحت الحاكمة في اوجسبرج فكان الناس الدون فقط من حزب كايتان وهم لا محالة قدموا للمصلح بعض البراهين الدالة لحاسياتهم لانهُ ذكر ذلك في كتاباتهِ

وكل يوم ازداد وضوحًا ان القاصد لا يسمع من لوثيروس كلامًا آخر غير قولهِ انا ارجع واما لوثيروس فعزم على عدم التلفظ بذلك فكيف نهاية حرب بين خصمين بينهما كل ذلك التفاوت وكيف يتصور ان كل قوة رومية المتجهة ضد انسان مفرد لم تقدر ان تسحقهُ ولوثيروس راى ذلك وشعر بثقل اليد التي وضع نفسهُ تحتها باختيارهِ فقطع كل امل من الرجوع الى وتمبرج ونظر عزيزهِ فيلبس ايضًا ومعاشرة اولئك الشبان الكرماء الذين زرع في قلوبهم بفرحٍ زروع الحياة وراى عبارة الحرم معلّقة فوق راسهِ ولم يشك بانهُ عن قريب يقع عليهِ. وازعجت تلك الافكار نفسهُ الّا انهُ لم يسقط واتكالهُ على الله لم يتزعزع فان الله قادر على سحق الآلة التي ارتضى ان يستعملها الى ذلك الوقت الّا انهُ عزم على اقامة الحق فمهما حدث يجب ان لوثيروس يحامي عن الحق الى النهاية ولهذا ابتدا في اعداد الجواب الذي قصد ان يقدمهُ للقاصد والظاهر انهُ صرف جزءًا من ١٣ تشرين الاول في ذلك العمل

الفصل الثامن

المواجهة الثالثة . طلب لوثيروس وجواب القاصد

ثم رجع لوثيروس الى الكردينال نهار الجمعة في ١٤ تشرين الاول ومعهُ مشيرا الملك المنتخب المار ذكرهما فازدحم حولهُ الايطاليُون حسب العادة وكثيرون منهم حضروا في وقت المحاورة فتقدم لوثيروس وقدّم ورقة جوابهِ للكردينال فاعتبر جلساؤُهُ تلك الورقة بحيرة لانها كانت ورقة جسورة في

عيونهم وهذا ما اعلنهُ الدكتور فيها لمعلمهم

انك تناقضني في قضيتين. اولاً تعترضني بقانون البابا اكليمنضس السادس الذي قيل فيهِ ان خزنة الغفرانات هي استحقاقات الرب يسوع المسيح والقديسين الامر الذي انكرهُ في قضاياي

قال بانورميتانوس في كتابهِ الاول انهُ في كل ما يتعلق بالايمان المقدس ليس مجمع عام فقط بل كل مومن ايضاً هو فوق البابا اذا قدم شهادة من اقوال الكتب المقدسة واتى ببراهين احسن من براهين البابا فان صوت ربنا يسوع المسيح هو اعلى جدًّا من صوت جميع الناس مهما كانت الاسماء التي يلقبون بها. (بانورميتانوس لقب رجل اسمهُ ايفس كان اسقف شارترس ولُقّب بهِ لكتابهِ المسمى بانورميا وهو مجموع شهير من الشرائع الكنائسية)

واكبر اسباب حزني واحتسابي هي ان القانون المشار اليهِ يتضمن تعليمًا يختلف بكليتهِ عن الحق فانهُ يحكم بان استحقاقات القديسين هي كنز مع ان الاسفار المقدسة باسرها تشهد بان الله يثيبنا باكثر كثيرًا مما نستحق فان النبي يصرخ قائلاً ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك فانهُ لن يتزكّى قدامك كل حي (مز ١٤٣: ٢) وقال القديس اوغسطينوس الويل للناس مهما كانت سيرتهم كريمة وممدوحة اذا خرج ضدهم حكم خالٍ من الرحمة

وهكذا القديسون لا يخلصون بواسطة استحقاقاتهم ولكن برحمة الله فقط كما ذكرتُ فانا اعتمد ذلك واثبت فيهِ فان كلام الكتب المقدسة الذي يحكم بان القديسين ليس لهم استحقاق كافٍ ويجب ان يوضع فوق كلام الناس الذي يصرّح بان لهم زيادة لان البابا ليس هو فوق كلام الله ولكن دونهُ

ولم يقف لوثيروس عند ذلك بل بيّن انهُ ان لم تكن الغفرانات استحقاقات القديسين فكذلك لا يمكن ان تكون استحقاقات المسيح وبرهن ان الغفرانات هي عقيمة ليس لها ثمر لان مفعولها الوحيد انما هو عفو الناس عن ممارسة الاعمال الصالحة كالصلاة واعطاء الصدقات وصرّح بان استحقاقات يسوع ليست

خزانة غفران يعفي الانسان من الاعمال الصالحة ولكن خزانة نعمة محبوبة واستحقاقات المسيح تُخصَّص بالمومنين من دون غفرانات ومن دون المفاتيح بواسطة الروح القدس وحدهُ لا بواسطة البابا ثم انتهى كلامهُ في القضية الاولى بقولهِ اذا كان لاحدٍ راي امتن تاسيساً من رايي فليخبرني بهِ وحينئذٍ ارجع عن رايي

ثم اتى الى القضية الثانية وقال انا اثبت انهُ لا يقدر انسان ان يتبرر قدام الله ان لم يكن لهُ ايمان حتى انهُ يجب على الانسان ان يومن بثقة كاملة بانهُ قد نال النعمة والشك بهذه النعمة هو رفضها فان ايمان البار هو بِرّهُ وحياتهُ. واثبت لوثيروس مقدمتهُ هذه بنصوص كثيرة من الكتب المقدسة. ثم قال فتنازل اذًا والتمس لي من ابينا الاقدس البابا ان لا يعاملني بهذه القساوة فان نفسي طالبة نور الحق فلست متكبرًا ولا ذا عجب بهذا المقدار حتى اخجل من الرجوع ان كنت قد علَّمتُ تعاليم كاذبة. واعظم فرحي يكون عند ما اشاهد الغلبة لما يوافق كلام الله فلا تدع الناس يلزموني الى عمل شيء ضد صوت ضميري

فاخذ القاصد الورقة من يد لوثيروس وبعد ان لحها قال ببرودة قد اضعت وقتك في هذر لا فائدة بهِ وكتبت كلمات كثيرة بطالة واجبت بحماقة عن القضيتين وسوَّدت ورقتك بآيات كثيرة من الكتاب المقدس لا تعلُّق لها بالموضوع. وحينئذٍ القى دي ڤيو بازدراء جواب لوثيروس جانبًا كانهُ لا قيمة لهُ ثم اخذ يخاطبهُ على الكيفية الاولى التي وافقتهُ في المرة الاولى ثم اخذ يصرخ بكل قوتهِ ان لوثيروس يجب ان يرجع. واما لوثيروس فبقي غير متزعزع ثم صرخ دي ڤيو بالايطالي" يا اخ يا اخ انك في المرة الاولى كنت ليناً جدًّا. واما الآن فانت عنيد جدًّا. ثم ابتدأ الكردينال بخطاب مستطيل اخذهُ من كلام مارتوما ثم اخذ يمدح قانون اكليمنضس السادس واصرَّ على انهُ بموجب سلطان ذلك القانون تتوزع استحقاقات المسيح على المومنين بواسطة الغفرانات وظن انهُ قد افحم لوثيروس عن الجواب واما لوثيروس فكان يقطع حديثهُ احيانًا واما دي ڤيو كان يعجُّ ويتهدد من دون انقطاع ويدَّعي كما في اليوم السابق ان حق

التكلم لهُ وحدهُ

وكانت تلك الطريقة قد نجحت بعض النجاح في المرة الاولى واما في المرة الثانية فلم يكن لوثيروس برتضيها بل احتد اخيرًا واتت نوبتهُ لاذهال الحاضرين الذين ظنوا انهُ قد انغلب بواسطة كثرة كلام الكردينال فرفع صوتهُ الرنَّان واظهر فساد اعتراض الكردينال الذي استند عليهِ ورزقهُ الندم الشديد على عجلتهِ في الجراءة على الدخول معهُ في ميدان الجدال . اما الكردينال فكرَّر قولهُ ارجع ارجع مشيرًا الى القانون البابوي فقال لوثيروس اذا ثبت بواسطة هذا القانون ان خزانة الغفرانات هي نفس استحقاقات يسوع المسيح فاني ارجع حسب ارادة غبطتك الصالحة ورغبتك

واما الايطاليون الذين لم يتوقعوا شيئًا من هذا النوع ففتحوا عيونهم متعجبين من هذا الكلام ولم يقدروا ان يضبطوا انفسهم من الفرح بنظرهم خصمهم قد صيد في الشرك واما الكردينال فغاب عن حواسهِ فضحك متهقهًا ولكن كان ضحكهُ ممزوجًا بالغضب والحدَّة فبادر وقبض على الكتاب المتضمن القانون المشهور وفتش عليهِ فوجدهُ . ومفتخرًا بالغلبة التي ظنها قد تحققت لهُ قرأ العبارة بصوت عالٍ بحرارة وحدَّة وكان الايطاليون مفتخرين ومشيرا المنتخب مضطربين واما لوثيروس فتربَّص منتظرًا . واخيرًا لما وصل القاصد الى هذه الكلمات ان الرب يسوع المسيح قد اكتسب هذه الخزانة بواسطة آلامهِ اوقفهُ لوثيروس وقال ايها الآب الجليل اترجاك ان تتامل بهذه الكلمات بامعان وتزن معناها فانهُ يقول قد اكتسب اي ان المسيح قد اكتسب خزانة بواسطة استحقاقاتهِ فلا تكون اذًا الاستحقاقات هي الخزانة لاننا اذا تكلمنا حسب الفلسفة نرى العلة والمعلول امرين ممتازين كل الامتياز فان استحقاقات يسوع المسيح قد اكتسبت للبابا سلطان اعطاء بعض الغفرانات للشعب ولكن ليست استحقاقات ربنا هي ما توزعهُ يد الحبر فاذًا يكون حكمي هو الصحيح وهذا القانون الذي تستشهد بهِ بكل هذه الضجة يشهد معي للحق الذي انادي بهِ

واما دي ڤيو فبقي ضابطًا الكتاب بيديهِ وعيناهُ تنظران في العبارة المخيبة ولم يقدران يجيب بشيء فانهُ اصطيد بنفس الفخ الذي نصبهُ وهناك قبض عليهِ لوثيروس بيد قوية حتى انذهل انذهالاً لا يوصف الايطاليون الذين حولهُ ولو امكن القاصد لاحتال في التخلص من هذا المشكل فانهُ في اول الامر ترك شهادة الكتاب المقدس والآباء والتجأ الى كلام اكليمنضس السادس هذا واذا بهِ قد وقع في الشرك الآنهُ حاول بكل جهدهِ على كتم خزيهِ واذ رغب في اخفاء عارهِ ترك حالاً هذا الموضوع وانتقل الى قضايا اخرى وقاومها بشدة واما لوثيروس فلاحظ تلك الحيلة فلم يسمح لهُ بالفرار بل شدَّ وسدَّ من كل جهة الشرك الذي اصطادهُ بهِ ولم يترك لهُ سبيلاً الهرب فقال لهُ بصوت التهكم والاحترام ايها الاب الجليل ان غبطتك لا تقدران تتصورانا نحن الجرمانيين جاهلون قواعد الكلام على التمام فان كون الشيء خزانة وكونهُ مكتسبًا خزانة امران مختلفان جدًّا

فقال دي ڤيو ارجع ارجع والاَّ فارسلك الى رومية لكي تقف بين ايدي قضاة معيَّنين لاستماع دعواك فاني احرمك مع كل اتباعك وجميع الذين هم محامون او يحامون عنك واطردهم من الكنيسة فان كل سلطان قد أُعطي لي في هذا الامر من الكرسي الرسولي . أَتظن ان المحامين عنك يصدونني أَو تتوهم ان البابا يعتبر جرمانيا بشيء فان خنصر البابا اقوى من جميع امراء جرمانيا معًا (كاننا في هذا الامر نسمع محاورة بطريرك الموارنة واسعد الشدياق قال اسعد قدم لي برهانًا من الكتاب قال ذاك ارجع ارجع والاَّ فانا افعل الخ وهكذا في المحاورة مع البابا وية يسترون الغلبة بالضجة)

فقال لوثيروس اترجاك ان ترسل الى البابا لاون العاشر مع دعاء حقارتي الجواب الذي دفعتهُ اليك بالكتابة

فانسرَّ القاصد جدًّا عند ما سمع ذلك وبحاول خصمهِ عنهُ . ثم ابتدا يتكلم بصوت العظمة وقال للوثيروس بكبرياء وغضب. ارجع والاَّ فلا ترجع اليَّ ايضًا

فاثَّرت هذه الكلمات في لوثيروس . ونوى ان يجيب بطريق آخر غير الكلام فسلَّم وخرج من الديوان ومشيرا المنتخب في اثرهِ واذ بقي الكردينال والايطاليون وحدهم نظروا بعضهم الى بعض بخزي من تلك النتيجة . وهكذا الطريقة الدومينيكية المغشاة بلمعان الارجوان الروماني اطلقت بكبرياءٍ خصمها المسكين واما لوثيروس فشعر في نفسهِ بان في التعليم المسيحي والحق قوة لا يمكن سلطة مدنية ولا روحية ان تقهرها ابدًا والذي انصرف من المتقاتلين بقي هو الغالب في ميدان القتال وهذه هي الخطوة الاولى التي بها انفصلت الكنيسة من البابا وية

ان دي ڤيو ولوثيروس لم يلتقيا بعد الآن المصلح اوقع تاثيرًا عميقًا في القاصد لم يُمحَ منهُ قط وما قالهُ لوثيروس عن الايمان وما قراهُ دي ڤيو في مؤلفات العالِم الوتمبرجي التالية غيَّر كثيرًا آراءَ ذلك الكردينال ولاهوتيو رومية نظروا بعجب وعدم ارتضاءٍ الى ما ذكرهُ لوثيروس عن التبرير في شرحهِ الرسالة الى الرومانيين والاصلاح لم يسلّم ولا رجع ولكن ديانةُ الذي لم يكن يهدا عن الصراخ ارجع ارجع غيَّر افكارهُ ورجع عن غلطهِ وهكذا تكللت امانة المصلح غير المتزعزعة . فرجع لوثيروس الى الدير حيث كان نازلاً وذلك بعد ان ثبت وشهد للحق واكمل ما يجب عليهِ وكان الله عتيدًا ان يكمل ما بقي فامتلأ قلبهُ سلامًا وفرحًا

الفصل التاسع

دي ڤيو وستوبتز . ذهاب لوثيروس

ان الاخبار التي نمت الى لوثيروس لم تكن مشجعة فشُيّع في المدينة انهُ ان لم يرجع يُقبَض عليهِ ويُلقى في السجن واكَّدوا ان النائب العام لرهبنتهِ اي ستوبتز

نفسهُ قد ارتضى بذلك. ولم يقدر لوثيروس ان يصدّق ما شُيّع عن صديقهِ عالمًا يقينًا بان ستوبتز لا يمكن ان يغشهُ. واما غايات الكردينال فبموجب حكم كلامهِ لا شك بها وهو لم يرد ان يهرب من الخطر فان حياتهُ هي نظير الحق في ايدي اعدائهِ الالدّاء ومع الخطر العظيم الذي كان تحتهُ عزم على المكث في اوجسبرج. اما القاصد فندم سريعًا على فظاظتهِ وشعر بانهُ تجاوز حدودهُ فاجتهد ان يراجع خطواتهِ فقبلما فرغ ستوبتز من غذائهِ يوم المقابلة عند الظهر وصل اليهِ رسول من عند الكردينال يدعوهُ الى قصرهِ فذهب ستوبتز الى هناك برفقة ونسبسلاس لِنك. فوجد القاصد وحدهُ مع سرّالونكا فتقدم حالاً دي ڤيو الى ستوبتز وخاطبهُ بالطف الخطاب يقول اجتهد مع راهبك واقنعهُ بالرجوع وبالحقيقة انهُ اعجبني من غير وجه وليس لهُ صديق احسن مني

قال ستوبتز اني قد فعلت ذلك وسانصحهُ ايضًا بالخضوع للكنيسة في كل تواضع

قال دي ڤيو يجب ان تردّ على البراهين التي يستخرجها من الكتب المقدسة

قال ستوبتز يجب ان اعترف يا سيدي بان ذلك امر فوق طاقتي لان المعلم مرتينوس لوثيروس هو اعظم مني في العقل وفي معرفة الكتب المقدسة جميعًا

فتبسم الكردينال من بساطة قلب النائب العام فضلاً عن انهُ هو نفسهُ عرف جيدًا ما اعسر اقناع لوثيروس ثم استتلى مخاطبًا ستوبتز ولِنك فقال انعلمان انكما تحزَّبكما لتعليم ارانيكي تصيران تحت طائلة تاديبات الكنيسة. قال ستوبتز اترجاك ان تتنازل فتستأنف المحاورة مع لوثيروس وتعين جلاً لاجهاريًّا في القضايا المختلف فيها . قال دي ڤيو مرتعدًا من نفس هذا الفكر انني لا اجادل ايضًا ذلك الوحش ابدًا لان لهُ عينين عميقتين وافكارًا عجيبة في راسهِ. واخيرًا اقنع ستوبتز الكردينال ان يكتب الى لوثيروس خطًّا ما يُطلَب

ان يرجع عنهُ

ثم رجع النائب العام الى لوثيروس واذ احتسب بسبب ما رآه من الكردينال اخذ يجتهد في اقناع لوثيروس بالمصالحة فقال له لوثيروس فادحض اذاً البينات التي قدَّمتها من الكتاب المقدس . فقال ستوبتز ان ذلك فوق طاقتي . فاجاب لوثيروس نعمًا ذلك وهو اذاً ضد ضميري ان ارجع ما دامت هذه الآيات من الكتاب المقدس لا تفسر تفسيرًا آخر ثم قال ان ما يدَّعي بهِ الكردينال كما اخبرتني هو انهُ يريد ان ينهي هذه المادة من دون ان يلحق بهِ عارًا واذية . آه ان هذه عبارات رومانية معناها في لغتنا الجرمانية ان ذلك يكون عارًا وخرابًا ابديين لي فاي شيء غير ذلك ينتظرهُ مَن انكر الحق خوفًا من الناس وضد صوت ضميره

ولم يلحَّ عليهِ ستوبتز بذلك لكنهُ اخبر لوثيروس بان الكردينال قد ارتضى بان يرسل اليهِ خطًّا تلك القضايا التي يطلب الرجوع عنها وهو حينئذٍ لا محالة اخبرهُ ايضًا بعزمهِ على الانطلاق من اوجسبرج حيث لم يبقَ لهُ شيء يعملهُ ولوثيروس اخبرهُ بطريقة كان قد تصورها لتعزية انفسهما وتقويتهما فوعدهُ ستوبتز بالرجوع وانفصلا الى زمان قصير ولما انفرد لوثيروس في مخدعهِ اتَّجه بافكارهِ نحو اعز الاصدقاء اليهِ فتناهت افكارهُ الى ويمار والى ومتبرج فاراد ان يخبر الملك المنتخب بما جرى ولاجل خوفهِ من الوقوع في هفوة في مكاتبتهِ الملك نفسهُ كتب الى سپالاتين وطلب منهُ ان يخبر مولاهُ بحالة الامور فاخبرهُ بكل شيء بالتفصيل من البداءة الى النهاية وبوعد الكردينال ايضًا بارسال القضايا المختلف فيها بالكتابة وختم كلامهُ بقولهِ فهذه هي حالة الامور ولكن ليس لي امل ولا اركان بالقاصد فانني لا ارجع عن خطة واحدة ومرادي ان اشهر الجواب الذي قدمتهُ لهُ حتى اذا استعمل الغصب في ما بعد يتغطى بالخزي في كل العالم المسيحي . وحينئذٍ اغتنم الفرصة الباقية لهُ للكتابة الى اصدقائهِ في وتمبرج فكتب الى العالِم كرلستدت يقول

السلام والسعادة. اقبل هذه الكلمات القليلة كانها مكتوب طويل لان الزمان والحوادث تضغطني وساكتب اليك والى الآخرين بما هو اتمّ من ذلك في فرصة احسن قد مضى ثلثة ايام في الاشتغال في امري ووصلت الاحوال الآن الى حدٍّ بحيث لم يبقَ لي رجاء بالرجوع اليكم وليس لي شيء انتظرهُ الّا الحرم والقاصد لايمكن ان يسمح لي بالجدال لا جهرًا ولا سرًّا فهو يقول انهُ لا يرغب في ان يكون قاضيًا بل ابًا ومع ذلك لا يريد ان يسمع مني كلامًا غير هذا انا ارجع انا اقرّ بغلطي وهذه الكلمات لا اتلفظ بها . واخطار دعواي انما هي زائدة لان قضاتي فضلاً عن انهم اعداء اشداء هم ايضًا اناس غير قادرين على ادراكها الّا ان الرب الاله يحيا ويملك والى حفظهِ اسلّم نفسي ولست اشك بانهُ اجابةً لصلوات انفس قليلة نقية يرسل لي نجاةً. ويخيل لي اني اشعر بانهم يصلون من اجلي. فاما ان ارجع اليكم من دون ان يكون قد حصل عليّ اذًى او أُحرَم والتزم بالالتجاء الى مكان آخر ولكن كيفما كان ذلك فجاهدوا بشجاعة واثبتوا ومجّدوا المسيح بجسارة وفرح

ان الكردينال يدعوني دائمًا ابنهُ العزيز ولا اعلم كم يجب ان اصدق من ذلك الّا انني موقن بانني اكون الرجل الاعز والاكثر قبولاً عندهُ في العالم ان نطقت بهذه الكلمة الواحدة ارجع ولكنني لا اريد ان اصير اراتيكيًا برفض الايمان الذي بهِ صرت مسيحيًا فاحب اليَّ ان أُنفَى وأُحرَم وأُحرَق الى الموت من ان افعل ذلك . فاستودعك الله يا عزيزي العالِم واطلب اليك ان توقف على هذا المكتوب لاهوتيينا امسدرف وفيلبس واوتن والاخرين لكي تصلوا من اجلي ومن اجل نفوسكم ايضًا لان ما احامي عنهُ هنا هو دعواكم اي دعوى الايمان بالرب يسوع المسيح وبنعمة الله

وكون دعوانا دعوى الايمان بالرب يسوع المسيح هو فكر لذيذ يملأُ القلب تعزيةً وسلامًا في جميع الذين يشهدون ليسوع المسيح ولاهوتهِ ونعمتهِ عند ما يسكب عليهم العالم من كل جهة اقضيتهُ وحروماتهِ وتعييراتهِ وكم من الحلاوة

ايضاً في الفكر الذي يصرّح بهِ المصلح عند قولهِ اني اشعر بانهم يصلون من اجلي فان الاصلاح كان عمل صلاح وصلاة والحرب التي حصلت بين لوثيروس ودي ڤيو كانت حرب عنصر ديني حيّ مع ذخائر فلسفة الكلام المائتة التي تسلطت في القرون المتوسطة. وعلى هذا الاسلوب خاطب لوثيروس اصدقاءهُ الغائبين عنهُ. واما ستوبتز فرجع عاجلاً وزار العالِم ايضاً روهلُ وفارسُ فيلترخ سفيرا المنتخب بعد ان انصرفا من عند الكردينال وانطلق معهم ايضاً بعض الاصدقاء الآخرين للانجيل واذ راى لوثيروس هولاء الرجال الكرماء مجتمعين هكذا وكانوا على جناح الافتراق وهو عتيد ان ينفصل عنهم ربما الى الابد طلب ان يكسروا الخبز معاً فاجابوهُ الى ذلك واشتركت تلك الجماعة القليلة المؤلفة من اناس امناء في جسد يسوع المسيح ودمهِ. فاية احساسات خامرت قلوب اصدقاء المصلح في ذلك الوقت عند ما اقاموا عشية الرب معهُ ظانين ان تلك المرة ربما تكون المرة الاخيرة التي يُؤْذَن لهم فيها بمباشرة عمل كهذا واي فرح واية محبة خالجا قلب لوثيروس عند ما راى نفسهُ يُقبَل بانعامٍ كهذا من معلمهِ في نفس الدقيقة التي رفضهُ فيها الناس فكم كانت تلك الشركة خشوعية وتلك الليلة مقدسة

وفي اليوم التالي اي يوم السبت في ١٥ تشرين الاول كان لوثيروس منتظراً القضايا التي وعدهُ القاصد بارسالها ولكن اذ لم يصل اليهِ كلام ولا خبر ترجّى صديقهُ ونسيسلاس لِنك ان يذهب الى القاصد فاقتبلهُ دي ڤيو بالطف شان وحقق لهُ ان لارغبة لهُ الاّ في ان يتصرف كصديق وقال لهُ انني لم اعد اعتبر لوثيروس كاراتيكي ولا احرمهُ في هذه المرة ما لم تاتني اوامر جديدة من رومية وقد ارسلت جوابهُ الى البابا مع رسول مخصوص. ثم لكي يبين مقاصد محبتهِ استتلى قائلاً واذا رجع المعلم لوثيروس عن القضية المتعلقة بالغفرانات فقط تنتهي المادة عاجلاً لان ما يتعلق بالايمان بالاسرار هو امر يقدر كل انسان ان يفهمهُ ويفسرهُ حسب ارادتهِ. وسپالاتين الذي ذكر هذه الكلمات يضيف الى ذلك

هذه الملاحظة الحاذقة بل العادلة بقولهِ فينتج واضحًا ان رومية تنظر الى الدراهم اكثر مما تنظر الى الايمان المقدس وخلاص النفوس. فرجع لِذلك الى لوثيروس ووجد ستوبتز عندهُ فاخبرهما بما كان من زيارتهِ وعند ما وصل الى تسليم القاصد غير المنتظر قال ستوبتز ليتهُ كان مع المعلم ونسبسلاس كاتب شرعي وشهود لكي يكتبوا هذه الكلمات لانهُ اذا شاع مثل هذا الامر يكون مضرًّا جدًّا للرومانيين. ولكن كلما تلطف كلام القاصد قل اركان هولاء الجرمانيين اليهِ وكثيرون من الافاضل الذين اوصوا بلوثيروس عقدوا مجمعًا معًا وقالوا ان القاصد آخذٌ في اعداد اذية بواسطة هذا الرسول الذي ذكرهُ فيخشى من ان يُقبَض عليكم جميعًا وتلقوا في السجن. ومن ثم عزم ستوبتز وونسبسلاس على ترك المدينة فاعتنقا لوثيروس الذي عزم على البقاء في اوجسبرج وانطلقا بسرعة طالبين نورمبرج في طريقين مختلفتين وذلك باحتساب عظيم على الشهيد الشجاع الذي تركاهُ وراءهما

فانصرف الاحد بهدوٍ ولكن عبثًا انتظر لوثيروس رسولاً من القاصد فانهُ لم يبعث احدًا فعزم لوثيروس على الكتابة وكان ستوبتز ولنك قبل انصرافهما قد طلبا منهُ ان يعامل القاصد بكل الاعتبار الممكن. ولم يكن لوثيروس قد ذاق رومية ورسلها فهذا الامتحان الاول فان لم ينجح الوقار يتخذ منهُ تحذيرًا مرة اخرى واما الآن اقلما يكون يجب ان يجرب ذلك ولم يمضِ عليهِ يومٌ من دون لوم نفسهِ والتنهد من سهولتهِ في التلفظ بكلمات هي اقوى ما اقتضاهُ الحال فلماذا لم يعترف للكردينال بما اعترف بهِ كل يوم لله. وعدا ذلك كان قلب لوثيروس يتحرك بسهولة ولم يظن سوء الظن باحد فاخذ قلمهُ وبكل اعتبار كتب الى الكردينال ما ياتي وذلك في ١٧ تشرين الاول

ايها الاب الافضل بالله اني ادنو اليك مرة اخرى لا بشخصي ولكن بالكتابة مترجيًا صلاحك الابوي ان تصغى اليَّ بالاحسان. ان المعلم ستوبتز المحترم ابي العزيز بالمسيح قد طلب مني ان اتذلل وارفض افكاري واخضع آرائي لحكم

اناس انقياء خالين من الغرض وقد مدح ايضًا معروفك الابوي واقنعني بالتمام بانعطافك نحوي وهذا الخبر ملأني سرورًا . ولهذا ايها الاب الافضل اعترف الآن كما قد فعلت قبلاً بانني لم أُبدِ كما شاع عني احتشامًا او وداعةً او اعتبارًا كافية نحو اسم الحبر الاعظم ومع اني قد أُشْخِطت جدًّا ارى انهُ كان الاحسن لي لو تصرفت باكثر تواضعًا ووداعة واعتبارًا ولو لم اجاوب الغبي كغباوتهِ لئلاَّ اصير شبيهًا بهِ . وهذا يغمني جدًّا وانا اطلب الغفران وسوف اعترف بذلك للشعب جهارًا عن المنبر كما قد فعلت حقًّا مرارًا كثيرة في ما مضى وسوف اجتهد بنعمة الله ان اتكلم خلاف ذلك وزد على ذلك اني مستعد لان اعد بالحرية من ذات نفسي بان لا انطق بكلمة اخرى في امر الغفرانات اذا انصرفت هذه القضية ولكن على شرط ان الذين الجأُوني الى الابتداء يلطفون كلامهم في مواعيظهم او يسكتون . واما نظرًا الى صدق تعليمي فان كلام مار توما وغيرهِ من العلماء لا يمكن ان يقنعني بل يجب (اذا كنت مستحقًا) ان اسمع صوت العروس التي هي الكنيسة لانهُ محقق انها تسمع صوت العريس الذي هو المسيح

فبكل تواضع وخضوع اذًا اترجى محبتك الابوية ان تحيل كل هذه القضية التي لم تنتهِ الى الآن الى سيدنا الاقدس لاون العاشر لكي تحكم الكنيسة وتقضي وتامر ولكي ارجع انا بنية صالحة واومن بخلوص

من قراءة هذا المكتوب يتحقق لنا ان لوثيروس لم يتصرف حسب ترتيب اعتمد عليهِ سابقًا بل حسب الاقناعات التي استولت على ضميرهِ على التوالي واذ لم تكن لهُ طريقة معينة او مقاومة مرتبة سابقًا ناقض نفسهُ مرارًا كثيرة ومن دون توقُّع مكروه فان الاوهام القديمة التي تربَّى فيها بقيت مستولية على ضميرهِ الاَّ انهُ دخلت فيهِ افكار مضادة لها ومع ذلك نرى الناس يلتمسون في علامات الخلوص والصدق هذه براهين ضد الاصلاح وبناءً على اتباعهِ شرائع النمو الضرورية الموضوعة على كل شيءٍ في العقل البشري كتب البعض تاريخ اختلافاتهِ في هذه الهيئات نفسها التي تظهر صدقهُ وبالتالي تجعلهُ مستحقًّا كل اكرام

فلم يأتِ لوثيروس جواب لمكتوبهِ لان كايتان وانصارهُ بعد ان هاجوا ذلك الهياج العظيم سكتوا بغتةً ولبثوا بدون حركة . فقال لوثيروس في نفسهِ ما هو سبب ذلك هل هو السكون الذي يتقدم الزوبعة والبعض كانوا من مذهب بلاويشسني الذي زعم ان الكردينال انتظر حتى يفرغ هذا الراهب المتكبر بالتدريج نظير الامواج المنتفخة بالريح فيصير متواضعًا على التمام. وآخرون ممن ظنوا بانفسهم انهم اعلم بالطرق الرومانية ذهبوا الى ان القاصد اراد ان يقبض على لوثيروس ولكنهُ لم يتجاسر على الاخذ في ذلك من نفسهِ بسبب ورقة الامان الامبراطورية وانهُ انتظر جوابًا من رومية لرسالتهِ وآخرون لم يصدقوا بان الكردينال يتاخر بهذا المقدار فقالوا ان الامبراطور مكسيمليان ولعل هذا هو الصحيح لا يستنكف من تسليم لوثيروس لحكم الكنيسة مع وجود ورقة الامان كما ان سيجسموند لم يأنف من تسليم هس لمجمع قسطنسيا . وربما كان القاصد آخذًا في مراسلة الامبراطور ومَن يعلم في اية لحظة تصل الرخصة من مكسيمليان وبالنسبة الى مضادتهِ للبابا في ما مضى يتملقهُ الآن الى ان يحيط الاكليل الملكي براس ابن ابنهِ واذ لم يكن يجب تضييع دقيقة واحدة قال للوثيروس الناسُ الكرماء الذين كانوا محدقين بهِ ارفع دعواك الى البابا واخرج من اوجسبرج من دون تأخير

اما لوثيروس فكان وجودهُ في تلك المدينة بلا فائدة مدة الاربعة الايام الاخيرة وقد برهن بالكفاءة بعد انطلاق المشيرين السكسونيين اللذين ارسلهما المنتخب لاجل رعاية امنهِ انهُ لم يكن يخاف شيئًا بل كان مستعدًا لدفع كل دعوة تقدمت عليهِ فاجاب اخيرًا الى طلبات اصدقائهِ ولكنهُ عزم اولًا على اعلام دي فيو بقصدهِ فكتب اليهِ يوم الثلثاء مساء ذهابهِ وهذا المكتوب الثاني كانت عباراتهُ اشد من عبارات المكتوب الاول . والظاهر ان لوثيروس لما راى جميع اجتهاداتهِ ذاهبة سدى اخذ برفع راسهُ بسبب ظهور استقامتهِ وعدم عدالة اعدائهِ وهذا ما كتبهُ اليهِ

ايها الاب الافضل بالله انك بجودتك الابوية قد عاينت واقول ايضاً قد عاينت واطّلعت بالكفاءة على طاعتي فقد قطعت مسافة طويلة وقاسيت مخاطر عظيمة بضعف جسدي وشدة فقري وحسب امر سيدنا الاقدس لاون العاشر قد وقفت بنفسي امام غبطتك واخيرًا طرحت نفسي على قدمي قداسته وانا الآن في انتظار ارادته الصالحة مستعد للخضوع لحكمه سواء قضى عليَّ ام برّرني ولهذا اشعر باني لم اترك شيئًا ما يليق بابن مطيع للكنيسة ان يعملهُ وبالتالي يتراءى لي انهُ لا ينبغي لي ان اطيل تغرُّبي في هذه البلدة بدون فائدة فضلاً عن ان ذلك مستحيل لان اسبابي قد انقطعت وجودتك الابوية قد نهيتني عن الحضور بين يديك مرةً اخرى ما لم ارجع

لذلك انا انطلق باسم الرب راغبًا اذا امكن ان اجد رقعة حيث اقدر ان احل بسلام وان اشخاصًا كثيرين اعظم مني قد طلبوا مني ان ارفع دعواي من ديوان جودتك الابوية وايضًا من ديوان سيدنا الاقدس لاون العاشر الذي بلغهُ الخبر على غير حقه الى البابا عند ما يبلغهُ الامر على حقه . ومع انني اعلم ان رفع الدعوى هذا يكون اكثر قبولاً لدى سعادة منتخبنا المعظم من رجوعي فلو استشرت حاسياتي وحدها لما فعلت ذلك فاني لم ارتكب ذنبًا ولهذا لا ينبغي ان اخاف شيئًا

وبعد ان كتب لوثيروس هذا المكتوب الذي لم يُسلَّم للقاصد الاّ بعد ذهابه استعد للانطلاق من اوجسبرج فان الله كان قد حفظهُ الى تلك الساعة فشكر الرب على ذلك بكل قلبه ولكنهُ لا يجب ان يجرّب الرب فعانق اصدقاءهُ بيوتنجر ولانجيانتل والادلمانين واورباخ ورئيس الكرمليين الذي اضافهُ ضيافة مسيحية ويوم الاربعاء قبل الفجر نهض من نومه واستعد للخروج وكان اصدقاؤهُ قد اوصوهُ بالاحتراز الكلي لئلاّ يُصدّ اذا شاع عزمهُ فتبع وصيتهم على قدر الامكان وكان ستوبتز قد ترك لهُ حصانًا صغيرًا فأُتي به الى باب الدير فودع اصدقاءهُ ثانيةً وركب واخذ في طريقه من دون لجام لحصانه ومن دون جزمة

ولا مجنّ ولا سلاح وكان والي المدينة قد ارسل واحدًا من الحرس الفرسان خبيرًا بالطرقات فاخذهُ هذا الخادم تحت جنح الظلام في ازقة اوجسبرج الصامتة الى جهة باب صغير للمدينة في السور وكان لانجيمانتل قد امر ان يُفتَح لهُ وما دام في المدينة دام تحت سلطان القاصد ولم يزل في خطر الوقوع في ايدي رومية ولا ريب انهُ لو عرف الايطاليان ان غنيمتهم هاربة منهم لصرخوا صراخ الغضب. فمن يعلم ان عدو رومية الشديد لا يُقبَض عليهِ حينئذٍ ويُطرَح في سجن. واخيرًا وصل لوثيروس ودليلهُ الى الباب الصغير وخرجا منهُ فصارا خارج اوجسبرج وحينئذٍ اركضا فرسيهما واسرعا في جريهما. وكان لوثيروس عند سفرهِ قد ترك ورقة رفع دعواهُ الى البابا في يد رئيس بوميسو فارتأى اصدقاؤُهُ انهُ لا ينبغي ان تُرسَل الى القاصد وطلبوا من الرئيس ان يامر بتعليقها على ابواب كنيسة الكرسي بعد انطلاق العالِم بيومين او بثلثة ايام وذلك بحضرة كاتب وشهود ففعل كذلك. وفي تلك الورقة قال لوثيروس انهُ يرفع الدعوى من الاب الاقدس البابا المغشوش الى الاب والسيد الاقدس بالمسيح لاون العاشر بهذا الاسم بنعمة الله غير المغشوش. وهذه الاستغاثة كُتِبَت بالصورة والاسلوب المعتادين بمساعدة الكاتب الملكي غال من هربرختجن بحضور راهبَين اوغسطينيين برثولوماوس اوتزمابر وونزل ستانبيس وذلك في ١٦ تشرين الاول

ولما بلغ الكردينال ذهاب لوثيروس ارتبك جدًّا وخاف ايضًا وارتعد كما اكَّد للمنتخب في مكتوبهِ اليهِ وبالحقيقة كانت علة كافية لازعاجهِ فان هذا الذهاب الذي انهى الدعوى بهذه السرعة قطع حبال الآمال التي كان كل هذه المدة الطويلة يعد كبرياءَهُ بها لانهُ طمع في شرف ابراء جراحات الكنيسة وترجيع سطوة البابا المتزعزعة في جرمانيا وكان الارانيكي قد هرب ليس بدون قصاص فقط بل ايضًا بدون اذلال. والمحاورة انما كانت قد افادت في اظهارها على طريق اوضح من الجهة الواحدة سذاجة لوثيروس واستقامتهُ وثباتهُ ومن الجهة الاخرى اعمال البابا وسفيرهِ المتكبرة غير الصوابية واذ لم تربح رومية شيئًا

خسرت واذ لم تتفوَّ قوَّتها رُشِقَت بضربة حديثة فماذا يقولون في الفاتيكان واي رسالات تاتي من رومية فان صعوبات حالهِ يتغاضى عنها وتنسب نتيجة هذا الامر التعيسة الى عدم مهارتهِ واغتاظ سرّ الونكا والايطاليون جدًا عند ما رأوا انفسهم مع كل حذاقتهم قد انختلوا من الراهب الجرماني واما دي ڤيو فبالكد قدر على اخفاء حنقهِ وزعم ان تلك الاهانة تستلزم لا محالة انتقامًا وسنراهُ بعد قليل يتنفس غضبهُ في مكتوب كتبهُ الى المنتخب

الفصل العاشر

هرب لوثيروس . مكاتبة القاصد والملك المنتخب . نجاح المدرسة

لم يزل لوثيروس ودليلهُ هاربين الى ان بعدا عن اسوار اوجسبرج فكان لوثيروس يحث حصانهُ ويجدّ في جريهِ على استطاعة البهيم المسكين فتذكّر فرار يوحنا هس الحقيقي او الموهوم وطريقة القبض عليهِ وزعم اخصامهِ الذين ادَّعوا ان يوحنا هس بما انهُ قد ابطل بفرارهِ ورقة الامان التي اعطاهُ اياها الامبراطور صار لهم حق ان يحكموا عليهِ بالحريق ولكن لم تبقَ هذه الافكار المقلقة زمنًا طويلاً في عقل لوثيروس واذ قد نجا من مدينة صرف فيها عشرة ايام تحت يد رومية الهائلة التي سحقت الوفًا كثيرة من شهود الحق وضرجت اسوارها بالدم صار حرًّا مطلقًا يتنفس نسيم البرّ الرائق ويقطع القرى والاقاليم ورأى نفسهُ قد خلص على نوع عجيب بذراع الرب فاخذ يؤدّي بكل قوَّتهِ الشكر للالهِ القدير وحق ان يقول حينئذٍ انفلتت انفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين الفخ انكسر ونحن انفلتنا عوننا باسم الرب الصانع السموات والارض (مز ١٢٤ : ٧ و٨) وهكذا طفح قلب لوثيروس بالفرح وافكارهُ رجعت نحو دي ڤيو ايضًا فقال ان الكردينال رغب ان اكون في يديهِ لكي يرسلني الى رومية ولا بدَّ انهُ مغتاظ من

نجاني فانهُ ظن اني في قبضة يدهِ وانا في اوجسبرج وتوهم انهُ قد ملكني. أَليس هو عارًا ان هولاء القوم وضعوا الراسي قيمةً هذا مقدارها. كانوا يدفعون ثلةً من التيجان لكي يقبضوا عليَّ بايديهم والحال ان ربنا يسوع المسيح قد بيع بثلثين من الفضة

وفي اليوم الاول قطع اربعة عشر فرسخًا ولما بلغ المنزل حيث قصد ان يبات كان تعبًا كل التعب لان حصانهُ ردي السير كما اخبرنا بعض المؤرخين حتى انهُ لما نزل عن ظهرهِ لم يقدر ان يقف منتصبًا فاضطجع على حزمة من القش الّا انهُ حصَّل شيئًا من الراحة وفي الغد اخذ في طريقهِ فالتقى في نورمبرج بستوبتز الذي كان آخذًا في زيارة اديرة رهبنتهِ وفي تلك المدينة راى المنشور المُرسَل من البابا الى كايتان في شانهِ فاغتاظ منهُ . ولو راى ذلك المنشور قبل انطلاقهِ من وتمبرج لما انطلق قط الى الكردينال . قال انهُ لا يصدق شيئًا فاحشًا بهذا المقدار يمكن خروجهُ من عند الحبر الاعظم لانهُ الى ذلك الوقت لم يعرف الوحش

وتعجب الناس من لوثيروس كل العجب في كل الطريق العمومي فانهُ لم يكن قد سلَّم ولا في قضية واحدة. وغلبة كهنة من راهب متسوّل على وكيل رومية ملأَت كل قلب من العجب وكان ذلك كأَنَّ جرمانيا اخذت ثارها من احتقار ايطاليا اياها والكلمة الابدية حصلت على اكرام اكثر من كلمة البابا وتلك المملكة المتسعة التي تسلَّطت ادوارًا هذا عددها على العالم ضُرِبَت ضربة هائلة فكان سفر لوثيروس نظير راية للغلبة ففرح الناس بعناد رومية مؤمّلين انهُ يكون سببًا لدمارها فلو لم تصر على حفظ ارباحها المعيبة ولو كانت عندها من الحكمة ما منعها من الازدراء باهل جرمانيا واصلحت الفساد الفظيع الجاري فيها لربما رجع حسب فكرنا البشري كل شيء الى حالة الموت التي استفاق لوثيروس منها ولكن البابا وية لا تسلّم و بعد ذلك راى المصلح نفسهُ مضطرًّا الى كشف غلطات أُخَر كثيرة والى التقدم في معرفة الحق واظهارهِ

وفي ٢٦ تشرين الاول وصل لوثيروس الى غرفنتال على طرف الاحراش

الثورنجية فصادف هناك ألبرت امير منسفلدت الذي اجتهد في اقناعهِ بعدم الانطلاق الى اوجسبرج وهذا الامير ضحك من اهبتهِ الغريبة والزمهُ ان يميل ويتضيف عندهُ واما لوثيروس فرجع سريعًا الى طريقهِ

فاسرع في جريهِ راغبًا في ان يكون في وتمبرج في ٣١ تشرين الاول مفتكرًا ان الملك المنتخب يكون هناك لاجل عيد جميع القديسين وانهُ يراهُ . وكان المنشور الذي قراهُ في نورمبرج قد كشف لهُ جميع الاخطار المحدقة بهِ . والواقع انهُ قد حُكم عليهِ في رومية فلم يبقَ لهُ سبيل الى الامل بالاقامة في وتمبرج ولا بنوال ملجا في احد الاديرة ولا بوجود امان او طمانينة في مكان آخر . لعل حماية الملك المنتخب تصونهُ الَّا انهُ لم يتيقن بها ولم يكن ينتظر شيئًا بعد من الصديقين اللذين كانا لهُ في بلاط الملك وكان ستوبتز قد خسر انشراح خاطر الملك عليهِ وعزم على الذهاب من سكسونيا وسپالاتين كان محبوبًا عند فردريك الَّا انهُ لم يكن معتبرًا كثيرًا عندهُ والملك المنتخب نفسهُ لم يكن عارفًا بالكفاءة بتعليم الانجيل لكي يحتمل خطرًا ظاهرًا من اجلهِ ومع ذلك ظن لوثيروس ان الاصلح لهُ الرجوع الى وتمبرج وان ينتظر هناك ما يعملهُ بهِ الاله الرحيم الابدي فان تُرك بلا معارضة كما ظن كثيرون عزم على التفرغ بالتمام للدرس ولتعليم الشبان. فدخل لوثيروس وتمبرج في ٣٠ تشرين الاول وذهبت كل عجلتهِ سدى لانهُ لم ياتِ الملك المنتخب ولا سپالاتين الى العيد فامتلأ اصدقاؤهُ فرحًا عندما رأَوهُ ايضًا في وسطهم وبادر هو الى اعلام سپالاتين بوصولهِ فقال قد وصلت اليوم الى وتمبرج سالمًا صحيحًا بنعمة الله ولكن لست اعلم كم ابقى هنا فانا مملوءٌ فرحًا وسلامًا وبالكد اقدر ان ادرك كيف تبين التجربة التي كابدتها عظيمة بهذا المقدار لدى اشخاص كثيرين معتبرين

واما دي ڤيو فلم يصبر مدة طويلة بعد انطلاق لوثيروس عن ان يسكب جميع غضبهِ للملك المنتخب على هوائهِ ومرامهِ ومكتوبهُ تنفس انتقامًا واخبر فردريك عن المحاورة وختم مكتوبهُ بقولهِ بما ان الاخ مرتينوس لا يمكن اقناعهُ

بواسطة وسائط ابوية حتى يقرّ بغلطهِ ويبقى امينًا للكنيسة الكاثوليكية اطلب من سعادتك ان ترسلهُ الى رومية او تنفيهُ من بلادك وليكن محقَّقًا عندك ان هذا العمل الصعب المضر السامّ لا تحتمل اطالتهُ بعد لانني حالما اخبر سيدنا الاقدس بكل هذا المكر والخبث يصير لهُ انهاء. وفي حاشية كتبها الكردينال بيدهِ يطلب من المنتخب لا يدنس شرفهُ وشرف اجدادهِ العظماء لاجل اخ حقير شقي . وربما لم يشعر قط لوثيروس بغيظ احق مما شعر بهِ عند ما قرا صورة ذلك المكتوب التي ارسلها اليهِ الملك المنتخب فان افكارهُ بالاتعاب التي كان مزمعًا ان يكابدها وقيمة الحق الذي حامى عنهُ والاحتقار الذي ابداهُ نحوهُ القاصد الروماني هيجت جميعها قلبهُ وجوابهُ الذي كتبهُ في شدة هذا التهييج ملآن من الشجاعة والشرف والايمان الذي كان دائمًا يظهرها في اشد تجارب حياتهِ فقص على الملك خبر المحاورة التي حدثت بينهُ وبين القاصد في اوجسبرج وبعد ان وصف تصرف الكردينال يستتلي قائلاً

انني ارغب في ان اجاوب القاصد بالنيابة عن الملك المنتخب على هذا المنوال . برهن انك تفهم ما تتكلم بهِ واكتب كل شيءٍ على الورق وحينئذٍ انا ارسل الاخ مرتينوس الى رومية اوانا بنفسي اقبض عليهِ واميتهُ فاني اعتني بضميري وشرفي ولا ادع شيئًا يدنس مجدي ولكن طالما ترفض معرفتك العنادية النور ولا تعرف الأ بجلبتها لا اقدر ان اركن الى الظلمة . هكذا كنت اجاوب ايها الامير الجليل . فليبين القاصد المحترم او البابا نفسهُ غلطي بالكتابة وليفندا براهينهما وليرشداني لانني رجل يرغب في الارتشاد وطالبهُ وتائق اليهِ حتى ان البربري لا يابى من ان يمنح لي ذلك وان لم ارجع واشجب نفسي عند ما يبرهنون ان الآيات التي اقتبستها يجب فهمها بمعنى خلاف المعنى الذي فهمتها انا بهِ فكن انت ايها الامير الجليل اول من يطردني وينفيني ودع المدرسة ترفضني وتغشاني بغضبها واني استشهد السماء والارض فيطرحني الرب يسوع المسيح ويرفضني . والكلام الذي اتلفظ بهِ لم ينشأ عن وهم فارغ ولكن عن اقناع

لا يتزعزع فاني اريد ان الرب الاله ينزع نعمتهُ عني وان كل واحد من خلائق الله يمنع عني وجههُ اذا كنت عند ما يكشف لي تعليم احسن لا اعتنقهُ واقبلهُ . واذا احتقروني بسبب دناءة حالي انا الاخ الحقير المسكين المتسوّل ولم يريدوا ان يرشدوني في طريق الحق فاترجى سعادتك ان تسال القاصد ان يخبرك بالكتابة في اي شيء غلطت واذا ابوا ان ينعموا على عظمتك ايضًا بهذا الامر فليكتبوا افكارهم الى حضرة الامبراطور او الى احد رؤساء اساقفة جرمانيا فماذا اقدر او ماذا يجب عليَّ ان اقول اكثر من ذلك

فاصغَ سعادتك الى صوت ضميرك وشرفك ولا ترسلني الى رومية وليس احد يقدر ان يلزمك ان تفعل ذلك لانهُ من المستحيل ان يكون لي امان في رومية فان البابا نفسهُ ليس في امان هناك ومَن طلب منك ذلك فانهُ قد امرك بتسليم دم مسيحي . عندهم ورق وحبر واقلام وايضًا كتَّابٌ بلا عدد فهو سهل عليهم ان يكتبوا في اي شيء ومن اي قبيل غلطت وهو اقل كلفة عليهم ان يعلموني وانا بعيد من ان يميتوني بالعذابات وانا بينهم . وانا مسلّم نفسي للنفي واعدائي ناصبون لي فخاخهم من كل جانب حتى لا يمكنني ان اسكن في مكان بامان ولكي لا يحصل لك شرٌّ بسببي فاني اخرج من بلادك باسم الله وانطلق الى حيثما يامرني الاله الابدي الرحيم فليفعل بي ما يحسن بعينيهِ . وهكذا ايها الملك المنتخب الجليل انا اودعك بكل احترام واسال الله ان يحفظك واشكرك شكرًا دائمًا على احسانك نحوي بين اي قومٍ سكنتُ اذكرك دائمًا واصلي في كل حين وبكل شكر الى الله ان يحفظك وعائلتك بكل غبطة وراحة . والشكر لله اني لم ازل موعبًا فرحًا وابتهاجًا لان المسيح ابن الله قد حسبني اهلاً لان احتمل من اجل هذا العمل فليحفظ دائمًا سموك الرفيع آمين

وهذا المكتوب المفعم حقًّا بهذا المقدار اثّر تاثيرًا عميقًا في الملك المنتخب قال مايبرج انهُ تحرك بواسطة مكتوب فصيح جدًّا ولم يمكن ان يخطر ببالهِ تسليم رجل بري بايدي رومية فربما كان يطلب من لوثيروس ان يختبئ الى حين

ولكنهُ عزم على عدم التظاهر بالتسليم في شيء لتهديدات القاصد فكتب الى معتمدهِ بفافنجر الذي كان في ديوان الامبراطور يامرهُ ان يخبر الامبراطور بحقيقة الامر وان يطلب اليهِ ان يكتب الى رومية لاجل انهاء هذه القضية او اقلما يكون لكي تنهى في جرمانيا على ايدي قضاة خالين من الغرض

وبعد ذلك بايام قليلة جاوب الملك المنتخب القاصد قائلاً بما ان الدكتور مرتينوس واجهك في اوجسبرج كان يجب انك تكتفي بذلك ولم نكن نظن انك تجتهد في الزامهِ بالرجوع بدون ان تقنعهُ بغلطهِ وليس احد من علماء مدارسنا اخبرني بان تعليم لوثيروس نفاقي او مضاد للديانة المسيحية او اراتيكي. فالملك لم يرتضِ بارسال لوثيروس الى رومية ولا بنفيهِ من بلادهِ

ولما وصلت صورة ذلك المكتوب الى لوثيروس امتلأ فرحًا وكتب الى سپالاتين قائلاً الحمد لله فباي فرحٍ قرأتهُ مرة بعد مرة وانا اعلم عظم مفعول هذه الكلمات القوية جدًّا واللطيفة ايضًا واخشى من ان الرومانيين لا يفهمون تمام معناها ولكنهم اقلما يكونون يفهمون ان ما يظنونهُ قد انتهى بالكد قد ابتدأ فاترجاك ان تقدّم شكري للملك وانهُ لامر غريب ان الذي كان منذ زمان قصير راهبًا (اي دي ڤيو) نظيري لا يخاف من ان يكتب الى اعظم الامراء بدون اعتبار اذ يطلب منهم الجواب ويتهددهم ويامرهم ويعاملهم بهذا المقدار من الكبرياء والوقاحة فليتعلم ان السلطة الزمنية هي من الله وان مجدها لا يُداس بالارجل

ولا شك ان الذي شجع الملك المنتخب على كتابة جواب الى القاصد بكلام لم ينتظرهُ مثل هذا هو مكتوب ورد اليهِ من مدرسة وتمبرج. كان لها سبب كافٍ للتعصب للوثيروس لانها كانت تنمو شيئًا فشيئًا كل يوم وتفوق جميع المدارس الأُخر وازدحم اليها جمهور من الطلبة من جميع اطراف جرمانيا لكي يسمعوا خطب هذا الرجل الفريد الذي ظهر كانهُ يفتح بابًا جديدًا للديانة والعلوم وهولاء الشبان الذين اتوا من كل مقاطعة حالما راوا قبب وتمبرج عن بعد وقفوا ورفعوا ايديهم نحو السماء وسبحوا الله لانهُ جعل نور الحق يشرق من

تلك المدينة كما اشرق من صهيون في الايام القديمة التي امتد منها الى ابعد البلدان . حياة ونشاط لم يُعرَفا الى ذلك الوقت حركا المدرسة . وكتب لوثيروس قائلاً ان تلاميذنا هنا اشغل من النمل

الفصل الحادي عشر

شجاعة لوثيروس . غيظ رومية منشور البابا . رفع الدعوى الى مجمع

زعم لوثيروس انهُ ربما يُطرَد بعد قليل من جرمانيا فاجتهد في اذاعة قصة محاورة اوجسبرج رغبةً ان يبقي ذلك شهادة بينهُ وبين رومية . وراى العاصف مستعدًّا للخراب ولكنهُ لم يخف منهُ فانتظر من يوم الى يوم اللعنات العتيدة ان تُرسَل من ايطاليا ورتب كل شيء لكي يكون مستعدًّا عند وصولها . قال شمرتُ ثيابي وتمنطقت وصرت متاهبًا للسفر نظير ابرهيم غير عالِم الى اين اتوجه بل بالحري عالمًا جيدًا الى اين لان الله موجود في كل مكان . وعزم على ترك مكتوب وداع وراءهُ وكتب الى سپالاتين قائلاً تشجع حتى تقرا مكتوب رجل ملعون محروم . واصدقاؤُهُ اضطربوا من اجلهِ اضطرابًا قويًّا وخافوا عليهِ خوفًا شديدًا فطلبوا منهُ ان يسلم نفسهُ اسيرًا بيد الملك المنتخب لكي يحفظهُ بامان في احد الاماكن . واما اعداؤُهُ فلم يقدروا ان يفهموا من اين لهُ تلك الثقة واذ كانوا ذات يوم يتكلمون في شانهِ في ديوان اسقف برندنبرج وسُئِل على مَن يستند قال جماعة على ابراسموس وقال آخرون بل على كابيتو وغيرهِ من العلماء المتفقين معهُ فاجاب الاسقف كلاَّ لان البابا لا يبالي بهولاء بل انما يستند على مدرسة وتمبرج ودوك سكسونيا فلم يعلم الفريقان الحصن الحصين الذي كان المصلح قد التجأ اليهِ

ولما خطرت ببال لوثيروس افكار الانطلاق لم تصدر عن خوف الخطر

ولكن من النظر الى ازدياد الموانع على الدوام القائمة في طريق اقرار صحيح بالحق في جرمانيا وقال اذا بقيت هنا تنزع مني حرية الكلام والكتابة في امور كثيرة واذا انطلقت اشهر افكار قلبي بحرية واكرّس حياتي للمسيح. نوى ان يلتجئ الى فرانسا زاعمًا انهُ يلاقي هناك فرصةً لاذاعة الحق من دون مضادة. والحرية التي تمتع بها علماء باريس ومدرستها بانت لهُ مستحقة الحسد فضلاً عن اتفاقهِ معهم في امور كثيرة. فماذا كان حدث لو انتقل من وتمبرج الى فرانسا. هل كان الاصلاح امتد هناك كما امتدّ في جرمانيا وهل انحطت رومية عن كرسيها هناك وفرانسا المقضية عليها ان ترى مبادي رومية الرياسية ومبادي فلسفة مهلكة مزدرية بالديانة تقاتل زمانًا طويلاً في حضنها هل صارت مركزًا عظيمًا للنور الانجيلي. فالتفكر بهذا الامر لا يجدي نفعًا ولكن يغلب الظن بانهُ لو ذهب لوثيروس الى باريس لتغيرت احوال اوروبا وفرانسا عاجرت عليها اقلهُ بعض التغيير

ثم ان الظروف الكائنة اثرت في نفس لوثيروس كل التاثير فوعظ مرارًا في كنيسة المدينة بالنيابة عن سمعان هابنس پونتانوس راعي وتمبرج الذي كان غالبًا مريضًا وافتكر انهُ يجب عليهِ على كل حال ان يودع تلك الجماعة التي قد بشرها مرارًا كثيرة بالخلاص فقال يومًا وهو على المنبر انا واعظ كثير القلق قليل الثبوت فكم مرة تركتكم من دون توديع واذا حدث ذلك ايضًا ولم يمكنني الرجوع فاقبلوا وداعي الآن ثم بعد ان تكلم قليلاً على هذا النسق ختم كلامهُ قائلاً بوداعة ولطافة واخيرًا احذّركم من الخوف اذا سُكِبَت اللعنات البابوية عليّ فلا تلوموا البابا ولا تحملوا عليهِ غيظًا ولا على انسان اخر بل سلّموا كل شيءٍ لله

ثم ظهر ان الزمان المنتظر قد آن فاعلن الملك المنتخب للوثيروس ارادتهُ بان يهجر وتمبرج وكانت ارادة الملك المنتخب اعز لديهِ من ان يتاخر عن الامتثال لها فتاهب للسفر من غير ان يعرف الى اين يتوجه والحالة هذه رغب ان يجتمع مع اصدقائهِ مرةً اخرى ولاجل تلك الغاية اعدّ وليمة وداعٍ فبينما هم

جالسون حول مائدة واحدة يتمتعون بمفاوضاتهم اللذيذة وصداقاتهم اللطيفة اذا بمكتوب أُتي بهِ اليهِ من البلاط الملكي ففتحهُ وقراهُ فسقط قلبهُ عند قراءتهِ لانهُ تضمن امرًا جديدًا بانطلاقهِ وسالهُ المنتخب لماذا تاخر بهذا المقدار فامتلأت نفسهُ كآبة الاَّ انهُ تشجع ورفع راسهُ وقال بثبات وفرح ملتفتًا الى الذين حولهُ ان ابي وامي قد تركاني ولكن الرب عضدني . لا بدَّ لهُ من الانطلاق فاغتم اصدقاؤُهُ جدًّا خوفًا مما يصيبهُ . وإن كان محامي لوثيروس طردهُ فمن يقبلهُ فالانجيل والحق وهذا العمل العجيب لا بدَّ انها جميعها تهلك مع شهيدها العظيم فكانَّ الاصلاح تعلَّق بخيط فحالما يخرج لوثيروس خارج اسوار وتمبرج أمَّا ينقطع ذلك الخيط . اما لوثيروس واصدقاؤُهُ فلم يتكلموا الاَّ قليلاً واذ تاثروا بالضربة التي وقعت على اخيهم فاضت الدموع من عيونهم وبعد ذلك بقليل اتى رسول جديد ففتح لوثيروس المكتوب ظانًّا انهُ يتضمن امرًا جديدًا بانطلاقهِ ولكن يا لعظم قوة ذراع الرب قد تخلَّص الى زمان وتغيَّر كل شيء لان الملك المنتخب قال في مكتوبهِ هذا بما ان سفير البابا الجديد يؤَمّل ان كل شيء يمكن انهاؤُهُ بالمحاورة فابقَ الآن . ما اهمَّ تلك الساعة وماذا كان حدث لو ذهب لوثيروس وترك وتمبرج حالما وصل اليهِ الامر الاول . ولم يخطّ لوثيروس وعمل الاصلاح الى درجة ادنى مما كانا عليها تلك الدقيقة وظهر ان نهايتهما قد اتت وفي دقيقة من الزمان تغيَّر الحال واذ انتهى العالِم الوتمبرجي الى ادنى درجة انحطاطهِ نهض بسرعة واخذت سطوتهُ في النمو في ذلك الوقت فصاعدًا فان الله كما قال النبي يامر وعبيدهُ ينحدرون الى الاعماق ثم يركبون على السحاب

وبامر فردريك طلب سپالاتين من لوثيروس ان يحضر الى لختنبرج لكي يقابلهُ هناك فتكلما زمانًا طويلاً في شان الامور الجارية فقال لوثيروس اذا حضرت اللعنات من رومية فاني بالحقيقة لا ابقى في وتمبرج فقال سپالاتين احذر من ان تستعجل وتنطلق الى فرانسا . ثم انفصل عنهُ وامرهُ ان يلبث حتى تاتيهُ اوامر جديدة . وقال لوثيروس لاصدقائهِ استودعوا فقط نفسي بيد المسيح

فاني ارى ان اعدائي لم يزالوا اشد عزمًا على اتلافي ولكن في الوقت نفسهِ المسيح يقويني في عزمي على ان لا أُسلّم بشيء . واشهر لوثيروس حينئذٍ تقرير المحاورة في اوجسبرج وكان سپالاتين قد كتب اليهِ من قبل المنتخب ان لا يفعل ذلك الاّ ان المكتوب وصل متاخرًا وحالما انشهر التقرير اذن بهِ المنتخب. قال لوثيروس في فاتحة تقريرهِ ايها الاله العظيم اي ذنب جديد وعجيب هو طلب النور والحق لا سيما في الكنيسة اي في ملكوت الحق. وكتب الى لِنك يقول اني ارسل اليك تقريري فهو لا محالة احدُّ مما يتوقعهُ القاصد ولكن قلمي مستعد لان ينشئ اشياء اعظم كثيرًا وانا نفسي لا اعلم من اين تصدر هذه الافكار وفي رايي ان هذا العمل قد ابتدا فقط والاكابر في رومية غلطانون في انتظارهم النهاية فاني ارسل لك ما قد كتبتهُ لكي تحكم هل زعمي في محلهِ اي ان المسيح الكذاب الذي يتكلم عنهُ القديس بولس هو المالك الآن في بلاط رومية واظنُّ انهُ يمكنني ان ابرهن انهُ في هذه الايام اردأُ من البرابرة انفسهم

وبلغت لوثيروس اخبار ردية من كل جهة فكتب اليهِ واحد من اصدقائهِ يخبرهُ ان السفير الجديد من رومية قد ورد اليهِ امر ان يقبض عليهِ ويسلمهُ للبابا واخبرهُ آخر انهُ بينما هو مسافر صادف واحدًا من الاعوان وعند ما اخذا في الكلام عن الامور التي كانت حينئذٍ شاغلة كل جرمانيا قال انهُ حاول القاء لوثيروس في يد الحبر الاعظم . واما المصلح فكتب كلما زاد غضبهم وشراستهم قلَّ خوفي

وفي رومية اغتاظوا جدًّا من كايتان والغيظ الذي شُعِر بهِ من سوء نجاح هذا العمل سكبوهُ اولاً عليهِ فالاعوان الرومانيون ظنوا ان لهم حقًّا في توبيخهِ لاجل قلة الحكمة والحذاقة التي هي حسب قولهم اخص الصفات الضرورية للقاصد لكونهِ لم يتساهل عند تلك الفرصة المهمة بغضّ النظر عن لاهوتهِ الفلسفي فقالوا ان كل اللوم عليهِ وان ادّعاءهُ الفارغ عطل كل شيء فلماذا اغضب لوثيروس بواسطة اهاناتهِ اياهُ وتهديداتهِ عوضًا عن تملقهِ بوعدهِ اياهُ بابرشية غنية او

ببرنيطة كردينال فهولاء المحبون المال قاسوا لوثيروس على انفسهم وقالوا ايضًا لا بدَّ من اصلاح هذا الخطإِ . ومن الجهة الواحدة على رومية ان تظهر سلطانها ومن الجهة الاخرى يجب ان ترضي الملك المنتخب لانها محتاجة اليهِ في انتخاب امبراطور عن قريب وبما انهُ لم يمكن الاكليروس الروماني ان يعرفوا من ابن استمد لوثيروس شجاعتهُ وقوَّتهُ ظنوا ان الملك المنتخب كان متعصبًا لهُ اكثر من الواقع ومن ثمَّ عزم البابا على استعمال طريق آخر فامر قاصدهُ ان يذيع في جرمانيا منشورًا يثبت فيهِ تعليم الغفرانات في نفس القضايا المعترض عليها غير انهُ لم يذكر فيهِ اسم لوثيروس ولا اسم المنتخب وبما ان لوثيروس قال دائمًا انهُ يخضع لحكم كنيسة رومية ظن البابا انهُ عند ذلك اما ان يثبت على قولهِ او يظهر نفسهُ جهارًا كمشوّش سلام الكنيسة ومحتقر للكرسي الرسولي المقدس وفي كلا الحالين لا بد ان البابا بربح. ولا ربح من مضادة الحق بعناد . وتهديد البابا بحرم كل مَن علَّم خلاف تعليمهِ ذهب سدًى لان النور لا يصدُّ بمثل هذه الاوامر وكان احكم لو وضع بعض القوانين لمنع تمويهات بائعي الغفرانات فكان امر رومية هذا الجديد ذنبًا جديدًا لانها بواسطة تثبيتها تلك المساوئ اغاظت جميع الناس الحكماء وجعلت مصالحة لوثيروس امرًا مستحيلًا . قال مؤرّخ باباوي عدوٌّ الدُّ للاصلاح ان ذلك المنشور انما أُشهِر لاجل منفعة البابا والرهبان المتسوّلين الذين لم يعد احد يشتري غفراناتهم

فالكردينال دي ڤيو اشهر المنشور في لنتز من اعمال اوستريا في ١٣ كانون الاول سنة ١٥١٨ واما لوثيروس فكان قد جعل نفسهُ في مقام لا يصل اليهِ لانهُ في ٢٨ تشرين الثاني استغاث في كنيسة جسد الرب في وتمبرج من البابا بمجمع عام كنائسي لانهُ سبق ورأى العاصف العنيد ان يهيج عليهِ وعلم ان الله وحدهُ يقدر ان يبدّدهُ الّا انهُ عمل ما وجب عليهِ عملهُ وزعم انهُ يلتزم بالذهاب من وتمبرج اقلما يكون لاجل خاطر المنتخب حالما تصل اليهِ اللعنات الرومانية ولكنهُ لم يرد ان يترك سكسونيا وجرمانيا من دون مدافعة شديدة ولذلك كتب

اعتراضاً لكي يكون مستعداً للانتشار حالما تصل اليهِ الصواعق الرومانية كما سماها وطبعهُ تحت شرط بان الطابع يسلّم جميع النسخ في يدهِ ولكن هذا الرجل لاجل طمعهِ بالربح باعها جميعها تقريباً عند ما كان لوثيروس منتظراً اياها فاغتاظ العالم ولكن الامر قد مضى وانتشر هذا الاعتراض الجسور سريعاً في كل مكان وفيهِ جدَّد لوثيروس قولهُ السابق بانهُ ليس لهُ قصد ان يقول شيئاً ضد الكنيسة المقدسة او سلطة الكرسي الرسولي او ضد البابا متى كان غير مغشوش فقال اذ رأيت ان البابا الذي هو نائب الله على الارض قد يغلط ويخطئُ ويكذب كغيرهِ من الناس وان الاستغاثة بمجمع عام هي الواسطة الوحيدة للطمانينة من ذلك الظلم الذي لا يمكن دفعهُ التزمت ان التجئَ الى هذه الطريقة وهنا نرى الاصلاح قد انتقل الى حالة جديدة فانهُ لم يعد يتوقف على البابا ولا على احكامهِ ولكن على مجمع عام فان لوثيروس خاطب كل الكنيسة والصوت الذي خرج من كنيسة جسد الرب في وتمبرج لا بدَّ ان يُسمَع في كل حظيرة الرب والمصلح لم تنقص شجاعتهُ كما ظهر من هذا الدليل الجديد فهل يتركهُ الله . سوف نرى

الكتاب الخامس

الجدال في ليبسك سنة ١٥١٩

الفصل الاول

خطر لوثيروس وحفظ الله اياهُ . ارسال البابا معتمدًا

ان الاخطار تراكمت على لوثيروس والاصلاح واستغاثة لوثيروس بمجمعٍ عامٍ كانت هجمة جديدة على السلطة الباباوية فلان البابا بيوس الثاني كان قد اصدر منشورًا بهِ حرم بالحرم الكبير كل من ارتكب تلك المعصية على سلطانهِ حتى الامبراطور والملوك انفسهم واذ كان فردريك السكسوني ضعيفًا بعد في التعليم الانجيلي كان مستعدًا لنفي لوثيروس من بلادهِ فلو الحَّ عليهِ لاون العاشر الحاحًا جديدًا لطُرِد لوثيروس بين الغرباء الذين ربما خافوا من قبول راهب واقع تحت لعنة رومية ولو قام احد الفرسان الجرمانيين وجرَّد السيف للمحاماة عنهُ لكان هولاء الفرسان الساذجون المحتقرون عند امراء جرمانيا المقتدرين قد غرقوا عن قريب تحت ثقل عملهم خطرًا مثل ذلك. ولكن في نفس الحين الذي فيهِ حث مشيرو لاون العاشر سيدهم على استعمال الوسائط القاسية وكانت ضربة اخرى القت عدوهُ في يدهِ غيَّر ذلك البابا مسعاهُ بغتةً ودخل في طريق المصالحة والتظاهر باللطف (تاريخ المجمع التريدنتيني للكردينال بلاويشيني ١:٥١) والظاهر انهُ انغش من جهة سريرة الملك المنتخب فظنهُ يميل نحو لوثيروس ميلًا اشدَّ من الواقع والحقيقة وربما ظهر لهُ ان صوت الجمهور

وروح العصر (وهما قوّتان جديدتان في ذلك الوقت) احاطا بلوثيروس مثل حصن نضال لا ينال وربما اطاع ميلهُ الطبيعي نحو الوداعة واللطافة وكيفما عللنا عن تلك الطريقة المغايرة لعادة رومية في مثل ذلك الوقت نرى في ذلك يد الله الضابط الكل وعنايتهُ بعمله

كان حينئذٍ في بلاط رومية شريف سكسوني خادم عند البابا هو قانون منتز وتريفس وميسين عظَّم نفسهُ وافتخر بكونهِ من اقارب امراء سكسونيا حتى سماهُ بعضهم احيانًا دوك سكسونيا. وهو في ايطاليا افتخر بالشرف الجرماني وهو في جرمانيا تقلّد مخخفة ايطاليا وعوائدها. وكان مغرمًا بشرب الخمر (تاريخ المجمع التريدنتيني لبلاويشيني ١: ٦٩) وهذه الرذيلة زادت سلطتها عليهِ من اقامتهِ في بلاط رومية الأَان الاكابر الرومانيين بنوا عليهِ آمالاً عظيمة فان اصالة الجرماني وخصالهُ الرضية ومهارتهُ في المصالح املتهم بان هذا الرجل الذي اسمهُ كراوس ملتنس بواسطة حكمتهِ ينجح في توقيف تلك الحركة القوية التي هزّت العالم وحُسب من اهمّ الامور اخفاء المقصد الحقيقي في ارسال ذلك الخادم الروماني وتمّ ذلك بسهولة لانهُ قبل باربع سنوات كان الملك المنتخب التقي قد ترجى البابا ان يرسل اليهِ الوردة الذهبية وتلك الوردة تقليد اجل الزهور حُسِبَت رمزًا الى جسد يسوع المسيح وكرّسها الحبر الاعظم كل سنة ثم ارسلها الى واحد من اكابر الامراء في اوروبا وفي تلك السنة نوى ان يرسلها الى الملك المنتخب فسافر ملتنس ومعهُ اوامر لاجل فحص الامور ولكي يستجلب الى حزبهِ سپالاتين وبفافنجر مشيرَي الملك المنتخب فاخذ لهما مكاتيب سرّية لان رومية بالتماسها على هذا المنوال جابت الاشخاصِ المقربين الى الملك تاملت بالقبض على خصمها المهول عن قريب

وصل القاصد الجديد الى جرمانيا في كانون الاول سنة ١٥١٨ وفي سفرهِ اشتغل بالاكتشاف عن راي الجمهور واندهل اندهالاً عظيمًا لما وجد اكثر الاهالي من حزب الاصلاح (تاريخ المجمع التريدنتيني لبلاويشيني ١: ٥١)

يتكلمون عن لوثيروس برغبة شديدة فيهِ وكلما وجد واحدًا من حزب البابا وجد ثلثة من حزب المصلح وانتهت الينا حادثة من تلك الحوادث كان القاصد مرارًا كثيرة يسأل صاحبات الحوانيت والجواري فيها ماذا تفتكرنَ في الكرسي البابوي ومرةً جاوبتهُ واحدة من هولاء النساء المسكينات ببساطةٍ قائلةً ماذا نقدران نعرفهُ نحن عن الكرسي البابوي هل هو خشب او حجر

وبمجرَّد خبر وصول القاصد الجديد ملأَ بلاط الملك المنتخب ومدرسة وتمبرج ومدينتها وكل سكسونيا اضطرابًا وشكًّا وكتب ملانكثون الى بعض اصحابهِ الحمد لله ان لوثيروس لم يزل حيًّا . وشاع ان القاصد الروماني بيدهِ اوامر بالقبض على لوثيروس قسرًا او حيلةً فكان كل واحد يوصي لوثيروس بان يكون على حذر من مكر ملتتس. قالوا لهُ انهُ آتٍ لكي يقبض عليك ويدفعك الى البابا فان اناسًا يُوثَق بهم قد وقفوا على الاوامر التي بيدهِ فاجاب لوثيروس اني انتظر ارادة الله (رسالات لوثيروس ١ : ١٩١) والصحيح ان ملتتس اتى بمكاتيب الى الملك المنتخب والى اعوانهِ والى الاساقفة والى متسلم وتمبرج وكان معهُ سبعون منشورًا رسوليًا ولو بلغت تمليقات رومية وانعاماتها غايتها وسلَّم الملك المنتخب لوثيروس بيد ملتتس لكان الغرض من السبعين منشورًا ان ينشر منها واحدًا في كل مدينة من المدن التي يمرُّ بها متاملاً انهُ بتلك الواسطة يتيسر لهُ جرُّ اسيرهِ الى رومية من دون معارضة

وظهر ان البابا لم يغفل عن واسطة لنوال اربهِ وفي ديوان الملك المنتخب حاروا في ما ينبغي عملهُ . وكان ممكنًا ان يدافعوا القوة بالقوة ولكن كيف يليق بهم ان يعاندوا راس العالم المسيحي الذي تكلم بتلك الملاطفة والاصابة في ظاهر الامر. انما يستحسن ان لوثيروس يختبئُ حتى تمرَّ العاصفة. ثم انحلت المسألة بحادثة غير منتظرة وعُتِق لوثيروس والملك المنتخب والاصلاح من تلك الحالة الصعبة وتغيَّر حال العالم بغتةً وذلك ان مكسيمليان امبراطور جرمانيا تُوفّي في ١٢ كانون الثاني سنة ١٥١٩ وصار فردريك السكسوني حسب الشريعة الجرمانية

نائب المملكة فلم يعد الملك المنتخب من ثمَّ فصاعدًا يخاف من دهاء سفراء البابا وابتدأت اغراض جديدة تحرك ديوان رومية فالتزمت لاجل نوال تلك الاغراض ان تكون على حذر في معاطاتها مع فردريك وان تمنع الضربة التي كان ملتنس ودي ڤيو عازمَين عليها لا محالة. فرغب البابا جدًّا ان يمنع كرلوس من اوستريا ملك ناپلي يومئذٍ من الجلوس على تخت الملك وظن ان ملكًا مجاورًا يخوّف اكثر من راهب جرماني واذ اراد ان يستجلب الى حزبهِ الملك المنتخب الذي لهُ استطاعة ان يساعدهُ كثيرًا في ذلك الامر عزم على ترك الراهب لشانهِ لكي يكون اقدر على مقاومة الملك الّا ان الامرين تقدّما رغمًا عنهُ فهكذا تغيّر مسلك لاون العاشر. وساعد امرٌ آخر في تسكين العاصف الذي يهدد الاصلاح. وهو ان الاضطرابات السياسية هاجت حالًا بعد وفاة مكسيمليان. ففي جنوب المملكة ارادت الجمعية السوابية ان تقاصّ اولريخ من وتمبرج الذي ظهرت منهُ خيانة ضدها وفي الشمال هجم اسقف هلدشيم بجيش مسلح على اسقفية مندن وعلى بلاد دوك برونسويك وفي وسط ذلك الهياج العظيم كيف يلتفت عظماء العصر باهتمام نحو جدال تعلّق بغفران الخطايا ولكن الله قد جعل بنوع خصوصي تقدّمًا في امر الاصلاح بواسطة حكمة الملك المنتخب الذي صار نائب المملكة وبواسطة حمايتهِ عن المعلمين المستجدين . قال لوثيروس ان العاصف وقف هياجهُ والحرم البابا وي ابتدأ يسقط في الاحتقار وتحت ظل نيابة الملك المنتخب انتشر الانجيل الى اماكن بعيدة متسعة وصار بسبب ذلك خراب عظيم على البابا وية . وعند ذلك في تلك الفترة فقدت اقوى النواهي قوّتها من ذات طبعها وصار كل شيء اسهل وملكت الحرية نوعًا وشعاع الحرية التي اشرقت مضيئة على ابتداء الاصلاح انمت النبات الذي لم يزل رخصًا بعد وظهرت جليًّا موافقة الحرية السياسية لامتداد الديانة المسيحية الانجيلية ولذلك في كل وقت تخاف البابا وية الحرية وتطلب استعباد الناس اشد العبودية

اما ملتنس الذي وصل الى سكسونيا قبل موت مكسيمليان فبادر الى

زيارة صديقهِ القديم سپالاتين ولكنهُ لم يبتدئ بالتشكي من لوثيروس حتى اخذ سپالاتين يتشكى من تتزل واخبر السفير بالاكاذيب والتجاديف التي مارسها ذلك التاجر في الغفرانات وقال ان كل جرمانيا تنسب الى الدومينيكي الانقسامات التي تمزّقت بها الكنيسة. فتحير ملتنس وعوضًا عن يكون هو الشاكي وجد نفسهُ مشكوًّا فاتجه حينئذٍ كل غضبهِ نحو تتزل فامرهُ بالحضور الى التنبرج لاجل تبرير نفسهِ

واما الدومينيكي الذي كانت جبانتهُ على قدر وقاحتهِ فلاجل خوفهِ من الناس الذين كان قد اغاظهم باخاديعهِ كان قد ترك الجولان من بلدة الى بلدة واختبأَ في مدرسة مار بولس في ليپسك فاصفرَّ تتزل عندما وصل اليهِ مكتوب ملتنس لترك رومية اياهُ ايضًا وتهديدها اياهُ وحكمها عليهِ واخراجها اياهُ من الملجإِ الوحيد الذي فيهِ ظن نفسهُ في امان حتى يصير معرضًا لغضب اعدائهِ فأَبى ان يطيع اوامر السفير وكتب اليهِ في ٣١ كانون الاول سنة ١٥١٨ يقول اني لا ابالي بمشقة السفر لو امكنني ان اخرج من ليپسك من دون خطر على حياتي ولكن مرتينوس لوثيروس الاوغسطيني قد هيَّج واقام اولياءَ الامور ضدي حتى لم يعد لي امان في مكان فان جمهورًا كبيرًا من اصحاب لوثيروس قد حلفوا بقتلي ولهذا لا اقدر ان آتي اليك (لوشر ٣ : ٥٦٧) فيا لهُ من تباين عظيم بين هذين الرجلين احدهما مقيم في مدرسة مار بولس في ليپسك والآخر في دير الاوغسطينيين في وتنبرج. وخادم الله اظهر شجاعة قوية في وقت الخطر وخادم الناس اظهر جبانة دنية

وكان ملتنس قد أُمِر باستعمال الوسائط التمليقية في اول الامر ولم يكن مأْذونًا لهُ باظهار مناشيرهِ السبعين في اول الامر بل باستعمال جميع انعامات رومية في الوقت نفسهِ لاجل استعطاف الملك المنتخب حتى يردع لوثيروس. ولذلك اظهر انهُ يرغب في مقابلة المصلح فعرض صديقهما سپالاتين بيتهُ لاجل تلك الغاية فخرج لوثيروس من وتنبرج في ٢ او ٣ كانون الثاني قاصدًا التنبرج.

وفي تلك المقابلة افرغ ملتتس كل الدهاء والحذاقة المطلوبة من سفير ومشير روماني وحالما وصل لوثيروس استقبلهُ ملتتس بظواهر وداد عظيم فقال لوثيروس عجبًا كيف تحوّلت قساوتهُ الى لطافة فان هذا الشاول الجديد اتى الى جرمانيا وهو مسلّح باكثر من سبعين منشورًا رسوليًّا لكي يجرّني حيًّا وبالسلاسل الى رومية تلك القاتلة الآن الرب قد صرعهُ الى الارض في الطريق (رسالات ١: ٢٠٦)

قال سفير البابا للوثيروس بصوت مملّق يا عزيزي مرتينوس كنت اظن انك لاهوتي مسنٌّ يجلس في بيتهِ بهدوء تحت تسلط وهمٍ لاهوتي ولكنني اراك لم تزل شابًّا وفي اول عمرك . ثم قال بصوت ارصن أتعلم انك قد اجتذبت كل الناس عن البابا والصقتهم لنفسك (رسالات لوثيروس ١: ٢٣١) وكان ملتتس عالمًا ان الطريق الاحسن لخدع الناس هو تملق كبريائهم ولكنهُ لم يختبر الانسان الذي تعاطى معهُ . فقال لو كان معي عسكر ٢٥٠٠٠ نفس لم اظن اني كنت اقدر ان آخذك الى رومية . رات رومية مع كل قوّتها ضعفها بالمقابلة مع ذلك الراهب المسكين والراهب مع كل ضعفهِ شعر بقوّتهِ بالمقابلة مع رومية قال لوثيروس ان الله يوقف امواج البحر على الشط ويوقفها بالرمل

ولما ظن ملتتس انهُ قد مس قلب خصمهِ قال لهُ ضمّد الجرح الذي جرحت بهِ الكنيسة والذي انت وحدك تقدر على شفائهِ . ثم قال وسالت بعض الدموع احذر احذر من ان تهيج عاصفًا يخرب العالم المسيحي (بلاويشيني ١: ٥٢) ثم تقدّم بالتدريج فاشار الى ان الرجوع وحدهُ هو الذي يصلح الضرر ولكنهُ لطف سريعًا خشونة تلك الكلمة واظهر للوثيروس اعتبارهُ الشديد لهُ واخذ يلوم تتزل . نصب الفخ بيد ماهرة فكيف يقصر عن اصطياد الفريسة قال لوثيروس فيما بعد لو ان رئيس اساقفة منتز تكلم معي في اول الامر على هذا المنوال لما نتج من هذا العمل ما نتج

فاجاب حينئذٍ لوثيروس وبيّن بلطافة بل بنشاط وقوّة تشكيات الكنيسة

العادلة فلم يخفِ غيظهُ الشديد نحو رئيس اساقفة منتز ثم تشكّى على طريق جليل من المعاملة غير اللائقة التي عاملتهُ بها رومية مع خلوص نيتهِ اما ملتنس الذي لم يكن يتوقع سماع عبارات متينة كهذه فاخفى غيظهُ . ثم استانف لوثيروس قائلاً انني اريد ان ابقى ساكتًا في هذا الامر في المستقبل وادعهُ يموت من نفسهِ (رسالات لوثيروس ١ : ٢٠٧) بشرط ان يسكت اخصامي ولكن ان لم يزالوا يقاومونني فسوف تصدر سريعًا حرب هائلة عن خصام زهيد فان اسلحتي معدّة جيدًا ثم بعد ذلك بدقيقة قال اني مستعد لاكثر من ذلك اي ان اكتب الى قداستهِ مقرًا بانني قد جاوزت الحد قليلاً في القساوة واخبرهُ باني نظير ابن امين للكنيسة قد قاومت خطبًا جلبت عليها سخريات الشعب واهاناتهم وانا ارتضي ايضًا ان اشهر بالكتابة رغبتي بان جميع الذين يقرأُون كتاباتي لا يحسبون فيها شيئًا من المقاومة لكنيسة رومية وان يبقوا تحت سلطانها نعم انني مستعد لان اعمل واحتمل كل شيء واما الرجوع فلا ينتظرهُ احد مني ابدًا

فرأى ملتنس من ثبات لوثيروس ان الطريق الاحكم هو التظاهر بالارتضاء بما وعد بهِ المصلح من تلقاء نفسهِ الاَّ انهُ طلب ان ينتخبا اسقفًا للحكم في بعض القضايا التي لم تزل تحت البحث فقال لوثيروس فليكن كذلك ولكنني اخاف جدًّا من ان البابا لا يقبل قاضيًا وحينئذٍ انا لا اقف عند حكم البابا فيبتدئ الخصام من جديد فان البابا يقدّم المتن وانا اعلّق شروحي عليهِ . وهكذا انتهت المقابلة الاولى بين لوثيروس وملتنس ثم تقابلا مرة اخرى فيها خُتِم على المدنة او بالاحرى شروط الصلح فاخبر حالاً لوثيروس الملك المنتخب بما حدث فكتب اليهِ يقول لهُ ايها الامير الاجل والمولى الاكرم اني ابادر باعظم تواضع لكي اخبر سعادتك باني وكرلوس ملتنس قد اتفقنا اخيرًا وانهينا هذه القضية بالاعتماد على ما ياتي

اولاً ان الفريقين ممنوعان من الوعظ او الكتابة او عمل شيء آخر في الامور الخلافية التي عليها الجدال

ثانيًا ان ملتنس يبادر حالاً الى اخبار الاب الاقدس بحالة الامور وقداستهُ بولي اسقفًا منورًا لاجل النظر في هذه القضية وتعيين القضايا الخطائية التي يجب ان ارجع عنها فان برهنوا اني على خطا فيها ارجع باختياري ولا افعل شيئًا يقلل اعتبار او سلطان الكنيسة الرومانية المقدسة (رسالات لوثيروس ١: ٣٠٩)

وعند قرار الراي على ذلك اظهر ملتنس فرحًا زائدًا وصرخ قائلاً انهُ في هذه المئة السنة الماضية لم تحدث قضية صار منها قلق للكردينالية والاكابر الرومانيين اكثر مما صدر من هذه واحب اليهم ان يكونوا قد خسروا عشرة آلاف دوكات من ان يكونوا قد سمحوا باستطالتها (بلاويشيني ١: ٥٢)

ثم ان معتمد البابا ابدى كل علامات الاعتبار نحو راهب وتمبرج فكان مرة يظهر فرحهُ ومرةً يسكب دموعهُ الآن امارات الانفعال هذه قلما اثرت في المصلح ولكنهُ لم يظهر ما جال في فكرهِ من جهتها قال اني تظاهرت كأني لم افهم معنى تلك الدموع التمساحية (رسالات لوثيروس ١: ٢١٦) قيل ان التمساح يبكي اذا اخطأ صيدهُ. فدعا ملتنس لوثيروس الى العشاء فاجابهُ الى ذلك وترك ملتنس كل القساوة المعلقة بوكالتهِ واظهر للوثيروس كل بشاشتهِ الطبيعية فكانت الوليمة مبهجة وعند اتيان ساعة الانصراف فتح القاصد ذراعيهِ للدكتور الاراتيكي وقبَّلهُ قبلة يهوذا قال لوثيروس في نفسهِ وكتب الى ستوبتز يقول تظاهرت كاني لا افهم تلك الحيل الايطاليَّة. فهل كانت تلك القبلة عتيدة ان تصالح رومية والاصلاح المتبلج. هكذا ترجى ملتنس وابتهج بهذا الفكر لانهُ صارت لهُ فرصة للنظر الى النتائج الهائلة التي تحدث للباباوية من الاصلاح من مقام اقرب من مقام اهل البلاط الروماني فظن انهُ اذا أُسكت لوثيروس واخصامهُ ينتهي الجدال وان رومية بواسطة احداثها ظروفًا مناسبة تسترجع كل سطوتها السابقة وظهرت حينئذٍ نهاية الخصام كأنها قريبة لان رومية فتحت يديها وظهر ان المصلح قد القى نفسهُ فيها ولكن هذا العمل لم يكن من انسان بل من الله وقام

خطاء رومية في ظنها ان انتباه الكنيسة لم يكن الأَ جدالاً مع راهب وقبلات معتمد روماني لم تستطع ان تصد تجديد العالم المسيحي

واذ ارتأى ملتنس انهُ بتلك الوسيلة يسترجع اتباع لوثيروس الضالين اخذ يعاملهم جميعًا بكل ملاطفة ويقبل دعواتهم ويجلس على المائدة مع الارانكة ولكنهُ اذ كانت المسكرات تدور براسهِ سريعًا كما اخبر عنهُ البابا بولس الثالث في اوامرهِ لاحد الاساقفة لم يعد يتمالك ان يضبط لسانهُ فكان السكسونيون يجرونهُ الى الكلام عن البابا وعن ديوان رومية واثباتًا للمثل الدارج ان في الخمر صدقًا تكلم بكل حرية يخبرهم بكل اعمال البابا وية وتشاويشها فكان رفاقهُ يتبسمون ويلحون عليهِ ويجرونهُ في الكلام لكي يبقى آخذًا في حديثهِ فاظهر كل شيء وقيدوا كلامهُ بالابيض والاسود والعيوب التي اظهرها صارت فيما بعد موضوعًا لتوبيخ جهاري للبابا وبين في مجمع ورمس في محضر كل جرمانيا. والبابا بولس الثالث اشتكى قائلاً انهم قد جعلوا في فم معتمدهِ اموراً لا اساس لها ومن ثم امر معتمديهِ بانهم عند ما يُدعَون الى وليمة يقبلون الدعوات ويسلكون بلطف ويكونون على حذر في كلامهم

ثم ان ملتنس حفظًا للترتيب الذي كان قد اتفق عليهِ توجه من التنبرج الى ليبسك حيث كان تتزل مقيمًا وهناك لم يكن يحتاج الى تسكيتهِ لانهُ لو كان ممكنًا لاختار على التكلم ان يخفي نفسهُ في جوف الارض. والقاصد عزم على افراغ كل سخطهِ عليهِ وحالما وصل الى ليبسك احضر تتزل الشقي امامهُ وغشاهُ بالتوبيخات وقرَّفهُ بانهُ هو علة كل تعبهِ وتهددهُ بغضب البابا وفوق ذلك احضر وكيلاً من بيت فوغر كان حينئذٍ في المدينة فوضع ملتنس امام الدومينيكي حسابات البيت المشار اليهِ والاوراق التي كان هو نفسهُ قد امضاها وبرهن لهُ انهُ قد بذرق وسرق مبالغ جزيلة من المال وهذا الرجل الشقي الذي لم يكن في زمان عزهِ شيء يخيفهُ انحنى تحت ثقل تلك الشكاوي العادلة فوقع في الياس وانحرفت صحتهُ ولم يكن يعلم اين يختبئ بخجلهِ وبلغ لوثيروس علم الحالة السيئة

التي حصلت لخصمهِ القديم فاغتم لها وكتب الى سپالاتين قائلاً اني مغموم لاجل تتزل ولم يقتصر على الكلام اذ لم يبغض الرجل بل اعمالهُ وفي نفس الوقت الذي فيهِ افرغت رومية سخطها على تتزل ارسل اليهِ لوثيروس مكتوباً مملوًّا تعزية . وذلك جميعهُ لم يفد شيئًا لان تتزل اذ ضايقهُ توبيخ ضميرهِ وخاف من توبيخات اعزّ اصدقائهِ وارتعد من غضب البابا مات بعد ذلك بقليل في حالة يرثى لها والاكثرون زعموا ان الحزن عجل موتهُ

وكتب لوثيروس بحسب وعدهِ لملتمس المكتوب الآتي الى البابا في ٣ اذار ايها الاب المبارك ليتنازل سموُّك فتميل باذنك الابوية التي هي اذن المسيح نفسهِ نحو نعجتك المسكينة وتصغي برفق الى صراخها فماذا اعمل ايها الاب الاقدس فانني لا اقدر ان احتمل صواعق غضبك ولا اعلم كيف افر منها فانهُ قد طُلِب مني الرجوع ولو كان ذلك يقود الى المرغوب لكنت افعلهُ بكل سرعة ولكن اضطهادات اعدائي وزعت كتاباتي الى اماكن بعيدة واسعة وانتقشت في قلوب الناس نقشًا عميقًا لا يمكن محوهُ باية واسطة كانت فالرجوع لا يكون منهُ الاَّ زيادة احتقار لكنيسة رومية ويجعل شفاه الجميع تتلفظ بالتشكي منها واني ايها الاب الاقدس اقر قدام الله وامام جميع خلائقهِ باني لم اشتهِ قط ولا اشتهي ابدًا ان اتعدى ظاهرًا او بالحيلة على سلطة الكنيسة الرومانية او سلطة قداستك واعترف بانهُ ليس شيء في السماء ولا على الارض يفضل على تلك الكنيسة ما عدا يسوع المسيح وحدهُ الذي هو رب الكل (رسالات لوثيروس ١ : ٢٣٤)

ولعل هذه العبارات تبين غريبة وملومة ايضًا في فم لوثيروس ان لم نتذكر انهُ وصل الى النور لا بغتةً بل بالتدريج البطي وهي دليل مفيد جدًّا على ان الاصلاح لم يكن مجرد مضادة للباباوية ولم يكن حربًا ضد بعض الطقوس ولا نتيجة ميل سلبي محض . لان المضادة للبابا كانت في الصف الثاني من القتال والمبدا الاصلي هو حيوة جديدة وتعليم ايجابي يحكم بان يسوع المسيح رب الكل وانهُ يجب ان يفضل على الكل حتى على رومية نفسها كما كتب لوثيروس في آخر

مكتوبهِ السابق هذا هو العلة الجوهرية لحركة القرن السادس عشر . ومن المحتمل انهُ لو كُتِب قبل ذلك الوقت بزمان قصير لم يكن البابا صفح عن مكتوب يأبى فيهِ راهب وتبرج صريحًا ان يرجع ولكن مكسيميليان كان قد مات وكانت عقول الناس منهمكة في انتخاب خليفة لهُ وفي ضمن المخاتلات التي هيجت حينئذٍ المدينة الحبرية لم يلتفت الى مكتوب لوثيروس

ان المصلح استعمل وقتهُ احسن من خصمهِ القوي فانهُ اذ كان لاون العاشر مشتغلاً في امورهِ نظير ملك زمني وبذل كل جهدٍ في منع جارهِ القوي من الجلوس على التخت كان لوثيروس ينمو كل يوم في المعرفة والايمان فدرس احكام الباباوات والاكتشافات التي اكتشفها فيها جعلت تغيرًا عظيمًا في افكارهِ فكتب الى سپالاتين يقول اني آخذ في قراءة احكام الباباوات واقول لك سرًّا اني لا اعلم هل البابا هو المسيح الكذاب نفسهُ او رسولهُ . قد تعوج المسيح وصلب بينهم بنوع شديد . الاّ انهُ ما زال يعتبر كنيسة رومية القديمة ولم يكن لهُ فكر في الانفصال منها . قال في التفسير الذي وعد ملتنس باذاعتهِ ان كون الكنيسة الرومانية هي مكرمة من الله فوق جميع الكنائس هو ما لا نقدر ان نشك فيهِ فان القديس بطرس والقديس بولس وستة واربعين بابا ومئات الالوف من الشهداء سفكوا دماءهم في حضنها وغلبوا جهنم والعالم حتى ان عين الله تنظر اليها بانعام خاص ومع ان كل شيء هو الآن في حالة شقية جدًّا هناك ليس ذلك سببًا كافيًا للانفصال منها بل انما بخلاف ذلك ينبغي كلما زادت الامور رداءة فيها ان نلتصق بها لاننا لسنا بالانفصال نقدر ان نصلحها ولا يجب ان نترك الله بسبب الشيطان ولا نترك اولاد الله الذين لم يزالوا في الشركة الرومانية لاجل كثرة الاشرار اذ لا توجد خطية ولا شر يجب ان نسمح لها بان تلاشي المحبة او نقطع رباط الوحدة لان المحبة تقدر ان تعمل كل شيء ولا شيء عسير على الوحدة

فليس لوثيروس هو الذي انفصل عن رومية ولكن رومية هي التي انفصلت

عن لوثيروس وبذلك رفضت ايمان الكنيسة الكاثوليكية القديم الذي كان هو الحامي عنهُ ولم يكن لوثيروس هو الذي نزع سلطان رومية منها وانزل اسقفها عن العرش الذي اغتصبهُ بل التعاليم التي نادى بها وكلام الرسل الذي اظهرهُ الله ثانيةً في الكنيسة العامة بقوة عظيمة وطهارة عجيبة هي وحدها غلبت على ذلك السلطان الذي استعبد الكنيسة قرونًا متتابعة . وتلك الاقوال التي اذاعها لوثيروس في آخر شباط لم ترضِ بالتمام ملتنس ودي ڤيو لان هذين النسرين اللذين رأيا فريستهما تنجو من مخالبهما كانا قد اعتزلا الى داخل اسوار مدينة تريف القديمة واذ ساعدهما هناك الامير رئيس الاساقفة املاً ان يبلغا معًا الامر الذي قصرا فيهِ كلاً على حدةٍ واتضح للقاصدين انهُ لا يجب انتظار شيء آخر من فردريك الذي هو يومئذٍ متسربل باسمى قوة في المملكة ورأيا ان لوثيروس قد اصرَّ على عدم الرجوع وان واسطة النجاح الوحيدة الباقية لهما هي ان يرفعا حماية الملك المنتخب عن الراهب الاراتيكي وان يخدعاهُ حتى ياتي اليهما فاذا دخل مدينة تريف في اقاليم اميرٍ كنائسي ونجا من دون تكميل مطلوب الحبر الاعظم على التمام يكون حاذقًا جدًّا فباشرا حالاً العمل فقال ملتنس للاسقف المنتخب رئيس اساقفة تريف ان لوثيروس قد قبل ان تكون غبطتك محكمًا فاحضرهُ بين يديك فكتب اسقف تريف المنتخب في ٣ ايار الى ملك سكسونيا المنتخب يطلب منهُ ان يرسل لوثيروس اليهِ وكتب ايضًا دي ڤيو ثم بعد ذلك كتب ملتنس نفسهُ الى فردريك يخبرانهِ بان الوردة الذهبية قد وصلت الى اوجسبرج . وظنَّا ان تلك هي الساعة لضرب ضربة محكمة

ولكن الاحوال كانت قد تغيرت . فلم يتزعزع من ذلك الملك المنتخب ولا لوثيروس والملك المنتخب ادرك مقامهُ الجديد جيدًا فلم يكن يخاف البابا فكم بالحري نوابهُ واذ راى المصلح دي ڤيو وملتنس متحدين عرف بالفخ المنصوب لهُ اذا قبل دعوتهما قال انهما في كل مكان وبكل حال يطلبان حياتي . وعدا ذلك كان قد استغاث بالبابا والبابا مشغول بتحيلاتهِ مع الرؤوس الملكية فلم

عجيبة فكتب لوثيروس الى ملذنس يقول كيف يمكنني ان انطلق من دون امر من رومية في وسط الاضطرابات التي هاجت لها المملكة وكيف اقدران اقتحم اخطاراً هذا مقدارها واحمل مصروفاً ثقيلاً كهذا وانا افقر الناس

اما منتخب تريف فكان رجلاً حكيماً لطيفاً وصديقاً لفردريك راغباً في حفظ المحبة معهُ وفضلاً عن ذلك لم تكن لهُ رغبة في التداخل في ذلك الامر ما لم تدعهُ اليهِ الضرورة ومن ثمَّ اتفق مع ملك سكسونيا على توقيف الامر الى الجمعية العامة الآتية وهي لم تحدث حتى بعد ذلك بسنتين عند ما التأم المجمع المشهور في مدينة ورمس

واذ كانت يد العناية تدفع الاخطار التي احدقت بلوثيروس واحدة فواحدة كان هو بجراءة يتقدم نحو امدٍ لم يظن بهِ فزاد صيتهُ ونمت دعوى الحق قوةً وكثر عدد الطلبة في وتمبرج وكان بينهم اشهر شبان جرمانيا فكتب لوثيروس بلدتنا بالكد تستطيع ان تسع الذين يأتون اليها وكتب ايضاً في وقت آخر ان عدد الطلبة يزداد كثيراً نظير نهر فائض . ولم يكن صوت المصلح يُسمَع في جرمانيا وحدها كما في السابق بل تجاوز حدود المملكة وابتدأ يزعزع اساسات القوة الرومانية بين امم مختلفة في اوروبا فان فروبينيوس الطباع المشهور في باسل نشر مجموعاً من مؤلفات لوثيروس فانتشر بسرعة وفي باسل مدح الاسقف نفسهُ لوثيروس . والكردينال سيون بعد ان قرا كتب لوثيروس قال على سبيل التورية يا لوثيروس انت لوثيروس حقيقي (اي مطهّر ومصفّ)

وكان ايراسموس حينئذٍ في لوفين عند ما وصلت مؤلفات لوثيروس الى البلاد الواطية ورئيس الاوغسطينيين في انتوارين الذي كان قد تعلَّم في وتمبرج وكان حسب شهادة ايراسموس تابعاً للديانة المسيحية القديمة الحقيقية قراها برغبة كما فعل آخرون من اهل بلجيوم وقال حكيم روتردام ان الذين كانوا يسالون عن اغراضهم الخاصة فقط ويقوتون الشعب بحكايات العجائز افضوا الى وساوس مظلمة . وكتب ايراسموس الى لوثيروس يقول اني لا اقدر ان اصف

لك الحركة والحماسيّات الفعّالة حقًّا التي احدثتها مؤلفاتك. وارسل فروبينيوس ست مئة نسخة من تلك المؤلفات الى فرانسا واسبانيا فبيعت جهارًا في باريس وقراها علماء السوربون مادحين اياها فقال بعضهم حان الوقت الذي يجب فيهِ ان الذين يتفرغون لدرس الكتب المقدسة يتكلمون بحرية وقُبِلَت تلك الكتب في انكلترا باكثر ترحيبًا وترجمها بعض التجار من اسبانيا الى لغتهم الاصلية وارسلوها من انتوارين الى بلادهم . واخذ كلوي واحد من بائعي الكتب العلماء في پافيا عددًا عظيمًا من الكتب الى ايطاليا ووزعها في جميع المدن التي في عبر جبال الالب ولم يكن حب الربح حرض هذا العالِم الى ذلك بل الرغبة في احياء التقوى فان النشاط الذي حامى بهِ لوثيروس عن حق المسيح ملأهُ فرحًا فكتب ان جميع علماء ايطاليا يتفقون معي فنرسل لك اشعارًا قد نظمها اشهر مؤلفينا . ولما ارسل فروبينيوس الى لوثيروس نسخة مما طبعهُ اخبرهُ بكل هذه الاخبار المفرحة مستتليًا اني قد بعت جميع النسخ ما عدا عشرًا ولم اتجر قط بتجر جيد كهذا وآخرون اخبروا لوثيروس بالفرح الصادر عن كتاباتهِ فقال انني مبتهج من ان الحق مرضي بهذا المقدار ولئن تكلم بعلم قليل جدًّا وبنغمة بربرية (رسالات لوثيروس ١: ٢٥٥)

هذه كيفية ابتداء الانتباه في بلدان اوروپا المختلفة فاذا استثنينا سويسرا وفرانسا ايضًا حيث كان الانجيل قد بُشِّر بهِ نرى ان وصول كتابات عالِم ويتمبرج في كل مكان هو اول صفحة من تاريخ الاصلاح وان طبَّاعًا في باسل قد وزع اول اصول الحق وفي نفس الوقت الذي افتكر فيهِ الحبر الروماني ان يلاشي العمل من جرمانيا ابتدا العمل في فرانسا والبلاد الواطئة وايطاليا واسبانيا وانكلترا وسويسرا فماذا يحدث لو قطعت رومية اصل الشجرة لان البزر قد زُرِع في كل الارض

الفصل الثاني

هدوٴ في جرمانيا . تجديد الخصام عن يد آك . جدال بين آك وكارلستادت الخ

انهُ لما ابتدأَت المقاتلة بين الحق والبطل خارج حدود جرمانيا ظهر كانها ماتت في جرمانيا نفسها فان اقوى الانصار الرومانيين رهبان مار فرنسيس في يوتربوك الذين اقتحموا على معاندة لوثيروس سكتوا حالاً بعد جواب المصلح النشيط فالاحزاب الرومانية صمتت ونتزل لم يلبث ان يكون قادرًا على الطعان وكان لوثيروس قد وعد بترك الخصام اجابةً لطلب اصدقائهِ واخذت القضايا تدخل في حيّز النسيان وهذا السلام الكاذب اعدم فصاحة المصلح قوتها وظهر كانّ الاصلاح قد نهك . قال لوثيروس بعد ذلك في كلامهِ عن تلك الفترة الناس يتصوّرون امورًا باطلة لان الرب قد استيقظ لكي يدين الشعب . وقال في مكان آخر ان الله لا يقودني بل يسوقني للتقدم ويحملني فانا لست رب نفسي فاني ارغب ان اعيش في الراحة ولكنني مطروح في وسط الاضطرابات والحركات

اما الدكتور آك صديق لوثيروس القديم ومؤلّف الاوبلسكس المشار اليها سابقًا فهو الذي جدّد القتال . كان متمسكًا جدًّا بالباباوية ولكن الظاهر انهُ كان خاليًا من الافكار الدينية الحقيقية وانهُ من جملة الناس الذين في كل عصر يتخذون العلوم وعلم اللاهوت والديانة ايضًا وسيلةً لربح صيتٍ عالميّ فيستتر المجد الفارغ تحت رداء الخوري كما يستتر تحت درع الجندي وكان آك قد درس صناعة الجدال حسب قواعد اللاهوتيين في تلك الايام وصار إمامًا في هذا النوع من الخصام واذ كان فوارس الاجيال المتوسطة والجنود في زمان الاصلاح يطلبون المجد في ميدان القتال كان اللاهوتيون يجدُّون وراءهُ في الجدالات المنطيقية وكثيرًا ما حدث ذلك في المدارس . اما آك الذي لم يكن

قليل الاعتبار لنفسهِ فتكبَّر بعلومهِ وبشهرة دعواهُ وبالغلبات التي كان قد فاز بها في المدارس الثماني الموجودة في هنكاريا ولمبارديا وجرمانيا فرغب رغبة شديدة في امتحان قوّتهِ وحذاقتهِ ضد المصلح ولم يألُ جهدًا حتى يُحسَب اعلم اهل عصرهِ واجتهد دائمًا في تهييج بحث جديد وتحريك الناس واستخدم اعمالهُ هذه لاجل تحصيل كل لذَّات هذه الحياة وسفرهُ الى ايطاليا حسب ما اخبرنا بهِ هو نفسهُ كانت سلسلة طويلة من الانتصارات المتواصلة فان اعلم العلماء قد التزموا ان يختموا على قضاياهُ وهذا المصارع الخبير الذي نظرهُ على ميدان حرب جديد ظن انهُ لابد لهُ من الغلبة فيهِ واما الراهب الصغير الذي كان قد صار جبارًا بغتةً اي لوثيروس الذي لم يقدر احد ان يغلبهُ الى ذلك الوقت فهيج كبرياء آك وحرك غيرتهُ ولم يبالِ آك انهُ بطلبهِ مجد نفسهِ يخرب رومية وعجبهُ المدرسي لم يكن ممكنًا ردعهُ بهذا الفكر فان اللاهوتيين وكذلك الامراء قد عطلوا اكثر من مرة صالح الجمهور لاجل مجدهم الشخصي وسوف نرى ما هي الظروف التي اولت عالِم انكولستادت وسائط الدخول في ميدان الحرب مع خصمهِ الالد

وكان كرلستادت الغيور بل المتجاوز حدود الاعتدال في حرارتهِ لم يزل حافظًا شروط المحبة مع لوثيروس فكان هذان اللاهوتيان متحدين اتحادًا وثيقًا بواسطة انعكافهما على تعليم النعمة ومحبتهما للقديس اوغسطينوس وكان كارلستادت مائلاً الى فرط الغيرة قليل الرصانة فلم يكن ممن يمكن ضبطهُ بواسطة حذاقة ودهاء رجل مثل ملتتس وكان قد اشهر بعض القضايا ردًّا على الدكتور آك دافع فيها عن لوثيروس وايمانهما المشترك وكان آك قد جاوبهُ الاَّ ان كارلستادت لم يترك لهُ الكلمة الاخيرة فحمي الجدال بينهما واذ رغب آك في ان يستفيد في تلك الفرصة الجديدة طرح كف القتال فتناولهُ كارلستادت البطل فان الله استعمل غضب هذين الرجلين لاجل تكميل مقاصدهِ ولم يكن لوثيروس قد دخل في جدالهما مع انهُ كان عتيدًا ان يصير بطل الحرب.

وقد يُجلَب الانسان الى الميدان بقوة الظروف. وصار الاتفاق ان الجدال يُقام في ليبسك وهذا اصل الجدال الليبسكي الذي اشتهر بهذا المقدار

اما آك فلم يبالِ بالجدال مع كارلستادت او الغلبة عليهِ بل غرضهُ العظيم لوثيروس ولهذا بذل كل الجهد في اجتذابهِ اياهُ الى ميدان الحرب وبهذه الغاية اذاع ثلاث عشرة قضية وجَّهها عمدًا ضد التعاليم الاصلية التي علَّم بها المصلح وهذه هي القضية الثالثة عشرة اننا ننكر ان الكنيسة الرومانية لم تُرفَع فوق بقية الكنائس قبل ايام البابا سلوستروس ونقرُّ بان الذي جلس على كرسي بطرس وتمسك بايمانهِ هو خليفة بطرس ونائب يسوع المسيح في كل قرن انتهى . سلوستروس عاش في ايام قسطنطين الكبير ففي هذه القضية انكر آك ان الرياسة الرومانية أُعطِيَت لرومية من يد ذلك الامبراطور

اما لوثيروس الذي الزم الصمت رغمًا لاجل وعدهِ فعندما قرأ هذه القضايا تاثر جدًّا لانهُ راى انها موجهة نحوهُ وشعر بانهُ لا يقدر بشرف ان يمتنع عن الخصام فقال ان هذا الرجل يدعو كارلستادت خصمهُ وفي الوقت نفسهِ يحاربني الّا ان الله يملك وهو تعالى اعلم بما يحدثهُ من هذا الخطب العظيم فلا المعلم آك ولا انا تحت الخطر. ارادة الله تتم فالشكر للمعلم آك لان هذا الامر الذي لم يزل حتى الآن لعبًا سوف يصير جدًّا ويحدث منهُ ضربة مميتة على جور رومية وجور الحبر الروماني . وكانت رومية نفسها قد نقضت الهدنة بل فعلت اكثر من ذلك فانها بتجديدها راية الحرب ابتدأت في القتال بسبب امر لم يكن لوثيروس قد قاومهُ بعد اي الرياسة البابوية التي وجه المعلم آك افكار اخصامهِ اليها وبذلك اقتدى بقدوة تنزل الخطرة فطلبت رومية ضربات المقاتل واذا تركت البعض من اعضائها المبتورة ترتجف في الميدان فذلك لانها جلبت على نفسها ذراعهُ الهائلة واذا سقطت رياسة البابا ينسحق كل البناء . فتعلق فوق راس البابوية اشد الخطر فلم ينهض ملتنس ولا كايتان لاجل منع هذا الخصام الجديد فهل توهموا ان الاصلاح تلاشى او ضُربوا بذلك العمى الذي كثيرًا ما

يُسرع بالاقوياء الى هلاكهم

اما لوثيروس الذي كان قد اظهر صبرًا طويلاً بلزومهِ الصمت مدة طويلة فاجاب بدون خوف دعوة خصمهِ الى القتال واشهر حالاً قضايا جديدة ضد الدكتور آك والقضية الاخيرة منها هي هذه . انهم انما يريدون ان يثبتوا رياسة كنيسة رومية بواسطة عبارات سخيفة من اقوال الاحبار الرومانيين قد كُتِبَت في مدة الاربعة القرون الاخيرة ولكن تلك الرياسة يضادُّها كل تاريخ صحيح لاحد عشر قرنًا واقوال الكتب المقدسة واحكام المجمع النيقاوي اطهر المجامع باسرها . وفي ذلك الوقت نفسهِ كتب الى الملك المنتخب يقول الله يعلم انني كنت عازمًا بثبات على لزوم الصمت واني فرحت عند ما رايت هذا الخصام قد انتهى اخيرًا وقد حفظت بتدقيق كلي الشروط التي انعقدت بيني وبين الرسول البابوي حتى انني لم اجاوب سلوستروس بريريو حاملاً شتائم اخصامي ونصائح اصدقائي واما الآن فان المعلم آك يقاومني ولا يقاومني انا فقط بل مدرسة وتمبرج ايضًا فلا اطيق ان الحق يتغطى هكذا بالتشنيعات

وفي ذلك الوقت نفسهِ كتب لوثيروس الى كارلستادت يقول يا اندراوس الفاضل انني لا اريد انك تدخل في هذا الجدال لانهم يقصدونني انا بهِ . واما انا فسالقي جانبًا اعمالي المهمة لكي اشترك في لعوب هولاء المتملقين للحبر الروماني. ثم يخاطب خصمهُ بتهكم صارخًا من وتمبرج الى انكلستادت قائلاً فالآن يا عزيزي آك تشجع وتقلد بسيفك على فخذك ايها القوي. فاني ان لم اعجبك وسيطًا فلعلي اعجبك خصمًا ليس لاني اظن اني قادر على افحامك ولكن لانهُ بعد كل انتصاراتك التي تكللت بها في هنكاريا ولمبارديا وباڤاريا (ان صدقناك) اعطيك فرصة لربح لقب مظفر سكسونيا ومسنيا وبذلك تُحيَّى الى الابد بلقب اوغسطينوس المجيد

اما اصدقاء لوثيروس فلم يشاركوهُ في شجاعتهِ لانهُ الى ذلك الوقت لم يستطع احد مقاومة سفسطات الدكتور آك ولكن العلة العظمى لخوفهم انما كانت

موضوع الجدال اي رياسة البابا فكيف يقدر راهب وتمبرج المسكين ان يقاتل ذلك الجبار الذي قد سحق جميع اعدائهِ مدة قرون كثيرة فكان جلساء الملك المنتخب في خوف ورعدة وسپالاتين عمدة الملك المنتخب وصديق لوثيروس المخلص امتلأ اضطرابًا وكان فردريك في انزعاج. وسيف فارس القبر المقدس الذي قد تقلد بهِ في اورشليم يكون قليل النفع في تلك الحرب ولم يكن الاَّ المصلح وحدهُ غير متزعزع قال ان الرب يدفعهُ بيدي. والايمان الذي ملأَ قلبهُ صار لهُ واسطة لتشجيع اصدقائهِ فقال اني اترجاك يا عزيزي سپالاتين ان لا تدع الخوف يستحوذ عليك فانت تعرف جيدًا انهُ لو لم يكن المسيح بجانبي لكان كل ما قد عملتهُ الى الآن علَّة لهلاكي أفلم تاتِ حديثًا الاخبار الى دوك بوميرانيا من ايطاليا باني قد قلبت رومية وجعلت اعلاها اسفلها وبانهم لا يعرفون كيف يسكنون الشغب حتى انهم عزموا على قتالي لا حسب قوانين العدل بل بحيل رومانية. (هذه عباراتهم نفسها) ولعل المراد بذلك السم او الكمين او القتل غدرًا. فاني قد حصرت نفسي وحبًا بالملك المنتخب والمدرسة استر اشياء كثيرة كنت اشهرها ضد بابل لو كنت في مكان آخر. فيا عزيزي سپالاتين المسكين انهُ لا يمكن التكلم بالحق عن الكتب المقدسة وعن الكنيسة من دون اغضاب الوحش. فلا تنتظر ابدًا ان تراني اخرج من حيز الخطر ما لم اترك تعليم اللاهوت الصحيح واذا كان هذا الامر من الله فلا ينتهي قبل ان يتركني جميع اصدقائي كما تُرِك المسيح من تلاميذهِ فالحق يثبت وحدهُ ويغلب بيمين نفسهِ لا بيميني ولا بيمينك ولا بيمين انسان آخر فان هلكت لا يهلك العالم ولكن وا اسفاهُ اخاف اني لست اهلاً لاموت في هذا العمل

وكتب ايضًا بالقرب من ذلك الوقت يقول ان رومية تشتهي ان تقتلني وانا اضيع وقتي في مصارعتها وقد أُخبرت عن يقين ان تمثال مرتينوس لوثيروس قد أُحرِق جهارًا في المكان المسمى حقل الزهور في رومية بعد ان تثقل بلعنات واني منتظر غيظهم الشديد. ثم قال ان العالم باسرهِ قد هاج

وهو مرتعد في الجسد والنفس فماذا يحدث . الله وحدهُ يعلم واما انا فاني ارى حروبًا واشجابًا . الرب يتراءف علينا

وكتب لوثيروس مكتوبًا الى الدوك جرجس يلتمس من ذلك الامير ان ياذن لهُ بالانطلاق والاشتراك في ذلك الجدال لان ليپسك كانت من بلادهِ ولكنهُ لم ياتهِ جواب فان ابن ابن الملك البوهيمي اذ خاف من قضية لوثيروس في السلطان البابوي واحتسابًا من ان تجري في سكسونيا تلك الحروب التي كانت بوهيميا كل ذلك الزمان ميدانًا لها لم يُجب الى سوال الدكتور ولهذا عزم على كتابة شرح للقضية الثالثة عشرة ولكن تلك الكتابة فضلاً عن انها لم تقنع الدوك المذكور جعلتهُ اكثر اصرارًا فامتنع مطلقًا من الاجازة للوثيروس بالاشتراك في الجدال واذن لهُ ان يحضر على سبيل الاستماع فقط فاغاظ ذلك لوثيروس كثيرًا جدًّا الاَّ انهُ لم يرغب في غير ان يطيع الله فعزم على الانطلاق لكي ينظر وينتظر فرصتهُ

وفي ذلك الوقت نفسهِ اعجل الامير الجدال بين آك وكارلستادت فان الدوك جرجس كان متمسكًا بالتعليم القديم الاَّ انهُ كان مستقيمًا صادقًا ومحبًّا لحرية الفحص ولم يفتكر ان كل راي يستوجب الحكم عليهِ بانهُ اراتيكي بناء على مجرد كونهِ ضد ديوان رومية ويزاد الى ذلك ان الملك المنتخب استعمل سطوتهُ مع ابن عمهِ واذ تشجع جرجس بكلام فردريك امر باقامة الجدال

اما ادلفوس اسقف مرسيبرج الذي كانت ليپسك في ابرشيتهِ راى ما لم يرهُ ملتنس ولا كايتان اي خطر ترك هذه القضايا العظيمة المحادثة بين شخصين فلم تكن رومية تتجاسر على طرح اثمار قرون كثيرة تعبت فيها جدًّا في مثل هذا الخطر وكل لاهوتيي ليپسك لم يكونوا اقل خوفًا وكانوا يترجون اسقفهم ان يمنع ذلك الجدال وبناء على ذلك قدَّم ادلفوس معروضات قوية جدًّا للدوك جرجس الذي اجابهُ بكل صواب قائلاً اني لمتعجب من ان اسقفًا يخاف بهذا المقدار من عادة اجدادنا القديمة الممدوحة وهي البحث عن المسائل المشكوكة

من قضايا الايمان فاذا كان لاهوتيوك يأبون ان يحاموا عن تعاليمهم فالاوفق حينئذٍ استعمال المال الذي يُصرَف عليهم في اعالة العجائز والاولاد الذين اقلما يكون يقدرون ان يغزلوا وهم يرتلون. وهذا المكتوب لم يوثر الاَّ قليلاً في الاسقف ولاهوتييهِ. ان في كل ضلالة شعوراً سريًّا يجعلها تهرب عن الفحص ولو اكثرت الكلام عن حرية الفحص وبعد ان تقدمت بجراءة رجعت الى الوراء بجبانة. والحق لم يطلب القتال بل وقف ثابتًا واما الضلال فطلب القتال وتولى هاربًا وعدا ذلك كان نجاح ويتمبرج موضوع حسد لمدرسة ليپسك ورهبان مدرسة ليپسك وخوارنتها كانوا يطلبون الى رعاياهم ويحذرونهم عن المنابر ان يهربوا من الارانقة الحدثاء وكانوا يحتقرون لوثيروس ووصفوهُ واصدقاءهُ باشنع الاوصاف لكي يهيجوا الجدال ضد علماء الاصلاح وتتزل الذي لم يزل حيًّا انتبه وصرخ من اعماق ملجاءٍ قائلاً ان الشيطان هو الذي يحركم الى هذا الجدال

ولكن معلمي ليپسك لم يتمسكوا جميعًا براي واحد والبعض منهم كانوا خالين من الغرض ومستعدين لان يضحكوا على عيوب الفريقين ومن جملة هولاء الاستاذ اليوناني بطرس موسلانوس فلما اكترث بيوحنا آك او كارلستادت او مرتينوس لوثيروس الاَّ انهُ وعد نفسهُ بالحصول على تسلية كثيرة من نظرهِ اليهم يتجادلون وكتب الى صديقهِ ايراسموس يقول ان يوحنا آك اشهر المقاتلين بريش الاوز واوقح المدَّعين الذي هو كسقراط الاريستوفاني يحتقر حتى الآلهة انفسهم تكون لهُ نوبة مع اندراوس كارلستادت تنتهي المصارعة بصراخ عالٍ فان عشرة رجال نظير ديوكرتيوس يجدون في ذلك مادة للضحك. واما ايراسموس الجبان فبعكس ذلك خاف من مجرد الفكر بالجدال ولو تُرِك الامر اليهِ لمنعهُ وكتب الى ملانكثون يقول لو سمعتم من ايراسموس لكنتم بالحري تجتهدون في تحصيل العلوم لا في الجدال مع اعدائها واظن اننا نتقدم اكثر بهذه الواسطة وفوق الكل لا يجوز ان نتغاضى عن وجوب الغلبة لا بفصاحتنا فقط بل بالوداعة والاعتدال ايضًا. ولم يكن خوف الخوارنة ولا حكمة صانعي السلام

قادرًا بعد على منع القتال فان كل مقاتل كان قد اعدَّ سلاحهُ

الفصل الثالث

وصول آك والوتمبرجيين . امسدورف . الطلبة. الحادثة التي اصابت كارلستادت. قبول لوثيروس حكم قضاة

بينما كان الملوك المنتخبون مجتمعين في فرنكفورت لاجل انتخاب امبراطور وذلك في حزيران سنة ١٥١٩ اجتمع اللاهوتيون في ليپسك لاجل عمل غير ملحوظ عند اكثر العالم ولكنهُ كان عتيدًا ان يصير اكثر اعتبارًا من انتخاب امبراطور من جهة القرون المستقبلة . فجاء آك اولاً الى محل الاجتماع فدخل ليپسك في ٢١ حزيران ومعهُ بوليياندر وهو فتى احضرهُ معهُ من انكلستادت لاجل كتابة وقائع الجدال فقُدِّم كل نوع من الاعتبار للعالِم اللاهوتي فاجتاز في اسواق المدينة لابسًا حلتهُ الكهنوتية وهو في راس الموكب وذلك في يوم عيد جسد الرب وكان الجميع مشتاقين الى رؤيتهِ وهو نفسهُ يخبرنا بان السكان كانوا من حزبهِ الاَّ انهُ كما قال ايضًا شاع القول في المدينة اني سوف انغلب في تلك الحرب

وفي ثاني العيد الواقع في ٢٤ حزيران يوم الجمعة وهو عيد مار يوحنا وصل الوتمبرجيون وكارلستادت المزمع ان يجادل آك. جلس وحدهُ في مركبتهِ قدام الجميع وبعدهُ الدوك برنيم من پوميرانيا الذي كان حينئذٍ يدرس في وتمبرج واقيم مدبرًا اكراميًّا للمدرسة راكبًا في مركبة مفتوحة وعن يمينهِ ويسارهِ اللاهوتيان الشهيران ابوا الاصلاح لوثيروس وملانكثون فان ملانكثون لم يشأ ان يترك صديقهُ لوثيروس وقال لسپالاتين ان مرتينوس جندي الرب قد حرَّك هذه البركة المنتنة واني اغتاظ جدًّا عند ما افتكر بعمل اللاهوتيين الباباويين الذميمة فاثبت واقم معنا . ورغب لوثيروس في مرافقة صديقهِ هذا اياهُ

وكان في آخر الموكب يوحنا لانجي نائب الاوغسطينيين وكثيرٌ من الفقهاء وعدة من ارباب الصنائع ومعلمان في اللاهوت وغيرهم من الاكليروس وبينهم نيقولاوس امسدورف . وهو من بيت شريف واذ لم يكن يعتبر شرف مولده الاَّ قليلاً تفرغ لدرس اللاهوت . وساقتهُ قضايا الغفرانات الى معرفة الحق فاقر اقرارًا جهاريًّا بالايمان واذ كان ذا عقل ثاقب وطبيعة حارة هيَّج لوثيروس مرارًا كثيرة (وهو بدون ذلك ممتازٌ بالكفاية) الى اعمال خارجة عن حدود الرزانة واذ وُلد في رتبة سامية لم يكن يهاب العظماء بل احيانًا تكلم معهم كلامًا يقرب من الخشونة . قال ذات يوم امام جماعة من الاشراف ان انجيل يسوع المسيح يختص بالمساكين والمحزونين لا بكم ايها الامراء والسادة والرؤساء العائشون دائمًا في التنعم واللذات . وفضلاً عن هولاء جاء من وتمبرج تلامذة كثيرون في رفقة معلمهم قال آك انهم بلغوا مئتي نفر واذ كانوا متسلحين بالرماح والحراب كانوا محدقين بمركبات العلماء ومستعدين للمحاماة عنهم ومفتخرين بدعواهم

على هذا الترتيب دخل موكب المصلحين الى مدينة ليبسك من باب غريما ولما وصلوا الى مقبرة مار بولس انكسر عجلة من عجلات مركبة كارلستادت رئيس الشمامسة الذي افتخر بهذا الدخول فتدحرج في الوحل ولم ينلهُ ضرر الاَّ انهُ التزم ان يسير الى منزلهِ ماشيًا فسبقتهُ حالاً مركبة لوثيروس التي كانت تلي مركبتهُ وحملت المصلح الى منزلهِ بالسلام . وسكان ليبسك الذين كانوا قد اجتمعوا لكي يشاهدوا دخول اجناد وتمبرج حسبوا هذا الحادث فالاً رديًّا على كارلستادت وذهبت كل المدينة بعد قليل الى انهُ يُغلَب في تلك الحرب وان لوثيروس يظفر بخصمهِ

واما ادولفوس اسقف مرسيبرج فلم يكن ساكتًا متغافلاً بل حالما بلغهُ قرب لوثيروس وكارلستادت حتى قبل ان ينزلا من مركبتهما امر بتعليق اوامر على ابواب جميع الكنائس تنهى عن فتح الجدال تحت طائلة الحرم . اما الدوك

جرجس فتعجب من تلك الوقاحة وامر مجلس البلدة ان يرفع تلك الاوامر والقى في السجن الوكيل الجريء الذي تجاسر على اجراء امر الاسقف وكان الدوك جرجس قد اتى الى ليبسك مع كل انصاره وبينهم ابرونيموس امسر الذي كان لوثيروس قد صرف في بيتهِ في درسدن ليلة معتبرة كما ذُكر آنفًا فخلع الدوك الخلع المعتادة على المتجادلين قال آك بعجبٍ ان الدوك اعطاني ظبيًا جميلاً ولكنهُ انما اعطى كارلستادت خشفًا

وحالما سمع آك بوصول لوثيروس ذهب الى زيارتهِ وقال لهُ ما هذا. قد بلغني انك تأبى الجدال معي

قال لوثيروس كيف اقدر على الجدال معك والدوك قد نهاني عنهُ

قال آك ان لم اقدر ان اجادلك انت فقلما ابالي بجدال كارلستادت فاني قد جئت لاجلك . ثم بعد سكوت دقيقة قال وان استأذنت لك من الدوك فهل تدخل في الجدال معي

قال لوثيروس نعم بكل فرح استأذن لي فلنتحارب

فمثل آك حالاً بين يدي الدوك واجتهد في ازالة تخاوفهِ وبيَّن لهُ انهُ متحقق الغلبة وان سلطان البابا فضلاً عن انهُ لا ينضر من هذا الجدال يخرج مكللاً بالمجد وانهُ لابدَّ من مقاتلة القائد فان لوثيروس اذا بقي غير مصروع يبقى الجميع ثابتين معهُ واذا سقط يسقط كل شيء معهُ فاذن الدوك الاذن المطلوب . وكان الدوك قد امر ان يُعِدَّ قاعة عظيمة في قصرهِ في موضع اسمهُ البليسنبرج وأُقيم منبران احدهما مقابل الآخر ووُضِعت موائد للكُتَّاب العتيدين ان يكتبوا الجدال ورُتِّبت مقاعد للسامعين وكان المنبران والمقاعد مغطاة باغشية لطيفة وفوق منبر عالم وتمبرج معلَّقة صورة مار مرتينوس سميهِ وفوق منبر آك صورة مار جرجس البطل فقال آك المتعجرف ملتفتًا الى تلك الصورة سوف تراني راكبًا فوق اعدائي وكانت كل الظروف تنبئ بعظمة ذلك الجدال

وفي ٢٥ حزيران توافى الفريقان الى القصر لكي يسمعوا القوانين الواجب

حفظها في الجدال. اما آك الذي وثق بسرد الجمل والاشارات باليد بن اكثر ما وثق ببراهينهِ فقال اننا نتجادل بحرّية وارتجال والكتّاب لا يكتبون كلامنا

فقال كارلستادت قد قرّ الراي على ان الجدال يُكتَب ويُشهَر ويُسلّم الحكم جميع الناس

قال آك ان كتابة كل ما يُقال تضعف عزم المتجادلين وتطيل الخصام. ذلك يُفني الحياة المطلوبة في هذا الجدال فلا تصدُّوا فيضان الفصاحة واجادة القريحة واصحاب آك اتفقوا معهُ في رايهِ واما كارلستادت فلم يرتضِ بذلك فالتزم جندي رومية بالتسليم

قال آك فليكن كذلك وليكتبوا ما يجرى ولكن لا يجب اشهار ذلك قبل عرضهِ على قضاة منتخبين

قال لوثيروس فهل حق الدكتور آك واتباعهِ يخاف النور

قال آك لا بد لنا من قضاة

قال لوثيروس من هم القضاة

قال آك عند نهاية الجدال نتفق على انتخابهم

وكان مقصد حزب رومية واضحًا لانهُ لو قبل لاهوتيو ويتنبرج قضاةً لهلكوا لان اعداءهم عرفوا قبلاً من هم الذين ينتخبونهم واذا رفضوا هولاء القضاة يغشيهم الخزي لان اخصامهم يشيعون انهم خافوا من عرض آرائهم على قضاة خالين من الغرض. والقضاة الذين طلبهم المصلحون لم يكونوا اشخاصًا معينين متمسكين بآرائهم الشخصية السابقة بل جميع العالم المسيحي فاستغاثوا بذلك الصوت العام وعدا ذلك كان امرًا زهيدًا لديهم ان يُشجَبوا اذا كانوا وهم يحامون عن دعواهم امام كل العالم ياتون بنفوس قليلة الى معرفة الحق . قال مؤرّخ روماني ان لوثيروس طلب ان جميع الناس يكونون قضاة لهُ اي مجلسًا لم يكن ممكنًا لوعاء ان يسع كل اوراق اصحاب الصوت فيهِ

ثم انفصلوا فقال لوثيروس واصحابهُ بعضهم لبعض انظروا خبثهم . لا شك

انهم يرغبون في اقامة البابا او المدارس قضاةً. وفي الصباح القادم ارسل اللاهوتيون الرومانيون واحدًا منهم الى لوثيروس مفوّضًا بان يعرض عليهم انتخاب البابا قاضيًا فقال لوثيروس كيف يمكني ان اوافقهم على ذلك . وصرخ اصحابهُ جميعًا احذر من ان تقبل معهم بشروط غير عادلة كهذه. وعقد آك وحزبهُ مجمعًا آخر فتركوا البابا وعيّنوا بعض المدارس قضاة فاجاب لوثيروس لا تنتزعوا منا الحرية التي قد اعطيتمونا اياها قبلاً فاجابوا اننا لا نقدر ان نسمح بهذا الامر. فقال لوثيروس فاذًا انا لا ادخل في الجدال . فانفصل ايضًا الحزبان وكانت هذه القضية موضوعًا عموميًّا للحديث في كل المدينة وصرخ الرومانيون في كل مكان ان لوثيروس لا يجادل فانهُ لا يقبل قاضيًا وكانوا يزيدون على كلامهِ ويحرّفونهُ واجتهد اخصامهُ في التشنيع عليهِ. قال احسن اصدقاء المصلح هل حقًا يأبى الجدال فذهبوا اليهِ واشهروا لهُ خوفهم وصرخوا قائلين انك تابى الجدال وذلك يجلب عارًا ابديًّا على مدرستك وعلى دعواك وكان ذلك ضربًا للوثيروس على اضعف جانبيهِ فاجابهم وقلبهُ طافح غضبًا قائلاً جيد انا اقبل الشروط المطلوبة مني ولكنني احفظ حق رفع الدعوى الى ديوان غير ديوان رومية

الفصل الرابع

استفتاح الجدال. حِيَل آك. وعظ لوثيروس

ثم تعيّن ٢٧ حزيران لفتح الجدال ففي الصباح باكرًا اجتمع الحزبان في المدرسة ومن هناك ذهبوا موكبًا الى كنيسة مار توما حيث صار قدّاس احتفالي بامر الدوك وعلى نفقتهِ وبعد القداس توجهوا الى قصر الدوك وتقدمهم الدوك جرجس ودوك بوميرانيا وبعد هذين الامراء ورؤساء الاديرة والفرسان وغيرهم من الوجوه وبعد الجميع المعلمون من الحزبين ومع الموكب جمهور من الخفراء

مؤلفٌ من ستة وسبعين نفراً مسلحين بحراب ومعهم بيارق وآلات طرب يضربون بها ولم يزالوا حتى وصلوا الى ابواب القصر فوقفوا هناك. وبعد الدخول جلس كلٌّ منهم في مكانهِ في قاعة الجدال وجلس الدوك جرجس والامير يوحنا والامير جرجس من انهلت (وعمرهُ حينئذٍ اثنتا عشرة سنة) ودوك بوميرانيا في الكراسي المعيَّنة لهم

ثم صعد موسلانوس الى المنبر لكي يذكّر اللاهوتيين حسب امر الدوك بشروط الجدال. قال اذا افضيتم الى المنازعة فماذا يكون الفرق بين لاهوتيٍّ في الجدال ومصارع في المرسح. فما هي غايتكم في نوال الغلبة ان لم تكن لترجيع اخٍ من ضلال طرقهِ الى ان قال فيبين لي ان كل واحد منكم يجب ان يرغب في الانتصار عليهِ اكثر من النصرة. وعند فراغ هذا الخطاب اخذوا في الترتيل فركع كل الجمهور ورتلوا تلك الترنيمة القديمة المشهورة التي مطلعها هلمّ ايها الروح القدس وكان ذلك الوقت وقتاً كليّ الاعتبار في تاريخ الاصلاح فكرروا ذلك الدعاء ثلاثاً واذ ذاك انحنى وسجد معاً المحامون عن التعليم القديم وانصار التعليم الجديد اي المحامون عن كنيسة القرون المتوسطة والذين طلبوا اعادة كنيسة الرسل. وما زالت كل تلك العقول مرتبطة برباط شركة واحدة رباطاً قديماً ولم تزل تخرج من جميع تلك الشفاه صلاة واحدة كانها من قلب واحد. وتلك الساعة هي آخر رمق الوحدة الخارجية الميتة وقامت موضعها وحدة جديدة بالروح والحياة. وطلبوا الى الروح القدس لكي يحلّ على الكنيسة فكان مستعداً لكي يجيب دعاءهم ويجدِّد العالم المسيحي

ولما فرغوا من الترتيل والصلاة نهضوا جميعاً وكاد الجدال يبتدئ ولكن اذ كان قد فات الظهر اخَّروهُ الى الساعة الثانية بعد الظهر وانصرفوا الى الغذاء. فدعا الدوك الى مائدتهِ الاشخاص المقدَّمين العتيدين ان يحضروا الجدال وبعد الاكل رجعوا الى القاعة والمكان مع كبرهِ امتلأ من المستمعين ومثل تلك الجدالات كانت سبب اكثر الاجتماعات العمومية في ذلك القرن.

واجتمع المتقدمون والوجوه في تلك الايام وتباحثوا في المسائل الشاغلة افكار الناس. وفي الحال وقف المتكلمون في اماكنهم ولكي يتصور القاري احسن تصوُّرًا هيئاتهم الحقيقية نذكر هنا صفاتهم حسبما رسمها شاهد خالي الغرض كان حاضرًا. قال موسلانوس

كان مرتينوس لوثيروس معتدل القامة مهزولاً جدًا بسبب درسهِ حتى كادت عظامهُ تُعَدّ. وكان في عز عمرهِ ولهُ صوت رائق عالٍ ومعرفتهُ بالكتب المقدسة وفهمهُ اياها ليس لهما نظير وكلمة الله على اطراف اصابعهِ كما قيل وفضلاً عن ذلك عندهُ كنز عظيم من البراهين والافكار غير انهُ كان اصلح لو رتب موضوعاتهِ قليلاً على ترتيبٍ. وكان في حديثهِ مرضيًا سهلاً ولم يكن فيهِ شيء من الخشونة ولا القساوة وهو يجعل نفسهُ بذلك مقبولاً لدى كل واحد وكانت طريقة كلامهِ مرضية غير مرتبكة واظهر ثباتًا ولهُ بشاشة دائمة مهما كانت تهديدات اخصامهِ حتى انهُ يعسر التصديق بانهُ استطاع ان يباشر مثل تلك الامور العظيمة من دون صيانة الهية الاَّ انهُ يُلاَم على صرامتهِ في توبيخ الآخرين باكثر مما يليق بلاهوتي وعلى الخصوص عند اذاعتهِ امورًا حديثة في الديانة

اما كارلستادت فاقصر قامة اسمر اللون محرَق بالشمس غير مرضي الصوت وكانت ذاكرتهُ اقل اركانًا اليها من ذاكرة لوثيروس ومال الى الحمق الاَّ انهُ ملك الصفات التي تميز صديقهُ ولكن على اوطإِ درجة

واما آك فطويل القامة واسع الكتفين ولهُ صوتٌ قويٌ جرماني بتمامهِ ولهُ حنجرة جيدة حتى كان يُسمَع صوتهُ بسهولة ولو في مرسح واسع ولاق ان يكون منادي مدينة ونغمتهُ نغمة الادنياء غير حسنة ولم تكن لهُ تلك اللطافة التي مدحها فابيوس وشيشرون كل المدح وكان فمهُ وعيناهُ وكل منظرهِ تصوّر لك جنديًا او قصّابًا لا لاهوتيًا ولهُ ذاكرة جيدة ولو كان فهمهُ مثل ذاكرتهِ لكان بالحقيقة رجلاً كاملاً الاَّ انهُ كان بطيء الفهم وقاصر الراي الذي بدونهِ تكون جميع الصفات الأُخَر بلا فائدة ومن ثمَّ تراهُ في الجدال يخلط الامور معًا من دون

تمييز ويزج آيات من الكتاب المقدس واقتباسات من الآباء وبراهين من كل نوع وعلا ذلك كان وقحًا وقاحة تفوق الادراك واذا ارتبك ينتقل من موضوع الى آخر حتى انهُ احيانًا ياخذ راي خصمهِ ويلبسهُ الفاظًا أُخَر وينسب بحذاقة عجيبة الى خصمهِ نفس المحال الذي يكون هو آخذًا في المحاماة عنهُ. انتهى موسلانوس. فهذه صفات الرجال الذين في ذلك الوقت نظر اليهم الجمهور المزدحم في قصر بليسنبرج العظيم

فابتدا الجدال بين آك وكارلستادت

وحدّق آك بنظرهِ حينًا الى بعض الاشياء الموضوعة امامُ منبر خصمهِ وظهر ان منظرها ازعجهُ وهي الكتاب المقدس وكتب الآباء القديسين فصرخ للوقت بغتةً اني اترك الجدال اذا كان ماذونًا لك ان تجلب كتبك معك. كانهُ امر عجيب ان لاهوتيًا يلتجئُ الى الكتب في الجدال الآن تعجب آك كان اعجب فقال لوثيروس حجتهُ هذه هي ورق التين الذي يستر بهِ هذا الآدم عورتهُ أَلم يستعمل اوغسطينوس كتبهُ في محاجتهِ المانيين. فما الضرر من ذلك. فصرخ حزب آك صراخًا عظيمًا وهكذا فعل الحزب الآخر. فقال آك ان الرجل عديم الذاكرة. واخيرًا قرّ الراي على ان كل واحد يستند على ذاكرتهِ ولسانهِ فقط حسب طلب قاضي انكلستادت. فقال كثيرون فاذًا المقصود من هذا الجدال ليس هو كشف الحق بل المديح الذي يلحق أَلسنة المتجادلين وذاكرتهم. وبما انهُ لا يمكننا ان نذكر مفردات هذا الجدال الذي استقام سبعة عشر يومًا نقتدي بالمصوّرين الذين عند تصويرهم حربًا يقتصرون على رسم الامور العظمى الواقعة في القرب ويضعون غيرها في البعد

كان موضوع الجدال بين آك وكارلستادت مهمًا. قال كارلستادت ان ارادة الانسان قبل توبتهِ لا تقدر على عمل صالح فان كل عمل صالح انما ياتي بكليتهِ وبحصر اللفظ من الله الذي يعطي الانسان اولاً الارادة بالعمل ثم القدرة على تكميلهِ. وهذا التعليم نادى بهِ الكتاب المقدس القائل فان الله هو الذي يعمل

فيكم ان تريدوا وان تعملوا من اجل المسرَّة (في ٢ : ١٣) وعلّم بهِ القديس اوغسطينوس الذي في جدالهِ مع البيلاجيين عبَّر عنهُ بهذه العبارات عينها تقريبًا. فكل عمل ليست فيهِ محبة الله وطاعتهُ هو في عيني الله القدير خالٍ من كل ما يجعلهُ صالحًا ولو كان صادرًا عن احسن النيات البشرية . لان في الانسان مضادَّةً لله طبيعية مضادَّةً لا يقدر الانسان بقوَّتهِ الذاتية ان يغلبها اذ ليست لهُ ارادة ولا قوة على غلبتها ولهذا يجب صدور ذلك عن ارادة الله

فهذه هي مسألة حرية الارادة كلها وهي بسيطة جدًّا الآن العالم يضادها مضادة شديدة وهكذا كان تعليم الكنيسة سابقًا الّا ان اللاهوتيين فسروهُ تفسيرًا جعلهُ مبهمًا فاذ قالوا لا شك ان ارادة الانسان الطبيعية لا تقدر ان تعمل شيئًا يرضي الله حقًّا ولكنها تقدر ان تعمل كثيرًا لجعل الناس اهلاً لقبول نعمة الله واكثر استحقاقًا لنوالها ودعوا هذه الاستعدادات استحقاق اللياقة لانهُ كما قال توما اكويناس يليق بالله ان يعامل بانعام خصوصي ذلك الذي يستعمل ارادتهُ استعمالاً جيدًا واما نظرًا الى التوبة التي يجب حدوثها في الانسان فلا بدَّ من اتمامها بنعمة الله حسب راي اللاهوتيين ولا تحدثها غير تلك النعمة ولكن من دون ان تعدم الانسان قواهُ الطبيعية. قالوا وهذه القوى لم تتلاشَ بواسطة الخطية وانما الخطية تضادُّها وتمنع ظهورها ولكن حالما يُزال هذا المانع من طريقها (وحسب رايهم لا يزيلهُ الّا نعمة الله) يبتدئ عمل تلك القوى ثانيةً . ومن جملة قياساتهم ان العصفور الذي رُبط مدَّةً من الزمان لا يخسر في تلك الحالة قدرتهُ على الطيران ولا ينسى تلك الصناعة ولكن لا بدَّ من يدٍ تحلُّ قيودهُ لكي يصير قادرًا على استعمال اجنحتهِ فكذلك حال الانسان . فهذه هي المسألة التي ثارت بين آك وكارلستادت وكان آك قد ظهر في اول الامر انهُ ينقض كل مقدمات كارلستادت على هذا الموضوع ولما راى ان آراءهُ هذه لا يستطيع اثباتها قال اني اسلّم ان الارادة لا قوة لها على عملٍ عملٍ صالحٍ وانها تنال تلك القوة من الله . فسألهُ كارلستادت وهو مبتهج جدًّا بهذا التسليم المهم أتقرُّ اذًا بان كل عمل صالح

انما ياتي على التمام من الله فاجاب العالِم المدرسي بدهاء قائلاً ان كل العمل الصالح يصدر حقًّا من الله ولكن لا بكليتهِ. فقال ملانكثون حقًّا ان هذا اكتشاف يليق جدًّا بعلم اللاهوت. ثم قال آك ان تفاحة تامة تصدر من طبخ الشمس ولكن لا على التمام وبدون مساعدة الشجرة وهو صحيح بكل تاكيد ان الشمس وحدها لم تطبخ قط تفاحة وما من احد قال بذلك

فقال الاخصام متعمقين بهذا البحث الفلسفي والديني لنبحث اذًا كيف يفعل الله في الانسان وكيف يتصرف الانسان في نفسهِ تحت هذا العمل. فقال آك اني اقرُّ بان الحركة الاولى في توبة الانسان تصدر من الله وبان ارادة الانسان في هذا العمل هي منفعلة على التمام. والى هذا الحد اتفق الحزبان. وقال كارلستادت انا اقرُّ بانهُ بعد هذه الحركة الاولى التي تصدر من الله لا بد من حدوث شيء من جانب الانسان وهذا الشيء يدعوهُ بولس الرسول ارادة ويسميهِ الآباء قبولاً. وكانا متفقين في هذا الامر ايضًا. ولكنهُ من هناك اخذا في الاختلاف. فقال آك ان هذا القبول ياتي بعضهُ من ارادتنا الطبيعية وبعضهُ من نعمة الله. فقال كارلستادت كلاَّ ولكن الله لا بد ان يخلق على التمام هذه الارادة في الانسان. وعند ذلك اظهر آك غضبًا وحيرة عند استماعهِ كلامًا يناسب بهذا المقدار لجعل الانسان يشعر بانهُ لا شيء وهتف قائلاً ان تعليمكم يحوّل الانسان الى حجر او خشب غير قادر على شيء من المدافعة. فاجاب المصلحون عجبًا. الاقتدار على قبول هذه القوة التي يصدرها الله في الانسان هذا الاقتدار الذي بحسب راينا هو في الانسان أليس هو كافيًا لتمييزهِ من الحجر والخشب. فقال اخصامهم ولكن بانكاركم ان للانسان قوة طبيعية تنكرون كل اختبار. فاجابوا اننا لا ننكر ان للانسان قدرة ما وان لهُ قوة التصوُّر والتامل والاختبار ونحن نعتبر هذه القوة والقدرة كآلات محضة لا تستطيع ان تعمل عملاً صالحًا ما لم تحرّكها يد الله فانها نظير المنشار في يد الناشر

ان تعليم حرية الارادة العظيم بُحِث عنهُ في ذلك الجدال وتعليم المصلحين

لم ينزع من الانسان حريتهُ الادبية حتى يصير آلةً محضة منفعلة بها فان حرية الفاعل الادبي تقوم باقتداره على العمل طبق اختيارهِ وكل عمل يُعمَل من دون قسرٍ خارجي ونتيجةً لعزم النفس ذاتها هو عملٌ حرٌّ والنفس تعزم بواسطة المحركات غير ان المحركات بعينها تفعل فعلاً مختلفًا في عقول مختلفة فان اناسًا كثيرين لا يعملون طبق المحركات التي يقرُّون بكمال عزمها وعدم فاعلية المحركات هذا يصدر من الموانع الحالَّة دونها بسبب فساد الفهم والقلب الاَّ ان الله بواسطة اعطائهِ للانسان قلبًا جديدًا وروحًا جديدًا يزيح تلك الموانع وبواسطة ازاحتها لا ينزع منهُ حريتهُ بل بعكس ذلك ينزع منهُ كل ما كان يمنعهُ من العمل بحرية ومن استماع صوت ضميرهِ ويجعلهُ حسب قول الانجيل حرًّا بالحق (يو ٨: ٣٦)

ثم ان حادثة زهيدة اوقفت البحث وذلك ان كارلستادت كان قد كتب عدة براهين كما اخبرنا بهِ آك وقرأ ما كان قد كتبهُ نظير خطباء كثيرون في ايامنا هذه فلم يرتضِ آك بذلك واما كارلستادت فارتبك واذ خشي ان يتغلب اذا أُخذت اوراقهُ منهُ اصرَّ على قراءتها فصرخ آك مفتخرًا بالاستظهار على خصمهِ فقال آه ان ذاكرتهُ ليست جيدة كذاكرتي . فرُفعت الدعوى الى المحكَّمين فحكموا بان يوذن بقراءة بعض القطع من كتب الآباء وفي الامور الاخرى يتكلم كل واحد منهما ارتجالاً . وهذا القسم الاول من الجدال انقطع مرارًا كثيرة بواسطة ضجة المستمعين فانهم كانوا في اضطراب وكثيرًا ما رفعوا اصواتهم فكل قضية لم تعجب الجانب الاكبر اثارت حالاً اصواتهم فكانوا كما في ايامنا هذه مرارًا كثيرة يومرون بالهدو حتى ان المتجادلين انفسهم احيانًا تاثروا بواسطة حرارة الجدال

وكان ملانكثون جالسًا بالقرب من لوثيروس والناس التفتوا اليهِ مثل التفاتهم الى جارهِ تقريبًا . كان قصير القامة ومنظرهُ منظر ابن ثماني عشرة سنة ولوثيروس اطول منهُ قامة وهما مرتبطان باوثق صداقة فكانا يدخلان ويخرجان ويمشيان معًا . قال لاهوتيٌّ سويسي درس في وتمبرج اسمهُ يوحنا كسلر

وهو الذي صار فيما بعد مصلح .قاطعة سانت غال انك اذا نظرت الى ملانكثون نظنهُ ولدًا الاّ انهُ في الفهم والعلم والمواهب جبار ولا ادرك كيف يمكن تلك الدرجات السامية من الحكمة والعقل ان تتضمن في جسد صغير بهذا المقدار وكان ملانكثون في فترات الجدال يتكلم مع كارلستادت ولوثيروس كان يساعده في التاهب للقتال ويبين له البراهين التي حصلها بواسطة علومهِ المتسعة الاّ انهُ في مدة الجدال جلس بهدو بين السامعين يصغى برغبة الى كلام اللاهوتيين وكان حينًا بعد حين ينجد كارلستادت ولما كاد كارلستادت يُسلّم من جرى فصاحة عالِم انكلستادت كان العالِم الفتى ياتي اليهِ ويهمس في اذنهِ بكلمة او يلقي اليهِ ورقة تحتوي على الجواب ولما راى آك ذلك غضب من جسارة هذا النحوي (كما كان يسميهِ) على تداخلهِ في هذا البحث فالتفت اليهِ بكبرياء قائلاً اخرس يا فيلبس والتفت الى درسك ولا تزعجني . وربما راى آك في ذلك الوقت انهُ سوف يلاقي خصمًا هائلاً في شخص ذلك الفتى . فاغتاظ لوثيروس من هذه الاهانة الواقعة على صديقهِ وقال ان راي فيلبس هو اكثر اعتبارًا عندي من راي الف آك . ولاحظ ملانكثون بسهولة القضايا الضعيفة في الجدال فقال بتلك الحكمة والجمال اللذين نراهما في كل كلامهِ اننا لا نقدر الآن نتعجب من القساوة التي كانت تلك الموضوعات تُعامَل بها فكيف يتوقع احدٌ ان يحصل على فائدة منها . فان روح الله يحب الانفراد والسكوت وهو حينئذٍ يدخل الى قلوبنا ويتعمق فيها فان عروس المسيح لا تسكن الازقة والاسواق بل انما تقود بعلها الى بيت امها

وكل حزب من الحزبين ادّعى بالغلبة وبذل آك كل جهد حتى يظهر منتصرًا وبما ان القضايا المختلف فيها كانت تتلاقى تقريبًا هتف مرارًا كثيرة بانهُ قد اقنع خصمهُ او نظير بروتيوس اخر على قول لوثيروس كان يدور بغتةً ويُقدّم آراء كارلستادت بعبارات أُخر ويسأَلهُ بصوت منتصر ألا يرى نفسهُ مضطرًّا الى التسليم وكان السامعون البسطاء الذين لم يقدروا ان يطلعوا على

حِيَل السفسطي يمدحونهُ ويفتخرون معهُ . وظهر بين المتخاصمين فرق في امور شتّى . فان كارلستادت كان بطيًّا واحيانًا لا يجيب على اعتراضات خصمهِ حتى اليوم التالي واما آك فبعكس ذلك كان ماهرًا في علمهِ وحسب قول البعض جوابهُ تحت ابطهِ ودخل القاعة بافتخار وتبوّأ المنبر بتبختر وتمشّى الى هنا وهناك وتبختر من جهة الى اخرى وتكلم بملء صوتهِ العالي وكان لهُ جوابٌ مُعَدٌّ لكل احتجاج فاذهل سامعيهِ بذاكرتهِ وحذاقتهِ الّا انهُ مع ذلك سلَّم في مدة الجدال تسليمًا هو اكثر كثيرًا مما قصدهُ وكان حزبهُ يضحكون مقهقهين عند نظرهم كل حيلة من حِيَلهِ . فقال لوثيروس ولكنني متيقن ان ضحكهم كان بالفم فقط وانهم في قلوبهم حزنوا من رؤيتهم رئيسهم الذي ابتدأ بالقتال بافتخار عظيم يترك رايتهُ ويخلي جيشهُ ويتولى هاربًا عديم الحياء . وبعد فتح الجدال بثلثة او اربعة ايام توقف بسبب عيد الرسولين بطرس وبولس

وفي ذلك العيد طلب دوك بوميرانيا من لوثيروس ان يعظ امامهُ في كنيستهِ فاجابهُ لوثيروس الى ذلك بفرح والمكان امتلأ حالاً واذ كان عدد السامعين لم يزل يتزايد انتقل الجميع الى القاعة العظيمة التي كان فيها الجدال فاختار لوثيروس موضوعهُ من انجيل ذلك اليوم ووعظ عن نعمة الله وسلطان مار بطرس وما كان لوثيروس متمسكًا بهِ امام العلماء نادى بهِ حينئذٍ امام الشعب فان الديانة المسيحية تجعل نور الحق يضيء على العقول الوضيعة كما يضيء على العقول الرفيعة وهذه آية الفرق بينها وبين الاديان الأُخر والطرق الفلسفية . ولاهوتيو ليبسك الذين سمعوا وعظ لوثيروس بادروا الى اخبار آك بالكلمات المشككة التي طرقت آذانهم وهتفوا قائلين يجب ان تدحض جهارًا هذه الغلطات الخبيثة ولم يكن آك يرغب في شيء اكثر من ذلك ففُتِحت لهُ جميع الكنائس فتبوّأ المنبر اربع مرات متوالية لكي ينادي ضد لوثيروس وتعليمهِ فغضب اصحاب لوثيروس من ذلك وطلبوا ان لاهوتي وتمبرج يتكلم في دورهِ ولكن كل ذلك كان عبثًا فان المنابر فُتِحت لاضداد التعليم الانجيلي واُغلقت

على اوائك الذين نادوا بهِ . قال لوثيروس كنت صامتًا والتزمت ان احتمل المضادة والاهانة والطعن من دون فرصة للاعتذار او المحاماة عن نفسي

ولم يظهر الاكليروس وحدهم مضادة للعلماء الانجيليين بل اهالي ليپسك اتفقوا في هذا المعنى مع الاكليروس والتعصب الاعمى جعلهم يصدقون الاكاذيب التي اجتهد الخوارنة في اذاعتها والمعتبرون بين الاهالي لم يزوروا لوثيروس ولا كارلستادت وكانوا اذا لقوهما في الطريق لا يسلمون عليهما واجتهدوا في تسويد عرضهما عند الدوك وبعكس ذلك زاروا عالِم انكلستادت مرارًا كثيرة واكلوا وشربوا معهُ فكان آك يتنعم معهم ويسليهم بوصف الولائم المكلفة التي دُعي اليها في جرمانيا وايطاليا ويزدري بلوثيروس الذي كان قد هجم بجهل على سيفهِ غير المغلوب ويشرب بتأنٍ من بيرا سكسونيا لكي يقابل بينها وبين بيرا باڤاريا ويلقي نظر عاشق وافتخر هو نفسهُ بذلك على نساء ليپسك الجميلات النحيفات وعوائدهُ التي كانت الى الحرية اميل لم تحسن الظن بآدابهِ . واكتفوا بان يقدموا للوثيروس الخمر المعتاد تقديها للمتجادلين . والذين مالوا اليهِ اخفوا انفسهم عن الجمهور وكثيرون كانوا نظير نيقوديموس يزورونهُ خلسةً في الليل ولم يتظاهر بالمحبة لهُ جهارًا الَّا رجلان فقط وهما الدكتور اورباخ الذي كان في اوجسبرج كما تقدم ذكرهُ والدكتور بستر الاصغر

وكان في المدينة هيجان عظيم والحزبان نظير عسكرين متعاندين واحيانًا انتهى الامر بهما الى الضرب فكانت مشاجرات كثيرة تحدث في الحوانيت بين تلاميذ ليپسك وتلاميذ وتمبرج وشاع مرارًا كثيرة حتى في جمعيات الكهنة ان لوثيروس كان يحمل شيطانًا معهُ محبوسًا في علبة صغيرة وقال آك لست اعلم هل الشيطان في العلبة او تحت ردائهِ ولكن بدون شك هو في احداهما

وكان علماء كثيرون من الحزبين نازلين في مدة الجدال في بيت الطباع هربيبوليس فهاجوا بهذا المقدار حتى ان مضيفهم التزم بوضع جندي مسلح عند راس المائدة لاجل منع الضيوف من الافضاء الى الضرب واقتتل يومًا ومغرتن

واحد من تجار الغفرانات مع رجل من اصدقاء لوثيروس فاطلق العنان لغضبهِ حتى مات كمدًا قال فروسخيل الذي روى ذلك اني كنت من جملة اولئك الذين حملوهُ الى القبر وهكذا ظهر الهياج العمومي في عقول الناس وكانت حينئذٍ كما في ايامنا الخطب على المنابر يُسمَع صداها في المخادع وفي الازقة

واما الدوك جرجس فمع انهُ مال ميلاً قويًا الى آك لم تظهر منهُ حركات نفسانية بمقدار ما ظهر من رعاياهُ فدعا آك ولوثيروس وكارلستادت لكي يلتقوا على مائدتهِ وايضًا طلب من لوثيروس ان ياتي ويواجههُ سرًا ولم يمضِ الا القليل حتى اظهر كل التعصبات التي كانت قد داخلت قلبهُ ضد المصلح فقال لهُ بغضب انك بواسطة ما كتبتهُ في الصلاة الربانية اضللت ضمائر كثيرين فقد اشتكى البعض بانهم لم يستطيعوا ان يتلوا الصلاة الربانية مرة في اربعة ايام متوالية

الفصل الخامس

الجدال بين آك ولوثيروس . الهيجان بين السامعين . ختم الجدال

وفي رابع تموز ابتدأ الجدال بين آك ولوثيروس وكل الظروف دلَّت على انهُ يكون اشد واقطع والذ من الجدال الذي كان قد خُتِم عن قريب وافضى الى ضجر الجمهور وتقايل السامعين . فدخل الجنديان حومة الميدان عازمَين على عدم القاء سلاحهما حتى يُحكَم بالغلبة للواحد او الآخر وكان الجمهور ينتظرون بانشغاف لان الموضوع هو الرياسة البابا وية

ان للديانة المسيحية عدوَّين عظيمين وهما الرياسة والفلسفة اما الفلسفة نظرًا الى البحث عن قدرة الانسان كانت قد وقعت الغلبة عليها في القسم الاول

من المحاورة الليبسكية بواسطة المصلحين واما الرياسة باعتبار قمتها واساسها سواء اي تعليم السلطان الباباوي فكانت موضوع البحث في القسم الثاني فبرز في الجانب الواحد آك بطل الديانة الشائعة مفتخرًا بالمحاورات التي اقامها كما يفتخر القائد بوقائعهِ وبرز في الجانب الآخر لوثيروس الذي ظهر مقضيًا عليهِ بان يحصد الاضطهاد والعار من هذه المخاصمة بل الذي لم يزل مستعدًا بضمير خالص وعزم ثابت لان يضحي كل شيءٍ لاجل الحق واثقًا بالله وبالخلاص الذي يوتيهِ كل الذين يتكلون عليهِ فان افكارًا جديدة كانت قد تعمقت في نفسهِ الاَّ انها لم تكن مرتبة بعد على نسق مخصوص ولكنها كانت تلمع في ميدان القتال ساطعة كالبرق وهو بجدٍ وجراءة اظهر عزمًا استخف بجميع الموانع ولاح على وجههِ آثار العواصف التي احتملتها نفسهُ والشجاعة التي بها استعد الى ملاقاة عواصف مستجدة وهذان الجنديان ابنا فلاَّحين وكيلا المذهبين اللذين لا يزالان يقسمان العالم المسيحي كانا عتيدين ان يدخلا في جدال تعلَّق بهِ مستقبل السياسة والكنيسة

وقبل الظهر بخمس ساعات كان المتجادلان على منبريهما محاطين بجمهور كبير مُصغٍ اليهما. فوقف لوثيروس وقال بحشمة

باسم الرب آمين اقول ان اعتباري للحبر الاعظم كان منعني من الدخول في هذه المناقشة لو لم يكن الفاضل الدكتور آك قد اجتذبني اليها

وقال آك باسمك يا يسوع الوديع انني قبل النزول الى الميدان اعرض بين ايديكم ايها السادة الكرام ان كل ما اقولهُ يكون بالخضوع لحكم اول جميع الكراسي وحكم مالكهِ ثم بعد سكوت مدة وجيزة استتلى آك قائلاً

ان في كنيسة الله رياسة اتت من قِبَل المسيح نفسهِ فان الكنيسة المجاهدة ترتبت على صورة الكنيسة المنتصرة وهذه الاخيرة هي مملكة ترتقي فيها الرياسة درجة فدرجة الى ان تصل الى الله رئيسها الوحيد ولهذا السبب قد اقام المسيح نظامًا مثل ذلك على الارض فكم تكون الكنيسة شنيعة لو كانت بلا راس

فالتفت لوثيروس الى الجمهور وقال عند ما يحكم الدكتور آك بانهُ يجب

ان يكون للكنيسة العامة راسٌ فانهُ صادق واذا وُجِد بيننا احد يذهب الى خلاف ذلك فليقف . اما انا فذلك لا يعنيني

قال آك اذا كانت الكنيسة المجاهدة لم تكن قط بلا راس فاخبرني من هو ان لم يكن الحبر الروماني

قال لوثيروس ان راس الكنيسة المجاهدة هو المسيح نفسهُ لا انسان وانا اعتقد بذلك بناء على شهادة كلام الله قال الكتاب المقدس انهُ لمزمع ان يملك حتى يضع اعداءَهُ جميعًا تحت قدميهِ (١ كو ١٥ : ٢٥) فلا نصغينَّ الى الذين ينفون المسيح الى الكنيسة المنتصرة في السماء فان ملكوتهُ ملكوت ايمان . لا يمكننا ان نرى راسنا ومع ذلك لنا راس

اما آك فلم يحسب نفسهُ مغلوبًا فالتجأ الى براهين اخرى وقال

ان الوحدة الكهنوتية انما صدرت من رومية كما ذهب القديس كبريانوس

قال لوثيروس أُسلم بذلك من جهة الكنيسة الغربية ولكن أَليست هذه الكنيسة الرومانية نفسها فرعًا من كنيسة اورشليم التي هي بالحقيقة ام جميع الكنائس المرضعة

اجاب آك قال القديس ايرونيموس انهُ لو لم تُعطَ للبابا قوة غير اعتيادية تفوق كل قوة غيرها لكانت في الكنيسة طوائف عددها يماثل عدد الاحبار

قال لوثيروس هي قوة معطاة . اي انهُ اذا كان كل المومنين كافةً يقبلون ذلك يمكن ان تُعطَى هذه القوة للحبر الاعظم بحق بشري ولست انكر انهُ اذا كان كل المومنين في العالم يتفقون في قبول اسقف رومية او اسقف باريس او اسقف مجد يبرج حبرًا اولاً واعظم يجب ان نقبلهُ بهذه المثابة بناء على الاعتبار الواجب لهذا الاتفاق العامّ من الكنيسة ولكن ذلك لم يحدث قط ولن يحدث ابدًا حتى انهُ في ايامنا هذه أَليست كنيسة الروم تأبى الخضوع لرومية

في ذاك الوقت كان لوثيروس يسلّم بان البابا هو حاكم الكنيسة الاعظم المنتخب منها بارادتها الاَّ انهُ انكر كونهُ بابا بحق الهي ولم ينكر وجوب الخضوع لهُ

مطلقًا حتى بعد ذلك والذي حملهُ على ذلك انما هو الجدال الليپسكي واما آك فبد خولهِ في هذا الموضوع اقتحم امرًا كان لوثيروس اعلم بهِ منهُ. نعم ان لوثيروس لم يكن قادرًا على اثبات قضيتهِ المتضمنة ان البابا وية وُجِدَت في الاربعة القرون الاخيرة فقط فاورد آك شهادات من قرون اقدم لم يقدر لوثيروس على دفعها لانهُ لم يكن قد صار الفحص بتحقيق عن كتاب الاحكام التي ظهرت عند الفحص مزوَّرة الَّا انهُ كلما اقتربت المناقشة الى قرون الكنيسة الاولى زادت قوة لوثيروس فالتجا آك الى الآباء واجابهُ لوثيروس من الآباء حتى ان الحاضرين تعجبوا من سموّهِ على خصمهِ

قال اني اثبت كون الآراء التي ذكرتها هي آراء القديس ايرونيموس من رسالة القديس ايرونيموس نفسهِ الى افاغريوس حيث قال ان كل اسقف سواءٌ كان في رومية ام اوغبيوم ام القسطنطينية ام راجيوم ام طانيس ام الاسكندرية هو مشترك في نفس استحقاق واحد ونفس كهنوتٍ واحدٍ ولا فرق في رتبة الاساقفة الَّا الحاصل من قِبَل قوة الثروة وذل الفقر فقط

وانتقل لوثيروس من اقوال الآباء الى احكام المجامع التي تحسب اسقف رومية الاول بين الامثال فقط. فقال اننا نقرأُ في قانون مجمع افريقية هكذا ان اسقف الكرسي الاول لا ينبغي ان يُدعَى رئيس الاحبار ولا حبرًا اعظم ولا باسم آخر من هذا الجنس ولكن اسقف الكرسي الاول فقط. ثم استتلى قائلاً فلو كان سلطان اسقف رومية من قِبَل الله أفما تكون عبارة المجمع هذه عبارةً اراتيكية

فاجاب آك بواحدة من تلك التمييزات السفسطية المالوفة لهُ ولاهل المدارس. قال ان اسقف رومية اذا حسن عندك ليس اسقفًا عامًّا ولكن اسقف الكنيسة العامَّة

قال لوثيروس انا لا اجاوب على ذلك. دع سامعينا يرتأُون فيهِ رايهم. ثم قال ان هذا التفسير يليق جدًّا بلاهوتي وهو مناسب لاقناع مجادل متعطش الى المجد فالبائن انني لم ابقَ عبثًا في ليپسك بمصاريف باهظة بما اني قد تعلمت

ان البابا ليس بالحقيقة الاسقف العام ولكن اسقف الكنيسة العامة

قال آك. فاذًا انا آتي الى المطلوب. ان العالِم الفاضل يطلب مني ان ابرهن كون رياسة كنيسة رومية مبنية على حق الهي فانا ابرهن ذلك بقول المسيح انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي والقديس اوغسطينوس فسَّر هذه الآية في احدى رسائلهِ هكذا انت بطرس وعلى هذه الصخرة (اي على بطرس) ابني بيعتي. نعم ان هذا الاب نفسهُ قال في مكان آخر انهُ يجب ان نفهم بالصخرة المسيح نفسهُ ولكنهُ لم يرجع عن تفسيرهِ الاول

قال لوثيروس اذا كان العالِم المحترم يرغب في مضادتي انا فليوفّق اولاً بين هاتين المناقضتين في اقوال القديس اوغسطينوس لانهُ محقق كل التحقيق ان اوغسطينوس قال مرارًا كثيرة ان الصخرة هي المسيح وربما لم يقل الّا مرة واحدة انها بطرس نفسهُ . ولكن لو فرضنا ان القديس اوغسطينوس وجميع الآباء قالوا ان الرسول هو الصخرة التي اشار اليها المسيح فاني اقاومهم وحدي مستندًا على الكتب المقدسة اي على الحق الالهي لانهُ قد كُتِب فان اساسًا آخر لن يقدر احد ان يضعهُ سوى الذي وُضع وهو يسوع المسيح (اكو٣ : ١١) وبطرس نفسهُ سمّى المسيح حجرًا في راس الزاوية وحجرًا حيًّا قد بُنِينا عليهِ بيتًا روحيًّا (ابط ٢ : ٤ و٥ و٦)

قال آك اني لمتعجب من التواضع والاحتشام اللذين يحاول العالِم المحترم ان يناقض بهما وحدهُ كل هولاء الآباء الافاضل ويدَّعي انهُ اعلم من الاحبار الاعظمين والمجامع والعلماء والمدارس ولا ريب انهُ امر مستغرب اذا كان الله قد اخفى الحق عن قديسين وشهداء كثيرين الى ان جاء الاب المحترم

قال لوثيروس ان الآباء ليسوا ضدي فان القديس اوغسطينوس والقديس امبروسيوس العالِمَين الافضلَين كليهما يعلّمان كما اعلّم انا فان القديس امبروسيوس في تفسيرهِ المراد بالصخرة المبنية عليها الكنيسة قال ان الكنيسة مبنية على هذا القانون من الايمان فليضع اذًا خصمي لجامًا على لسانهِ لان مثل كلامهِ السابق

انما يثير النزاع وليس هو بحثًا يليق بعالِم حقيقي

لم يظن آك ان علم خصمهِ كان على هذا الجانب العظيم من السعة وانهُ يقدر على تخليص نفسهِ من الاشراك الملتفَّة حولهُ فقال ان العالِم المحترم قد دخل حومة الميدان بسلاح كامل فارغب الى سيادتكم ان تعذروني ان لم أُظهر مثل هذا التدقيق في البحث لاني قد اتيت الى هنا لكي اجادل لا لكي اصنّف كتابًا.

كان آك قد ارتبك ولكنهُ لم يعدّ نفسهُ مغلوبًا واذ لم تبقَ لهُ براهين أُخَر ياتي بها التجأَ الى حيلة دنية خبيثة وهي حيلة ترمي خصمهُ في ارتباكٍ ان لم تفحمهُ وهي ان يلقي لوثيروس تحت التهمة بانهُ اراتيكي بوهيمي من تابعي يوحنا هس فانهُ اذا قدر على اثبات كون لوثيروس بوهيميًّا اراتيكيًّا هسيًّا يغلبهُ لان البوهيميين كانوا مكروهين في الكنيسة ومدينة ليپسك لم تكن بعيدة عن حدود بوهيميا. وبعد ان حكم مجمع قسطنسس على يوحنا هس صارت سكسونيا معرَّضةً لجميع اهوال حرب طويلة مُدَمِّرَة وافتخرت بمقاومتها الهسيين في ذلك الزمان ومدرسة ليپسك بُنِيَت لاجل مضادة مذهب يوحنا هس وهذا الجدال كان جاريًا بحضرة امراء واشراف واكابر ممن قُتِل آباؤُهم في ذلك النزاع المشهور فالاشارة الى كون لوثيروس وهس من راي واحد تكون ضربةً مخيفة على المصلح والى هذه الحيلة التجأَ عالِم انكلستادت فقال انهُ منذ القرون الأُوَل قد اقرَّ جميع المسيحيين الصالحين بان الكنيسة الرومانية تستمد سلطانها راسًا من المسيح نفسهِ لا من سلطان بشري الأَّ انهُ ينبغي لي على كل حال الاقرار بان البوهيميين عند ما كانوا يحامون بعناد عن ضلالهم قاوموا هذا التعليم فاطلب المسامحة من الاب الفاضل اذا كنتُ عدوًّا للبوهيميين لانهم اعداء الكنيسة والجدال الحاضر قد ذكَّرني بهولاء الاراتقة لانهُ بحسب قصر رايي اقوال العالِم هي من كل جهة محامية عن تلك الغلطات حتى قيل ان الهسيين مفتخرون بذلك جهارًا

فاصاب آك غرضهُ وقبل اصحابهُ تلك التلميحات الماكرة منهُ باعظم الفرح وظهرت حركة ابتهاج بين السامعين. قال المصلح فيما بعد ان تلك الاهانات

اعجبتهم اكثر من الجدال نفسهِ

اجاب لوثيروس اني لست احب ولن احب الانشقاق وبما ان البوهيميين انفصلوا من انفسهم عن وحدتنا اخطأُوا ولئن كان تعليهم من الله لان الحق الالهي السامي انما هو المحبة ووحدة الراي

وتكلم لوثيروس بهذا الكلام في جلسة صباح اليوم الخامس من تموز وبعد ذلك انصرف الاجتماع لانهُ كان وقت الغذاء فشعر لوثيروس بانزعاج في قلبهِ فسال نفسهُ أَلم يظلم مسيحيي بوهيميا بما قال عنهم وأَلم يتمسكوا بالتعاليم التي هو نفسهُ متمسك بها فراى جميع صعوبات حالهِ . هل يقوم ضد المجمع الذي حكم على يوحنا هس او ينكر ذلك الفكر السامي عن كنيسة عامة مسيحية الذي استولى على قلبهِ استيلاء تامًّا . وفي هذا الارتباك ثبت غير متزعزع ولم يتاخر بل عزم على عمل ما يجب عليهِ مهما كانت العواقب ومن ثمَّ عند ما انعقدت الجلسة ايضًا بعد الظهر بساعتين استفتح الخطاب فقال

انهُ بين قوانين الايمان التي تمسك بها يوحنا هس والبوهيميون بعض القوانين التي هي قوانين مسيحية حقًّا وذلك لا يشوبهُ ادنى ريب مثال ذلك انهُ لا يوجد الأَ كنيسة واحدة عامة وايضًا انهُ ليس ضروريًا للخلاص الاعتقاد بان الكنيسة الرومانية هي اعلى من جميع الكنائس الأُخَر ولست ابالي بمن القائل هذه الاشياء ان كان وكلف او هس فانها صحيحة

فحصل من كلام لوثيروس هذا تأْثير عظيم بين سامعيهِ وذلك ان هسًا ووكلف ذينك الاسمين المبغوضين قد تلفَّظ بهما راهب بالمديح في وسط جماعة كاثوليكية فحصل غوغاء كادت تحيط بجلالة المحل واحس الدوك جرجس نفسهُ بخوف وتخيَّل لهُ ان راية الحرب التي اخربت مدَّة سنين كثيرة ولايات اجدادهِ من جانب امهِ انتشرت في سكسونيا واذ لم يقدر ان يضبط نفسهُ وضع يديهِ على وركيهِ وهزَّ راسهُ وصرخ بصوت عالٍ جدًّا حتى سمعهُ كل الجمهور وقال قد غاب عن الصواب بسبب الحنق فهاجت الجماعة باسرها ونهض الحاضرون

كل يكلّم جارهُ والذين كانوا متناعسين استفاقوا فارتبك جدًّا اصحاب لوثيروس واعتززت اعداؤهُ وكثيرون ممن كانوا قد اصغوا اليهِ الى هذا الحد برغبة ابتدأوا يرتابون باستقامة ايمانهِ والتاثير الذي حدث في عقل الدوك جرجس بواسطة تلك الكلمات لم يُمحَ قط منهُ ومن ذلك الوقت صار ينظر الى المصلح بعين ردية واضحى عدوًّا لهُ

واما لوثيروس فلم يدع نفسهُ يخاف من تلك الضجات . ومن جملة براهينهِ العظمى ان الروم لم يقرّوا قط برياسة البابا ومع ذلك لم يُحكَم قط عليهم بانهم اراتقة وان كنيسة الروم قد وُجِدَت وهي موجودة وستبقى موجودة من دون البابا وانها للمسيح كما ان كنيسة رومية للمسيح . واما آك بعكس ذلك ذهب بجسارة الى ان الكنيسة الرومانية المسيحية هي واحدة وهي هي بعينها وان الروم والشرقيين بتركهم البابا تركوا الايمان المسيحي ايضًا وهم اراتقة من دون شك فصرخ لوثيروس قائلاً عجبًا أليس غريغوريوس النزينزي وباسيليوس الكبير وابيفانيوس وفم الذهب وكثيرون جدًّا غيرهم من اساقفة الروم خالصين وهم مع ذلك لم يومنوا بان كنيسة رومية هي فوق الكنائس الأُخَر فانهُ ليس في طاقة الاحبار الرومانيين ان يرتبوا قوانين جديدة للايمان والمؤمن المسيحي لا يعترف بسلطان آخر غير سلطان الكتاب المقدس فهذا وحدهُ هو حق الهي فاترجى العالِم الفاضل ان يقبل بان الاحبار الرومانيين هم بشر وان لا يجعلهم آلهة

فرجع آك الى واحدة من تلك الاضاحيك التي من شانها ان توهم بالغلبة للذي يستعملها فقال ان الاب المحترم هو طبَّاخ غير ماهر فانهُ قد طبخ مخلوطة من القديسين والاراتقة الروم حتى ان رائحة القداسة في الواحد تمنعنا من الشعور برائحة السم في الآخرين

فقطع لوثيروس حديث آك بحرارتهِ قائلاً ان العالِم الفاضل قد ابتدأ في الهزل والسخرية وفي رايي انهُ لا يمكن وجود شركة بين المسيح وبليعال . وكان لوثيروس قد تقدَّم خطوة طويلة فانهُ سنة ١٥١٦ وسنة ١٥١٧ حارب مواعظ

بائعي الغفرانات وتعاليم الفلاسفة فقط ولكنهُ اعتبر الاحكام الباباوية وبعد ذلك بقليل رفض تلك الاحكام ايضًا واستغاث بمجمع واما الآن فرفض تلك السلطة الاخيرة ايضًا حاكمًا بانهُ لا يقدر مجمع ان يضع قانونًا جديدًا للايمان ويدّعي العصمة وهكذا سقطت على التوالي جميع السلطات البشرية امامهُ وذهبت كالرمال التي يحملها المطر والرياح ولم يبقَ لاجل ترميم بيت الرب الخرب الاّ صخرة كلام الله الابدية. فقال آك ايها الاب المحترم اذا كنت تعتقد ان المجمع القانوني قد يغلط فلست في نظري احسن من وثني وعشار

على هذه الكيفية كانت المحاورة التي اشتغل بها العالمان واصغى الجمهور اليهما برغبة الأانهم ضجروا احيانًا وابتهج الحاضرون كلما عرضت حادثة مضحكة لكي تسليهم وتنبههم ويحدث مرارًا كثيرة ان اهم الامور يمتزج بامور أُخر مضحكة جدًا وهكذا كان الحال في ليبسك. كان للدوك جرجس كعادة تلك الايام مشعوذ فقال لهُ بعض المازلين لوثيروس يقول ان المشعوذ يجوز لهُ ان يتزوج واما آك فيقول ان ذلك لا يجوز فصار المشعوذ يكره آك جدًا وكلما دخل القاعة مع جماعة الدوك نظر الى المعلم بعين الغضب ولم يكره آك المزل فاطبق عينًا (وكان المشعوذ اعور) وابتدأ يشزر بالعين الاخرى نحو ذلك الرجل الصغير فحنق منهُ جدًّا وغشّاهُ بالشتائم. قال بيفر فاخذ جميع الحاضرين يضحكون وهذا الامر ارخى نوعًا شد عقولهم المفرط

وفي ذلك الوقت حدثت امور في المدينة وفي الكنائس يبين منها شدة حنق اصحاب رومية من اقوال لوثيروس الجسورة واقوى الاصوات خرج من الاديرة المتحزبة للبابا. دخل لوثيروس يوم الاحد الى كنيسة الدومينيكيين قبل القداس الاحتفالي وكان هناك بعض الرهبان يقدسون قداسات اعتيادية على المذابح الصغيرة فحالما عرفوا في الدبران لوثيروس الاراتيكي في الكنيسة ركضوا بسرعة واختطفوا الجسد وحملوهُ الى القبة فاحرزوهُ هناك محافظين عليهِ خوفًا من ان يتنجس بواسطة عيني الاوغسطيني الوتمبرجي الاراتيكيتين وفي الوقت

نفسهِ اخذ اولئك الذين كانوا يقدسون الادوات المختلفة المستعملة في الخدمة وتركوا المذبح وهربوا في وسط الكنيسة والتجأُوا الى الخزانة كانَّ الشيطان في اثرهم كما قال بعض المورخين

وصار موضوع المناقشة مادة الحديث في كل مكان واشهر كل انسان رايهُ في الحوانيت والمدرسة والبلاط ومع ان حمق الدوك جرجس كان عظيماً لم يأْبَ بعناد ان يقتنع . وفي ذات يوم كان لوثيروس وآك ياكلان معهُ فقطع حديثهما بقولهِ ان البابا سواءٌ كان بابا بحق بشري ام بحق الهي هو على كل حال بابا ففرح لوثيروس جدًّا بهذه الكلمات وقال ان الامير لم يكن قد تلفظ بها قط لو لم تكن براهيني قد اثرت فيهِ

وبقي الجدال في رياسة البابا خمسة ايام وفي ٨ تموز انتقلوا الى تعليم المطهر فاشغل ذلك اكثر من يومين وكان لوثيروس لم يزل يقبل هذا التعليم الَّا انهُ انكر ان الكتب المقدسة او الآباء علَّموا بهِ على الطريقة التي ادعاها خصمهُ واللاهوتيون وقال مشيرًا الى قلة تعمق خصمهِ في العلوم ان صاحبنا الدكتور آك قد طفا هذا اليوم على الكتاب المقدس وهو يكاد لا يمسهُ مثلما تركض الرتيلاء على سطح الماء

وفي ١١ تموز وصلوا الى الغفرانات قال لوثيروس كان ذلك لعبة محضة والجدال مضحكًا فسقطت الغفرانات حالاً وكان آك من رايي تقريبًا وقال آك نفسهُ لو لم اكن قد جادلت الدكتور لوثيروس في رياسة البابا لكنت قد اتفقت معهُ من جهة الغفرانات

ثم تحوَّل الجدال الى التوبة وحلة الكاهن والوفاء فاقتبس آك حسب عادتهِ اقوال اللاهوتيين والدومينيكيين واحكام الباباوات فختم لوثيروس الجدال بهذه الكلمات ان الدكتور المحترم يهرب من الكتب المقدسة كما يهرب الشيطان من الصليب واما انا فاني اوثر اقوال الكتاب المقدس مع كل اعتباري للآباء وارغب ان قضاتنا يتفقون معي على هذا المحك

والى ذلك انتهى الجدال بين آك ولوثيروس واما كارلستادت وعالِم انكلستادت فاطالا الجدال يومين آخرين في استحقاقات البشر في الاعمال الصالحة وفي ١٦ تموز خُتِم العمل بعد ما دام عشرين يومًا بخطاب من رئيس المدرسة وحالما فرغ من خطابهِ اشتغلت آلات الموسيقا وخُتم الاحتفال بترتيل هلمَّ نسبح الرب

ولكن في مدة ترتيل نشيدة السبح هذه لم تكن عقول الناس باقية على ما كانت عليهِ عند ترتيل دعوة الروح القدس في افتتاح الجدال بل قد تغيرت افكار قلوب كثيرة والسهام التي رشق بها جنديا التعليمين احدهما الآخر جرحت البابا وية جرحًا بليغًا

الفصل السادس

نتائج الجدال

ان تلك الجدالات اللاهوتية التي لا يحب اهل العالم الآن ان يكرسوا لها بعض الدقائق حضرها جمهور يومئذٍ واصغوا اليها جيدًا مدة عشرين يومًا متوالية والعوام والفرسان والامراء ابدوا نحوها رغبة مستمرة ولاسيما الدوك برنيم من بوميرانيا والدوك جرجس واظباها مواظبة عجيبة وبعكس ذلك بعض لاهوتيي ليبسك اصحاب الدكتور آك ناموا في قاعة الجدال نومًا استغرقوا فيهِ كما اخبرنا شاهد عياني واقتضى ايقاظهم في آخر كل جلسة خوفًا من ان يخسروا غناءهم وكان لوثيروس اوَّل من ترك ليبسك وتبعهُ كارلستادت واما آك فبقي عدَّة ايام بعد انصرافهما

ولم يُصدَر الحكم لاحدٍ في ذلك الجدال بل حكم كل واحد عليهِ حسب احساساتهِ . قال لوثيروس ضاعت مدَّة مستطيلة في ليبسك بدون تفتيش على

الحق . ولنا سنتين نفحص في تعاليم اخصامنا حتى احصينا كل عظامها واما آك فخلاف ذلك بالكد مس الوجه الظاهر الاّ انهُ صوَّت في ساعة واحدة اكثر ممَّا صوّتنا نحن في سنتين طويلتين

اما آك ففي مكاتيبهِ السريّة الى اصدقائهِ اقرّ بانهُ قد غُلِب في بعض القضايا وعدّ لذلك اسبابًا كثيرة . فكتب الى هوخستراتن في ٢٤ تموز يقول ان الوتمبرجيين غلبوني في عدة اشياء اولاً لانهم احضروا كتبهم معهم ثانيًا لان البعض من اصحابهم كتبوا موضوعات المحاورة وراجعوها على فضاوةٍ ثالثًا لانهم كانوا كثيرين دكتورين اي لوثيروس وكارلستادت ولانجي نائب الاوغسطينيين وطلبة اللاهوت امسدورف وابن اخت لربوخان مدَّعٍ جدًّا اي ملانكثون وثلثة فقهاء وكثيرون من ارباب الفنون وكل هولاء ساعدوا في المحاورة جهارًا او سرًّا واما انا فبرزت وحدي وكانت عدالة دعواي عاضدي الوحيد . نسي آك امسر واسقف ليپسك وعلماءها . وتلك الاقرارات افلتت من آك في مكاتبتهِ الاعتيادية اما تصرفهُ بين الجمهور فخلاف ذلك لانهُ هو ولاهوتيي ليپسك افتخروا جهارًا بما سموهُ غلبتهم فشيَّعوا اخبارًا كاذبة في كل جهة. كتب لوثيروس ان آك يفتخر في كل مكان . واما اصحاب رومية فكل واحد منهم ادَّعى الغلبة لنفسهِ . وقال رجال ليپسك لو لم ناتِ الى مساعدة آك لانغلب هذا العالِم الفاضل وقال آك ان لاهوتيي ليپسك هم قوم صالحون الاّ انني كنت انتظر منهم اكثر مما ينبغي والتزمت ان اعمل كل ما عملتهُ من دون منجد وقال لوثيروس لسپالاتين انك تراهم ينظمون الياذوس جديدًا واينيادوس جديدًا. انعموا عليَّ بان جعلوني نظير هكتور او تورنوس. واما آك فهو في عيونهم اخيلاس او اينياس . ولم يبقَ عندهم الاّ شك واحد وهو هل حصلت الغلبة بواسطة ذراعي آك او ذراع اهل ليپسك . ولا اقدر ان اقول لاجل ايضاح هذا الامر غير ان المعلم آك لم يهدا قط عن الصياح ولاهوتيي ليپسك لم يفعلوا شيئًا غير ملازمة السكوت. وقال موسلانوس اللطيف الحاذق الحكيم ان آك هو غالب

في عيون الذين لا يفهمون القضية والذين شابوا تحت تعليم اللاهوتيين واما لوثيروس وكارلستادت فهما غالبان في راي اصحاب المعرفة والفهم والحشمة ان جدال ليپسك لم يُقضَ عليهِ بان يذهب سدًى لان كل عمل يُعمَل بورع يثمر ثمرًا فان كلمات لوثيروس نفذت بقوة لا تُدفَع في عقول سامعيهِ وكثيرون من الذين زاحموا قاعة الجدال يوميًّا خضعوا للحق وانتصر الحق على الاكثرين بين اشد مضاديهِ فان بولياندر كاتم اسرار اك وصديقهُ المخلص وتلميذهُ رُبح للاصلاح وفي سنة ١٥٢٢ بشَّر بالانجيل جهارًا في ليپسك ويوحنا سلاريوس معلّم العبراني الذي كان مضادًا جدًّا للتعاليم المصلحة اثرت فيهِ كلمات العالِم الفصيح وابتدا يفتش الكتب المقدسة باكثر تعمقًا ولم يمضِ الاَّ قليل حتى ترك رتبتهُ وتوجه الى وتمبرج لكي يدرس بتواضع عند قدمي لوثيروس وبعد حين صار راعيًا في فرنكفورت ودرسدن. ومن جملة الذين جلسوا على المقاعد المختصة باهل البلاط المحدقين بالدوك جرجس كان اميرٌ فتًى ابن اثنتي عشرة سنة من عائلة مشهورة بسبب محارباتها في الحروب الصليبية اسمهُ جرجس انهلت. كان حينئذٍ يدرس في ليپسك تحت يد معلم مخصوص وامتاز هذا الفتى الشريف برغبتهِ الحارة في العلوم وتعطشهِ الشديد الى الحق وسُمع مرارًا يكرّر لنفسهِ قول سليمان الحكيم الشفاه الكاذبة لا تليق برئيس. فنبّه الجدال الليپسكي افكارًا رزينة في هذا الصبي واماله ميلاً جازمًا الى لوثيروس وبعد ذلك بقليل عُرِضَت عليهِ اسقفية فابى فالحّ اخوتهُ واقاربهُ بان يقبلها يريدون ان يرقوهُ الى اعلى الرتب في الكنيسة ولكنهُ ثبت على ابائهِ وعند موت امهِ التقية التي كانت سرًّا تميل الى لوثيروس حصل على جميع مصنفات المصلح وكان يصلي الى الله صلاة حارّة غير منقطعة يطلب منهُ تعالى ان يميل بقلبهِ الى الحق وكان مرارًا كثيرة وهو منفرد في مخدعهِ يصرخ بالدموع عامل عبدك حسب رحمتك وعلّمني نواميسك . فاستُجيبت صلاتهُ واذ اقتنع انحاز بنفسهِ بدون خوف في جانب الانجيل وباطلاً . كان اوصياؤهُ وعلى الخصوص الدوك جرجس يُلحّون

عليهِ بالطلبات والمواعيد. ثبت غير متزعزع واذ اقتنع الدوك جرجس بعض الاقتناع بواسطة براهين مستأمنهِ صرخ قائلاً انني لا اقدر ان اجاوبهُ ولكنني ابقى في كنيستي لانهُ على قول المثل يعسر على الكلب المسنّ ان يتعلم ملاعب جديدة. وسوف نذكر ايضاً هذا الامير المحبوب الذي هو من اشرف ذوات الاصلاح الذي كان يعظ رعاياهُ بنفسهِ بكلام الحياة الابدية وبوافقهُ قول المؤرخ ديون عن الامبراطور مرقس انطونينوس ان تصرّفهُ وافق بعضهُ بعضاً في كل حياتهِ وكان رجلاً صالحًا لا غشّ فيهِ

والطلبة بنوع اخص قبلوا كلام لوثيروس برغبةٍ عظيمة فانهم اطّلعوا على الفرق بين روح العالِم الوتمبرجي ونشاطهِ وتمييزات عالِم انكلستادت السفسطية واوهامهِ الفارغة وراوا ان لوثيروس قد استند على كلام الله وان رايات اك مبنية على تقاليد بشرية وحصلت من ذلك نتيجة سريعة اي هُجِرَت قاعات التعليم في مدرسة ليپسك حالاً بعد الجدال . نعم ان ظرفًا واحدًا ساعد على هذه النتيجة وهو خوف الناس من الطاعون القريب الظهور في تلك المدينة على ما زعموا الاّ انهُ كان ممكنهم ان يذهبوا الى مدارس اخرى مثل مدرسة ارفرث وانكلستادت وغيرها ولكن قوة الحق جذبتهم الى وتمبرج فتضاعف سريعًا عدد تلاميذها

وبين هولاء المنتقلين من المدرسة الى الاخرى فتًى ابن ست عشرة سنة مائل الى المالنخوليا قليل الكلام وكثيرًا ما ظهر عليهِ انهُ متوغل في افكار عميقة في وسط محاورات رفاقهِ وملاهيهم في المدرسة وظنهُ ابواهُ في اول الامر ضعيف العقل الاّ انهما وجداهُ عن قريب سريع التناول جدًا ومنكبًا على دروسهِ بهذا المقدار حتى توقّعا منهُ امورًا عظيمة . واستقامتهُ وخلوصهُ وحشمتهُ وتقواهُ جعلتهُ محبوبًا لدى الجميع وكان موسلانوس يومي اليهِ قدوةً لكل المدرسة وكان اسمهُ كسبرد كروسيجر من اولاد ليپسك وهذا التلميذ الجديد في وتمبرج صار في ما بعد صديقًا لملانكثون ومساعدًا للوثيروس في ترجمة الكتاب المقدس

واثمر جدال ليپسك اثمارًا اعظم لانهُ فيهِ قبل لاهوتي الاصلاح دعوتهُ .

كان ملانكثون جالسًا باحتشام وسكوت يصغى الى المناقشة التي لم يشترك فيها الاَّ قليلاً جدًا والى ذلك الزمان كانت العلوم مهنتهُ الوحيدة فحرَّكتهُ المحاورة حركة جديدة والقت هذا العالِم الفصيح في طريق علم اللاهوت ومن ذلك الوقت انحنى عقلهُ المتسع راكعًا امام كلام الله فقبل الحق الانجيلي ببساطة طفل وفسر تعليم الخلاص بنعمة ووضوح سبيا عقول سامعيهِ جميعًا وتقدم بجسارة في ذلك السبيل الجديد عندهُ وقال ان المسيح لا يترك اتباعهُ ومن ذلك الوقت فصاعدًا مشى الصديقان معًا يجاهدان لاجل حرية الضمير والحق احدهما بنشاط مار بولس والآخر بوداعة مار يوحنا وذكر لوثيروس التفاوت بين دعوتيهما بعبارات حسنة. قال اني قد وُلدت لكي احارب الاحزاب والارواح الخبيثة في ميدان الجدال وهذا هو سبب فيضان اعمالي بالحروب والعواصف لان شغلي هو ان استأصل الاصل والفرع والاشواك والنجوم واملا البرك والحياض فانا القطَّاع الخشن الذي عليهِ ان يعد السبيل ويسهّل الطريق واما فيلبس فانهُ يتقدم بهدوءٍ وسهولة يحرث الارض ويزرعها ويغرسها ويسقيها بفرح حسب العطايا التي اعطاهُ اياها الله بيد سخية

وكما ان ملانكثون الزارع الهادي قد دُعي للعمل بواسطة جدال ليبسك هكذا لوثيروس القطاع الخشن شعر بتقوية ساعدهِ وتنشيط شجاعتهِ بواسطة ذلك الجدال والتاثير الاعظم الذي حصل منهُ هو الذي حصل في لوثيروس نفسهِ. قال ان قشور اللاهوتي المتفلسف سقطت عن عينيهِ تحت رياسة المعلم آك المفتخرة والحجاب الذي كانت المدرسة والكنيسة قد نشرتاهُ امام المقدس انشق للمصلح من فوق الى تحت واذ اضطرَّ الى الدخول في مباحث جديدة اكتشف اكتشافات غير منتظرة فنظر بغضب وحيرة الى عظم الشر الكائن واذ فتش في تواريخ الكنيسة وجد ان رياسة البابا لم يكن لها اصل غير الطمع من الجهة الواحدة والتصديق الاحمق من الجهة الاخرى والدائرة الضيّقة التي منها نظر الى الكنيسة قبل ذلك انسعت حينئذٍ ورأى ان مسيحيي بلاد اليونان

والمشرق هم اعضاء حقيقيون للكنيسة المسيحية وعوضاً عن الخضوع لرئيس منظور جالس على شطوط نهر تيبر عبد راساً وحيداً لشعب الله فاديا غير منظور ابدياً هو بحسب وعدهِ كائنٌ في وسط كل شعب على الارض مع كل الذين يومنون باسمهِ ولم تلبث الكنيسة اللاتينية ان تكون في نظر لوثيروس الكنيسة العامة بل راى حصون رومية الضيقة تتساقط وفرح مبتهجاً بكشفهِ وراءها ممالك المسيح المجيدة ومن ذلك الوقت ابتدأ يدرك كيف يمكن الانسان ان يكون عضواً لكنيسة المسيح من دون ان يتعلق بكنيسة البابا . والذي اثر فيهِ تاثيراً فائقاً وعميقاً جداً هو موَلَّفات يوحنا هس فانهُ وجد فيها بتعجب عظيم تعليم مار بولس ومار اوغسطينوس ذلك التعليم الذي كان قد توصَّل اليهِ بنفسهِ بعد جهاد عظيم . قال اني اعتقدت بتعاليم يوحنا هس وعلَّمت بها جميعها من دون اطلاع على ذلك . وهكذا فعل ستوبتز ايضاً وبالاختصار نحن جميعنا هسيون ولم نشعر بذلك وهكذا كان بولس واوغسطينوس انفسهما . انني منذهل ولا استطيع ان اعلّل عن حالي آه كم يستوجب الناس بنوع هائل احكام الله لان حق الانجيل الذي كُشِف عنهُ وأُذيع في هذا القرن والماضي قد دِين وأُحرِق وأُطفِيء . الويل الويل للعالم

فانفصل لوثيروس عن البابا وية وكرهها حينئذٍ كراهةً شديدة وغضب غضباً مقدساً وجميع الشهود الذين قاموا في كل قرن ضد رومية حضروا امامهُ كل واحد في دورهِ وشهدوا ضدها واعان كل واحد منهم شيئاً من الفساد والضلال ربما لم ينتبه اليهِ الآخر فصرخ يا لها من ظلمة مدلهمَّة . وهو لم يُترَك حتى سكت عند هذا الاكتشاف المحزن بل عجرفة اخصامهِ وادعاؤُهم الغلبة واجتهادهم في اطفاء النور كل ذلك ثبت عزم نفسهِ فتقدم في الطريق الذي ارشدهُ الله اليهِ من دون خوف من جهة النهاية التي ينتهي اليها وذكر لوثيروس ان ذلك الوقت هو وقت انعتاقهِ من النير البابا وي . قال تعلَّموا مني ما اصعب طرح غلطات ثبَّتها العالم باسرهِ وصارت عندنا لاجل العادة الطويلة طبيعة ثانية

فانهُ كان قد مضى عليَّ في ذلك الوقت سبع سنين وانا اقرأُ فيها الكتب المقدسة وافسرها جهارًا بغيرة عظيمة حتى كنت اعرفها تقريبًا عن ظهر قلبي وكان لي ايضًا جميع ثمار المعرفة والايمان بربنا يسوع المسيح اعني اني كنت عارفًا باننا نتبرَّر ونخلص لا باعمالنا ولكن بالايمان بالمسيح وعلّمت ايضًا جهارًا ان البابا ليس راس الكنيسة المسيحية بحق الهي ومع ذلك لم اكن اقدر ان ارى النتائج الناتجة من ذلك اي ان البابوية هي بالضرورة وبالحقيقة من الشيطان لانهُ ما ليس من الله لابد ان يكون من الشيطان . ثم يستتلي لوثيروس قائلاً فلست بعد الآن اسمح لنفسي بالحنق على اولئك الذين لم يزالوا متمسكين بالبابا لاني انا الذي قد درست بكل اعتناء الكتب المقدسة سنين هذا عددها كنت لا ازال ملتصقًا بالبابوية بهذا المقدار من العناد . هذه هي النتائج الحقيقية من الجدال الليبسكي وهي اهمُّ من الجدال نفسهِ

الفصل السابع

مهاجمة آك على ملانكثون . مدافعة ملانكثون . تفسير الكتب المقدسة . ثبات لوثيروس . الاخوة البوهيميون الخ

ظهر آك كانهُ سكران فرحًا من غلبتهِ المزعومة فاخذ يطعن في لوثيروس ويلقي عليهِ شكاية فوق شكاية وكتب الى فردريك قاصدًا نظير قائد حاذق ان ينتهز فرصة التشويش الذي يعقب وقعةً لكي ينال نعمةً من ذلك الامير . وبينما هو ينتظر ما كان عتيدًا ان يحل بخصمهِ من المصائب طلب نزول نار على تصانيفهِ حتى التي لم يكن قد قراها وطلب من الملك المنتخب ان يجمع مجمعًا اقليميًا قائلاً على قلة ادبهِ دعنا نستاصل هذه الحشرات قبل ان تكثر متجاوزةً كل حدٍّ . ولم يوجّه غضبهُ ضد لوثيروس وحدهُ بل اذ زاد حمقهُ دعا ملانكثون

الى النضـال واما ملانكثون الذي كان مرتبطًا برباطات الصداقة مع ايكولمباذيوس الفاضل كتب اليهِ يخبرهُ عن الجدال متكلمًا عن المعلم آك بكلام المديح الآن كبرياء عالِم انكلستادت كانت قد جُرِحَت فاخذ حالاً قلمهُ وكتب ضد ذلك النحوي الوتمبرجي الذي بالحقيقة لم يجهل اليوناني واللاتيني ولكنهُ قد تجاسر على كتابة مكتوبٍ ذمهُ فيهِ

فاجاب ملانكثون شكاية آك وكان ذلك اول كتاباتهِ اللاهوتية وحوى مكتوبهُ كل اللطافة السامية التي تميَّز بها ذلك الرجل الفاضل وفيهِ وضع مبادي التفسير الاساسية (اي صناعة تفسير الكتب المقدسة) فبيَّن انهُ لا يجوز ان نفسر الكتب المقدسة بواسطة الآباء بل الآباء بواسطة الكتب المقدسة وقال كم من مرة غلط ايرونيموس واوغسطينوس وامبروسيوس وكم من مرة تختلف آراؤهم وكم يراجعون غلطهم ولا يوجد الَّا كتاب واحد مقدَّس مُلهَم بهِ من الروح القدس خالص وطاهر في جميع الاشياء

قال انهم يقولون ان لوثيروس لا يتبع بعض تفاسير القدماء الملتبسة. ولماذا يتبعها. فانهُ في تفسيرهِ عبارة مارمتى انت بطرس وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي يقول نفس ما قالهُ اوريجانوس الذي هو وحدهُ جيشٌ وما قالهُ اوغسطينوس في مواعظهِ وامبروسيوس في كتابهِ السادس على انجيل لوقا حتى لا اورد كلام غير هولاء فهل تقول ان الآباء ضادّوا بعضهم بعضاً. وهل في ذلك عجب فاني اصدّق الآباء لاني اصدّق الكتب المقدسة. ومعنى الكتب المقدسة معنى واحد بسيط نظير الحق السموي نفسهِ ونحصل عليهِ بواسطة مقابلة الكتب المقدسة بالكتب المقدسة ونتوصل الى معرفتهِ من سياق الكلام والقرائن والفلسفة الواجب اتباعها من جهة الكتب المقدسة هي ان ناتي بجميع آراء البشر وطرقهم اليها كاننا ناتي بها الى محكٍّ لاجل امتحانها

منذ مدة طويلة لم يُؤتَ بمثل هذه الحقائق القوية بهذا المقدار من البلاغة وبها رُدَّت كلمة الله الى محلها والآباء الى محلهم والطريقة البسيطة التي نتوصل بها

الى معنى الكتب المقدسة الحقيقي أظهرت بثبات والكلمة طفت فوق جميع صعوبات المدارس وتفاسيرهم واوجد ملانكثون وسائط لمجاوبة جميع الذين نظير المعلم آك يشوشون هذا الموضوع الى آخر القرون . نهض النحوي النحيف وكتفا المصارع اللاهوتي الواسعتان المتينتان انحنتا تحت حركة ساعدهِ الاولى

وكلما ضعف آك زاد ضجيجًا . فظن انهُ يعوّض عن انكسارهِ في الجدال بواسطة افتخارهِ وتهدهِ . وساعدهُ الرهبان وكل احزاب رومية في صراخهِ بثلهِ فكانت الشتائم تنسكب على لوثيروس من كل جهة من جرمانيا ولكنهُ بقي غير متاثر بها. قال في خاتمة التفاسير التي ألّفها على القضايا الليپسكية كلما اجداسمي يهان بالمثالب بمقدار ذلك ازداد مجدًا فان الحق اي المسيح يجب ان يزيد واما انا فيجب ان انقص وصوت العروس والعريس يوعبني فرحًا يفوق جدًا الاهوال التي تنتج من جلباتهم. فان الناس ليسوا علّة آلامي ولهذا لا يوجد في قلبي بغضة لهم وانما الشيطان رئيس الشر هو الذي يشتهي ان يخيفني ولكن ذلك الذي هو فينا اقوى من الذي في العالم . ان حكم اهالي عصرنا رديء واما حكم الذين بعدنا فيكون اعدل

وكما ان الجدال الليپسكي زاد عدد اعداء لوثيروس في جرمانيا زاد عدد اصدقائهِ في البلدان الغربية وكتب اليهِ الاخوة البوهيميون يقولون ما كان هس في بوهيميا في غير هذه الايام انت هو الآن في سكسونيا ايها العزيز مرتينوس ولاجل هذا السبب صلِّ وتقوَّ بالرب. وبالقرب من ذلك الوقت ثار الخصام بين لوثيروس وامسر الذي كان حينئذٍ معلمًا في ليپسك لان امسر كتب الى المعلم زاك الباباوي الغيور من براك مكتوبًا قصد فيهِ ان يقنع المسيحيين بان لوثيروس لم يكن من حزبهم . ولم يشك لوثيروس في ان العالم الليپسكي تحت رداء تبرير لوثيروس اجتهد ان يُلحق بهِ تهمة التمسك بالارتقة البوهيمية ومن ثمَّ عزم على نزع الستر الذي استتر بهِ مضيفهُ القديم في درسدن فكتب بهذا القصد مكتوبًا عنوانهُ الى امسر التيس (لان علامة خصمهِ كانت تيسا) وختمهُ بهذه الكلمات التي

توضح صريحًا طبيعتهُ وهي ان مبدأي هو ان احب جميع الناس ولا اخاف احدًا منهم

وبينما ظهر على هذا الاسلوب اصدقاء واعداء جديدة للوثيروس بان ان اصدقاءهُ القدماء تركوهُ فان ستوبتز الذي كان قد اتى بالمصلح من ظلمة ديرهِ في ارفرث ابتدأ يُبدي برودةً نحوهُ لان لوثيروس كان قد ارتقى الى حيث لم يستطع ستوبتز ان يلحقهُ فكتب اليهِ لوثيروس يقول انك تركتني وانا كل النهار بطولهِ حزين جدًّا من اجلك كالولد المفطوم يبكي في طلب امهِ ثم قال المصلح قد حلمت عنك في الليلة الماضية انك تركتني بينما كنت أئنُّ واسكب دموعًا مُرَّة ولكنك بسطت يدك واوعزت اليَّ ان اهدأ ووعدتني بالرجوع اليَّ ايضًا

واما ملتتس فرغب في ان يحاول ثانيةً تسكين هياج عقول الناس ولكن كيف يضبط اناسًا لم يزالوا هائجين بسبب الاضطرابات التي احدثها الخصام فذهبت اتعابهُ سدًى وهو الذي اتى بالوردة الذهبية الى الملك المنتخب واما الملك المنتخب فلم يتنازل الى قبولها بشخصهِ لان فردريك عرف حيَل رومية فخاب كل املها في خدعهِ

الفصل الثامن

تفسير لوثيروس الرسالة الى اهل غلاطية . ذهاب آك الى رومية

ان لوثيروس عوضًا عن الرجوع الى الوراء تقدم يومًا فيومًا وضرب في ذلك الوقت الضلال اشد ضربة بواسطة تفسيرهِ الرسالة الى اهل غلاطية (ايلول ١٥١٩) ولا شك ان طبعة هذا التفسير الثانية هي افضل من الاولى ولكنهُ في الاولى ايضًا شرح بقوة عظيمة تعليم التبرير بالايمان وكانت كل عبارة من عبارات هذا الرسول الجديد مملوة حيوةً واستعملهُ الله آلة لكي يدخل معرفتهُ

في قلوب الناس . قال لوثيروس لابناء زمانهِ ان المسيح قد بذل نفسهُ عن خطايانا . فلم يبذل عنا فضةً ولا ذهبًا ولا انسانًا ولا كل الملائكة بل انما بذل نفسهُ وهو ذاك الذي لا يوجد شيءٌ عظيم خارجًا عنهُ وبذل هذه الذخيرة الفائقة كل ثمن من اجل خطايانا . فاين الآن اولئك الذين يفتخرون بقوة ارادتنا واين هي جميع مثالات الفلسفة الادبية واين هي قوة الشريعة وقدرتها . فاذا كانت خطايانا عظيمة بهذا المقدار حتى لا شيء يرفعها الأ فداء لا يقاس فهل يسوغ ان نبقى مدَّعين بنوال البر بقوة ارادتنا او بقوة الشريعة او بتعليم الناس . فماذا نعمل بجميع هذه الحِيَل وكل هذه الاخاديع فوا اسفاهُ اننا نغطي آثامنا ببرٍّ كاذب ونجعل انفسنا مرائين نحن الذين لا يقدر شيءٌ في العالم ان يخلصنا

وبينما كان لوثيروس آخذًا في اثبات هذا التعليم بانهُ لا خلاص للناس بدون المسيح بيَّن ايضًا ان هذا الخلاص يغير الانسان ويملأُهُ اعمالاً صالحة . قال ان الذي يسمع حقًّا كلام المسيح ويحفظهُ يتسربل حالاً بالمحبة فاذا كنت تحب من اعطاك عشرين درهمًا مثلاً او عمل معك معروفًا كبيرًا او اظهر محبتهُ على طريقة اخرى فكم بالحري يجب ان تحب ذلك الذي قد اعطاك لا ذهبًا ولا فضةً ولكن نفسهُ ذلك الذي قبل ايضًا جراحات كثيرة من اجلك ولاجلك عرق قطرات دم ومات عنك وبالاجمال ذلك الذي بواسطة وفائهِ عن خطاياك جميعها ابتلع الموت ونال لك في السماء ابًا مملوًّا محبةً فاذا كنت لا تحبهُ فلم تكن قد سمعت بقلبك الاشياء التي فعلها ولا آمنت بها لان الايمان يعمل بالحب . قال لوثيروس وهذه الرسالة (اي الرسالة الى اهل غلاطية) هي رسالتي وقد اقترنت بها

واخصامهُ ساقوهُ الى التقدم باوفر سرعة مما كان لو تركوهُ لنفسهِ وفي تلك المدة هيج آك رهبان مار فرنسيس في يوتربوك الى مضادتهِ ايضًا واما هو في مجاوبتهِ اياهم فلم يكتفِ بتكرار ما كان قد عملهُ بل اطَّلع على ضلالات أُخر فنبه

عليها وكشفها . قال اخبروني في اي جزء من الكتاب المقدس يُعطَى سلطان تثبيت القديسين للباباوات وايضاً ما الحاجة الى تثبيتهِ اياهم وما المنفعة في ذلك ثم قال على سبيل الهزل دعوهم يثبتونهم حسب ما يشاءون . ولم يُرَدّ على اعتراضات لوثيروس الجديدة واعانهُ على بصائر اعدائهِ مثل ما اعانتهُ شجاعتهُ فانهم اخذوا بحمق في المحاماة عن قضايا ثانوية ولما وضع لوثيروس يديهِ على اساسات التعليم الروماني تركوها تهتز من دون ان يتلفظوا بكلمة لانهم اشتغلوا بالمدافعة عن الخنادق الخارجية وعدوهم الشجيع تقدم الى قلب المكان ونصب فيهِ بجسارة راية الحق ومن ثمَّ اخذتهم الحيرة بعد ذلك لما راوا الحصن الذي حاموا عنهُ ملغوماً ومشتعلاً ومنحطاً الى الخراب في وسط اللهيب بينما كانوا يعدون انفسهم في انهُ لا يرام ويناضلون الذين هجموا عليهِ فهكذا تتم جميع الحوادث العظيمة

وفي ذلك الوقت اخذ سرُّ العشاء الرباني يشغل افكار لوثيروس . كان تفتيشهُ على هذا العشاء المقدس في طقس القداس عبثاً وبعد رجوعهِ من ليپسك بمدة قصيرة تبوأ المنبر يوماً فلنصغَ الى كلماتهِ هذه لانها اول ما نُطِق بهِ في موضوع شق بعد ذلك كنيسة الاصلاح الى شطرين . قال في سر المذبح المقدس ثلثة اشياء يجب علينا ان نلاحظها وهي اولاً الاشارة التي يجب ان تكون خارجية ومنظورة وعلى هيئة جسدية والثاني الشيء المشار اليهِ الذي هو امر داخلي وروحي وفي ضمير الانسان والثالث الايمان الذي يقبض الامرين . ولو لم يشتغلوا بتجديد المعاني الى ما هو ابعد مما قالهُ لوثيروس لما هُدِمت الوحدة

ثم قال كان امراً جيداً لو حكمت الكنيسة في مجمع عام بان يُعطَى الشكلان للمؤمن ليس لان شكلاً واحداً غير كافٍ لان الايمان وحدهُ يكفي . وهذه العبارات الجسورة اعجبت سامعيهِ الآن البعض منهم ارتعدوا منها وحنقوا وقالوا انها كاذبة ومشككة . وقال ايضاً انهُ لا يوجد اتحاد ادق ولا اعمق ولا ابعد عن الانفصال من الاتحاد الذي يحدث بين الطعام والجسد الذي يقتات بهِ

والمسيح يتحد هكذا معنا في هذا السر حتى انهُ يفعل كانهُ نحن انفسنا . فخطايانا تقاومهُ وبرهُ يحمينا. ولم يكتفِ لوثيروس باظهار الحق فقط بل قاوم ايضاً واحدةً من اعظم ضلالات رومية الاساسية.(مجمع تريدنت جلسة ٧ قانون ٨) فان تلك الكنيسة تزعم ان هذا السر يفعل من ذاتهِ من دون التفات الى استعداد المتناول ولا يمكن ان يكون شيءٌ اقبل عند الخاطي من هذا الراي وهو سبب شدة الطلب عليهِ وبالنتيجة هو علة ارباح الاكليروس الروماني فقاوم لوثيروس هذا التعليم المعروف بالفعل المفعول ودحضهُ بالتعليم المناقضهُ اي ضرورية الايمان واستعداد القلب . وهذه المقاومة النشيطة كان من شانها ان تهدم الخرافات القديمة ومن اعجب العجب انهُ لم يلتفت اليها احد بل غضت رومية نظرها عما كان يجب ان تقاومهُ وقاومت مقاومة شديدة ما ذكرهُ لوثيروس في افتتاح خطابهِ نظرًا الى التناول بالشكلين . وأُشهِر ذلك الخطاب في كانون الاول فارتفع الصراخ بالارثقة في كل جهة قال اهل بلاط درسدن حيث وصل الخطاب في عيد الميلاد انهُ لا يزيد ولا ينقص عن تعليم براك يعني تعليم يوحنا هس وعدا ذلك كُتِب الخطاب بالجرمانية لكي يفهمهُ عامة الشعب فاضطربت تقوى الامير من ذلك وفي اليوم الثالث للعيد كتب الى ابن عمهِ فردريك يقول انهُ بعد اذاعة تلك العظة زاد في بوهيميا عدد الذين يتناولون الافخارستيا بالشكلين ستة آلاف فان لوثيروس من بعد ان كان معلمًا في وتمبرج ازمع ان يصير اسقف براك ورئيس ارائقة وقالت جماعة انهُ وُلد في بوهيميا من ابوين بوهيميين وتربى في براك وتعلم من كتب وكلف . فافتكر لوثيروس انهُ يجب عليهِ ان يناقض تلك التشنيعات بكتابة يذكر فيها قصة عائلتهِ فقال اني وُلدت في ايسلابن وتعمدت في كنيسة مار بطرس ولم اقرب الى بوهيميا اقرب من درسدن

اما مكتوب الدوك جرجس فلم يُبعِد الملك المنتخب عن لوثيروس بل بعدهُ بايام قليلة دعا الدكتور الى وليمة فاخرة عملها لسفير اسبانيا فخاصم لوثيروس

هناك بكل جراءة سفير كرلوس . وكان الملك المنتخب قد طلب منهُ بواسطة خوريهِ ان يحامي عن رايهِ بلطافة فاجاب لوثيروس سپالاتين قائلاً الحماقة المفرطة تغضب الناس ولكن الاحتراز المفرط يغضب الله فان الانجيل لا يمكن المحاماة عنهُ من دون شغب لان كلمة الله هي سيفٌ وحربٌ وخرابٌ وحجرُ عثرةٍ ودمارٌ وسمٌّ وهي كما قال عاموس تصادِفنا نظير دب في الطريق او لبوة في الغابة فاني لست اطلب شيئاً ولا التمس شيئاً . موجود واحد اعظم مني يطلب ويسأل فان سقط لا اخسر شيئاً وان قام فاني لا استفيد شيئاً

ودلت الدلائل على ان لوثيروس يلزمهُ ايمان وشجاعة اكثر من كل الاوقات الماضية عليهِ فان آك حاول الانتقام منهُ وعوضاً عن المديح الذي توهم هذا المصارع ان يحصل عليهِ صار اضحوكة لجميع عقلاء الناس من ابناء جنسهِ وقد شاعت ضدهُ اهاجٍ كثيرة مولمة ومن جملتها رسالة عنوانها رسالة القانونيين الحمقى الّفها ايكولمباذ بوس جرحت آكاً الى العظم ورسالة اخرى عنوانها التشكي على آك ومن المحتمل انها من قلم الفاضل بركهيمر النورمبرجي وهي ملآنة من الهجو والجدال وهي اشبه برسائل بسكال الاقليمية التي فيها يفضح خبث تلاميذ اغناطيوس لويولا

واظهر لوثيروس غيظهُ على كثير من تلك المكاتيب وقال الهجوم علانيةً اشرف من الطعن من وراء جدار

فيا لخيبة عالم انكلستادت . اهالي بلادهِ تركوهُ فاستعد لقطع جبال البا يطلب نجدةً اجنبية وحيثما ذهب اشهر تهديداتهِ ضد لوثيروس وملانكثون وكارلستادت وضد الملك المنتخب نفسهِ . قال دكتور وتمبرج انهُ من تشامخ كلامهِ قد يتخذهُ الانسان الله القدير . واذ كان آك مضطراً بالغيظ ومحبة الانتقام كتب رسالةً في شباط سنة ١٥٢٠ موضوعها رياسة مار بطرس وفي تلك الرسالة الخالية من كل انتقاد صحيح ذهب الى ان هذا الرسول كان اول البابوات وانهُ سكن خمساً وعشرين سنة في رومية . وبعد كتابة تلك الرسالة

اخذ في طريقهِ الى ايطاليا لكي ينال جزاء غلبتهِ المدَّعى بها ولكي يطرق في رومية تحت ظل العاصمة البابابوية صواعق اقوى من اسلحة اللاهوتيين الضعيفة التي انكسرت في يديهِ

ورأى لوثيروس جميع الاخطار التي ربما يجلبها عليهِ سفر خصمهِ الَّا انهُ لم يخشَ. واما سپالاتين فلاجل خوفهِ طلب من لوثيروس ان يعرض عليهِ الصلح فاجاب لوثيروس كلَّا فما دام لا يترك صراخهُ لا اقدر ان اردَّ يديَّ عن الصراع فاني اسلّم كل شيء بيد الله وادفع قاربي الى الرياح والامواج فان الحرب للرب. ولماذا تظن ان المسيح يقدم عملهُ بالسلام. ألم يحارب بدمهِ وكذلك جميع الشهداء بعدهُ

فهكذا كانت في افتتاح سنة ١٥٢٠ حالة مخاصمَي ليپسك. الواحد هيَّج كل قوة البابابوية لاجل سحق خصمهِ والآخر انتظر الطعن بالهدو الذي ينتظر بهِ الناس السلام.

وقُضِي على حلول العواصف

في السنة

الجديدة

الكتاب السادس

منشور البابا سنة ١٥٢٠

الفصل الاول

طبيعة مكسيمليان . طالبا الامبراطورية . كرلوس وفرنسيس الاول . ميل اهل جرمانيا

ان مصارعًا جديدًا كان قريبًا ان يظهر في الميدان وقصد الله ان ياتي براهب وتبرج وجهًا لوجه امام اقوى ملك ظهر في العالم المسيحي منذ ايام كرلوس الكبير . فاختار ملكًا في عنفوان شبابهِ كل شيء يبشرهُ بملكٍ طويل مَلِكًا امتد صولجانهُ على قسم معتبر من العالم القديم وعلى العالم الجديد ايضًا حتى حسب قول شائع لم تكن تغرب الشمس عن ملكهِ واقام ضدهُ ذلك الاصلاح الوضيع الذي ابتدا في المخدع المنفرد في دير ارفرث بكآبة راهب مسكين وتنهداتهِ . وقصد الله ان تاريخ هذا الملك وملكهِ يعلم العالم مثالة مفيدة جدًّا اي بطالة قوة الانسان اذا حاولت مقاومة ضعف الله فلو دُعي الى التخت الملكي امير صديق للوثيروس لربما انتسب نجاح الاصلاح الى حمايتهِ ولو لبس التاج ملكٌ مضادٌّ للتعاليم الجديدة ضعيف القوة والسطوة لانتسبت غلبة هذا العمل الى ضعف ذلك الملك . وكان الامر خلاف ذلك لان المنتصر في پاڤيا المفتخر هو الذي قُضي عليهِ بان تنحط كبرياؤُهُ قدام قوة كلام الله فراى جميع العالم الانسان الذي بكل سهولة جرَّ فرنسيس الاول اسيرًا الى مدريد يوطىء سيفهُ امام ابن معدني مسكين . كان الامبراطور مكسيمليان قد تُوفّي واجتمع المنتخبون في فرانكفورت

لكي يختاروا خليفة لهُ وذلك حادثة مهمة لكل اوروبا في الظروف الواقعة يومئذٍ والنهى كل العالم المسيحي بهذا الانتخاب . لم يكن مكسيمليان ملكًا عظيمًا الآن ذكرهُ كان مكرمًا لدى الشعب فكانوا يبتهجون عند ذكر نباهتهِ ووداعتهِ وكثيرًا ما تكلم عنهُ لوثيروس مع اصدقائهِ وقص يومًا هذه القصة عن هذا الملك قال

ان متسولاً سعى مرة في اثرهِ يطلب منهُ صدقة وهو يدعوهُ اخًا قائلاً اننا من ابٍ واحد هو آدم انا فقير وانت غني ولهذا انت ملتزم ان تساعدني . فالتفت الامبراطور عند سماعهِ تلك الكلمات منهُ وقال لهُ ان لك عندي فلسًا فاذهب الى بقيت اخوتك فاذا اعطاك كل واحد منهم هذا القدر تصير اغنى مني

لم يُقضَ ان آخر مثل مكسيمليان الوديع يلبس التاج الملكي لان الازمان تغيرت وذوي المطامع الشديدة كانوا مزمعين ان يتقاتلوا على تاج ملوك الغرب وكانت يد قوية عنيدة ان تقبض ازمة الحكومة وحروبٌ طويلةٌ دمويةٌ مزمعة ان تعقب سلامًا تامًّا

ثلثة ملوك ادَّعوا باكليل القياصرة من الجماعة التي في فرانكفورت الاول امير شاب ابن تسع عشرة سنة ابن ابن الامبراطور المتوفى . وُلِد في غنت في السنة الاولى من ذلك القرن واسمهُ كرلوس . وكانت جدتهُ ام ابيهِ مريم ابنة كرلوس الجسور قد خلفت لهُ البلاد الواطية واملاك برغندي الغنية ومن امهِ يوانا ابنة فرديننـد من اراغون وايزابل من كستيل زوجة فيلبس بن مكسيمليان الامبراطور ورث اكاليل اسبانيا الاولى واسبانيا الثانية ونابلي وسيسيليا واضاف اليها خريستفوروس كولمبوس عالمًا جديدًا وبموت جدهِ حينئذٍ ورث اقاليم اوستريا وهذا الامير الفتى المزين بمعرفة عظيمة البشوش متى اراد ان يكون كذلك احب الاعمال الحربية التي اشتهرت بها امراءُ برغندي ولهُ دهاءُ الايطاليان وحذاقتهم ولهُ اعتبار النواميس الكائنة الذي لا يزال من طبيعة

بيت اوستريا ووعد بان يكون محاميًا شديدًا عن البابا وية وله معرفة متسعة بامور الدول حصلها تحت ارشاد شيافرس لانهُ منذ السنة الخامسة عشرة من عمرهِ حضر في اجتماعات ارباب المشورة وهذه الصفات المختلفة بهذا المقدار كانت مستترة ومخفية تحت سكوتهِ وهدوئهِ السبانيوليين وكانت اشارة ما لنخوليا على وجههِ الطويل. قال لوثيروس كان نقيًا وساكتًا واظن انهُ لا يتكلم في سنة بمقدار ما اتكلم بهِ في يوم ٍ ولو تربَّى كرلوس تربية مسيحية حرَّة لربما كان من افضل الامراء الافاضل المذكورين في التاريخ ولكن الاعمال السياسية ابتلعت كل حياتهِ وافسدت اخلاقهُ الحسنة سجيةً وهذا الفتى كرلوس اذ لم يكتفِ بالصولجانات التي كانت في قبضة يدهِ اشتهى الدرجة الامبراطورية وهي كما قال كثيرون شعاع من ضياء الشمس يلقي بهجة على البيت الذي يقع عليهِ ولكنك اذا بسطت يدك لتقبض عليهِ لا تجد شيئًا. واما كرلوس فبعكس ذلك نظر اليها كقمة كل عظمة ارضية وواسطة لنوال سلطة ساحرة عقول الامم

الطالب الثاني للامبراطورية هو فرنسيس الاول ملك فرانسا وكان الاعوان الشبان في بلاط هذا الملك البطل يقولون لهُ انهُ يجب ان يكون امبراطور كل المغرب نظير كرلوس الكبير وان يحيي اعمال الفوارس القدماء العظيمة وان يحارب اعداء المملكة ويسحق الكفار و يسترجع القبر المقدس. وقال سفراء فرنسيس للمنتخبين يجب ان تقنعوا امراء استريا بان التاج الملكي ليس هو بالارث وعدا ذلك انهُ في الظروف الحاضرة لا تحتاج جرمانيا فتى ابن تسع عشرة سنة بل اميرًا قد ضمَّ الى عقلٍ مجرَّب مواهب ممتحنة فان فرنسيس يجمع الى اسلحة فرانسا ولمبارديا اسلحة جرمانيا لاجل محاربة الاعداء ومن حيث انهُ ملك ميلان صار عضوًا من اعضاء المملكة واكَّد سفراء فرانسا براهينهم باربع مئة الف من الدراهم صرفوها في شراء اصوات وفي ولائم قام عنها المدعوُّون في حالة السكر

واخيرًا دخل الميدان ايضًا هنري الثامن ملك انكلترا اذ اخذتهُ الغيرة من السطوة التي ينالها فرنسيس او كرلوس اذا انتخب احدهما ولكنهُ ترك سريعًا

هذين المتنازعين القويين يتنازعان على التاج

اما المنتخبون فلم يميلوا كثيرًا الى هذا او ذاك وقالوا في انفسهم ان شعبنا يحسبون ملك فرانسا مولًى غريبًا ولعل هذا المولى ينزع منا تلك الحرية التي قد نزعها حديثًا من اكابر مملكتهِ واما من جهة كرلوس فكانت عادة قديمة عند المنتخبين ان لاينتخبوا اميرًا لهُ يد قوية في امور المملكة. والبابا شاركهم في هذه الاخواف فكان ضد ملك نابلي جارهِ وضد ملك فرانسا الذي اخافهُ بنشاطهِ ونصح المنتخبين ان يختاروا واحدًا من انفسهم فعرض منتخب تريف ان يسمي فردريك من سكسونيا فوُضع التاج الامبراطوري عند قدمي صديق لوثيروس هذا

ومثل هذا الانتخاب كان قد سرَّ كل جرمانيا لان حكمة فردريك ومحبتهُ للشعب كانتا معروفتين جيدًا . وعند ما عصت مدينة ارفرت أُشير عليهِ ان ياخذ المدينة بالهجوم عليها فابى ذلك لكي يمنع سفك الدم فقيل لهُ ذلك لايكلف حياة خمسة رجال فاجاب ان حياة رجل واحد اكثر مما ينبغي بذلهُ وترايا ان انتخاب المحامي عن الاصلاح يؤيد فوز هذا العمل. أفلم يجب على فردريك ان يحسب دعوة المنتخبين دعوة من الله ومَن اليق بالتسلط على المملكة من هذا الامير الحكيم ومَن اقوى على قهر الاعداء من امبراطور مسيحي بالحق . وامتناع منتخب سكسونيا عن قبول الامبراطورية الذي مدحهُ المؤرخون كل المدح ربما كان خطأً من جانب ذلك الامير وربما يُنسَب الى ذلك جانب من الحروب التي اخربت جرمانيا بعد تلك الايام ولكنهُ امرٌ صعب ان نلوم فردريك لاجل عدم ايمانهِ او ان نمدحهُ لاجل تواضعهِ فانهُ ظن ان نفس امنيَّة المملكة اقتضت ان يرفض التاج. قال ذلك الامير المتواضع الخالي من المرام اننا نحتاج الى امبراطور اقوى مني لاجل صيانة جرمانيا لان الاعداء على ابوابنا وملك اسبانيا الذي املاكهُ في اوستريا على الثغور التي يتهددها العدو هو المحامي عنها طبعًا

ولما راى الرسول الروماني انهُ لا بد من وقوع الانتخاب على كرلوس قال ان البابا رفع مضاداتهِ وفي ٢٨ حزيران نُودي باسم ابن ابن مكسيمليان امبراطورًا . قال فردريك بعد ذلك ان الله قد اعطانا اياهُ في رضاهُ وفي غضبهِ ثم قدم سفراء اسبانيا للمنتخب سكسونيا ٢٠٠٠٠ فلوريني من ذهب علامة لشكر مولاهم لهُ ولكن ذلك الامير رفضها ونهى اعوانهُ عن قبول اقل شيء من الهبات وفي ذلك الوقت نفسهِ وطَّد حرية جرمانيا بشروط حلف عليها سفراء كرلوس باسمهِ والظروف الملاصقة لحصول ذلك الامير على الاكليل الامبراطوري كانت عربونًا اقوى من ذلك الحلف لاثبات حرية جرمانيا وعمل الاصلاح لان هذا الامير الفتى كانت قد اخذتهُ الغيرة من الاكرام الذي نالهُ مزاحمهُ فرنسيس الاول في وقعة مارغنان ولم يكن بد من مداومة الخصام في ايطاليا والفترة الحاصلة كافية لتقوية الاصلاح . اما كرلوس فخرج من اسبانيا في ايار سنة ١٥٢٠ وتُوِّج في ايكس لاشبيل في ٢٢ تشرين الاول

الفصل الثاني

مكتوب لوثيروس الى الامبراطور . اوامر فردريك الى سفيرهِ في رومية .

الاخطار المحدقة بلوثيروس

ان لوثيروس كان قد سبق فراى ان امر الاصلاح سوف يرتفع سريعًا الى الامبراطور الجديد فكتب الى كرلوس وهو بعدُ في مدريد يقول اذا كان العمل الذي اناضل عنهُ يستحق ان يظهر امام عرش جلال السماء فلا يكون غير اهل لالتفات امير من امراء هذا العالم . فيا كرلوس اول ملوك الارض اني القي نفسي مسترحمًا لدى قدمي جلالك الاسنى فتتنازل الى ان تقبل تحت ظل جناحيك لا اياي ولكن دعوى الحق الابدي الذي لاجل المحاماة عنهُ

قد قلدك الله بالسيف . فطرح الامبراطور الفتى هذا المكتوب من الراهب الجرماني جانبًا ولم يجاوبهُ

وبينما التفت لوثيروس عبثًا نحو مدريد اشتد العاصف حولهُ لان الترفض اخذ يضطرم في جرمانيا وهوخستراتن الذي لم يكلّ من جهادهِ في الاضطهاد كان قد استخلص بعض القضايا من كتابات لوثيروس واجابةً لطلبهِ حكمت مدرسة كولونيا ومدرسة لوفين بهرطقتها واذ كانت مدرسة ارفرث لم تزل مغتاظة من مآثرة لوثيروس مدرسة وتمبرج كانت عنيدة ان تقتفي اثرهما ولما بلغ ذلك لوثيروس كتب الى لانجي مكتوبًا قويًّا بهذا المقدار حتى ان لاهوتيي ارفرث خافوا وبقوا صامتين . الآن الحكم الذي خرج من كولونيا ولوفين كان كافيًا لاضرام عقول الناس وزد على ذلك ان خوارنة ميسين الذين تحزبوا مع امسر قالوا جهارًا على قول ملانكثون ان الذي يقتل لوثيروس لا يخطئُ . قال لوثيروس قد اتى الزمان الذي يفتكر فيهِ الناس انهم اذ قتلونا يقدمون خدمةً للمسيح . وتلك الكلمات الدموية من هولاء الخوارنة انت باثمارها في حينها

قال مؤرخ بينما كان لوثيروس ذات يوم قدام الدير الاوغسطيني اذا رجلٌ غريب يضبط بارودةً مخبأةً تحت ردائهِ خاطبهُ بهذه الكلمات لماذا تذهب هكذا وحدك . فاجابهُ لوثيروس اني في يدي الله فهو قوتي وترسي فماذا يقدر الانسان ان يصنع بي . قال المؤرخ فاصفر الغريب عند ذلك وهرب مرتعدًا ونحو ذلك الوقت كتب سرّالونكا الذي كان سفيرًا في مجاورة اوجسبرج الى الملك المنتخب يقول لا تدع لوثيروس يجد ملجأً في ولايات سعادتك بل ليُرذَل من الجميع ويُرجَم تحت السماء فان ذلك يكون احبَّ اليَّ من ان آخذ منك عشرة آلاف كرون

واشتد العاصف على الخصوص في جهة رومية فان ڤالنتين نوتلابن شريفًا نورنجيًّا نائبًا لرئيس اساقفة منتز ومتعصبًا غيورًا للباباوية كان وكيل ملك

سكسونيا المنتخب في البلاط البابوي فخجل هذا الوكيل من حماية مولاهُ لراهب ارانيكي واغتاظ عند ما رأى مقاصدهُ تتأخر بسبب هذا العمل الخالي من الحكمة حسب زعمهِ وافتكر انهُ بتخويفهِ الملك المنتخب يُلجئهُ الى ترك اللاهوتي العاصي فكتب الى مولاهُ يقول انهم لا يسمعون لي هنا بسبب حمايتك للوثيروس. واما ظن الرومانيين انهم يقدرون على تخويف فردريك الحكيم فكان غلطًا. علم ذلك الامير ان ارادة الله وحركات الشعوب هي امنع على المقاومة من احكام الديوان البابوي فامر وكيلهُ ان يخبر البابا انهُ لم يكن محاميًا للوثيروس بل انهُ قد تركهُ دائمًا يحامي عن نفسهِ وعدا ذلك انهُ قد امرهُ بالخروج من سكسونيا ومن المدرسة وان المعلم قد اظهر ارادتهُ للاطاعة وكان قد ذهب لو لم يطلب القاصد كرلوس ملتتس نفسهُ ابقاءهُ بالقرب خوفًا من انهُ بذهابهِ الى بلدان أُخر تكون لهُ حرية اكثر مما لهُ في سكسونيا. وزاد فردريك على ذلك يريد ان ينوّر الرومانيين فقال موجود الآن في جرمانيا جمهور كبير من العلماء المتقنين في كل لغةٍ وفنٍ والعامة انفسهم صاروا يفهمون الكتب المقدسة ويحبونها ولهذا اذا رُفضت شروط لوثيروس الصوابية ومطاليبهُ العادلة يُخشَى من عدم الحصول على الصلح مطلقًا لان تعاليم لوثيروس قد تأصل اصولاً عميقة في قلوب كثيرين فاذا كنتم عوضًا عن ان تدفعوهُ بشهادة الكتب المقدسة تحاولون ملاشاتهُ بواسطة صواعق السلطة الكنائسية تحدث شكوك عظيمة وتثور شغوب وفتن مهلكة هائلة

واذ كان للمنتخب اعظم الثقة بلوثيروس ارسل اليهِ مكتوب تونلابن مع مكتوبٍ آخر ورد اليهِ من الكردينال سنت جرجس فاضطرب المصلح عند قراءتهما ورأى حالاً الاخطار المحدقة بهِ وبقيت نفسهُ منزعجة حينًا ولكنهُ في مثل تلك الاوقات ظهرت قوة ايمانهِ متلالئة فانهُ كثيرًا ما كان عند الضعف واشرافهِ على السقوط ينهض ايضًا ويظهر اعظم في وسط العاصف وكان يتوق جدًا الى التخلص من مثل تلك التجاريب ولكنهُ رأى باي ثمن عُرِض عليهِ السلام فرفضهُ

بغيظ قال أأسكت . اني مائل ان افعل ذلك لو تركوني اي لو سكّتوا الاخرين فاذا كان احد يشتهي وظائفي فلياخذها واذا اراد احد ان يلاشي كتاباتي فليحرقها فاني مستعد للسكوت بشرط ان لا يطلبوا ان حق الانجيل يسكت ايضاً . فاني لست اطلب برنيطة كردينال ولا اطلب ذهباً ولا شيئاً آخر مما تعتبرهُ رومية ولا امنعهم عن طالب يطلبونهُ مني بشرط ان لا يسدوا طريق الخلاص عن المسيحيين فان تهديداتهم لا تخيفني ومواعيدهم لا تغرني

واذ شعر لوثيروس بهذه الافكار رجعت اليهِ حالاً شجاعتهُ واختار الحرب المسيحية على هدو الوحدة وفي ليلة واحدة رجعت اليهِ رغبتهُ في اخراب رومية فكتب في الغد لقد اخذت نصيبي . اني احتقر غضب رومية وازدري بانعاماتها فلن يكون صلح ولا شركة معها الى الابد فلتلعنّي ولتحرق كتاباتي وانا في نوبتي سوف العن واحرق جهاراً الشريعة الحبرية التي هي وكر كل ارتقة فان اللطافة التي ابديتها حتى الآن لم تنفع فانا الآن ارفضها

اما اصدقاؤهُ فكانوا بمعزل عن هذه الثقة وعظمت الدهشة في وتمبرج . قال ملانكثون اننا في حال انتظار غير مألوف . احبُّ اليّ ان اموت من ان انفصل عن لوثيروس فاذا كان الرب لا يساعدنا فاننا جميعنا نهلك . وكتب بعد ذلك بشهر وهو قلِق الافكار ان عزيزنا لوثيروس لم يزل حيّاً نسأل الله ان يمنحهُ عمراً طويلاً لان المتملقين الرومانيين باذلون جهدهم في اماتتهِ فلنصلِّ طالبين ان هذا المنتقم الوحيد للاهوت المقدس يعيش زماناً طويلاً

وتلك الصلوات استجيبت والنصيحة التي قدمها الملك المنتخب لرومية بواسطة وكيلهِ لم تكن من دون اساس لان كلمات لوثيروس كانت قد وجدت مقرّاً في كل مكان في الاكواخ وفي الاديرة وفي البيوت وفي الحصون وفي المدارس وفي قصور الملوك . وكان قد قال ليوحنا دوك سكسونيا اذا كانت حياتي قد استُعمِلت آلةً لتوبة انسان واحد فاني ارتضي طوعاً ان ارى كل كتاباتي تتلاشى . ولم يكن انساناً واحداً بل انما كان جمعاً غفيراً مَن وجد نوراً في كتابات العالِم

المتواضع ومن ثم كنت ترى في كل مكان اناسًا مستعدين للمحاماة عنهُ والسيف الذي قُصِد ذبحهُ بهِ كان يُطرَق في الفاتيكان الَّا انهُ نبع في جرمانيا جبابرة لكي يتقوهُ باجسادهم وفي نفس الدقيقة التي كان فيها الاساقفة يتهددونهُ بسخط وسكت الامراء وانتظر الناس وابتدات اصوات الصاعقة الاولى تُسمع من السبعة الجبال حرك الله اشراف جرمانيا ان يقيموا حصنًا لعبيدهِ. فان سلڤتروس ڤان شاومبرج من اقوى فوارس فرنكونيا ارسل ابنهُ الى وتمبرج في ذلك الوقت بمكتوب الى المصلح يقول فيهِ ان حياتك في خطر فاذا كنت لا تحصل على سند الملوك المنتخبين والامراء والولاة فاسالك ان تحذر من الذهاب الى بوهيميا حيث قاسى الرجال العلماء في الازمان القديمة شدائد كثيرة فالاجدر بك ان تاتي اليَّ فاني ان شاء الله اجمع سريعًا اكثر من مئة رجل من المعتبرين وبمساعدتهم اقدر على صيانتك من كل خطر

وفرنسيس ڤان سكنجن بطل عصرهِ الذي قد ذكرنا شجاعتهُ العظيمة احب المصلح لانهُ وجدهُ يستحق المحبة وايضًا لانهُ بغض الرهبان فكتب اليهِ يقول ان خدماتي وخيراتي وجسدي وكل ما املك هي في قبضة يدك. انت ترغب في ان تقيم الحق المسيحي فانا مستعد لمساعدتك في هذا العمل. وهرمرث من كرونبرج تكلم بمثل هذا الكلام. واخيرًا اولريخ ڤان هوتن شاعر القرن السادس عشر وفارسهُ الشجاع لم يهدا عن الكلام في شان لوثيروس ولكن ما اعظم الفرق بين هذين الرجلين. كتب هوتن الى المصلح يقول انهُ بالسيوف والقسي والرماح والقنابل يجب ان نسحق رجس الشيطان. وعند ما وصل هذا المكتوب الى لوثيروس صرخ قائلاً انني لا اريد ان التجي الى السلاح وسفك الدماء لاجل المحاماة عن الانجيل فانهُ بالكلمة اخضع العالم وبالكلمة خلصت الكنيسة وبالكلمة ايضًا سوف تثبت ايضًا ثم قال في وقت آخر عند وصول مكتوب ڤان شاومبرج اليهِ الذي ذكرناهُ آنفًا انني لا ازدري بتقدمتهِ ولكنني لا استند على شيء غير يسوع المسيح واما الاحبار الرومانيون فلم يتكلموا هكذا

عند ما خاضوا في مجاري دماء الولد نسيهن والا ليجنسيهن فشعر هوتن بالفرق بين عمله وعمل لوثيروس فكتب اليهِ بعبارات شريفة يقول اما انا فاني مشتغل بمصالح الناس واما انت فانك ترتقي الى ما هو اعلى وتشتغل بامور الله فقط . وحينئذٍ ابتدا يجتهد في ربح كرلوس وفردينند الى جانب الحق ان كان ذلك ممكنًا

وفي ذلك الوقت صادف لوثيروس محاميًا اشهر فان ايراسموس الذي كثيرًا ما يستعين بهِ الرومانيون ضد الاصلاح رفع صوتهُ واخذ يحامي عن المصلح حسب طريقتهِ وذلك من دون ان يظهر المحاماة عنهُ وفي اول يوم من تشرين الثاني سنة ١٥١٩ كتب رئيس العلماء هذا الى ألبرت منتخب منتز ورئيس اساقفة كل جرمانيا مكتوبًا يقول فيهِ بعد ان وصف بكل وضوح فساد كنيسة رومية هذا ماهيج لوثيروس وجعلهُ يقاوم حماقة بعض العلماء حماقة لا تطاق لان اية نية غير هذه يمكننا ان ننسبها الى رجل لا يطلب كرامات ولا يكترث بالمال . قد تجاسر لوثيروس على ان يشك في منفعة الغفرانات وآخرون قبلهُ اثبتوها بكل وقاحة وهو لم يخف من ان يتكلم بخشونة ضد سلطان الحبر الروماني وآخرون قبلهُ كانوا رفعوهُ الى غير حدٍّ وهو تجاسر على الازدراء باحكام مار توما اما رهبان مار دومينيكوس فرفعوهُ فوق الانجيل وهو تجاسر على اشهار شكوكهِ بالاعتراف اما الرهبان فاتخذوا هذا الرسم شركًا يصطادون بهِ ضمائر الناس ويستعبدونها . والانفس التقية اغتمت عند ما سمعت ان التعليم الانجيلي قلما ذُكر في المدارس الكلية وانهُ في اجتماعات المسيحيين يُسمَع قليلٌ جدًّا عن المسيح وانهُ لم يتكلم فيها الاَّ عن سلطان الحبر وآراء العلماء الرومانيين وان العظة كلها انما هي مجرد مادة ربح وتملق وطمع ونفاق فالى مثل هذه الامور ينبغي ان ننسب كلام لوثيروس الشديد . فهذا هو راي ايراسموس نظرًا الى حال الكنيسة وحال المصلح وهذا المكتوب الذي نشرهُ اولريخ فان هوتن الذي كان حينئذٍ مقيمًا في ديوان منتز حصل منهُ تاثير عميق

وفي ذلك الوقت تحزب مع لوثيروس اناس دون ايراسموس ودون جميع الفوارس الّا انهم كانوا عتيدين ان يكونوا مساعدين لهُ اقوى من هولاء . وكتب اليهِ الدكتور بوتزهيموس ابستيميوس قانون قنسطنس يقول بما انك قد صرت صديق المسكونة او قلما يكون صديق الجزء الافضل من العالم اي صديق المسيحيين الصالحين الحقيقيين يجب ان تصير صديقي ايضًا سواء شئت ام لم تشأ واني لمبتهج جدًّا بمؤلفاتك حتى ان لا شيء يلذني لذةً اعظم من ان احيا في عصرٍ تعود فيهِ لا الآداب الزمنية فقط بل الآداب المقدسة ايضًا الى رونقها الاول . وفي نفس ذلك الزمان تقريبًا كتب الى المصلح كسبرد هيديو الواعظ في باسل ايها السيد الاعز اني ارى ان تعليمك هو من الله وانهُ لا يمكن ان يتلاشى وانهُ يشتد فعلاً كل يوم ويربح كل دقيقة نفوسًا للمسيح بردّهم عن الخطية واجتذابهم الى التقوى الحقيقية . فلا تتأخر اذًا ايها المنقذ بل ابذل كل جهدك في ترجيع نير المسيح الذي هو خفيف وهين حملهُ فكن انت القائد ونحن نسعى في اثرك كجنود لا يقدر شيء ان يفصلهم عنك

على هذا النسق اعداء لوثيروس ضايقوهُ تارةً واخرى انتهض اصدقاوهُ للمدافعة عنهُ . قال ان قاربي يسير متمايلاً الى هنا وهنا تتلاعب بهِ الرياح فان الرجاء والخوف يتغالبان كلٌّ في نوبتهِ . لا باس . الّا ان علامات الاشتراك هذه لم تكن من دون تاثير في ضميرهِ . قال ان الرب يملك فاني اراهُ هناك كاني المسهُ . وشعر لوثيروس بانهُ لم يكن وحدهُ وان كلماتهِ قد اثمرت وهذا الفكر شجعهُ شجاعة جديدة والخوف بان يضر الملك المنتخب لم يوقفهُ بعد عندما وجد محامين اخرين مستعدين لدفع رجز رومية عنهُ فانطلقت حريتهُ نوعًا واشتد عزمهُ وكان ذلك الوقت مهمًّا من جهة تاثيرهِ في صفات لوثيروس . وفي ذلك الوقت كتب الى خوري الملك المنتخب يقول ان رومية يجب ان تفهم انها اذا نجحت بتهديداتها في طردي من وتمبرج فانما تضر نفسهـا فالمستعدون لحمايتي من صواعق البابوية هم ليسوا في بوهيميا بل في نفس قلب جرمانيا فاذا كنت

لم انزل باعدائي كل الاذية التي قد اعددتها لهم فلا يجب ان ينسبوا ذلك الى لطافتي ولا الى قساوتهم ولكن الى اسم الملك المنتخب وخير مدرسة وتبرج التي كنت اخاف ان اضرها والآن بما انهُ لم يبقَ فيَّ شيء من هذه المخاوف سوف يرونني انتفضُ بنشاط جديد على رومية وعلى انصارها

هذا وان لوثيروس لم يعلق امالهُ بالعظماء. وكثيرًا ما طُلب منهُ ان يكرّس كتابًا للدوك يوحنا اخي الملك المنتخب ولم يفعل ذلك . قال اخاف ان هذا الراي هو منهُ نفسهُ . فان الكتب المقدسة يجب ان تستخدم لمجد اسم الله فقط . ثم تخلص لوثيروس من ذلك الفكر وكرّس خطابةً في الاعمال الصالحة للدوك يوحنا وهذا الخطاب هو من جملة الكتابات التي يثبت بها المصلح باعظم قوة تعليم التبرير بالايمان ذلك الحق القوي الذي نسب لهُ قوة فوق قوة سيف ڤان هوتن وجنود ڤان سكنجن وحماية الامراء والملوك المنتخبين . قال ان اول الاعمال واشرفها واسماها هو الايمان بيسوع المسيح فمن هذا العمل يجب ان تصدر كل الاعمال الأُخر فليست هي الاّ توابع الايمان وتستمدُّ قوتها منهُ وحدهُ . فاذا شعر انسان في قلبهِ بثقة ان ما قد عملهُ هو مقبول من الله فان ذلك العمل صالح وان لم يكن الاّ رفع قشة ولكن ان لم تكن لهُ هذه الثقة فعملهُ ليس صالحًا ولو اقام الاموات فان الوثني واليهودي والمجوسي والخاطىء كلاًّ منهم يقدران يعمل كل الاعمال الاخر ولكن الاتكال بثبات على الله والشعور بثقة اننا مقبولون لديهِ هو ما لا يقدر احد ان يعملهُ الاّ المسيحي القوي بالنعمة

المسيحي الذي لهُ ايمان بالله يعمل كل شيء بحرية وفرح واما الذي ليس متفقًا مع الله فلان اهتمامًا وهو محفوظ تحت العبودية ويسأل نفسهُ متوجعًا كم عملاً يجب ان يعمل ويركض الى هنا وهناك ويسأل هذا الرجل وذاك الرجل فلا يجد سلامًا في مكان ويعمل كل شيء بحزن وخوف . ولاجل ذلك فاني قد مدحت دائمًا الايمان واما في العالم فالامر بخلاف ذلك . الامر الجوهري عند اهل العالم هو ان تكون لك اعمال كثيرة اعمال عظيمة وسامية ومن كل

شكل من دون التفات الى كونها حية بالايمان وهكذا يبني الناس رجاءهم لا على ارادة الله الصالحة بل على استحقاقهم اي على الرمل (مت ٧: ٢٧)

قيل ان التبشير بالايمان يمنع الاعمال الصالحة ولكن اذا ملك احدٌ قوة جميع الناس معًا او قوة جميع الخلائق فهذا الالتزام اي بان يعيش بالايمان هو عمل يعجز عن اتمامهِ . فان قلتُ لانسان مريض كن مُعَافًى فتملك استعمال اعضاءك فهل يقول احدٌ اني بقولي هذا نهيتهُ عن استعمال اعضائهِ . أفلا يجب ان الصحة تسبق العمل . وهكذا عند ما نبشر بالايمان فانهُ يجب ان يتقدم على الاعمال لكي يمكن وجود الاعمال نفسها

ولعلك تقول فاين اذًا نقدر ان نجد هذا الايمان وكيف يمكننا ان نقبلهُ وهذا هو بالحقيقة اهمُّ الامور التي تحتاج الى معرفتها . ان الايمان انما ياتي من المسيح الذي وُعِد بهِ وأُعطي مجانًا . فيا ايها الانسان تصوَّر يسوع المسيح في نفسك وتامل كيف اظهر لك الله بهِ رحمتهُ من غير استحقاق منك يسبقها واستنتج من صورة نعمتهِ هذه الايمان والثقة بان جميع خطاياك قد غُفِرَت لك فالاعمال لا نقدر ان تصدرها بل انما تصدر من دم المسيح وجراحهِ وموتهِ ومن هناك تنبع في قلوبنا فالمسيح هو الصخرة من حيث ينبع اللبن والعسل (تث ص ٣٢)

واذ لا يسعنا المقام ان نذكر كل مؤلفات لوثيروس اقتبسنا بعض العبارات القصيرة من هذا الخطاب في الاعمال الصالحة وذلك بسبب راي المصلح نفسهِ فيهِ . قال في رايي هو احسن ما اذعتهُ ثم زاد من الفور هذه العبارة الكثيرة المعاني ولكنني اعلم انهُ متى اعجبني ما اكتبهُ فسمُّ ذلك الخمير الردي يمنعهُ من ان يعجب الاخرين . ولما ارسل ملانكثون هذا الخطاب الى صديقٍ لهُ رافقهُ بهذه الكلمات انهُ لا يوجد احد بين جميع العلماء اليونانيين واللاتينيين قد دنا من روح بولس الرسول اكثر من لوثيروس

الفصل الثالث

مقاومة البابوية. رفع الدعوى الى الامبراطور والاشراف . زواج الاكليروس والفساد الناتج عن بتوليتهم

كان في الكنيسة شرٌّ آخر غير التعويض بالاعمال الاستحقاقية عن تعليم الانجيل الجليل اي النعمة والمغفرة وكانت قد قامت في وسط رعاة قطيع المسيح سلطة متكبرة فاستعد لوثيروس لمحاربة تلك السلطة المُغتصَبة ونمت اليهِ اخبار غير اكيدة مبهمة عن نجاح حِيَل المعلم آك في رومية فهيج هذا الخبر روح المصلح الحربي وهو مع كل متاعبهِ درس في خلوةٍ كيفية قيام البابوية وتقدمها واغتصاباتها واندهش من اكتشافاتهِ في ذلك كل الاندهاش فلم يتردد بعد في اذاعتهِ اياها بل ضرب الضربة التي نظير قضيب موسى القديم كانت عتيدة ان تنبه شعبًا قد نام مدة طويلة في سِنَة الاسر حتى انهُ قبل ان ملكت رومية وقتًا لاذاعة منشورها الفظيع نادى بوجهها بالحرب ضدها فهتف قائلاً قد عبر زمان السكوت وآن زمان التكلم والآن يجب ان نكشف اسرار المسيح الكذّاب.

وفي ٢٣ حزيران سنة ١٥٢٠ اذاع استغاثتهُ المشهورة بالامبراطور والاشراف المسيحيين من شعب جرمانيا لاجل اصلاح الديانة المسيحية وهذا العمل هو اول الهجمة المزمعة ان تنتهي الى الانفصال والنصر جميعًا

قال في افتتاح ذلك الخطاب انهُ ليس على سبيل التجاسر اخاطب سيادتكم وانا رجل من عامة الناس بل انواع الشقاوة والظلم المثقلة في نفس هذه الساعة على البلدان المسيحية ولاسيما على جرمانيا تغتصب مني صراخ الحزن ولا بدَّ لي من الاستغاثة لعل الله يحل بروحهِ على رجل في بلادنا وهكذا يبسط يدهُ الى الكنيسة

شعبنا التعيس . وقد اقام الله علينا ملكاً فتى كريماً وهكذا زرع في قلوبنا آمالاً عظيمة واما نحن فيجب علينا ان نعمل كل ما هو في طاقتنا

فالامر الاول المطلوب منا هو ان لا نتكل على قوتنا ولا على حكمتنا السامية فاننا اذا شرعنا في عمل صالح بالاتكال على نفوسنا يقلبهُ الله ويدمرهُ. وتعلمون ان فردريك الاول وفردريك الثاني وكثيرين غيرهما من الملوك الذين كان العالم يرتعد امامهم قد داستهم الباباوات تحت اقدامهم لانهم اتكلوا على قوة انفسهم اكثر مما اتكلوا على الله ولهذا اسقطوا ومقاتلتنا في هذه الحرب هي ضد قوات جهنم فيجب علينا ان ندخل هذا الجهاد غير واثقين بقوة السلاح بل متكلين بتواضع على الرب وناظرين الى ضيق المسيحيين اكثر من نظرنا الى ذنوب الاشرار والاَّ فيظهر العمل ناجحاً في البداءة ثم يدخل بغتةً في وسط الحرب التشويش والضمائر الشريرة تحدث مصائب لا تُحصَى ويمتلئ العالم دماً وكلما زادت قوتنا عظم خطرنا ايضاً ان لم نسلك بخوف الرب

وبعد هذه المقدمة يستتلي لوثيروس قائلاً

ان الرومانيين قد اقاموا حول انفسهم ثلثة اسوار لكي تقيهم من كل نوع من الاصلاح فاذا تعرضت لهم السلطة الزمنية يدَّعون انهُ لا سلطان لها عليهم وان السلطة الروحية هي اعلى منها واذا وُبخوا بالكتب المقدسة يدَّعون انهُ لا احد يقدر على تفسيرها غير البابا واذا هُدّدوا بمجمع يقولون انهُ لا سلطان لاحد على جمعهِ الاَّ الحبر الاعظم وهكذا نزعوا منا الثلثة القضبان المعينة لتاديبهم واسلموا نفوسهم لكل شر واما الآن فعسى الله ان يكون عوناً لنا ويعطينا احد تلك الابواق التي هدمت اسوار اريحا فلنهدم بنَفَسنا تلك الحصون من الورق والقش التي بناها الرومانيون حول انفسهم ونهزّ القضبان التي تؤدب بها الاشرار وذلك بفضحنا حِيَل الشيطان

ثم اسرع لوثيروس بالهجوم وهزَّ اساسات تلك السلطة الباباوية التي كانت قد جمعت شعوب الغرب مدة اجيال كثيرة جسداً واحداً تحت صولجان

الاسقف الروماني . والحق الذي بيَّنهُ في الابتداء بكل وضوح وعزم هو انهُ لا وجود لطغمة كهنوتية في الديانة المسيحية وهذا الحق كان مخفيًا عن عيني الكنيسة منذ القرون الاولى

وكتب لوثيروس في هذا المعنى قائلاً قيل ان البابا والاساقفة والخوارنة وجميع اولئك الذين يسكنون الادبرة هم المملكة الروحية او الكنائسية وان الامراء والاشراف واهل المدن والفلاحين هم المملكة الزمنية او العامية وهذا ادعاء غريب. والحال ان جميع المسيحيين هم من المملكة الروحية ولا فرق بينهم الاَّ ما ينتج من الوظائف التي يمارسونها. فلنا جميعًا معمودية واحدة وايمان واحد وهذا ما يقوم بهِ الانسان الروحي. اما المسحة وقص الشعر والرسامة والتكريس من يد الاسقف او البابا ربما تكوّن مرائيًا ولكنها لا تكوّن انسانًا روحيًا مطلقًا. وقد تكرسنا جميعًا كهنةً بواسطة المعمودية كما قال ماربطرس فانكم كهنة وملوك. ولئن كان لا يليق بالجميع ان يمارسوا مثل هذه الوظائف لانهُ لا يصح لاحد ان ياخذ ما هو مشترك بين الجميع من دون ارتضاء الجمهور بذلك . وان لم يكن لنا التكريس الالهي لا تقدر مسحة البابا ان تقيم كاهنًا مطلقًا فاذا كان عشرة اخوة بنو ملك ولهم حقوق متساوية في الارث اختاروا واحدًا منهم لكي يتصرف بالنيابة عنهم فانهم جميعًا يكونون ملوكًا الاَّ ان واحدًا فقط منهم هو الذي يتصرف بسلطانهم المشترك وهذا هو حال الكنيسة فلو نُفي جماعة اتقياء من العوام الى مكانٍ قفرٍ ولم يكن معهم خوري مرسوم من اسقف فاذا اتفقوا على انتخاب واحد منهم متزوج او غير متزوج فذلك الرجل يكون خوريًا حقيقيًا كما لو رسمهُ جميع الاساقفة في العالم فهكذا كان انتخاب اوغسطينوس وامبروسيوس وكبريانوس. ومن هنا ينتج ان العوام والكهنة والامراء والاساقفة او حسب لغتهم الاكليروس والعوام ليس لهم شيءٌ يميزهم الاَّ اعمالهم فان لهم جميعًا ملكًا واحدًا الاَّ انهُ ليس لهم جميعًا عملٌ واحدٌ يباشرونهُ

فاذا كان الامر كذلك فلماذا لا يؤدّب الحاكم الزمني الاكليروس . لان

السلطة الزمنية ترتبت من قبل الله لاجل مقاصة الاشرار وحماية الاخيار ويجب ان يطلق فعلها في كل العالم المسيحي وايًّا اصابت فلتصبهُ اي سواء كان البابا ام اسقفًا ام خوريًّا ام راهبًا ام راهبة . قال بولس الرسول لجميع المسيحيين كل نفس (وبالتالي البابا ايضًا) فلتخضع للسلاطين العظماء فانهم لم يتقلدوا السيف باطلاً (رو ١٣: ١ و٤)

وبعد ما قلب لوثيروس السورين الاخرين انتقل الى ملاحظة جميع انواع فساد رومية واوضح بعباراتٍ بليغة الشرور التي قد نبَّه عليها البعض مدة قرون كثيرة ولم تُسمع قط مدافعة اشرف من تلك المدافعة والجماعة التي خاطبها لوثيروس هي الكنيسة والسلطة التي قاتل انواع فسادها هي البابوية التي كانت قد ضايقت الشعوب باثقالها مدة قرون كثيرة والاصلاح الذي طلبهُ بصوتٍ عالٍ كان عتيدًا ان تكون لهُ صولةٌ قوية في كل العالم المسيحي وفي جميع العالم ما دام الجنس البشري موجودًا

استفتح بالبابا فقال انهُ امرٌ فظيع ان نرى الانسان الذي لقَّب نفسهُ نائب المسيح يُظهِر عظمة لا يقدر امبراطور ان يعادلهُ بها . أَهذا نظير يسوع المسكين ام نظير بطرس المتواضع . يقولون انهُ هو رب العالم والحال ان المسيح الذي يفتخر هو بكونهِ نائبهُ قد قال ان مملكتي ليست من هذا العالم فهل يمكن املاك نائب ان تفوت حدود املاك رئيسهِ المنوب عنهُ

ثم تقدم لوثيروس الى وصف نتائج السلطة البابوية . قال أَتعلمون ماهي فائدة الكردينالين . انا اخبركم . في جرمانيا وايطاليا اديرة كثيرة وابنية دينية واوقاف غنية فكيف يمكن سحب هذه الثروة الى رومية . قد أُقيم كردينالبون وأُعطيت لهم تلك الاديرة والاوقاف والآن كادت ايطاليا تقفر وخربت الاديرة وابتُلعت الاسقفيات ودثرت المدن وأُفسد السكان وتلاشت العبادة الدينية ونُفي الوعظ . لماذا . لكي تذهب كل ثروة الكنائس الى رومية . لو هجم المجوس انفسهم على ايطاليا لما اخربوا على هذا المنوال . ثم التفت لوثيروس

الى اهل بلادهِ فقال

والآن بعد ان امتصوا كل دم قبيلتهم ياتون الى جرمانيا ويبتدئون بالرقة فلنكن على حذر منهم والاَّ فتصير جرمانيا بعد قليل نظير ايطاليا. وموجود الآن عندنا بعض الكردينالين يظنون انهُ قبل ان يدرك الجرمانيون البلداءُ مقصدهم لا يبقى لهم اسقفية ولا دير ولا وقف ولا غرش. (ليت الطوائف الشرقية تنتبه الى هذا الامر لان الانشوطة قد التفَّت على رقابهم). فان المسيح الكذَّاب لا يرضى الاَّ بالاستيلاءِ على كنوز الارض فيُرسَم ثلثون او اربعون كردينالاً في يومٍ واحد فتُعطَى بِبرج لواحد واسقفية اورترَبرج لاخر وتتصل بها اوقاف خورنيات غنية الى ان تخرب المدن والكنائس وحينئذٍ يقول البابا انا نائب المسيح وراعي قطعانهِ فليخضع الجرمانيون

واشتدَّ حنق لوثيروس من هذه الافكار فقال كيف. هل نحتمل نحن الجرمانيين مثل هذه المسالب وهذه المضايقات من البابا واذا كانت مملكة فرانسا قدرت ان تحمي نفسها فلماذا ندع انفسنا يهزا بنا ويضحك علينا هكذا. ويا ليتهم يسلبوننا اموالنا فقط ولكنهم يخربون الكنائس ويجزّون خراف المسيح ويلاشون العبادة الدينية ويبطلون كلمة الله

ثم كشف لوثيروس حِيَل رومية لاجل نيل اموال جرمانيا ومحاصيلها وذكر الباكورات وثمن اردية ومدائح وعشورًا وكل تلك الوسائط على حدتها. ثم قال فلنجتهد في منع مثل هذا الخراب وهذه الشقاوة واذا قصدنا ان نقوم على الاعداء فلنقم على اولئك الذين هم اعداءُ اشر من الجميع واذا كنا نشنق اللصوص ونقطع رؤُوس قُطَّاع الطريق فلا ندَعنَّ الطمع الروماني الذي هو اعظم اللصوص ولا قُطَّاع الطريق باسم مار بطرس واسم يسوع المسيح ينجون. فمن يقدر ان يحتمل ذلك ومن يستطيع ان يصمت. أَفليس كل ما يملكهُ البابا قد حصَّلهُ بالسلب. لانهُ لم يشترهِ ولا ورثهُ من القديس بطرس ولا كسبهُ بعرق جبينهِ فمن اين لهُ كل هذا

ثم عرض لوثيروس علاجات لهذه الشرور وطلب بنشاط من اشراف جرمانيا ان يبطلوا هذه المسالب الرومانية ثم تقدم الى اصلاح البابا نفسهِ فقال أليس امرًا مضحكًا ان البابا يدَّعي انهُ الوريث الشرعي للملكة فمن اعطاهُ اياها أأعطاهُ اياها المسيح. وقد قال ان ملوك الامم يسودونهم واما انتم فليس كذلك (لو ٢٢: ٢٥و٢٦) فكيف تتفق سياسة مملكة مع الوعظ والصلاة والدرس والاهتمام بالمساكين في الوقت نفسهِ فان يسوع المسيح قد نهى خدامهُ عن ان يحملوا ذهبًا او ثوبين لئلاَّ يصيروا بذلك غير قادرين على اتمام واجبات خدمتهم ان لم يُعتَقوا من جميع الاهتمامات الأُخر ومع هذا كلهِ فالبابا يدَّعي انهُ يسوس العالم ويبقى بابا

ثم تقدم لوثيروس يُجرّد البابا فقال ليرفض البابا كل دعوى بمملكة نابلي وسيسيليا فانهُ ليس لهُ حق فيها اكثر مني وهو بظلم وضد كل وصايا المسيح يتسلط على بولونيا وايمولا وراوانا والرومانيا ومرك انكونا الخ. قال بولس الرسول ليس احد يتجند لله فيتقيد بامور العالم (٢ تي ٢: ٤) اما البابا الذي يدعي بانهُ قائد الكنيسة المجاهدة فقيد نفسهُ بامور هذه الحياة اكثر من كل امبراطور او ملك فيجب اننا نعفيهِ من كل هذا التعب فليضع الامبراطور الكتاب المقدس وكتاب صلوات في يدي البابا لكي يترك هموم الحكم للملوك ويتفرغ للوعظ والصلاة (مت ٢٠: ٢٦) ولم يطق لوثيروس سلطة البابا الروحية في جرمانيا كما انهُ لم يطق سلطتهُ الزمنية في ايطاليا. قال قبل كل شيء يجب ان نطرد من كل اقليم جرماني قصاد البابا مع انعاماتهم المدعاة التي يبيعونها بثقلها ذهبًا والتي هي غشوش واضحة. ياخذون اموالنا ولماذا. لكي يحللوا ارباحهم النجسة ويحلوا من كل قسمٍ ويمين ويعلمونا قلة الامانة ويرشدونا كيف نخطي ويقتادونا باستقامة الى جهنم. أتسمع هذا ايها البابا لا البابا الاقدس بل الاخطأ فعسى الله من كرسيهِ في السماء ان يقذفك عن كرسيك سريعًا الى الحفرة التي لا قرار لها

ثم بعد ان قضى بذلك على البابا اخذ بالرهبان فقال . واني الآن آتي الى تلك الطغمة الكسلانة التي تعد بكثير وتاتي بقليل فلا تغتاظوا يا سادتي الاعزاء لان مقاصدي جيدة والذي اقولهُ هو حقٌ حلوٌ ومرٌ معًا اي انهُ لا نعود تُبنى ايضًا اديرة للرهبان المتسولين لانهُ عندنا الآن منها اكثر من اللازم ويا ليتها تُهدَم باسرها فان الجولان بالتسوُّل في البلاد لم يصنع ولن يقدر ابدًا ان يصنع خيرًا . ثم يتقدم الى زواج الاكليروس وهذه هي اول مرة تكلم فيها لوثيروس عن ذلك . قال

فيا لها من حالة محزنة قد سقط فيها الاكليروس وكم من الخوارنة نراهم مثقلين بالنساء والاولاد وتوبيخ الضمير ومع ذلك لا ياتي احدٌ الى مساعدتهم . فاستحسن البابا والاساقفة ان يتركوا الاشياء على حالها ولذلك ما قد هلك يبقى هالكًا واما انا فقد عزمت على تخليص ضميري وان افتح فمي بملئهِ وبعد ذلك دع البابا والاساقفة وكل من اراد يعثرون بذلك . فاقول انهُ حسب ترتيب المسيح ورسلهِ يجب ان يكون لكل مدينة راعٍ او اسقف وان يكون لذلك الراعي زوجة كما كتب مار بولس الى تلميذهِ تيموثاوس بقولهِ ويجب ان يكون الاسقف بعل امراة واحدة (١تي ٣ : ٢) وكما هي العادة الجارية الى الآن في كنيسة الروم ولكن الشيطان قد اقنع البابا حسب قول هذا الرسول نفسهِ لتيموثاوس (١تي ٤ : ١ الى ٣) ان يمنع الاكليروس من الزواج ومن ثم صدرت شرور كثيرة جدًا لا يمكن ذكرها جميعها . فماذا يجب ان يُعمَل وكيف نقدر ان نخلص رعاة كثيرين بهذا المقدار لا نجد فيهم عيبًا سوى سكناهم مع امراة يرغبون بكل قلوبهم ان يتزوجوا بها زواجًا شرعيًا . فيا ليتهم يسكّنون قلق ضمائرهم ويتخذون تلك المراة زوجة شرعية لهم ويساكنونها بالتقوى ولا يلتفتون الى ارتضاء البابا بذلك او عدم ارتضائهِ فان خلاص نفوسكم هو اهم لكم من الشرائع الظالمة المطلقة التي لم تصدر من قبل الرب

فبهذه الطريقة اخذ الاصلاح في ارجاع طهارة الآداب الى الكنيسة ثم استقلى

المصلح قائلاً فلتبطل كل الاعياد ولا يُحفَظ الّا الاحد او اذا رغب الشعب في ان يحفظوا الاعياد المسيحية العظيمة فلتحفظ في الصباح فقط وليكن باقي النهار كسائر ايام الشغل لان الناس بما انهم في تلك الاعياد لا يعملون شيئًا الّا الشرب والقمار والتمتع بكل خطية او يبقون كسالى يغيظون الله في الاعياد اكثر من الاوقات الأُخر

ثم قاوم مواسم تكريس الكنائس ولقّبها خمارات محضة ثم الاصوام والاخويات الدينية وهو لم يرغب في تبطيل انواع الفساد فقط بل في ان يلاشي الانشقاق ايضًا . قال قد حان الزمان للشغل بجدٍّ في عمل البوهيميين وان نزيل الحسد والبغضة وان نتحد معهم . وبعد ان عيّن الوسائط الجلية للمصالحة قال يجب ان نقنع الاراتقة بواسطة الكتاب المقدس كما فعل الآباء القدماء ولا نخضعهم بواسطة النار لانهُ على هذه الطريقة الاخيرة يكون السيافون اعلم الناس في الدنيا فيا ليتنا من الجانبين نبسط ايدينا بتواضع اخوي عوضًا عن ان نتمسك بقوّتنا وحقنا معاندين فان المحبة هي الزم من باباوية رومية . وها انا قد فعلت الآن كل ما اقدر عليهِ فاذا كان البابا واعوانهُ يضادون ذلك فاللوم عليهم . اما البابا فيجب عليهِ ان يكون مستعدًا لرفض باباويتهِ وجميع املاكهِ وكل كراماتهِ اذا كان بتلك الوسيلة يقدر ان يخلص نفسًا واحدة والحال انهُ احب اليهِ ان يرى جميع العالم يهلك من ان يسلّم مثقال ذرة من سلطتهِ المغتصبة . فانا بريءٌ من هذه الاشياء

ثم تقدم لوثيروس الى المدارس والمكاتب فقال انني اخاف من ان المدارس تكون ابواب جهنم العظيمة ما لم تبذل جهدها في تفسير الكتب المقدسة ونقشها في قلوب الشبان . ولا اشير على احد ان يضع ابنهُ حيث لا تستولي الكتب المقدسة بملء سلطانها لان كل جمعية لا يشتغل اهلها بدون انقطاع بكلام الله فلا بدّ من فسادها . فيا لها من عبارات راجحة يجب على الحكام والعلماء والوالدين في كل جيل ان يتاملوا فيها بحرص

وبالقرب من نهاية تلك الاستغاثة عاد لوثيروس الى المملكة والملك فقال .
ان البابا اذ لم يقدر ان يدبر حسب ارادتهِ ولاة المملكة الرومانية القدماء اخترع طريقة لنزع لقبهم ومملكتهم منهم واعطائها لنا نحن الجرمانيين وهكذا اصبحنا عبيد البابا لان البابا تملك رومية والزم الامبراطوران يحلف بانهُ لا يسكن فيها ابدًا ومن ذلك حدث ان الامبراطور هو امبراطور رومية بدون رومية . نحن لنا الاسم والبابا لهُ البلاد والمدن نحن لنا لقب المملكة ونياشينها والبابا يملك كنوزها وسلطانها وانعاماتها وحقوقها . البابا ياكل الثمر ونحن نلعب بالقشر وعلى هذا الاسلوب قد احتقرت دائمًا كبرياء رومية وظلمها سذاجتنا

واما الآن فعسى الله الذي اعطانا هذه المملكة ان يكون منجدًا لنا فلنعمل حسب اسمنا ولقبنا ولساننا ولنحفظ حريتنا وليتعلم الرومانيون ان يعتبروا ما قد اعطانا اياهُ الله على ايديهم . يفتخرون بانهم قد اعطونا مملكة فنعمًا ذلك فلناخذ حقنا وليسلمنا البابا رومية وكل اقسام المملكة التي لم يزل مستوليًا عليها وليبطل جُزاهُ ومظالمهُ وليرد حريتنا وسلطتنا ومالنا وكرامتنا وانفسنا واجسادنا ولتكن المملكة كل ما يجب ان تكون عليهِ مملكة لا تلزم بعد سيوف الامراء الى الخضوع امام دعاوي البابا الكاذبة

وهذه الكلمات تتضمن ليس فقط نشاطًا وغيرةً وقّادة بل ايضًا احتجاجًا ساميًا ولم يخاطب قط خطيب اشراف المملكة والامبراطور نفسهُ على هذا المنوال وعوضًا عن ان نتعجب من انفصال اقاليم جرمانيا الكثيرة من رومية يجب بالحري ان نتعجب من ان جرمانيا باسرها لم تهجم على شطوط نهر تيبر لكي تسترجع تلك السلطة الملكية التي وضع الباباوات بحماقة القابها على جبين سلطانها

ثم ختم لوثيروس تلك الاستغاثة الشجيعة بهذه العبارات

انني ربما رفعت صوتي اكثر مما ينبغي وعرضت عليكم امورًا كثيرة تتراءى مستحيلة وقاومت ضلالات شتَّى بقساوة مفرطة ولكن ماذا اقدر ان اعمل . دع

العالم يغتاظ مني ولا يغتاظ الله فانهم لا يقدرون على شيء الاَّ على اعدام حياتي وقد عرضت الصلح على اخصامي مرارًا ولكن الله بواسطتهم قد ساقني الى ازدياد الصراخ ضدهم ولم يزل عندي موالي آخر محفوظ ضد رومية فاذا كانت آذانهم تستحكم فاني اغنيهِ لهم وذلك بصوتٍ عالٍ فهل فهمتِ يا رومية معنايَ. ربما اشار الى رسالة في البابوية قصد لوثيروس اشهارها فاخَّرها. وبالقرب من ذلك الوقت كتب الرئيس بوركهاردت الى سبانجلر يقول موجودة ايضًا رسالة صغيرة في فحشاء الرومانيين اللعينة الاَّ انها محفوظة

ثم قال فاذا كانت دعواي عادلة تُرذَل من كل العالم وتثبت عند المسيح فقط في السماء فليأْتِ اذًا البابا والاساقفة والخوارنة والرهبان والعلماء وليبذلوا كل غيرتهم وليطلقوا العنان لكل غضبهم فهولاء هم في الحقيقة الناس الذين مصالحهم ان يضطهدوا الحق كما قد شهدت جميع القرون

فمن اين لهذا الراهب هذه المعرفة الجلية بالامور السياسية التي بالكد عرفتها ممالك الامبراطورية ومن اين استمد هذا الجرماني الشجاعة التي جعلتهُ يرفع راسهُ في وسط شعبٍ طالما استُعبِد فرشق البابوية بسهام حادَّة مثل هذه وما هي القوة السرية التي ساقتهُ أَفلا يسوغ الظن بانهُ قد سمع تلك الكلمات التي خاطب بها الله انسانًا من القدماء قائلاً هانذا قد جعلت وجهك صلبًا مثل وجوههم وجبهتك صلبت مثل جباههم قد جعلت جبهتك كالماس اصلب من الصوان فلا تخفهم ولا ترتعب من وجوههم لانهم بيت متمرّد (حز ٣:٨و٩)

وهذا الاغراء الذي خُوطِب بهِ الاشراف الجرمانيون وصل عاجلاً الى جميع اولئك الذين كُتِب اليهم وامتد في جرمانيا بسرعة لا تُدرَك فارتعد اصدقاء لوثيروس اما ستوبتز والذين رغبوا في استعمال وسائط لطيفة فحسبوا الضربة قوية جدًا فاجاب لوثيروس انهُ في ايامنا كل ما يتعاطى بلطافة يسقط في النسيان ولا يبالي بهِ احد. وفي الوقت نفسهِ اعطى برهانًا قويًا لبساطتهِ وتواضعهِ فانهُ الى ذلك الوقت لم يكن قد عرف نفسهُ فكتب اني لا اعلم ماذا اقول عن

نفسي فربما اكون سابق فيلبس ملانكثون فاني اعد الطريق له نظير ايليا بالروح والقوة فهو الذي سوف يزعج يومًا اسرائيل وبيت اخاب

ولم تكن حاجة الى انتظار غير ذلك الذي كان قد ظهر فان بيت اخاب كان قد تزعزع . والاستغاثة باشراف جرمانيا أُذيعت في ٢٦ حزيران سنة ١٥٢٠ وفي وقت قصير انباعت منهُ اربعة آلاف نسخة وذلك عدد وافر في تلك الايام فتعجب الجميع وتلك الكتابة احدثت هياجًا بين الشعب فان النشاط والحياة والوضوح والجسارة الكريمة الظاهر فيها رغبت الجميع فيها الى الغاية وشعر الشعب اخيرًا ان الذي خاطبهم احبهم ايضًا وانجلت بها افكار جمهور كبير من الحكماء واتضحت لديهم الاغتصابات الرومانية ولم يعد احد في وتمبرج يشك في ان البابا هو المسيح الكذَّاب حتى ان اهل بلاط الملك المنتخب الذي كان حذرًا وجبانًا بهذا المقدار لم يذموا عمل المصلح بل انتظروا بصبر. واما الشعب والاشراف فلم ينتظروا . بل انتعشت الامة حيوة جديدة وزعزعها صوت لوثيروس فرُبحت واحدقت بالراية التي رفعها لوثيروس ولم يكن شيءٌ نفع المصلح مثل تلك الرسالة فان الجميع في القصور والقلاع ودور الاكابر وبيوت الفلاحين صاروا مستعدين ليدافعوا كما بترس ضد الحكم الذي كان عتيدًا عن قريب ان يقع على نبيّ الشعب هذا فاشتعلت جرمانيا باسرها . فليأتِ المنشور البابوي . النار لا تطفأ بوسائط مثل ذلك

الفصل الرابع

الاستعدادات في رومية . اسباب المقاومة البابوية . اعمال آك في رومية .

حرم لوثيروس

استعدوا في رومية كل الاستعداد لكي يحرموا المحامي عن حرية الكنيسة

وطالما بقيت تلك الكنيسة في حالة الامن مع التكبر . وقبل ذلك الوقت بسنين عديدة صار الرهبان يفرفون لاون العاشر على اعتنائهِ بالتنعم واللذة فقط وعدم اشتغالهِ الاَّ بالصيد والمراسح والموسيقى وترك الكنيسة تمايل الى السقوط واخيرًا اذ نبههُ ضجيج المعلم آك الذي حضر من ليپسك لكي يستنجد بالفاتيكان والبابا والكرد ينالين والرهبان وكل رومية انتبه وافتكر في تنجية البابا وية . وبالحقيقة اضطرت رومية للالتجاء الى اقسى الوسائط لان الحرب قد نودي بها ولا بد من القتال الى الموت ولوثيروس لم يقاوم مساوي الحبرية الرومانية بل الحبرية نفسها ومطلوبهُ ان البابا ينزل بتواضع عن عرشهِ ويصير راعيًا او اسقفًا بسيطًا على شطوط التيبر وان جميع رؤساء الكنيسة الرومانية يرفضون غناهم ومجدهم العالمي ويصيرون شيوخًا وشمامسة لكنائس ايطاليا وكل ذلك الرونق والسلطان اللذين قد ابهرا الغرب مدة قرون عديدة يتلاشيان ويخليان موضعهما لتواضع بساطة العبادة المسيحية القديمة . ان الله قادر على احداث ذلك ولا بد ان يفعل في الوقت المعيَّن ولكن لا نتوقع ذلك من انسانٍ ولو اراد احد البابا وات الخالين من الغرض الجسورين ان يهدم بناء الكنيسة الرومانية القديم الثمين لرايت آلافًا من الخوارنة والاساقفة يمدون ايديهم لكي يمنعوا سقوطهُ . والبابا قبل سلطانهُ على شرط صريح ان يحافظ على ما أستُودِع بيدهِ وتوهمت رومية انها مقامة من الله لاجل سياسة الكنيسة ولهذا لا نتعجب من انها هيأَت نفسها لتضرب اشد الضربات ولكنها امسكت يدها فتاخرت عن ذلك في اول الامر لان كثيرين من الكرد ينالين والبابا نفسهُ لم يوا ثروا الوسائط الرغمية ولاون الحاذق راى جليًّا ان حكمًا توقَّف اجراؤُهُ على موافقة السلطة المدنية المشكوكة بها هل تكون من حزب رومية او ضدها يلقي سلطان الكنيسة تحت الشك وعلم ايضًا ان وسائط القهر التي استعملت الى ذلك الوقت لم تُفِد الاَّ زيادة الشر فصار الاعوان الرومانيون يتساءلون قائلين الا يمكن استعطاف هذا الراهب السكسوني وهل يعجز كل سلطان الكنيسة وتقصر كل حِيَل ايطاليا .

فينبغي ان يواظبوا على المراسلة

ولهذه الاسباب صادف آك موانع قوية فلم يُهمل واسطة لكي يصد تلك التسليمات المضرة وافشا سخطهُ في كل حارة من حارات رومية طالب الانتقام واتحد معهُ حالاً اصحاب الوساوس بين الرهبان واذ تقوى باتفاقهم معهُ هجم على البابا والكردينالين بشجاعة جديدة وفي رايهِ كل توخٍ للمصالحة عبث . قال ان ما تسكنون بهِ قلقكم وانتم بعيدون من الخطر انما هو اضغاث احلام . كان عارفاً بالخطر وانهُ لا يسوغ الابطاء في قطع هذا العضو المتعفن خوفاً من ان تعم العلة جميع البدن ودفع مجُادِل ليپسك العنيف اعتراضاً بعد اعتراضٍ حتى انهُ بصعوبة اقنع البابا . ورغب في تنجية رومية رغماً عن نفسها وبذل كل جهد وافنى ساعات كثيرة متوالية في مقصورة الحبر يتداول آراء فهيج البلاط والادبرة والشعب والكنيسة . قال لوثيروس ان آك يهيج ضدي الهاوية التي لا قرار لها ويضرم النار الى احراش لبنان

وعند ما تاكد آك الظفر بالغلبة كادت تفر من يديهِ . وذلك لانهُ كان في رومية نفسها جماعة معتبَرة متحزبة مع لوثيروس في بعض الامور ولنا على ذلك شهادة واحد من المورخين الرومانيين الذي انتهى الينا مكتوب من مكاتيبهِ كُتِب في كانون الثاني سنة ١٥٢١ قال يجب ان تعلم انهُ بالكد يوجد في رومية اقلما يكون بين اصحاب الراي الصحيح شخص لا يعرف ان الحق مع لوثيروس في امورٍ شتى . وهولاء الذوات المعتبرون صدّوا مطاليب المعلم آك . وقالوا يجب ان نصرف زماناً اكثر في التبصر ويجب ان يُقاوَم لوثيروس باللطافة والعقل لا بالحرومات . فصار لاون العاشر يتردد ايضاً اما كل ما هو ردي في رومية فثار حالاً الى فتنة عظيمة وجمع آك كل اعوانهِ فاجتمع حولهُ من كل الجهات وعلى الخصوص من بين الدومينيكيين مساعدون كثيرون مملوّون من الغيظ والخوف من ان يفلت صيدهم . قالوا لا يليق بجلال الحبر الروماني ان يقدم سبباً عن عملهِ لكل شقي حقير يتوخَّى رفع راسهِ بل بعكس ذلك يجب ان هولاء

القوم العتاة يُسحقون قهرًا لئلاَّ يقتدي بوقاحتهم غيرهم ممن ياتي بعدهم وبهذه الطريقة ردع قصاص يوحنا هس وتلميذهِ ابرونيموس كثيرين ولو كان قد فعل هذا الامر نفسهُ بروخلين لما تجاسر لوثيروس قط على فعل ما قد فعلهُ . وفي الوقت نفسهِ كان لاهوتيو كولونيا ولوفيان ومدارس اخرى وكذلك امراء جرمانيا يلحون على البابا كل يوم اما بالكتابة واما بواسطة وكلائهم سرًّا بالتوسلات القوية واشد الالحاح صدر من صرَّاف لهُ بواسطة ثروتهِ صولة عظيمة في رومية حتى لُقِّب ملك التيجان . والباباوية طول عمرها على نوع ما في ايدي الذين اقرضوا الدراهم وهذا الصرَّاف هو فوغرامين صندوق الغفرانات واذ تلهب هذا التاجر الاوجسبرجي غيظًا من لوثيروس وخاف على ارباحهِ وبضائعهِ بذل كل جهدهِ في تحريك غضب البابا عليهِ فقال لهُ استعمل القوة ضد لوثيروس وانا اعدك باتفاق كثير من الامراء ونجدتهم . والظاهر انهُ هو الذي ارسل آك الى رومية . وهذا الامر رجح الميزان وظفر ملك التيجان في المدينة الباباوية والذي أُلقي في كفة الميزان هذه المرة لم يكن سيوف اهل غالة بل الاكياس المملوَّة من الدراهم فغُلِب آك اخيرًا وانقهر اصحاب المشورة من اصحاب الوساوس في تدبير الباباوية فسلَّم لاون وعُزم على حرم لوثيروس فتنفس آك وتعاظمت كبرياؤهُ بواسطة الفكر بانهُ هو الذي حكم بهلاك خصمهِ الاراتيكي وخلص بذلك الكنيسة قال كان امرًا سعيدًا انني اتيت الى رومية في ذلك الوقت لانهم لم يكونوا يعرفون الاَّ قليلاً عن ضلالات لوثيروس وسوف يُعلَم في ما ياتي كم قد عملتُ في هذا الامر

وقليلون هم الذين ساعدوا المعلم آك اكثر من سلوسترس ملوزيني دي بريريو ناظر البلاط المقدس فانهُ كان قد اشهر تاليفًا قرَّر فيهِ ان السلطة الباباوية فضلاً عن عصمة حكم البابا في القضايا الجدلية هي المملكة الخامسة المذكورة في نبوة دانيال وانها هي وحدها المملكة الحقيقية وان البابا هو اول الرؤساء الكنائسيين وابو الولاة المدنيين ورئيس العالم بل هو العالم نفسهُ واثبت

في تاليف آخران البابا هو اعلى من الملك بمقدار ما يتعالى الذهب على الرصاص وان للبابا سلطانًا على انتخاب الملوك وعزلهم وله ان يثبت ويبطل الحقوق الوضعية وان الملك وان يكون مثبتًا بواسطة شرائع وقبائل المسيحيين لا يقدر ان يحكم باقل شيء ضد ارادة البابا . وهذا هو الصوت الذي خرج من بلاط الحبر الاعظم وهذه هي الدعوى الفحشاء التي باتحادها مع التعاليم اللاهوتية حاولت ان تطفي الحق المشرق ولو لم تفتضح هذه الخرافات بواسطة العلماء حتى الذين في شركة رومية لم تبقَ ديانة حقيقية ولا تاريخ صحيح . لان البابوية ليست اكذوبة في حكم الكتاب المقدس فقط بل انما هي كذلك في حكم تاريخ الشعوب ايضًا والاصلاح بواسطة ابطالهِ بسحرها اعتق لا الكنيسة فقط بل الملوك والشعوب ايضًا وقد قيل ان الاصلاح هو عمل سياسي وهذا القول صحيح على المعنى المشار اليهِ . وعلى هذه الكيفية بعث الله روح جهالةٍ على الرومانيين فصار الفصل بين الحق والضلال امرًا ضروريًا وكان الضلال الآلة لاجراء هذا العمل لانهُ لو حصل الاتفاق بينهم لكان ذلك بتضحية الحق وازالة ادنى جزء من الحق يعد الطريق للاشاتهِ على التمام فهو نظير الذبابة التي قيل انها تموت اذا قُلِعت احدى شاربيها فالحق يستدعي ان يكون كاملاً في جميع اعضائهِ لكي يُظهر تلك القوة التي بها يظفر بغلبات عظيمة صالحة وينتشر في العصور المستقبلة ومزج غلطٍ قليل بالحق هو نظير طرح حبة من السم في صحن من الطعام فان تلك الحبة الواحدة كافية لتغير طبيعة الطعام كلهِ وتقتل آكلها ولو ببطوء فالذين يحامون عن تعليم المسيح من هجمات اعدائهِ يحافظون بغيرة على اقصى متارسهِ كما يحامون عن نفس القصر لان العدو حالما يتغلب على اضعف هذه المتارس لا يلبث انتصارهُ بعيدًا . فالحبر الروماني عزم في ذلك العصر الذي نحن في صددهِ ان يشق الكنيسة والشظية الباقية في قبضتهِ مهما كانت زاهرة بالكد تخفي تحت زينتها الفاخرة المبدا المهلك الذي تحارَب بهِ وحيثما توجد كلمة الله هناك توجد الحياة

ان لوثيروس مع ما كان عليهِ من الشجاعة العظيمة ربما بقي ساكتًا لو سكتت رومية وتظاهرت بالتسليم في بعض الامور الّا ان الله لم يترك الاصلاح لقلب الانسان الضعيف ولوثيروس كان في يدي من مد نظرهُ الى ابعد من نظرهِ والعناية الالهية استعملت البابا لكي يقطع كل وصل بين الماضي والمستقبل ويدفع المصلح الى مسلك جديد غير معروف ولا متميز في عينيهِ لم يستطع بدون مساعدة ان يطلع عليهِ وكان المنشور الباباوي كتاب الطلاق الذي اعطتهُ رومية لكنيسة يسوع المسيح الطاهرة في شخص ذلك الذي هو حينئذٍ وكيلها المتواضع الامين فقبلتهُ الكنيسة لكي تستند من ذلك الوقت فصاعدًا على راسها الذي في السماء

وبينما كانوا يلحون في رومية على البابا لكي يحرم لوثيروس كان خوري مسكين ساكنًا في احدى قرى بلاد سويسرا ولم يكن قط لهُ اتصال ولا مداخلة بالمصلح فانغم الى داخل قلبهِ عند الفكر بالضربة العتيدة ان تحل بلوثيروس واذ كان اصدقاء لوثيروس يرتعدون وهم سكوت عزم ابن جبال سويسرا هذا على اجراء كل وسيلة في طاقتهِ لتوقيف المنشور الفظيع واسمهُ اولريخ زونكل وكان صديقهُ وليم دي فوكونس كاتم اسرار قاصد البابا في سويسرا وهو في غيبة القاصد تعاطى مصالح رومية وكان قد قال لهُ قبل ذلك الوقت بايام قليلة اني ما دمت حيًّا اجتهد في ان اعمل كل ما يُنتظَر من صديق مخلص فذهب الخوري بالاستناد على هذا الوعد الى بيت القاصد حيث كان صديقهُ هذا كما يتضح من احد مكاتيبهِ ولم يكن يخاف على نفسهِ من الاخطار التي جلبها عليهِ الايمان الانجيلي وعرف ان تلميذ المسيح يجب عليهِ ان يكون دائمًا مستعدًا لبذل حياتهِ وقال لاحد اصدقائهِ الذي افشى اليهِ خوفهُ على لوثيروس اني لا اطلب من المسيح الآن يقويني على ان احتمل بقلب شجيع الشرور التي ترصدني فانا اناء خزف بيديهِ فليسحقني سحقًا او يقوّني كما يحسن في عينيهِ وخاف هذا الانجيلي السويسي على الكنيسة المسيحية اذا ضُرِب المصلح ضربة فظيعة كهذه فاجتهد في اقناع وكيل رومية هذا ان ينوّر البابا وان يعمل كل وسيلة في

طاقتهِ لمنع الحرم عن لوثيروس . قال ان لعظمة الكرسي المقدس نفسهِ صالحًا في ذلك لانهُ اذا وصلت الامور الى هذا الحد لا بد ان جرمانيا الموعبة غيرةً وقَّادةً نحو الانجيل ونحو الدكتور الذي بشَّر بهِ تزدري بالبابا وبحرمهِ . وهذا العمل ذهب سدًى والظاهر ايضًا انهُ في ذلك الوقت كانت الضربة قد نزلت وهذه هي الحادثة الاولى التي فيها التقى طريق العالِم السكسوني وطريق الخوري السويسي وسوف نجد ايضًا هذا الاخير في سياق هذا التاريخ ونراهُ ينمو ويزداد الى ان بلغ قامة شامخة في كنيسة الرب

وبعد ان حُكم بحرم لوثيروس قامت صعوبات في ديوان البابا فذهب اللاهوتيون الى وجوب اجراء الحكم حالاً وذهب المشترعون الى خلاف ذلك اي انهُ يجب ان يسبق الحكم تنبيهٌ وقالوا للاهوتيين ألم يُنبَّه اولاً على آدم وهكذا حدث مع قايين اذ سألهُ القدير قائلاً اين هو اخوك هابيل وزاد القانونيون على هذه البراهين الماخوذة من الكتب المقدسة حججًا أُخِذت من الشريعة الطبيعية فقالوا ان اثبات ذنب لا يعدم مذنبًا حقهُ في المدافعة . فوجود مبادي العدل هذه في جماعة رومانية امر سارٌّ الَّا ان هذه الموانع لم تناسب ذوق اللاهوتيين في المجمع الذين بسبب غيظهم لم يرضوا الَّا اجراء العمل حالاً وعلى الخصوص نهض رجل لهُ سطوة عظيمة وهو دي ڤيو المعروف بالكردينال كايتان الذي كان لم يزل مغتاظًا جدًّا بسبب انغلابهِ في اوجسبرج الماضي ذكرهُ ومن قلة الكرامة والفائدة التي نالها من سفرهِ الى جرمانيا وكان دي ڤيو قد رجع الى رومية سقيمًا وحُمِل الى المجمع على سريرهِ لانهُ لم يرد ان يخسر هذه الغلبة الدنية التي تعزى بها قليلاً ومع انهُ انغلب في اوجسبرج رغب ان يشترك في رومية بحرم ذلك الراهب العاتي الذي امامهُ خاب كل علمهِ وحذاقتهِ وصولتهِ واذ لم يكن لوثيروس حاضرًا لاجل المجاوبة ظن دي ڤيو نفسهُ قهارًا فقال اني قد رايت ما يقنعني بان اهل جرمانيا ان لم يُذَلُّوا بواسطة النار والسيف يطرحون بالكلية نير الكنيسة الرومانية . ومثل هذا التصريح من كايتان لم يكن ممكنًا ان يذهب

بدون تاثير عظيم واخذ هذا الكرد ينال ثار خيبتهِ واستخفاف اهل جرمانيا بهِ
والمؤامرة الاخيرة التي حضرها آك ايضاً كانت بحضور البابا وفي ١٥ حزيران
انهت الجمعية المقدسة الحرم وثبتت ذلك المنشور المشهور

فقال الحبر الروماني متكلماً في تلك اللحظة كنائب الله وراس الكنيسة
قم يا رب قم واقضِ قضاءك وتذكَّر العار الذي يجمعهُ عليك السفهاء . قم
يا بطرس واذكر كنيستك الرومانية المقدسة ام جميع الكنائس وملكة الايمان.
قم يا بولس لانهُ هوذا بورفيريوس جديد يقاوم تعاليمك والباباوات الاطهار
اسلافنا واخيراً قوموا يا معشر القديسين كنيسة الله المقدسة وابتهلوا الى الله

ثم اورد البابا احدى واربعين قضية مضرة ومشككة سامة من كتب
لوثيروس ذكر فيها تعاليم الانجيل المقدسة ومن جملتها ما ياتي

من انكر ان الخطية تبقى في الولد بعد المعمودية فانهُ يدوس تحت قدميهِ
القديس بولس وربنا يسوع المسيح

الحيوة الجديدة هي احسن الاعمال التقشفية واسماها

احراق الاراتقة هو ضد ارادة الروح القدس الى آخرهِ

ثم قال البابا انهُ حالما يذاع هذا المنشور يجب على الاساقفة ان يفتشوا بتدقيق
على مصنفات مرتينوس لوثيروس المتضمنة هذه الغلطات ويحرقوها جهاراً
وباحتفال بحضور الاكليروس والعوام واما مرتينوس نفسهُ فماذا لم نصنع لاجلهِ
واقتداء باناة الله القدير لا نزال مستعدين لان نقبلهُ ايضاً في حضن الكنيسة
ونمهلهُ ستين يوماً لكي يرسل لنا صورة رجوعهِ في ورقة تحت ختم اسقفين او ياتي
هو نفسهُ الى رومية لكي لا يبقى شك عند احد في طاعتهِ وذلك احبُّ الينا وفي
هذه المدة ومن هذه اللحظة فصاعداً يجب ان يترك الوعظ والتعليم والكتابة
ويدفع كتبهُ الى لهيب النار فان لم يرجع في مدة ستين يوماً فاننا بقوة هذا
المنشور نحرمهُ وكل من يتبعهُ كاراتقة مشهورين معاندين . ثم يتلفظ البابا بجملة
حرومات ولعنات ورباطات ضد لوثيروس وحزبهِ ويامر بالقبض عليهم

وارسالهم الى رومية ولا يعسر تصور ما اصاب شهود الانجيل هولاء الكرماء لو أُدخلوا الى السجون البابا وية

على هذا النمط اشتد العاصف على راس لوثيروس ويقرب الى العقل انهُ بعد قضية ربوخان ترك ديوان رومية الاشتراك مع الدومينيكيين واصحاب ديوان التفتيش واما في ذلك الوقت كان الزمام بيد ديوان التفتيش فتجدد الاتحاد القديم . فأُشهِر المنشور ومنذ قرون عديدة لم تتلفظ رومية بجرم لم تلحقهُ ذراعها بالقتل وهذه الرسالة القاتلة كانت مزمعة ان تذهب من السبعة الجبال وتدرك الراهب في مخدعهِ وكان الوقت مناسبًا جدًّا لذلك اذ صح الزعم بان الامبراطور الجديد الذي لهُ اسباب كثيرة تحرضهُ على حفظ صداقة البابا يرغب في ان يستحقها بتضحيتهِ لهُ راهبًا مسكينًا فكان لاون العاشر والكردينااليون بل رومية باسرها يفتخرون بغلبتهم وتخابلوا عدوهم تحت اقدامهم

الفصل الخامس

وتمبرج . ملانكثون وزوجتهُ

بينما كان سكان المدينة الابدية على ما سموها هائجين حسبما تقدم ذكرهُ جرت في وتمبرج امور احلى . كان هناك ملانكثون يبزغ نورًا ساطعًا وكثيرًا ما اجتمع حولهُ من السامعين ما بين الف وخمس مئة والفين وذلك من جرمانيا وانكليترا والبلاد الواطية وفرانسا وايطاليا وبلاد المجيار وبلاد هلاس وكان عمرهُ يومئذٍ اربعًا وعشرين سنة ولم يكن قد دخل في الدرجات الكنائسية ولم يكن احدٌ في وتمبرج الاَّ وابتهج اذا زارهُ هذا الاستاذ الفتى المحبوب الحاوي كل تلك العلوم وارادت المدارس الغربية وعلى الخصوص مدرسة انكلستادت ان تجتذبهُ الى داخل اسوارها وكان اصدقاؤهُ الوتمبرجيون يطمعون في ابقائهِ بينهم بواسطة

رباطات الزواج واما لوثيروس فمع انهُ رغب في ان صديقهُ العزيز فيلبس يجد قرينة لائقة بهِ قال جهاراً انهُ لا يريد ان يشير عليهِ بهذه القضية فتحمل آخرون هذا الامر على انفسهم وكان العالم الشاب يتردد بنوع خصوصي الى بيت الوالي كراب وهو من العيال القديمة وكان لكراب ابنة اسمها كاثرينا وهي لطيفة الاخلاق وذات شرف طبيعي فكان اصدقاء ملانكثون يحثونهُ على طلبها للزواج ولكن المعلم الفتى كان منشغفاً بكتبهِ ولم يكن يريد ان يسمع شيئاً غير ذلك فكانت التآليف اليونانية والعهد الجديد بهجتهُ وقاوم حجج اصدقائهِ بحجج اخرى الا انهم اخيراً اقنعوهُ فاكملت جميع المقدمات اللازمة وأُعطيت كاثرينا لهُ زوجة فقبلها بكل برودة وقال بتنهد . هي ارادة الله يجب عليَّ ان اترك درسي ولذاتي لكي اوافق ارادة اصدقائي . الا انهُ ادرك صفات كاثرينا الصالحة وقال ان الصبية لها نفس الطبيعة والتربية التي كنت طلبتها لو سألت من الله زوجةً فليمنح الله بيمينهِ النجاح لهذا الامر وبالحق انها تستحق زوجاً احسن مني . وهذه الامور أُنهيت في شهر آب وتمت الخطبة في ٢٥ ايلول وفي آخر تشرين الثاني انعقد الزواج واتى يوحنا لوثيروس الشيخ مع امرأتهِ وبناتهِ في ذلك الوقت الى وتمبرج وكثيرون من العلماء والشعب حضروا العرس

اما العروس الفتاة فقابلت برودة الاستاذ الفتى بكل محبة واعتبرتهُ كل الاعتبار وخافت عليهِ واضطربت من اقل خطر يتهدد قرينها العزيز وكلما حاول ملانكثون ان يعمل عملاً من شانهِ ان يرميهُ في الخطر كانت تلح عليهِ بالطلبات ان يتركهُ وكتب ملانكثون في احدى تلك الاحوال يقول قد التزمت ان اسلّم لضعفها فان هذا هو نصيبنا فكم من القصور في الكنيسة اصلهُ من شيءٍ يشبه ذلك . ولعلهُ ينسب الى خوف كاثرينا جانبٌ كبيرٌ من الجبانة التي اظهرها ملانكثون احياناً وكانت والدةً مشغوفة وزوجة محبة سخية في صدقاتها للمساكين وصلاة هذه المراة التقية الجبانة كل يوم هي يا الله لا تتركني في كبر سني عند ما ياخذ شعري في المشيب . وانجذب قلب ملانكثون سريعاً بمحبة زوجتهِ

وبعد ما ذاق الافراح العائلية شعر بكل حلاوتها لانها وافقت طبيعتهُ ولم يكن يغتبط الاَّ في بيتهِ في عشرة امراتهِ واولادهِ فجاء يومًا سائحٌ فرنساويٌّ فراى استاذ جرمانيا يهزُّ سرير ولدهِ بيد ويمسك كتابًا باخرى فرجع الى الوراء متعجبًا واما ملانكثون فلم يستحي من عملهِ بل اوضح لهُ بحرارة عظيمة قيمة الاولاد في عيني الله فخرج هذا السائح من البيت وهو احكم مما كان عند دخولهِ اليهِ

وزواج ملانكثون فتح بيتًا للاصلاح ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا كان في وتمبرج بيت مفتوح دائمًا للذين أُلهموا الحياة الجديدة وكان ازدحام الغرباء اليهِ عظيمًا واتوا الى ملانكثون يستشيرونهُ في امور كثيرة ومن قوانين بيتهِ ان لا ينكر شيئًا على احد واظهر الاستاذ الفتى خلوهُ من محبة الذات كلما انفتح باب لعمل الخير وعندما نفق كل دراهمهِ كان يحمل اواني بيتهِ من فضة الى احد التجار غير مبالٍ بخسارتهِ اياها لانهُ استعوض بالتوصل الى ما يعين بهِ المتضايقين . قال صديقهُ كاميراريوس ومن ثم لم يكن ممكنًا لهُ ان يحصل ما يسد حاجتهُ وحاجة عائلتهِ لولم تكن بركة الهية سرية تيسر لهُ من وقت الى وقت ما احتاج اليهِ وكانت جودتهُ غريبة. كان عندهُ جملة نياشين قديمة من ذهب وفضة عليها كتابات ونقش فاراها ذات يوم لرجل غريب زارهُ وقال لهُ خذ منها ما تعجبك فقال الزائر اني اريدها جميعًا قال فيلبس ان هذه الطلبة الفاحشة اغاظتني قليلاً في اول الامر الاَّ اني اعطيتهُ اياها جميعًا حسب طلبهِ

كان في مؤلفات ملانكثون رائحة القدم ولكنها لم تمنع رائحة المسيح الحلوة عن التضوُّع من كل قسم منها فجعلت لها رونقًا لا يوصف ولا يوجد مكتوب من مكاتيبهِ الى اصدقائهِ لايذكرنا على اكمل اسلوب بحكمة هوميروس وافلاطون وشيشرون وافلينيوس وبان المسيح معلمهُ والههُ ولما سألهُ سبالاتين عن معنى قول المسيح بدوني لستم تقدرون ان تعملوا شيئًا (يو ١٥ : ٥) احالهُ على لوثيروس قائلاً . قال المثل القديم كيف اعمل عملاً وروشيبوس حاضر (ويوافق ذلك المثل الاسلامي اذا حضر الماء بطل التيمم) ثم استطرد قائلاً ان معنى هذه الآية

انهُ يجب علينا ان نتحد بالمسيح بحيث لا نعمل نحن انفسنا بل المسيح يحيا فينا وكما ان الطبيعة الالهية قد اتحدت بالطبيعة البشرية في اقنوم المسيح كذلك يجب ان الانسان يتحد مع المسيح يسوع بالايمان

وكان هذا العالِم الشهير من عادتهِ ان ينام بعد العشاء بقليل ويقوم باكرًا جدًّا الى درسهِ وفي تلك الساعات الباكرة ألَّف احسن تصانيفهِ وكانت مسوداتهُ في الغالب على المائدة عرضة لنظر كل زائر وبهذه الواسطة سُرِق بعضها وعندما دعا اصدقاءهُ الى بيتهِ كان يطلب من احدهم ان يقرا قبل الجلوس على المائدة بعض القطع من الشعر او النثر ومن عادتهِ ايضًا ان ياخذ بعض الشبان معهُ في اسفارهِ ويتكلم معهم على طريق مطرب ومفيد واذا انقطع الحديث يتلو كل واحد بالدور قطعًا من الشعراء القدماء وكثيرًا ما استخدم التهكم الَّا انهُ اصلحهُ بوداعة عظيمة وقال عن نفسهِ انهُ يخمش ويعض غير انهُ لا يؤذي . وكان كل غرامهِ في العلوم وعملهُ العظيم في حياتهِ نشر العلوم والمعارف ولا ننسى انهُ فضَّل كثيرًا الكتب المقدسة على كتب العلماء الوثنيين قال انني انصبُّ على شيءٍ واحد فقط وهو المحاماة عن العلوم فبواسطة مثالنا نحث الشبان على محبة العلوم ونغريهم على محبتها من اجل نفسها لا من اجل المنفعة التي قد تحدث لهم منها . فاندثار العلوم يتولد منهُ خراب كل ما هو صالح اي الديانة والآداب والاشياء الالهية والبشرية وفضل الانسان بالنسبة الى غيرتهِ على حفظ العلوم لانهُ يعلم ان الجهل وبأ اضرُّ جميع الاوبئة

وبعد زواج ملانكثون بقليل سافر برفقة كاميراريوس واصدقاء آخرين الى برَتَن لكي يزور امهُ العزيزة وعندما اشرف على مسقط راسهِ نزل عن فرسهِ وركع وادَّى الشكر لله لانهُ اذن لهُ ان يراهُ مرةً ايضًا واما مرغريتا فكاد يغمى عليها من الفرح عندما عانقت ابنها ثم طلبت منهُ ان يبقى في برتَن وترجتهُ بشدة ان يتمسك بايمان آبائهِ فاستعفى ملانكثون من ذلك ولكن بلطافة عظيمة لئلَّا يجرح قلب امهِ وقاسى صعوبة عظيمة في فراقها ايضًا وكلما اتاهُ سائحٌ بخبر من

مدينة ميلادهِ ابتهج كأنَّ افراح صبائهِ عادت اليهِ فهذه هي سيرة اعظم ادوات الحركة الدينية التي حدثت في القرن السادس عشر

ثم حدث اضطراب شوَّش هذه الامور الاهلية واجتهاد وتمبرج في الدرس وذلك من مشاجرات بين التلامذة واهالي البلدة وفيها اظهر الرئيس ضعفًا عظيمًا ويعسر ان نتصور كم كانت كآبة ملانكثون عند ما راى التعديات التي ارتكبها تلاميذ العلوم هولاء واغتاظ لوثيروس جدًّا ولم يرغب مطلقًا في ان يربح اسمًا بواسطة مصالحة غير لائقة فالمثالب التي اوقعتها هذه الحركة على المدرسة جرحتهُ الى قلبهِ فتبوَّأ المنبر ووعظ بعزم ضد هذه المشاجرت طالبًا من الفريقين ان يخضعوا للولاة فحصل غيظ شديد من وعظهِ وقال في احد مكاتيبهِ ان الشيطان اذ كان غير قادر ان يقاتلنا من الخارج يريد ان يضرَّنا من الداخل وانا لست اخافهُ ولكنني اخاف من ان غضب الله يقع علينا لعدم قبولنا كلامهُ على التمام وانا في هذه الثلث سنين الاخيرة قد عُرِّضت ثلاثًا لخطر عظيم وذلك في اوجسبرج سنة ١٥١٨ وفي ليپسك سنة ١٥١٩ والآن في وتمبرج سنة ١٥٢٠ ولا يمكن تجديد الكنيسة بواسطة الحكمة ولا السلاح بل بواسطة صلاة متواضعة وايمان جسور يضع المسيح الى جانبنا فيا صديقي العزيز اقرن صلواتك بصلواتي كيلا يستعمل الروح الخبيث هذه الجذوة الصغيرة فيحدث احراقًا عظيمًا

الفصل السادس

الانجيل في ابطاليا . عظة على القداس . سبي الكنيسة البابلي . المعمودية .

نفي النذور الاخر . تقدم الاصلاح

ان مجاهدات اشدَّ مما تقدم ذكرها بقيت للوثيروس فان رومية كانت تصقل السيف العتيدة ان تضرب بهِ الانجيل وخبر الحرم المزمع عن قريب ان

يقع عليهِ عوضاً عن ان يضعف عزمهُ قوّاهُ وشددهُ ولم يعتنِ بوسائط للتوقية من ضربات تلك القوة المتكبرة بل نوى ان يقاومها بضربات اشد وبينما كانت الجماعات الايطالية ترعد باللعنات ضدهُ حمل سيف كلام الله الى وسط شعوب ايطاليا . والمكاتيب الواردة من مدينة البندقية اخبرت بحسن قبول آراء لوثيروس هناك فاضطرم بالغيرة لكي يرسل الانجيل الى عبر جبال الپا وطلب مبشرين انجيليين يحملونهُ الى هناك . قال ليت لنا كتباً حية اي واعظين وليتنا قادرون على تكثيرهم وحمايتهم في كل مكان لكي يحملوا الى الشعوب معرفة الاشياء المقدسة . والملك لا يمكنهُ ان يباشر عملاً امجد من هذا فان قبل شعب ايطاليا الحق تكون دعوانا حينئذٍ غير متزعزعة . ولا يبان ان مرغوب لوثيروس هذا قد تم . نعم انهُ في السنين المتاخرة سافر اناس انجيليون حتى كلوينوس نفسهُ مدة قصيرة في ايطاليا ولكن مقاصد لوثيروس لم تُجرَ في ذلك الوقت . وكان قد خاطب واحداً من اقوى امراء العالم ولو التجأ الى اناس من رتب دنية مماوئين غيرةً على ملكوت الله لكانت النتيجة نتيجة اخرى . في ذلك العصر غلب الفكر بان الحكومات يجب ان تعمل كل شيء واتحاد العامة تلك القوة التي تحدث الآن حوادث عظيمة جداً في العالم المسيحي كانت غير معروفة الاَّ قليلاً

وان لم ينجح لوثيروس في مقاصدهِ لاجل انتشار الحق في البلدان البعيدة اشتدت غيرتهُ في التبشير بهِ بنفسهِ وفي ذلك الوقت وعظ عظةً عن القداس في وتمبرج فيها طعن في الكنيسة الرومانية بسبب كثرة طوائفها واحزابها ووبخ تلك الكنيسة بالعدل لاجل عدم وحدتها . قال ان كثرة الشرائع الروحية ملأت العالم طوائف واقساماً فان الخوارنة والرهبان والعوام صاروا يبغضون بعضهم بعضاً اكثر مما يبغض المسيحيون الكفار . فماذا اقول . خوارنة يبغضون خوارنة ورهبان يبغضون رهباناً بغضاً مميتاً فكل واحد متعلق بطائفتهِ ويحتقر البقية جميعهم فوحدة المسيح ومحبتهُ قد انتهتا . ثم يدحض التعليم بان القداس

ذبيحة وبان لهُ في نفسهِ قوة . قال ان الشيء الاثمن في كل سرّ وبالنتيجة في الافخارستيا هو مواعيد الله وكلامهُ فمن دون ايمان بهذا الكلام وهذه المواعيد يكون السر ميتًا لانهُ حينئذٍ جسد بلا نفس وقدح بلا خمر وكيس بلا دراهم ورمز بلا مرموز اليهِ وحرف بلا روح ومذخرة بلا جواهر وغمد بلا سيف

ولم ينحصر صوت لوثيروس في وتمبرج . لم يجد رسلاً يحملون تعاليمهُ الى اراضٍ بعيدة ولكن الله اقام رسلاً من نوع جديد . فصارت المطبعة خليفة الانجيليين وهي المدافع المستعملة في هدم الحصن الروماني وكان لوثيروس قد اعدَّ لغمًا زعزع تفرقعهُ ابنية رومية الى اعماق اساساتها وهو نشر كتابهِ المعنون سبي الكنيسة البابلي في ٦ تشرين الاول سنة ١٥٢٠ ولم يظهر قط انسان في حالة خطرة كهذه شجاعة اعظم . وفي هذا التاليف يظهر بتهكم عظيم جميع الفوائد التي هو مديون بسببها لاعدائهِ

قال اني سواءٌ شئت ام لم اشا اصير احكم كل يوم بسبب الحث الذي يحثني كل هولاء المعلمين المشاهير فاني منذ سنتين قاتلت الغفرانات ولكن بشك وخوف اخجل منهما الآن ولا عجب في ذلك لانني كنت وحدي عند ما دحرجت هذا الحجر. ثم يشكر بريربو وآك وامسر وسائر اخصامهِ ثم يستتلي قائلاً . انكرت ان البابا وية من اصل الهي ولكني سابقًا سلمت انها من حق بشري واما الآن فبعد ان اطلعت على جميع الحِيَل التي بها نصبت هذه الجماعة صنمهم صرت اعلم ان البابا وية ليست شيئًا سوى مملكة بابل وظلم نمرود الصياد المقتدر ولهذا اترجى جميع اصدقائي وجميع باعة الكتب ان يحرقوا الكتب التي كتبتها في هذا الموضوع وان يعوضوا عنها بهذه القضية الوحيدة وهي ان البابا وية قنص عامّ في راسهِ الاسقف الروماني لاجل اصطياد النفوس واهلاكها

ثم تقدم لوثيروس الى مقاومة الضلالات المتغلبة في الاسرار والنذور الرهبانية الخ وحوَّل اسرار الكنيسة السبعة الى ثلاثة المعمودية والتوبة وعشية الرب وبعد ان وضح طبيعة هذا العشاء انتقل الى المعمودية وفي الكلام عنها على الخصوص

بيَّن فضل الايمان وقاوم رومية بنشاط . قال ان الله قد حفظ هذا السر وحدهُ خاليًا من التقاليد البشرية فانهُ تعالى قال من آمن واعتمد خلص فوعد الله هذا يجب تفضيلهُ على مجد جميع الاعمال والنذور والوفاء والغفرانات وجميع ابتداعات الانسان فعلى هذا الوعد المقبول بالايمان يتوقف خلاصنا فاذا آمنا تتقوى قلوبنا بالوعد الالهي ولئن ترك الجميعُ المومنَ فهذا الوعد الذي يؤمن بهِ لا يتركهُ ابدًا وبهِ يقاوم العدوَّ الذي يهجم على نفسهِ ويستعد لملاقاة الموت والوقوف امام كرسي الله الديان وتعزيتهُ في جميع بلاياهُ قولهُ ان مواعيد الله لا تغشُّ ابدًا واني قد اخذت عربون صدقها عند اعتمادي واذا كان الله معي فمن يقدر على مقاومتي فما اغنى المسيحي المعتمد لا شيء يقدر ان يهلكهُ الَّا اذا ترك الايمان

وربما اعتُرِض على ما قد قلتهُ في ضرورية الايمان بمعمودية الاطفال . ولكن كما ان كلمة الله قادرة على تغيير قلب الانسان الشرير الذي ليس باقل صمًّا ولا باقل عجزًا من طفل كذلك صلوات الكنيسة تقتدر على كل شيء وتغيير قلب الطفل بواسطة الايمان الذي يسر الله ان يضعهُ في قلبهِ وهكذا ينقيهِ ويجددهُ

قد ذكرنا تعليم لوثيروس في المعمودية ليس لاننا نختم عليهِ بل اظهارًا للصعوبة التي بها تخلص من الضلالات الباباوية التي تربى فيها وبعد ان فسَّر لوثيروس تعليم المعمودية على هذا المنوال استعملهُ سلاحًا ضد الباباوية وبالحقيقة ان وجد المسيحي كل خلاصهِ في تجديد معموديتهِ بالايمان فما هي حاجتهُ الى السنن الرومانية

قال لوثيروس ولهذا السبب احكم انهُ لا بابا ولا اسقف ولا انسان حي لهُ سلطان ان يضع اقل شيء على المسيحي من دون ارادتهِ وكل ما فُرِض عليهِ بدونها فهو ظلم فاننا معتقون من جميع الناس والنذر الذي نذرناهُ في معمودية يتناهى كافٍ بذاتهِ وفوق ما نقدر على تكميلهِ فجميع النذور الأُخر اذًا يسوغ رفضها وليتحقق كل انسان يدخل في الكهنوت او الرهبنة ان اعمال راهب او خوري لا تختلف

في شيء قدام الله عن اعمال فلاّح يحرث ارضهُ او اعمال امرأة تهتم ببيتها بل الله يعتبر كل شيء بقياس الايمان وقد يحدث مرارًا كثيرة ان العمل البسيط الذي يعملهُ خادم او خادمة يكون اكثر قبولاً لدى الله من اصوام راهب واعمالهِ لان هذه خالية من الايمان . الى ان يقول ان المسيحيين هم شعب الله الحقيقي المسبيون الى بابل حيث نُزِع منهم ما كانوا قد اكتسبوهُ بواسطة معمودیتهم

هذه هي الاسلحة التي أُجريت بها الحركة الدينية التي نحن في صدد ذكرها فاولاً قد ثُبّتت ضرورية الايمان ثم استعان بهِ المصلحون آلةً لسحق جميع الخرافات وهم بقوة الله هذه التي تنقل الجبال غلبوا على ضلالات كثيرة وكلام لوثيروس هذا وكلام كثير نظيرهُ انتشر في المدن والاديرة والبلاد وصار خميرًا اختمرت بهِ كل العجنة

ثم ختم لوثيروس ذلك المؤَلَّف المشهور في سبي بابل بهذه العبارات . قد بلغني ان حرومات باباوية جديدة عن قريب تُرسَل ضدي فاذا كان ذلك صحيحًا يجب ان يُحسَب هذا الكتاب قسمًا من رجوعي المستقبل وسوف يلحقهُ الباقي حالاً لاجل التبرهن على طاعتي ومتى تم المؤَلَّف يكون بمعونة الله كتابًا لم ترَ رومية مثلهُ ولا سمعت بنظيرهِ منذ قط

الفصل السابع

مراسلات جديدة . الاوغسطينيون في ايسلابن . رسالة لوثيروس الى البابا

بعد اشهار الكتاب المذكور آنفًا زال كل امل بالمصالحة بين لوثيروس والبابا ومضادة ايمان لوثيروس لتعاليم الكنيسة الرومانية كانت ظاهرة لأَجهل الناس ولكن في ذلك الوقت بعينهِ صارت مراسلات بالصلح جديدة فانهُ قبل اشهار كتاب سبي بابل بخمسة اسابيع في آخر آب سنة ١٥٢٠ انعقد مجمع

الاوغسطينيين العام في ايسلابن فتنازل ستوبتز المحترم عن النيابة العامة فأعطيت لونسسلاس لِنك وهو الذي كان قد رافق لوثيروس الى اوجسبرج كما تقدم ذكرهُ وبينما هم في وسط العمل اذا بملتتس في وسطهم . وهذا الرجل رغب جدًّا في ان يصالح لوثيروس والبابا وذلك من قبل عجبهِ وحرصهِ وحسدهِ وبغضتهِ لانهُ انزعج من آك وافتخاراتهِ وتحقق ان عالِم انكلستادت وشي عليهِ في رومية وكان يود لو يضحّي كل شيء لكي يبطل بواسطة صلح يتمّ بغتةً مقاصد ذلك الخصم العديم الحياء . واما مصالح الديانة فهي امورٌ ثانوية في عينيهِ واخبرنا انهُ كان ذات يوم يتناول الطعام عند اسقف ليسن وان المدعوين بعد ان شربوا كثيرًا من الخمر أُتي بكتاب جديد للوثيروس ووُضع امامهم ففُتح وقرئَ فاغتاظ الاسقف وحالف الوكيل واما ملتتس فضحك ضحكًا قلبيًا . وهو عامل الاصلاح كرجل دنيوي واما آك فعاملهُ كلاهوتي

واذ هاج ملتتس بوصول المعلم آك خاطب مجمع الاوغسطينيين خطابًا اظهر فيهِ لهجة ايطالية قوية يريد بذلك ان يموّه على ابناء بلادهِ الساذجين فقال ان كل رهبنة مار اوغسطينوس ملتوتة بهذا الامر فبينوا لي وسائط قمع لوثيروس . فاجاب آباء المجمع ليس لنا سلطان على هذا العالِم ولا نقدر ان نشير عليك . ولا شك انهم استندوا في ذلك على عتقهِ من واجبات رهبنتهِ الذي كان قد منحهُ اياهُ ستوبتز في اوجسبرج . فاصر ملتتس على طلبهِ وقال للمجمع دعوا عدةً من هذا المجمع المعتبر تذهب الى لوثيروس وتطلب منهُ ان يكتب الى البابا مكتوبًا يحقق لهُ انهُ لم يطعن قط في شخصهِ . وذلك يكفي لانهاء هذه المادة . فاجاب المجمع الى طلب القاصد وارسلوا بحسب طلبهِ لامحالة النائب العام القديم وخليفتهُ اي ستوبتز ولِنك لكي يتكلما مع لوثيروس . فتوجه حالاً هذان الرجلان الى وتمبرج ومعهما مكتوب من ملتتس الى العالِم مشحون عبارات اعظم الاعتبار يقول فيهِ انهُ ما بقي وقت يُضيَّع فان الصواعق المتجمعة على راس المصلح سوف تطلق سريعًا وحينئذٍ يخسر كل شيء

ولم يكن لوثيروس ولا الرسولان يتوقعون فائدة من مكتوب الى البابا غير ان ذلك من جملة الاسباب التي منعتهُ من الإباء عن كتابة مكتوب فان مكتوبًا كهذا انما يكون صورة فقط وواسطة لتبين عدالة دعوى لوثيروس على اوضح منوال . قال لوثيروس ان هذا السكسوني المتخلّق باخلاق الايطاليين (اي ملتتس) لاشك يراعي في هذا الطلب صوالحهُ الخصوصية فليكن اذًا كما يرغب فاني اكتب طبق الحق اني لم اقصد قط قصدًا ضد شخص البابا ويجب عليَّ ان احذر من ان اقاوم كرسي رومية بعنف اشد ولكني انضحهُ بنفس ملحهِ

وبعد ذلك بمدة وجيزة بلغ الدكتور وصول المنشور الى جرمانيا وفي ٢ تشرين الاول قال لسپالاتين انهُ لايكتب الى البابا وفي ٦ منهُ اشهر كتابهُ في سبي بابل الآن امل ملتتس لم يضعف بعد لان رغبتهُ في اذلال آك جعلتهُ يصدق بالمستحيلات وفي ٢ تشرين الاول كتب الى الملك المنتخب مكتوبًا كثير الآمال يقول فيهِ كل شيءٍ ينتهي حسنًا ولكن لاجل محبة الله لاتبطئ ايضًا في ان تدفع لي الفريضة التي انت واخوك قد اعطيتماني اياها في هذه السنين السالفة فانني احتاج الى الدراهم لكي اربح اصدقاء اجدّاء في رومية فاكتب الى البابا وقدِّم هدايا للكردينالين الحدثاء اقارب قداستهِ من قطع ذهب وفضة ضرب السكة المنتخبية واضف اليها قليلاً من اجلي ايضًا لاني قد سُلبت ما اعطيتمانيهِ انتهى . وبعد ان بلغ لوثيروس خبر المنشور لم يقطع ملتتس املاً وطلب مواجهة لوثيروس في لخنبرج فامر الملك المنتخب لوثيروس ان يمضي الى هناك ولكن اصدقاءهُ ولاسيما ملانكثون الحنون قاوموا ذلك وقالوا عجبًا ايسوغ ان يواجه لوثيروس القاصد في مكان بعيد في نفس الدقيقة التي ظهر فيها المنشور الآمر بالقاء القبض عليهِ وحملهِ الى رومية . أليس واضحًا انهُ بما ان المعلم آك لا يقدر ان يدنو من المصلح بسبب الطريقة الظاهرة التي ابدى بها بغضتهُ قد تكفل القاصد المحتال ان يصطاد لوثيروس باشراكهِ

وهذه المخاوف لم تكن لها قدرة على صد العالِم الوتنبرجي . قد امر الامير

وهو يطيع امرهُ وكتب الى خوري الامير في ١١ تشرين الاول يقول انني منطلق الى لختنبرج فصلٍ من اجلي. اما اصدقاؤهُ فلم يتركوهُ ونحو مساء ذلك اليوم نفسهِ دخل الى لختنبرج راكبًا على حصان ومعهُ ثلاثون فارسًا من جملتهم ملانكثون ووصل قاصد البابا بالقرب من ذلك الوقت ومعهُ اربعة انفار فقالوا افلم يكن هذا العدد القليل مجرد حيلة لاجل تطمين لوثيروس واصدقائهِ

والحَّ ملتتس في التماساتهِ واكَّد للوثيروس ان اللوم يُلقَى على آك وعلى عجبهِ الباطل وان كل شيء سوف ينتهي على رضى الفئتين فاجاب لوثيروس جيّد اذًا انا ابقى صامتًا من الآن وصاعدًا بشرط ان يسكت ايضًا اخصامي ولاجل السلام انا مستعد لعمل كل ما اقدر

فامتلأ ملتتس فرحًا ورافق لوثيروس الى وتمبرج فدخل المصلح والقاصد احدهما بجانب الآخر الى المدينة التي كان المعلم آك قد قرب منها معلنًا بيد متهددة المنشور الفظيع الذي قُصِد بهِ ان يسحق الاصلاح. فكتب ملتتس الى الملك المنتخب حالاً قائلاً اننا سوف ناتي بهذا الامر الى نهاية سعيدة فاشكر البابا على الوردة وارسل ايضًا اربعين او خمسين فلورينًا للكردينال رئيس الاقداس الاربعة

فوجب على لوثيروس ان يكمل وعدهُ بالكتابة الى البابا. وقبل ان يودع رومية وداعًا ابديًا رغب في ان ينادي لها مرة اخرى ببعض الحقائق المهمة الشافية. وان قارئين كثيرين لاجل جهلهم بحاسيات الكاتب يحسبون مكتوبهُ كتابة حادة وهجوًا مرًّا افترائيًّا. فجميع الشرور التي اصابت العالَم المسيحي نسبها بنصاحة الى رومية وبناء على ذلك لا يسوغ ان يحسب مكتوبهُ افترائيًا بل يتضمن اهم الانذارات بالنسبة الى عظمة محبتهِ للاون ولكنيسة المسيح رغب في ان يكشف عن جرحها وحمية عباراتهِ هي ميزان تُوزَن بهِ حمية عواطفهِ وتلك هي الفرصة لضرب ضربة محكمة. فكاننا نتصوَّر نبيًّا يطوف حول المدينة المرة الاخيرة يوبخها لاجل شرورها و يعلن احكام القادر على كل شيء ويصرخ قائلاً

بعدَ ايامٍ قليلة الخ

هذه صورة مكتوب لوثيروس

للاب الاقدس بالله لاون العاشر بابا في رومية لتكن كل صحة بالمسيح يسوع ربنا آمين

يا لاون الاب الاقدس بالله لااقدر ان امنع نفسي عن الالتفات نحوك احياناً من وسط القتال الشديد الذي انا آخذٌ فيهِ هذه الثلاث السنين الماضية ضد اصحاب الخلاعة ومع ان جنون متملقيك العديمي التقوى الجأني الى رفع دعواي من حكمك الى مجمع عام مستقبل لم يبتعد قط قلبي عن قداستك ولم اكف قط عن الصلاة دائماً بتنهد عميق لاجل نجاحك ونجاح حبريتك

نعم انني قد قاومت بعض التعاليم المضادة للديانة المسيحية وجرحت اعدائي جرحاً بليغاً لاجل شرهم واني لست اندم على ذلك لان قدوة المسيح امامي فما هي منفعة الملح اذا فقدت ملوحتهُ او حد السيف ان لم يقطع فملعون الانسان الذي يعمل عمل الرب بفتور. فيا لاون المعظم اني فضلاً عن اني لم افتكر قط فكراً رديًّا ضدك ارغب لك افضل البركات للابد فاني لم افعل الا امراً واحداً وهو حفظ كلمة الحق وانا مستعد للخضوع لك في كل شيء ما عدا هذه الكلمة فلا اريد ان اتركها ولا اقدر ان اتركها. ومن افتكر خلاف ذلك عني فانهُ على ضلال

ثم اني قد قاومت بلاط رومية ولكن لا انت ولا رجل آخر على الارض يقدر ان ينكر انهُ افسدُ من سدوم وعمورة وان الشر القائم هناك قد تجاوز كل طمع في شفائهِ. نعم اني قد امتلأت كراهة عند ما رايت شعب المسيح المسكين قد صار لعوبة تحت امضائك وباسمك فقاومت ذلك واقاومهُ ايضاً لا لاني اظن نفسي قادرة على مقاومة متملقيك ولا ان انجح في شيء مقترن ببابل هذه التي هي التشويش نفسهُ ولكنني انا مديون في ذلك لاخوتي لكي يخلص البعض من هذه الضربات الفظيعة اذا امكن

وانت تعلم ان رومية مدة سنين عديدة ماضية قد ملأت العالم بكل ما

يهلك الجسد والنفس وكنيسة رومية التي كانت مرةً العليا في القداسة قد صارت شرَّ مغارة للصوص واوقح جميع بيوت الخلاعة وملكوت الخطية والموت وجهنم بحيث لو ظهر المسيح الكذاب نفسهُ لم يقدر ان يزيد في شرها وكل ذلك اوضح من الشمس في الظهيرة ومع ذلك يا لاون انت تجلس كحمل بين الذئاب وكدانيال في جب الاسود . فماذا تقدر ان تعمل وحدك ضد امثال هؤلاء المسوخ . فربما يوجد ثلثة او اربعة من الكرديناليين يقرنون العلم بالفضيلة ولكن ماذا هم حتى يقاوموا عددًا هكذا عظيمًا . فكنتم جميعًا تموتون مسمومين قبل ان تمتحنوا نوعًا من العلاجات . ونصيب ديوان رومية قد قُضي بهِ وغضب الله عليهِ ولا بد ان يلاشيهُ فانهُ يبغض المشورة الصالحة ويخاف من الاصلاح ولا يخفف خبث فسادهِ ومن ثم يستحق ان يقول الناس عن تلك المدينة كما قالوا عن امها اي عالجنا بابل ولم تشفَ فلنتركها (ارميا ٥١: ٩) وكان يجب عليك وعلى الكرديناليين معك ان تكونوا قد استعملتم العلاج الآن المريض يهزأ بالطبيب والفرس لا يخضع للعنان

واذ انا مملوٌّ محبة لك يا لاون الافضل تاسفت دائمًا على انك انت الذي تستحق اياماً افضل قد ارتقيت الى درجة الحبرية في ايام مثل هذه فان رومية لا تستحقك ولا من يشبهك بل تستحق ان يكون الشيطان نفسهُ ملكًا لها ولا ريب انهُ يملك اكثر منك في بابل هذه فيا ليتك تلقي عنك تلك العظمة التي يمدحها اعداؤُك وتبدلها بعيشة حقيرة او نفقات بميراثك من اسلافك لانهُ ليس احد غير الذين هم كالاسخريوطي يستحق مثل هذه الكرامة .... فيا عزيزي لاون ما هي منفعتك في ذلك البلاط الروماني سوى ان يستخدم ادنى الناس اسمك وسلطانك في خراب الاملاك واهلاك النفوس وتكثير الذنوب والتضييق على الايمان والحق وعلى كل كنيسة الله . فيا لاون يا لاون انت اتعس الناس وتجلس على اشد الكراسي خطرًا . وانا اقول لك الحق لاني اريد لك الخير

هل موجود تحت جلد السماء الوسيع شيءٌ افسد واكره من البلاط الروماني

فانهُ يتجاوز بغير قياس الكفَّار في الرذائل والفساد. كان مرة باب السماء واما الآن فانهُ فم جهنم فم يبقيهِ غضب الله مفتوحًا بفغر عظيم حتى اني عند ما ارى الناس الاشقياء يتكردسون فيهِ لا يمكني الاَّ ان انادي بصوت التحذير كما في العاصف لكي يخلص اقلما يكون البعض من تلك الهاوية الهائلة

فانظر يا لاون ابي لماذا طعنتُ في ذلك الكرسي الذي يتجر بالموت. وانا بعيد عن القيام ضد شخصك بل افتكرت اني اشتغل لاجل صيانتك بمقاومتي بجراءة ذلك السجن او بالحري تلك الجهنم التي انت محبوس فيها واذاء بلاط رومية كل اذاءة ممكنة فمن واجباتك انت وان غطيتهُ بالعار تكون قد اكرمت المسيح وبالاجال كون الانسان مسيحيًّا هو ان لا يكون رومانيًّا

واذ وجدت اني بنجدتي كرسي رومية قد خسرت تعبي ومشاقي دفعت اليها كتاب الطلاق هذا وقلت اني اودعكِ يا رومية فمن كان ظالمًا فليظلم ايضًا ومن كان نجسًا فليتنجس ايضًا (رؤيا ٢٢:١١) وقد تفرغت الى درس الكتب المقدسة بهدو وانفراد وحينئذٍ فتح الشيطان عينيهِ وايقظ عبدهُ يوحنا آك العدو العظيم للمسيح لكي يطلبني للنضال ايضًا ورغب في ان يثبت لا رياسة مار بطرس بل رياسة نفسهِ ولاجل هذه الغاية رغب في ان يقود لوثيروس المغلوب في موكبهِ الغالب وهو سبب كل العار الذي تغطى بهِ كرسي رومية وعليهِ لومهُ . وبعد ان ذكر لوثيروس ما حدث بينهُ وبين دي ڤيو وملتتس استتلى قائلاً

فالآن آتي اليك ايها الاب الاقدس واخرُّ امام قدميك وانضرع اليك ان تلجم ان امكن اعداء السلام هولاء ولكنني لست اقدر ان انقض تعليمي ولا اقدر ان اسمح بوضع قوانين لتفسير الكتب المقدسة لان كلمة الله التي هي الينبوع الذي تصدر عنهُ كل حرية حقيقية لا يجوز ان تقيد

فيا لاون ابي لا تصغَ الى السيارين المتملقين الذين يقنعونك بانك لست انسانًا محضًا بل نصف اله وانك تقدر ان تامر وتنهى بكل ما تريدهُ فانك

انت عبد العبيد والمكان الذي تجلس فيهِ هو اشد المجالس خطرًا واشقاها فصدّق الذين يذمونك لا الذين يمدحونك وربما كانت جسارة مفرطة مني ان احاول تعليم جلالٍ سامٍ كهذا الذي يجب ان يعلم الجميع ولكنني ارى المخاطر المحدقة بك في رومية واراك تُدفع الى هنا وهناك نظير امواج البحر العاصف فالمحبة تحثني وهو من واجباتي ان اصرخ بالتحذير واسوق الى الأَمن

ولكي لا اظهر فارغ اليدين امام قداستك اقدّم لك كتابًا صغيرًا قد ألَّفتهُ على اسمك وهو يبيّن لك ما هي الموضوعات التي كنت اشتغل بها لو سمح لي متملقوك وهو شيءٌ صغير اذا اعتبر جرمهُ ولكنهُ عظيم اذا اعتبرنا مضمونهُ لانهُ يتضمن خلاصة الحياة المسيحية فاني فقير ولست املك شيئًا آخر فاقدمهُ لك وعدا ذلك هل تحتاج الى شيءٍ غير المواهب الروحية واني اطلب رضى قداستك التي اطلب من الرب يسوع المسيح ان يحفظها الى الابد آمين

الكتاب الصغير الذي قدمهُ لوثيروس للبابا هو خطابهُ عن الحرية المسيحية الذي يوضح فيهِ المصلح بطريق لا يُردُّ كيف انهُ من دون تعطيل الحرية المعطاة بالايمان يقدر المسيحي ان يخضع لجميع السنن الخارجية بروح الحرية والمحبة ووضع اساسًا لكل البراهين قضيتين وهما ان المسيحي حرٌّ وسيد في جميع الاشياء وان المسيحي هو في عبودية وعبد في كل شيءٍ وللكل . حرٌّ وسيد بالايمان وعبد ورقيق بالمحبة . فوضح اولاً قوة الايمان في جعل المسيحي حرًّا . قال ان الايمان يقرن النفس بالمسيح كالزوجة بزوجها وكل ما للمسيح يصير خاصة النفس المومنة وكل ما للنفس المومنة يصير ملكًا للمسيح والمسيح يملك كل بركة والخلاص الابدي فهما حينئذٍ ملك النفس والنفس تملك كل رذيلة وخطية فتصير بعد ذلك خاصة المسيح وعند ذلك تبتدي المبادلة. المسيح الذي هو اله وانسان والذي لم يخطي قط وليس في قداستهِ دنس القادر على كل شيءٍ الابدي يخصص بنفسهِ بواسطة خاتم زواجهِ اي بواسطة الايمان كل خطايا نفس المؤْمن فتبتلَع تلك الخطايا وتُفقَد فيهِ اذ لا خطية تقدر ان تقف امام برهِ

غير المحدود وهكذا بواسطة الايمان تخلص النفس من كل خطية وتتسربل ببرّ عريسها يسوع المسيح الابدي فيما لهُ من اتحاد مبارك . العريس الغني الشريف الطاهر يسوع المسيح يتحد زواجًا بتلك الزوجة المسكينة المذنبة المحتقرة . وينقذها من كل شر ويزينها باثمن البركات . فالمسيح الكاهن والملك يشارك كل مسيحي بهذه الكرامة والمجد والمسيحي هو ملك وبالتالي يملك جميع الاشياء وهو كاهن وبالتالي يملك نعمة الله والايمان لا الاعمال ياتي بهِ الى هذه الكرامة والمسيحي معتق من جميع الاشياء وفوق جميع الاشياء اذ يعطيهِ الايمان كل شيءٍ بفيضان . وفي القسم الثاني من خطابهِ بيَّن لوثيروس الحق من جهة اخرى قال ولئن كان المسيحي قد جُعِل حرًّا على هذا المنوال فانهُ يصير باختيارهِ عبدًا لكي يعمل نحو اخوتهِ كما فعل الله نحوهُ بيسوع المسيح واني ارغب في ان اخدم بحرية وفرح ومجانًا ابًا قد اسبغ عليَّ هكذا كل فيضان بركاتهِ واريد ان اصير كل شيءٍ لقريبي كما صار المسيح كل شيءٍ لي . ثم قال من الايمان تصدر محبة الله ومن المحبة تصدر سيرة موعبة حرية واحسانًا وفرحًا آهٍ ما اشرف واسمى هذه الحياة ولكن وا اسفاهُ انهُ لا يعرفها احد وليس احد ينادي بها فانهُ بالايمان يصعد المسيحي الى الله وبالمحبة ينزل الى الانسان الَّا انهُ مع ذلك يسكن دائمًا مع الله فهذه حرية حقيقية حرية تفوق كل ما عداها كما ترتفع السموات على الارض

هذا هو التاليف الذي بعثهُ لوثيروس بمكتوبهِ الى لاون العاشر

الفصل الثامن

المنشور في جرمانيا عمومًا وفي وتمبرج خاصةً

وبينما خاطب المصلح الحبر الروماني المرة الاخيرة على المنوال المذكور صار المنشور الذي حُرِم بموجبهِ بين ايدي رؤساء كنيسة جرمانيا وعلى باب وطنهِ

والظاهر انهُ لم يكن شك في رومية بنجاح ذلك الامر الذي باشروهُ ضد الاصلاح وكان البابا قد عيَّن اثنين من اكابر بلاطهِ وهما كراشيولي والياندر لكي يحملاهُ الى رئيس اساقفة منتز لكي يجريهِ واما آك نفسهُ فظهر في سكسونيا كالمنادي بالعمل الحبري العظيم ومحركهِ. ترددوا في رومية مدة طويلة من جهة مَن يرسلونهُ من قبلهم وبعد ما أُرسل آك كتب واحد من سكان رومية بالقرب من ذلك الوقت قائلاً ان آك كان بنوع خصوصي لائقًا بهذه الرسالة لجراءتهِ وريائهِ واكاذيبهِ وتملقهِ وغيرها من الرذائل المعتبرة جدًّا في رومية ولكن شدة ميلهِ الى السكر الذي يشمئز منهُ الايطاليون جدًّا كان على نوع ما ضد انتخابهِ الآن صولة محاميهِ فوغر ملك التيجان غلبت اخيرًا ورذيلة السكر تحولت ايضًا الى فضيلة في جانب المعلم آك. قال كثيرون من الرومانيين هو الرجل الذي نحتاج اليهِ لانهُ مَن يناسب هولاء الجرمانيين السكيرين غير قاصد سكير فان وقاحتهم لا تكبح الَّا بوقاحة مثلها وعدا ذلك قالوا سرًّا ان هذه الرسالة لا يقبلها رجلٌ صادق ولا صاحب شيمة ولو وُجِد مَن هو على هذه الصفة وقبل هذه الرسالة لتركها سريعًا من شدة خطرها. وترايا عندهم حسنًا ان يسموا الياندر رفيقًا للمعلم آك قال قوم انهما سفيران فاضلان وكلاهما لائقان بنوع عجيب بهذا العمل ومتساويان على التمام في الوقاحة والحماقة والدعارة

ان عالِم انكلستادت كان قد شعر اكثر من الجميع بقوة محاربة لوثيروس وراى الخطر وبسط يدهُ لكي يثبت بناء رومية المتزعزع وهو في راي نفسهِ الاطلس الحامل على كتفيهِ المتينتين العالم الروماني القديم المتمائل يومئذٍ الى السقوط واذ افتخر بنجاح سفرهِ الى رومية وبالرسالة التي قبلها من الحبر الاعظم وبالظهور في جرمانيا تحت لقب جديد اي مسجل اول ورسول باباوي وافتخر بالمنشور الذي بيديهِ المتضمن حرم خصمهِ العنيد اعتبر رسالتهُ هذه غلبة اعظم من جميع الغلبات التي فاز بها في هنكاريا وباڤاريا ولمبارديا وسكسونيا وحصل على شهرة عظيمة بواسطتها الآن تلك الكبرياء كانت عتيدة ان تسقط عن قريب

فان البابا بتفويضهِ اذاعة المنشور الى آك ارتكب غلطًا من شانهِ ان يبطل تاثيرهُ لان تلك المنزلة العظيمة المعطاة لانسان لم يكن لهُ مقام سامٍ في الكنيسة اغاظت جميع اصحاب العقل والاساقفة المعتادين على قبول المناشير من الحبر الروماني راسًا فاغتاظوا من اذاعة ذلك المنشور في ابرشيتهم عن يد قاصد اقيم في ذلك الوقت والشعب الذي ضحك على المتوهم بالغلبة في ليبسك عندما هرب الى ايطاليا تعجب وغضب عند ما رآهُ راجعًا من وراء جبال الالبا حاملاً علامة قاصد باباوي ولهُ سلطان ان يسحق رجال جرمانيا المنتخبين اما لوثيروس فاعتبر ذلك الحكم المجلوب بواسطة خصمهِ الحقود انتقامًا شخصيًا فصار الحرم في فكرهِ كما يخبرنا بلاويشني سيفًا مستترًا بيد عدو قاتل لا قصاصًا شرعيًا بيد حاكم روماني . وتلك الورقة لم تُعد تعتبر منشور الحبر السامي بل منشور المعلم آك وهكذا كلّ حدّهُ وضعف سلفًا بواسطة نفس الانسان الذي اعدّهُ

وكان عالم انكلستادت قد اسرع كل الاسراع الى سكسونيا لانهُ هناك حارب ورغب في ان يظهر غلبتهُ هناك ونجح في تعلق المنشور في ميسن ومرسيبرج وبرندنبرج في اواخر ايلول الّا انهُ في الاولى من تلك المدن عُلّق في مكان لم يستطع احد ان يقراهُ فيهِ واساقفة الثالثة الكراسي لم يجتهدوا في اذاعتهِ حتى ان محاميهُ العظيم الدوك جرجس نهى مجلس ليبسك عن اشهارهِ قبل اتيان امر من اسقف مرسيبرج وهذا الامر لم يأتِ حتى بعد سنة وظن آك ان تلك التصعّبات انما هي صورة فقط لان كل الاشياء وافقتهُ من الجهات الأُخر فالدوك جرجس نفسهُ ارسل لهُ كاسًا مذهبة ملآنة ليرات وملتتس الذي كان قد اسرع الى ليبسك عند ما بلغهُ خبر قدوم خصمهِ دعاهُ الى العشاء وكان القاصدان يحبان البذخ فظن ملتتس انهُ يختبر خصمهُ على اكمل منوال بواسطة الكاس . قال خادم البابا انهُ بعد ان شرب آك بافراط ابتدا يفتخر افتخارًا بليغًا واظهر منشورهُ واخبر كيف انهُ نوى ان يرد لوثيروس الردي الى عقلهِ . وبعد قليل

وجد عالم انكلستادت ان الريح انقلبت عليهِ وانهُ حدث في ليپسك تغير عظيم في السنة الماضية . وفي عيد مار ميخائيل علّق بعض التلاميذ في عشرة اماكن مختلفة اوراقًا هجي بها القاصد هجوًا حادًا فهرب خوفًا الى دير مار بولس حيث كان قد التجا تتزل قبلهُ ولم يكن يقبل ان يواجه احدًا واقنع الرئيس ان يؤدب هولاء الاخصام الشبان ولكنهُ لم يربح الاَّ قليلاً بتلك الواسطة لان التلامذة كتبوا نشيدة ضده كانوا يغنونها في الازقة وسمعها آك من ملجئهِ وحينئذٍ ضاعت كل شجاعتهِ وهذا البطل القوي ارتعد في جميع اعضائهِ وكل يوم اتتهُ مكاتيب تهديد واتى مئة وخمسون تلميذًا من وتمبرج ينادون بجراءة ضد الرسول الباباوي فلم يعُد الرسول الباباوي التعيس يمكنهُ الثبوت . قال لوثيروس ليست لي ارادة مطلقًا بقتلهِ ولكنني ارغب في تقصير مقاصدهِ . فترك آك ملجاهُ ليلاً وهرب سرًا من ليپسك وذهب وتخبأ في كوبرج وكان ملتتس الذي اخبر بهذه الواقعة يفتخر بها اكثر من المصلح نفسهِ وهذا الانتصار لم يدُم زمانًا طويلاً لان جميع طرق الصلح التي ابتدعها خادم البابا قصرت وانتهت الى نهاية محزنة واذ كان ملتتس سكرانًا سقط في نهر الرين في منتز وغرق

اما آك فبعد ذلك رجعت اليهِ شجاعتهُ بالتدريج فانطلق الى مدرسة ارفرث التي كان لاهوتيوها من حساد عالم وتمبرج وحرّض على وجوب اذاعة المنشور في تلك المدينة فقبض التلاميذ على نسخهِ ومزقوها اربًا وطرحوها في النهر وهم يقولون هي بُلاّ (فقاعة) فدعوها نعوم ولما بلغ ذلك لوثيروس قال ان ورقة البابا هي فقاعة حقيقية

ولم يجسر آك ان يحضر الى وتمبرج بل ارسل المنشور الى الرئيس متهددًا اياهُ باخراب المدرسة ان لم يوافقهُ في ذلك وكتب في الوقت نفسهِ الى الدوك يوحنا اخي فردريك وشريكهِ في الحكم يقول لا تغلط في معنى مقاصدي فاني اناضل عن الايمان مناضلة تكلفني عناية زائدة وتعبًا ودراهم . ولم يستطع اسقف برندنبرج ان يمارس سلطانهُ كقاضٍ في وتمبرج لو اراد لان المدرسة كانت

محمية بحقوقها ولوثيروس وكارلستادت المحرومان جميعًا بالمنشور دُعِيا للحضور في المشورة التي انعقدت بسببهِ . قال الرئيس بما ان المنشور غير مصحوب بمكتوب من البابا لا يرتضي باذاعتهِ . وكانت المدرسة سطوة على البلدان المجاورة اكثر من سطوة البابا نفسهِ وكانت احكامها بمنزلة رسم لحكم الملك المنتخب وهكذا الروح الذي كان في لوثيروس غلب على منشور رومية

واذ كان هذا الامر يهيج عقول الجمهور بشدة في جرمانيا سُمِع صوت رصين في بلاد اخرى من اقاليم اوروبا . فقام رجل سبق ورأى الانشقاق العظيم الذي يحدثهُ منشور البابا في الكنيسة ونطق بنصائح مهمة محاميًا عن المصلح وهو الخوري السويسري المذكور سابقًا اي اولريخ زونكل الذي من دون اتصال صداقة مع لوثيروس كتب رسالة مملوة من الحكمة والجلال وهي بكر تصانيفهِ العديدة . وجذبتهُ المحبة الاخوية نحو المصلح فقال ان تقوى الحبر تستدعي منهُ ان يضحي اعز الاشياء اليهِ لاجل مجد المسيح ملكهِ وسلام الكنيسة العامة ولا شيءٌ اضر على جلالهِ من ان يحامي عنهُ بالرشوة والتخويف حتى انهُ قبل ان تُقرا كتابات لوثيروس نودي باسمهِ بين الشعب اراتيكيًا ومشاقًا وسُمّي المسيح الكذّاب نفسهُ ولم يكن احد قد نصحهُ ولا احد اقنعهُ . طلب الجدال واما هم فاقتنعوا بشجبهِ والمنشور الذي قد أُشهر ضدهُ يغيظ الذين يكرمون عظمة البابا ايضًا لانهُ مشحون دلائل بغض بعض الرهبان العاجزين ولا فيهِ ما يليق بالطف حبر نائب المخلص المملو محبة . وجميع الناس يقرّون بان تعليم انجيل يسوع المسيح الحقيقي قد أُفسد كثيرًا وباننا نحتاج اصلاحًا مشتهرًا ظاهرًا في الشرائع والآداب . فانظر الى جميع اصحاب العلم والفضيلة فانهم بالنسبة الى خلوصهم اشتد تعلقهم بالحق الانجيلي وقل تشككهم من كتابات لوثيروس ولا احد الاَّ ويقر بان تلك الكتب قد اصلحتهُ ولو كان فيها عباراتٌ لا تعجبهُ فليُنتخب اناس اصحاب تعليم خالص واستقامة مشهورة ودع الامراء الذين لا ريب فيهم اب الامبراطور كرلوس وملك انكليترا وملك هنكاريا انفسهم يعينون المحكمين وليقرا

هولاء الناس مصنفات لوثيروس ويسمعوا منهُ شخصيًا وليثبت الحكم وليغلب تعليم المسيح وحقهُ

وهذا الراي الخارج من بلاد سويسرا لم تكن لهُ نتيجة فان الطلاق العظيم كان لابد من اكمالهِ والعالم المسيحي لابد من تمزيقهِ شطرين لانهُ في نفس جراحاتهِ العلاج لكل امراضهِ

الفصل التاسع

استغاثة لوثيروس بالله . راية في المنشور . الحرق في لوڤين

فليت شعري ما هي فائدة كل تلك المقاومة من طلبة العلم والرؤساء والخوارنة فلو اتحدت يد كرلوس القوية مع يد البابا ألآ تسحقان هولاء العلماء والنحاة فمن يقدر ان يقاوم قوة حبر العالم المسيحي وامبراطور الغرب . قد أُطلق السهم ولوثيروس قد قُطِع من الكنيسة ومات الانجيل بالظاهر وفي تلك الساعة الهائلة لم يخفِ المصلح عن نفسهِ الاخطار المحدقة بهِ ورفع نظرهُ نحو السماء واستعد لقبول الضربة المقصود بها هلاكهُ كانها من يد الرب واستراحت نفسهُ عند اسفل عرش الله فقال ماذا يحدث لااعلم ولاابالي بان اعلم غير انني متحقق ان الذي يجلس في السماء قد راى منذ الازل بداءة هذا الامر وسيرهُ ونهايتهُ فاينما لحقتني الضربة لا اخاف لان ورقة شجرة لا تسقط الى الارض من دون ارادة ابينا فكم بالاولى نحن انفسنا ..... وانهُ لامرٌ زهيد ان نموت لاجل الكلمة لان هذا الكلمة قد تجسد لاجلنا ومات اولاً ونحن سوف نقوم معهُ اذا متنا معهُ وننطلق الى حيثما ذهب قبلاً ونصل الى حيث وصل ونسكن معهُ الى الابد

وبعض الاحيان لم يستطع لوثيروس ان يضبط الاحتقار الذي احتقر بهِ حِيَل اعدائهِ وحينئذٍ ظهر منهُ ذلك المزيج من السمو والتهكم الطبيعيين لهُ . قال

انني لا اعرف شيئًا عن آك سوى انهُ قد وصل بلحية طويلة ومنشور طويل وكيس طويل ولكنني اضحك على منشورهِ . وفي ٣ تشرين الاول أُخبر بمنشور البابا فقال قد حضر اخيرًا هذا المنشور الروماني فانني احتقرهُ واقاومهُ لانهُ نفاقيٌّ وكاذب وعمل لائق بآك من كل وجهٍ فان المسيح نفسهُ هو الذي شُجب فيهِ وهو لا يتضمن اسبابًا لحرمي فانني بهِ قد طُلبت الى رومية لا لكي يُسمَع لي بل لكي آكل كلامي فاحسبهُ تزويرًا ولئن كنت اعتقدهُ صادقًا فيا ليت كرلوس الخامس يتصرف كرجل ويضاد لاجل حب المسيح هذه الارواح الخبيثة واني لافرحنَّ بالتزامي بان احتمل هذه الشرور لاجل احسن الامور واشعر باعظم حرية في قلبي لاني اخيرًا قد عرفت ان البابا هو المسيح الكذاب وان كرسيهُ هو كرسي الشيطان نفسهِ

ولم يكن في سكسونيا وحدها ان رعود رومية احدثت رعدة بل عائلة من سوابيا خالية الغرض أُقلقت بغتةً راحتها . كان هناك رجل اسمهُ بليبلد بركهيمر من نورمبرج من اشهر رجال عصرهِ ماتت زوجتهُ المحبوبة باكرًا فتعلق اشد التعلق باختيهِ اسم الواحدة محبة وهي رئيسة دير القديسة كلير واسم الاخرى كلارا وهي في الدير المذكور وهاتان الصبيتان التقيتان كانتا تعبدان الله في ذلك الدير وتقسمان زمانهما بين الدروس والاهتمام بالفقراء والتامل بالحياة الابدية . اما بليبلد المتوظف بوظائف سياسية فتسلى عن همومهِ بواسطة مكاتبتهما وكانتا عالمتين وقرأتا اللاتيني ودرستا كتب الآباء الأ انهُ لم يكن شيء لا تحبانهِ مثل الكتب المقدسة ولم يكن قط لهما معلم الأ اخاهما وكانت مكاتيب محبة فيها دلائل عقل لطيف محب واذ احبت بليبلد اخاها محبة مفرطة خافت اقل خطر عليهِ ولكي يشجع بركهيمر هذه الاخت الخويفة أَلَّف محاورة بين كاريتاس وڤاريتاس اي بين المحبة والصدق تجتهد فيها ڤاريتاس ان تمنح كاريتاس ثقةً ولم يكن ممكنًا تاليف مؤلف اكثر تاثيرًا ولا اكثر مناسبة لتعزية قلب لطيف مضطرب . فكم اشتد الخوف في قلب محبة عند ما بلغها الخبر بان اسم

بليبلد قد عُلِّق تحت منشور البابا على ابواب الكنيسة بجانب اسم لوثيروس فالواقع هو ان آك بعي قلبهِ اشرك مع لوثيروس ستةً من اشهر رجال جرمانيا وهم كارلستادت وفلدكرخن واغرانوس الذي لم يعبا بذلك الاَّ قليلاً وادلمان وبركهيمر وصديقهُ سبانجلر الذين جعلتهم وظائفهم المشتهرة يشعرون بنوع خصوصي بهذا الافتراء فاشتد القلق في دير القديسة كليرا . كيف تحتملان عار بليبلد وليس شيءٌ يؤلّم الاقارب كما تؤلمهم تجارب كهنة وكان الخطر بالحقيقة شديدًا . وباطلاً توسلت مدينة نورمبرج واسقف بمبرج وكذلك امراءُ بفاريا لاجل سبانجلر وبركهيمر فالتزم هذان الرجلان الكريمان ان يتذللا امام المعلم آك الذي جعلهما يشعران بعظم قدرهِ والزمهما الى ان يكتبا الى البابا يعلنان انهما لم يتمسكا بتعاليم لوثيروس الاَّ في ما تطابق الايمان المسيحي وفي ذلك الوقت نفسهِ التزم ادلمان (الذي كان آك قد جادلهُ مرةً) عند ما نهض عن المائدة بعد المحاورة في القضية العظيمة التي اشغلت حينئذٍ كل العقول ان يمتثل امام اسقف أوجسبرج ويبرّر نفسهُ بحلف من كل شركة في الارتقة اللوثيرية الآن الانتقام والغضب كانا مشيرين رديين على آك فاسم بليبلد واسماءُ اصدقائهِ اوقعت شبهة في المنشور وصفات هولاء الفضلاء وكثرة اصحابهم كانت سببًا لزيادة الهياج العمومي

وفي اول الامر تظاهر لوثيروس بالشك في صدق المنشور. قال في اول كتاباتهِ في هذا الباب قد سمعت بان آك اتى بمنشور جديد من رومية يشبههُ بهذا المقدار حتى يصلح ان يسمّى المعلم آك لانهُ مشحون كذبًا وغيًّا وهو يوهم علينا انهُ من قبل البابا والحال انهُ ليس الاَّ تزويرًا. وبعد ذكر اسباب شكوكهِ ختم كلامهُ بقولهِ لا بد ان ارى بعيني الرصاص والختم والنسق والكلام والامضاء التي للمنشور وبالاختصار المنشور كلهُ قبل ان اعتبر هذه الضجات بمقدار قشة

ولم يشك احدٌ ولا لوثيروس نفسهُ بانهُ قد صدر من البابا وكانت جرمانيا تتوقع ما يفعلهُ المصلح في تلك الظروف هل يثبت ام لا. فكانت كل العيون

محدقة بوتمبرج واما لوثيروس فلم يترك معاصريه زمنًا طويلاً في حالة الانتظار بل اجاب بطلق هائل اذ اذاع في رابع تشرين الثاني سنة ١٥٢٠ رسالتهُ المعنونة ضد منشور المسيح الكذاب. قال ما افظع الاضاليل والاخاديع التي دبت بين الشعب المسكين تحت رداء الكنيسة وعصمة البابا المدَّعى بها فكم النفوس التي هلكت بذلك وكم الدم الذي سُفِك وكم من الابرياء قُتلوا وكم من الممالك التي خربت

ثم قال بعد ذلك بقليل متهكمًا انني اقدر ان اميز بعض التمييز بين الحذاقة والخبث ولا اكترث كثيرًا بخبث كذا خالٍ من الحذاقة. اما احراق الكتب فامرٌ هين جدًّا حتى ان الاولاد يقدرون عليهِ فكم بالحري الاب الاقدس وعلماؤهُ والاجدر بهم ان يظهروا علمًا اعظم من المطلوب لاحراق الكتب وفوق ذلك دعهم يلاشون مؤلفاتي فاني لا ارغب في شيءٍ اكثر من ذلك لان كل ارادتي هي ان اقود النفوس الى الكتاب المقدس حتى يتركوا فيما بعد مصنفاتي. وليت شعري اذا عرفنا الكتب المقدسة فما الحاجة الى كتبي. حتى قال انني حرٌّ بنعمة الله والمناشير لا تعزيني ولا تخيفني فان قوتي وتعزيتي هما في مكان حيث لا تقدر الناس ولا الشياطين ان يصلوا اليهما

ان القضية العاشرة من قضايا لوثيروس التي حرمها البابا قد رُسمت هكذا. لا تُغفَر خطايا انسان ما لم يؤْمن بانها قد غُفِرَت عند ما يحلهُ الكاهن. والبابا بحرمهِ تلك القضية انكر ضرورية الايمان في السر فقال لوثيروس بزعمون بعدم لزوم الايمان بمغفرة الخطايا عند ما نقبل الحلة من الكاهن فماذا يجب ان نعمل اذًا. اصغوا ايها المسيحيون الى هذا الخبر من رومية فانهُ قد نُطق بالحرم على قانون الايمان الذي نقرُّ بهِ عند ما نقول اومن بالروح القدس وبالكنيسة الكاثوليكية المقدسة وبمغفرة الخطايا. فلو تحقق عندي ان البابا قد اصدر هذا المنشور حقًا في رومية (وهو لم يشك في ذلك) وانهُ لم يُخترع من آل رئيس الكذابين لكنت ارغب ان انادي في مسامع جميع المسيحيين بانهُ يجب عليهم ان

يحسبوا البابا المسيح الكذاب الحقيقي المذكور في الكتب المقدسة وان لم يكف عن شجب ايمان الكنيسة جهارًا فليقم السيف الزمني ضدهُ لا ضد الكفار لان الكفار ياذنون لنا ان نؤْمن واما البابا فانهُ ينهانا عن الايمان

وبينما تكلم لوثيروس هكذا بشدة كانت الاخطار تتزايد عليهِ وعزم اعداؤُهُ على طردهِ من وتمبرج لانهُ اذا امكن فصل لوثيروس وتمبرج يهلك لوثيروس وتمبرج معًا وهذه الضربة الواحدة تريح رومية من العالم الاراتيكي والمدرسة الاراتيكية جميعًا فالدوك جرجس واسقف مرسيبرج ولاهوتيو ليپسك اخذوا في هذا العمل سرًّا وعند ما بلغ لوثيروس ذلك قال اني واضع كل الامر بيدي الله . وهذه الحيل لم تكن من دون تاثير لان ادريانوس معلم العبراني في وتمبرج دار بغتةً ضد لوثيروس . اقتضى ايمان عظيم لاحتمال الضربة الصادرة من بلاط رومية وبعض الجماعة لا يرافقون الحق الاَّ الى حد معلوم ومنهم ادريانوس . فخاف من هذه الدينونة فترك وتمبرج وانطلق الى المعلم آك في ليپسك . فاخذ المنشور مفعولهُ بعض الاخذ ولم يكن صوت حبر العالم المسيحي بلا فعل بالتمام فان النار والسيف كانا قد علما الناس الطاعة لاحكامهِ مدة قرون كثيرة والحاريق المضرمة أُقيمت عند صوتهِ وترايا كانَّ مصيبة عظيمة تنهي عن قليل التمرد الجسور الذي احدثهُ هذا الراهب الاوغسطيني . وفي تشرين الاول سنة ١٥٢٠ أُخذت كتب لوثيروس من عند جميع باعة الكتب في انكلستادت ووُضعت تحت الختم والمنتخب رئيس اساقفة منتز مع انهُ كان لطيفًا جدًّا اضطرهُ الامر الى نفي اولريخ هوتن من قصرهِ والى حبس طبَّاعهِ . وضايق رسل البابا كرلوس الامبراطور الفتى حتى وعدهم بانهُ يحامي عن الديانة القديمة. فاقيم في بعض املاكهِ الموروثة مرتفعات أُحرِقت عليها كتب الاراتيكي وامراء الكنيسة ورؤساء البلاد حضروا في ذلك

اما آك فاساء التصرف وتهدد في كل جهة الاكابر والعلماء وملأ الدنيا بدخانهِ على قول ايراسموس. قال ان البابا الذي قلب هذا القدر من الامراء

والاقيال يعرف كيف يرد هولاء النحاة الاشقياء الى حواسهم ويجب ان نقول للامبراطور كرلوس نفسهِ انك لست الاَّ اسكافًا . ورفيقهُ الياندر تعبس مثل معلم الاولاد في مدرسة يتهدد تلاميذهُ بالنضيب وقال لابراسموس سوف نعلم كيف نتوصل الى هذا الدوك فردريك ونعلمهُ العقل وافتخر الياندر جدًّا بنجاحهِ والذي سمع هذا القاصد المتعجرف يتكلم ظن ان النار التي افنت كتب لوثيروس في منتز هي بداءة النهاية . وفي رومية قال بعضهم لبعض ان هذه النيران توصل الرعبة الى اماكن بعيدة وذلك اصاب كثيرون من اصحاب العقول الضعيفة المائلة الى الخرافات . الاَّ انهُ في املاك كرلوس الموروثة وهي وحدها الاماكن التي تجاسروا على اذاعة المنشور فيها قام مرارًا كثيرة الشعب والاشراف وردوا على تلك الاعمال الجبرية بالضحك او بامارات الغضب. قال علماء لوفين عند ما وقفوا امام مرغريتا ملكة البلاد الواطية . ان لوثيروس يقلب الايمان المسيحي . فسألتهم ومَن هو لوثيروس . فاجابوا راهب جاهل فقالت فاذًا اكتبوا انتم الحكماء الكثيرون ضدهُ . واما علماء لوفين فاختاروا طريقًا اسهل . اقاموا بمصروفهم كومة عظيمة من الوقود فاتى جماهير كثيرة الى هناك وكنت ترى الناس حتى تلاميذ المدارس الكلية والرهبان يشقون الجمع الغفير بسرعة حاملين تحت اباطهم كتبًا كثيرة طرحوها في اللهيب فسرت غيرتهم الرهبان والعلماء جميعًا الاَّ انهُ ظهرت الحيلة اخيرًا اي الكتب التي احرقها التلاميذ هي من تصانيف اللاهوتيين البابا ويين لا من كتب لوثيروس

اما امير نسو نائب الامبراطور في هولاندا فلما استاذن منهُ الدومينيكيون ان يحرقوا كتب لوثيروس اجابهم اذهبوا ونادوا بالانجيل كما يفعل لوثيروس فلا تلتزمون ان تشكوا من احد . واذ وقعت المفاوضة على لوثيروس في وليمة كان فيها اكابر امراء المملكة قال امير روانستين بصوت عالٍ انهُ في مدة اربعة قرون تجاسر مسيحي واحد ان يرفع راسهُ واياهُ يريد البابا ان يميت

واذ كان لوثيروس عالمًا بقوة دعواهُ بقي هاديًا في وسط الشغب الذي

احدثهُ منشور البابا . فقال لسپالاتين لو لم تضيقوا عليَّ بهذا المقدار لكنت ابقى صامتًا لاني اعلم جيدًا ان العمل لا بد من اجرائهِ بمشورة الله وقوتهِ . فالرجل الجبان طلب المناداة ظاهرًا واما القوي فآثر السكوت لانهُ رأَى قوة مخفية عن ابصار صديقهِ فاستتلى قائلاً كونوا مطمئنين . المسيح هو الذي ابتدا بهذه الامور وهو الذي يكملها سواءٌ نُفِيتُ ام قُتِلتُ فان يسوع المسيح هو حاضرٌ هنا والذي هو فينا اعظم من الذي هو في العالم

الفصل العاشر

استغاثة لوثيروس بمجمع عام . احراق لوثيروس منشور البابا . تفسيرهُ الكتاب المقدس

ان واجبات لوثيروس الزمتهُ بالتكلم لكي يظهر الحق للعالم . واذ ضربت رومية ضربتها بيَّن قلة اعتبارهِ اياها . وحرمهُ البابا حرم الكنيسة اما هو فيحرم البابا حرم العالم المسيحي . والى ذلك الوقت كانت اوامر البابا قوية جدًّا اما هو فقاوم حكمًا بحكم فعلم العالم ايهما اقوى . قال اني ارغب في ان اريح ضميري بكشفي لجميع الناس الخطر المحيط بهم . وفي الوقت نفسهِ استعد للاستغاثة ثانيةً بمجمع عام والاستغاثة من البابا بمجمع حُسب ذنبًا لا يُغفَر

وفي ١٧ تشرين الثاني اجتمع كاتب وخمسة شهود من جملتهم كروسيجر قبل الظهر بساعتين في قاعة من قاعات الدير الاوغسطيني حيث سكن لوثيروس واخذ سركتور من ايسلابن المسجل من قِبَل الحكومة يقيد ملخص استغاثة المصلح. قال المصلح بصوت رصين امام هولاء الشهود

بما ان مجمع الكنيسة المسيحية العام هو فوق البابا ولا سيما في قضايا الايمان وبما ان سلطان البابا ليس اعلى بل ادنى من سلطان الكتب المقدسة ليس لهُ حق ان يذبح خراف قطيع المسيح ويلقيها بين انياب الذئاب

فانا مرتينوس لوثيروس الراهب الاوغسطيني ومعلم الكتب المقدسة في وتمبرج بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الذين هم معي او سوف يكونون معي استغيث بهذه الكتابة من لاون البابا الاقدس بمجمع مستقبل مسيحي عام

واني استغيث من البابا المذكور اولاً لانهُ قاضٍ ظالم قاسٍ متعدٍّ بحكم عليَّ من دون سمع ومن دون ذكر سببٍ لحكمهِ. ثانيًا لانهُ اراتيكي مرتد مغشوش مقسّى مشجوب من الكتب المقدسة يامرني ان انكر كون الايمان المسيحي ضروريًّا في استعمال الاسرار. ثالثًا لانهُ عدو ومسيح كذاب ومضاد ومتعدٍّ على الكتب المقدسة يتجاسر على وضع كلامهِ ضد كلام الله. رابعًا لانهُ محتقر وثالب ومجدف على الكنيسة المسيحية المقدسة وعلى المجامع الحرة يذهب الى ان المجمع ليس شيئًا في ذاتهِ

ولاجل هذه الاسباب اترجى بكل تواضع احلم وافضل واعظم واكرم واشرف واقوى واحكم واحذق السادات اعني كرلوس امبراطور رومية والملوك المنتخبين والامراء والمشايخ والاشراف والفوارس والوجوه والمشيرين والمدن والجماعات من كل شعب جرمانيا ان يلتفتوا الى استغاثتي ويقاوموا معي تصرف البابا المضاد للديانة المسيحية لاجل مجد الله والمحاماة عن الكنيسة والايمان المسيحي ولاجل اثبات مجامع العالم المسيحي الحرة والمسيح ربنا يجازيهم غزيرًا بنعمتهِ الابدية. ولكن اذا وُجِد احد يستخف بطلبتي ولا يزال يطيع ذلك الرجل الفاجر البابا دون الله فاني بهذه الكتابة ارفض كل مسئولية اذ قد نصحت بامانة ضمائرهم فاتركهم لحكم الله السامي مع البابا واتباعهِ

هذا هو كتاب طلاق لوثيروس وهذا هو جوابهُ على منشور البابا وفيهِ رزانة عظيمة. والتقريفات التي يقرّف بها البابا في كل هذه العبارات هي من اعظم نوع وهو لم ينطق بها من دون فكر. وهذه الاستغاثة أُشتهرت في كل جرمانيا وأُرسلت الى اكثر ملوك العالم المسيحي

وابقى لوثيروس عندهُ عملاً اجسر من هذا ولئن بان هذا العمل الذي

باشرهُ على اقصى درجة من الجسارة ولم يقبل ان يتأخر في شيءٍ عن رومية بل عمل كل ما تجاسر البابا على عملهِ وقابل حكماً بحكم واقام حريقاً مقابل حريق . ونزل ابن الماديشي وابن معدني منسفلدت الى الميدان وفي هذا القتال المزعزع العالم لم يضرب احد ضربة الاَّ وردها الآخر . وفي ١٠ كانون الاول عُلِّقت ورقة على حيطان مدرسة وتمبرج الكلية تدعو المعلمين والتلاميذ الى الحضور قبل الظهر بثلاث ساعات الى الباب الشرقي بالقرب من الصليب المقدس فاجتمع عدد عظيم من المعلمين والتلاميذ وتقدم امامهم لوثيروس وقاد الموكب العظيم الى المكان المعيَّن . فكم من المحاريق الكثيرة اقامتها رومية في مدى القرون فعزم لوثيروس على استخدام المبدا الروماني لغاية افضل . قال هي بعض الاوراق العتيقة العديمة النفع والنار لاحراق مثلها وكان قد أُعد وقيد فاضرم اقدم معلمي العلوم ناراً فيهِ واذ ارتفع اللهيب الى الجو تقدم اليهِ الاوغسطيني الجسور لابساً رداءهُ وحاملاً الناموس القانوني والبراآت والاكليمنضية والوصايا الباباوية وبعض تصانيف آك وامسر ومنشور البابا واذ أُحرقت البراآت اولاً امسك لوثيروس المنشور رافعاً اياهُ بيدهِ وقال بما انك قد اقلقت قدوس الرب فلتقلقك النار الابدية وتفنيك ثم طرحهُ في اللهيب . فلم تُشهَر قط حرب بنشاط اعظم ولا بعزم اشد وبعد ذلك رجع لوثيروس بهدو الى المدينة ودخل معهُ جمهور العلماء والمعلمين والتلاميذ الى وتمبرج مظهرين فرحهم باصوات التهليل . قال لوثيروس ان البراآت تشبه جسداً وجههُ وديع كوجه عذراء فتاة واعضاؤهُ مملوة شراً كالاسد وذنبهُ مملوحيلاً كذنب الحية وبين جميع شرائع الباباوات لاتوجد كلمة تعلمنا مَن هو يسوع المسيح . وقال في مناسبة اخرى ان اعدائي قد توصلوا بواسطة احراقهم كتبي الى اضرار دعوى الحق في عقول العامة والى اهلاك انفسهم ولهذا السبب قد احرقت كتبهم لاجل المكافاة . وقد ابتدا قتالٌ خطرٌ والى هذا الوقت انما كنت العب مع البابا لعباً وقد باشرت هذا العمل باسم الله وسوف ينتهي دوني بقدرتهِ واذا تجاسروا على احراق كتبي

التي من دون افتخار تتضمن من الانجيل اكثر من كتب البابا كافةً فبالاولى اني احرق كتبهم التي لا يوجد فيها خير

لو شرع لوثيروس بالاصلاح على هذا المنوال لنتج لا محالة من ذلك شرور محزنة لان ذلك ربما كان قد هيج الغيرة العميا واوقع الكنيسة في العنف والتشويش ولكن المصلح كان قد شرع في عملهِ بايضاح الكتب المقدسة والاساس وُضع بحكمة حتى ان الضربة القوية التي احدثها في ذلك الوقت لم تكن من دون انزعاج فقط بل عجَّلت ايضًا مجي الدقيقة التي فيها طرح العالم المسيحي عن عنقهِ نير العبودية البابا وية . وعلى هذه الكيفية اشهر لوثيروس باحتفال انهُ قد انفصل عن البابا وكنيستهِ وتراءى لهُ ذلك ضروريًّا لهُ بعد مكتوبهِ الى لاون العاشر فقبل الحرم الذي حرمتهُ بهِ رومية واظهر للعالم المسيحي اقامة حرب بينهُ وبين البابا واحرق سفنهُ على الشاطي وبذلك الزم نفسهُ الى التقدم والجهاد .

وبعد دخول لوثيروس مدينة وتمبرج كما ذُكِر عقيب حرق منشور البابا ازدحم في الغد قاعة الخطاب اكثر ازدحامًا من العادة وكانت جميع العقول في حالة الهياج وامتلأ الجمهور خشوعًا وهم يتوقعون خطابًا من الدكتور فخطب على المزامير وكان قد شرع بالخطب عليها في اذار من السنة الماضية وبعد ان فرغ من تفسيرهِ بقي صامتًا لُحيظة ثم قال بغيرة كونوا على حذر من شرائع البابا وسننهِ فقد احرقتُ براآتهِ ولكن ذلك انما هو لعب اولاد فقد اتى الزمان بل قد فات لاحراق البابا اعني كرسي رومية مع جميع تعاليمهِ ورذائلهِ ثم استتلى باكثر رزانة وقال اذا كنتم لا تقاومون بكل قلوبكم حكم البابا النفاقي لا يمكنكم ان تخلصوا وكل من قبل ديانة البابا وعبادتهُ يهلك الى الابد في العالم الآتي

ثم قال فاذا رفضتموهُ يجب ان تتوقعوا احتمال كل نوع من الخطر حتى فقد حياتكم ولكن الاجدر جدًّا ان نكون تحت هذه الاخطار في هذا العالم من ان نبقى ساكتين . فما دمت حيًّا اخبر اخوتي بقرحة بابل واوبئتها خوفًا من ان كثيرين من الذين معنا يسقطون كالباقين الى الهاوية التي لا قرار لها

يعسر علينا نحن في هذا العصر ان نتصور المفعول الذي حصل في الجماعة من قبل هذا الخطاب الذي نتعجب من قوته وقد اخبرنا التلميذ الصادق الذي اوصل الينا هذه الاخبار قائلاً ليس احد بيننا (ما لم يكن قطعة جامدة من الخشب) شكَّ بكون هذا حقًّا خالصًا لا يشوبهُ دنس والامر واضح عند جميع المؤمنين ان الدكتور لوثيروس هو ملاك الله الحي قد دُعي لكي يقيت خراف المسيح التائهة بكلمة الله. فهذا الخطاب والعمل الذي كلل بهِ ابتداءه تاريخ مهم للاصلاح وكان الجدال الليبسكي قد فصل لوثيروس عن البابا قلبيًّا واما الدقيقة التي احرق فيها المنشور فهي التي اشهر فيها اشهارًا واضحًا انفصالهُ التام من اسقف رومية وكنيستهِ واتحادهُ بالكنيسة الجامعة كما أُسست من رسل يسوع المسيح واضرم في باب المدينة الشرقي نارًا لم تزل مضطرمة مدة ثلاثة ادوار الى ان كادت في هذا العصر تحرق كرسي رومية وتقرضهُ عن آخرهِ رغمًا عن اعوانهِ تلاميذ لويولا وبنفس الواسطة التي استخدموها لاطفائها . قال ان للبابا ثلاثة اكاليل وهذا هو السبب . (١) ضد الله لانهُ يرفض الديانة (٢) ضد الامبراطور لانهُ يرذل السلطة المدنية (٣) ضد الجمهور لانهُ ينهى عن الزواج. واذ وُبخ لوثيروس على مقاومتهِ للباباوية بقساوة مفرطة كهذه اجاب آهٍ يا ليتني اقدر ان اتكلم ضدها بصوت رعد وليت كل كلمة من كلامي صاعقة

ان ثبات لوثيروس امتد الى اصدقائهِ واهالي بلادهِ فاحاطت بهِ امةٌ باسرها وعلى الخصوص مدرسة وتمبرج ازدادت كل يوم تعلقًا بهذا البطل الذي كانت مديونة لهُ لاجل شهرتها ومجدها وحينئذٍ رفع كارلستادت صوتهُ ضد اسد فلورنسا الضاري الذي مزَّق جميع الشرائع البشرية والالهية وداس تحت قدميهِ مبادي الحق الابدي . وخاطب ملانكثون ايضًا بالقرب من ذلك الوقت ايالات المملكة بكتابة موصوفة بالبلاغة والحكمة الخاصتين بذلك الرجل المحبوب وهي جواب مكتوب نُسب الى امسر الّا انهُ اذيع تحت اسم رادينوس لاهوتي روماني ولم يتكلم قط لوثيروس نفسهُ بنشاط اعظم وكانت نعمة في كلام

ملانكثون فتحت له الطريق الى كل قلب . فبعد ان بيَّن بشهادات كثيرة من الكتب المقدسة ان البابا ليس اعلى من الاساقفة الاخرين قال لايالات المملكة فماذا يمنع تجريدنا البابا من الحقوق التي اعطيناهُ اياها نحن فان لوثيروس قلما يسأل هل ترسل ثروتنا اي كنوز اوروبا الى رومية ولكن العلة العظيمة لحزنهِ وحزننا هي ان شرائع الاحبار وحكم البابا لا توقع نفوس الناس في خطر فقط بل تهلكها بالكلية وكل واحد يقدر ان يحكم لنفسهِ هل يليق او لا يليق ان يبذل مالهُ لاجل اقامة بذخ رومية ولكن الحكم نظرًا الى الديانة واسرارها المقدسة ليس تحت طاقة العامة فبناء على ذلك يستغيث لوثيروس بايمانكم وغيرتكم ويطلب ان جميع الناس يتحدون معهُ البعض بصوت عالٍ والبعض بالزفرات والتنهدات فتذكروا يا امراء الشعب المسيحي انكم مسيحيون واخطفوا بقايا العالم المسيحي هذه البالية من ظلم المسيح الكذاب فان الذين يدَّعون انهُ لا سلطان لكم على الخوارنة هم غشاشون ونفس ذلك الروح الذي حرك ياهو ضد كهنة البعل يحثكم بهذا النموذج ان تلاشوا الخرافة الرومانية التي هي افظع كثيرًا من اصنامية البعل . فهكذا تكلم ملانكثون اللطيف مع امراء جرمانيا

وصعدت بعض الاصوات الخائفة بين اصدقاء الاصلاح . والعقول الضعيفة مالت الى المصالحة بافراط ولاسيما ستوبتز وقع في اضطراب شديد جدًّا فكتب لوثيروس الى ستوبتز يقول ان كل هذا الامر قد كان حتى الآن لعبة محضة وقلتَ انت نفسك انهُ اذا كان الله لا يعمل هذه الاشياء يكون عملها مستحيلاً فالشغب يزداد شدة واظن انهُ لا يهدا ابدًا الاَّ في اليوم الاخير . فهكذا شدد لوثيروس تلك العقول الخائفة وقد مضت ثلاثة ادوار والشغب لم يهدا الى الآن . غير انهُ صارت عن قريب تتلاشى الخرافة الرومانية

ثم قال ان الباباوية لم تلبث ان تكون ما قد كانت امس وما قبلهُ . فدعوها تحرم وتحرق كتاباتي وتقتلني فانها لا تقدر ان تصد ما هو آخذٌ في التقدم وعلى ابوابنا خطبٌ عظيم واني قد احرقت المنشور برعدة عظيمة في الاول

واما الآن فاني اشعر بفرح من ذلك اكثر من كل عمل قد عملتهُ في حياتي . ثم قال لستوبتز في خاتمة كلامهِ يا ابي صلِّ لاجل كلمة الله ولاجلي فان هذه الامواج تحملني وتدفعني الى هنا وهناك . وعلى هذا النسق نُودِي بالحرب من الجانبين وجرد المتحاربان سيفيهما فان كلمة الله استرجعت حقوقها وخلعت ذلك الذي كان قد اجلس نفسهُ مكان الله واهتز الجمهور . ولا بد في كل عصر من وجود اناس اصحاب اغراض نفسانية يدَّعون الجنس البشري ينام في الضلال والفساد واما الحكماء فانهم وان كانوا جبناء يفتكرون خلاف ذلك . قال ملانكثون الوديع اللطيف اننا نعلم جيدًا ان مهرة الحكام على خوف من اشياء حديثة وفي هذا الاضطراب المحزن المسمى بالحياة البشرية لابد من المماحكات الدائمة وهي ممزوجة بالشرور ولو نتجت عن اعدل الاسباب ولكن يقتضي ان تفضل في الكنيسة كلمة الله ووصاياهُ على كل امر بشري . والله يتهدد بغضبهِ الابدي الذين يريدون ان يبطلوا الحق ولاجل هذا السبب كان من الواجبات بل من الواجبات المسيحية التي لم يستطع لوثيروس ان يتاخر عنها وعلى الخصوص بما انهُ كان معلمًا للكنيسة ان يوبخ الضلالات الردية التي اخذ الناس الاشرار يبذرونها بوقاحة لا تُدرَك . ثم قال فيلبس اذا تولدت شرور كثيرة من الجدال كما ارى بحزن عظيم فان اللوم في ذلك على الذين نشروا اولاً الغلط ويطلبون الآن موعبين بغضةً شيطانية ان يحاموا عنهُ

ولم يكن جميع الناس على هذا الفكر وأُغشي لوثيروس بالتوبيخات وقام العاصف عليهِ من كل جهة تحت السماء فقال قوم انهُ وحدهُ وقال آخرون انهُ يعلم امورًا حديثة . اما لوثيروس نفسهُ فشعر بالدعوة الآتية اليهِ من العلاء فاجاب قائلاً من يعلم ان كان الله لم ينتخبني ودعاني وهل لا يجب ان يخافوا من انهم باحتقارهم اياي يحتقرون الله نفسهُ فان موسى كان وحدهُ عند الخروج من مصر وايليا كان وحدهُ في عصر الملك اخاب واشعيا وحدهُ في القدس وحزقيال وحدهُ في بابل .... ان الله لم ينتخب قط نبيًا رئيس احبار ولا شخصًا

آخر عظيمًا بل انما في الغالب اختار الناس الادنياء المحتقرين حتى انهُ مرةً اختار راعي بقر اي عاموص والقديسون في كل دور التزموا ان يوبخوا العظماء من الملوك والامراء والكهنة والحكماء تحت خطر حياتهم. ألم يكن الحال كذلك في العهد الجديد فان امبروسيوس كان وحدهُ في ايامهِ وبعدهُ كان ايرونيموس وحدهُ ثم بعد ذلك اوغسطينوس كان وحدهُ. ولست اقول اني نبي. بل اقول انهُ يجب ان يخافوا لانني وحدي وهم كثيرون وانا على يقين بان كلمة الله هي معي وانها ليست معهم

ثم قال. قيل ايضًا انني اتي بامور حديثة وانهُ مستحيل التصديق بان جميع المعلمين الآخرين كانوا كل هذا الوقت على ضلال. كلاَّ فاني لست ابشر بامور حديثة بل اقول ان جميع التعاليم المسيحية قد غفل عنها هولاء الذين كان يجب ان يحفظوها اعني العلماء والاساقفة. ولا شك ان الحق قد بقي في قلوب قليلة العدد وان يكن ذلك مع الاطفال في السرير. فان الفلاحين المساكين والاطفال الساذجين يفهمون الآن يسوع المسيح احسن من البابا والاساقفة والعلماء. ويقرفونني برفض علماء الكنيسة الاطهار فاني لست ارفضهم ولكن بما ان جميع هولاء العلماء يجتهدون في اثبات تعاليمهم من الكتب المقدسة يجب ان تكون الكتب المقدسة اوضح منها واثبت ومَن يحاول اثبات قول غامض بقول اغمض منهُ ومن ثم تحوجني الضرورة للالتجاء الى الكتاب المقدس كما فعل جميع العلماء وان اذهب اليهِ لاجل الحكم في كتاباتهم لان الكتاب المقدس وحدهُ هو الرب والمعلم

ثم يقولون ولكن اصحاب السلطان يضطهدونهُ. أفما هو واضح حسب الكتب المقدسة ان المضطهدين هم على الاكثر مخطئون والمضطهَدين مصيبون وان الاكثرين كانوا الى جانب الكذب والاقلّين الى جانب الحق فالحق أحدث في كل دورٍ صراخًا. ثم اخذ لوثيروس في فحص القضايا المشجوبة في المنشور بانها اراتيكية وبيّن صدقها ببراهين ماخوذة من الكتب المقدسة وحامى

على الخصوص عن تعليم النعمة بكل نشاط قائلاً. ليت شعري هل تقدر الطبيعة قبل النعمة وبدونها ان تبغض الخطية وتجتنبها وتتوب عنها والحال انهُ بعد اتيان النعمة تحب ايضاً هذه الطبيعة الخطية وتطلبها وتتوق اليها ولا تكف ابداً عن مصادمة النعمة ولا عن الغضب منها الحالة التي يندبها جميع القديسين على الدوام.... ذلك مثل القول بأن الشجرة القوية التي لا اقدران الويها ولو بذلت كل جهدي تلتوي من نفسها حالما اتركها او ان موجة قوية لا يمكن ان يصدها حاجز او حائط تتوقف عن الجري حالما تُترَك لنفسها هيهات ذلك اننا لا نقدر ان نتوصل الى التوبة بواسطة التامل بالخطية وتوابعها ولكن بواسطة التامل بيسوع المسيح وجراحاتهِ ومحبتهِ غير المحدودة. فان معرفة الخطية صادرة من التوبة لا التوبة من معرفة الخطية لان المعرفة هي الثمرة والتوبة هي الشجرة ففي بلادي الثمر يطلع على الشجر ولكن الظاهر ان الشجر يطلع على الثمر في بلاد الاب الاقدس

وهذا العالِم الشجاع رجع عن بعض قضاياهُ وعند ما نطَّلع على الطريقة التي فعل ذلك بها يزول اندهالنا فانهُ بعد ذكر القضايا الاربع على الغفرانات المشجوبة من المنشور حسب ما تقدم قال. انني امتثالاً للمنشور ذنب العلم والقداسة ارجع عن كل ما قد علَّمتهُ من جهة الغفرانات واذا كانت كتبي قد أُحرقت بعدل فذلك لانني سلمت للبابا ببعض الامور المتعلقة بتعليم الغفرانات ولاجل هذا السبب انا نفسي احكم باحراقها. واسترجع ايضاً كلامهُ نظراً الى يوحنا هس. قال اني اقول الآن انهُ ليس بعض قضايا يوحنا هس صحيحة بل كل قضايا يوحنا هس هي مسيحية على التمام والبابا بشجبهِ يوحنا هس شجب الانجيل وانا قد فعلتُ خمس مرات اكثر من هس ومع ذلك اخاف من اني لم افعل بالكفاءة فان هس انما قال ان البابا الردي ليس عضواً من اعضاء العالم المسيحي ولكن لو كان الآن بطرس نفسهُ جالساً في رومية لانكرت انهُ بابا بتعيين الهي

الفصل الحادي عشر

تتويج كرلوس الخامس . محاماة الملك المنتخب عن لوثيروس . راي ايراسموس

ان كلمات المصلح القوية دخلت الى صميم قلوب الناس وكانت واسطة لعتقهم من عبوديتهم والشرارات التي تطايرت من كل عبارة امتدت الى كل الامة ولكن بقيت مسألة كبرى غير محلولة وهي هل يقبل الامير الذي قطن لوثيروس بلادهُ اجراء المنشور او برفضهُ وبقي الجواب تحت الشك مدةً. وكان الملك المنتخب وجميع امراء المملكة في اكس لشپيل . وهناك وُضع تاج كرلوس الكبير على راس اصغر بل اقوى ملوك العالم المسيحي وأُقيم في ذلك احتفال عظيم غير اعتيادي وبعدهُ انطلق كرلوس الخامس وفردريك والامراء والوزراء حالاً الى كولن لان الوباء كان هائجًا في اكس لشپيل فكانها افرغت كل سكانها في تلك المدينة القديمة الكائنة على شطوط الرين

وكان بين جمهور الغرباء الذين تزاحموا الى تلك المدينة القاصدان الباباويان مارينو كراشيولي وابرونيموس الياندر وقد فُوِّض الى كراشيولي هذا (الذي كان سابقًا سفيرًا في بلاط مكسيميليان) تهنئة الامبراطور الجديد والتعاطي معهُ في القضايا السياسية وتحققت رومية انهُ لاجل اخماد الاصلاح اقتضى ان تُرسِل الى جرمانيا قاصدًا خصوصيًّا لهذا العمل لهُ اخلاق وحذاقة ونشاط كافية لتكميلهِ فانتخبت الياندر لذلك. والظاهر ان هذا الرجل الذي أُنعم عليهِ في ما بعد بالارجوان الكردينالي كان من عائلة قديمة معتبرة لا من ابوين يهوديين كما قيل وان ذلك الردي برجيا دعاهُ الى رومية لكي يكون كاتم اسرار ابنهِ اي كاتم اسرار قيصر برجيا الذي كانت ترتعد رومية باسرها تحت سيفهِ القتّال . قال مورخ يقابل الياندر بالاسكندر السادس (اي برجيا)

ان الخادم مثل معلمهِ . وهذا الحكم حسب راينا متجاوز الحد قساوةً وبعد موت برجيا انكب الياندر على دروسهِ بغيرة جديدة ومعرفتهُ باليوناني والعبراني والكلداني والعربي اكسبتهُ صيتًا في كونهِ اعلم اهل عصرهِ وكان يتفرغ بكل قلبهِ للعمل الذي اخذ فيهِ والغيرة التي درس بها اللغات لم تكن دون غيرتهِ التي ابداها بعدُ في اضطهاد الاصلاح فعلقهُ لاون العاشر بخدمتهِ . وبعض المورخين يقولون بعوائدهِ الشراهية واما الرومانيون فباستقامة سيرتهِ . والظاهر انهُ كان مولعًا بالتنعمات والمخخفة والملاهي وكتب عنهُ صديقهُ القديم ايراسموس يقول ان الياندر عائش في ڤنيتسيا نظير شهواني شره ذي عظمة سامية . والجميع يتفقون على انهُ كان عنيفًا سريعًا في اعمالهِ كثير الحمية محبًا للرياسة متمسكًا كل التمسك بالبابا . فكان آك جندي المدارس النشيط الجسور والياندر السفير المتعجرف من قبل بلاط الحبر المتكبر وكانهُ خُلِق ليكون قاصدًا باباويًا

وكانت رومية قد استعدت كل الاستعداد لاهلاك راهب وتمبرج وامر الحضور في تتويج الامبراطور بالنيابة عن البابا كان امرًا ثانويًا في فكر الياندر الاَّ انهُ آل لتسهيل عملهِ من جراء الاعتبار الذي حصَّلهُ وقد أُمر على الخصوص ان يجتهد في اقناع كرلوس بإماتة الاصلاح . وحالما وصل الياندر الى كولن شغل هو وكراشيولي كل الدواليب لاجل احراق كتب لوثيروس الاراتيكية في المملكة باسرها وعلى الخصوص امام عيون امراء جرمانيا المجتمعين في تلك المدينة وكان كرلوس الخامس قد وافقها على ذلك في املاكهِ الموروثة . فهاجت عقول الناس هيجانًا مفرطًا فقالوا لاعوان كرلوس وللقاصدين انفسهما ان مثل هذه الاعمال فضلاً عن انها لا تشفي الجرح تزيدهُ . أَتتوهمون ان تعاليم لوثيروس لا توجد الاَّ في هذه الكتب التي تطرحونها في النار . بل هي مكتوبة في اماكن لا تقدرون ان تصلوا اليها اي في قلوب الشعب .... واذا كنتم راغبين في استعمال الجبر يجب ان يكون جبر سيوف لا تُحصَى عددًا مسلولة لاجل قتل امة باسرها . وبعض الاحطاب المجموعة لاجل احراق بعض القراطيس لا يوثر

شيئًا واسلحة كهذه لا تليق بعظمة امبراطور وبابا . فحامى القاصد عن وفودهِ المضطرمة بقولهِ ان هذا اللهيب هو حكم شجب مكتوب باحرف غليظة مفهومة لدى القريبين والبعيدين على حدٍ سواء اي لدى العلماء والجهال حتى والذين لا يعرفون القراءة ايضًا . ولم يكن بالحقيقة مرغوب القاصد كتبًا وقرطاسًا بل لوثيروس نفسهُ . قال ان هذا اللهيب ليس كافيًا لتطهير هواء جرمانيا المفسد . ربما يخوف البسطاء ولكنهُ لا يؤدب الاشرار فنحتاج الى امر ملكي ضد شخص لوثيروس . ولم يجد الياندر الامبراطور لينًا عند ما طُلِب منهُ حياة لوثيروس كما كان عند ما طُلبت كتبهُ . فقال لالياندر بما اني ارتقيت الى المُلك منذ عهد حديث لست اقدر من دون راي مشيريَّ وقبول الامراء ان اضرب ضربة كهذه ضد حزب عديد كهذا محاط بهذا المقدار من المحامين الاقوياء فلننظر اولاً ماذا يفتكر ابونا الملك منتخب سكسونيا في هذه المادة . ثم نرى ما نجاوب بهِ البابا . فاخذ حينئذٍ القاصدان يجربان حيلها وفصاحتهما في الملك المنتخب

وفي الاحد الاول من تشرين الثاني بعد ان خرج فردريك من القداس في دير الرهبان الزرق طلب الياندر وكراشيولي مواجهتهُ فقبلهما بحضور اسقف تريدنت وعدة من مشيريهِ فقدم كراشيولي اولاً المكتوب الباباوي واذ كان الطف خلقًا من الياندر استصوب ان يربح الامير بواسطة تملقاتهِ فابتدا في مديحهِ ومديح اسلافهِ . قال انت هو الذي ننتظر منهُ انقاذ الكنيسة الرومانية والمملكة الرومانية . واما الياندر الوقح فاذ اراد ان يصل الى المطلوب سريعًا تقدم وقطع حديث رفيقهِ الذي حاد من دربهِ بلطفٍ . قال ان قضية مرتينوس انما قد فُوّضت اليَّ والى آك فانظر الى الاخطار البليغة التي يلقي فيها هذا الرجل جمهور المسيحيين فان لم نبادر الى استعمال علاج تخرب المملكة . لماذا هلك اليونانيون الاَّ لانهم تركوا البابا . فانك لا تقدر ان تبقى متحدًا مع لوثيروس ما لم تنفصل عن يسوع المسيح . فاطلب منك امرين باسم قداستهِ الاول ان

تحرق كتب لوثيروس والثاني ان تنزل بهِ القصاص الذي يستوجبهُ او بالاقل تسلمهُ الى البابا . فان الامبراطور وجميع امراء المملكة قد اظهروا ارادتهم في اجابة سوالنا وانت وحدك لم تزل مترددًا. فاجاب فردريك عن لسان اسقف تريدنت قائلاً ان هذه المادة اشد خطرًا من ان تنهى الآن فسوف نعلمكم اعتمادنا

كان فردريك في ظروف صعبة من جهة اي حزب يتمسك بهِ. فعلى الجانب الواحد الامبراطور وامراء المملكة ورئيس احبار العالم المسيحي الذي لم يكن فردريك الى ذلك الوقت قد عزم على رفض سلطانهِ وفي الجانب الاخر راهب وهو راهب ضعيف . لانهما لم يطلبا غيرهُ. ومُلك كرلوس على اولهِ. فهل يسوغ لفردريك اكبر واحكم جميع امراء جرمانيا ان يزرع الاختلاف في المملكة وعدا ذلك كيف يمكنهُ ان يرفض تلك التقوى القديمة التي ساقتهُ حتى الى قبر المسيح. ثم سُمعت اصوات أُخر. فان اميرًا شابًا الذي صار في ما بعد اميرًا منتخبًا واشتهر ملكهُ باعظم المصائب وهو يوحنا فردريك ابن الدوك يوحنا وابن اخت الملك المنتخب وتلميذ سپالاتين فتًى عمرهُ سبع عشرة سنة كان قد دخل قلبهُ محبة الحق واحب لوثيروس محبة راهنة فعند ما راى ان المصلح قد اصابتهُ الحرومات الرومانية امسك قضيتهُ بحرارة شاب مسيحي وامير فتًى فكتب الى لوثيروس والى خالهِ كتابات شريفة مترجيًا خالهُ ان يحمي لوثيروس من اعدائهِ ومن الجهة الاخرى سپالاتين الذي كان على الغالب ضعيف القلب وبونتانوس والمشيرون الآخرون الذين كانوا مع الملك المنتخب في كولن اقنعوهُ بانهُ لا يسوغ لهُ ترك المصلح . وفي وسط هذا الهياج العمومي بقي رجل واحد وحدهُ هادئًا وهو لوثيروس نفسهُ وعندما حاول اصحاب هذا الراهب توقيتهِ بواسطة العظماء افتكر وهو في ديرهِ في وتمبرج ان عليهِ تنجية عظماء هذا العالم فكتب الى سپالاتين يقول لو كان الانجيل بالطبع مما ينتشر ويحفظ بواسطة قوات هذا العالم لما سلمهُ الله الى صيادي سمك فلا يتعلق بامراء هذا العصر واحبارهِ ان

يحاموا عن كلام الله . يكفيهم عملًا ان يستظلوا من احكام الرب واحكام مسيحهِ وان تكلمتُ فذلك لكي يعرفوا كلام الله ويخلصوا بواسطتهِ . ولم تخب امال لوثيروس بل ذلك الايمان الذي استتر في دير وتبرج احدث مفاعيلهُ في قصور كولن وقلب فردريك الذي ربما كان قد تزعزع لحظةً تقوى شيئًا فشيئًا واغتاظ على البابا لانهُ من دون التفات الى طلبهِ الحار بفحص الامر في جرمانيا قد حكم بهِ في رومية اجابةً لطلب عدوٍ شخصي للمصلح ولانهُ في غيابهِ قد تجاسر هذا المضاد على ان يذيع في سكسونيا منشورًا يتهدد المدرسة الكلية بالملاشاة وسلام رعاياهُ بالتشويش . وعدا ذلك تحقق فردريك ان لوثيروس مظلوم وارتعد من الفكر بان يدفع رجلًا بريًا في ايدي اعدائهِ القساة وتصرف بمبدا العدل لا بارادة البابا فعزم اخيرًا على عدم التسليم لرومية . وفي ٤ تشرين الثاني اجاب مشيروهُ بالنيابة عنهُ القاصدين الرومانيين اللذين اتيا الى الملك المنتخب بحضور اسقف تريدنت انهُ قد راى بالم كثير ان المعلم آك انتهز فرصة غيابهِ لكي يُدخِل في الحرم عدة اشخاص لم يُذكَروا في المنشور وانهُ منذ انطلاقهِ من سكسونيا ربما اتفق مع لوثيروس في استغاثتهِ عدد كبير من العلماء والجهال من الاكليروس والعوام وانهُ لا جلالة الامبراطور ولا شخص آخر بيَّن ان كتب لوثيروس قد دُحضت وانها لا تستحق غير النار واخيرًا طلب ان لوثيروس يُعطَى لهُ صك الامان لكي يحضر امام مجلس قضاة علماء اتقياء خالين من الغرض

وبعد هذا الحكم ذهب الياندر وكراشيولي واصحابهما الى خلوة لاجل المشورة . وهذه هي المرة الاولى التي اظهر فيها الملك المنتخب جهارًا مقاصدهُ من جهة المصلح . اما القاصدان فانتظرا منهُ تصرفًا خلاف ذلك وافتكرا ان الملك المنتخب بمحافظتهِ على صيتهِ في عدم المحاباة يوقع نفسهُ في اخطار لا يعلم نهايتها فلا يتاخر عن تضحية الراهب وهكذا افتكرت رومية ولكن حِيَلها قُضي بخيبتها امام قوة لم تدخل في حساباتها اي محبة العدل والحق

ولما أُدخلا ثانيةً الى حضرة مشيري الملك المنتخب قال الياندر المتكبر اريد ان اعرف ماذا يفتكر الملك المنتخب لو اختار رعاياهُ ملك فرانسا او ملكًا آخر غريبًا ليكون قاضيًا . ولما راى ان لاشيء يزعزع المشيرين السكسونيين قال اننا نجري المنشور ونفتش على كتب لوثيروس ونحرقها ثم قال بعدم مبالاة واحتقار مصنع واما شخصهُ فان البابا لا يرغب في ان يدنس يديهِ بدم هذا الرجل الشقي . ولما بلغ خبر جواب الملك المنتخب للقاصد بن الى وتمبرج امتلأ اصدقاء لوثيروس فرحًا وعلى الخصوص ملانكثون وامسدورف وانتظرا امورًا جديدة. قال ملانكثون ان اشراف جرمانيا سوف يقتدون بقدوة هذا الامير الذي يقتفون اثرهُ في كل شيء نظير امام لهم . واذا كان هوميروس قد لقّب بطلهُ بحصن اليونانيين فلماذا لا ندعو نحن فردريك حصن الجرمانيين

وكان يومئذٍ في كولن ايراسموس مشير الملوك ومصباح المدارس ونور العالم. وكان امراء كثيرون قد دعوهُ لكي يرتشدوا برايهِ وكان ايراسموس في عصر الاصلاح قائد المعتدلين وزعم بنفسهِ انهُ كذلك ولكن بدون سبب راهن لانهُ عند ما يلتقي الحق والضلال وجهًا لوجه لا يقف العدل في الوسط بينهما . بل كان رئيس ذلك الحزب الفلسفي المدرسي الذي اجتهد مدة قرون ان يصلح رومية ولم ينجح قط وكان مشخص الحكمة البشرية وتلك الحكمة كانت عاجزة عن قلب شوامخ الباباوية فاقتضى لذلك تلك الحكمة من الله التي كثيرًا ما يدعونها جهالة مع انهُ عند صوتها تسحق الجبال غبارًا . وايراسموس لم يلقِ نفسهُ في يدي لوثيروس ولا جلس لدى قدمي البابا بل تاخر وتردد بين هاتين القوتين يُجذَب تارةً نحو لوثيروس ثم يندفع الى جهة البابا. قال في مكتوبهِ الى البرتوس ان الشرارة الاخيرة من التقوى المسيحية تكاد تتلاشى وهذا ما حرك قلب لوثيروس فانهُ لا يبالي بالكرامات ولا بالمال . وهذا المكتوب الذي اذاعهُ بغلة حكمة اولريخ فان هوتن ازعج ايراسموس جدًا فعزم على ان يحتذر في المستقبل وعدا ذلك قُرّف بكونهِ شريك لوثيروس ولوثيروس اغضبهُ بكلام قليل الحكمة.

قال كل الناس الصالحين تقريبًا هم من حزب لوثيروس ولكنني ارى اننا متوجهون نحو العصيان .... فاني لا اريد ان يُقرَن اسمي باسمهِ لان ذلك يضرني من دون ان ينفعهُ . فاجاب لوثيروس فليكن كذلك اذا كان ذلك يزعجك فانا اعد باني لا اذكر اسمك ابدًا ولا اسماء اصدقائك . هذا هو الرجل الذي استشارهُ اصدقاء الاصلاح واعداؤُهُ

واذ علم الملك المنتخب ان راي انسان معتبر بهذا المقدار مثل ابراسموس لهُ فعل عظيم دعا الهولاندي المشهور اليهِ فامتثل ابراسموس الامر وكان ذلك في ٥ كانون الاول واصدقاء لوثيروس خافوا من ذلك باطنًا . وكان المنتخب امام النار يصطلي وسپالاتين الى جانبهِ عند ما دخل ابراسموس فسأل فردريك حالاً ما هو رايك في لوثيروس . اما ابراسموس الحذور فتحير بهذا السوال الواضح وطلب اولاً ان يحتال للتخلص من الجواب فجعد فمهُ وعض على شفتيهِ ولم يجب بكلمة وعند ذلك رفع الملك المنتخب حاجبيهِ كما كانت عادتهُ عند كلامهِ مع قوم يريد منهم الجواب المستقيم المدقق على ما قال سپالاتين واحدق ناظريهِ بابراسموس واذ لم يرَ ابراسموس كيف يتخلص من هذا الارتباك قال اخيرًا بين الجد والهزل ان لوثيروس قد ارتكب ذنبين عظيمين حارب اكليل البابا وبطون الرهبان . فتبسم الملك المنتخب الاَّ انهُ اظهر لزائرهِ جدهُ في المسئلة وحينئذٍ قال ابراسموس ان علة كل هذا الجدال هو بغضة الرهبان للعلم وخوفهم من ملاشاة سطوتهم . فما هي الاسلحة التي يستعملونها ضد لوثيروس الاَّ الصراخ والحيل والبغضة والهجو وكلما زاد فضل الانسان وتعلقهُ بالانجيل قلَّت مضادتهُ للوثيروس وقساوة المنشور حركت غضب جميع الناس الصالحين وليس احد يقدر ان يرى فيهِ لطف نائب المسيح . وبين جميع المدارس الكلية مدرستان فقط شجبتا لوثيروس وهما انما شجبتاهُ دون ان تثبتا خطاءهُ . فلا تنغش لان الخطر اعظم مما يتوهمهُ قوم وسوف تحدث امور شاقة وصعبة . واستفتاح حكم كرلوس بعمل مكروه هكذا مثل حبس لوثيروس يكون فالاً رديًا . لان العالم

متعطش الى الحق الانجيلي . فليحذر من ان نحدث مضادة ملومة وليفحص عن هذا الامر اناس صادقون واصحاب راي سديد وذلك اليق بجلال البابا نفسهِ فهكذا تكلم ابراسموس مع الملك المنتخب وحرية كهذه ربما تُذهل القاري ولكن ابراسموس عَلِم مَن كلمهُ . فابتهج سپالاتين جدًّا وخرج مع ابراسموس ورافقهُ الى ان وصل الى بيت الامير نيونر متسلم كولن حيث كان ابراسموس نازلاً وعند ما ذهب ابراسموس الى مكتبتهِ اخذ قلمًا وجلس وكتب ملخص ما قالهُ للملك المنتخب ودفع الورقة الى سپالاتين الاَّ انهُ بعد قليل وقع خوف الياندر على ابراسموس الجبان والشجاعة التي اكتسبها من الملك المنتخب وخوريهِ ذهبت بخارًا فطلب من سپالاتين ان يرجع لهُ الورقة المتجاوزة الحد في الجسارة خوفًا من ان تقع بيدي القاصد المخيف . ولكن وقت ذلك كان قد فات

واذ زاد الملك المنتخب ثقةً بواسطة راي ابراسموس تكلم مع الامبراطور بكلام اكثر عزمًا واجتهد ابراسموس نفسهُ في المفاوضات الليلية نظير مفاوضات نيقوديموس في القديم لكي يقنع مشيري كرلوس باحالة الدعوى الى قضاة خالين من الغرض وربما امل بانهُ هو ينتخب قاضيًا في هذا الامر المهدد العالم المسيحي بالانقسام وكان ذلك وافق مذاق عجبهِ ولكن في الوقت نفسهِ لكي لا يضيع اركان رومية اليهِ كتب مكاتيب تدل على اذل الخضوع الى لاون الذي اجابهُ بمعروف اغاظ الياندر جدًّا . ولاجل محبة هذا القاصد للبابا رغب في ان يوبخهُ لان ابراسموس اشهر هذه المكاتيب من الحبر فزادتهُ شهرةً واركانًا فتشكى القاصد من ذلك الى رومية فكان الجواب غض النظر عن شر هذا الرجل فان الدراية تقتضي ذلك ويقتضي ان نبقي بابًا مفتوحًا للتوبة

اما كرلوس فحاتل مخاتلة في ذلك الوقت وحاول ارضاء البابا والملك المنتخب معًا بالتملقات ومال تارةً الى هذا واخرى الى ذاك حسب مقتضيات الحال الحاضرة . وكان قد ارسل واحدًا من رجالهِ الى رومية في مصلحة تختص باسبانيا فوصل الى هناك في نفس الوقت الذي فيهِ كان آك يحث البابا بصوت

عالٍ على حرم لوثيروس فالسفير الحاذق راى حالاً ما الفائدة التي تحصل لمولاهُ من الراهب السكسوني فكتب في ١٢ ايار سنة ١٥٢٠ الى الامبراطور الذي كان لم يزل في اسبانيا يقول ان جلالتك يجب ان تذهب الى جرمانيا وتبدي معروفًا نحو مرتينوس لوثيروس الذي هو في بلاط سكسونيا والذي بواسطة مواعظهِ يزعج جدًّا بلاط رومية. فهذا هو منذ الابتداء اعتبار كرلوس للاصلاح فلم يكن يهمهُ ان يعرف الحق مع اية الفئتين هو وايتهما الضالة ولا ان يلاحظ ماذا يقتضيهِ صالح اهل جرمانيا بل سوالهُ الوحيد ماذا يقتضيهِ نجاح حيلهِ وماذا يجب ان يعمل لاجل الجاء البابا الى معاضدة الامبراطور وعُرِف ذلك جيدًا في رومية ولمح رجال كرلوس لالياندر بالطريق الذي عزم مولاهم ان يسلك فيهِ وقالوا ان الامبراطور يعامل البابا كما يعامل البابا الامبراطور. لانهُ لا يرغب في زيادة قوة نظرائهِ ولا سيما قوة ملك فرانسا. وعند ما سمع القاصد المتكبر هذا الكلام اطلق عنان غضبهِ واجاب ما المعنى. فلو فرضنا ان البابا ترك الامبراطور هل يجب ان الامبراطور يترك ديانتهُ. فاذا كان كرلوس يريد ان ياخذ ثارهُ هكذا فليرتعد لان هذه الدناءة سوف تتحول ضد نفسهِ. اما تهديدات القاصد فلم تحرك السفراء الملكيين

الفصل الثاني عشر

اقوال لوثيروس في الاعتراف والحلة وفي ضد المسيح . اوارايخ فان هوتن . لوقا كراناخ . تقدم الاصلاح

ان قصاد رومية قصروا مع اقوياء هذا العالم اما وكلاء البابابوية الدون فنجحوا في نشر الفساد بين الرتب الدنيا. وجيوش رومية سمعت اوامر رئيسها والخوارنة المترفضون استعملوا المنشور لتخويف الضمائر الجبانة والاكليروس

السليمو النية غير المتنورين اعتبروا الخضوع لاوامر البابا من الواجبات المقدسة. وشرع لوثيروس بقتالهِ مع رومية في كرسي الاعتراف وفي كرسي الاعتراف اخذت رومية تخاصم اتباع المصلح واذ برد المنشور ورُذِل في وجه العالم صار قويًا في تلك المحاكم المنفردة. فكان المعرّف يسال المعترف هل قرات كتب لوثيروس وهل عندك شيءٌ منها وهل تحسبها صادقة او اراتيكية فان تاخر المعترف عن النطق بالحرم منع الخوري الحل فانزعجت ضمائر كثيرة وصار هياج عظيم بين الشعب وهذه الحيلة الحاذقة كادت ترجّع الى النير الباباوي الشعب الذي رُبح للانجيل وكانت رومية تهني نفسها على اقامتها في القرن الثالث عشر هذه الحكمة الموافقة بهذا المقدار لاخضاع ضمائر المسيحيين الحرة الى العبودية للخوارنة (لان الاعتراف تثبت في سنة ١٢١٥ بالمجمع اللاتراني الرابع في ايام انوشنسيوس الثالث) ولا ينقرض تسلطها حتى تنقلب كراسي الاعتراف ولذلك تراهم مجتهدين على تمكينها وفي كل مواعيظهم وتعاليمهم يحثون على الاعتراف لا لله بل لكهنتهم

فبلغ لوثيروس هذه الاعمال ولكن ماذا استطاع ان يعمله من دون مساعدة لكي يبطل تلك الحيلة فالكلمة الكلمة المنادى بها بجراءة هي سلاحهُ والكلمة تنفذ الى داخل تلك الضمائر المرتجفة والنفوس الخائفة فتقوّيها. فظهر الاحتياج الى قوة شديدة فرفع لوثيروس صوتهُ وخاطب المعترفين بجلال لا يشوبهُ خوف محتقرًا جميع الملاحظات الثانوية. قال عند ما تُسالون هل تعجبكم كتبي او لا فاجيبوا انت معرّف لا مفتش ولا سجّان. المطلوب مني ان اعترف بما اقتادني ضميري الى ذكرهِ وليس عليك ان تمتحن قلبي وتستخرج اسرارهُ فحاني ثم جادل لوثيروس او البابا او ايًا شئت ولكن لا تحوّل سر التوبة الى خصام وحرب فان لم يسلّم المعرّف بذلك فكنت اختار ان اذهب بلا حلة ولا تضطربوا لانهُ اذا كان الانسان لا يحلك فالله يحلك فافرحوا انكم محلولون من الله نفسهِ وتقدموا الى المذبح من دون خوف. والخوري يلتزم ان يعطي جوابًا في يوم الدينونة لاجل

انكاره الحلة عليكم فانهم يقدرون ان يحرمونا السر ولكن لا يقدرون ان يحرمونا القوة والنعمة اللتين قرنهما الله بهِ فان الله لم يعلق الخلاص على اراداتهم بل على ايماننا فاستغنوا عن السر والمذبح والخوري والكنيسة لان كلمة الله التي حرمها المنشور هي اكثر من هذه جميعها فان النفس تستغني عن السر ولكنها لا تقدر ان تحيا بدون الكلمة والمسيح الذي هو الاسقف الحقيقي يمنحكم طعامًا روحيًا

فهكذا دخل صوت لوثيروس الى صميم كل ضمير خائف ونفذ الى كل عائلة مضطربة ومنح شجاعةً وايمانًا ولم يكتفِ بالمحاماة عن نفسهِ بل هجم على اعدائهِ وكال لهم ضربة عوضًا عن ضربة. كان لاهوتيٌّ روماني اسمهُ امبروسيوس كاثيرينس كتب ضدهُ فقال اني احرق مرارة هذا الوحش الايطاليّ وانجز بما وعد وفي جوابهِ اثبت بواسطة رؤْيا دانيال ومار يوحنا ورسالات مار بطرس وبولس ويهوذا ان مملكة المسيح الكذاب التي تُنبِّئ بها ووُصفت في الكتاب المقدس هي البابابوية وقال في خاتمة كلامهِ اني اعلم يقينًا ان ربنا يسوع المسيح يحيا ويملك ولكوني متمكنًا بهذا اليقين لست اخاف الوفًا من الباباوات فلينتقد منا الله اخيرًا حسب قوتهِ غير المتناهية ويُظهر يوم مجي ابنهِ المجيد الذي فيهِ يهلك الخبيث وليقل كل الشعب آمين. وقال كل الشعب آمين واستولت على قلوبهم هيبة مقدسة اذ راوا المسيح الكذاب جالسًا على العرش الحبري وهذا الفكر الجديد الذي اشتد قوةً من الاقوال النبوية التي ابرزها لوثيروس في وسط معاصريهِ رشق رومية باهول الضربات والايمان بكلمة الله اخذ مكان الايمان الذي طلبتهُ الكنيسة اي الايمان بالبابا وسلطان البابا الذي بقي زمانًا طويلاً موضوع العبادة بين الامم صار علة خوف وكراهة

ان جرمانيا اجابت على المنشور البابوي بايعابها لوثيروس باصوات المديح ومع ان الوباء كان هائجًا في وتمبرج حضر تلاميذ اجدادٌ كل يوم وكان ما بين اربع مئة وست مئة تلميذ يجلسون دائمًا عند اقدام لوثيروس وملانكثون في المدرسة والكنيستان المختصتان بالدير وبالمدينة لم تكفيا الجمهور الذي اصغى

الى كلمات المصلح وخاف رئيس الاوغسطينيين ان تلك الهياكل تسقط من ثقل جمهور المصغين . وتلك الحركة الروحية لم تنحصر داخل اسوار وتمبرج بل انتشرت في كل جرمانيا فكان الامراء والاشراف والعلماء من كل صقع يكاتبون لوثيروس بكتابات مملوءة تعزية وايمانًا وارى لوثيروس خوري الملك المنتخب اكثر من ثلاثين مكتوبًا من هذا النوع . واتى امير برندنبرج يومًا الى وتمبرج مع امراء آخرين كثيرين لاجل زيارة لوثيروس . فقال انهم يريدون ان يروا الرجل. وبالحقيقة كانوا جميعًا تائقين الى مشاهدة الرجل الذي هيجت كلماتهُ الشعب وجعلت حبر الغرب يرتعد على كرسيهِ

وازدادت غيرة اصدقاء لوثيروس كل يوم فصرخ ملانكثون قائلاً ما اعظم حماقة امسر الذي تجاسر على النزول مع هرقلنا غير ناظر اصبع الله في كل عمل من اعمال لوثيروس كما ان فرعون لم يرَها في اعمال موسى. وملانكثون الوديع لم يعجز عن اقوال قوية لاجل تحريك الذين تاخروا او جمدوا فكتب الى يوحنا هس يقول ان لوثيروس قد نهض للحق ومع ذلك انت تبقى صامتًا .... فهو لم يزل حيًا وناجحًا وان كان الاسد (لاون) يعجُّ ويزأر فلا تنسَ ان الفجور الروماني لا يستطيع ان يقبل الانجيل فكيف يعدم هذا الجيل اناسًا نظير يهوذا وقيافا وبيلاطس وهيرودس فتسلح اذًا بسلاح كلام الله ضد مثل هولاء الاخصام وقُرئت جميع كتابات لوثيروس وتفسيرهُ الصلاة الربانية ولا سيما كتاب اللاهوت الجرماني الجديد برغبة وانتظمت جمعيات قراءة لاجل نشر كتبهِ بين اعضائها وجدد اصدقاؤهُ طبعها ووزعوها في البلاد فكانت تُمدح من على المنابر وصار الجميع يطلبون كنيسة جرمانية وطلب الشعب ان لا احد من ذلك الوقت وصاعدًا يتقلد وظيفة كنائسية ما لم يكن قادرًا على وعظ الشعب باللغة الدارجة وان الاساقفة الجرمانيين في كل مكان يقاومون السلطة البابا وية

وليس هذا فقط بل اهاجي مرة ضد اكابر الالترومونتانيين اي اصحاب

الحكم الباباوي المطلق قد أُذيعت في جميع اقاليم المملكة وهذه المضادة جمعت كل جنودها حول هذا التعليم الجديد الذي بهِ حصلت على احتياجها اي اسناد الديانة اياها واكثر المتشرعين اذ ضجروا من تعديات المحاكم الكنائسية التصقوا بالاصلاح والفلاسفة على الخصوص احتضنوا هذا الحزب ولم يكن اولريخ ڤان هوتن يكلّ فكتب الى لوثيروس والى القصاد والى الناس الاكثر اعتبارًا في جرمانيا يقول للقاصد كراشيولي في احد تصانيفهِ اني اقول لك يا مارينو اولاً وثانيًا ان الظلمة التي غطيتم بها ابصارنا قد تبددت والانجيل يُبشَّر بهِ والحق يُنادى بهِ وخزعبلات رومية قد اكتشفت بالاحتقار واحكامكم تضعف وتتلاشى والحرية ابتدات تشرق علينا . ولم يكتفِ ڤان هوتن بالنثر بل استعان بالشعر ايضًا فنظم نداءهُ في الاحراق اللوثراني فيهِ يستغيث بيسوع المسيح طالبًا ان يلاشي بضياء وجههِ كل الذين تجاسروا على انكار سلطانهِ وفضلاً عن ذلك ابتدا يكتب بالجرماني فقال الى الآن كنت اكتب باللاتيني الذي هو لسان غير مفهوم الاّ لدى البعض واما الآن فاني اخاطب جميع اهالي بلادي وشجاعتهُ الجرمانية كشفت للشعب دفتر خطايا البلاط الروماني الطويل المعيب ولم يرضَ ڤان هوتن ان يقتصر على مجرد الكلام بل رغب في ان يدخل ميدان الحرب بالسيف وافتكر ان انتقام الله ينبغي ان يباشر بسيوف ورماح اولئك المحاربين الابطال الذين افتخرت جرمانيا بهم بهذا المقدار واما لوثيروس فقاوم هذا المقصد الجنوني وقال اني لا ارغب في المحاربة لاجل الانجيل بالقهر وسفك الدماء وقد كتبت الى ڤان هوتن بهذا المعنى

والمصوّر المشهور لوقا كراناخ اذاع تحت اسم آلام المسيح وآلام المسيح الكذاب عدة صور فيها تصوّر في الجانب الواحد مجد البابا وعظمتهُ وفي الجانب الآخر تواضع الفادي وآلامهُ ولوثيروس كتب شروحها وهذه الصور المصنوعة بحذاقة عظيمة احدثت تاثيرًا لم يسبق لهُ مثل فاعتزل الشعب عن كنيسة ظهرت من كل وجه مضادة بهذا المقدار لروح منشئها فقال لوثيروس ان هذا عمل جيد

للعامة . وكثيرون استعملوا اسلحة ضد البابابوية لم يكن لها تعلق بقداسة الحياة المسيحية . كان امسر قد اجاب على كتاب لوثيروس المعنون الى تيس ليپسك بكتاب آخر عنوانهُ الى ثور وتمبرج وهذا اللقب لم يكن غير موافق ولكن كتاب امسر عُلّق في مجد يبرج على المشنقة البلدية وعليهِ هذه الكتابة هذا الكتاب يستحق هذا المكان وتعلق بجانبهِ سوطٌ يشير الى القصاص الذي استحقهُ كاتبهُ وكتب بعض الاشخاص في ديبلين تحت المنشور البابوي ازدراء بصواعقهِ غير الموثرة هذا هو العش واما الفراخ فطارت . والتلاميذ في وتمبرج انتهزوا فرصة المرفع فالبسوا واحدًا منهم بدلة نظير بدلة البابا وزفوهُ بموكب عظيم في اسواق المدينة ولكن بطريق متجاوز حدود الهزل كما قال لوثيروس نفسهُ ولما وصلوا الى الساحة العظيمة دنوا من النهر والبعض تحت دعوى هجمة فجائية تظاهروا بانهم يريدون طرح البابا في الماء واما الحبر فاذ لم يكن شديد الرغبة في حمام كهذا ولّى على عقبيهِ هاربًا واقتفى اثرهُ كرديناليوهُ واساقفتهُ ومعارفهُ متبددين في كل جهة من المدينة فسعى التلاميذ في اثرهم في الاسواق وبالكد وُجدت زاوية في وتمبرج لم يلتجي اليها بعض هولاء الرؤساء من ضجة وسخرية الشعب الهائج قال لوثيروس ان عدو المسيح الذي يهزأ بالملوك وبالمسيح ايضًا يستحق ان يهزأ بهِ نفسهِ هكذا وتصرف البلاط الروماني الجسور المتعصب هيج بغضة عمومية وذلك المنشور نفسهُ الذي ظنت البابابوية انها بواسطتهِ تسحق الاصلاح بجملتهِ اثار العصيان على رومية في كل جهة

اما المصلح فلم يجد مدحًا ولا انتصارًا في كل شيء بل وراء تلك المركبة التي جرهُ فيها شعب هائج وطائر من العجب وقف الرفيق لكي يذكرهُ بحالهِ الشقية فالبعض من اصدقائهِ مالوا الى الرجوع الى الوراء وستوبتز الذي دعاهُ اباهُ تزعزع . لان البابا عنّفهُ وهو اظهر ارادتهُ ان يخضع لحكم قداستهِ فكتب اليهِ لوثيروس اني اخاف من انك بقبولك البابا قاضيًا تكون قد رفضتني ورفضت التعاليم التي تمسكت بها فاذا كان المسيح يحبك فانهُ يلجيك الى استرجاع

مكتوبك فان المسيح قد جُرّح وعُرّي وجُدّف عليهِ وهذا الوقت ليس هو وقت الخوف بل وقت رفع الصوت . ولاجل هذا السبب عند ما تحثني ان اتواضع انا احثك ان تتكبر لانك متجاوز الحد في التواضع كما اني متجاوز الحد في الكبرياء فاذا دعاني العالم متكبرًا وبخيلاً وزانيًا وقاتلاً وبابا زور ومرتكب كل ذنب فما ذلك ان لم اوبخ بخطية السكوت عند ما قال ربنا بحزن تاملت الميامن وابصرت فلم يكن من يعرفني (مز ١٤١ : ٤) فان كلمة يسوع المسيح ليست كلمة السلام بل كلمة السيف وان لم تتبع يسوع المسيح امشي وحدي واتقدم وحدي واستفتح الحصن وحدي

على هذا المنوال لوثيروس نظير قائد في مقدمة جيش لاحظ على كل فلاة الحرب وصوتهُ حرك جنودًا جدادًا للجهاد وكشف عن الذين منهم ضعفوا فدعاهم ثانيةً الى طريق الواجبات فسُمع حثهُ في كل مكان ومكاتيبهُ لحق احدها الآخر بسرعة وكان ثلاث مطابع تشتغل على الدوام في تكثير تصانيفهِ . وجرى كلامهُ بسرعة بين الشعب يشجع الضمائر الضعيفة عند خوفها من كراسي الاعتراف ويعضد في الاديرة الانفس الجبانة التي كادت تموت ويحفظ حقوق الحق في قصور الامراء . وكتب لوثيروس الى الملك المنتخب يقول اني في وسط العواصف التي تكتنفني رجوت ان اجد سلامًا في آخر الامر واما الآن فاني ارى ذلك فكر انسانٍ باطل فمن يوم الى يوم تقوم المياه وقد احدقت بي الامواج على التمام والعاصف يهب عليَّ بصوت رهيب . وانا باليد الواحدة اقبض على السيف وبالاخرى ابني اسوار صهيون . قُطِعت ربطهُ القديمة واليد التي رمتهُ بصواعق الحرم قطعتها اربًا . قال اني اذ حُرِمت بواسطة المنشور قد انحليت من سلطان البابا ومن الشرائع الرهبنية واني بفرح اترحب بهذه النجاة ولكني لا اترك اسكيم رهبنتي ولا الدير . غير انهُ في وسط ذلك الهياج لم يغفل عن الاخطار التي كانت نفسهُ عرضةً لها في الجهاد وتاكد ضرورةَ السهر بتدقيق على نفسهِ وكتب الى بليكان الذي كان قاطنًا في باسل يقول انك تفعل حسنًا اذا صليت

عني فاني لا اقدر ان اكرس وقتاً كافياً للرياضات المقدسة. والحياة هي صليب لي واذا حرضتني على الوداعة فنعماً تفعل فانني اشعر بضروريتها ولكنني لست رب نفسي بل انما أُحمل بحركات سرية فاني لا اشتهي الشر لاحد ولكنّ اعدائي يضايقونني بجنون عظيم لكي لا احتفظ بالكفاية من تجاريب الشيطان فصلِّ اذاً من اجلي

فهكذا اسرع المصلح والاصلاح نحو الغرض الذي دعاهما الله اليهِ واخذ الهياج في التقدم والناس الذين ظهر انهم يكونون اكثر امانة نحو الرياسة البابوية ابتدأوا يتحولون. قال آك بحذاقة ان نفس الاشخاص الذين لهم احسن المعائش واغنى المعاليم من البابا يبقون صامتين كالاسماك وكثيرون منهم يمدحون ايضاً لوثيروس بانهُ انسان مملو من الروح الالهي ويلقبون المحامين عن البابا بسفسطيين ومتملقين . والكنيسة التي كانت في ظاهر الامر مملوة نشاطاً تساعدها الكنوز والاحكام والجنود كانت بالحقيقة معيية وضعيفة عديمة المحبة لله ولا فيها حياة مسيحية ولا غيرة على الحق فاصبحت على مقاومة البسطاء ولكنهم كانوا شجعاء ولعلمهم ان الله مع الذين يحاربون لاجل كلمتهِ لم يشكوا بالظفر وشوهد في كل دورٍ ما اعظم قوة قضية حقيقية لخرق الجموع وتهييج الامم والاسراع بهم عند الاقتضاء الوفا الوفا الى ميدان القتال والموت واذا كانت قضية بشرية قوية بهذا المقدار فكم اشد فعلاً قضية منزلة من السماء اذا فتح لها الله ابواب القلب . والعالم لم يرَ مراراً كثيرة مثل هذه القوة في العمل . فانها شوهدت في اوائل الديانة المسيحية وفي ايام الاصلاح وسوف تُشاهَد في الازمان المستقبلة . والناس الذين كانوا يزدرون بغنى العالم وعظمتهِ المقتنعون بعيشة الحزن والفقر ابتدأوا يتحركون نحو كل ما هو الاقدس على الارض اي تعليم الايمان والنعمة وجميع العناصر الدينية اخذت تختمر في عجنة الهيئة الاجتماعية ونار الغيرة حركت النفوس الى التقدم بشجاعة نحو الحياة الجديدة اي وقت التجديد الذي انفتح امامهم والى ذلك ساقت العناية الالهية الشعوب

الكتاب السابع

مجمع وُرمس من كانون الثاني الى ايار سنة ١٥٢١

الفصل الاول

حيل رومية امر كرلوس الخامس باحضار لوثيروس . جواب الملك المنتخب للامبراطور

ان الاصلاح الذي ابتدئ بهِ بواسطة جهاد روحٍ متواضع في مخدع ديرٍ في ارفورث كان لم يزل ينمو متزائدًا . ورجل غير معروف حاملٌ بيدهِ كلمة الحياة ثبت امام عظماء العالم وارتعدوا امامهُ واستعمل سلاح كلمة الله هذا اولاً ضد تتزل وضد جيشهِ الكثير وهولاء التجار الطاعون هربوا بعد قتالٍ قصير ثم استعملهُ ضد قاصد رومية في اوجسبرج والقاصد انذهل فترك فريستهُ تهرب من بين يديهِ وبعد قليل قاتل بمساعدتهِ انصار العلوم في ليپسك وهولاء اللاهوتيون راوا اسلحتهم المنطقية تنسحق في ايديهم واخيرًا بهذا السلاح الوحيد ضادَّ البابا عند ما هب من نعاسهِ وقام على عرشهِ لكي يمحق الراهب المسكين بصواعقهِ وهذه الكلمة نفسها اعجزت كل قوة راس العالم المسيحي هذا المزعوم بهِ ولم يبقَ سوى جهادٍ آخر وهو غلبة الكلمة على امبراطور الغرب وعلى ملوك وامراء الارض ثم بعد ذلك تقوم في الكنيسة وتتسلط حسب حقها من كونها كلمة الله. فهاجت الامة باسرها واشترك الامراء والاشراف والفوارس والتجار والاكليروس والعوام والمدن والبلاد جميعًا في القتال . لان الله نفسهُ هو المحرك الاول في ذلك الانقلاب الديني القوي فجعلهُ يتاصل عميقًا في ارواح الشعب وهذا

الانقلاب شرع يقلب رئيس السلطنة الرومانية القديم الاعتبار . واشغل المدارس والمدن والمجالس ودور الملوك والقلاع والضياع والاديرة جيلٌ جديدٌ ذو روحٍ صادق عميق مجتهد نشيط والفكر بان تغييرًا عظيمًا في الجماعة كان قريبًا ان يحدث اوعب كل الضمائر غيرة مقدسة وصاروا يسألون ما هو فكر الامبراطور نظرًا الى حركة العصر هذه وماذا تكون نهاية هذه الحركة القوية التي اثرت في جميع الناس

ثم حان افتتاح مجمعٍ حافلٍ وهو المجمع الاول الذي ترأسهُ كرلوس وحسب المنشور الذهبي اقتضى ان يجتمع في نورمبرج غير ان تلك المدينة وقتئذٍ هاج فيها الوبأُ فقرَّ الراي على الاجتماع في مدينة وُرمس في ٦ كانون الثاني سنة ١٥٢١ ولم يكن قط قد اجتمع قبلاً هذا العدد من الامراء في مجمع واحد لان كل واحد رغب في الاشتراك في هذا العمل الاول من حكم الامبراطور الشاب وان ينتهز الفرصة لاظهار قوتهِ . وفيلبس امير هَسّي الذي كان عتيدًا ان يباشر اعمالاً مهمة في امر الاصلاح وصل الى وُرمس في اواسط كانون الثاني مع ست مئة فارس بينهم ابطال مشهورون لاجل شجاعتهم

وحركت علة غير المشار اليها المنتخبين والمقدمين ورؤساء الاساقفة والولاة والشرفاء والامراء والاساقفة والمشايخ والسادات في المملكة ووكلاء البلدان وسفراء ملوك العالم المسيحي الى ان يزحموا بصفوفهم اللامعة الطريق المؤدية الى وُرمس . شاع الخبر بانهُ من جملة المصالح المهمة التي تُلقَى امام المجمع انتخاب مجلس حكومة يسوس المملكة في مدة غياب كرلوس ورياسة المجلس الامبراطوري الَّا ان فكر الجمهور كان متجهًا بنوع اخص الى امرٍ آخر ذكرهُ الامبراطور ايضًا في مكاتيب دعوتهِ وهو الاصلاح واعمال السياسة العظيمة صغرت واكمدَّت قدام عمل راهب وتنبرج وكان الاصلاح موضوع الخطاب غالبًا بين الاشراف الذين جاءوا الى وُرمس . وكل الدلائل دلّت على ان ذلك المجمع يشتد فيهِ النزاع وان ضبطهُ يكون عسرًا . وكرلوس الذي بالكدّ بلغ عشرين سنة من

العمر كان مصفرًّا ضعيف الصحة ولكنهُ كان فارسًا جيدًا قادرًا على اعتقال الرمح كغيرهِ من ابناء زمانهِ. ولكن اطباعهُ لم تكن قد ظهرت بعد وكان تصرفهُ هادئًا فيهِ نوع من الملانخوليا مع انهُ كان رقيق العبارة ولم يكن الى ذلك الوقت قد اظهر خلّةً معتبرة ولا ظهر انهُ اعتمد على طريقة معينة في السياسة. وذلك الحاذق النشيط وليم دي كروي صاحب كيافريس والي المخدع العالي واستاذ كرلوس وصدرهُ الاول الذي كان لهُ سلطان مطلق في البلاط تُوُفّي في وُرمس والتقت هناك مطامع عديدة واغراض كثيرة تصادمت. واهل اسبانيا والبجيك تخاصموا معًا في اجتهادهم لكي يتداخلوا في مشورات الامبراطور الشاب ووكلاء البابا اكثروا حيلهم وامراء جرمانيا تكلموا بجراءة ولا يخفى ان الاعمال الخفية التي باشرها الاحزاب كانت لها اليد الاقوى في الخصام

وفوق جميع ساحات الهياج هذه علة هائلة اي البابا وية الرومانية غير قابلة التغير مثل مقدّرات الاقدمين وهي منذ ادوار بلا انقطاع قد سحقت كل عالِم وملك وشعب وقف في طريق تقدمها العاتي. وظهرت ارادتها بواسطة مكتوب كتبهُ رجل روماني في رومية في شهر كانون الثاني سنة ١٥٢١ حيث يقول ان لم اكن تحت وهم فالعمل الوحيد في مجمعكم هو قضية لوثيروس التي ازعجتنا اكثر من كل الكفار انفسهم وسوف نجتهد في اجتذاب الامبراطور الشاب بواسطة التهديدات والطلبات والتملقات الفارغة ونجتهد حتى نربح الجرمانيين بمدحنا تقوى اجدادهم وباعطائنا لهم مواهب غنية وبمواعيد مفرطة وان لم ننجح بهذه الطريق فاننا نعزل الامبراطور ونعفي الشعب من الطاعة وننتخب آخر يناسبنا مكانهُ ونهيج الحرب بين اهالي جرمانيا كما قد فعلنا في اسبانيا. وندعو الى مساعدتنا جيوش ملوك فرانسا وانكلترا وجميع قبائل الارض واما الامانة والشرف والديانة والمسيح فاننا نستخف بها جميعًا لكي نخلص سلطتنا. ان ادنى اطلاع على تاريخ البابا وية يكفي لتبيين صحة هذه العبارات وهي صفة صادقة لطريقتها وذلك نفس ما قد فعلتهُ رومية دائمًا عند ما ملكت

القوة ولكن الاوقات كانت حينئذٍ قد تغيرت قليلاً والآن تغيرت اكثر ولكنها لم تكفّ عن دابها القديم بل الى اليوم وغدا نضحي كل شيءٍ لاجل اثبات سلطتهِ الجائرة

وفتح كرلوس المجمع في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٥٢١ وهو عيد كرلوس الكبير وكان عقلهُ ملآنًا من سمو درجة السلطة الامبراطورية فقال في مستهل خطابهِ انهُ لا توجد مملكة تُقابَل بالمملكة الرومانية التي خضع لها كل العالم تقريبًا في الازمنة القديمة وان المملكة الحاضرة ليست سوى ظل ما قد كان قبلاً ولكنهُ بواسطة ممالكهِ والممالك القوية المتحدة معهُ امل ان يرجعها الى مجدها القديم

واعترضت الامبراطور الشاب حالاً صعوباتٌ كثيرة فماذا يجب ان يعمل وهو بين القاصد البابوي من جهة والملك المنتخب الذي كان مديونًا لهُ لاجل تاجهِ من الجهة الاخرى وكيف يمكنهُ ان يتخلص من اغاظة الياندر او فردريك فان الاول طلب من الامبراطور ان يُجرِي منشور البابا والثاني طلب منهُ ان لا يعمل شيئًا ضد الراهب الى ان تُسمَع دعواهُ . واذ رغب في ان يرضي الفريقين كان في مدة اقامتهِ في اوبنهيم قد كتب الى الملك المنتخب ان يُحضِر لوثيروس معهُ الى المجمع مؤكدًا لهُ انهُ لا يحصل ظلم على المصلح وانهُ لا يغتصب في شيءٍ وانهُ يُفتح للعلماء باب الحديث معهُ . وذلك المكتوب الذي كان مصحوبًا بمكاتيب أُخر من وليم دي كروي المشار اليهِ ومن امير ناسو اوقعت الملك المنتخب في ارتباك عظيم لان اتفاق الامبراطور الشاب الطاع مع البابا ربما يصير ضروريًا وبذلك ينتهي امر لوثيروس واذ اخذ فردريك المصلح الى وُرمس لربما جرهُ بذلك الى الحريق ومع ذلك كانت اوامر كرلوس مشددة فامر الملك المنتخب سپالاتين ان يوقف لوثيروس على المكاتيب التي اتت اليهِ فقال لهُ سپالاتين ان الاعداء يبذلون جهدهم لكي يعجلوا هذا الامر فخاف اصدقاء لوثيروس واما هو نفسهُ فلم يرتعد وكانت صحتهُ في ذلك

الوقت ضعيفةً جدًّا ولكن ذلك عندهُ امرٌ زهيد فاجاب الملك المنتخب اذا لم اقدر ان اذهب الى وُرمس بصحة كاملة فاني أُحمَل الى هناك مريضًا كما انا لانهُ اذا كان الامبراطور يدعوني لا اقدر ان اشك في كونها دعوة من الله نفسهِ فاذا ارادوا ان يظلموني كما هو الاقرب للظن (لانهم لا يطلبونني لكي ارشدهم) فاني أُسلم المادة بيدي الرب فان ذلك الذي حفظ الفتية الثلثة في اتون النار المضطرمة لا يزال حيًّا ومالكًا وان لم يخلصني فتكون حياتي لا طائل تحتها فلنحفظ الانجيل فقط من ان يُعرَّض لهزء الاشرار ولنسفك دمنا عنهُ لئلاَّ يغلبوا فيعتزوا. وليس لي ان احكم في كون حياتي او موتي اوفق لخلاص الجميع فلنصلِّ الى الله لكي لا يستفتح امبراطورنا ملكهُ بغمسهِ يديهِ بدمي فانهُ احب اليَّ ان اهلك بسيف الرومانيين وانت تعلم ما هو القصاص الذي أُنزل بالامبراطور سيجسموند بعد قتل يوحناهس. فانتظر مني مهما اردت ما عدا الهرب والرجوع. لا اقدر ان اهرب فكم بالحري لا اقدر ان ارجع

اما الملك المنتخب فقبل ان وصل اليهِ جواب لوثيروس عزم على ما يعملهُ وهذا الامير الذي تقدم في معرفة الانجيل صار حينئذٍ اثبت في تصرفهِ وشعر بان المسامرة في وُرمس لا تنتهي الى نهاية حسنة فكتب جوابًا الى كرلوس يقول يبان انهُ امرٌ صعبٌ ان آتي بلوثيروس معي الى وُرمس فاترجاك ان تعفيني من هذا العناء ثم اني لم ارد قبل هذا ان اعضد تعليمهُ بل ان امنع الحكم عليهِ قبل ان يُسمَع لهُ فقط والقصَّاد من دون انتظار اوامرك قد اخذوا حالاً في ما ينتج منهُ احتقار للوثيروس ولي معًا وانا اخاف كثيرًا من انهم قد الجأُوا بذلك لوثيروس الى ارتكاب عمل جسور جدًّا ربما يوقعهُ في خطر عظيم اذا قام امام المجمع. واشار الملك المنتخب بذلك الى احراق المنشور البابوي

ومع هذا كلهِ شاع في المدينة خبر مجيء لوثيروس والناس التائقون الى الاخبار الحديثة ابتهجوا وارباب شورى الامبراطور خافوا ولكن لم يظهر احدٌ غيظًا اعظم من غيظ القاصد البابوي فان الياندر في سفرهِ راى كم كان

قد امتدّ الانجيل الذي بشّر بهِ لوثيروس بين رتب جميع الناس لان العلماء والمشترعين والاشراف والاكليروس الدون والرهبان والشعب كانوا قد رُبحوا للاصلاح واصحاب التعليم الجديد هولاء مشوا بجراءة برؤوس مرتفعة وتكلموا من دون خوف بكل جسارة فحدث رعبة شديدة قلوب احزاب رومية . فالباباوية لم تزل قائمة واما اعمدتها فارتجفت لان آذانهم سمعت اصوات خراب نظير الصوت غير الواضح الذي يُسمع قبل سقوط جبل وتفتتهِ واذ كان الياندر في طريقهِ الى وُرمس لم يقدر مرارًا كثيرة على ضبط نفسهِ واذا اراد ان يأكل او ينام في مكان فلم يتجاسر العلماء ولا الاشراف ولا الخوارنة على قبولهِ حتى ولا الذين كان يُظنّ انهم من احزاب رومية فالتزم القاصد المتكبر ان ينزل في الخانات من ادنى الرتب فخاف الياندر وظن ان حياتهُ في خطر وعلى تلك الحالة وصل الى وُرمس وقد اضيف الى ترفضهِ الروماني الشعور بالاهانات الشخصية التي قاساها فبذل حالاً كل جهدهِ في منع حضور لوثيروس الجسور البطل فقال ألا يحدث شكوك من نظر الناس الى العوام وهم يفحصون ثانيةً قضيةً قد حرمها البابا . فلا شيء يخيف الباباوي مثل الفحص واذا حدث ذلك في جرمانيا عوضًا عن رومية فكم يكون العار عظيمًا ولئن اتّفق بصوتٍ واحدٍ على حرم لوثيروس مع ان حرمهُ تحت شك الوقوع أفلا تُلقي فصاحة لوثيروس القوية التي حصلت منها تلك الحوادث امراء وسادةً كثيرين في هلاك لا مناص منهُ . فالحّ الياندر على كرلوس جدًّا وترجى وتهدّد وتكلم نظير قاصد راس الكنيسة . فسلم كرلوس وكتب الى الملك المنتخب بان الوقت المعيّن للوثيروس لكي يرجع قد مضى فصار هذا الراهب تحت الحرم الباباوي حتى انهُ ان لم يرجع عما كتبهُ يجب على فردريك ان لا يتركهُ في وتمبرج . وكان فردريك قد خرج من سكسونيا بدون لوثيروس وقال ملانكثون عند انصرافهِ اني اطلب من الرب ان يعضد منتخبنا فان كل رجائنا في ترجيع الديانة المسيحية ملقى عليهِ واعداؤهُ يتجاسرون على كل شيء ولا يتركون حجرًا على

حجر ولكن الله يبطل مشورة اخيتوفال واما نحن فدعنا نأخذ نصيبنا من القتال بتعليمنا وصلواتنا . اما لوثيروس فاغتم جدًّا من منعهِ عن الذهاب الى وُرمس ولم يكتفِ الياندر بعدم حضور لوثيروس الى وُرمس بل طلب الحكم عليهِ ولم يكفّ عن التماس ذلك من الامراء والاساقفة وبقية اعضاء المجمع وهو لم يكن يقرّف الراهب الاوغسطيني بعدم الطاعة والارتقة فقط بل بالشغب والتمرد والنفاق والتجديف ايضًا ولكن ذات نغمة صوتهِ اظهرت حقدهُ وبغضتهُ وقال الناس عمومًا يسوقهُ الغضب والانتقام اكثر فاكثر لا الغيرة ولا التقوى . وهو مع كثرة كلامهِ وقساوتهِ لم يستمل احدًا الى رايهِ . والبعض قالوا لهُ ان المنشور الباباوي انما حرم لوثيروس على شرط وآخرون لم يقدروا على التمام ان يخفوا فرحهم بتذليل كبرياء رومية على هذا المنوال . واعوان الامبراطور من الجهة الواحدة والمنتخبون والكنائسيون من الجهة الاخرى ابدوا برودة ظاهرة اما الاولون فلكي يجعلوا البابا يشعر بضرورية الاتحاد مع مولاهم واما الآخرون فلكي يشتري الحبر مساعدتهم بثمن اغلى وغلب الشعور في المجمع ببراءة لوثيروس فلم يقدر الياندر ان يضبط غيظهُ

وبرودة المجمع اثرت في القاصد اقل من برودة رومية . وعسر على رومية ان تعتبر خصام جرمانيٍّ سكران كما لقبتهُ ولم تتصور ان منشور الحبر الاعظم يكون بلا تاثير في اخضاعهِ واذلالهِ وكانت قد رجعت الى كل غفلتها السابقة ولم ترسل مناشير جديدة ولا دراهم فكيف يمكنهم ان ينهوا تلك المادة من دون دراهم . ولا بد ان تُنبّه رومية فاطلق الياندر صراخ الخوف وكتب الى الكردينال دي ماريشي يقول ان جرمانيا آخذة في الانفصال عن رومية والامراء آخذون في الانفصال عن البابا فبعد مهلة قليلة وبعد مراسلة قليلة ينقطع الرجاء فالدراهم الدراهم والاَّ نُخسَر جرمانيا . فانتبهت رومية من ذلك الصراخ واستفاق اعوانها من نعاسهم وهيأُوا صواعقهم القوية في الفاتيكان واصدر البابا منشورًا جديدًا والحرم الذي تهدد بهِ العالِم الاراتيكي أُطلق بعزمٍ عليهِ وعلى

اصحابهِ ورومية بواسطة قطعها الرباط الاخير الذي ربط لوثيروس بالكنيسة اطلقت حريتهُ وبزيادة الحرية انت زيادة القوة واذ لعنهُ البابا التجأ بمحبة جديدة الى قدمي المسيح واذ طُرِد من اروقة الهيكل الخارجية شعر اشد الشعور بانهُ هو نفسهُ هيكل حلَّ فيهِ الاله الحي . فقال هو علة افتخار عظيم اننا نحن الخطاة بواسطة ايماننا بالمسيح واكلنا جسدهُ نملك داخلنا قوتهُ وحكمتهُ وبرهُ بكل نشاطها كما هو مكتوب من آمن بي اسكن فيهِ فيا لهُ من محل عجيب وخيمة غريبة تفوق خيمة موسى بما لا يُوصَف مزينة من داخل باستار عجيبة ارجوانية وحلي من ذهب مع اننا من خارج لا نرى شيئًا سوى استار خشنة من شعر المعزى وجلود الحملان (خر ٢٦: ٧ و١٤) والمسيحيون كثيرًا ما يعثرون واذا نظرنا اليهم من خارج لا نرى الَّا الضعف والعيوب ولا باس من ذلك لانهُ تحت ذلك الضعف وتلك العيوب تحلُّ سرًّا قوةٌ لا يقدر العالم ان يعرفها وسوف نغلب العالم لان المسيح حالٌّ فينا وقد رايت احيانًا المسيحيين يعرجون بضعف عظيم ولكن عند مجيء ساعة الجهاد والوقوف امام محاكم العالم تحرك المسيح فيهم بغتةً فصاروا اقوياء وذوي عزيمةٍ بهذا المقدار حتى ان الشيطان هرب خوفًا من امام وجوههم

ومثل تلك الساعة كانت قريبة الى لوثيروس والمسيح الذي حلَّ فيهِ لم يخيبهُ وفي تلك الفترة رفضتهُ رومية رفضًا قاسيًا فاطلقت اللعنة عليهِ وعلى جميع اصحابهِ مهما كانت رتبتهم وسلطانهم ونزعت منهم ومن وارثيهم كل ما لهم من الكرامة والامتعة وكل مسيحي امين ممن اعتبر خلاص نفسهِ التزم بالهرب عند نظرهِ تلك الجماعة المحرومة وحيثما دخلت تلك الارتقة أُمر الخوارنة في ايام الآحاد والاعياد عند ازدحام الكنائس من العابدين ان يشهروا الحرم باحتفال لائق . فنُزِعت عن المذابح زينتها واوانيها وطُرِح الصليب على الارض وحمل اثنا عشر خوريًا شموعًا بايديهم اوقدوها ثم طرحوها بشراسة الى الارض واطفأُوها تحت اقدامهم وحينئذٍ اشهر الاسقف حرم هولاء غير المؤمنين وقُرِعت الاجراس

كافةً واطلق الاسقف والخوارنة لعناتهم وحروماتهم ووعظوا جهارًا ضد لوثيروس واصحابهِ هكذا فُعِل في ايطاليا وصدرت الاوامر ان يفعل مثل ذلك في جرمانيا

وكان الحرم قد أُذيع في رومية منذ عشرين يومًا ولكن ربما لم يكن قد بلغ جرمانيا عند ما كتب لوثيروس الى الملك المنتخب مكتوبًا على طريق موافق لكي يقدر ان يريهُ لارباب المجمع وذلك اذ بلغهُ خبر امكانية طلبهِ الى وُرمس . واراد لوثيروس ان يصلح افكار الامراء المعوجّة وان يلقي امام تلك الحكمة الموقرة حقيقة الدعوى التي اساء القوم فهمها فقال انني افرح بكل قلبي ايها السيد الحكيم من ان جلالتهُ يريد ان يحضرني امامهُ بخصوص هذه القضية فانني استشهد يسوع المسيح انها مصلحة تعني كل الشعب الجرماني والكنيسة الجامعة والعالم المسيحي نعم والله نفسهُ وليست هي دعوى شخص مفرد وعلى الخصوص من كان نظيري . واني مستعد للانطلاق الى وُرمس بشرط ان يكون لي صك الامان وقضاةٌ علماء اتقياء خالون من الغرض وانا مستعد للجواب لاني لم اعلّم بروح ادعاء ولا لاجل ربح زمني بالتعليم الذي أُعيَّر لاجلهِ ولكن اطاعةً لضميري ولحلفي عند ما صرت معلم الكتب المقدسة وذلك لاجل مجد الله وخلاص الكنيسة المسيحية وخير الشعب الجرماني ولاجل ملاشاة هذا المقدار من الخرافات والقبائح والشرور والشكوك والظلم والتجديف والنفاق . وكلام لوثيروس هذا الذي تكلم بهِ في وقت مهم مثل ذلك يستحق اعتبارًا خصوصيًا فهذه هي اسباب اعمالهِ والعلل الداخلية التي اقتادت الى احياء الجماعة المسيحية وذلك يختلف جدًّا عن غيرة راهب وعن الرغبة في الزواج التي اتهمهُ بها البابا وبون

الفصل الثاني

محاورة بين معرّف الامبراطور ورئيس مجلس الملك المنتخب . نشاط الياندر .
تسليم كرلوس للبابا

ان كل ما مضى ذكرهُ كان تحتهُ قليل طائلٍ عند ارباب الحكومة وان اعتبر كرلوس الدرجة الامبراطورية لم يعتبرها لسبب جرمانيا لانها لم تكن مركز غاياتهِ وتدابيرهِ ولم يكن يفهم روح شعب جرمانيا ولا لغتهم ولم يزل هو دوك برجندي فاز بمالك أُخر كثيرة ولبس اول تاج في العالم المسيحي وكان امرًا غريبًا ان جرمانيا في وقت تغيُّرها الداخلي تنتخب ملكًا اجنبيًّا عندهُ احتياجات الشعب ومطاليبهُ امرٌ ثانوي ولا ريب ان الامبراطور لم يكن غير مكترثٍ بالحركة الدينية ولكنهُ لم يعتبرها الاَّ بالنسبة الى تهديدها البابا. وكان لا بد من الحرب بين كرلوس وفرنسيس الاول ولا بد من كون ايطاليا ساحة الحرب ولذلك صار الاتحاد مع البابا كل يوم اكثر ضرورة لمقاصد كرلوس وكان الاحبُّ اليهِ ان يفرق بين فردريك ولوثيروس او ان يرضي البابا من دون اغاظة فردريك وكثيرون من اصحاب مشورتهِ اظهروا في قضية الراهب الاوغسطيني تلك البرودة الازدرائية التي يظهرها اصحاب السياسة غالبًا في المسائل الدينية وقالوا فلنحترز من التطرف في العمل ونصطدْ لوثيروس بالمراسلات ونفحمهُ ببعض التسليمات الزهيدة والأَولى ان نطفي اللهيب ولا نضرمهُ فاذا سقط الراهب في الشرك كنا الغالبين وهو بقبولهِ الصلح يسكّت نفسهُ ويُعطِل عملهُ ولاجل الصورة نامر ببعض الاصلاحات الخارجية فيرتضي الملك المنتخب ويُريح البابا وترجع الامور الى طريقها الاعتيادي

هذا هو تدبير اصحاب شورى الامبراطور والظاهر ان علماء وتمبرج تنبأُوا

بهذا التدبير فقال ملانكثون انهم يحاولون ان يربحوا الناس سرًّا وهم يشتغلون في الظلام . وكان مُعرِّف كرلوس يومئذٍ يوحنا غلابيو المعتبر والمشير الحاذق والراهب المحتال فتكفّل باجراء هذا الترتيب فوثق بهِ كرلوس ثقة كاملة وحسب عوائد اسبانيا في تلك الامور فوّض اليهِ تفويضًا تامًّا كل الامور المنطوية بالديانة. وحالما انتُخب كرلوس امبراطورًا اجتهد البابا لاون في ان يربح غلابيو بانعامات قبلها بكل شكر وهو لم يكن يقدر ان يكافي كرم الحبر بمكافاة احسن من سحق تلك الارتقة ولذلك تفرغ لهذا الامر

وكان بين اصحاب مشورة الملك المنتخب غريغوريوس بروخ الملقَّب بونتانوس المشير وهو رجل فهيم رزين شجاع اعلم باللاهوت من علماء كثيرين وكانت حكمته كافية لمقاومة حيل الرهبان الذين في بلاط كرلوس واذ عرف غلابيو اعتبار الرئيس المذكور طلب مواجهته وعرفهُ بنفسهِ بانهُ صديق للمصلح فقال بكلام المعروف انني امتلأت فرحًا عند ما قرأت مولفات لوثيروس الاولى فحسبتهُ شجرة قوية قد اخرجت اغصانًا حسنة ووعدت الكنيسة باكرم الاثمار نعم ان اناسًا كثيرين قد تمسكوا بهذه الآراء قبل زمانهِ ولكن لم يتجاسر احدٌ على اشهار الحق من دون خوفٍ نظيرهُ ثم عند ما قرات كتابهُ في سبي بابل شعرت كاني مُوعَبٌ ضرباتٍ من الراس الى القدم ولست اظن ان الاخ مرتينوس يقرُّ بانهُ مؤلّف ذلك الكتاب فاني لا اجد فيهِ نسقهُ الاعتيادي في الكلام ولا علمهُ ثم بعد مفاوضة قليلة قال المُعرِّف اجمعني مع الملك المنتخب فابين لهُ بحضورك غلطات لوثيروس . فاجاب الرئيس ان شغل المجمع لا يترك لجلالتهِ زمان فراغ وعدا ذلك انهُ لا يتداخل بهذه القضية . فاغتاظ الراهب عند ما راى طلبتهُ قد رُفِضت ثم قال الرئيس ومع ذلك بما انك تقول انهُ ليس شرٌّ عديم العلاج فاوضح كلامك

فاجاب المعرِّف بصوت من يفشي سرًّا وقال ان الامبراطور يرغب جدًّا في ان يرى انسانًا مثل لوثيروس يتصالح مع الكنيسة لان كتبهُ (اي التي اشهرها

قبل اذاعة الرسالة في سبي بابل) مقبولة نوعًا لدى جلالهِ ولا شك ان الغضب الذي احدثهُ المنشور هو الذي حرك لوثيروس الى كتابة الرسالة المذكورة فليقر اذًا بانهُ لم يقصد ان يشوّش راحة الكنيسة فيوافقهُ علماء كل الشعب فاطلب لي اذنًا لمواجهة سعادتهِ . فانطلق الرئيس الى فردريك وعلم فردريك ان رجوع لوثيروس عن شيء مهما كان زهيدًا امر مستحيل فاجاب الرئيس قائلاً . اخبر المعرّف اني لا اقدر ان اجيب الى سوالهِ . اما انت فمد الحديث معهُ . فتظاهر غلاپيو بقبول هذا الجواب بكل اعتبار وقال مغيّرًا كيفية حيلتهِ فليعيّن الملك المنتخب اناسًا من الثقات لاجل النظر في هذا الامر

فقال الرئيس ان الملك المنتخب لا يدّعي بانهُ محامٍ عن دعوى لوثيروس

فقال المعرّف جيدٌ اذًا انت اقلما يكون نقدر ان نبحث فيها معي فان يسوع المسيح شاهد لي انني اشير بذلك من محبتي للكنيسة وللوثيروس الذي فتح للحق قلوبًا كثيرة

واذ ابى الرئيس ان يتعاطى عملاً يختص بالمصلح استعد للانصراف

فقال لهُ الراهب ابقَ

قال الرئيس ماذا بقي لنا ان نعملهُ

قال المعرّف لينكر لوثيروس انهُ كتب سبي بابل

قال الرئيس ولكن منشور البابا يحرم كل كتبهِ الأُخر

قال المعرّف ان ذلك لاجل عنادهِ فاذا انكر هذا الكتاب فان البابا بسلطانهِ غير المحدود يقدر بسهولة ان يغفر لهُ فايُّ شيءٍ لا يسوغ لنا ان نرجوهُ اذ لنا هذا الامبراطور الفاضل

واذ راى الراهب ان هذا الكلام اثر بعض التاثير في الرئيس استتلى بسرعة قائلاً ان لوثيروس يرغب دائمًا ان يبرهن كل شيءٍ من الكتاب المقدس والحال ان الكتاب المقدس هو نظير الشمع يمكنك ان تمدّهُ وتلويهُ كما تريد فاني اقدر ان اجد في الكتاب المقدس رايات اوسع من رايات لوثيروس وهو

يغاط عند ما يحوّل كل كلمة من كلام المسيح الى امر . واذ اراد حينئذٍ ان يخيف الرئيس قال فماذا تكون النتيجة اذا كان الامبراطور يلتجي اليوم او غدًا الى السلاح فتامّل بهذا . ثم سمح لپونتانوس بالانصراف

ثم نصب المعرّف اشراكًا جديدة . قال ابراسموس ان الانسان اذا عاشرهُ عشر سنين لا يعرفهُ بعد الكل . ثم لما صادف الرئيس بعد ايام قليلة قال له ما افضل كتاب لوثيروس في الحرية المسيحية ويا لها من حكمة وموهبة وحذاقة فهكذا يجب على المعلم ان يكتب فلينتخب الجانبان اناسًا لا عيب فيهم وليفوّض البابا ولوثيروس كل الامر الى حكمهم ولا شك ان لوثيروس يخرج غالبًا في قضايا كثيرة . وانا اتخابر مع الامبراطور وصدّق اني ما ذكرت هذه الاشياء من عندي وحدي فقد قلت للامبراطور ان الله يقاصّهُ وجميع الامراء اذا كانت الكنيسة التي هي عروس المسيح لا تنقى من جميع الاقذار التي تدنّسها وقلت ايضًا ان الله نفسهُ قد ارسل لوثيروس وفوّض اليهِ ان يوبخ الناس على خطاياهم اذ يستعملهُ قضيب ادبٍ لكي يقاص خطايا العالم

ولما سمع الرئيس هذا الكلام الدالّ على حاسيات العصر والمبيّن الراي المتمسك بهِ من جهة لوثيروس حتى من اعدائهِ لم يطق ان يضبط نفسهُ عن اظهار تعجّبهِ من ان مولاهُ لم يُعامَل باكثر اعتبار قال انهُ يصير كل يوم كلام مع الامبراطور عن هذا الامر ومع ذلك لا يُسأل عن الملك المنتخب وهو يستغرب ان الامبراطور الذي هو مديون لهُ دينًا ليس بقليل يمنعهُ من مشورتهِ

فقال المعرّف اني قد حضرت مرة واحدة فقط في تلك المحاورات وحينئذٍ سمعت الامبراطور يقاوم التماسات القاصد وبعد الآن بخمس سنوات سوف يُرَى ماذا عملهُ كرلوس لاجل اصلاح الكنيسة

فاجاب پونتانوس ان الملك المنتخب غير عارف بمقاصد لوثيروس فليُحضَر ويُسمَع منهُ

فاجاب المعرّف بتنهّدٍ عميق اني استشهد الله كم ارغب بحرارة في ان ارى

اصلاح العالم المسيحي يتم

كل ما قصدهُ غلايبو هوان يؤخّر القضية ويسكّت المصلح وعلى كل حال ان لا يحضر لوثيروس الى وُرمس فان قيام واحد من الموتى وظهورهُ في وسط المجمع يكون اقلّ تخويفًا للقصّاد والرهبان ولكل الجيش البابوي من حضور الدكتور الوتمبرجي

ثم سأل المعرّف كأنهُ لا يبالي بالامر كم يومًا يلزم للسفر من وتمبرج الى وُرمس ثم بعد طلبهِ من بونتانوس ان يقدم سلامهُ للمنتخب انصرف في حال سبيلهِ

فهكذا كانت الحيل التي استعان بها اصحاب المشورة اما ثبات بونتانوس فالقاهم في ارتباك . وذلك الرجل القويم كان غير متزعزع نظير صخرة في كل تلك المدة والرهبان الرومانيون انفسهم سقطوا في الاشراك التي نصبوها لاعدائهم . قال لوثيروس بعباراتهِ الاستعارية ان المسيحي نظير عصفور مقيد بالقرب من فخ فالذئاب والثعالب تجول حولهُ وتثب عليهِ لكي تبتلعهُ فتسقط في الحفرة وتهلك واما العصفور الجبان فيبقى لا ينالهُ اذًى فعلى هذا المنوال الملائكة القديسون يحافظون علينا فلا تقدر تلك الذئاب المفترسة اي المراؤون والمضطهدون ان تضرنا . وليس فقط ان حيل المعرّف ذهبت سدًى بل تسليماتهُ زادت فردريك ثباتًا في رايهِ ان لوثيروس مصيب وانهُ يجب عليهِ ان يحميهُ

وكانت قلوب الناس تزداد ميلاً شيئًا فشيئًا نحو الانجيل فاشار رئيس دومينيكي بان الامبراطور وملوك فرانسا واسپانيا وانكلترا والبرتوكال والمجيار وپولونيا مع البابا والمنتخبين يعيّنون وكلاء يفوَّض اليهم صرف هذه المادة. قال انهُ لم يبنَ قط الاستناد التام على البابا وحدهُ . والحركة بين الجمهور وصلت الى حالةٍ لم يكن ممكنًا معها حرم لوثيروس من دون ان يُسمَع لهُ ويُرَد عليهِ ردًّا مقنعًا

فاضطرب الياندر واظهر نشاطاً غير اعتيادي فلم يضطر الى ان يخاصم الملك المنتخب ولوثيروس وحدهما بل راى بكراهة محاولات المعرّف السرية ومشورة الرئيس وقبول اعوان كرلوس وشدة برودة التقوى الرومانية حتى بين احسن اصدقاء الحبر الروماني كما قال بلاويشيني بانَ كانَّ نهراً من جمَد قد فاض عليهم . ثم وصلت الى يدهِ اخيراً الدراهم التي طلبها من رومية فامسك بيدهِ المكاتيب القوية الموجهة الى اقدر رجال المملكة واذ خاف من ان يرى فريستهُ تنجو من يديهِ استنسب ذلك الوقت لكي يضرب ضربة محكمة فارسل المناشير وفرّق الدراهم مبذّراً ووعد باشهى المواعيد واذ تسلح بهذا السلاح المثلّث كما اخبرنا الكردينال بلاويشيني حاول من جديد ان يستميل بجماعة المنتخبين المتزعزعة الى جهة البابا . الاّ انهُ بنوع خصوصي نصب فخاخهُ حول الامبراطور مستعيناً بالاختلاف الذي وقع بين ولاة بلجيك واسپانيا فحاصر الامبراطور من دون انقطاع وكل احزاب رومية اذ انتبهوا بواسطة صوتهِ الحّوا على كرلوس فكتب الملك المنتخب الى اخيهِ يوحنا ان موامرات يومية تحصل ضد لوثيروس فانهم يطلبون ان يلقوهُ تحت لعنة البابا وغضب الامبراطور ويجتهدون بان يوذوهُ من كل وجهٍ والذين يتبخترون ببرنيطاتهم الحمراء الرومانيون مع جميع اتباعهم يبدون غيرة لاتكل في هذا العمل

والحّ الياندر حنقاً على حرم المصلح بشراسة يصفها لوثيروس بجنون عجيب . وذلك القاصد المرتد اذ امتلأ غيظاً متجاوزاً حدود الفطنة صرخ ذات يومٍ قائلاً اذا كنتم ايها الجرمانيون تحاولون طرح نير طاعة رومية عنكم فاننا نتصرف على طريق مخصوص حتى تستأصلون بقتل بعضكم بعضاً وتهلكون بدمكم . قال المصلح فهكذا يرعى البابا خراف المسيح

اما لوثيروس فلم يتكلم بكلام نظير كلام القاصد . ولم يطلب شيئاً لنفسهِ . قال ملانكثون ان لوثيروس مستعدٌ لان يشتري بثمن حياتهِ مجد الانجيل وتقدّمهُ ولكنهُ ارتجف عند ما تامل بالبلايا التي تعقب موتهُ . فتصوّر عندهُ شعب غضوب

ينتقم من استشهاده بدم اعدائهِ ولا سيما دم الكهنة فرفض مسئوليةً هائلة كهذه .
قال ان الله يكبح غضب اعدائهِ ولكن اذا ثار فاننا حينئذٍ نرى عاصفًا يثور على
الخوارنة نظير ذلك العاصف الذي اقفر بوهيميا الى ان قال ان يديَّ بريئتان
من هذا لاني قد طلبت بلجاجة من اشراف جرمانيا ان يقاوموا الرومانيين
بالحكمة لا بالسيف فالحرب ضد الخوارنة الذي هم قوم خالون من الشجاعة والقوة
كالحرب ضد النساء والاطفال

اما كرلوس الخامس فلم يستطع ان يتخلص من لجاجة القاصد . وترفضهُ
البلجيكي والاسبانيولي ربَّاهُ استاذهُ ادريان الذي جلس في ما بعد على الكرسي
الحبري وكان البابا قد كتب اليهِ يترجاهُ ان يجعل المنشور شرعيًّا بواسطة امر
امبراطوري . قال ان الله قد قلدك عبثًا سيف السلطة السامية اذا كنت
لا تستعملهُ ضد الكفار والاراتقة ايضًا الذين هم شرٌّ منهم كثيرًا . وعلى ذلك
ذات يوم في غرة شباط وكل واحد في وُرمس يستعد لمبارزة مبهجة عتيدة ان
تقام وخيمة الامبراطور قد انتصبت دُعي الامراء الذين تسلحوا لكي يشتركوا في
الفرجة الساطعة الى قصر الامبراطور وبعد ان اصغوا لقراءة المنشور البابوي
أُلقي امامهم امرٌ مشدَّد يامر باجرائهِ حالاً وقال الامبراطور تابعًا العادة
الجارية اذا كان عندكم طريقة احسن من هذه فاني مستعدٌّ للاصغاء اليكم .
فحدث حالاً جدالٌ طويل شديد بين الجماعة وكتب وكيلٌ من احدى مدن
جرمانيا المستقلة يقول ان هذا الراهب يشغلنا شغلاً كثيرًا فالبعض يريدون
ان يصلبوهُ وعلى ظني انهُ لا ينجو غير انهُ يُخشَى من ان يقوم في اليوم الثالث . وظن
الامبراطور انهُ يستطيع على اذاعة امرهِ من دون مضادة من قِبَل الولايات
وصار بخلاف . لان عقولهم لم تكن مُعَدَّةً لهُ فكان اقناع المجمع ضروريًّا فقال
الامبراطور الفتى للقاصد أَقنع هذا المجمع . وهذا هو كل ما طلبهُ الياندر ووُعِد
بالاستماع امام المجمع في ١٢ شباط

الفصل الثالث

ادخال الياندر الى المجمع وخطابهُ

فاستعدَّ القاصد لمقابلة ذلك الجمهور المعتبر من الصُّغاة ومع ثقل المسئولية كان الياندر اهلاً لها . كان سفيرًا من قِبَل الحبر الاعظم ومُحدِقًا بكل رونق درجتهِ السامية ومن افصح اهل زمانهِ فانتظر أصدقاء الاصلاح تلك الجلسة باحتساب عظيم اما الملك المنتخب فتمارض ولم يحضر الاَّ انهُ امر بعض ارباب مشورتهِ بالحضور وتقييد خطاب القاصد

وفي اليوم المعيَّن ذهب الياندر الى جمعية الامراء . وكانت حاسيات الجميع هائجة وتذكر كثيرون بذهاب حنانيا وقيافا الى ايوان بيلاطس يطلبان قتل ذلك الرجل الذي قلب الامة (لو ٢٣ : ٢) قال بلاويشيني وعند دخول القاصد الباب دنا منهُ بواب المجمع بغلاظة ودفعهُ الى الوراء بلكمة على صدرهِ واستثنى المؤرخ الروماني المذكور انهُ كان لوثيرانيًّا في قلبهِ واذا كانت هذه القصة صحيحة تدلُّ لامحالة على افراط في الغضب ولكنها في الوقت نفسهِ قياس تاثير اقوال لوثيروس حتى في اولئك الذين كانوا يحافظون على ابواب المجمع الملكي. واما الياندر المتكبر فضبط نفسهُ بالجلال وتقدم الى ان دخل الديوان ولم تتكلف رومية قطُّ للمحاماة عن نفسها امام مثل ذلك الجمهور العظيم ثم وضع امامهُ الاوراق التي ظن انها ضرورية اي تصانيف لوثيروس والمناشير البابا وية وحالما سكت المجمع استفتح خطابهُ قائلاً

ايها الامبراطور الاعظم والامراء الاقوياء والوكلاء الافاضل اني واقف امامكم لاجل المحاماة عن امر يضطرم قلبي لاجلهِ باعظم المحبة وذلك لكي احفظ على راس سيدي ذلك الاكليل المثلث الذي انتم جميعًا تعبدونهُ واسند ذلك

العرش البابوي الذي لاجلهِ اريد ان اسلم نفسي للنيران لو رُبِط معي بالعمود واحرق معي ذلك المسخ الذي هو سبّب هذه الارتقة النامية التي مرادي الآن ان احاربها

ان الخصام بين لوثيروس والبابا يتعلق كلهُ بالمصالح البابوية . اما في كتب لوثيروس (والانسان انما يحتاج الى عينين فقط لكي يرى انهُ يقاوم تعاليم الكنيسة المقدسة) فانهُ يعلّم ان الممتلئين خوفًا وخزيًا من جرى خطاياهم هولاء وحدهم يشتركون باستحقاق وانهُ لا يتبرر احدٌ بواسطة المعمودية ان لم يكن لهُ ايمان بالوعد الذي المعمودية عربون لهُ . وينكر ضرورية الاعمال لنوال المجد السموي وينكر علينا وجود الحرية والقدرة فينا لاطاعة الشريعة الطبيعية والالهية ويزعم اننا نخطي بالضرورة في كل واحد من اعمالنا. فهل بعث بيت اسلحة جهنم اسلحة اوفق من تلك لتقطع رُبُط الحشمة ... وينادي بجواز ابطال النذور الرهبنية فهل يمكنا ان نتصور نفاقًا مُدَنِّسًا اعظم من ذلك .... فاي خرابٍ لا نراهُ في العالم لو طرح هولاء الذين هم ملح الارض ملابسهم الكهنوتية وتركوا الهياكل التي ترن بصدى نغماتهم المقدسة وانهمكوا بالزنا والدعارة وكل رذيلة. فهل تريدون ان احصي كل ذنوب هذا الراهب الاوغسطيني انهُ يخطي ضد الموتى لانهُ ينكر المطهر ويخطي ضد السماء اذ قال انهُ لا يُصدِّق حتى ولا ملاكًا من السماء ويخطي ضد الكنيسة لانهُ يزعم ان جميع المسيحيين هم كهنة ويخطي ضد القديسين لانهُ يحتقر مصنفاتهم المعتبرة ويخطي ضد المجامع لانهُ وصف مجمع قسطنسيا بكونهِ مجمع شياطين ويخطي ضد العالم لانهُ ينهى عن انزال قصاص الموت بكل من لم يرتكب خطية مميتة. ولعلَّ البعض منكم يقول انهُ رجل صالح. .. فليس لي رغبة في ان اهجو سيرتهُ وانما رغبتي في ان اذكّر هذا الجمهور بان الشيطان كثيرًا ما يغش الناس تحت رداء الحق

وبعد ان تكلم الياندر عن تعليم المطهر المحرم من قبل مجمع فلورنسا التي امام قدمي الامبراطور براءة البابا بخصوص ذلك المجمع فاخذها رئيس اساقفة منتز

وناولها لرئيسي اساقفة تريف وكولون فقبلاها باحترام وناولاها للامراء الأُخر . وبعد ان قرَّف لوثيروس على هذا المنوال تقدم الى الامر الثاني الذي هو تبرير رومية فقال

قال لوثيروس انهُ في رومية الفم يعد بشيءٍ واليد تفعل شيئًا آخر فاذا كان ذلك صحيحًا أَفما ينبغي ان نستنتج نتيجة عكس نتيجتهِ فاذا كان خدام ديانة يسلكون حسب اوامرها فذلك علامة لكون تلك الديانة كاذبة فهكذا كانت ديانة الرومانيين القدماء وهكذا هي الاديان الكاذبة الآن وديانة لوثيروس نفسهِ واما الديانة التي يعلمناها الاحبار الرومانيون فليست كذلك نعم ان التعليم الذي يقرون بهِ يشجبهم جميعًا لانهم قد ارتكبوا زلات وكثيرون اجرموا والبعض (اني اتكلم بحرية) اذنبوا فهذا التعليم يجعل اعمالهم عرضة لمذمة الناس وهم احياء وقذف التاريخ بعد موتهم فأَسأَل الآن اية لذة اوربح يقدر الباباوات ان يجدوا باستنباطهم مثل هذه الديانة

وقيل ان الكنيسة لم يحكم عليها الاحبار الرومانيون في القرون الاولى ولكن اية نتيجة نستنتج من ذلك فاننا بهذه الاحتجاجات يمكننا ان نقنع الناس ان يقتاتوا بالبلوط والملكات ان يغسلنَ ثيابهنَّ بايديهنَّ كما كانت عادة القدماء

وكان خصمهُ المصلح الموضوع الخصوصي لبغضة القاصد واشتعل غيظهُ على الذين قالوا بوجوب استماع دعواهُ قال ان لوثيروس لا يسمح لنفسهِ ان يتعلم من احد فان البابا قد طلبهُ الى رومية فلم يطع ثم امرهُ البابا بالحضور امام القاصد في اوجسبرج فلم يحضر الاَّ بعد ان اخذ ورقة امان اي بعد ان رُبطت يدا القاصد ولم يبقَ الاَّ لسانهُ فقط محلولاً . ثم التفت الياندر نحو كرلوس الخامس وقال آه انني اترجى جلالك الملكي ان لا تفعل شيئًا يعود الى تعييبك ولا تتعرَّض لمادة لا تتعلق بالعامة بل تمم واجباتك الخصوصية وانهَ عن كتب لوثيروس في طول المملكة وعرضها ولتُحرَق كتبهُ في كل مكان ولا تخف . لان في غلطات لوثيروس ما يكفي لاحراق مئة الف اراتيكي فمن اي شيءٍ نخاف .

أنخاف الجمهور . جسارتهُ تريهِ هائلاً قبل الجهاد واما في القتال فجبانتهُ تجعلهُ محتقرًا . او من الامراء الاجانب والحال ان ملك فرانسا قد نهى عن ادخال تعليم لوثيروس الى مملكتهِ وملك انكلترا آخذٌ في اعداد هجمة بيدهِ الملكية نفسها . وانت تعلم ماهي رايات الجبار وايطاليا واسبانيا ولا احد بين جيرانك مهما كانت بغضتهُ لك شديدة يشتهي لك الشر الذي تسببهُ لك هذه الارتقة لانهُ اذا كان بيت عدونا يجاور بيتنا ربما نرغب في ان تزورهُ الحمى لا الطاعون . فماذا هم كل هولاء اللوثرانيين . فانهم اوبة معلمين متجرفين وخوارنة مفسدين ورهبان شهوانيين ومشترعين جهال واشراف مخطئين مع عامة الشعب الذين اضلوهم وعوّجوهم . فكم هي الجماعة الكاثوليكية اعظم منهم في العدد والقدرة والسطوة . والحكم المتفق عليهِ من كل اعضاء هذه الجماعة الفاضلة ينير البسطاء ويحذر الجسورين ويُشدّد المرتخين ويُقوّي الضعفاء ولكن ان لم توضع الفاس على اصول هذه الشجرة السامة ولم تُضرَب ضربة الموت فاني اراها تُظلِل ميراث يسوع المسيح باغصانها وتُحوِل كرم ربنا الى حرش مظلم وتجعل ملكوت الله مغارة وحوش برية وتغير جرمانيا الى تلك الحالة البربرية المخيفة والخراب الهائل اللذين اصابا اسبانيا بواسطة خرافة الكفّار

ثم سكت القاصد بعد ما تكلم ثلاث ساعات وحمية عباراتهِ اثرت تاثيرًا عميقًا في الجمهور فكان الامراء ينظرون احدهم الى الآخر بهياجٍ وخوفٍ كما اخبر كوكلاوس وقامت التشكيات سريعًا على لوثيروس واصحابهِ ولو كان لوثيروس الفصيح حاضرًا ورُخِص لهُ ان يجاوب على هذا الخطاب لبيّن ان هذه البراهين ذاتها التي أُتي بها للمحاماة عن رومية هي من نفسها شجبٌ لها وان ما سلّم بهِ القاصد هو مما ذكرهُ عن معلمهِ الشرير برجيا ولو اظهر ان التعليم الذي برهن اثمها لم يُختَرَع منهُ كما زعم الخطيب بل انما هو تلك الديانة التي سلمها المسيح للعالم والتي اخذ الاصلاح في ارجاعها الى رونقها الاول ولو صوّر على صورة حقيقية موثرة اضاليل البابوية وقبائحها وكشف كيف استخدمت ديانة

المسيح آلةً للاغراض النفسانية والخطف لكان مفعول خطاب القاصد تلاشى حالاً ولكن لم يقم احدٌ للكلام بل بقيت الجماعة تحت التاثير الحاصل من هذا الخطاب واذ كانت هائجة ومتاثرة اظهرت نفسها مستعدة لان تستاصل بالعنف ارتقة لوثيروس من اراضي المملكة

ولكن النصرة كانت في الظاهر فقط وكان من جملة مقاصد الله ان رومية تكون لها فرصة لاظهار براهينها وقوتها فان اعظم خطبائها تكلم في وسط جماعة من الامراء ونطق بكل ما ارادت رومية ان تقولهُ ونفس اجتهاد رومية هذا الاخير صار علامة انكسار في عيون كثيرين ممن اصغى اليهِ. فاذا كان الاقرار الجهاري ضروريًّا لغلبة الحق فاثبت الوسائط لابادة الغلط انما هو اظهارهُ من دون اخفاء شيء منهُ ولكي يجريا مجراهما لا يجب ان يُخفَى هذا ولا ذاك لان النور يمحن جميع الاشياء

الفصل الرابع

آراء الامراء . خطاب الدوك جرجس . طبيعة الاصلاح . حبل القاصد . ثقة لوثيروس

بعد ايام قليلة انمحى تاثير خطاب القاصد كما هو دائمًا الحال عند ما يستر الخطيب ضعف براهينهِ تحت تزخرف الكلام . اما الامراء فاكثرهم كانوا مستعدّين لتسليم لوثيروس ولكن لم يرغب احدٌ في ان يضحي حقوق المملكة ولا ان يسكت عن مظالم الامة الجرمانية . فكانوا مستعدين لتسليم الراهب الوقح الذي تجاسر على التكلم بشجاعة كهذه ولكن اشتد عزمهم ايضًا على اشعار البابا بعدالة الاصلاح المطلوب من رؤساء الامة والذي تكلم باعظم حمية ضد تعديات رومية هو جرجس دوك سكسونيا عدو لوثيروس الشخصي . وهو ابن

ابن بوديبراد ملك بوهيميا . فاغتاظ من تعليم النعمة الذي نادى بهِ المصلح ولكنهُ لم يُعدَم كل رجاء في اصلاحٍ ادبي كنائسي . والسبب الاعظم لغضبهِ على راهب وتبرج هوانهُ بواسطة تعاليمهِ المحتقرة افسد كل العمل ولكنهُ لما راى القاصد يجتهد على ان يشمل لوثيروس واصلاح الكنيسة تحت حكمٍ واحدٍ بعينهِ نهض بغتةً في وسط جماعة الامراء حتى تعجب جداً كل الذين كانوا عارفين ببغضهِ للمصلح وقال ان المجمع لا يجب ان ينسى اسباب تشكينا من رومية فكم من تعدّيات قد دخلت في بلادنا . السنويات التي انعم بها الامبراطور لاجل خير الديانة الآن تُجمع قهراً كانها دين شرعي والرؤساء الرومانيون يخترعون كل يوم تراتيب جديدة لكي يشتروا ويبيعوا ويؤخروا المعاليم الكنائسية . ويُغض النظر عن تعديات كثيرة والمتعدون الاغنياء يطلقون من دون سبب واما الذين ليس لهم دراهم لكي يشتروا الغفران فيُقاصّون بلا رحمة والباباوات يمنحون دائمًا لاعوانهم مواريث ومداخيل وبعد موتها الذين تحق لهم شرعًا وعدلاً . والمعاليم ومداخيل ادبرة الرهبان والراهبات الرومانية تُمنح للكردينالين والاساقفة والبطاركة فيخصّصها هولاء بانفسهم فلا يوجد راهب واحد في الادبرة التي كان يجب ان يكون فيها عشرون او ثلاثون وقد كُثرت المقامات بغير حد واُقيمت لاجل بيع الغفرانات منابر في كل زقاق ومكان مشهور من مدننا مثل منابر ماري انطونيوس والروح القدس وماري هوبرت وماري كرنيليوس وماري منصور وهلمّ جرًّا وانتظمت شراكات في رومية يشترون حقوق اقامة مثل هذه الاسواق ويشترون اذن اساقفتهم لكي يشتروا بضائعهم ويعصرون ويفرغون اكياس المساكين لاجل تحصيل المال . فالغفران الذي يجب ان يُعطَى لاجل خلاص النفوس فقط والذي يُحصَّل بواسطة الصلوات والاصوام واعمال المحبة يُباع بموجب تعريفة ووكلاء الاساقفة يظلمون المساكين بقوانينهم لاجل التجديف والزنا والدعارة والشغل في احد الاعياد ولكنهم توبيخًا لا يوبخون الاكليروس لاجل ارتكابهم نفس هذه الذنوب وتوضع قصاصات على التائبين

على طريق يسقطهم حالاً في الغلط بعينهِ حتى يدفعوا دراهم اكثر. فهذه هي بعض القبائح التي تصرخ ضد رومية. وكل الحياء قد طرح جانبًا وغايتهم الوحيدة انما هي المال المال المال حتى ان الواعظين الذين يجب ان يعلموا الحق لا ينطقون بشيء الاّ الكذب وليس فقط انهم يُحتَملون بل يُثابون ايضًا لانهُ بمقدار ما يعظم كذبهم تعظم ارباحهم. فمن هذا الينبوع الفاسد تصدر هذه المياه المنتنة. والدعارة تمدُّ يدها للبخل. ورسل رومية يدعون النساء الى منازلهم تحت تمويهات مختلفة ويجتهدون في اغوائهنَّ تارةً بالتهديدات واخرى بالعطايا وان لم ينجحوا فانهم يعطلون اسمهنَّ الصالح. ويُحكم بان الشكوك المسببة من الاكليروس هي التي تكردِس هذا القدر من النفوس المسكينة في الدينونة الابدية. فلا بدَّ من عمل اصلاح عام ولا بد من مجمع مسكوني ينَدب لاجل اصدار هذا الاصلاح ولاجل هذه الاسباب التمس منكم بتواضع ايها الامراء والسادة العظام ان تنظروا حالاً الى هذا الامر. ثم قدم الدوك جرجس قائمة في التعديات التي قد احصاها. وكان ذلك بعد خطاب الياندر ببعض الايام فحُفظت تلك القائمة المعتبرة بين اوراق مقاطعة وايمار

ان لوثيروس نفسهُ لم يكن قد تكلم كلامًا اقوى من هذا ضد قبائح رومية ولكنهُ كان قد فعل اكثر من ذلك فان الدوك اشار الى الشر واما لوثيروس فاشار الى العلة والعلاج. فبيَّن ان الخاطي ينال الغفران الحقيقي الآتي من الله بالايمان فقط بنعمة واستحقاقات يسوع المسيح وهذا التعليم البسيط القوي هدم جميع الاسواق التي اقامها الكهنة. وسأل يومًا كيف يقدر الانسان ان يصير تقيًّا. فيجيب الراهب من رهبنة اللبس الازرق بواسطة لبس قلنسوةٍ زرقاء وشدّ وسطك بحبل. والروماني يجيب بواسطة استماع القداس والصوم. واما المسيحي فيقول ان الايمان بالمسيح وحدهُ يبرّر ويخلّص فقبل الاعمال يجب ان تكون لنا الحياة الابدية وعند ما نولد ثانية ونصير اولاد الله بواسطة كلمة النعمة حينئذٍ نعمل اعمالاً صالحة

ان خطاب الدوك خطاب امير عالي واما خطاب لوثيروس فخطاب مصلح . والشرُّ العظيم في الكنيسة هو ميلها المُفرِط نحو الصُّوَر الخارجية وجعلها كل اعمالها ونعمها اموراً خارجية ومادّية صرفاً وكانت الغفرانات الحد الاقصى لهذا الامر . والشيء الروحي الى التمام المجرد عن كل مادة اعني الغفران صار شراؤُهُ في الحوانيت نظير البضائع الأُخر . وعمل لوثيروس العظيم هو استخدام فساد الديانة هذا الكلي وسيلة لاقتياد الناس والكنيسة وترجيعهم الى ينابيع الحياة الاصلية ورد ملكوت الروح القدس الى مقدس القلب وهنا كما يحدث مراراً في احوالٍ اخرى وُجِد الدواء في الداء نفسهِ والتقى الطرفان ومن ذلك الوقت فصاعداً الكنيسة التي كانت مدة قرون هكذا كثيرة قد نمت في الخارج بالطقوس والسنن والعوائد البشرية ابتدات تنمو بطريق داخلي بالايمان والرجاء والمحبة

ان خطاب الدوك احدث تاثيراً اعظم بما ان عداوتهُ للوثيروس كانت مشهورة وقدم آخرون من اعضاء المجمع تشكياتهم الخصوصية فعضدها الامراء الكنائسيون انفسهم وقالوا ان لنا حبراً لا يحب الَّا الصيد والتنعمات فقط ومداخيل الامة الجرمانية تُعطَى في رومية للصيادين ومربّي الطيور والخدَم وسواق الحمير والسياس والحراس وجماعات اخري من تلك الرتبة ممن هو جاهل بلاد جرمانيا وغير مختبر باورها وغريبٌ فيها

فاقام المجمع عمدة لاجل تدوين هذه التشكيات فبلغت مئة تشكٍ وتشكيًا ووكلاء من العوام والاكليروس الامراء قدموا التقرير للامبراطور واستحلفوهُ ان يامر باصلاح هذه الاشياء كما وعد في تعهدهِ وقالوا لكرلوس الخامس يا لهُ من هلاك نفوسٍ مسيحية ويا لها من اختلاساتٍ وتعدياتٍ عظيمة حاصلة من الشكوك المحاط بها راس العالم المسيحي الروحي فانهُ من واجباتنا ان نمنع عار شعبنا وهلاكهُ ولاجل هذا السبب نترجاك بكل تواضع ولجاجة ان تامر باصلاح عمومي وان تجتهد في اتمامهِ . وكان في ذلك الوقت في الجماعة المسيحية قوة غير

معروفة تفعل في الامراء والشعب على حدٍّ سواء اي حكمة من العلاء توثر حتى في اعداء الاصلاح وتُعِدُّ الناس لذلك الانعتاق الذي اتت ساعتهُ اخيرًا

ان كرلوس لم يستطع ان يغض نظرهُ عن التماسات المملكة ولم يكن ينتظر امرًا مثل ذلك لا هو ولا القاصد . وبما ان معرّفهُ كان يتهددهُ بنقمة السماء ان لم يصلح الكنيسة فاسترجع الامبراطور حالاً الامر الحاكم باحراق كتب لوثيروس في كل المملكة وكتب عوضًا عنهُ امرًا وقتيًا بتسليم تلك الكتب الى حفظ الولاة. ولكن ذلك لم يكتفِ بهِ المجمع بل طلب حضور لوثيروس فقال اصدقاؤهُ انهُ غير عادل الحكم على لوثيروس من دون ان يُسمَع ومن دون ان يُعلَم من فمهِ هل هو مؤلّف الكتب المامور باحراقها وقال اخصامهُ ان تعاليمهُ قد امتلكت عقول الناس الى هذا الحد حتى انهُ لا يمكن صدها عن التقدم ما لم نسمعها منهُ نفسهِ . فلا يقام معهُ جدال بل اذا اقرَّ بكتاباتهِ وابى ان يرجع عنها فاننا حينئذٍ جميعًا باتفاق واحد نحن المنتخبين والامراء ووكلاء المملكة المقدسة الصادقين في حق ايمان اجدادنا نساعد جلالك بكل قوتنا في اجراء اوامرك (اعمال لوثيروس ٢٢:٥٦٧)

واما الياندر فلجزعهِ وخوفهِ على كل شيء من قبل ثبات لوثيروس وجهل الامراء افرغ كل جهدهِ في منع حضور لوثيروس فانطلق من عند اعوان كرلوس الى الامراء الذين هم اكثر ميلاً نحو البابا ثم من هولاء الى الامبراطور نفسهِ. وقال انهُ لا يجوز التعرض لما قد حكم بهِ الحبر الاعظم نفسهُ. وانتم تقولون انهُ لا يقام جدال مع لوثيروس ولكن أَما يكون نشاط هذا الرجل الجسور ونار عينيهِ وفصاحة لغتهِ والروح السرّي الذي يحركهُ كافيةً لتهييج الشعب . فان كثيرين يعبدونهُ مثل قديس وترون في كل مكان صورتهُ محاطة بهالة نظير الهالة التي تكلل رؤُوس المغبوطين . واذا كنتم قد عزمتم على احضارهِ امامكم فبالاقل لا تجعلوهُ تحت حماية الوعد العام. (يعني صك الامانة) وهذه الكلمات الاخيرة قُصِد بها اما تخويف لوثيروس واما اعداد الطريق لهلاكهِ

ووجد القاصد مدخلاً هيناً الى عظماء اسبانيا . وفي اسبانيا كما في جرمانيا كانت المضادة لاصحاب ديوان التفتيش الدومينيكيين عمومية ونير ديوان التفتيش الذي طرحهُ الشعب الى زمان وضعهُ كرلوس على رقابهم من جديد وحزب كبير في تلك البلاد كان مائلاً الى لوثيروس الَّا انهُ لم يكن كذلك مع العظماء الذين وجدوا على شطوط الرين ما كرهوهُ وراء جبال برناث واذ كانوا مضطرمين باشد الحمية الدينية لم يصبروا عن ابادة الارتقة الجديدة وعلى الخصوص فردريك دوك الثا فانهُ امتلأَ غيظاً كلما سمع ذكر الاصلاح . فرغب جداً في ان يخوض في دماء جميع هذه الشيع . ولم يكن لوثيروس قد دُعي بعدُ الى الحضور ولكن مجرد اسمهِ هيج بعزم سادات العالم المسيحي المجتمعين في وُرمس

اما الرجل الذي حرك هكذا قُوَى الارض بقي وحدهُ غير مضطرب والاخبار الواردة من وُرمس كانت محزنة فاضطرب اصدقاء لوثيروس وكتب ملانكثون الى سپالاتين يقول انهُ لم يبقَ لنا شيء الَّا ارادتك الصالحة وصلواتك . ليت الله يتنازل الى شراء خلاص العالم المسيحي بدمائنا . واما لوثيروس فكان غريباً عن الخوف . اغلق على نفسهِ في مخدعهِ الهادي وتامل هناك بالكلمات التي صرخت بها مريم ام يسوع المسيح واخذها الى نفسهِ وهي قولها تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى اتضاع امتهِ فهوذا منذ الان جميع الاجيال تُطوِّبني لان القدير صنع بي عظائم واسمهُ قدوس ورحمتهُ الى جيل الاجيال للذين يتقونهُ صنع قوةً بذراعهِ شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم انزل الاعزَّاء عن الكراسي ورفع المتضعين (لو ١: ٤٦ الى ٥٥) فهذه هي بعض التاملات التي ملأَت قلب لوثيروس فقال في نفسهِ ان مريم تقول القدير فيا لها من جسارة عظيمة من بنتٍ فتاة فانها بكلمة واحدة تعير جميع الاقوياء بالضعف وجميع المقتدرين بالخور وجميع الحكماء بالجهالة وجميع اصحاب الصيت المجيد على الارض بالعار وتطرح كل القوة وكل القدرة وكل الحكمة وكل المجد عند قدمي الله .

ثم تقول بذراعهِ تريد بذلك القوة التي بها يفعل من نفسهِ من دون مساعدة احد من خلائقهِ وياها من قوة سرية يباشرها بالسر والهدو حتى تكمل مقاصدهُ فان الخراب قريب ولم يرَ احدٌ اتيانهُ والنجاة هناك مع انهُ لم ينتظرها احد وهو يدع اولادهُ في الضيق والضعف حتى يقول كل انسان انهم قد هلكوا وعند ذلك يظهر انهُ هو الاقوى لانهُ حيثما تنتهي قوة الناس فهناك تبتدي قوة الله بشرط ان الايمان يصبر لهُ . ومن الجهة الاخرى الله يسمح لاعدائهِ ان ينمو في العظمة والقوة ويرفع عونهُ ويحتملهم حتى ينتفخوا بما لهم وهو يخليهم من حكمتهِ الابدية ويدعهم يتملأون بحكمتهم التي هي الى يوم فقط واذ هم يرتفعون برونق قوتهم ترفع ذراع الرب فيضمحل عملهم مثل فقاعة تفقى في الهواء. وفي اليوم العاشر من اذار في نفس الدقيقة التي كانت فيها مدينة وُرمس الملكية مملوة خوفًا من اسم لوثيروس ختم تفسير هذه التسبحة على ما تقدم

ولم يُترَك على سكينةٍ في خلوتهِ فان سپالاتين امتثالاً لامر الملك المنتخب ارسل اليهِ قائمة القضايا التي طُلِب رجوعهُ عنها. فهل يرجع بعد ان ابى ذلك في اوجسبرج فكتب الى سپالاتين يقول لاتخف من اني ارجع عن كلمة واحدة لان برهانهم الوحيد هو ان كتبي هي ضد طقوس ما يسمونهُ هم الكنيسة واذا كان الامبراطور كراوس يطلبني لاجل الرجوع فقط اجاوبهُ اني ابقى هنا ويكون ذلك كاني قد ذهبت الى وُرمس ثم رجعت. ولكن اذا كان الامبراطور يطلبني لكي أُقتل كعدوٍ للمملكة فاني مستعدٌّ لان امتثل امرهُ . لاني بمعونة المسيح لا اترك ابدًا الكلمة في ميدان القتال وانا اعلم جيدًا ان هولاء الناس المتعطشين الى الدم لا يستريحون ابدًا حتى يعدموني حياتي وليت الباباويين وحدهم هم الذين يرغبون سفك دمي

الفصل الخامس

الخصام من جهة صك الامان. اصدار صك الامان. مقابلة بين اقوال البابا في رومية واقوال لوثيروس في جرمانيا

فصمَّم الامبراطور عزمهُ اخيرًا الآن حضور لوثيروس امام المجمع ترايا انهُ الواسطة الوحيدة لانهاء قضية شغلت افكار كل المملكة. فعزم كرلوس الخامس على احضارهِ ولكن من دون ان يعطيهُ صك الامان فالتزم فردريك ايضًا ان يفعل مثل محامٍ لان الاخطار المحدقة بالمصلح كانت ظاهرة للجميع واصدقاءُ لوثيروس خافوا من وقوعهِ بيدي البابا اوان الامبراطور نفسهُ يقتلهُ بناءً على انهُ لا يستحق بسبب ارتقتهِ ان يُحفَظ معهُ عهد. وكان في تلك المسئلة جدالٌ طويلٌ مرٌّ بين الامراء واذ لاحظوا اخيرًا الهياج العظيم الذي حرَّك الشعب في كل قسمٍ من جرمانيا وخافوا من انهُ في مدة سفر لوثيروس ربما يحدث شغب غير منتظر او حركة خطرة من قبل اصحاب المصلح ظنوا ان الأَولى تسكين حاسيَّات الجمهور نظرًا الى هذا الامر وليس الامبراطور وحدهُ بل ايضًا منتخب سكسونيا والدوك جرجس وامير هسى الذين كان ملتزمًا ان يمر في وسط ايالاتهم كلٌّ منهم اعطاهُ صك امان. وفي ٦ اذار سنة ١٥٢١ امضى كرلوس الخامس الامر الآتي الموجَّه الى لوثيروس وهو

كرلوس بنعمة الله المنتخب من الرومانيين الموقر دائمًا الخ الخ

ايها المكرم المحبوب التقي اننا نحن واعيان المملكة المقدسة المجتمعين هنا بعد ان عزمنا على الفحص عن تعاليمك وكتبك التي اذعتها في هذه الايام قد اصدرنا لاجل مجيئك الى هنا ورجوعك الى موضع امان صك اماننا وامان المملكة الذي نرسلهُ لك الآن ورغبتنا الخالصة هي انك تستعدُّ حالاً لهذا السفر

في مدة العشرين يوماً المعيّنة في صك اماننا فتحضر امامنا من دون تأخُّر ولا تخف ظلمًا ولا قهرًا ونحن نحفظ بثبات صك اماننا المذكور وننتظر اطاعتك اوامرنا وبهذا العمل توافق رغبتنا الشديدة

أُعطي في مدينتنا الملكيَّة وُرمس في هذا اليوم السادس من اذار سنة ١٥٢١ للمسيح والسنة الثانية من ملكنا

كرلوس

اني بامر مولاي الامبراطور امضي بيدي

البرت

كردينال منتز الرئيس السامي

نيقولا زوبل

وصك الامان الموضوع في طي الامر كان عنوانهُ الى المكرم المحبوب التقي الدكتور مرتينوس لوثيروس من الرهبان الاوغسطينيين وهذا استهلالهُ

نحن كرلوس الخامس بهذا الاسم بنعمة الله الامبراطور المنتخب من الرومانيين الموقر دائمًا ملك اسپانيا وسيسيليا واورشليم وهنكاريا وكروانيا الخ وارشدوك اوستريا ودوك برجندي وامير هبسبرج وفلندرس وتيرول الخ الخ

ثم ان ملك كل هذه الاقاليم بعد الاشارة الى انهُ قد طلب راهبًا اوغسطينيًّا باسم لوثيروس ان يحضر اليهِ امر كل الامراء والسادات والولاة والآخرين ان يعتبروا صك الامان المعطى لهُ تحت التهديد بغضب الامبراطور والمملكة

وعلى هذا المنوال خاطب الامبراطور بلقب محبوب ومكرم وتقي الرجل المحروم من راس الكنيسة وذلك التعهد نُصّ على تلك الكيفية لكي يزيل كل خوف من عقل لوثيروس ومن عقول اصدقائهِ وأُرسل كسبرد ستورم لكي يوصل هذه الرسالة الى لوثيروس ويرافقهُ الى وُرمس واذ خاف الملك المنتخب من حدوث اضطراب في الجمهور كتب في ١٢ اذار الى ولاة وتمبرج بوصيهم برسول الامبراطور ويامرهم ان يعطوهُ خفيرًا اذا راوا ذلك ضروريًّا

فانصرف الرسول

وهكذا أُكملت مقاصد الله . كانت ارادتهُ ان هذا النور الذي اوقدهُ في العالم يُوضع على جبل فابتدا حالاً الامبراطور والملوك والامراء في اجراء مقاصده من دون ان يعلموا ذلك. فرَفْعُ الاوضع امرٌ يسير لديهِ بل هو عمل من اعمال قوتهِ يكفي لرفع ابن منسفلدت الحقير من كوخ مجهول الى القصور التي اجتمعت فيها الملوك وفي عينيهِ لاكبير ولا صغير وفي الزمان المختار عندهُ يلتقي كرلوس ولوثيروس معًا

وصارت المسئلة هل يطيع لوثيروس هذا الطلب واحسن اصدقائهِ كانوا في شكٍّ من ذلك وكتب الملك المنتخب الى اخيهِ في ٢٥ اذار يقول ان الدكتور مرتينوس قد طُلِب ان يحضر الى هنا ولكنني لست اعلم هل ياتي فلا اقدر ان اتفاءل له بخيرٍ من ذلك . وبعد ثلاثة اسابيع في ١٦ نيسان اذ راى هذا الامير الفاضل الخطر يتزايد كتب ايضًا الى الدوك يوحنا يقول ان اوامر ضد لوثيروس تُلصَق على الحيطان فان الكرديناليين والاساقفة يقاومونهُ بغلاظة عظيمة نسال الله ان يُنهي كل شيء على خير ويا ليتني اقدر ان احصّل له اصغاء موافقًا

وبينما جرت هذه الحوادث في وُرمس وويتمبرج كانت البابوية تكثر هجماتها. ففي ٢٨ اذار نهار الخميس الذي قبل الفصح اخرجت رومية حرمًا جديدًا شديدًا وكانت العادة ان يُشهَر في ذلك الوقت منشورٌ فظيع مملوٌّ لعناتٍ وفي ذلك اليوم ازدحمت الشوارع التي تودي الى الهيكل الذي كان الحبر الاعظم عتيدًا ان يقدس فيهِ بالخفراء البابويين وبجمهور من الناس الذين اتوا افواجًا من جميع اقطار ايطاليا لكي ينالوا بركة الاب الاقدس واغصان الغار والآس زيّنت الساحة امام كنيسة الكرسي وأُوقِدت الشموع على الممشى قدام الهيكل ومن هناك أُطلِق الحرم فسُمِع بغتةً صدى اصوات الاجراس ثم ظهر البابا على السطح بثيابهِ الحبرية محمولاً على كرسي فركع الناس وكُشِفت الرؤُوس كافةً ونُكِّست

الرايات والقت الجنود اسلحتها الى الارض وصار سكوتٌ خاشع وبعد دقائق قليلة بسط البابا بتأنٍّ يديهِ ورفعها نحو السماء ثم خفضها بتأنٍّ ايضاً نحو الارض راسماً علامة الصليب وكرَّر هذه الحركة ثلاثاً ثم اخذت اصوات الاجراس ترن في الهواء تُنادي طولاً وعرضاً ببركة الحبر وحينئذٍ تقدم بعض الخوارنة بسرعة وبيد كلٍّ منهم شمعة موقدة ونكَّسوا تلك الشموع وبعد ان حركوها الى هنا وهناك بعنفٍ طرحوها كانها نيران جهنم فتحرك الشعب وهاج وأُطلِقت كلمات اللعنات من عن سقف الهيكل

وحالما بلغ لوثيروس خبر هذا الحرم اشهر خلاصتهُ مع بعض الملاحظات المكتوبة بعبارات حادة ومع ان هذه الكتابة لم تظهر حتى بعد حين نذكر في هذا المقام بعضاً منها . فلنسمع حبر العالم المسيحي العظيم يتكلم عن سطح كنيسة الكرسي والراهب الوتمبرجي يجاوبهُ من اقصى جرمانيا

البابا . لاون الاسقف ....

لوثيروس . اسقف نعم كما ان الذئب راعٍ لانهُ يجب على الاسقف ان يحثَّ حسب تعليم الخلاص لا ان يبقّ لعنات وحرومات ....

البابا . عبد جميع عبيد الله ....

لوثيروس . ليلاً اذا سكرنا واما عند الصباح اذا صحونا فاسمنا هو لاون رب جميع الارباب

البابا . ان الاساقفة الرومانيين سلفاءنا كان من عادتهم في هذا العيد ان يستعملوا اسلحة البر ....

لوثيروس . التي هي حسب قولك حرومات واناثيما واما حسب قول مار بولس فهي اناة وسهولة ومحبة (٢كو ٦:٦و٧)

البابا . حسب واجبات الوظيفة الرسولية ولاجل حفظ طهارة الايمان المسيحي ....

لوثيروس . اي املاك البابا الزمنية

البابا . ووحدتهُ التي تقوم بوحدة الاعضاء مع المسيح راسهم ومع نائبهِ

لوثيروس . لان المسيح غير كافٍ فيجب ان يكون لنا آخر معهُ

البابا . لاجل حفظ شركة المؤمنين المقدسة نتبع العادة القديمة ونحرم ونلعن باسم الله الآب القادر على كل شيء ....

لوثيروس . الذي قيل عنهُ ان الله لم يرسل ابنهُ الى العالم لكي يدين العالم (يو ٣:١٧)

البابا . والابن والروح القدس وبسلطان الرسولين بطرس وبولس وسلطاننا ....

لوثيروس . يقول الذئب المفترس وسلطاننا ايضاً كأنَّ سلطان الله عاجزٌ بدون سلطانهِ

البابا . اننا نلعن جميع الارانقة الكثاريين والباتارنسيين وفقراء ليونس والارنولديين والسبارونسيين والباساجينيين والوكليفيين والهسيين والفراتريشاليين

لوثيروس . لانهم رغبوا في ان يقتنوا الكتب المقدسة وطلبوا من البابا ان يكون صاحيًا وان يُبشّر بكلمة الله

البابا . ومرتينوس لوثيروس المحروم حديثًا منا لاجل ارنقة كهذه مع جميع اتباعهِ وجميع الذين ياخذون بيدهِ مهما كانوا ....

لوثيروس . اني اشكرك ايها الحبر الجواد لاجل حرمك اياي مع جميع هولاء المسيحيين فانهُ امرٌ اتشرف بهِ ان ينادى باسمي في رومية في يوم عيد بطريق مجيد كهذا لكي يجري راكضًا في العالم مع اسماء هولاء المعترفين بيسوع المسيح المتواضعين

البابا . وكذا نحرم ونلعن جميع اللصوص البحرية والقرصان ....

لوثيروس . مَن اللص الاعظم والقارص الالعن الاَّ الذي يختلس النفوس ويحبسها ويميتها

البابا . ولا سيما الذين يخوضون بحارنا ....

لوثيروس . بحارنا . ان مار بطرس سالفنا قال ليس لي ذهب ولا فضة وقال يسوع المسيح ان ملوك الامم هم ساداتهم واما انتم فليس كذلك (لو ٢٢: ٢٥) ولكن اذا كانت العربانة المحملة يجب ان تحيد عن الطريق لاجل سكران فكم بالحري يجب على مار بطرس والمسيح نفسهِ ان يحيدوا من درب البابا

البابا . وكذلك نحرم ونلعن كل اولئك الذين يزوّرون براآتنا ومكاتيبنا الرسولية ....

لوثيروس . واما مكاتيب الله التي هي الكتب المقدسة فيقدر كل العالم ان يرفضها ويحرقها

البابا . وكذلك نحرم ونلعن جميع اولئك الذين يمنعون الذخائر الآتية الى بلاط رومية

لوثيروس . يهر ويعض مثل كلبٍ يخاف من ان عظمتهُ توخذ منهُ (اعمال لوثيروس ١٨ : ١٢)

البابا . وكذلك نحرم ونلعن جميع اولئك الذين يضبطون الفرائض او الاثمار او العشور او المداخيل الشرعية المختصة بالاكليروس ....

لوثيروس . لان المسيح قال ومن اراد ان يخاصمك وياخذ ثوبك فاترك لهُ الرداء ايضًا (مت ٥ : ٤٠) وهذا هو تفسيرنا

البابا . مهما كانت منزلتهم او درجتهم او رتبتهم او سلطنتهم او مقامهم حتى او كانوا اساقفة او ملوكًا .....

لوثيروس . قالت الكتب المقدسة لانهُ يقوم معلمون كَذَبة بينكم يتهاونون بالسيادة ويفترون على ذوي الامجاد (يهوذا ع ٨)

البابا . وعلى هذا المنوال نحرم ونلعن كل الذين باية طريقة كانت يلحقون ضررًا بمدينة رومية ومملكة سيسيليا وجزيرتي سردينيا وكرسيكا واملاك مار بطرس في تسكانا وامارة سبولاتو ومقاطعة انكونا والكمبانيا ومدينتي فرارا

وبناونتو وسائر المدن الاخرى او البلدان المختصة بكنيسة رومية

لوثيروس . يا بطرس صياد السمك المسكين من اين اخذت رومية كل هذه الممالك . السلام عليك يا بطرس ملك سيسيليا وصياد بيت صيدا

البابا . نحرم ونلعن جميع الكتّاب وارباب المشورة والدواوين والوكلاء والحكام والخوارنة والاساقفة وآخرين ممن يضاد مكاتيبنا المتضمنة حثًّا او طلبًا او نهيًا او توسُّطًا او تأديبًا .....

لوثيروس . لان الكرسي المقدس انما يرغب في ان يعيش بالكسل والعظمة والبذخ وان يامر ويتهدد ويخيف ويغش ويكذب ويحتقر ويُغوِي وان يرتكب كل نوع من الشر بالامن والطانينة .....

قم يا رب . ليس الامر كما يوهِ البابويون . انك لم تتركنا ولا حولت وجهك عنا

فهكذا تكلم لاون في رومية ولوثيروس في وتمبرج . وبعد ان فرغ الحبر من هذه اللعنات ومُزِّق الدرج الذي كانت مكتوبة عليهِ آرابًا ونُثرت اجزاؤُهُ بين الشعب ابتدا الجمهور يهيج جدًّا اذ كان كلٌّ منهم يتقدم مزاحمًا لكي يلتقط قطعةً من ذلك المنشور الفظيع فهذه هي الذخائر المقدسة التي قدمتها البابوية لاتباعها الامناء في مساء يوم النعمة والكفارة العظيم ثم تفرَّق الجمع سريعًا وصار المكان المجاور كنيسة الكرسي خاليًا وهاديًا كما كان قبل فلنرجع الآن الى وتمبرج

الفصل السادس

شجاعة لوثيروس . بوغنهاغن في وتمبرج . رغبة ملانكثون بان برافق لوثيروس . كتابة فان هوتن الى كرلوس الخامس

في ٢٤ اذار دخل رسول الامبراطور المدينة التي كان لوثيروس قاطنًا

بها فقابل كسبرد ستورم العالِم وسلمهٔ اوامر كرلوس الخامس بطلبهِ . فما اهم كانت تلك الساعة وما اثقلها على المصلح واحتار كل اصدقائهِ ولم يكن امير من الامراء حتى ولا فردريك الحكيم قد اخذ بيدهِ . نعم ان الفوارس كانوا قد اطلقوا تهديداتهم ولكن كرلوس القوي احتقرهم اما لوثيروس فلم يضطرب وعند ما راى كل كآبة اصدقائهِ قال ان الباباويين لا يرغبون في ذهابي الى وُرمس وانما رغبتهم في حرمي وقتلي . لا باس . فلا تصلوا من اجلي ولكن من اجل كلمة الله . وقبل ان يبرد دمي نقع مسئولية سفكهِ على آلافٍ من الناس في كل العالم والعدوُّ الاقدس للمسيح الاب والمعلم ورئيس القتلة يطلب سفكهُ فليكن كذلك ولتكن مشيئة الله . المسيح يعطيني روحهُ لكي اغلب خدام الضلال هولاء فاني احتقرهم في حياتي وانتصر عليهم بمماتي . هم مشغولون في وُرمس في امر إِلزامي بالرجوع . وهذا يكون رجوعي . قد قلت قبلاً ان البابا هو نائب المسيح واما الآن فاني احكم بانهُ عدوّ ربنا ورسول الشيطان . وعند ما بلغهُ ان كل منابر الفرنسيسيين والدومينيكيين تطلق الحرومات واللعنات ضدهُ صرخ قائلاً ما اعمق الفرح الذي اشعر بهِ . فتحقق انهُ قد عمل ارادة الله وان الله معهُ فلماذا لا ياخذ في طريقهِ بشجاعة . فان طهارة النية مثل هذه وحرية الضمير مثل هذه هو عون مستور لا يقاس ولا يخيب ابدًا خادم الله بل يحيطهُ بترس امنع من الدروع والجنود المتسلحة

وفي ذلك الزمان وصل الى وتمبرج رجل مُزمع نظير ملانكثون ان يكون صديقًا للوثيروس كل حياتهِ وان يعزيهُ في ساعة انطلاقهِ وهو خوري اسمهُ بوغنهاغن ابن ست وثلاثين سنة وكان قد هرب من التعديات التي اوقعها اسقف كامن والامير بوجسلاس من بوميرانيا على اصدقاء الانجيل سواء كانوا كنائسيين او تجارًا او معلمين . وكان هذا الخوري من عائلةٍ شريفة . وُلد في والن في بوميرانيا ومن ثمَّ يُسمَّى غالبًا بوميرانوس وواظب على امر التعليم في تربتو منذ السنة العشرين من عمرهِ وكان الشبان يحدقون بهِ برغبة والاشراف

والعلماء يغاير كلٌّ الآخر في التماس معاشرتهِ ودرس الكتب المقدسة باجتهاد طالبًا من الله ان ينيرهُ وذات يوم في اواخر كانون الاول سنة ١٥٢٠ وُضع بيدهِ كتاب لوثيروس في سبي بابل وهو جالس على العشاء مع كثيرين من اصدقائهِ وبعد ان اوقع نظرهُ على صفحاتهِ قال ان اراتقة كثيرين اقلقوا الكنيسة منذ موت المسيح الآ انهُ لم يقم قط وَبأً نظير مؤلف هذا الكتاب . ولكن بعد ان اخذ الكتاب الى بيتهِ وتصفحهُ مرتين او ثلاثًا تغيرت جميع آرائهِ وظهرت لضميرهِ حقوقٌ جديدة لديهِ بالتمام واذ رجع بعد ايام الى اصحابهِ قال ان جميع العالم قد سقط في اكثف ظلمة وهذا الرجل فقط يرى النور. وعدة خوارنة وشماس ورئيس الدير نفسهُ قبلوا تعليم الخلاص الخالص وفي زمان قصير كما اخبرنا بعض المورخين ارجعوا بقوة انذارهم سامعيهم من خرافات الناس الى استحقاقات يسوع المسيح الوحيدة الفعالة وعلى ذلك حدث اضطهاد وسُمعت اصوات انين كثيرين في السجون وهرب بوغنهاغن من اعدائهِ واتى الى وتمبرج فكتب ملانكثون الى خوري الملك المنتخب يقول انهُ مضطهَد لاجل محبة الانجيل فالى اين يقدر ان يهرب الاَّ الى محرابنا والى حماية اميرنا

ولم يترحب احدٌ ببوغنهاغن بفرح اعظم من فرح لوثيروس وصار الاتفاق بينهما انهُ حالما ينطلق المصلح يبتدي بوغنهاغن يخطب على المزامير وهكذا العناية الالهية قادت هذا الرجل القادر لكي يسدَّ نوعًا مسدَّ ذلك الذي كانت وتمبرج عتيدة ان تفقدهُ وبعد سنة أُقيم بوغنهاغن راعيًا للكنيسة في تلك المدينة فاقام عليها ستًا وثلاثين سنة ولقبهُ لوثيروس بالراعي على طريقٍ خاصٍّ

حان ذهاب لوثيروس وكان اصدقاؤُهُ في حالة الوجل ظانين انهُ ذاهب الى القتل ان لم يتوسط الله لهُ بنوع عجيب اما ملانكثون الذي كان بعيدًا عن وطنهِ فكان متعلقًا بلوثيروس بكل محبة قلبٍ رقيق فقال ان لوثيروس يغنيني عن كل اصدقائي فهو اعظم وافضل لي مما اتجاسر على وصفهِ. انتم تعلمون كيف اعتبر ألشبيادس سقراط واما انا فاني اعتبر لوثيروس بطريق آخر اي مسيحي.

ثم قال هذه الكلمات اللطيفة السامية . كلما زدت تاملاً في لوثيروس وجدتهُ اعظم . ورغب ملانكثون في مرافقة لوثيروس في اخطارهِ ولكن اصدقاءهما والدكتور نفسهُ لا محالة قاوموا رغبتهُ أ فما كان يجب على فيلبس ان ياخذ مكان صديقهِ وان لم يرجع المصلح ابدًا فمن حينئذٍ يكون قائدًا في عمل الاصلاح . قال ملانكثون بالتسليم والتفكُّن ليتهُ سمح لي بالانطلاق معهُ

اما امسدورف الغيور فبيَّن حالاً عزمهُ على مرافقة الدكتور فان عقلهُ القوي كان يلتذ باقتحام الاخطار وجسارتهُ سمحت لهُ بالوقوف من دون خوف امام محفل ملوك وكان الملك المنتخب قد دعا الى وتمبرج معلمًا في الشريعة اسمهُ ايرونيموس شيورف ابن طبيب في سنت غال رجلاً مشهورًا ذا اخلاق لطيفة وصديقًا مخلصًا للوثيروس . قال لوثيروس انهُ الى الآن لم يقدر ان يقسي قلبهُ حتى يحكم بالموت على مذنبٍ واحد . وهذا الرجل الجبان رغب في ان يساعد الدكتور برايهِ في ذلك السفر الخطر وكذلك تلميذ شاب من دانيمرك اسمهُ بطرس سواڤن كان ساكنًا مع ملانكثون واشتهر فيما بعد بجهاداتهِ الانجيلية في پوميرانيا ودانيمرك هذا ايضًا اشهر عزمهُ على مرافقة معلمهِ . وكان لا بد لفتيان المدارس ان يكون لهم وكيل بجانب جندي الحق

فاضطربت كل جرمانيا بالنظر الى الاخطار التي تهدَّدت وكيل شعبها فوجدت صوتًا مناسبًا للتلفظ بمخاوفها وذلك ان اولريخ ڤان هوتن ارتعد من الافتكار بالضربة العتيدة ان تقع على بلادهِ ففي ١ نيسان كتب الى كرلوس الخامس نفسهِ يقول ايها الامبراطور الافضل انك مزمع ان تهلكنا وتهلك نفسك معنا . فما هو المقصود في قضية لوثيروس هذه الا اهلاك حريتنا وسحق سلطانك فانهُ في كل جرمانيا لا يوجد انسان واحد مستقيم الا ويشعر باعمق الغيرة في هذه المادة . فان الخوارنة وحدهم قائمون على لوثيروس لانهُ قد قاوم سلطانهم الجائر وتنعماتهم المشككة وسلوكهم الفاسد ولانهُ حامى عن تعليم المسيح لاجل حرية بلادنا وطهارة آدابنا

فيا ايها الامبراطور اطرد من امامك هولاء السفراء والاساقفة والكردينالين الرومانيين الذين يرغبون في منع كل اصلاح. ألم تلاحظ حزن الشعب حين رأوك واصلاً الى شطوط الرين محفوفاً بهولاء القوم ذوي البرانيط الحمر وبموكب من الخوارنة عوضاً عن جيش من الجنود الابطال

فلا تسلم جلالك السامي لاولئك الذين يرغبون ان يدوسوهُ تحت اقدامهم وليكن لك رأفة علينا فلا تُلقِ نفسك وكل الامة في خرابٍ واحدٍ عمومي. قُدنا الى وسط اعظم الاخطار تحت سلاح جنودك الى فم المدافع ولتتوامر كل الشعوب ضدنا ودع كل عسكر يهجم علينا بحيث نقدر ان نظهر شجاعتنا في نور النهار ولا نتلاشى هكذا ونستعبَد بالخفاء والسرقة كالنساء من دون سلاح ولا مدافعة ..... فوا اسفاهُ اننا قد رجونا انك تخلصنا من النير الروماني وتطرح عنا جور الحبر فنسأل الله ان يكون المستقبل احسن من هذا الاستفتاح

ان كل جرمانيا تترامى على قدميك وبالدموع نلتمس ونطلب مساعدتك وشفقتك وصدقك ونستحلفك بذكر الجرمانيين الطاهر الذين عند ما خضع كل العالم للسلطة الرومانية لم يحنوا اعناقهم امام تلك المدينة المتكبرة ان تخلصنا وتردنا لنفوسنا وتنقذنا من الرق وتنتقم من ظالمينا

فهكذا خاطبت الامة الجرمانية بفم هذا الفارس كرلوس الخامس واما الامبراطور فلم يلتفت الى هذه الرسالة بل ربما القاها باحتقار الى احد كتابهِ. كان كرلوس فلاندريًّا لا جرمانيًّا وموضوع كل اعتنائهِ عظمة الشخصية لا حرية المملكة ولا مجدها

الفصل السابع

ذهاب لوثيروس الى مجمع وُرمس . وعظهُ في ارفورث . حيل انصار كرلوس .
ثبوت لوثيروس

وفي اليوم الثاني من نيسان التزم لوثيروس ان يودع اصدقاءَهُ فبعد ان اخبر لانجي بورقةٍ ارسلها اليهِ بانهُ عتيد ان يصرف يوم الخميس او الجمعة القادم في ارفورث ودع اصحابهُ ولما التفت الى ملانكثون قال بصوتٍ مضطرب يا اخي العزيز ان ما رجعت انا بل قتلني اعدائي فواظب انت على التعليم والثبات على الحق واشتغل عوضًا عني اذ لا يعود يمكني ان اشتغل لنفسي فان بقيتَ انت حيًّا بعدي لا يكون موتي تحت طائلٍ كثير . ثم استودع لوثيروس نفسهُ بيدي الاله الامين ودخل في المركبة وخرج من وتمبرج وكان مجلس البلدة قد جهزهُ بمركبة لائقة مغطاة بغشاء يقدر المسافرون ان ينصبوهُ كما شاءوا والرسول الامبراطوري لابس حلة وظيفتهِ وحامل النسر الملكي ركب على فرس في الصدر ومعهُ خادمهُ ولوثيروس وشيورف وامسدورف وسواون تبعوهُ في المركبة فاضطرب جدًّا اصدقاء الانجيل واهالي وتمبرج وطلبوا مساعدة الله وهم يبكون وهكذا شرع لوثيروس بسفرهِ . ووجد سريعًا ان افكارًا محزنة ملأَت قلوب جميع الذين صادفهم ففي ليپسك لم يُبدَ نحوهُ اعتبار ولم يُقدِّم لهُ الولاة الأكاس الخمر الاعتيادية وفي ناومبرج صادف خوريًا ولعلهُ يوحنا لنجر وهو رجل ذو غيرة شديدة وكان يحفظ بحرصٍ في مكتبتهِ صورة ايرونيموس سافونارولا المشهور واعتبرهُ شهيدًا للحرية والآداب ومعترفًا بالحق الانجيلي وهو الذي أُحرق في فلورنسا سنة ١٤٩٨ بامر البابا اسكندر السادس فانزل الخوري المذكور صورة الشهيد الايطاليّ فدنى الى لوثيروس وقدمها لهُ بسكوت ففهم

لوثيروس الاشارة الصامتة الآن نفسهُ الوطيدة بقيت ثابتة فقال ان الشيطان يريد ان يمنع بواسطة هذه الاهوال الاقرار بالحق في مجمع الامراء لانهُ يرى بسبقٍ الضربة التي يجدها ذلك على ملكوتهِ فقال الخوري بخشوعٍ قف ثابتًا في الحق الذي ناديت بهِ والله يقف معك بثباتٍ ايضًا

وبعد ان بات لوثيروس الليل في ناومبرج حيث احسن الوالي ضيافتهُ وصل في المساء التالي الى ويمار ولم يمضِ عليهِ بالكد دقيقة في تلك البلدة حتى سمع مناداةً عالية في كل جهة وهي اذاعة حرمهِ فقال الرسول الملكي الذي معهُ انظر الى هناك . فالتفت فراى بحجرةٍ الرسلَ الملكيين يذهبون من زقاقٍ الى زقاقٍ ويعلقون في كل مكان امر الامبراطور الذي يامر بان كتبهُ تودع تحت يد الولاة . فلم يشك بان اظهار هذه القساوة في غير وقتها قُصِد بهِ تخويفهُ لكي لا يبقى آخذًا في سفرهِ فيُحكَم عليهِ بالتمرد عن الحضور . فسألهُ الرسول الملكي بخوفٍ اتريد ان تتقدم ايها العالِم فاجاب نعم ولو حُرِمت في كل مدينة فاني استند على صك الامان من الامبراطور . وفي ويمار قابل لوثيروس الدوك يوحنا اخا منتخب سكسونيا الذي كان قاطنًا هناك فطلب منهُ الامير المذكور ان يعظ فاجابهُ المصلح الى ذلك ففاضت كلمات حياة من قلب العالِم المضطرب فسمعهُ راهبٌ فرنسيسي اسمهُ يوحنا فويت صديق فردريك ميكونيوس فانجذب حينئذٍ الى التعليم الانجيلي ثم ترك ديرهُ بعد ذلك بسنتين وبعد ذلك بقليل صار معلم اللاهوت في وتمبرج . فاعطى الدوك لوثيروس ما لزمهُ من الدراهم لاجل سفرهِ

ثم تقدَّم لوثيروس من ويمار الى ارفورت مدينة صبائهِ وتامل ان يصادف هناك لانجي صديقهُ اذا امكنهُ ان يدخل المدينة من دون خطر كما كتب اليهِ واذ كان بعيدًا نحو ثلثة او اربعة فراسخ عن المدينة بالقرب من قرية نورا راى عدَّة فرسانٍ يتقدمون عن بعد ولم يعلم هل هم اصدقاء او اعداء وبعد قليل حيَّاهُ بالسلام كروتوس رئيس المدرسة ويوبانوس هسى صديق ملانكثون

الذي لقبهُ لوثيروس امام الشعراء واوريشيوس كوردوس ويوحنا دراكو وآخرون الى اربعين عددًا وجميعهم من اعضاء المجالس او المدرسة او من الاعيان وزحم جمهورٌ من اهالي ارفورث الطريق واظهروا فرحهم لانهم جميعًا كانوا تائقين الى رؤْية الرجل الذي تجاسر على اشهار الحرب ضد البابا . وكان قد سبق الموكب رجلٌ عمرهُ ثمانٍ وعشرون سنة اسمهُ يوسطوس يوناس ويوناس هذا بعد ان درس الفقه في ارفورث أُقيم مدبرًا لتلك المدرسة سنة ١٥١٩ واذ قبل النور الانجيلي المضيء في كل جهة رغب في ان يصير لاهوتيًّا فكتب اليهِ ايراسموس يقول اظن ان الله قد اختارك آلةً لكي تعلن مجد ابنهِ يسوع . فتوجهت كل افكارهِ نحو ومبرج ولوثيروس . وكان يوناس ذا نشاطٍ وحماسة وقبل ذلك ببعض السنين لما كان بعدُ في درس الفقه خرج ماشيًا برفقة بعض الاصدقاء وقطع احراشًا كثيرة اللصوص ومدنًا قد اخربها الطاعون لكي يزور ايراسموس في بروسيلس فلم يتاخر عن ان يقتحم اخطارًا اخرى بصاحبة المصلح الى وُرمس فطلب برغبة ان يُبدَى نحوهُ هذا المعروف فاجابهُ لوثيروس الى ذلك وهكذا التقى هذان العالمان اللذان كانا عتيدين ان يشتغلا معًا كل حياتهما في عمل تجديد الكنيسة فجمعت العناية الالهية حول لوثيروس اناسًا عتيدين ان يكونوا انوار جرمانيا اي ملانكثون وامسدورف وبوغنهاغن ويوناس وعند ما رجع يوناس من وُرمس أُنتخب رئيسًا لكنيسة ومبرج ومعلمًا للاهوت. قال لوثيروس ان يوناس رجل يستحق ان تُشترَى حياتهُ بثمنٍ عظيم لكي يُحفظ على الارض . فانهُ لم يَفُقهُ قط واعظٌ في جلبهِ آلباب سامعيهِ. وقال ملانكثون ان بوميرانوس ناقد وانا بيانيٌّ ويوناس خطيب . الجمل تفيض من شفتيهِ بجمال عجيب وفصاحةٍ كثيرة النشاط واما لوثيروس فانهُ يفوقنا جميعًا. والظاهر انهُ بالقرب من ذلك الوقت اضيف الى رفقة لوثيروس واحدٌ من اصدقاء صبائهِ وواحدٌ من اخوتهِ

ثم ادار جمهور الملاقين من ارفورث رؤُوس خيلهم ودخلت مركبة لوثيروس

داخل اسوار المدينة محاطة بالفرسان والمشاة وعلى الباب وفي الساحات وفي الازقة حيث كان الراهب المسكين قد استعطى خبزهُ مرارًا كثيرة جمهور من الناظرين عظيم جدًّا فنزل لوثيروس في دير الاوغسطينيين حيث عزّى الانجيل اولاً قلبهُ فقبلهُ لانجي بكل فرح واما اوسنجين وبعض الآباء الشيوخ فاظهروا نحوهُ برودة كثيرة وكان ثمَّ رغبةٌ عظيمة في استماع وعظهِ غير ان المنابر أُنكرت عليهِ ولكن الرسول الملكي مشتركًا بجمية الذين حولهُ رخص لهُ بالمطلوب . وفي الاحد الذي بعد الفصح كانت كنيسة الاوغسطينيين في ارفورت ملوة طافحة فتبوأ المنبر هذا الاخ الذي كانت عادتهُ في السابق ان يفتح الابواب ويكنس الكنيسة وفتح الكتاب المقدس وقرأ هذه الكلمات السلام لكم . قال هذا ثم اراهم يديهِ وجنبهُ (يو ٢٠ : ١٩ و٢٠) ثم قال ان الفلاسفة والعلماء والمورخين قد اجتهدوا بان يعلموا الناس كيف ينالون الحياة الابدية فلم يقدروا على ذلك فانا الآن اخبركم بها

وهذا هو السوال العظيم في كل دور ولهذا اصغى سامعو لوثيروس اليهِ اشد الاصغاء

ثم قال الاعمال نوعان اعمال ليست منا وهذه صالحة واعمالنا وهذه قيمتها قليلة . واحدٌ يبني كنيسة وآخر يذهب الى زيارة القديس يعقوب في كومبوستلا او الى كنيسة مار بطرس وآخر يصوم ويصلي ويلبس القلنسوة ويمشي حافيًا وآخر يعمل شيئًا آخر وجميع هذه الاعمال لاشيء وتنتهي الى لاشيء لان اعمالنا ليست لها فضيلة في نفسها . فاخبركم الآن ما هو العمل الحقيقي . ان الله قد اقام رجلاً واحدًا من الموت الرب يسوع المسيح لكي يبطل الموت ويستأصل الخطية ويغلق ابواب الجحيم فهذا هو عمل الخلاص والشيطان توهم انهُ قد ملك المسيح تحت سلطانهِ عند ما رآهُ معلقًا بين لصين تحت اشد العذاب عارًا ملعونًا من الله والناس ثم ابدى اللاهوت قوتهُ ولاشى الموت والخطية وجهنم

ان المسيح قد انتصر فهذه هي البشارة المفرحة ونحن نخلص باعمالهِ لا باعمالنا .

البابا يقول خلاف ذلك واما انا فاقول ان ام الله الطاهرة نفسها لم تخلص بتوليتها ولا بكونها امّا ولا بطهارتها ولا باعمالها ولكن فقط بواسطة الايمان واعمال الله

وبينما تكلم لوثيروس بهذا الكلام اذا صوتٌ بغتةً وذلك ان جسر صف من صفوف المقاعد العليا انكسر وخشي الهبوط من ازدحام الناس عليهِ وهذه الحادثة احدثت اضطرابًا عظيمًا في الجمهور فركض البعض من اماكنهم ووقف آخرون لا يتحركون من خوفهم فتوقف الواعظ قليلاً ثم بسط يدهُ وصرخ بصوتٍ عالٍ وقال لا تخافوا . لا خطر فان الشيطان مجتهد بهذه الواسطة ان يصدني عن المناداة بالانجيل ولكنهُ لا ينجح في مقصدهِ . وعند ما سمعوا هذا الكلام وقف الذين كانوا هاربين بحيرة وذهول ثم اطمأنت الجماعة ولوثيروس الذي لم تزعجهُ محاولات الشيطان هذه استتلى قائلاً . ربما تجيبونني انك تقول كثيرًا عن الايمان فبيّن لنا كيف ننالهُ . فنعمًا ذلك . انا اعلمكم . ان سيدنا يسوع المسيح قال السلام لكم انظروا يديّ فكأنهُ يقول ايها الانسان اني انا وحدي قد رفعت خطاياك وافتديتك والآن يكون لك سلام يقول الرب

ثم قال . اني انا لم آكل من ثمرة الشجرة المنهيّ عنها ولا انتم اكلتم ولكننا اجمعين قد اشتركنا بخطية آدم التي خلفها لنا وضللنا وكذلك انا لم اتألم على الصليب ولا انتم تألمتم ولكن المسيح قد تألم عنا ولهذا نتبرر باعمال الله لا باعمالنا. قال الرب انا برّك وفداؤك . فلنؤمن بالانجيل وبرسالات القديس بولس لا بمكاتيب الباباوات ومناشيرهم

وبعد ان علّم لوثيروس ان الايمان هو علة تبرير الخطاة علّم ان الاعمال هي نتيجة وعلامة الخلاص بقولهِ

بما ان قد خلصنا فلنرتب اعمالنا بحيث تكون مقبولة لديهِ . أأنت غني فلتخدم اموالك حاجات المساكين . أأنت فقير فلتكن خدمتك مقبولة لدى الاغنياء . واذا كان عملك مفيدًا لنفسك وحدك فما تدّعي انك تقدمهُ للرب كاذب

وفي كل هذه العظة لم يقل كلمة عن نفسهِ ولا اشار اشارة الى الحالة التي هو فيها ولا شيء عن ورمس ولا كرلوس ولا القصاد بل انما بشر بالمسيح وحدهُ ولم يكن لهُ في تلك اللحظة عند ما كانت عيون كل العالم عليهِ فكرٌ عن نفسهِ وذلك يدلُّ واضحًا على انهُ خادمٌ حقيقيٌّ لله. ثم انطلق لوثيروس من ارفورث واجتاز في غوثا حيث وعظ عظة اخرى . قال ميكونيوس انهُ عند ما خرج الشعب من الكنيسة طرح الشيطان من جناحها بعض الحجارة لم تكن قد تحركت مدة مئتي سنة. ثم بات الدكتور في دير مار بناديكتوس في راينهرد تسبرون وانطلق من هناك الى ايسناخ حيث شعر بانحراف مزاجهِ فخاف امسدورف ويوناس وشيورف وسائر اصدقائهِ فانفصد وخدموهُ بكل اهتمام واتاهُ يوحنا اوسوالد متسلم البلدة بشرابٍ مقوٍّ وبعد ان شرب منهُ شيئًا نام وتقوَّى بهذه الراحة ثم اخذ في سفرهِ في الصباح القادم. وكان مرورهُ اشبه بمرور قائد مظفَّر وتفرس الناس بعجب في هذا الرجل الجسور الذي كان ذاهبًا لكي يلقي راسهُ عند قدمي الامبراطور والملكة وازدحم جمع غفير حولهُ برغبة . فقال البعض منهم آه ان في ورمس اساقفة وكردينالين كثيرين فيحرقونك ويجعلون جسدك رمادًا كما فعلوا بيوحنا هس . ولم يكن شيءٌ يخيف هذا الراهب بل قال انهم ولو اضرموا في كل الطريق من ورمس الى وتمبرج نارًا يصل لهيبها الى السماء امشي في وسطها باسم الرب واقف قدامهم وادخل بين فكي هذا الحيوان واكسر انيابهُ معترفًا بيسوع المسيح

وعند دخولهِ الى الفندق ذات يوم والناس مزدحمون حولهُ كالعادة تقدم اليهِ قائدٌ وقال انت هو الرجل الذي اخذ في اصلاح البابابوية . كيف تقدر ان تطمع في النجاح. فاجاب لوثيروس نعم انا الرجل. فاني اتكل على القادر على كل شيء الذي لي كلامهُ ووصاياهُ امامي . فتاثر الجندي من ذلك ثم نظر اليهِ نظرًا الطف وقال يا صديقي ان ما تقولهُ هو امرٌ عظيم . انا خادم كرلوس ولكن مولاك اعظم من مولاي فهو يعينك ويحفظك . فهكذا كان

التاثير الحاصل من لوثيروس حتى ان اعداءهُ تعجبوا من نظر الجماهير التي كانت تزدحم حولهُ ولكنهم وصفوا سفرهُ بالوان مختلفة جدًّا . فوصل الدكتور الى فرانكفورت يوم الاحد الواقع في ١٤ نيسان. وكان خبر سفر لوثيروس قد بلغ وُرمس واصدقاء البابا ظنوا انهُ لا يطيع الاوامر والبرت رئيس الاساقفة الكردينال كان قد دفع كل شيء لو امكن توقيفهُ في الطريق واحتالوا احتيالات جديدة لاجل الحصول على هذه الغاية

ولما وصل لوثيروس الى فرانكفورت ارتاح قليلاً ثم اعلم باتيانهِ سپالاتين الذي كان حينئذٍ في وُرمس مع الملك المنتخب وهذا هو المكتوب الوحيد الذي كتبهُ في سفرهِ . فقال انني قادم وأن كان الشيطان قد اجتهد ان يوقفني في الطريق بواسطة المرض ومنذ خرجت من ايسناخ كنت في حالة الضعف ولم ازل بحالة لم اكن عليها قط قبلاً . وقد بلغني ان كرلوس قد اذاع مكتوبًا لكي يخيفني ولكن المسيح حيٌّ وسوف ادخل وُرمس رغمًا عن جميع ابواب الجحيم وعن قوى راس سلطان الهواء فاصنع معروفًا واعدّ لي منزلاً

وفي اليوم التالي ذهب لوثيروس لكي يزور مدرسة العالِم وليم ناسى الجغرافي المشهور في ذلك العصر فقال للتلاميذ انصبُّوا على درس الكتاب المقدس والفحص عن الحق ثم وضع يمينهُ على واحد من الاولاد ويسارهُ على آخر وبارك كل المدرسة

وبارك لوثيروس الصبيان وكان ايضًا رجاء الشيوخ . فتقدمت اليهِ كاترينا من هولزهوسن وهي ارملة كبيرة جدًّا في السن وعابدة الله وقالت ان والديَّ قالا لي ان الله سيقيم رجلاً يقاوم الاباطيل الباباوية ويحفظ كلمتهُ تعالى فارجو انك انت هو ذلك الرجل واطلب نعمة الله وروحهُ القدوس على عملك . وهذه الافكار لم تكن افكار الجمهور في فرنكفورت. كان يوحنا كوكلاوس خوري كنيسة السيدة من اشد حزب الباباوية . فلم يقدر ان يضبط خوفهُ عند ما راى لوثيروس يجتاز في فرانكفورت في طريقهِ الى وُرمس وافتكر ان الكنيسة

تحتاج الى انصار نشطاء. نعم انهُ لم يدعهُ احد ولكن ذلك لا التفات اليهِ وحالما خرج لوثيروس من المدينة تبعهُ كوكلاوس على الاستعداد كما قال لان يضحّي نفسهُ محاماةً عن كرامة الكنيسة

وكان الخوف عموميًّا في معسكر اصدقاء البابا. لان المبتدع كان قريبًا وكل يوم وكل ساعة يقربهُ الى وُرمس فاذا دخل فربما يُخسَر كل شيءٍ. فارتبك رئيس الاساقفة البرت والمعرّف غلاپيو وارباب السياسة الذين كانوا حول الامبراطور في امرهم كيف يمكنهم ان يمنعوا هذا الراهب عن المجيء. ولم يكن ممكنًا لهم ان يخطفوهُ جبرًا لان بيدهِ صك الامان من كرلوس فالحيلة وحدها تقدر ان توقفهُ فاخترع حالاً هولاء الناس المحتالون الطريقة الآتية وهي ان معرّف الامبراطور ورئيس مخدعهِ بولس من امسدورف ذهبا بسرعة من وُرمس ووجها خطواتهما نحو قصر ابرنبرج الذي يبعد نحو عشرة فراسخ عن المدينة وهو مقام فرنسيس ڤان سكنجن ذلك الفارس الذي كان قد عرض ملجأً على لوثيروس وكان بوسر واحد من الشبان الدومينيكيين خوري وكيل المنتخب وكان انحاز الى التعليم الانجيلي بواسطة الجدال في هيدلبرج كما تقدم ذكرهُ فالتجأ الى مكان راحة الابرار هذا. وهذا الفارس الذي لم يفهم كثيرًا في قضايا الديانة خُدِع بسهولة وطبيعة خوري وكيل المنتخب سهلت مقاصد المعرّف والواقع ان بوسر كان رجلاً محبًّا للسلام واذ ميَّز بين القضايا الاساسية والثانوية ظن ان الاخيرة يسوغ تركها لاجل الاتحاد والسلام

فابتدا القهرمان ومعرّف كرلوس في حيلهما وأفهما ڤان سكنجن وبوسر ان لوثيروس هلك اذا دخل وُرمس وقالا ان الامبراطور مستعد لان يرسل بعض اناسٍ علماء لكي يتجادلوا مع الدكتور وقالا للفارس ان الفريقين يلقيان انفسهما تحت حمايتك. وقالا لبوسر اننا نحن نتفق مع لوثيروس في جميع القضايا الجوهرية والسوال الآن على القضايا الثانوية. فانت تتوسط بيننا. فارتبك الفارس وبوسر في ذلك فاستنتلى القهرمان والمعرّف وقالا لسكنجن ان دعوة

لوثيروس يجب ان تكون منك وبوسر يبلغها اليهِ . فتدبر كل شيء حسب ارادتهما . فاذا انغر لوثيروس وصدّق ينطلق الى ابرنبرج فتنتهي مدة صك الامان التي بيدهِ وحينئذٍ من يحميهِ

وكان لوثيروس قد وصل الى اوبنهيم ولم يكن بعد اصلك الامان الَّا ثلاثة ايام فقط فرأى جيشًا من الفرسان يتقدم نحوهُ ورأى سريعًا في مقدمتهم بوسر الذي كان قد خاطبهُ مخاطبة ودادية في هيدلبرج كما تقدم فقال بوسر بعد ان حيّى كلٌّ منهما صاحبهُ بالسلام ان الفرسان يختصون بفرنسيس ڤان سكنجن وقد ارسلني لكي اشيعك الى قصرهِ . فان معرّف الامبراطور يريد ان يواجهك وسطوتهُ على كرلوس لاحد لها فكل شيء يمكن صرفهُ ولكن احذر من الياندر . فيوناس وشيورف وامسدورف ارتبكوا في ما ينبغي ان يُفعَل وبوسر الحَّ عليهم واما لوثيروس فلم يتردد بل اجاب بوسر اني ابقى آخذًا في طريقي واذا كان عند معرّف الامبراطور شيء يريد ان يقولهُ لي فانهُ يجدني في وُرمس . انا اتوجه الى حيث دُعيت

وفي تلك الفترة ابتدا سپالاتين يخاف واذ كان محاطًا في وُرمس باعداء الاصلاح سمع الناس يقولون ان صك الامان المعطى لاراتيكي لا يجب اعتبارهُ فخاف على صديقهِ وحينما كان المصلح بالقرب من المدينة ظهر امامهُ رسولٌ بهذه النصيحة يقول لا تدخل وُرمس وتلك النصيحة من احسن اصدقائهِ معتمد الملك المنتخب اي من سپالاتين نفسهِ . واما لوثيروس فلم يخف بل التفت الى الرسول وقال اذهب وقل لمولاك انهُ اذا كان في وُرمس شياطين على عدد الآجرّ على سطوح البيوت فاني مع ذلك ادخل وُرمس . في كل عمرهِ لم يبلغ لوثيروس هذا السمو السامي فرجع الرسول الى وُرمس بهذا الجواب المذهل . قال لوثيروس اياما قليلة قبل وفاتهِ كنت حينئذٍ غير متأثر لا اخاف شيئًا فان الله يقدر حقًّا ان يجعل الانسان غير متزعزع في اي وقت كان ولكن لا اعلم هل كنت احصل الآن على هذا المقدار من الحرية والفرح . وقال تلميذهُ مثيسيوس

اذا كان مقصدنا صالحًا فان القلب ينفتح ويمنح شجاعةً ونشاطًا للانجيليين كما للجنود

الفصل الثامن

دخول لوثيروس الى وُرمس ووقوفهُ امام المجمع

في صباح ١٦ نيسان اشرف لوثيروس على اسوار المدينة القديمة والجميع في انتظارهِ وفكرٌ واحدٌ اشغل عقول الكل. واذ لم يقدر البعض من الشبان الاشراف ان يصبروا عن نظرهِ مثل برنردوس هرشفلدت والبرت لنداتو مع ستة فوارس وآخرين من الاكابر في صف الامراء الى عدد مئة نفر ركبوا الخيل وخرجوا لاجل ملاقاتهِ فاحدقوا بهِ لكي يكونوا لهُ محرسًا عند دخولهِ فقرب والرسول الملكي راكبٌ امامهُ بالزي الرسمي الكامل ثم بعدهُ لوثيروس بمركبتهِ البسيطة وتبعهُ يوناس راكبًا على حصان والفرسان على جانبيهِ وعلى الابواب جمعٌ غفيرٌ ينتظرهُ وكان نحو الظهر عندما دخل تلك الاسوار التي تنبا كثيرون انهُ لايخرج منها حيًّا. وكانت ساعة الغذا وكل واحد على المائدة ولكن حالما صرخ الحارس الذي على برج كنيسة الكرسي ببوقهِ ركض الجميع الى الاسواق لكي يروا الراهب. كان لوثيروس في وُرمس

ورافقهُ الفا نفس في اسواق المدينة وازدحم عليهِ الاهالي لكي يروهُ والجمع ازداد كل دقيقة وكان الموكب اعظم كثيرًا مما هو عند دخول الامبراطور باحتفال. قال واحد من المؤرخين ان رجلًا لابسًا زيًّا غريبًا وحاملًا صليبًا نظير ما يستعملونهُ في الجنازة ظهر بغتةً وفتح لنفسهِ طريقًا بين الجمع وتقدم نحو لوثيروس ثم بصوتٍ عالٍ وبتلك النغمة المحزنة الموزونة التي يقال بها القداس عن نفوس الموتى رتّل هذه الكلمات كانهُ جاء بها من عالم الاموات وهي

قد اتيت اخيرًا ايها المنتظر من زمان طويل الذي انتظرناهُ في الظلمات

وهكذا كان استقبال لوثيروس الى وُرمس ضربًا من الندب عليهِ . والعامل هذا اذا كان الخبر صحيحًا هو مهرج تابع واحد من امراء باقاريا وبهذا العمل حذر لوثيروس تحذيرًا كثير الحذاقة والتهكم معًا ولنا امثلة كثيرة من هذا النوع عن هولاء الاشخاص ولكن جلبة الجمع غطت سريعًا على ندب حامل الصليب وكان الموكب يخطُّ طريقهُ بصعوبة في الجمع واخيرًا وقف رسول المملكة امام منزل فوارس رودس ونزل هناك كاتبا الملك المنتخب وهما فردريك ثون وفيلبس فيلتش وكذلك مدبر جنود المملكة اولريخ بابنهيم فنزل لوثيروس من مركبتهِ وعند وصولهِ الى الحضيض قال الله يكون لي ترسًا . قال بعد ذلك بزمان قد دخلت وُرمس في مركبة مغطاة وبثوبي الرهباني وكل الناس خرجوا الى الاسواق لكي يلمحوا الاخ مرتينوس . فملأت اخبار وصولهِ منتخب سكسونيا واليائدر خوفًا . اما البرت رئيس الاساقفة الشاب الوديع الذي كان في درجة متوسطة بين الفئتين فانذهل من هذه الجراءة . قال لوثيروس لو لم تكن لي شجاعة اكثر مما الهُ لما راوني قط في وُرمس

فجمع كرلوس الخامس حالاً ارباب مشورتهِ وذهب كاتمو اسرار الامبراطور بسرعة الى السرايا لان الصوت كان قد وصل اليهم ايضًا فقال كرلوس ان لوثيروس قد جاء فماذا يجب ان نصنع

فاجاب مودو اسقف بالرمو ورئيس فلندرس على شهادة لوثيروس نفسهِ قائلاً قد بحثنا زمانًا طويلاً في هذه القضية فليخلص حالاً جلالك الملكي من هذا الرجل ألم يامر سجسموند باحراق هس . فاننا لا نلتزم ان نعطي ولا ان نحفظ صك امان لاراتيكي . فقال كرلوس كلاَّ . بل يجب ان نحفظ وعدنا . ومن ثمَّ قبلوا بحضور لوثيروس امام المجمع

واذ كانت مجامع العظماء هائجة هكذا بسبب لوثيروس كان اشخاصٌ كثيرون في وُرمس مبتهجين بحصولهم اخيرًا على فرصة لكي يشاهدوا خادم الله

الفاضل هذا . واولهم كابيتو خوري رئيس اساقفة منتز ومشيرهُ . وهذا الرجل المعتبر الذي قبل ذلك بقليل بشر بالانجيل بحرية عظيمة في سويسرا ارتأى انهُ يليق بمقامهِ ان يتصرف على طريق مخصوص ادَّى الى شكوى الانجيليين عليهِ بالجبانة وشكوى الرومانيين عليهِ بالرياء غير انهُ نادى في منتز بتعليم النعمة بوضوح عظيم وفي ساعة سفرهِ وكَّل مكانهُ واعظًا شابًّا غيورًا اسمهُ هيديو وكلمة الله لم تكن محصورة في تلك المدينة التي هي المركز القديم لرياسة الكنيسة الجرمانية فان الناس اصغوا الى الانجيل برغبة عظيمة وباطلاً اجتهد الرهبان في المناداة من الكتب المقدسة حسب طريقتهم وبذلوا كل ما عندهم من الوسائط لاجل توقيف حركة عقول الناس ولم ينجحوا في ذلك . واذ كان كابيتو ينادي بالتعليم الجديد اجتهد ان يحفظ لهُ اصدقاء بين الذين اضطهدوهُ ووعد نفسهُ كما فعل آخرون ممن وافقهُ على رايهِ بانهُ يقدر بهذه الواسطة ان ينفع الكنيسة نفعًا جزيلاً واذا حكمنا بمقتضى كلامهم فعدم احراق لوثيروس وعدم حرم جميع اتباعهِ كان بواسطة السطوة التي لكابيتو عند رئيس الاساقفة البرت . وكوكلاوس رئيس فرنكفورت الذي وصل الى وُرمس بالقرب من وقت وصول لوثيروس ذهب حالاً يسلّم على كابيتو . اما كابيتو الذي افلما يكون في الظاهر حفظ الصداقة مع الياندر فاحضر اليهِ كوكلاوس حتى صار بذلك كحلقة الوصل بين العدوين الاعظمين للمصلح ولا شك زعم كابيتو انهُ اعان على تقدم عمل المسيح بواسطة جميع هذه الترقيعات الوقتية . ولكنها لم تأتِ بنتيجة صالحة والواقع تخيب دائمًا حسابات الحكمة البشرية هذه ويبرهن ان التصرف القطعي الجازم هو الاحكم فضلاً عن كونهِ الاشرف

وفي هذه الفترة كان الجمع لم يزل حول منزل فرسان رودس حيث نزل لوثيروس . وهو عند البعض غرابة الحكمة وعند البعض غرابة الاثم . فكانت كل المدينة تتوق الى نظرهِ . الأ انهم تركوا لهُ الساعات الاولى بعد وصولهِ لكي يستريح ويتكلم مع اعز اصدقائهِ ولكن حالما حل المساء ازدحم اليهِ الامراء

والشرفاء والفوارس والوجوه والكنائسيون والاصناف والجميع حتى اعظم اعدائهِ تحيروا من جراءتهِ وفرحهِ وفصاحتهِ وهيبتهِ وغيرتهِ التي اعطت هذا الراهب الحقير سلطةً لا تقاوم واذ نسب البعض هذه الهيبة الى شيءٍ الهي فاصدقاء البابا واعوانهُ نادوا جهاراً بان فيهِ شيطاناً . فلحق الزائرون بعضهم بعضاً بسرعة وهذا الجم من المبتاثين منع لوثيروس من الرقاد الى ساعة متاخرة من الليل

وفي الصباح التالي نهار الاربعاء في ١٧ نيسان امرهُ وكيل المملكة بالوراثة اولريخ من بابنهيم بالحضور بعد الظهر باربع ساعات امام جلالهِ الملكي ومعتمدي المملكة فاجاب لوثيروس الى ذلك باحترام تام

وهكذا أُعد كل شيءٍ وصار قريب الوقوف لاجل يسوع المسيح امام اوقر جماعة في العالم . وحصلت لهُ تشجيعات كثيرة فان الفارس الجسور اولريخ ڤان هوتن كان حينئذٍ في قلعة ابرنبرج واذ لم يقدر ان يذهب الى ورمس (لان لاون العاشر كان قد طلب من كرلوس الخامس ان برسلهُ موثق اليدين والرجلين الى رومية) عزم ان يبسط اقل ما يكون يد الصداقة الى لوثيروس وفي ذلك اليوم بعينهِ (١٧ نيسان) كتب اليهِ مقتبساً كلام ملك من ملوك اسرائيل حيث يقول ليستجب لك الرب في يوم الضيق . ليرفعك اسم اله يعقوب . ليُرسِل لك عوناً من قدسهِ ومن صهيون ليعضدك . ليُعطِك حسب قلبك ويتم كل رايك (مز ٢٠: ١و٢و٤) فيا حبيبي العزيز لوثيروس ابي المحترم لا تخف بل قف ثابتاً . ان مجمع الاشرار قد اكتنفك وقد فتحوا افواههم عليك نظير اسودٍ زائرة ولكن الرب يقوم على الاشرار ويخزيهم فحارب اذاً بشجاعة في ميدان الرب واما انا فاني ايضاً سوف احارب ببسالة . فيا ليتني اقدر ان ارى كيف يعبسون عليك ولكن الرب ينقي كرمهُ الذي اخربهُ خنزير الوعر البري . ليت المسيح يحفظك . انتهى . واما بوسر فعمل ما لم يقدر ڤان هوتن على عملهِ . اي جاء من ابرنبرج الى ورمس ولم يترك صديقهُ مدة مكثهِ في تلك المدينة

ولما حضرت الساعة الرابعة ظهر وكيل المملكة واستعدَّ لوثيروس للانطلاق معهُ وكان مضطربًا من الافتكار بالجمهور المهيب الذي كان عتيدًا ان يمثل امامهُ فمشى الرسول الملكي اولاً وبعدهُ وكيل المملكة واتى المصلح وراءهما والجمهور الذي ملأ الاسواق كان اعظم مما هو في اليوم السابق فلم يكن التقدم ممكنًا وباطلاً صدرت الاوامر بفتح الطريق والازدحام لم يزل آخذًا في الازدياد واخيرًا اذ راى الرسول الملكي الصعوبة في الوصول الى المجمع امر بفتح بيوت بعض الاهالي وانطلق بلوثيروس في البساتين والمساكن الخصوصية الى المكان الذي كان المجمع منعقدًا فيهِ . ولما راى الناس ذلك هجموا على البيوت وراء راهب وتمبرج وركضوا الى الطاقات المشرفة على البساتين وعدد كبير منهم صعدوا على السطوح فكانت السطوح وبلاط الازقَّة فوق وتحت مغطاةً جميعها بالناظرين

وبعد ان وصل اخيرًا لوثيروس ومن في صحبتهِ الى المكان المقصود لم يقدروا على دخول الباب بسبب الازدحام فصرخوا الطريق الطريق ولكن لم يتحرك احدٌ وعند ذلك فتح رغمًا جنود الملك طريقًا جاز بها لوثيروس واذ ثار القوم لكي يدخلوا معهُ منعهم الجنود برماحهم فدخل لوثيروس الى داخل القاعة ولكن هناك ايضًا كانت كل زاوية مملوءَة وفي الاروقة والطاقات اكثر من خمسة آلاف ناظر من اهالي جرمانيا وايطاليا واسبانيا وغيرهم فتقدم لوثيروس بصعوبة واذ قرب اخيرًا من الباب الذي كان عتيدًا ان يدخلهُ الى امام ديَّانيهِ صادف فارسًا بطلاً وهو جرجس فريندسبرج الشهير الذي بعد ذلك باربع سنين اذ كان قائدًا لمشاتهِ الجرمانيين احنى ركبتهُ مع عسكرهِ في ميدان پافيا ثم هجم على العسكر الفرنساوي وطردهم الى نهر التيشينو وصار سببًا لاسر ملك فرانسا . واذ راى هذا القائد القديم لوثيروس مجتازًا نقفهُ على كتفهِ وهز راسهُ الشائب في الحروب الكثيرة وقال لهُ برفق ايها الراهب المسكين ايها الراهب المسكين انك الآن منطلق لكي تقف وقوفًا اشرف من وقوفي او وقوف القواد

الاخر في اهول حروبنا الدموية ولكن اذا كانت دعواك عادلة وكنت انت على اليقين من ذلك فتقدم على اسم الله ولا تخف شيئًا فان الله لا يتركك . ولا ريب ان ذلك جزية شريفة من الاعتبار قدَّمنها شجاعة السيف الى شجاعة العقل . قال الحكيم مَن يملك نفسهُ فهو افضل ممَّن ياخذ المدن

ثم فُتحت ابواب القاعة ودخل لوثيروس ودخل معهُ كثيرون لم يكونوا من ارباب المجمع . ولم يكن قط انسان قد وقف امام جماعة مهيبة كهذه لانهُ كان حاضرًا فيها الامبراطور كرلوس الخامس الذي امتدت سلطنتهُ الى جزءٍ عظيم من العالم القديم والعالم الجديد واخوهُ فرديننذ رئيس الامراء وستة من الملوك منتخبي المملكة الذين اكثر نسلهم الآن لابسون التاج الملكي واربعة وعشرون دوكًا اكثرهم ملوكٌ مستقلون على بلدان مختلفة الاقطار والابعاد منهم من صارت اسماؤهم في ما بعد مخيفة للاصلاح كدوك الفا وابنيهِ وثمانية شرفاء وثلاثين من رؤساء الاساقفة والاساقفة ورؤساء الاديرة وسبعة سفراء منهم سفير ملك فرانسا وملك انكلترا ووكلاء عشر مدن حرة وعدد عظيم من الامراء والمشائخ والبارونيين العظام وقصَّاد البابا والجملة مئتا شخصٍ واربعة اشخاص هذا هو الديوان الرهيب الذي وقف مرتينوس لوثيروس امامهُ

وكان هذا الوقوف من نفسهِ غلبةً عظيمةً على الباباوية فان البابا كان قد حرم هذا الرجل وهو حينئذٍ وقف امام محكمة جعلت نفسها بهذا العمل نفسهِ فوق البابا والبابا كان قد جعلهُ تحت اللعنة وقطعهُ من كل جماعةٍ بشرية ومع ذلك طُلِب حضورهُ بعبارات الاعتبار وقُبل امام اعظم ديوان في العالم . والبابا كان قد حكم عليهِ بالصمت الدائم وهو حينئذٍ كان عتيدًا ان يتكلم امام الوف من السامعين المصغين المجتمعين الى هناك من اقصى اطراف العالم المسيحي . فحدث انقلاب عظيم بواسطة لوثيروس وكانت رومية آخذةً في النزول عن عرشها وصوت الراهب هو الذي اوصلها الى هذا الذل

واذ راى بعض الامراء اضطراب ابن معدني منسفلدت الوضيع امام

مجمع الملوك هذا تقدموا اليهِ بلطفٍ وقال لهُ واحدٌ منهم لا تخف من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون ان يقتلوها . وقال آخر اذا قدموكم الى الولاة والملوك من اجلي... فان روح ابيكم الذي يتكلم فيكم (مت ١٠: ٢٠و٢٨) فهكذا تعزَّى لوثيروس بكلام معلمهِ بواسطة امراء هذا العالم

وفي اثناء ذلك فتح الحرَّاس طريقًا للوثيروس فتقدم ووقف امام عرش كرلوس الخامس . ومنظر هذا المجمع الموقر اوقعهُ في الذهول والخوف لحظة وكانت كل العيون متفرسةً فيهِ ثم هدأ الشغب شيئًا فشيئًا وتبعهُ سكوتٌ عميق فقال لهُ وكيل المملكة لا تقل شيئًا قبل ان تُسأَل . فامسى لوثيروس متروكًا وحدهُ

وبعد دقيقةٍ من هذا السكوت الوقور قام كاتب رئيس اساقفة تريف يوحنا آك صديق الياندر وهو غير آك اللاهوتي المشهور بهذا الاسم نفسهِ وقال بصوتٍ عالٍ رائقٍ اولاً باللاتينية ثم بالجرمانية يا مرتينوس لوثيروس ان جلالهُ الملكي المقدس القهار قد احضرك امام عرشهِ حسب مشورة وراي ولاة المملكة الرومانية المقدسة لكي يطلب منك جوابًا على سوالين اولاً هل تقر بان هذه الكتب انت كاتبها واشار المتكلم باصبعهِ الى نحو عشرين كتابًا موضوعة على مائدة في وسط القاعة قبالة لوثيروس . واذ راى لوثيروس هذه الحادثة قال لا اعلم كيف امكنهم ان يجمعوها فان الياندر هو الذي اعتنى بذلك . ثم قال الكاتب ثانيًا هل انت مستعدٌ لان ترجع عن هذه الكتب وعن فحواها او مصرٌّ على الاراء التي قدَّمتها فيها

واذ كان لوثيروس سليم النية في ذلك كان عتيدًا ان يجاوب على السوال الاول من هذين السوالين بالايجاب فعارضهُ بسرعة مشيرهُ ايرونيموس شيورف وقال بصوتٍ عالٍ ليقرا عنوان كل كتاب

فتقدم الكاتب الى المائدة وقرأ عنوان كل كتاب على حدتهِ كان بينها عدة كتب روحية لا تعلق لها اصلاً بالجدال . ولما فرغ من تعدادها قال لوثيروس اولاً باللاتينية ثم بالجرمانية ايها الامبراطور المعظم والامراء والسادات

المغبوطون ان جلالة الملكي قد سألني سؤالين

اما الاول فاني اقرّ بان الكتب التي ذُكِرت الآن هي كتبي فانهُ لا يمكنني ان انكرها

واما الثاني فبما ان المسئلة تتعلق بالايمان وخلاص النفوس وبكلام الله الذي هو اعظم واثمن كنز في السماء وعلى الارض فاذا اجبت عليهِ من دون تامل فاني ارتكب جسارة عظيمة لاني ربما اثبت اقل مما يقتضيهِ الحال او اكثر مما يطلبهُ الحق وبذلك اخطي ضد قول المسيح هذا من انكرني قدام الناس انكرتهُ انا ايضاً قدام ابي الذي في السموات ولاجل ذلك اترجى جلالك الملكي بكل تواضع ان يعطيني فرصة لكي اقدر ان اجاوب من دون افتراء على كلمة الله

وهذا الجواب بعيد عن الدلالة على ارتباك او تردد لوثيروس بل هو لائق بالمصلح وبالمجمع وكان يحق لهُ ان يظهر هاديًا وحذرًا في قضية مهمة كهذه وان ينبذ في تلك الدقيقة المهمة كل ما يمكن ان يوقع عليهِ شبهة الحماقة والجسارة وعدا ذلك انهُ باخذهِ وقتًا كافيًا يعطي برهانًا اقوى لثبات عزمهِ غير المتقلب فاننا نقرا في التاريخ عن اناس كثيرين جلبوا بواسطة العجلة في الكلام شرورًا كثيرة على نفوسهم وعلى العالم فضبط لوثيروس طبيعتهُ الحادة طبعًا وملك لسانهُ الذي كان دائمًا مستعدًا للافراط في الكلام وقيد نفسهُ في الوقت الذي كانت فيهِ كل حاسياتهِ متعطشة الى الكلام وهذا الضبط والهدو المذهلان جدًا في رجل كهذا زادا قوتهُ مئة ضعف وجعلاهُ يستعد للمجاوبة في ما بعد بحكمة وعزم وجلال خيبت آمال اعدائهِ واخزت خبثهم وكبرياءهم

ولكن بما انهُ تكلم باعتبار وبصوت خاشع ظنَّ كثيرون انهُ تردد وايضًا انهُ جبن ولاحت شعاع الرجاء على وجوه اتباع رومية . واما كرلوس فاذ كان تائقًا الى معرفة الرجل الذي هيج كلامهُ المملكة لم يرفع عينيهِ عنهُ قط ثم التفت الى احد انصارهِ وقال بازدراء حقًّا ان هذا الرجل لا يصيرني ابدًا اراتيكيًا . ثم قام الامبراطور الشاب من مكانهِ وانفرد مع اعوانهِ الى بيت مشورة وانفرد

الملوك المنتخبون مع الامراء في بيت آخر ووكلاء المدن الحرة في بيت ثالث وعندما التأم المجمع ايضاً قرّ الراي على اجابة سوال لوثيروس وهذا التسليم كان غلطاً فاحشاً من جهة اناس مستولٍ عليهم المرام

فقال كاتب تريف يا مرتينوس لوثيروس ان جلالهُ الملكي من حلمهِ الطبيعي قد ارتضى بان يعطيك يوماً آخر ولكن تحت شرط انك تجاوب بصوت حيٍّ لا بالكتابة

وحينئذٍ تقدم الرسول الملكي وارجع لوثيروس الى منزلهِ وكانت التهديدات واصوات الفرح تُسمَع على التعاقب في طريقهِ وانتشر اسوأ الاخبار بين اصدقاء لوثيروس. قالوا ان المجمع لم يكتفِ ووكلاء البابا قد غلبوا والمصلح سوف يُقتَل. فاضطرمت هواجس الناس واسرع كثيرون الى منزل لوثيروس وقالوا باضطراب ايها الدكتور ما هذا. قيل انهم قد عزموا على احراقك ثم قال هولاء الفوارس اذا فعلوا ذلك فانهُ يكلفهم حياتهم. ولوثيروس عند ما ذكر هذه الكلمات بعد ذلك بعشرين سنة في ايسلابن قال لو فعلوا لصار كما قال هولاء الفوارس

ومن الجهة الاخرى اعتزّت اعداء لوثيروس وقالوا انهُ قد طلب وقتاً فسوف يرجع عن آرائهِ فانهُ على بُعدٍ كان كلامهُ فظّاً واما الآن فقد ضعفت شجاعتهُ .... ووقعت عليهِ الغلبة

وربما لم يبقَ في وُرمس انسان هادي الروح غير لوثيروس نفسهِ وبعد رجوعهِ من المجمع بوقت قصير كتب الى كسبيانوس المشير الملكي يقول اني اكتب اليك من وسط الشغب (ربما اشار بذلك الى ضجة الجمع امام المنزل) اني قد وقفت امام الامبراطور واخيهِ ... واقررت باني موءلف كتبي وقلت اني اجاوب غداً من جهة رجوعي عن آرائي فبمعونة المسيح لن ارجع ابداً عن خطاءٍ واحدة من كتبي

وازداد هياج الشعب والجنود الغرباء كل ساعة والحزبان المتضادان

تصرفا يهدو في المجمع ولكن اخذا في اعمال التعدي في الاسواق وتعدي جنود اسبانيا المتكبرين العديمي الرحمة اغاظ الاهالي وواحدٌ من جنود كرلوس هولاء الفظين اذ وجد في دكان بائع كتب منشور البابا مع شرح عليهِ كتبهُ فان هوتن اخذ الكتاب ومزقهُ اربًا وطرح القطع على الارض وداسها برجليهِ وآخرون اذ وجدوا بعض النسخ من تاليف لوثيروس في سبي بابل اخذوها وافنوها فثار الاهالي المغتاظون من هذا العمل على الجنود والجأوهم الى الهرب وفي وقت آخر رجل اسبانيولي وهو راكب والسيف في يدهِ في احدى شوارع وُرمس لحق رجلًا جرمانيًا كان يهرب امامهُ ولم يتجاسر الشعب لاجل خوفهم ان يمنعوا هذا الرجل الشرس

وظن البعض من ارباب السياسة انهم قد وجدوا طريقًا لتخليص لوثيروس فقالوا لهُ ارجع عن غلطاتك التعليمية ولكن ابقَ على كل ما قلتهُ ضد البابا ودبوانهِ فتكون في امان وكان الياندر يقشعر خوفًا من هذه النصيحة . واما لوثيروس فاذ كان غير متزعزع في عزمهِ قال انهُ ليس لهُ اركان باصلاح سياسي لم يكن مبنيًا على الايمان

اما غلابيو والكاتب يوحنا آك والياندر فاجتمعوا بامر كرلوس باكرًا في صباح اليوم الثامن عشر من الشهر المار ذكرهُ لكي يتفاوضوا في ما يجب ان يُعمَل بلوثيروس

وكان لوثيروس قد شعر حينًا ما بخوف عند ما كان عتيدًا ان يقف في اليوم السابق امام محفلٍ مهيب كهذا وقلبهُ اضطرب في حضرة ذلك الجمهور من الملوك العظام الذين تجثو الشعوب بتواضع امامهم والفكر بانهُ كان عتيدًا ان يرفض الخضوع لهولاء الناس الذين قلدهم الله سلطانًا ساميًا ازعج نفسهُ فشعر بضرورة طلب القوة من العلاء فقال ذات يوم ان الرجل الذي عندما يرشقهُ العدو يحمي نفسهُ بترس الايمان هو نظير فرساوس براس الغرغون كل من نظر اليهِ وقع ميتًا . فهكذا يجب ان نحول وجه ابن الله نحو فخاخ الشيطان .

وفي صباح ١٨ نيسان لم يكن من دون انزعاج بعض الاحيان لما ترايا لهُ ان وجه الله مستتر عنهُ . فضعف ايمانهُ واعداؤُهُ كثروا امامهُ ومخيلتهُ اضطربت من المنظر ونفسهُ كانت كسفينة نلطها امواج عاصف قوي فتمايل وتغرق الى قعر الغمر ثم تركب ايضًا صاعدةً الى السماء وفي ساعة الحزن المرّ هذه التي فيها شرب كاس المسيح والتي كانت لهُ كجنة جثسيمانية صغيرة سقط الى الارض ونطق بهذا الصراخ المنكسر الذي لا نقدر ان نفهمهُ ما لم نتصور عمق الكآبة التي منها صعدت الى الله

يا الله القادر على كل شيء الابدي ما اهول هذا العالم فها هو فاتح فاهُ ليبتلعني وانا اتكالي عليك قليل بهذا المقدار . ما اضعف الجسد وما اقوى الشيطان فاذا كنت التزم ان اضع اتكالي على قوة هذا العالم وحدهُ ضاع كل شيء . وقد اتت ساعتي الاخيرة . والحكم عليَّ قد خرج . يا الله يا الله يا الله ساعدني على كل حكمة العالم . افعل ذلك وانت يجب ان تفعل ذلك انت وحدك لان هذا ليس عملي بل عملك . فانهُ ليس لي غرض هنا ولا لي غرض اخاصم لاجلهِ عظماء العالم هولاء بل ارغب ان ارى ايامي تمرُّ بالسلام والراحة ولكن العمل هو عملك وهو عملٌ بارٌّ ابديٌّ . فيا رب أَعنّي يا الله الامين غير المتغير اني لا القي اتكالي على انسان فان ذلك باطلٌ وكل ما هو من الانسان هو غير محقق وكل ما ياتي من الانسان يخيب . فيا الله الهي أَما تسمع لي . يا الهي هل انت ميت . كلاَّ لانك لا تقدر ان تموت بل انما تخفي نفسك . انك قد اخترتني لهذا العمل وانا اعلم ذلك جيدًا فاعمل اذًا يا الله وقف بجانبي لاجل ابنك الحبيب يسوع المسيح الذي هو عوني وترسي وحصني المتين

ثم بعد جهاد على السكوت قال

يا رب اين تسكن يا الهي اين انت تعال تعال اني مستعد اني مستعد لان ابذل حياتي لاجل حقك وصبور كالحمل لان العمل عمل عدلٍ فهو لك اني لا افترق ابدًا عنك لا الآن ولا الى الابد ولئن امتلأ العالم شياطين ولئن ذُبح

جسدي الذي هو عمل يديك وبُسِط على البلاط وقُطع آرابًا وحُوِّل الى رمادٍ فان نفسي هي لك. نعم وان كلمتك هي وثيقتي في ذلك ونفسي تخصُّ بك وسوف تكون الى الابد معك آمين يا الله اعنّي آمين

وهذه الصلوة تفسر لنا لوثيروس والاصلاح والتاريخ وهنا يُرفع حجاب المقدس ويكشف لنظرنا المكان السري الذي منهُ نبغت القوة والشجاعة لذلك الرجل المتواضع المهان الذي صار آلة الله في اعناق نفوس الناس وافكارهم وافتتاح عصر جديد فيُحضَر هنا امامنا لوثيروس والاصلاح بحيث نكشف اغمض ينابيعهما ونرى من اين نتجت قوّتهما . وهذا الانسكاب لنفس تقدم ذاتها قربانًا في دعوى الحق مذكور في مجموع اوراق تتعلق بحضور لوثيروس في وُرمس تحت عدد ١٦ بين صكوك امان واوراق أُخر غيرها من هذا النوع . واحد من اصدقائهِ سمعهُ لا محالة وسلمنا اياهُ وهو بحسب راينا من اثمن قطع التاريخ كلهِ

وبعد ان صلّى لوثيروس تلك الصلوة وجد سلام الضمير ذلك الذي بدونهِ لا يقدر الانسان ان يعمل عملاً عظيمًا وهو حينئذٍ قرأ كلام الله وراجع موّلفاتهِ واخذ في ترتيب جواب بصورة مناسبة . والفكر بانهُ كان عتيدًا عن قليل ان يشهد ليسوع المسيح وكلمتهِ امام الامبراطور والمملكة ملأ قلبهُ فرحًا واذ كانت الساعة لظهورهِ قريبة تقدم الى الكتب المقدسة التي كانت موضوعة على المائدة مفتوحة فتنهد ووضع يدهُ اليسرى على الكتاب الالهي ورفع يدهُ اليمنى نحو السماء واقسم انهُ يبقى امينًا للانجيل ويقر بايمانهِ جهارًا ولو التزم ان يختم شهادتهُ بدمهِ وبعد ذلك شعر بسلام اكثر

وفي الساعة الرابعة اتى الرسول الملكي وانطلق بهِ الى مجلس المحفل وكانت رغبة الشعب قد زادت لان الجواب قطعي واذ كان المجمع مشغولاً التزم لوثيروس ان ينتظر في الدار في وسط جمع غفير كان يتمايل الى هنا وهناك نظير امواج البحر في عاصف وضايق المصلح بامواجهِ فضى ساعتان طويلتان

ولوثيروس واقف في وسط هذا الجمع الذي كان متعطشاً جداً لان يلمحهُ لمحة . قال اني لم اكن معتاداً على تلك الامور ولا على كل تلك الضجة . ولا شك ان ذلك كان استعداداً ردياً جداً لرجل مثل سائر الناس الا ان الله كان مع لوثيروس فكان منظرهُ رائقاً وهيئتهُ هادية والازلي كان قد اقامهُ على صخرة . ثم اخذ الليل يقبل فأُوقدت مصابيح في مجالس المحفل وكانت اشعتها الساطعة تضيء من الطاقات القديمة على الدار وكان كل شيء مهيب المنظر واخيراً أُدخل الدكتور ودخل معهُ اناس كثيرون لان كل واحد رغب في استماع جوابهِ . فكانت عقول الناس في هياج والجميع ينتظرون برغبة اللحظة الفاصلة القريبة . وفي تلك المدة كان لوثيروس هادياً وحراً واثقاً من دون ادنى علامة للارتباك وصلاتهُ اثمرت . واذ جلس الامراء في مجالسهم وذلك ليس من دون صعوبة لان كثيراً من مجالسهم كان مشغولاً ووجد راهب وتبرج نفسهُ واقفاً ايضاً امام كرلوس ابتدا كاتب منتخب تريف بقولهِ

يا مرتينوس لوثيروس قد طلبت مهلة وهي الآن قد انتهت وبالحقيقة انهُ لم يكن يجب ان تُعطى لان كل انسان ولاسيما انت المعلم العالِم العظيم بهذا المقدار في الكتب المقدسة يجب ان يكون دائماً مستعداً لان يجاوب على كل ما يُقدَّم لهُ من السوالات عن ايمانهِ فالان اذا جاوب عن السؤال المقدم من جلال الامبراطور الذي عاملك بلطف هذا مقدارهُ فهل تحامي عن كتبك بالجملة او انت مستعدٌ لان تنكر البعض منها

وبعد ان نطق الكاتب بهذه الكلمات باللاتينية كرَّرها بالجرمانية

وعند ذلك جاوب الدكتور مرتينوس لوثيروس بكل خضوع وتواضع كما اخبرنا كتاب اعمال وُرمس فانهُ لم يرفع صوتهُ ولا تكلم بفظاظة ولكن باحتشام ولطافة ولياقة واعتدال وذلك بفرح عظيم وثبات مسيحي

فقال لوثيروس ملتفتاً الى كرلوس والى المحفل ايها الامبراطور والامراء الفاضلون والسادة الكرام اني اقف امامكم اليوم اطاعةً للامر الصادر لي امس

وانا اناشد جلالك وسموك العظيم براحم الله ان تصغى بحلم الى المحاماة عن امرٍ انا متحقق انهُ عادلٌ وحقٌ واذا كنت بسبب الجهل انعدى على عوائد الدواوين ورسومها اترجاك ان تسامحني لانني لم اتربَّ في قصور الملوك ولكن في خلوة الدير

انني قد سُئلت امس عن امرين بامر جلالهِ الملكي الاول هل انا مؤلف الكتب التي تُليت اسماؤُها والثاني هل ارجع اواحامي عن التعليم الذي علّمت بهِ فيها فاما الاول فقد جاوبت عنهُ حينئذٍ واني لاازال على ذلك الجواب

واما الثاني فاني قد كتبت كتبًا في موضوعات كثيرة مختلفة . منها ما تكلمت فيها عن الايمان والاعمال الصالحة بطريقٍ خالصٍ وبسيط ومطابق للكتب المقدسة حتى ان اخصامي انفسهم اذ لا يجدون فيها شيئًا ينكرونهُ يسلمون ان تلك الكتب مفيدة وتستحق ان يقراها جميع الناس الصالحين بل المنشور الباباوي مع كل قساوتهِ يقرُّ بذلك . فاذا كنت ارجع عن هذه فماذا اعمل انا الانسان الشقي انا وحدي بين جميع الناس اذا تركت حقوقًا يعتقدها الاعداء والاصدقاء وضاددتُ ما يفتخر كل العالم بالاقرار بهِ

ثانيًا اني قد كتبت كتبًا ضد الباباوية وقاومت فيها اولئك الذين بواسطة تعليمهم الكاذب او سيرتهم الردية او مثالهم المعيب يزعجون العالم المسيحي ويهلكون النفس والجسد معًا وتشكيات خائفي الله جميعًا تثبت ذلك . أفما هو واضح ان تعاليم وشرائع الباباوات البشرية تشرك وتعذب وتزعج ضمائر المؤْمنين اذ يبتلع صراخ ومظالم رومية الدائمة غنى وثروة العالم المسيحي وعلى الخصوص ما لهذا الشعب الشريف

فان كنت انقض ما قد قلتهُ في هذا المعنى فماذا اعمل الاَّ اني اضاعف قوة هذا الظلم وافتح ابوابًا لمجاري ذلك النفاق . ومتى ازداد علينا الشر اكثر من السابق نرى هولاء الناس المتعظمين يزدادون في العدد ويتصرفون بظلمٍ اشدّ ويتسلطون اكثر فاكثر والنير الذي يثقل الآن على رقاب الشعب المسيحي

ليس فقط يصير اثقل بواسطة رجوعي بل ايضاً يصير اكثر مطابقة للشريعة لانهُ بهذا الرجوع نفسهِ يتثبت من قبل جلالك السامي ومن قبل جميع ولاة المملكة المقدسة فاصير بذلك رداءً دنساً لستر وتغطية كل نوع من الخبث والتعدي

واخيراً قد كتبت كتباً ضد افراد ممن رغب في ان يحامي عن الظلم الروماني ويهلك الايمان فانا اقر جهاراً باني ربما قد ناقضتهم بحدة اكثر مما يليق بدرجتي الكنائسية واني لست اعتبر نفسي قديساً ولكنهُ لا يمكنني ان انقض هذه الكتابات لاني بهذا العمل اجاري نفاق اخصامي فيغتنمون الفرصة في مضايقة شعب الله باكثر قساوة

على انني لست سوى انسان محض لا الهاً ولهذا احامي عن نفسي كما فعل المسيح قال ان كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردي (يو ١٨: ٢٣) فكم بالحري انا الذي لست سوى تراب ورماد وقابل الاضلال بسهولة يجب عليَّ ان ارغب الى كل انسان ان يذكر اعتراضاتهِ على تعليمي

ولاجل هذا السبب برحمة الله اناشدك ايها الامبراطور المعظم واناشدكم ايها الامراء الافاضل واناشد جميع الناس من كل رتبة ان تبرهنوا من كتب الانبياء والرسل اني قد غلطت وحالما اقنع بذلك انقض كل غلط واكون اول من يمسك كتبي ويطرحها في النار

وانا طامع بان ما قد قلتهُ الآن يبين واضحاً اني قد وزنت واعتبرت جيداً الاخطار التي اعرّض نفسي لها ولكنني لست اضعف بل افرح بان ارى سعي الانجيل الآن كما كان في القديم علة قلقٍ وافتراق فهذا هو شان كلام الله وهذا قضاؤُهُ. قال يسوع المسيح ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً (مت ١٠: ٣٤) ان الله عجيب ورهيب في مشورتهِ فاحذروا من انكم بمحاولتكم ان تطفئوا نار الاحتراق تضطهدون كلام الله وتجلبون على نفوسكم طوفاناً مخيفاً من الاخطار والاشجان الحاضرة والخراب الابدي ويجب ان تخافوا من ان مُلك هذا المَلِك

الشاب الشريف الذي نبني عليهِ بعد الله آمالاً سامية جدًّا ليس فقط يبتدي بل ايضًا يدوم وينتهي تحت اظلم الظروف . ثم قال لوثيروس متكلمًا بشجاعة شريفة بحضور اعظم ملوك العالم . كان يمكنني ان اقتبس عبارات كثيرة من كلام الله وان اتكلم عن الفراعنة وملوك بابل وملوك اسرائيل الذين ساعدت اجتهاداتهم على هلاكهم باكثر قوة عند ما طلبوا بمشورات في ظاهرها حكمة جدًّا ان يقووا سلطانهم . ان الله المزحزح الجبال ولا تعلم الذي يقلبها في غضبهِ (ايوب ٩:٥)

واذا قلت هذه الاشياء فليس ذلك لاني اظن ان مثل هولاء الملوك العظام يحتاجون الى رايي الحقير ولكن لاني ارغب في ان اردَّ الى جرمانيا ما لها حق ان تنتظرهُ من بنيها وهكذا مستودعًا ذاتي بيد جلالك السامي وعظمتك الملكية اطلب منك بتواضع ان لا تدع بغضة اعدائي تسكب عليَّ غضبًا لا استحقهُ

تكلم لوثيروس بهذه العبارات بالجرمانية باحتشام ولكن بحرارة وثبات عظيمين . فأُمر ان يكررها باللاتينية لان الامبراطور لم يحب اللسان الجرماني وكان المصلح قد اتعبهُ ازدحام الجمهور المحدق بهِ والضجة وحرارتهُ . قال اني كنت عرقان جدًّا لاني احتددت بسبب الشغب وكنت واقفًا في وسط الامراء اما فردريك ثون كاتم اسرار الملك منتخب سكسونيا الذي كان بامر مولاهُ بجانب لوثيروس لكي يحافظ عليهِ لكي لا يلحقهُ اذًى فاذ راى حالة الراهب المسكين قال يا دكتور ان كنت لا تقدر ان تكرر ما قد قلتهُ فذلك كافٍ ولكن لوثيروس بعد ان سكت قليلاً لكي يتنفس شرع بخطابهِ ثانيةً وكررهُ باللاتينية بنشاط كالاول

قال المصلح ان ذلك سرَّ الملك المنتخب فردريك جدًّا ولما انتهى من الكلام قال لهُ كاتب تريف خطيب المجمع بغضبٍ انك لم تجاوب عن السؤال المقدَّم لك انك لم تُحضَر الى هنا لكي تعترض على احكام المجامع بل لكي تعطي جوابًا صريحًا قطعيًّا أَترجع ام لا . وعند ذلك جاوب لوثيروس من دون تردد

وقال بما ان جلالك الملكي وقواتكم العظمى تطلب مني جوابًا صريحًا بسيطًا قطعيًّا انا اعطي جوابًا وهو هذا اني لا اقدر ان اخضع ايماني للبابا ولا للمجامع لانهُ واضح كالنهار انهم قد غلطوا مرارًا وضادوا بعضهم بعضًا فما لم أُقنع اذًا بواسطة شهادة الكتاب المقدس او باوضح الاحتجاجات وبواسطة الآيات التي اقتبستها فما لم يربطوا ضميري بكلام الله لا اقدر ان ارجع ولا ارجع لانهُ غير امين للمسيحي ان يتكلم ضد ضميرهِ . ثم نظر الى المحفل الجالس امامهُ القابض حياتهُ بيدهِ وقال هنا انا اقف . لا اقدر ان اعمل شيئًا آخر . فليعنّي الله آمين

فهكذا لوثيروس المضطر الى اطاعة ايمانهِ ساقهُ ضميرهُ الى الموت وصار رقيق اعتقادهِ ومع هذا الرق لم يزل حرًّا بنوعٍ سامٍ وكان نظير السفينة التي يضربها عاصف عنيف ولاجل تخليص ما هو اكرم منها تجري وتلاطم الصخور . تلفظ بهذه الكلمات السامية التي لا تزال تؤثر في قلوبنا بعد مرور ثلثة قرون وهكذا تكلم راهبٌ امام الامبراطور واقوياء الامة وذلك الرجل الضعيف المحتقر المنفرد مستندًا على نعمة الله ظهر اعظم واقوى منهم جميعًا فان كلماتهِ تتضمن قوة لم يقدر كل هولاء الولاة الاقوياء ان يعملوا شيئًا ضدها . فهذا هو ضعف الله الذي هو اقوى من الانسان وكانت المملكة والكنيسة من الجهة الواحدة وذلك الرجل من الجهة الاخرى قد التقيا .. والله جمع هولاء الملوك والرؤساء لكي يخذل حكمتهم جهارًا . خسروا الوقعة ونتائج انكسار عظماء الارض هذا سوف يُشعَر بها بين كل امة وفي كل قرن الى نهاية الزمان

فأُبهر المحفل وكثيرون من الامراء عسر عليهم اخفاء تعجبهم واذ استفاق الامبراطور من تاثرهِ الاول صرخ قائلاً ان هذا الراهب يتكلم بقلب غير هائب وشجاعة لا تتزعزع . وشعر اهل اسبانيا وايطاليا وحدهم بالخزي وابتدأوا سريعًا يهزأُون بعظمة نفس لم يقدروا على ادراكها . وحالما استفاق الجمع من التاثر الحاصل من خطاب لوثيروس قال الكاتب اذا كنت لا ترجع فان الامبراطور واكابر المملكة سوف يتشاورون في ماذا يعملون بارانيكي لا يمكن تقويمهُ . وعندما

سمع اصدقاءه لوثيروس هذه الكلمات ابتدأوا يرتعدون . واما الراهب فكرر قوله . ليكن الله عوني لانني لا اقدر ان ارجع عن شيء

وبعد هذا انصرف لوثيروس والامراء تاملوا وكان كل واحد يشعر بانها ساعة خطرة للعالم المسيحي فان ايجاب هذا الراهب او سلبهُ يحكم ربما الى مدة قرون براحة الكنيسة والعالم واخصامهُ كانوا قد اجتهدوا في تخويفهِ وبذلك انما رفعوهُ امام الامة وكانوا قد افتكروا باذاعة انكسارهِ اذاعة اوسع ولكنهم انما زادوا مجد غلبتهِ. واتباع رومية لم يطيقوا ان يخضعوا انفسهم لهذا الذل فأُدخل لوثيروس ثانيةً وقال لهُ خطيب المجمع يا مرتينوس انك لم تتكلم باحتشام يليق بحالك والتمييز الذي جعلتهُ بين كتبك باطل لانك اذا رجعت عن الكتب المتضمنة غلطاتك فان الامبراطور لا يسمح باحراق الأُخر وهو افراط منك ان تطلب النقض من الكتب المقدسة وانت تحيي ارتقات محرومة من مجمع قسطنسيا العام ولهذا يامرك الامبراطور ان تجيب ببساطة بنعم او لا هل انت عازم على التمسك بما قد ارتأيتهُ او على الرجوع عن قسمٍ منهُ. فاجاب لوثيروس بهدوٍّ انهُ ليس لي جواب غير الجواب الذي قد جاوبتهُ كان معناهُ مفهومًا واذ كان ثابتًا كصخرة كانت امواج القوة البشرية تلطمهُ من دون تاثير فان قوة كلامهِ وتصرفهُ الجسور وعينيهِ الحادتين والثبات غير المتزعزع الظاهر على ظواهر هيئتهِ الجرمانية حقًّا كانت قد اوقعت اعمق تاثير في ذلك المحفل المعتبر. فلم يبقَ رجاءٌ. اهل اسبانيا والبجيكا حتى الرومانيين أُبكموا . الراهب قد افحم عظماء الارض هولاء . قال للكنيسة وللمملكة لا لا . ثم نهض كرلوس الخامس وسائر المحفل معهُ . فقال الكاتب بصوتٍ عالٍ ان المجمع يلتئم ايضًا غدًا لكي يسمع راي الامبراطور

الفصل التاسع

طلب البعض ان يناقضوا صك الامان . اخواف الملك المنتخب . فيلبس من هسّى

وكان الليل قد جنَّ فانصرف كل واحد الى بيتهِ في الظلام وخفر لوثيروس اثنان من جنود الامبراطور وظن بعض الاشخاص ان الحكم عليهِ قد خرج وانهما اقتاداهُ الى السجن وانهُ لايخرج من هناك الاَّ لكي يركب وتد الحريق فحدث شغب عظيم وصرخ كثيرون انهما منطلقان بهِ الى السجن فاجاب لوثيروس كلاَّ ولكنهما يرافقانني الى منزلي وعند ذلك هدأ الشغب والبعض من جنود الامبراطور الاسبانيوليين الذين كانوا من اعوانهِ سعوا في اثر هذا الرجل الجسور في الازقة التي عليهِ ان يجتاز بها بالصياح والهزء وآخرون يصوتون ويزأرون كالوحوش البرية اذا أُخذت منها فريستها. اما لوثيروس فبقي هاديًا ثابتًا

هذه هي صفة الامور في وُرمس فالراهب البطل الذي كان قد قهر جميع اعدائهِ الى ذلك الوقت في تلك الفرصة عند ما راى نفسهُ في حضرة اولئك الذين كانوا عطاشًا الى دمهِ تكلم بهدو وجلال وتواضع فلم يكن في كلامهِ مبالغة ولا حمية بشرية محضة ولا غضب ومع انهُ تحرك من داخلهِ حركات شديدة لم يزل في سلام وكان محتشمًا ولئن قاوم قوات الارض وكان عظيمًا في حضرة عَظَمَة العالم وهذه علامة مُسلَّمة تدلُّ على ان لوثيروس اطاع الله لا حركات كبريائهِ وكان في المحفل واحدٌ اعظم من كرلوس ومن لوثيروس . قال يسوع المسيح وتُساقون امام ولاةٍ وملوكٍ من اجلي شهادةً لهم وللامم... لان لستم انتم المتكلمين بل روح ابيكم الذي يتكلم فيكم (مت ١٠ :١٨ و٢٠) وربما لم يكمل قط هذا الوعد باكثر وضوح مما في تلك الحادثة

حصل تاثيرٌ عميقٌ في رؤَساء المملكة وشعر لوثيروس بذلك فزادهُ هذا

الشعور شجاعةً ووكلاء البابا كانوا مغتاظين لان يوحنا آك لم يكن قد اسكت باسرع وقت الراهب المذنب فان كثيرين من الروءساء والامراء رُبحوا لامرٍ عُضِد باقناعٍ كهذا . نعم ان التاثير كان في البعض وقتيًا ولكن البعض ممَّن اخفوا افكارهم في ذلك الوقت بخلاف ذلك اظهروا انفسهم بعد حين بشجاعة عظيمة

وكان لوثيروس قد رجع الى منزلهِ لكي يرتاح من التعب الذي حدث لهُ في ذلك الامتحان الشديد فاحدق بهِ سپالاتين واصدقاء آخرون وشكر الجميع الله واذ كانوا في الحديث دخل عليهم خادم حامل ابريق فضة ملآن بيرا ايبك فقدمهُ الى لوثيروس وقال ان مولاي يدعوك الى انعاش نفسك بهذه الجرعة . فقال الدكتور الوتمبرجي ومن هو الامير الذي ذكرني باحسان كهذا . كان ذلك إِبرك دوك برنسويك الشيخ فتأثر لوثيروس بهذه الهدية من امير قدير كهذا من حزب البابا ثم قال الخادم ان سعادتهُ قد تنازل وذاقهُ قبل ارسالهِ اليك . وعند ذلك سكب لوثيروس وهو عطشان قليلاً من بيرا الدوك وبعد ان شرب ذلك قال كما ان الدوك إِبرك قد ذكرني اليوم كذلك يذكرهُ ربنا يسوع في ساعة احتضارهِ . كانت هدية زهيدة القيمة ولكن لوثيروس اذ رغب في اظهار ممنونيتهِ لاميرٍ ذكرهُ في ساعةٍ كهذه اعطاهُ مما عندهُ اي دعاء فرجع الخادم واخبر مولاهُ بما كان وهذا الدوك الشيخ عند ساعة موتهِ تذكر هذه الكلمات وقال لخادمٍ فتًى واقف بجانب فراشهِ فرنسيس كرام خذ الكتاب المقدس واقراهُ لي فقرا الغلام كلمات يسوع هذه لان مَن سقاكم كاس ماء باسمي لانكم للمسيح فالحق اقول لكم انهُ لا يضيع اجرهُ (مر ٩ : ٤١) فتعزت نفس الرجل المشرف على الموت

وحالما ذهب خادم دوك برنسويك اتى رسول من منتخب سكسونيا يامر سپالاتين بالحضور اليهِ حالاً . ذهب فردريك الى المجمع وهو ملآن اضطرابًا عظيمًا وظن ان شجاعة لوثيروس تزول في حضور الامبراطور ومن ثمَّ تاثر

كثيرًا من عزم المصلح وافتخر بكونهِ محاميًا لمثل هذا الرجل . وعند وصول سپالاتين كانت المائدة ممدودةً والملك المنتخب قد جلس للاكل مع انصارهِ والخدام اتوا بماءٍ لغسل ايديهم فعندما راى الملك المنتخب سپالاتين داخلًا وما البيوان يتبعهُ واذ كان في خلوةٍ في مخدع الملك المنتخب قال ما كان احسن كلام الاب لوثيروس امام الامبراطور وجميع اكابر المملكة الّا انني اخاف من انهُ يُفرِط في الجسارة . وحينئذٍ عزم فردريك على ان يحمي لوثيروس باكثر شجاعة في المستقبل

وراى الياندر التاثير الذي احدثهُ لوثيروس وحرج الوقت وعليهِ ان يحرك الامبراطور الى العمل بنشاط وكانت الفرصة مناسبة لان الحرب مع فرانسا كانت قريبة واذ كان لاون راغبًا في توسيع بلادهِ وقلما بالى بسلام العالم المسيحي كان آخذًا سرًّا في عقد عهدين في وقت واحد احدهما مع كرلوس الخامس ضد فرنسيس والآخر مع فرنسيس ضد كرلوس . ففي العهد الاول طلب من الامبراطور لنفسهِ مقاطعات بارما وبلاشنتيا وفرّارا وفي الثاني عاهد الملك على جزءٍ من مملكة نابلي تُؤخذ من كرلوس واضطر كرلوس الى اجتذاب لاون الى حزبهِ لكي يتفق معهُ في الحرب ضد خصمهِ ملك فرانسا فشراء صداقة الحبر القدير بحياة لوثيروس كان امرًا زهيدًا

وفي اليوم الثاني بعد حضور لوثيروس (يوم الجمعة في ١٩ نيسان) امر الامبراطور بقراءة ورقة في المجمع كان قد كتبها بيدهِ بالفرنساوية يقول فيها بما انني قد تناسلت من امبراطوري جرمانيا المسيحيين وملوك اسبانيا الكاثوليكيين وروساء اوستريا وامراء برغندي الذين اشتهروا جميعهم بمحاماتهم عن الايمان الروماني قد عزمت عزمًا وطيدًا ان اقتدي بمثال اجدادي . ان راهبًا مفردًا اضلتهُ حماقتهُ قد قام ضد ايمان العالم المسيحي فلكي امنع مثل هذا النفاق اضحي ممالكي وخزائني وجسدي ودمي ونفسي وحياتي . فانا اصرف لوثيروس الاوغسطيني وانهاهُ عن احداث ادنى تشويش في الشعب واقوم عليهِ وعلى اتباعهِ

كارانقة معاندين بالحرم والمنع وبكل واسطة تساعد على ملاشاتهم . فاطلب من اعضاء البلاد ان يتصرفوا نظير مسيحيين امناء

وهذا الخطاب لم يُرضِ الكل لان كرلوس اذ كان شابًا عجولاً لم يحفظ العوائد المعتادة فانهُ كان يجب عليهِ ان يستشير المجمع اولاً وفي الحال ظهر رايان متباينان . اما اتباع البابا ومنتخب برندبرج وكثيرون من الامراء الكنائسيين فطلبوا ان صك الامان المعطى للوثيروس لا يُعتبَر . وقالوا يجب ان يُطرَح رمادهُ في نهر الرين كما فُعِل برماد يوحنا هس منذ قرون . قال واحد من المورخين ان كرلوس ندم في السنين الاخيرة من حياتهِ ندامةً مرة على انهُ لم يتبع هذا الراي الوخيم فقال في آخر حياتهِ اقر باني ارتكبت اثمًا فظيعًا باطلاقي لوثيروس فاني لم اكن مضطرًّا الى حفظ وعدي لهُ وهذا الاراتيكي كان قد اهان مولًى اعظم مني وهو الله نفسهُ فكان يمكني بل كان يجب عليَّ ان انقض قولي وانتقم من الخطية التي ارتكبها ضد الله وعدم قتلي اياهُ هو سبب نمو الارتقة وكان قتلهُ قد خنقها في المهد

وهذه المشورة الفظيعة ملأت الملك المنتخب وكل اصدقاء لوثيروس خوفًا فقال المنتخب البلاتيني ان عقاب يوحنا هس جاب شقاوات كثيرة جدًّا على شعب جرمانيا تمنعنا اقامة حريقة مثل ذلك مرَّةً ثانية . وصرخ جرجس امير سكسونيا عدو لوثيروس القديم قائلاً ان امراء جرمانيا لا يسمحون بنقض صك امان وهذا المجمع الاول المنعقد بامبراطورنا الجديد لا يرتكب عملاً دنيًّا كهذا وهذه الخيانة لا توافق استقامة جرمانيا القديمة . وامراء باڤاريا مع انهم كانوا متمسكين بالكنيسة الرومانية عضدوا هذا الرد فالموت الذي كان امام اعين اصدقاء لوثيروس اخذ يبعد

وخبر هذه الاختلافات التي بقيت يومين انتشر في كل المدينة فتعاظم روح التعصب وابتدأ بعض الاشراف من اصحاب الاصلاح يتكلمون بعزم ضد الخيانة التي طلبها الياندر . فقالوا ان الامبراطور رجلٌ شابٌّ يدبرهُ البابا وبون

والاساقفة بتملقاتهم كما يشاؤون . وذكر بلاويشيني اسماء ٤٠٠ من الاشراف كانوا مستعدين لاثبات صك الامان المعطى للوثيروس بسيوفهم وفي صباح السبت شُوهِدت اوراق معلقة على ابواب البيوت وفي الاماكن المشتهرة بعضها على لوثيروس وبعضها له . وكُتِب على واحدة منها هذه الكلمات المنزلة. ويلٌ لكِ ايتها الارض اذا كان ملكك ولدًا (جا ١٠ :١٦) وشاع الخبر ان سكينجن قد جمع بمسافة بعض الفراسخ من وُرمس داخل اسوار قلعتهِ المنيعة فوارس وجنودًا كثيرة وكان انما ينتظر الى ان يعرف نهاية القضية قبل الاخذ في العمل. وغيرة الشعب لم تكن في وُرمس فقط بل ايضًا في ابعد مدن المملكة وشجاعة الفوارس وميل امراء كثيرين الى عمل المصلح كانت دلائل كافية لكرلوس ولارباب المجمع ان الراي الذي قدمهُ الرومانيون يوقع السلطان السامي في خطر ويهيج العصيان ويزعزع ايضًا المملكة والقضية تحت البحث انما هي احراق راهب بسيط ولكن امراء رومية واتباعها لم يكن لهم باجمعهم قوة ولا شجاعة كافية لاجراء ذلك . ولاشك ايضًا في ان كرلوس الخامس الذي كان حينئذٍ صغير السن خاف من ارتكاب الحنث كما يبان من قولٍ قالهُ حسب بعض المورخين في ذلك الوقت . قال انهُ اذا نُفي الشرف والامانة من كل العالم يجب ان يكون لهما ملجأ في قلوب الملوك. ونسيانهُ هذه الكلمات في آخر ايامهِ وهو على حافة قبرهِ امر يرثى لهُ ولكنهُ يوضح تاثير تعاليم رومية في الضمائر السليمة اي يفسدها فسادًا تامًا وربما وُجِدت اسباب غير هذه حركت الامبراطور الى ذلك قال الفلورنتيني فتوري صديق لاون العاشر وماخيافلي ان كرلوس انما عفا عن لوثيروس لكي يلجم بهِ البابا

وفي جلسة السبت رُفِضت رايات الياندر القاسية كان لوثيروس محبوبًا وكانت الرغبة عمومية في حفظ هذا الرجل الساذج الذي ظهرت ثقتهُ بالله قوية بهذا المقدار على انهُ كانت ايضًا رغبة في انقاذ الكنيسة . والناس ارتعدوا من النتائج التي تعقب نجاح المصلح او قصاصهُ فاخذوا في تدبير طريقة للصلح

والاجتهاد ايضاً في ارجاع العالِم الوتمبرجي والمنتخب رئيس اساقفة منتز نفسهُ البرت الفتى الحادُّ الذي تقواهُ اعظم من شجاعتهِ كما قال بلاويشيني خاف من الميل الذي ابداهُ الشعب والاشراف نحو الراهب السكسوني. وخوريهُ كابيتو الذي في مدة مكثهِ في باسل دخل في صداقة خوري زورخ الانجيلي اسمهُ زونكل الذي كان جسوراً في المحاماة عن الحق وقد ذكرناهُ قبلاً كان ايضاً بلا شك قد أرى البرت عدالة قضية لوثيروس . فهذا الاسقف الرئيس الدنيوي اصابهُ دور افكار مسيحية وكانت تحكمهُ تلك الادوار احياناً فارتضى بالمثول بين يدي الامبراطور لكي يستاذنهُ في اجراء تجربة اخيرة . واما كرلوس فلم يقبل بشيءٍ ويوم الاثنين في ٢٢ نيسان ذهب جمهور من الامراء لاجل اعادة طلب البرت فاجابهم الامبراطور اني لا احيد عما حكمت بهِ ولا اسمح لاحد ان يتكلم رسمياً مع لوثيروس الاَّ اني اسمح لذلك الرجل (يعني لوثيروس) بثلثة ايام للتامل وفي هذه المدة يمكنكم ان تنذروهُ سرًّا وزعل الياندر من ذلك كل الزعل. ولم يطلب الامراء اكثر من ذلك وظنوا ان المصلح بما انهُ قد ارتفع بشرف وقوفهِ امام المجمع يسلم بواسطة مفاوضة ودادية وينجو من الوهدة التي هو عتيدٌ ان يسقط فيها

واما منتخب سكسونيا فعرف ان الامر بخلاف ومن ثمَّ امتلأَ خشيةً. فكتب في اليوم التالي الى اخيهِ الدوك يوحنا يقول لو كان في طاقتي لكنت مستعدًّا للمحاماة عن لوثيروس ولا يمكنك ان تتصوركم يحاربني اتباع رومية ولو اخبرتك بكل شيءٍ لكنت تسمع اغرب الامور. فانهم عازمون على اهلاكهِ وكل من اظهر ميلاً نحو انقاذهِ يُحكَم عليهِ حالاً بانهُ اراتيكي. اسال الله الذي لا يترك ابدًا دعوى العدل ان يجعل نهاية سعيدة لكل شيءٍ. وكان فردريك من دون ان يظهر ميلهُ نحو المصلح يلاحظ في كل ما جرى بشانهِ

ولم يكن الحال كذلك مع سائر الرتب في الجماعة التي كانت حينئذٍ في وُرمس بل اظهروا اشتراكهم معهُ من دون خوف ويوم الجمعة اجتمع عدةٌ من الامراء والمشائخ والسادة والفوارس والتجار ومن الاكليروس والعوام ومن رعاع الناس

امام المنزل حيث كان المصلح نازلاً فكانوا يدخلون ويخرجون احدهم بعد الآخر وبالكد شبعوا من التفرس فيهِ . صار رجل جرمانيا حتى ان اولئك الذين افتكروا انهُ على ضلال تاثروا من كرم نفسهِ الذي اقتادهُ الى ان يضحي حياتهُ لصوت ضميرهِ فخاطب لوثيروس اناسًا كثيرين حينئذٍ في ورمس من منتخبي الشعب بكلام مملوّ من الملح الذي كانت جميع كلماتهِ مصلحة بهِ ولم يتركهُ احدٌ من دون شعور بغيرة وقّادة نحو الحق . وكتب جرجس فوغلار كاتم سر كاسيمير شريف برندنبرج الى احد اصدقائهِ الامناء يقول كم هي الاشياء التي عندي لاخبرك بها فيالها من مخاطبات مملوة تقوى واحسانًا خاطبني بها لوثيروس وخاطب بها غيري فيالهُ من شخصٍ فاضل

وفي ذات يوم غار الى دار المنزل امير ابن سبع عشرة سنة وهو فيلبس كان قد حكم مدة سنين في هسّي وكان هذا الحاكم الفتى ذا طبيعة عجولة مقتحمة وحكيمًا فوق سنهِ ومقاتلاً جسورًا يابى الارتشاد بافكار احد غير افكار نفسهِ واذ اثرت فيهِ خطب لوثيروس اراد ان ينظر اليهِ نظرًا اقرب . قال لوثيروس لما اخبر بهذه الحادثة . انهُ لم يكن قد صار بعدُ من حزبي فقفز عن ظهر حصانهِ وصعد من دون احتفال الى مخدع المصلح وخاطبهُ قائلاً ايها العالِم العزيز كيف تجري الاحوال الآن . فاجاب لوثيروس ايها المولى المنعم ارجو ان كل شيء يجري جريًا جيدًا . فقال الامير متبسمًا ان ما سمعتهُ عنك ايها العالِم انك تعلّم ان المراة تقدر ان تطلق زوجها وتتزوج بآخر متى صار زوجها شيخًا . والذين كانوا قد اخبروا الامير بهذه القضية هم من اعضاء الديوان الملكي فان اعداء الحق لا يكفون ابدًا عن اختراع واذاعة حكايات عن تعاليم معلمي الديانة المسيحية . فاجاب لوثيروس بخشوع لا يا سيدي فاترجى سعادتك ان لا تتكلم هكذا . وعند ذلك مدّ الامير الشاب يدهُ بسرعة الى العالِم وهزها قليلاً وقال ايها العالِم العزيز اذا كنت في طريق الاستقامة فليساعدك الله . ثم خرج من عندهِ وركب حصانهُ ومضى . وهذه كانت المواجهة الاولى بين هذين الرجلين

اللذين كانا عتيدين ان يكونا في ما بعد راسي الاصلاح وان يحاميا عنهُ احدهما بسيف الكلمة والآخر بسيف الامراء

الفصل العاشر

الامر بذهاب لوثيروس من وُرمس وانصرافهِ من هناك

وكان ريكاردوس غريفنكلو رئيس اساقفة تريف قد اتخذ وظيفة الوسيط باذن كرلوس الخامس وكان صديقًا مخلصًا للمنتخب ومتمسكًا جيدًا بالمذهب الروماني فرغب في تقديم خدمةٍ لصديقهِ ولكنيستهِ بانهائهِ هذه المادة ومساء الاثنين في ٢٢ نيسان بينما كان لوثيروس جالسًا على المائدة اتى رسول من رئيس الاساقفة المذكور يخبرهُ بان هذا الرئيس يرغب في ان يراهُ صباح الاربعاء قبل الظهر بست ساعات. وجاء خوري الملك المنتخب وستورم الرسول الملكي الى لوثيروس في ذلك اليوم المعيَّن قبل الوقت المفروض وكان الياندر قد ارسل باكرًا جدًّا يطلب كوكلاوس . لان القاصد وجد سريعًا الرجل الذي عرَّفهُ بهِ كابيتو آلة مناسبة لديوان رومية يقدر ان يستند عليهِ كاستنادهِ على نفسهِ واذ لم يستطع الياندر الحضور في تلك المواجهة طلب مَن يقوم مقامهُ فيها فقال لرئيس فرانكفورت اذهب الى منزل رئيس اساقفة تريف ولا تدخل في البحث مع لوثيروس ولكن اصغَ جيدًا الى كل ما قيل حتى تقدر ان تخبرني بهِ خبرًا صادقًا . فوصل المصلح مع بعض اصدقائهِ الى منزل رئيس الاساقفة حيث وجد المذكور وعندهُ يواكيم شريف برندنبرج وجرجس دوك سكسونيا واسقفي برندنبرج واوجسبرج مع اشراف كثيرين ووكلاء المدن الحرة ومشترعين ولاهوتيين من جملتهم كوكلاوس وابرونيوس ويهى كاتب بادن . وكان هذا المشترع الحاذق يتوق الى اصلاح في الآداب والتعليم بل تجاوز ذلك ايضًا

فقال ان كلمة الله التي خُبِّئَت مدة طويلة تحت مكيال يجب ان تظهر ثانيةً بكل ضيائها . وهذا الانسان المصلح فُوِّض اليهِ امر المفاوضة فالتفت بحنوّ نحو لوثيروس وقال اننا لم نطلبك لكي نجادلك ولكن لكي ننذرك بكلام اخوي فانت تعلم كيف تامرنا الكتب المقدسة باعتناءٍ ان لا تخشى من خوف الليل ولا من سهم يطير في النهار (مز ٩١: ٥و٦) وعدو الجنس البشري ذلك قد حركك الى اذاعة امور كثيرة مضادة للديانة الحقيقية فتامل في امانك وامان كل المملكة واحذر من ان كل اولئك الذين قد افتداهم المسيح بدمهِ من الموت الابدي يضلون بواسطتك ويهلكون هلاكًا ابديًّا ... ولا تقاوم المجامع المقدسة فاننا لو لم نحفظ احكام آبائنا لم يكن في الكنيسة الاَّ الاضطراب . والامراء الكرام الذين يسمعون كلامي لهم غيرة خصوصية على خيرك ولكن اذا اصررت يطردك الامبراطور حينئذٍ من المملكة ولا يبقى مكان في العالم لك ملجأ فاعتبر هذا البوار الذي قدامك

فاجاب لوثيروس ايها الامراء الاجلاء اني اشكركم لاجل اهتمامكم بشاني لانني انما انسان مسكين واوضعُ جدًّا من ان ينذرني سادةٌ عظام نظيركم . ثم قال انني لم اذم كل المجامع ولكن مجمع قسطنسيا فقط لانهُ بجرمهِ تعليم يوحنا هس بان الكنيسة المسيحية هي جماعة موءلفة من جميع الذين قد انتُخِبوا للخلاص حرم ايضًا هذا القانون من ايماننا وهو اومن بالكنيسة الكاثوليكية المقدسة وكلام الله نفسهِ ثم قال يقولون ان تعليمي هو علة تشكيك وانا اقول ان انجيل المسيح لا يمكن التبشير بهِ من دون تشكيك فلماذا يفصلني خوف او توقع خطر من الرب ومن تلك الكلمة الالهية التي هي وحدها حق . كلاَّ بل احبُّ اليَّ ان ابذل جسدي ودمي وحياتي

وبعد ان تشاور الامراء والعلماء دُعي لوثيروس ثانيةً وقال لهُ وهي بوداعة انهُ يجب علينا ان نكرم السلطنة الموجودة حتى عند ما نكون في الغلط ايضًا ونخسر خسائر عظيمة لاجل المحبة ثم قال بنشاط اعظم اترك الامر لحكم

الامبراطور ولا تخف

فقال لوثيروس اني اقبل من كل قلبي ان الامبراطور والامراء حتى ادنى مسيحي يفحصون كتبي ويحكمون عليها ولكن تحت شرط واحد انهم ياخذون الكتب المقدسة دستوراً لهم . وليس للناس ان يعملوا شيئاً الاَّ ان يطيعوها فلا تغتصب ضميري الذي هو مربوط ومقيد بالكتب المقدسة

فقال منتخب برندنبرج ان فهمتُ معناك على حقهِ يا معلم انت لا تقر بقاضٍ آخر غير الكتب المقدسة

فقال لوثيروس نعم بكل تحقيق يا سيدي وعليها انا استند

وعند ذلك انصرف الامراء والعلماء الآن رئيس اساقفة تريف الفاضل لم يقدر ان يترك عملهُ فقال للوثيروس وهو مجتاز الى مخدعهِ الخصوصي اتبعني وفي الوقت نفسهِ امر يوحنا آك وكوكلاوس من الفريق الواحد وشيبورف وامسدورف من الفريق الآخر ان ياتوا بعدهُ فسأل آكٌ بحرارة لماذا تستشهد دائمًا بالكتب المقدسة وهي ينبوع الارتقات . واما لوثيروس فبقي كما اخبرنا مثيسيوس ثابتًا كصخرة موضوعة على الصخرة الحقيقية اي كلام الله واجاب ان البابا ليس بقاضٍ في الامور المختصة بكلمة الله بل كل مسيحي يجب ان ينظر ويحكم لنفسهِ كيف يجب ان يحيا ويموت . فانفصلوا اما حزب رومية فشعروا بمزية لوثيروس عليهم ونسبوا ذلك الى عدم وجود في الحضرة من يقدر على مجاوبتهِ . فقال كوكلاوس لو كان الامبراطور قد تصرَّف بحكمة لكان عند ما احضر لوثيروس الى وُرمس قد دعا ايضًا لاهوتيين لاجل نقض غلطاتهِ

فانطلق رئيس اساقفة تريف الى المجمع واخبرهم بقصور وساطتهِ فتحير الامبراطور وغضب وقال قد حان الوقت لانهاء هذه القضية فطلب رئيس الاساقفة مهلة يومين ايضًا واتحد معهُ كل المجمع في طلبهِ فاجابهم كرلوس الخامس الى ذلك واما الياندر فاذ لم يقدر على ضبط نفسهِ بعدُ ابتدا بالشتائم القاسية

وبينما جرت هذه الامور في المجمع كان كوكلاوس مضطرمًا الى ان يظفر بغلبة عجز عنها الملوك والاساقفة. وكان قد القى حينًا بعد حين بعض الكلمات في بيت رئيس الاساقفة لكنهُ تقيد بامر الياندر اياهُ بالصموت فعزم على الاستعاضة عن سكوتهِ وبعد ما اخبر القاصد البابوي عما جرى ذهب الى لوثيروس وتقدم اليهِ بمحبة عظيمة واعلن لهُ غيظهُ من حكم الامبراطور وبعد الغد اشتدَّ الكلام بينهما فالحَّ كوكلاوس على لوثيروس ان يرجع فهزَّ لوثيروس راسهُ وكثيرون من الاشراف الذين كانوا معهُ على المائدة لم يقدروا ان يضبطوا نفوسهم الَّا بالكد. واغتاظوا من ان اتباع رومية عزموا على اقناع لوثيروس لا بشهادة الكتب المقدسة بل بالغصب . فقال كوكلاوس للوثيروس وهو مغتاظ من هذه التقريعات اذًا انا اجادلك جهارًا على شرط رفضك صك الامان الذي بيدك. ولا يخفى ان اجل ما طلبهُ لوثيروس هو الجدال الجهاري. وهذه حيلةٌ لكي يسلبهُ صك الامان فانهُ بذلك يوقع نفسهُ في خطر وان امتنع عن اجابة طلب خصمهِ يترايا كانهُ شك في عدالة دعواهُ. واما ضيوفهُ فلحظوا في هذا الطلب حيلةً اتفق فيها مع الياندر الذي كان رئيس فرانكفورت قبل قليل عندهُ فنهض واحدٌ منهم اسمهُ فولرات ڤان واتزدرف وخلص لوثيروس من الارتباك الحاصل من هذا التخيير المستصعب وهذا الامير الندب وهو حنق من هذا الفخ الذي انما قُصِد بهِ ايقاع لوثيروس في يدي الجلاد نهض بسرعة وقبض على الخوري الخائف ودفعهُ الى خارج المكان ولا شك انهُ كان قد سُفك دم لو لم يقم الضيوف الأُخر حالاً عن المائدة وتوسطوا بين الفارس الحاد وكوكلاوس المرتعد فرَقًا. فانصرف كوكلاوس خائفًا من منزل فوارس رودس . ومن المحتمل ان ذلك الكلام صدر من الرئيس المذكور في حرارة الجدال من دون اتفاق سابق بينهُ وبين الياندر على اسقاط لوثيروس في فخ ملعون . لان كوكلاوس انكر ذلك ونحن نميل الى تصديق شهادتهِ على انهُ قبل ذهابهِ بقليل الى منزل لوثيروس كان قد تفاوض مع الياندر

وفي المساء جمع رئيس اساقفة تريف على العشاء الاشخاص الذين كانوا في المحاورة صباحًا ظانًّا ان ذلك يكون واسطة لتسكين ضمائرهم واتحادهم على احسن منوال . ولوثيروس الذي كان هكذا ثابتًا وغير متزعزع امام الاحكام والقضاة كان في سلوكهِ الخصوصي هينًا وبشوشًا جدًّا فزعموا انهم يدبرونهُ كما ارادوا . اما كاتب رئيس الاساقفة الذي كان تصرفهُ الوظائفي صارمًا تنازل في هذا الامتحان الجديد وعند اواخر العشاء شرب سر لوثيروس واستعدَّ لوثيروس لكي يرد هذا التجمل فسُكِبت الخمر واذ رسم كجاري عادتهِ اشارة الصليب على كاسهِ انكسرت الكاس بغتةً في يدهِ واريقت الخمر على المائدة فتحير الضيوف وصرخ البعض من اصحاب لوثيروس بصوتٍ عالٍ لابد فيها سم . واما الدكتور فمن دون اظهار ادنى اضطراب اجاب متبسمًا يا سادتي الاعزاء اما ان هذا الخمر لم تُسكَب لي او انها ربما كانت قد اضرتني ثم قال بهدو لا شك ان القدح قد انكسر لانهُ بعد غسلهِ قد وُضع عاجلًا في الماء البارد . وهذه الكلمات وان كانت بسيطة جدًّا ففي تلك الظروف كانت بليغة جدًّا تدل على سلام ضمير غير متغير . ولا يتصور عندنا ان الرومانيين قصدوا سم لوثيروس ولاسيما تحت سقف رئيس اساقفة تريف . وهذه الوليمة لم تبعد احدى الفئتين عن الاخرى ولم تقرب احداهما الى الاخرى . ولم يكن لمحبة الناس ولا لبغضتهم سلطان على عزم المصلح لانهُ صدر من ينبوع اسمى

وفي صباح يوم الخميس في ٢٥ نيسان اتى الى منزل فوارس رودس الكاتب وتِهى والدكتور بيوتنجر من اوجسبرج مشير الامبراطور الذي ابدى محبة عظيمة نحو لوثيروس في مدة محاورتهِ مع دي ڤيو فارسل منتخب سكسونيا فردريك ڤان ثون وآخر من مشيريهِ لكي يحضرا المفاوضة . اما وتِهى وبيوتنجر اللذان رغبا في خسارة كل شيء لاجل منع الانقسام عن شق الكنيسة فقالا بانزعاج الروح ضع نفسك بايدينا ونحن نعطيك شرفنا عربونًا ان هذه القضية تنتهي على طريقة مسيحية . فاجاب لوثيروس هاك جوابي في كلمتين اني ارتضي

ان اسلّم صك الامان الذي لي وأُلقي شخصي وحياتي بيدي الامبراطور . واما كلمة الله فكلّا . فنهض فردريك ڤان ثون بانزعاج الروح وقال المذكورين أليس ذلك كافيًا وأليست الضحية كبيرة بالكفاءة . ثم قال انهُ لا يعود يسمع كلمة اخرى وخرج من المكان . وعند ذلك اذ ترجى ويهى وبيوتنجر ان ينجحا باوفر سهولة مع الدكتور اتيا وجلسا الى جانبهِ وقالا لهُ ضع نفسك في ايدي المجمع فاجاب كلّا لانهُ مكتوب ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان (ارميا ١٧ : ٥) . وازداد ويهى وبيوتنجر اضطرامًا في تحريضاتهما وهجماتهما بالحان على المصلح باكثر تضييق واذ كلّ لوثيروس قام وتركهما قائلًا اني لا اسمح ابدًا لانسان ان يضع نفسهُ فوق كلمة الله . وعند انصرافهما قالا تامل في ما اشرنا بهِ عليك فاننا نرجع مساءً

ثم اتيا ولكنهما اذ كانا متحققين ان لوثيروس لا يسلّم عرضا عليهِ امرًا جديدًا . كان لوثيروس قد ابى ان يقبل اولًا بالبابا ثم بالامبراطور ثم بالمجمع وبقي قاضٍ آخر طلبهُ هو نفسهُ مرةً وهو مجمعٌ عامٌ ولا ريب ان مثل هذا الطلب يغيظ رومية ولكنهُ كان رجاؤهم الاخير للامان فعرض الرسولان مجمعًا على لوثيروس وكان يمكن للوثيروس ان يقبل بهِ من دون تعيين شيءٍ لانهُ لا بد من مضي سنين كثيرة قبل زوال الصعوبات التي تحدث في طريق مجمع من طرف البابا وكان بذلك ربح الزمان للمصلح وللاصلاح هو ربح كل شيءٍ فان الله ومرور الزمان لا بد انهما يحدثان تغييرات عظيمة ولكنَّ لوثيروس جعل التصرف ببساطة فوق جميع الاشياء ولم يشا ان يخلص نفسهُ بتضحية الحق ولو كان السكوت وحدهُ كافيًا لتخفيهِ فاجاب اني ارتضي ولكن (وهذا الشرط هو بمثابة رفض المجمع) بشرط ان المجمع يحكم حسب الكتب المقدسة فقط

اما بيوتنجر وويهى فلم يظنا ان المجمع يمكنهُ ان يحكم بخلاف ذلك فركضا فرحين جدًّا الى رئيس الاساقفة وقالا لهُ ان الدكتور مرتينوس يخضع كتبهُ للمجمع واذ كان رئيس الاساقفة مزمعًا ان يحمل هذه البشارة السارة الى الامبراطور

حصل عندهُ شكٌّ فامر باحضار لوثيروس اليهِ

وكان ريكاردوس غريفنكلو وحدهُ عند ما وصل اليهِ الدكتور فقال رئيس الاساقفة بمعروف ولطافة

ايها الدكتور العزيز ان دكتوريَّ اخبراني بانك تقبل ان تُخضَع دعواك لمجمع . فاجاب لوثيروس يا سيدي اني اقدر ان احتمل كل شيءٍ الاَّ انهُ لا يمكنني ان اترك الكتب المقدسة . فراى الاسقف ان بيوتنجر ووهى لم يخبرا بالقضية باستقامة لان رومية لا تقبل ابدًا بمجمع يحكم حسب الكتب المقدسة فقط . قال بلاويشيني ذلك مثل الامر لرجل مكفوف البصر ان يقرا حروفًا دقيقة جدًّا ولا يوذن لهُ ان يستعين بنظارة . فتنهد الاسقف الفاضل وقال احسنتُ بارسالي في طلبك لانهُ ماذا كان قد حدث لي لو حملت هذا الخبر حالاً الى الامبراطور

ولا ريب ان ثبات لوثيروس وعزمهُ الوطيد بن يذهلان ولكن يفهمها ويعتبرها كل من يعرف شريعة الله وانهُ لقلما قُدِّم اعتبار اشرف لكلمة الله غير المتغيرة وذلك ايضًا تحت خطر خسارة الحرية والحياة للذي ادّى هذه الشهادة

فقال الاسقف الموقر للوثيروس فاذًا دلنا انت على علاج

فاجاب لوثيروس بعد ان سكت قليلاً وقال يا سيدي لا اعلم علاجًا احسن من علاج غمالائيل وهو اذا كان هذا العمل من الناس فسوف ينتقض وان كان من الله فلا تقدرون ان تنقضوهُ لئلاَّ توجدوا محاربين لله ايضًا (اع ٥:٣٨ و٣٩) فليكتب الامبراطور والمنتخبون والامراء ووكلاء المملكة هذا الجواب للبابا

قال رئيس الاساقفة ارجع اقل ما يكون عن بعض القضايا

فقال لوثيروس بشرط ان لا تكون من التي قد حرمها مجمع قسطنسيا

فقال رئيس الاساقفة اظن ان هذه هي التي يُطلَب منك ان ترجع عنها

فقال لوثيروس فاذا كان كذلك فاحبُّ اليَّ ان اخسر حياتي والاجدر

بي ان تقطع يداي ورجلاي من ان اترك كلمة الله الواضحة الحقيقية

ففهم رئيس الاساقفة معنى لوثيروس اخيرًا فقال بلطف كجاري عادته انصرف اذًا فقال لوثيروس يا سيدي اترجاك ان تهتم في ان جلالة يعطيني صك الامان اللازم لرجوعي . فاجاب رئيس الاساقفة الصالح انا انظر الى ذلك وهكذا تفارقا

وهكذا انتهت تلك المحاورات وكانت كل المملكة قد استمالت نحو ذلك الرجل . فانهُ مع احر الطلبات واهول التهديدات لم ينكل وإباؤهُ الخضوع لنير البابا الحديدي اعتق الكنيسة وابتدأ بالازمنة الجديدة ويد العناية الالهية كانت ظاهرة وهذا من جملة تلك المناظر العظيمة في التاريخ التي يظللها ويشرق عليها حضور العناية الالهية ذو الجلال

فانصرف لوثيروس مع سپالاتين الذي كان قد وصل الى بيت رئيس الاساقفة في مدة المحاورة . وكان يوحنا منكوز مشير منتخب سكسونيا قد مرض في وُرمس فذهب الصديقان الى عيادته فقدم لوثيروس لهذا الرجل المريض اقوى التعزيات واذ انصرف من عنده قال لهُ اودعك لاني غدًا اخرج من وُرمس

فلم يخدع لوثيروس بل بعد رجوعه الى منزل فوارس رودس لم يمضِ عليهِ ثلاث ساعات حتى ظهر امامهُ الكاتب يوحنا آك برفقة الكاتب الامبراطوري ومسجل . فقال لهُ الكاتب يا مرتينوس لوثيروس ان جلالة الملكي والمنتخبين والامراء ووكلاء المملكة بعد ان حرضوك في اوقات مختلفة وبطرق متنوعة ان تخضع ولكن من دون فائدة وجد الامبراطور كمحامٍ ومنتصر للايمان الكاثوليكي انهُ مضطر الى استعمال وسائط اخرى ولهذا يامرك ان ترجع الى وطنك في مدة واحد وعشرين يومًا وينهاك عن ان تحدث القلق بين الجمهور في طريقك بواسطة الوعظ او الكتابة

فراى لوثيروس واضحًا ان هذه الرسالة هي ابتداء الحكم عليهِ فاجاب بوداعة

كما يشاء الرب فليكن اسم الرب مباركًا ثم قال وقبل جميع الاشياء اشكر جلالة الملكي والمنتخبين والامراء وغيرهم من اعيان المملكة بتواضع ومن صميم فوادي وذلك لانهم قد اصغوا اليَّ برفق فاني ارغب وقد رغبت دائمًا في امرٍ واحد وهو اصلاح الكنيسة حسب الكتب المقدسة وانا مستعد لان اعمل واحتمل كل شيء بطاعة وخضوع لارادة الامبراطور. فان الحياة والموت والاسم الردي والصالح كل ذلك شيء واحد عندي عند حفظ شيء واحد وهو التبشير بالانجيل. لان بولس الرسول قال ان كلمة الله لا تُقيَّد. ثم انصرف الرسولان

وفي صباح يوم الجمعة في ٢٦ نيسان اجتمع اصدقاء لوثيروس مع عدة امراء في منزلهِ وفرحوا عند نظرهم الثبات المسيحي الذي قاوم بهِ كرلوس والمملكة. وارادوا ان يودعوا ربما وداعًا اخيرًا هذا الراهب الجسور فتناول لوثيروس قليلاً من الطعام وكان عتيدًا ان يودع اصدقاءهُ وان يطير عنهم بعيدًا تحت جوٍّ مثقل بعواصف ورغب في امضاء تلك الساعة المحزنة في حضرة الله فرفع نفسهُ بالصلاة مباركًا اولئك الذين كانوا واقفين حولهُ وقبل الظهر بساعتين خرج لوثيروس من المنزل مع الاصدقاء الذين كانوا قد رافقوهُ الى وُرمس فاحدق بمركبتهِ عشرون فارسًا ورافقهُ جمهور كبير الى خارج المدينة وبعد قليل لحقهُ ستورم الرسول الملكي في اوبنهيم وفي اليوم التالي وصلوا الى فرانكفورت

الفصل الحادي عشر

الخصام في وُرمس . مكتوب لوثيروس الى كراناخ . مكتوب لوثيروس الى كرلوس الخامس. امضاء كرلوس الحكم على لوثيروس . اختطاف لوثيروس الى قلعة الوارتبرج

حسب ما تقدم نجا لوثيروس من مدينة وُرمس التي ظُنَّ انها تكون قبرًا

لهُ فاعطى بكل قلبهِ المجد لله . قال ان الشيطان نفسهُ حرس حصن البابا الآ ان المسيح فتح ثغرةً عظيمة فيهِ فالتزم الشيطان بالاقرار ان الرب اقدر منهُ

قال مثيسيوس التقي تلميذ لوثيروس وصديقهُ ان يوم مجمع وُرمس هو من اعظم وامجد الايام المشرقة على الارض قبل نهاية العالم والخصام الذي جرى في وُرمس امتدَّ صوتهُ طولاً وعرضًا وعند صوتهِ الذي امتدَّ في كل العالم المسيحي من اطراف الشمال الى جبال سويسرا وبلدان انكلترا وفرانسا وايطاليا قبض كثيرون على اسلحة كلام الله القوية

ان لوثيروس وصل الى فرانكفورت مساء السبت في ٢٧ نيسان وحصلت لهُ فرصة في اليوم التالي (وهي اول فرصة حصلت لهُ في مدة طويلة) لكي يكتب ورقة بسيطة قوية الى صديقهِ في وتمبرج المصوّر المشهور لوقا كراناخ . قال يا عزيزي لوقا كنت افتكرت ان الامبراطور المعظم يكون قد جمع نحو خمسين عالمًا في وُرمس لاجل اقناع الراهب دفعةً واحدةً ولكن لم يكن شيءٌ من ذلك بل كان الكلام أهذه كتبك . نعم . أتريد ان ترجع عنها . لا . فاذًا انصرف . وهذه هي القصة كلها فيا ايها الجرمانيون العمي . ما اشبهنا بالصبيان في ما نعملهُ حتى نجعل نفوسنا مغشوشي رومية ولعبتها . ولا بد ان هولاء اليهود يرتلون ترتيلهم بو بو يو . ولكنهُ سوف ياتي يوم نجاة لنا ايضًا وحينئذٍ نرتل هللويا . فيجب ان نحتمل الى زمان بالسكوت . قال يسوع المسيح بعد قليل لا تبصرونني . ثم بعد قليلٍ ايضًا ترونني (يو ١٦:١٦) فارجو ان الحال يكون هكذا معي فاستودعك الله واسلمكم جميعًا بيد الرب . واسالهُ ان يحفظ بالمسيح معرفتكم وايمانكم من رشقات ذئاب رومية وتنانينها آمين

وبعد ان كتب لوثيروس هذا المكتوب الرمزي بما ان الوقت كان ضيقًا اخذ حالاً في طريقهِ الى فريدبرج وهي ستة فراسخ عن فرانكفورت . وفي اليوم التالي جمع لوثيروس افكارهُ ايضًا واراد ان يكتب مرةً اخرى الى كرلوس لانهُ لم يُرِد ان يُحصَى بين العصاة المجرمين . وفي مكتوبهِ الى كرلوس بيَّن واضحًا ما هي الطاعة

الواجبة للملك والطاعة الواجبة لله وما هو الحد الفاصل حيث تنتهي الاولى ونبتدي الثانية. وعند ما نقرا تلك الرسالة لا بد ان نتذكر كلمات اعظم القواد المتاخرين (اي نابوليون بونا بارتي) القائل ان ملكي ينتهي حيث يبتدي ملك الضمير

قال لوثيروس ان فاحص القلوب هو شاهدي باني مستعد بكل نشاط لاطيع جلالتك في الكرامة وفي الاهانة في الحياة وفي الموت ومن دون استثناء شيء الاَّ كلام الله الذي بهِ يحيا الانسان . ففي جميع مصالح هذه الحياة الحاضرة تكون اماني غير متزعزعة لان الربح والخسارة هنا لا طائل تحتها في امر الخلاص . ولكن في الامور المتعلقة بالآخرة الله لا يريد ان انساناً يخضع لانسان لان مثل هذا الخضوع في الامور الروحية عبادة حقيقية ويجب ان نقدم للخالق وحده

وكتب لوثيروس ايضاً بالجرمانية مكتوباً ارسلهُ الى اكابر المملكة مضمونهُ كمضمون المكتوب الى الامبراطور تقريباً فانهُ ذكر فيهِ كل ما حدث في وُرمس وهذا المكتوب أُخِذَت عنهُ نسخ كثيرة ووُزّع في جرمانيا. قال كوكلاوس انهُ في كل مكان هيج غيظ الشعب ضد الامبراطور ورؤساء الاكليروس

وفي اليوم التالي باكرًا كتب لوثيروس ورقة الى سپالاتين واصفاً فيها المكتوبين اللذين كتبهما في الليلة السابقة وارجع الى وُرمس الرسول ستورم بعد ان رُبح للانجيل فعانقهُ وانطلق بسرعة الى غرونبرج

ويوم الثلاثا بمسافة نحو فرسخين من هرشفلدت صادف كاتب الرئيس العام لتلك البلدة الذي اتى لكي يلاقيهُ وبعد قليل لاقاهُ جماعة كان الرئيس في مقدمتها فحوَّل الرئيس وخرج لوثيروس من مركبتهِ فعانق احدهما الآخر ثم دخلا المدينة معاً . رؤساء الكنيسة خرجوا لكي يلاقوا راهباً قد حرمهُ البابا ورؤساء الشعب احنوا رؤُوسهم امام رجل تحت غضب الامبراطور

قال الرئيس مساء عند ما نهض عن المائدة التي كان قد دعا لوثيروس اليها اننا غداً صباحاً الساعة الخامسة نذهب الى الكنيسة واصرَّ الرئيس على

ارقاد لوثيروس على سريرهِ وفي اليوم التالي وعظ لوثيروس ثم رافقهُ الرئيس المذكور مع كل اعوانهِ في طريقهِ

وفي المساء وصل لوثيروس الى ايسناخ مسكن صباهُ وكان جميع اصدقائهِ في تلك المدينة محدقين بهِ يترجونهُ ان يعظ وفي اليوم التالي رافقوهُ الى الكنيسة وعند ذلك قام خوري الرعية ومعهُ كاتب ومسجل وتقدم مرتعدًا متردداً بين خوف خسارة مقامهِ ومضادة هذا الرجل القوي الذي وقف امامهُ فقال الخوري اخيرًا بصوت مرتج انني معترض عملك هذا. اما لوثيروس فصعد الى المنبر وذلك الصوت الذي كان منذ ثلاث وعشرين سنة يغني في ازقة تلك المدينة لاجل لقمة خبز حينئذٍ رنَّ تحت عقد الكنيسة القديمة بتلك الالفاظ التي ابتدات تهيج العالم وبعد الوعظ تقدم الخوري بخزي الى لوثيروس لان الكاتب كان قد سجل الدعوى والشهود كانوا قد امضوها وكل شيء كان قد أُجري كما يجب لاجل حفظ مقام صاحب الوظيفة وقال بتواضع للدكتور اغفر لي فاني قد فعلت ذلك لكي اصون نفسي من غضب الظالمين الذين يظلمون الكنيسة

وهذا الاختشاء لم يكن بدون اساس قويّ لان منظر الامور في وُرمس كان قد تغير وظهر ان الياندر وحدهُ هو الحاكم هناك . وكتب فردريك الى اخيهِ الدوك يوحنا يقول ان النفي هو اقل ما يجب ان يتوقعهُ لوثيروس ولا شيء يخلصهُ واذا اذن الله لي بالرجوع اليك اخبرك بامور تكاد لا تصدق فليس حنان وقيافا فقط ولكن بيلاطس وهيرودس ايضًا قد اتحدوا ضدهُ . ولم يرغب فردريك ان يبقى في وُرمس فانصرف وكذلك المنتخب البلاتيني وكذلك المنتخب رئيس اساقفة كولون ترك المجمع ايضًا واقتدى بهم كثيرون من الامراء الدون فانهم اذ راوا انهُ لا يمكنهم ان يصدوا الضربة استحسنوا ان يذهبوا من المكان (وفي ذلك ربما غلطوا) ولم يبقَ الاَّ اهل اسبانيا وايطاليا وامراء جرمانيا الذين هم على راي هولاء

فخلي الميدان والغلبة لاليا ندر فقدم لكرلوس صورة امر وطلب من المجمع ان يخرج امرًا نظيرهُ ضد لوثيروس وراي القاصد اعجب الامبراطور المغتاظ فجمع في خدرهِ الذين بقوا من اعضاء المجمع وقرأ عليهم ما كتبهُ اليا ندر فقبلهُ جميع الحاضرين كما اخبرنا بلاويشيني

وفي اليوم التالي وهو عيد عظيم ذهب الامبراطور الى كنيسة الكرسي محفوفًا بجميع ارباب دبوانهِ وعند ما فرغت الاحتفالات الدينية ولم يزل المقدس مملوًّا من الناس تقدم اليا ندر متسربلاً بجميع ملابس وظيفتهِ الى كرلوس الخامس وبيدهِ نسختان من الامر ضد لوثيروس احداهما باللاتيني والاخرى بالجرماني فركع امام جلالهِ الملكي وترجاهُ ان يعلق عليهما امضاءهُ وختم المملكة . (كان ذلك بعدما تقدمت الذبيحة حسب زعمهم ولم يزل البخور يملأُ الهيكل والتراتيل المقدسة لم يزل يُسمَع صداها في الكنيسة) حتى يحكم بهلاك عدو رومية ويختم عليهِ كانهُ في حضرة الله فاخذ الامبراطور القلم كانهُ تنازل الى ذلك وكتب اسمهُ فقام اليا ندر معتزًا وبعث حالاً الامر الى الطباعين ثم ارسلهُ الى كل جهة من العالم المسيحي. ونجاح رومية في حيلها هذه كان قد كلف البابا وية تعبًا جزيلاً وبلاويشيني نفسهُ اخبرنا ان هذا الامر مع انهُ أُرِّخ في ٨ نيسان لم يمضَ حتى بعد ذلك وانما قُدِّم تاريخهُ لكي يظهر انهُ قد خُتم وجميع اعضاء المجمع مجتمعون بعد

قال الامبراطور في الامر المشار اليهِ نحن كرلوس الخامس (ثم يتلو ذلك القابهُ) الى جميع المنتخبين والامراء والاساقفة وغيرهم ممن يعنيهِ ذلك

ان القادر على كل شيء اذ قد سلم بيدنا لاجل المحاماة عن الايمان المقدس ممالك اكثر وسلطانًا اعظم مما قد اعطاهُ لاحدٍ من اسلافنا نقصد ان نستعمل كل واسطة نقدر عليها لكي نمنع مملكتنا المقدسة من ان تُدنَّس باية ارتقة كانت

ان الراهب الاوغسطيني مرتينوس لوثيروس رغمًا عن انذاراتنا قد وثب كرجل مجنون على كنيستنا المقدسة وحاول ان يخربها بواسطة كتب طافحة بالتجديف وقد دنَّس بوقاحة شريعة الزواج المقدس التي لا يمكن ابطالها

واجتهد في تحريك العوام الى تضريج ايديهم بدم الاكليروس وازدرى بكل السلطة وقد هيج من دون انقطاع الشعب الى العصيان والشقاق والحرب والقتل والنهب والاحراق والى تدمير الايمان المسيحي الى التمام . وبالاجمال (حتى لا نذكر اعماله الاخر الردية) هذا الرجل الذي هو بالحقيقة ليس بانسان بل الشيطان نفسهُ بصورة انسان لابس ثوب راهب قد جمع في بالوعة واحدة منتنة اردأ الارتقات القديمة باسرها واضاف اليها ارتقات جديدة قد ابتدعها هو نفسهُ

ولهذا قد طردنا من حضرتنا لوثيروس هذا الذي يحسبهُ جميع الناس الاتقياء العقال خاليًا من العقل او مجنونًا ونامر انهُ عند انتهاء ميقات صك الامان الذي بيدهِ يصير الاعتناء حالاً وبذل الهمة في منع ثورانهِ الشرس

ولاجل هذا السبب ننهاكم تحت طائلة الوقوع تحت القصاصات الواجبة على جناية خيانة باهظة عن ايواء لوثيروس المذكور بعد نهاية المدة المعينة او اختبائهِ او اعطائهِ ماكلاً او مشربًا او مساعدتهِ في الكلام او العمل جهرًا او سرًّا بنوع من الانواع ونامركم ايضًا ان تقبضوا عليهِ او تامروا بالقبض عليهِ حيثما وجدتموهُ وان تحضروهُ الينا من دون ابطاء او تحفظوهُ باحترازٍ ريثما يصل اليكم علم منا كيف تتصرفون معهُ وتقبلون الجزاء الواجب لاتعابكم في عمل مقدس كهذا

واما اتباعهُ فيجب ان تقبضوا عليهم وتحبسوهم وتضبطوا اموالهم

واما مؤلفاتهُ فاذا كان احسن القوت يصير مكروهًا من جميع الناس حالما تُمزَج بهِ نقطة سم فكم بالحري هذه الكتب المتضمنة سمًّا مميتًا للنفس لا يجب ان تُرفَض فقط بل تُلاشَى ايضًا ولهذا يجب ان تحرقوها او تلاشوها باي طريقٍ كان

واما المؤلفون الشعراء والطباعون والمصوّرون وبائعو او مشترو الاوراق او الصور ضد البابا او الكنيسة فاقبضوا عليهم وعلى املاكهم وتصرفوا معهم بحسب هواكم

واذا كان احدٌ مهما كانت رتبتهُ يتجاسر على عمل ضد امر جلالنا الملكي نامر بالقائهِ تحت غضب المملكة فليتصرف كل انسان حسب هذا الامر

فهكذا كان الامر الذي أُمضي في كنيسة الكرسي في وُرمس وكان افظع من المنشور الروماني الذي اذيع في ايطاليا ولم يمكن اجراؤُهُ في جرمانيا . فان الامبراطور نفسهُ تكلم والمجمع ثبت حكمهُ . ففرح اتباع رومية فرحًا لا يوصف وقالوا انها آخر الخطب فقال الفونسوس والديز وهو رجل اسبانيولي في بلاط كرلوس هذا ليس الآخر حسب رايي بل هو الابتداء فقط . راى والديز الحركة في الكنيسة وفي الشعب وفي العصر حتى انهُ اذا هلك لوثيروس لا يهلك عملهُ معهُ الاَّ انهُ لم يكن احدٌ اعمى عن الخطر الباهظ الحاضر الذي سقط فيهِ لوثيروس نفسهِ واكثر الناس اصحاب الخرافات اقشعروا من ذلك الشيطان المتجسد المستور بثوب راهب الذي دل الامبراطور الامة عليهِ

اما الرجل الذي كان اقوياء الارض يخترعون حيلاً لاهلاكهِ فكان قد خرج من كنيسة ايسناخ واستعد لتوديع البعض من اعز اصدقائهِ ولم ياخذ في طريق غوثا وارفورث بل سار الى قرية مورا وطن ابيهِ لكي يرى مرة اخرى جدتهُ المسنة التي ماتت بعد ذلك باربعة اشهر وليزور عمهُ هنري لوثيروس وغيرهُ من اقاربهِ . واما شيورف وبوناس وسوافن فاخذوا في طريق وتمبرج فركب لوثيروس المركبة مع امسدورف الذي لم يزل معهُ ودخل في احراش ثورنجيا

وفي ذلك المساء نفسهِ وصل الى قرية آبائهِ وجدتهُ الفلاحة العجوز المسكينة عانقت ذلك الابن الذي كان قد قاوم كرلوس والبابا لاون فصرف لوثيروس اليوم التالي مع اقربائهِ مغبوطًا بذلك السكون اللذيذ بعد قلق وُرمس . وفي الصباح الثاني عاد الى سفرهِ برفقة امسدورف واخيهِ يعقوب وفي تلك الرقعة المستوحشة قُضي بنصيب المصلح الى حينٍ فاجتازوا باحراش ثورنجيا تابعين الطريق الى والترهوسن وبينما كانت المركبة سائرة في طريق ضيقة بالقرب من كنيسة غليسباخ المهجورة بمسافة قصيرة من قلعة التنستين اذا بدوي بغتةً وفي

الحال هجم على المسافرين خمسة فرسان مقنعين ومسلحين من الراس الى القدم فلما لمح اخوهُ يعقوب الهاجمين قفز عن المركبة وركض على قدر طاقتهِ من دون ان ينطق بكلمة واحدة واراد سائق المركبة ان يدافع فصاح عليهِ واحدٌ من هولاء الغرباء بصوت هائل قف وثار عليهِ وصرعهُ الى الارض وقبض آخر على امسدورف وحفظهُ بعيدًا وفي اثناء ذلك قبض الثلاثة الباقون على لوثيروس من دون ان ينطقوا بكلمة واخرجوهُ بعنف من المركبة والقوا على كتفيهِ رداء عسكريًّا واركبوهُ على حصان يقودهُ واحد وحينئذٍ ترك الرجلان الآخران امسدورف وسائق المركبة وثار الخمسة باجمعهم الى السروج وواحدٌ منهم وقعت برنيطتهُ فلم يصبروا لهُ حتى يلتقطها وفي طرفة عين تواروا باسيرهم في ذلك الحرش المظلم واخذوا اولاً في طريق بروديرود ولكنهم رجعوا سريعًا على اعقابهم في طريق آخر ومن دون ان يخرجوا من الحرش مشوا بتعاريج كثيرة الى كل جهة حتى لا يمكن لاحد ان يقفو اثرهم . اما لوثيروس الذي لم يكن معتادًا على ركوب الخيل فغلب عليهِ التعب سريعًا فاذنوا لهُ بالنزول بعض الدقائق فاضطجع بجانب شجرة حيث شرب قليل ماء من عين هناك لم تزل تُعرَف باسمهِ . واما اخوهُ يعقوب فلم يزل آخذًا في طريق هربهِ حتى وصل مساء الى والترهوسن واما سائق المركبة المرتعد فقفز الى مركبتهِ التي كان امسدورف قد صعد اليها ايضًا واخذ يضرب خيلهُ ويستكدها لكي يبتعد عن تلك الرقعة ووصل صديق لوثيروس الى وتمبرج . فاذاعوا في والترهوسن ووتمبرج وفي البلاد والقرى والمدن التي على طريقهم خبر اسر الدكتور بعنف وهذا الخبر الذي فرح بهِ البعض اوقع الجانب الاعظم في الحيرة والغضب واخذ صراخ كآبة يتردد حالاً في كل جرمانيا يقولون ان لوثيروس قد سقط في ايدي اعدائهِ

بعد الجهاد الشديد الذي قاساهُ لوثيروس شاء الله ان يقودهُ الى مكان راحة وسلام وبعد ان اظهرهُ في مرسح ورُمس المتلالي حيث اشتدَّت كل قوى

نفس المصلح الى آخر درجة الاحتمال وضعهُ في انفراد حبس منقطع وضيع. فان الله يخرج من اعمق المستورات الآلات الضعيفة التي يقصد ان يجري بها اموراً عظيمة ثم بعد ان يسمح لها ان تتلالا الى زمان بضياء مبهر في رتبة سامية يرجعها ايضاً الى اعمق الظلام. وكان الاصلاح مزمعاً ان يكمل بوسائط غير المشاجرات العنيفة وغير الظهورات الاحتفالية امام الجامع. ليس هكذا يدخل الخمير بين الشعب لان روح الله يطلب طرقاً اهدا. والرجل الذي كان انصار رومية يضطهدونهُ من دون شفقة كان عتيداً ان يتوارى مدةً من الزمان عن العالم وكان ضرورياً ان هذه العظمة الشخصية تتلاشى لكي لاتجمل الحركة الجارية حينئذٍ سمة شخص واقتضى ان ذلك الرجل يتوارى لكي يبقى الله وحدهُ يرف بروحهِ على المياه العميقة التي استقرت عليها ظلمة القرون المتوسطة ويقول ليكن نور حتى يكون نور

وحالما اسبل الظلام اخذ حفظة لوثيروس في طريق جديد فلم يعد يقدر احد ان يتتبع خطواتهم وقبل انتصاف الليل بساعة وصلوا الى سفح جبل فصعدت الخيل على مهل وكان على قمة ذلك الجبل قلعة قديمة محاطة من كل جهة ما عدا الجهة التي يُدخَل اليها منها بالاحراش السود التي تغشي جبال ثورنجيا

فأُخِذ لوثيروس الى تلك القلعة الشامخة الرفيعة المسماة الوارتبرج حيث كان الولاة في الازمان القديمة قد تحصنوا فجُذِبت الاغلاق الى الوراء وسقطت عوارض الحديد فانفتحت الابواب وحالما قطع لوثيروس العتبة أُغلِقت الابواب خلفهُ فنزل عن حصانهِ في الدار. وواحد من هولاء الفرسان وهو بركهردت من هوند مولى التنستين انصرف وآخر منهم وهو يوحنا برليبش رئيس الوارتبرج اخذ الدكتور الى المخدع الذي كان عتيداً ان يكون لهُ سجناً حيث وجد لبس فارس وسيفاً والثلاثة الشجعان الأُخر اعوان الرئيس المذكور نزعوا عنهُ ثيابهُ الاكليريكية والبسوهُ الثياب الجندية التي كانت قد أُعِدَّت لهُ وامروهُ ان

برخي شعر راسهِ ولحيتهِ لكي لا يعلم احد ممن في القلعة من هو . وكان القوم في الوارتبرج لا يعرفون الاسير الاَّ باسم الفارس جرجس . ولوثيروس بالكد عرف نفسهُ في لبسهِ الجديد واخيرًا تُرِك وحدهُ فصارت لهُ فرصة للتامل بالحوادث الغريبة التي كانت قد جرت في وُرمس وبالمستقبل المجهول وبمقرّهِ هذا الجديد الغريب وكانت عيناهُ تُجول من منافذ سجنهِ الضيقة في الاحراش المظلمة المتسعة التي حولهُ . قال مثيسيوس صديقهُ وكاتب سيرتهِ فهناك سكن الدكتور نظير مار بولس في سجنهِ في رومية

وكان فردريك ڤان ثون وفيلبس فليتسج وسپالاتين لم يخفوا عن لوثيروس في مخاطبة سرية بينهم في وُرمس بامر الملك المنتخب ان حريتهُ يجب ان تضحّى لغضب كرلوس والبابا . ولكن هذا الاختطاف تم على نوع سري بهذا المقدار حتى ان فردريك نفسهُ بقي زمانًا طويلاً لا يعرف اين حُبِس لوثيروس فطال الزمان على كآبة اصدقاء الاصلاح فمضى الربيع وتبعهُ الصيف والخريف والشتاء وكانت الشمس قد اكملت سيرها السنوي ولم تزل اسوار الوارتبرج مغلقةً على اسيرها . الحق قد حُرِم من المجمع ومحاميهِ كان محصورًا داخل اسوار قلعة وقد توارى عن العالم ولم يكن احد يعلم ماذا اصابهُ فاعتز الياندر وبان الاصلاح كانهُ قد تلاشى الاَّ ان الله يملك والضربة التي ظهرت انها تلاشي الانجيل انما كانت واسطة لنجاة خادمهِ الشجاع ولامتداد نور الايمان الى بلدان بعيدة

فلنترك لوثيروس اسيرًا في جرمانيا على ذُرَى الوارتبرج الصخرية لكي نلتفت الى ما صنعهُ الله في بلدان اخر من العالم المسيحي

الكتاب الثامن

اهل بلاد سويسرا . من ١٤٨٤ الى ١٥٢٢

الفصل الاول

مصدر الاصلاح في بلاد سويسرا

لما ظهر حكم مجمع وُرمس ابتدأت حركةٌ متزايدة تقلق وديان سويسرا الهادية والاصوات التي ترددت في سهول سكسونيا العليا والسفلى رُد عليها من حصن جبال هلفيتيا بشدة اصوات خوارنتها ورعاتها وسكان مدنها المحصنة فامتلأ اصحاب رومية اخنشاء وقالوا ان فتنة متسعة هائلة قامت في كل مكان في الكنيسة ضد الكنيسة وقال اصدقاء الانجيل المعتزون كما انهُ في الربيع يُشعَر بنسمة الحياة من شط البحر الى قمة الجبال كذلك روح الله آخذٌ الآن في كل العالم المسيحي يسيل جليد شتاء طويل ويغطي الارض بازهار وخضرة جديدة من اوطى السهول الى اوعر الصخور واعلاها

ولم تمنح جرمانيا نور الحق لسويسرا ولا سويسرا منحتهُ لفرانسا ولا فرانسا لانكلترا بل انما جميع تلك البلدان قبلتهُ من الله كما ان قسمًا من العالم لا يعطي نور النهار لآخر بل انما الكرة الواحدة الساطعة تعطيهِ بغير واسطة لكل الارض فان المسيح المشرق من العلاء الذي هو بغير قياس اعلى من الناس كان في وقت الاصلاح كما كان في ابتداء الديانة المسيحية النار الالهية المنبعثة منها حياة العالم ونقرر بغتةً تعليم واحد بعينهِ في القرن السادس عشر بين اقصى الشعوب

واكثرهم تباينًا وفي كل مكان روح واحد واحدث في كل مكان ايمانًا واحدًا

وصحة ما قلناهُ واضحة من تاريخ اصلاح جرمانيا وسويسرا وزوينكل لم يكن لهُ اتصال بلوثيروس نعم لا شك بوجود حلقة موصلة بين هذين الرجلين ويجب ان نفتش عليها لا في العلا بل على الارض فان ذلك الذي منح من السماء الحق للوثيروس منحهُ لزوينكل ايضًا فرباط اتحادهما هو الله. قال زوينكل انني ابتدات ابشر بالانجيل سنة ١٥١٦ للمسيح اعني في زمان لم يكن قد سُمع فيهِ باسم لوثيروس في هذه البلاد فلم انعلم تعليم المسيح من لوثيروس ولكن من كلام الله فاذا كان لوثيروس يبشر بالمسيح فانهُ يفعل ما انا فاعل لا غير

ان انواع الاصلاح المختلفة اكتسبت وحدانية معتبرة من روح واحد بعينهِ وصدرت جميعها منهُ ولكنها اكتسبت بعض الخصوصيات من الشعوب المختلفة التي جرت بينها

وقد ذكرنا في ما تقدم رسم الحال في سويسرا في زمان الاصلاح ولا نزيد الاَّ قليلاً على ما قيل . اما جرمانيا فكان المبدا الملكي متغلبًا فيها واما سويسرا فالمبدا الجمهوري هو الغالب . والتزم الاصلاح في جرمانيا ان يقاتل ارادة الشرفاء واما في سويسرا فارادة الشعب وانقياد جماعة اناس اسهل من انقياد رجل مفرد واحكامها اسرع والغلبة على البابوية التي اقتضت لها سنين كثيرة من الخصام في جرمانيا لم تقتضِ لها في سويسرا سوى اشهر قليلة واحيانًا بعض الايام فقط

في جرمانيا تسامى شخص لوثيروس سموًّا فوق الشعب السكسوني كانهُ وحدهُ في محاربة التمثال العظيم الروماني وحيثما انتشبت الحرب نرى من بعيد قامتهُ الشامخة ترتفع مرتفعة فوق القتال . فلوثيروس هو ملك الحركة الجارية كما قيل واما في سويسرا فالقتال ابتدا في المقاطعات المختلفة في وقت واحد وفيها جماعة من المصلحين متحدة يذهلنا عددهم ولا شك ان راسًا واحدًا فاق الآخرين ولكن ما احد منهم تقلد الرياسة على الآخرين وهي مشيخة جمهورية يظهر

فيها الجميع بهيئاتهم الحقيقية وسطواتهم الممتازة. وكانوا جمهوراً كبيراً وهم ويتمباغ وزوينكل وكابيتو وهالر وايكولمباديوس واوسوالد ميكونيوس وليو يهودا وفارل وكلوينوس وميدانهم غلاريس وباسل وزوريخ وبرن ونيوفشاتل وجنيفا ولوسرن وشاف هوسن وابنزل وسنت غال والغريسون. اما الاصلاح الجرماني فلهُ ميدان واحد مستوٍ على بساطة واحدة كالبلاد نفسها واما في سويسرا فالاصلاح منقسم كالبلاد نفسها بجبالها الكثيرة فلكل وادٍ انتباههُ الخاص ولكل قمة من جبال الپا نورها الخاص من السماء

ابتدا لاهل سويسرا دور محزن بعد هجماتهم العظيمة على امراء برغندي لان اوروپا اكتشفت عن باسهم وجذبتهم من جبالهم وسلبتهم استقلالهم بجعلها اياهم فُصَّال الدعاوي بين الشعوب في ميدان القتال ويد السويس اقامت السيف على ابن بلادهِ في سهول ايطاليا وفرانسا وفتن الغرباء ملأت حسداً وانشقاقاً تلك الوديان الشامخة من جبال الپا التي طالما بقيت مقر السذاجة والسلام ومحبة الذهب جذبت ألباب البنين والفعلة والخدم فتركوا خلسةً مراعيهم الالبية طالبين شطوط الرين او الپو فانسحقت الوحدة الهلڤيتينية تحت خطوات البغال المحملة ذهباً. اما الاصلاح اذ كانت لهُ تعلقات سياسية ايضاً في تلك البلاد فقصد ان يعيد وحدة المقاطعات وفضائلها القديمة فكان صراخهُ الاول الى اهل سويسرا ان يمزقوا اشراك الغريب الماكرة ويعانقوا بعضهم بعضاً باتحاد شديد اسفل الصليب الآن صوتهُ الكريم لم يُلتفت اليهِ ورومية التي اعتادت ان تشتري في تلك الوديان الدم الذي سفكتهُ لاجل توسيع قوتها نهضت ساخطة فحركت سويسياً على سويسي فقامت انفعالات جديدة ومزقت تلك الامة

احتاجت سويسرا الى اصلاح نعم كان بين اهالي هلڤيتيا بساطة وجودة طبع استهزأ بها اهالي ايطاليا المترفهون ولكنهم اشتهروا ايضاً بقلة العفة والفلكيون نسبوا ذلك الى الكواكب والفلاسفة الى قوة مزاج هولاء القوم

المتوحشين وعلماء الآداب الى المبادي السويسية التي حسبت الخداع والخيانة والثلب خطايا ابهظ من الزنا بكثير والكهنة مُنِعوا عن الزواج ولكن عسر وجود واحد عاش في حالة البتولية الحقيقية وفُرِض عليهم ان يتصرفوا لا بالعفة ولكن بالفطنة وهذا من اول الرذائل التي قام الاصلاح ضدها . فلنلتفت الى شروق النهار الجديد في وديان جبال الپا

انهُ في نحو منتصف القرن الحادي عشر قام ناسكان من سنت غال الى جهات الجبال التي هي الى جنوب ذلك الدبر القديم ووصلا الى وادٍ قفرٍ طولهُ نحو عشرة فراسخ وعلى جهة الشمال جبال سنتيس الشامخة وسومير يغوف والشيخ فاصلة بين الوادي ومقاطعة ابنزل وعلى جهة الجنوب الكوفرستين مع قممهِ السبع قائم بينهُ وبين والنسي وسرغنس والغريسون والى جهة الشرق تنخفض الاراضي بالتدريج فيكتشف المنظر البهج نحو الجبال التيرولية ولما وصل هذان الناسكان الى ينابيع النهر الصغير المسمى ثور اقاما هناك كوخين وبالتدريج عُمِّر ذلك الوادي ونشأت قرية حول كنيسة في اعلاهُ نحو ٢٠١٠ اقدام فوق سطح بحيرة زوريخ وسمّيت ويلدهوس اي البيت البرّي وتابعتها الآن قريتان صغيرتان وهما ليسغهوس او بيت اليصابات وشونبودن واثمار الارض لا توجد على تلك الجبال والاعشاب الخضر الناضرة الالپية تكسو كل الوادي صاعدة على جوانب الجبال التي فوقها شوامخ هائلة من الصخور تعلو نحو السماء. وبمسافة نحو ربع فرسخ عن الكنيسة بالقرب من ليسغهوس الى جانب مسلك يودي الى المراعي في عبر النهر لا يزال بيت فلاَّح ويخبرنا النقل ان الخشب لبنائهِ قد قُطِع من الرقعة نفسها وكل شيء يدل على انهُ قد بُني في اقدم الاعصار لان الجدران رقيقة والطاقات مركبة من الواح صغيرة من الزجاج مستديرة والسقف من الواح مثقلة بحجارة لكي لا تحملها الريح وامام البيت نبعٌ رائق جارٍ

وفي نحو آخر القرن الخامس عشر سكن ذلك البيت رجل اسمهُ زوينكل او زوينكلي شيخ او مقدم الضيعة وكانت عائلة زوينكل قديمة معتبرة جدًّا بين

اهالي تلك الجبال وكان برثولماوس اخو الشيخ الذي كان اولاً خوري الضيعة من سنة ١٤٨٧ ثم رئيس ويسن لهُ شهرة في تلك البلاد وكانت مرغريتا مبلي زوجة شيخ ويلدهوس (التي صار اخوها يوحنا بعد ذلك بقليل رئيس دير فسخجن في ثورغوتيا) قد ولدت لهُ ابنين هنري وكلاوس ثم وُلد لهُ في سنة ١٤٨٤ بعد ولادة لوثيروس بسبعة اسابيع ابن ثالث في ذلك الكوخ المنفرد وسمي اولريخ ثم اضيف الى تلك العائلة الجليلة خمسة ابناء آخرون وهم يوحنا وولفغانغ وبرثولماوس ويعقوب واندراوس وابنة وحيدة اسمها حنة ولم يكن احدٌ في كل المقاطعة اكثر اعتبارًا من الشيخ زوينكل فان طبيعتهُ ووظيفتهُ وكثرة اولادهِ جعلتهُ بطريرك تلك الجبال . وكان راعيًا هو واولادهُ وحالما كسا شهر ايار غرة الجبال بالخضرة ذهب الاب مع بنيهِ الى المراعي مع قطعانهم يرتفعون شيئًا فشيئًا من مكان الى مكان حتى انتهوا على هذا المنوال في آخر تموز الى اعلى قمم جبال الپا وحينئذٍ ابتداوا يرجعون بالتدريج نحو الاودية وفي الخريف عاد جميع اهل ويلدهوس الى بيوتهم الحقيرة واحيانًا في مدة الصيف كان الشبان الذين بقوا في البيت يخرجون لاجل شوقهم الى نسيم الجبال الرطب اجواقًا قارنين اصواتهم باتفاق الحان آلاتهم البسيطة لانهم جميعًا كانوا موسيقيين ولما وصلوا الى الجبال العالية ترحب بهم الرعاة من بعيد بقرونهم واغانيهم وبسطوا امامهم وليمة من الالبان ثم عادت الزمرة المتلائة طربًا بعد تعاريج كثيرة غير منتظمة الى وديانهم بصوت الزمامير ولا شك ان اولريخ في صغر سنهِ اشترك في تلك الملاهي فانهُ نشأ عند اسافل تلك الصخور التي تبان كانها ازلية والتي رؤوسها تشير الى السماء . قال واحد من اصدقائهِ افتكرت مرارًا كثيرة انهُ اذ قد تربى قريبًا الى السماء على تلك المرتفعات السامية اكتسب هناك شيئًا سماويًا الهيًا

وكانت ليالي الشتاء طويلة في بيوت ويلدهوس فكان اولريخ الفتى في تلك الاوقات لدى النار في بيت ابيهِ يصغى الى المفاوضات بين الشيخ وشيوخ

الابرشية وسمعهم يخبرون كيف كان سكان الوادي في القديم يئنون تحت نير ثقيل وامتلأ فرحًا من فكر الحرية التي اكتسبتها التوكنبرج لنفسها وثبتتها بواسطة اتحادها مع سويسرا واضطرمت محبة الوطن في قلبهِ وصارت سويسرا عزيزة لديهِ واذا اتفق ان احدًا تلفظ بكلمة طعن على الجمهورية كان هذا الصبي يقوم حالاً ويحامي عنها وكثيرًا ما كان يُرَى في تلك الليالي الطويلة جالسًا بهدو عند رجلي جدتهِ التقية وعيناهُ محدقتان بها يصغي الى قصصها من الكتاب لمقدس واخبارها التقوية وقبلها في قلبهِ برغبة

الفصل الثاني

اولريخ في وبسن وباسل وبرن . مشاجرات الدومينيكيين والفرانسيسيين

ان الشيخ الصالح انسرَّ جدًّا باطوار ابنهِ الحسنة اذ راى ان اولريخ سوف يعمل يومًا شيئًا احسن من رعاية المواشي على جبل سنتيس فامسك ذات يوم بيدهِ وقادهُ الى ويسن فقطع جوانب شهرامون المعشبة ونزل من الصخور القرعاء المستوعرة التي تحد بحيرة والنستادت وعند ما وصل الى البلدة دخل بيت اخيهِ الرئيس ووضع الشاب الجبلي تحت عنايتهِ لكي يختبر قابليتهُ للعلم وكان اولريخ ممتازًا على الخصوص بكراهتهِ الطبيعية للكذب ومحبتهِ العظيمة للصدق وهو نفسهُ اخبرنا انهُ ذات يوم بعد ما فاق على نفسهِ عرض لهُ فكر ان الكذب يجب ان يُعاقَب باشد صرامة من السرقة لان الصدق كما قال هو ام كل الفضائل . فاحب الرئيس حالاً ابن اخيهِ كانهُ ابنهُ واذ أَعجبهُ نشاطهُ فوَّض تهذيبهُ الى معلم مدرسة علَّمهُ في زمان قصير كل ما عرفهُ هو نفسهُ واذ كان ابن عشر سنين ظهرت فيهِ امارات العقل السامي فعزم ابوهُ وعمهُ على ارسالهِ الى باسل ولما وصل ابن التوكنبرجي الى تلك المدينة الشهيرة على بساطة النية

وسداجة القلب التي استنشقها مع النسيم النقي في جبال مولده بل التي بالحقيقة نبغت من ينبوع اسمى انفتح امامهُ عالم جديد فان شهرة مجمع باسل الذائع الصيت والمدرسة التي انشاها بيوس الثاني في تلك المدينة سنة ١٤٦٠ والمطابع التي احيت حينئذٍ اقوال القدماء ونشرت في العالم الاثمار الاولى من احياء العلوم ومساكن المشاهير من الناس منهم ويسلو ويتمباخ وعلى الخصوص مسكن امير العلماء وشمس المدارس ايراسموس كل ذلك جعل باسل في ابتداء الاصلاح من جملة المراكز العظيمة للنور في الغرب

فوُضع اولريخ في مدرسة مار ثيودوروس وكان غريغوريوس بنزلي حينئذٍ رئيسها وهو رجل ذو قلب رقيق ولطافة نادرة الوجود في تلك الايام بين معلمي المدارس فتقدم الفتى زوينكل تقدماً سريعاً وكانت المحاورات العلمية المعتادة ان تجري بين العلماء قد اتصلت ايضاً الى الاولاد في المدارس فاشترك اولريخ فيها فتهذبت قواهُ العقلية النامية ضد تلاميذ المدارس الأُخر وكان دائماً الغالب في تلك المخاصمات التي هي مقدمة لتلك التي كان مزمعاً ان يقلب بها الباباوية في سويسرا وهذا النجاح ملأ اكبر اخصامهِ غيرةً وحسداً فكبر سريعاً على مدرسة باسل كما كان قد كبر على مدرسة ويسن

وكان لوبولوس واحد من المعلمين المشاهير قد فتح حديثاً في برن المدرسة الاولى للعلوم العالية في سويسرا فعزم شيخ ويلدهوس وخوري ويسن على ارسال الصبي اليها فترك زوينكل سهول باسل المجتسمة سنة ١٤٩٧ ودنا ايضاً من جبال الپا العليا التي قضى فيها ايام صباهُ والتي ترى قممها المغطاة بالثلج المذهَّب بالشمس من حدّ برن. ولوبولوس الذي كان شاعراً مشهوراً ادخل تلميذهُ الى مقدس العلوم السامية التي كانت حينئذٍ كنزاً مخفياً ولم يدخلهُ الاَّ القليلون فتنسم هذا المبتدئ الجديد برغبة عطور القدم هذه فاتسع عقلهُ واستقام انشاؤهُ وصار شاعراً

وكان الدير الاشهر بين اديرة برن دير الدومينيكيين وكان هولاء

الرهبان مشغولين بخصام شديد مع رهبان مار فرنسيس . فهولاء ذهبوا الى ان مريم حبل بها بلا دنس واما رهبان مار دومينيكوس فانكروا ذلك ولم يكن لهولاء الرهبان حيثما توجهوا ولا امام المذابح الباهرة التي زينت كنيستهم ولا بين الاثني عشر عمودًا الحاملة سقفها المنقوش سوى فكر واحد وهو كيف يذللون اخصامهم وكانوا قد لاحظوا صوت زوينكل الحسن وبلغهم فهمهُ البالغ قبل الاوان وزعمًا بانهُ يزيد رهبنتهم رونقًا اجتهدوا في اجتذابهِ الى طغمتهم ودعوهُ الى البقاء في ديرهم الى سن الابتداء بالترهب وبذلك صارت حياة زوينكل المستقبلة كلها في خطر الاضاعة ولما بلغ شيخ ويلدهوس نية الدومينيكيين لاغراء ابنهِ خاف عليهِ من حيلهم وامرهُ بترك برن حالاً وهكذا افلت زوينكل من تلك الجدران الرهبانية التي كان لوثيروس قد دخل اليها باختيارهِ المطلق وما حدث بعد ذلك بقليل يبان الخطر العظيم الذي كان زوينكل حينئذٍ معرضًا لهُ

في سنة ١٥٠٧ صار في مدينة برن هياجٌ عظيم وذلك ان شابًا من زورزاخ اسمهُ يوحنا ياتزر حضر ذات يوم الى ذلك الدير الدومينيكي نفسهِ لكي يدخل فيهِ فطردوهُ منهُ ثم حاول هذا الشاب المسكين المطرود ذلك ثانيةً وقال ممسكًا بيدهِ ثلاثة وستين فلورينًا وبعض شقق حرير هذا جميع ما املكهُ خذوهُ واقبلوني في رهبنتكم فأُدخِل في ٦ كانون الثاني بين المبتدئين ولكنهُ في الليلة الاولى ملأهُ صوت غريب في مخدعهِ رعبةً فهرب الى دير الكرثوسيين فارجعوهُ الى الدومينيكيين

وفي الليلة التالية مساء عيد مار متياس انتبه بسبب تنهدات عميقة سمعها ففتح عينيهِ فراى شبحًا طويلاً ابيض واقفًا الى جانب سريرهِ فنطق صوتٌ مثل صوت خارج من القبور انا نفس هاربةٌ من نيران المطهر فقال الاخ المبتدي مرتجفًا الله يعينك لا اقدر ان اعمل شيئًا وحينئذٍ تقدم الخيال الى الاخ المسكين وقبض على عنقهِ ووبخهُ على إبائهِ فصاح ياتزر مرتعدًا ماذا اقدر ان اعمل لكي

اخاصك فاجاب الشيخ اجلد نفسك ثمانية ايام متوالية حتى يسيل منك الدم وانطرح مصروعًا على الارض في كنيسة ماريوحنا . قال الخيال هذا وتوارى فكشف الاخ هذه الرؤيا لمعرّفهِ واعظ الدير فاشار عليهِ ان يخضع لذلك القصاص فاجاب الى ذلك فأُشهر حالاً في كل المدينة ان نفسًا التجأت الى الدومينيكيين لاجل الخلاص من المطهر فترك الناس رهبان مار فرنسيس وركضوا افواجًا الى الكنيسة حيث كان الرجل القديس منطرحًا على البلاط وكانت تلك النفس الصاعدة من المطهر قد اخبرت بانها سوف تظهر ثانيةً بعد ثمانية ايام وفي الليلة المعينة اتت ايضًا صحبة روحين كانا يعذبانها باشد العذابات حتى صرخت امرَّ الصراخ وقالت تلك النفس المتزعجة ان سكوتوس مخترع تعليم الفرنسيسيين بالحبل بالعذراء بلا دنس هو بين الذين يكابدون عذابات قاسية كهذه معي وعند هذا الخبر الذي انتشر سريعًا في برن ازداد اصحاب الفرنسيسيين خوفًا الآن تلك النفس عند تواريها بشرت بزيارة من العذراء نفسها وبالواقع الاخ المندهش راى في اليوم المعيَّن مريم العذراء في مخدعهِ ولم يقدر ان يصدق عينيهِ فتقدمت اليهِ بلطف واعطتهُ ثلاثًا من دموع مخلصنا ومثلها عددًا من دمهِ وصليبًا ومكتوبًا باسم البابا يوليوس الثاني الذي قالت انهُ رجل قد اختارهُ الله لكي يبطل عيد الحبل بها بلا دنس ثم تقدمت الى السرير الذي كان الاخ مضطجعًا عليهِ واخبرتهُ بصوت مهيب انهُ عتيد ان يحصل على نعمة خصوصية وللوقت طعنت يدهُ بمسمار فاعول الاخ عويلاً هائلاً الآن مريم لفت يدهُ بثوب قالت ان ابنها كان قد لبسهُ وقت هربهم الى مصر وهذا الجرح الواحد لم يكن كافيًا ولكي يكون مجد الدومينيكيين مساويًا اقلها يكون لمجد الفرنسيسيين اقتضى ان يُجرَح ياتزر خمس جراح يسوع ومار فرنسيس على يديهِ ورجليهِ وراسهِ فجُرِح الاربعة الجراح الباقية ثم بعد ان تناول شيئًا من الشراب وُضع في قاعة معلقة فيها صور آلام مخلصنا فصرف هناك اياماً كثيرة طويلة من دون طعام فهاجت مخيلتهُ سريعًا فكان الرهبان يفحصون

حينًا بعد حين ابواب القاعة للشعب الذين اتوا افواجًا لكي يتاملوا بحيرة التقوى في الاخ بجراحهِ الخمسة باسطًا ذراعيهِ ومحنيًا راسهُ يقلد باوضاعهِ وحركاتهِ صلب ربنا . وكان احيانًا يُغشَى عليهِ ويزبد ويبين كانهُ يسلم الروح . قال المتفرجون انهُ يحتمل صليب المسيح والناس الذين كانوا متعطشين الى نظر العجائب ازدحموا الى الدير بلا انقطاع والناس الذين يستحقون اعتبارنا الاعظم حتى لوبولوس نفسهُ معلم زوينكل غلب عليهم الخوف وصار الدومينيكيون يفتخرون عن منابرهم بالمجد الذي اسبغهُ الله على رهبنتهم

ان الرهبنة الدومينيكية بقيت سنين كثيرة تشعر بضرورة اذلال الفرنسيسيين وتحويل اعتبار الشعب وكرمهِ الى رهبنتهم بواسطة العجائب والميدان الذي اختاروهُ لهذه الاعمال هو برن وهي مدينة سادجة خشنة جاهلة كما وصفها نائب رئيس برن في مجمع انعقد في ومبفين على نهر النكر واما رئيس الدير وثاني الرئيس والواعظ والوكيل فتسلموا الاعمال المهمة من تلك الكوميديا ولكنهم لم يقدروا على اكمالها لانهُ لما ظهرت مريم ظهورًا جديدًا توهم ياتزر انهُ عرف صوتها صوت معرّفهِ واذ قال ذلك بصوتٍ عالٍ توارت مريم ثم اتت لكي توبخ الاخ غير المصدق فصرخ ياتزر هذه المرة هو الرئيس وثار عليهِ بسكين في يدهِ فرشقت القديسة راس الاخ المسكين بصحن قصدير وتوارت من امامهِ

واذ كان الدومينيكيون خائفين من الفضيحة بسبب الاكتشاف الذي اكتشفهُ ياتزر حاولوا ان يتخلصوا منهُ بالسلم فاطلع على مكرهم وهرب من الدير واظهر تزويرهم فستروا المادة حسب الاستطاعة وارسلوا معتمدين الى رومية ففوّض البابا الى قاصدهِ في سويسرا واسقفي لوسان وسيون ان يفحصوا عن هذا الامر فظهر تزوير الدومينيكيين الاربعة وحكم عليهم بان يحرقوا احياء وفي اول ايار سنة ١٥٠٩ اهلكوا على الاوتاد بحضرة اكثر من ثلاثين الف متفرج واخبار هذا التزوير انتشرت في اوروبا وبكشفها قرحًا من اردا قروح الكنيسة سهلت الطريق للاصلاح

هولاء هم الناس الذين نجا اولريخ زوينكل من ايديهم . وكان قد درس العلوم الادبية في برن وبقي عليهِ ان يدرس الفلسفة ولاجل هذه الغاية ذهب الى فينا في اوستريا وكان بين رفاق اولريخ في دروسهِ وتنزهاتهِ في عاصمة اوستريا شابٌّ من سنت غال اسمهُ يواكيم فاديان الذي من جودة عقلهِ تُرُجّي ان يكون زينة بلاد سويسرا عالمًا ومشترعًا وهنري لوريتي من مقاطعة غلاريس المشهور بلقب الغلاريسي وترايا انهُ يكون شاعرًا مفلحًا وشابٌّ آخر سوابي اسمهُ يوحنا هيجرلين ابن حداد ومن ثم سُمّي فابر (اي حدادًا) وهو رجل ذو اخلاق سلسة يفتخر بالكرامات والشهرة وفيهِ جميع الصفات الدنية اللازمة للمتعلقين بالاكابر

ورجع زوينكل الى ويلدهوس سنة ١٥٠٢ ولكن عند زيارتهِ جبال مولدهِ شعر بانهُ قد شرب من كاس العلم وبانهُ لا يقدر ان يعيش في وسط اغاني اخوتهِ واصوات مواشيهم واذ صار ابن ثماني عشرة سنة ذهب ايضًا الى باسل لكي يداوم دروسهُ الادبية فكان هناك في وقت واحد معلمًا وتلميذًا فعلَّم في مدرسة مار مرتينوس ودرس في المدرسة الكلية ومن ذلك الوقت استغنى عن مساعدة ابويهِ ثم بعد ذلك بقليل نال درجة معلم في العلوم وكان هناك شاب من الساس اسمهُ كاپيتو اكبر من زوينكل بتسع سنوات وصار من اخص اصدقائهِ

فانكبَّ زوينكل على درس اللاهوت المدرسي . وبما انهُ عتيد ان يكلَّف الى اظهار سفسطاتهِ اقتضى اولاً ان يطّلع على تعاريجهِ المظلمة وهذا الدارس الهني الطبع كان مرارًا كثيرة ينفض بغتةً غبار المدارس ويبدل اتعابهُ الفلسفية بتنزهات جائزة فياخذ آلةً من آلات الطرب العديدة التي عندهُ كالعود او القانون او الكرفت او الصافور او قرن الصياد ويستخرج منها نغمة مطربة كما في مراعي ليسغهوس ويجعل مخدعهُ او مخادع اصدقائهِ ترن بنغمات مسقط راسهِ ويرافقها بصوتهِ ففي محبتهِ للموسيقى كان ابنًا حقيقيًا للتوكنبرج ومعلمًا بين كثيرين واذ كان مغرمًا بهذه الصناعة جعل محبتها تمتد في المدرسة لا لانهُ كان مغرمًا

بالخلاعة بل لانهُ اراد ان يريح بهذه الواسطة عقلهُ بعد ما اعيا من الدرس المجدّ وبذلك يعد نفسهُ للرجوع الى تلك الاعمال الشاقة باعظم غيرة ولم يكن لاحد نشاط اكثر ما لهُ ولا طبيعة اكثر محبة من طبيعتهِ ولا انبه في المفاوضة وكان مثل شجرة جبلية نشيطة نامية على كل قوتها وحسنها لم تُقضَب بل تنمو جميع اغصانها الصحيحة الى كل جهة ثم اتى وقت ارسلت فيهِ هذه الاغصان بنشاط جديد فروعًا نحو السماء

وبعد ان توغل في اللاهوت المدرسي ترك سباخهُ غير المثمرة بضجر وكراهة اذ لم يجد فيهِ الاَّ خلاط افكار مشوشة وشقشقة فارغة ومجدًا باطلاً وبربرة دون ذرَّة واحدة من التعليم الصحيح فقال انهُ مجرد تضييع وقت. توقع ساعتهُ

وفي تشرين الثاني سنة ١٥٠٥ وصل الى باسل توما ويتمباخ ابن والٍ من بيان وكان الى ذلك الوقت يعلم في توبنجن بجانب ربوخلن وكان في عنفوان صباهُ مخلِصًا تقيًا حاذقًا في الفنون الكريمة والهندسة ومعرفة الكتاب المقدس فاحدق بهِ حالاً زوينكل وكل شبان المدرسة. وحياة غير معروفة الى ذلك الوقت احيت خطبهُ وكلمات نبوية خرجت من فيهِ فقال ان الساعة التي فيها يُلقَى اللاهوت المدرسي جانبًا وتحيا تعاليم الكنيسة القديمة ليست ببعيدة. ثم قال ان موت المسيح هو الفداء الوحيد لانفسنا وقبل قلب زوينكل برغبة زرع الحياة هذا. وفي ذلك الوقت اخذت العلوم السامية تطرد لاهوت القرون المتوسطة فدخل زوينكل نظير معلمهِ واصدقائهِ في ذلك الطريق الجديد

وكان بين الطلبة المصغين اصغاء عظيمًا جدًّا الى تعليم المعلم الجديد شاب ابن ثلاث وعشرين سنة ذو قامة قصيرة وبنية ضعيفة نحيفة الآن منظرهُ دل على اللطف والثبات وهو ليون يهوذا ابن خوري من الساس وكان عمهُ قد مات في رودس محاربًا تحت الوية الفوارس التوتونية لاجل المحاماة عن العالم المسيحي فصار ليون واولريخ صديقين مخلصين وكان ليون يدق على الكمنجا ولهُ صوت لطيف جدًّا فكثيرًا ما سُمِعت في مخدعهِ نغمات هذين الصديقين

المطربة وبعد ذلك صار لبون يهوذا قرين زوينكل حتى ان الموت لم يقدر على ملاشاة تلك الصداقة الطاهرة

وخلت وظيفة راعي غلاريس في ذلك الوقت فبادر الى غلاريس واحدٌ من رجال البابا الشبان اسمهُ هنري غولدلى سائس قداستهِ الذي كان لهُ وظائف عديدة ومعهُ مكتوب من الحبر بانتخابهِ ولكن رعاة غلاريس اذ كانوا مفتخرين بقدمية جنسهم وبجهاداتهم في قضية الحرية لم يرضوا ان يحنوا رؤُوسهم امام قطعة رق من رومية وكانت ويلدهوس غير بعيدة عن غلاريس وفي ويسن التي كان عمُّ زوينكل شيخها اقاموا اسواقهم وصيت معلم الفنون في باسل قد امتد الى تلك الجبال ايضًا فرغب شعب غلاريس في ان يكون راعيًا لهم فدعوهُ سنة ١٥٠٦ فرُسِم زوينكل في قنسطانس من الاسقف ووعظ عظتهُ الاولى في رابرسويل وقدس قداسهُ الاول في ويلدهوس في عيد مار ميخائيل بحضور كل اقاربهِ واصدقاء عائلتهِ وفي نحو آخر السنة وصل الى غلاريس

الفصل الثالث

ذهاب زوينكل الى ايطاليا . مبدأ الاصلاح . زوينكل ولوثيروس . زوينكل وايراسموس زوينكل والعلماء القدماء

فانكبَّ زوينكل حالاً بغيرة على اتمام واجبات ابرشيتهِ العظيمة واذ لم يبلغ بعد الاَّ عشرين سنة من العمر كان مرارًا كثيرة يطلق العنان لنفسهِ في اتباع الملاهي وخلاعة اهل عصرهِ . كان خوريًا باباويًا لم يختلف عن الخوارنة الذين حولهُ وفي ذلك الوقت لم يكن التعليم الانجيلي قد غيَّر قلبهُ لكنهُ لم يرتكب تلك الذنوب التي كانت مرارًا كثيرة تتعب الكنيسة وشعر في كل حين بضرورة اخضاع انفعالاتهِ لقانون الانجيل الطاهر

ان الرغبة في الحرب اضرمت في ذلك الوقت اهل وديان غلاريس المادية وهناك سكنت عيال الابطال التشودية والولاس والابلية الذين انسكبت دماؤُهم في ميدان الحرب. والابطال الشيوخ كانوا يخبرون الاحداث بهجماتهم في حروب برغندي وسوابيا ووقعة مار يعقوب وراغاز فابتهج الاحداث بذلك. غير ان هولاء الرعاة المقاتلين لم يعودوا بعد يحملون اسلحتهم ضد اعداء حريتهم بل كنت تراهم عند صوت ملك فرانسا او الامبراطور او دوك ميلان او الاب الاقدس نفسهِ ايضًا ينحدرون كالصاعقة من جبال الپا ويهجمون بصوت كالرعد على العساكر المصطفة في السهول

كان صبيٌّ فقير اسمهُ متى شِنَّر من مدرسة سيون في مقاطعة الڤالِي في اواسط النصف الثاني من القرن الخامس عشر وكان يرتل يومًا في الاسواق كما فعل مرتينوس لوثيروس الحدث بعد ذلك بقليل فسمع رجلاً شيخًا يدعوهُ باسمهِ واذ اعجبت ذلك الشيخ نباهة الصبي في مجاوبة المثلوّة قال لهُ بتلك النغمة النبوية التي يزعم ان الانسان قد يحصل عليها احيانًا وهو على حافة قبرهِ سوف تكون اسقفًا واميرًا فاثرت هذه الكلمات في المستعطي الحدث ومن ذلك الوقت خالج نفسهُ طمع بالارتقاء لا يحد وتقدمهُ في زوريخ وكومو حيَّر معلميهِ فصار خوري ابرشية صغيرة في الڤالي وارتقى بسرعة وأُرسِل الى رومية بعد ذلك لكي يطلب من البابا تثبيت اسقف لسيون كان قد أُنتخب حديثًا فحصَّل تلك الاسقفية لنفسهِ ووضع على راسهِ التاج الاسقفي وذلك الرجل الطماع المحتال اذ كان في بعض الاوقات شريفًا كريمًا لم يحسب درجةً الَّا خطوةً للارتقاء الى درجة اسمى فعرض خدمتهُ على لويس الثاني عشر وشارطهُ ايضًا في الوقت نفسهِ على اجرتهِ فقال الملك ان ذلك كثيرٌ على رجل واحد فاجاب اسقف سيون المغتاظ من ذلك اني سوف اريهِ اني انا وحدي اساوي رجالاً كثيرين معًا . فتحول نحو البابا يوليوس الثاني الذي ترحب بهِ بفرح وفي سنة ١٥١٠ نجح شِنَّر في ضم كل جمهورية سويسرا الى حزب ذلك الحبر المحب الحرب فجوزي الاسقف ببرنيطة

كردينال وتبسم اذ راى انهُ لم تبقَ سوى درجة واحدة بينهُ وبين الكرسي الباباوي

وكانت عينا شنَّر تجولان دائمًا في مقاطعات سويسرا وحالما راى صاحب سطوة في مكان بادر الى استمالتهِ فاعتبر راعي غلاريس وبعد ذلك بقليل أُخبر زوينكل ان البابا كان قد انعم عليهِ بمعلوم سنويٍّ قدرهُ خمسون فلورينًا لاجل اعانتهِ في دروسهِ ولم يكن فقرهُ يسمح لهُ بشراء كتب فخصص اولريخ تلك الدراهم في المدة القصيرة التي نالها لشراء كتب ادبية او لاهوتية اشتراها من باسل ومن ذلك الوقت تعلق زوينكل بالكردينال وهكذا دخل في الحزب الروماني. ثم كشف شنَّر ويوليوس الثاني اخيرًا غاية حيلهما فان ثمانية آلاف من رجال سويسرا ممن كانت فصاحة الاسقف الكردينال قد عينتهم اجنادًا قطعوا جبال الپا ولكن عدم وجود الذخائر ارجعهم الى جبالهم حاملين اسلحة الفرنساوية ودراهمهم فحملوا معهم الخصال المكتسبة من تلك الحروب الخارجية اي عدم الاركان والدعارة والتحزب والفظاعة والتشاوبش من كل نوع فابى الرعايا ان يطيعوا ولاتهم والاولاد ابوا اطاعة آبائهم وغُفِل عن الفلاحة والاهتمام بالمواشي وزاد التنعم والفقر احدهما بجانب الآخر وقُطِعت اطهر الرباطات وباتت الجمهورية على حافة الانحلال. وحينئذٍ انفتحت عينا خوري غلاريس الفتى واستشاط غضبًا فرفع صوتهُ القوي لتحذير الناس من الهاوية التي كادوا يسقطون فيها. وفي سنة ١٥١٠ اشهر قصيدتهُ الملقبة باللغز. قال فيها انهُ في وسط تعاريج تلك الجنينة اللغزية قد اخفى مينوس المينوطورَ اي الوحش المسخ الذي نصفهُ انسان ونصفهُ ثور الذي اقتات باجساد اهل اثينا الاحداث. قال زوينكل ان ذلك الوحش يشير الى الخطايا والرذائل والنفاق واستخدام اهل سويسرا عند الغرباء الذين يبتلعون ابناء تلك الامة. فطلب رجلٌ شجاعٌ اسمهُ تاسيوس ان يخلص بلادهُ ولكن موانع كثيرة وقفت في طريقهِ اولاً اسدٌ اعور وهو اسبانيا واراغون ثانيًا نسرٌ متوج يفتح منقارهُ ليبتلعهُ وهو المملكة

الرومانية ثالثًا ديكٌ يرفع عرفهُ وكانما يدعو الى النزال وهو فرانسا اما ذلك البطل فغلب على كل هذه الموانع ووصل الى المسخ وقتلهُ وخلص بلادهُ

ثم قال الشاعر وهكذا الناس تائهون الآن في لغز ولكن بما انهُ ليس لهم دليل لا يقدرون على استرجاع النور فلا نجد في مكان اقتداءً بيسوع المسيح بل طلب المجد القليل يسوقنا الى المخاطرة بنفوسنا ونعذيب قريبنا والهجوم على المخاصمات والحرب والقتال كانَّ الابالسة قد انفلتت من قعر جهنم . واحتاج الامر الى واحد كثاسيوس اي الى مصلح وراى زوينكل ذلك واضحًا ومن ثمَّ شعر بارساليتهِ والَّف بعد ذلك بقليل لغزًا آخر معناهُ اوضح من الاول

وفي نيسان سنة ١٥١٢ اقامت تلك البلاد ثانيةً اجابةً لصوت الكردينال لاجل المحاماة عن الكنيسة وكانت غلاريس في اول الجيش فان كل الابرشية خرجت تحت رايتهم مع شيخهم وراعيهم فاضطر زوينكل الى الزحف معهم فعبرت الجيوش جبال الپا وفي وسطهم الكردينال مزينًا بعطايا البابا اسي بيرنيطة دوكية مرصعة بالجواهر والذهب وعليهِ الروح القدس تحت شبه حمامة . فتسلق اهل سويسرا جدران الحصون واسوار المدن وسجوا امام اعدائهم عراةً في الانهر والرماح في ايديهم فانكسر الفرنساويون من كل جهة وصوتت الاجراس والابواق انغام الغلبة واجتمع الناس حولهم من كل جهة وقدَّم الاشراف للعساكر ذخائر الخمر والفاكهة بكثرة وتبوَّأ الرهبان والخوارنة المنابر ونادوا بان اهل الجمهورية هم شعب الله الذي اخذ ثار عروس الرب من اعدائها واما البابا فتنبأ عليهم كقيافا في القديم ولقبهم المحامين عن حرية الكنيسة

وهذا التغرب في ايطاليا لم يكن من دون تاثير في زوينكل نظرًا الى دعوتهِ الى الاصلاح فانهُ عند رجوعهِ من تلك الخدمة ابتدا بدرس اليوناني لكي يستطيع كما قال ان يستقي من راس نبع الحق تعاليم يسوع المسيح وكتب الى فاديان في ٢٢ شباط سنة ١٥١٣ يقول اني عازم على الانصباب على اليوناني عزمًا قويًا لا يقدر احد ان يحولني عنهُ الّا الله وانا افعل ذلك لا لاجل المجد

ولكن لاجل محبة العلوم المقدسة وبعد قليل اتى لزيارتهِ خوري فاضل كان رفيقهُ في المدرسة فقال لهُ يا معلم اولريخ قد بلغني انك سقطت في هذا الضلال الجديد اي انك لوثراني فقال زوينكل لست لوثرانيًّا لاني تعلمت اليوناني قبل ان سمعت باسم لوثيروس . فان معرفة اليوناني وقراءة الانجيل بلغتهِ الاصلية كانتا في راي زوينكل اساس الاصلاح

ولم يقف زوينكل عند مجرد الاقرار في ذلك الوقت الباكر بمبدا الديانة المسيحية الانجيلية العظيم اي سلطان الكتب المقدسة المعصوم لانهُ علم ايضًا كيف يجب ان نحكم على معنى كلام الله فقال ان الذين يحسبون كل ما لا يطابق عقلهم زهيدًا باطلاً غير عادل ففكرهم بالانجيل دني جدًّا . فان الناس لا يؤْذَن لهم ان يحرّفوا الانجيل حسب ارادتهم لكي يتفق مع افكارهم وتفاسيرهم وقال احسن اصدقائهِ ان زوينكل حوّل عينيهِ نحو السماء لانهُ لم يقبل مفسرًا آخر غير الروح القدس نفسهِ

فهكذا كان في ابتداء عملهِ الرجل الذي اتهمهُ البعض بقصد اخضاع الكتاب المقدس للعقل البشري قال ان الفلسفة واللاهوت دائمًا يعترضان اعتراضات فقلت اخيرًا لنفسي ينبغي لي ان اترك جميع هذه المواد وافتش على ارادة الله في كلامهِ فقط فابتدات اتضرع الى الرب بحرارة لكي يعطيني نورهُ ومع اني ما قرات الاَّ الكتب المقدسة فقط قد صارت اوضح لي مما كانت لو قرات جميع المفسرين . فانهُ قابل الكتاب المقدس بنفسهِ . وفسر النصوص الغامضة منهُ بالواضحة فعرف الكتاب المقدس حالاً معرفة تامة ولا سيما العهد الجديد . وعند ما تحول زوينكل على هذه الكيفية نحو الكتاب المقدس اخذت سويسرا في الخطوة الاولى نحو الاصلاح ومن ثم لما فسر الكتب المقدسة شعر كل واحد بان تعليمهُ قد اتى من الله لا من الانسان . وصرخ اوسوالد ميكونيوس قائلاً يا لهُ من عمل الهي بتمامهِ فاننا بهذه الوسيلة استرجعنا معرفة الحق من السماء

ولم يستخف زوينكل بتفاسير اشهر العلماء فانهُ في السنين التابعة درس

اوريجانوس وامبروسيوس وايرونيموس واوغسطينوس وفم الذهب وذلك ليس انهم اصحاب سلطان. قال اني ادرس العلماء بنفس الغاية التي بها نسال صديقًا ما هو معنى الآية الفلانية . فان الكتب المقدسة كانت في رايهِ هي المحك الذي يجب ان يختبر بهِ افضل العلماء انفسهم

كان تقدم زوينكل بطيئًا ولكنهُ مستمر بلا انقطاع . ولم يصل الى الحق نظير لوثيروس بتلك العواصف التي تضطر النفس الى المبادرة بسرعة الى ميناء ملجاها بل انما وصل بفعل الكتب المقدسة السليم الذي تنتشر قوتهُ بتدريج في القلب . اما لوثيروس فبلغ الشاطي المرغوب من وسط هياج البحر الواسع واما زوينكل فبواسطة اتباعهِ السبلة بهدو ورفق وهذان هما الطريقان الاصليان اللذان بهما يقود القادر على كل شيءٍ الناس ولم يرتد الى الله وانجيلهِ على التمام الاَّ في السنين الاولى من اقامتهِ في زوريخ الاَّ ان اللحظة التي فيها اي في سنة ١٥١٤ او سنة ١٥١٥ احنى هذا الرجل القوي ركبتهُ امام الله بالصلاة لاجل فهم كلمتهِ هي اللحظة التي فيها ظهرت اشعة النهار اللامعة الاولى التي اشرقت عليهِ في ما بعد

وبالقرب من ذلك الوقت اثرت في زوينكل كل التاثير احدى قصائد ايراسموس التي ذكر فيها يسوع المسيح كانهُ يخاطب الجنس البشري الهالك بذنوبهِ واذ كان وحدهُ في مخدعهِ كرر في نفسهِ تلك العبارة التي بها يتشكى يسوع من ان الناس لا يطلبون كل نعمة منهُ مع انهُ ينبوع كل ما هو صالح فقال زوينكل الكل الكل وهذه الكلمات كانت دائمًا حاضرة امام ضميرهِ فقال هل توجد اذًا خليقة او قديسون نطلب منهم مساعدة . كلاَّ . ان المسيح هو كنزنا الوحيد

ثم ان زوينكل لم يحصر نفسهُ في درس العلوم المسيحية فقط . ومن جملة صفات مصلحي القرن السادس عشر المميزة انصبابهم على درس العلماء اليونانيين والرومانيين فان اشعار هسيودوس وهوميروس وبنداروس كانت ملذة جدًّا

لزوينكل وقد خلف بعض الشروح والحواشي على الشاعرَين الاخيرَين وبدا لهُ ان بنداروس تكلم عن الالهة بكلامٍ سامٍ بهذا المقدار كانهُ عرف شيئًا عن الاله الحقيقي . ودرس ديموستانيس وشيشرون درسًا تامًّا وتعلم من مؤلفاتهما صناعة الخطاب وواجبات الرعايا . وسمّى سينيكا رجلًا نقيًّا . وابن جبال سويسرا هذا التذ ايضًا بالبحث في اسرار الطبيعة في كتب افلينيوس وعلَّمهُ ثوسيديديس وسالوستيوس وليڤيوس وقيصر وسويتونيوس وبلوترخوس وتشيتيوس معرفة الجنس البشري . وعيَّرهُ البعض على غرامهِ بفحول القدماء والصحيح ان البعض من عباراتهِ في هذا الموضوع لا يمكن المحاماة عنها ولكنهُ اكرمهم هذا الاكرام السامي لانهُ زعم فيهم لا فضائل بشرية محضة بل مفعول الروح القدس وبحسب زعمهِ لم يكن فعل الله محصورًا في الازمان القديمة داخل تخوم فلسطين بل ممتدًّا في كل العالم . قال ان افلاطون قد شرب ايضًا من ذلك الينبوع السموي وانهُ لو لم يكن شيبيو وكيميلوس تقيَّين بالحقيقة أفكان ممكنًا لهما ان يكونا اصحاب عقول سامية بهذا المقدار . واحدث زوينكل رغبة العلوم في جميع الذين حولهُ وكثيرون من الشبان الفهيمين تربوا في مدرستهِ . وكتب اليهِ ڤالنتينوس تشودي ابن احد الابطال في الحروب البرجندية يقول قد عرضت عليَّ لا الكتب فقط بل نفسك ايضًا وقال ايضًا ذلك الشاب الذي كان قد درس في ڤينا وباسل تحت يد اشهر العلماء اني لم اجد احدًا يفسر اقوال الفلاسفة بتدقيق وتعمق نظيرك وذهب تشودي الى باريس ولذلك استطاع ان يقابل الروح المتغلب في تلك المدرسة مع ذلك الذي وجدهُ في وادٍ ضيق من جبال الپا تعالت فوقهُ قمم دودي وغلاريس وويجيس وفريبرج العظيمة وثلوجها الدائمة فقال يا لها من اباطيل فارغة يعلمونها للشبان الفرنساوية . لا يوجد سمٌّ مثل سم الصناعة السفسطية التي يتعلمونها . انها تبلد الحواس وتضعف العقل وتوحش الانسان فيصير حينئذٍ كانهُ رنة محضة او صوت فارغ فان عشر نساء لا يقدرنَ ان يبارين واحدًا من هولاء البيانيين . حتى انهم في صلواتهم ولا شك عندي

بذلك باتون بسفسطاتهم قدام الله وبواسطة اقيستهم يحاولون الزام الروح القدس باستجابتهم . فهكذا كانت في ذلك الزمان باريس العاصمة العقلية للعالم المسيحي وغلاريس التي هي قرية رعاة بين جبال الپا. فان شعةً واحدةً من كلمة الله تنير اكثر من كل حكمة الانسان

الفصل الرابع

صحبة زوينكل وابراسموس . ميكونيوس . ايكولمباذيوس . زوينكل في مارغنان . زوينكل وايطاليا . ابتداء الاصلاح

ان رجلاً عظيمًا من ذلك العصر اي ابراسموس كانت له سطوة عظيمة على زوينكل فحالما ظهر شيءٌ من مؤلفاتهِ بادر زوينكل الى شرائهِ وفي سنة ١٥١٤ وصل ابراسموس الى باسل حيث قبلهُ الاسقف بكل علامات الاعتبار فاجتمع حالاً حولهُ كل محبي العلوم الآن امير المدارس هذا كشف حالاً عن الشخص العتيد ان يكون مجد سويسرا فكتب الى زوينكل اني اهني اهالي هلڤيتيا بانك مجتهد في تهذيبهم وتمدنهم بواسطة علومك وآدابك التي هي من اعلى طبقة واشتاق زوينكل جدًّا الى مشاهدتهِ فقال ان اهالي اسبانيا وفرانسا قد ذهبوا الى رومية لكي يشاهدوا ليڤيوس . وبالحال انطلق فلما وصل الى باسل وجد هناك رجلاً ابن نحو اربعين سنة قصير القامة ضعيف البنية ونحيف المنظر الاَّ انهُ محبوب جدًّا ولطيف في الغاية وهو ابراسموس . وحسن اخلاقهِ نفى حالاً خوف زوينكل وقوة عقلهِ اخضعتهُ فقال اني انا الفقير مثل ايسخينيس عند ما قدم كل واحد من تلامذة سقراط هديةً لمعلمهم فاني اعطيك ما اعطاهُ ايسخينيس اي اعطيك نفسي

وبين رجال العلم الذين ترددوا حينئذٍ على ابراسموس اسي امير باخ

وريناتوس وفروبانيوس ونسانوس وغلاريس لاحظ زوينكل واحدًا اسمهُ اوسوالد قيسهوسلار فتىً من لوسرن عمرهُ سبعٌ وعشرون سنة وغيَّر ابراسموس اسمهُ الى اليونانية فدعاهُ ميكونيوس ونحن نذكرهُ باسمهِ المسيحي اي اوسوالد لكي نميز بين صديق زوينكل هذا وفردريك ميكونيوس تلميذ لوثيروس واوسوالد هذا بعد ان درس في روثوبل مع فتىً من سنهِ اسمهُ برثولد هلر ثم في برن ثم في باسل صار مدبر مدرسة القديس ثيودوروس ثم مدبر مدرسة القديس بطرس في باسل وهذا المعلم المتواضع مع انهُ لم يكن لهُ سوى دخلٍ قليل كان قد تزوج بفتاةٍ جلبت جميع القلوب ببساطتها ونقاوتها وقد راينا في ما سبق ان ذلك الوقت كان وقت اضطراب في سويسرا التي سببت فيها الحروب الخارجية تشاويش قوية ولما رجع القوم الى بلادهم جلبوا معهم عوائدهم الحربية الشهوانية البهيمية ففي ذات يوم مظلم مغيمٍ في الشتاء هجم البعض من هولاء المتوحشين على مسكن اوسوالد الهادي وهو غائب فقرعوا الباب ورموا حجارة ودعوا زوجتهُ المحتشمة بافظع الكلمات واخيرًا دخلوا من الطاقات وبعد ان دخلوا الى محل المدرسة كسروا كل ما وجدوهُ ثم انصرفوا فرجع اوسوالد بعد ذلك بقليل ولاقاهُ ابنهُ فيلكس الصغير بصراخ قوي وامراتهُ اذ كانت غير قادرة على التكلم اشارت اليهِ اشارة فراى اوسوالد ما جرى وللوقت سمع ضجة في الزقاق واذ كان معلم المدرسة هذا غير قادر على ضبط حواسهِ قبض على سلاح ولحق القوم الى المقبرة فتحصنوا فيها بالاستعداد للمدافعة عن انفسهم وثار ثلاثة منهم على ميكونيوس فجرحوهُ واذ كان جرحهُ يُضمَّد هجم ايضًا هولاء الاشقياء على بيتهِ بصراخ شديد ولم يقل اوسوالد اكثر من ذلك فهكذا كانت الامور الحادثة في مدن سويسرا في ابتداء القرن السادس عشر قبل ان لطَّف الاصلاح اخلاق الناس وهذبها

ان استقامة اوسوالد ميكونيوس وتعطشهُ الى المعرفة والفضيلة جمعت بينهُ وبين زوينكل ولاحظ مدبر مدرسة باسل هذا مزية خوري غلاريس وهو

بتواضعهِ نفر من المديح الذي مدحهُ بهِ زوينكل وقال ابراسموس مرارًا كثيرة اني اعتبركم انتم يا معلمي المدارس مثل شرفاء الملوك وكان ميكونيوس المحتشم على خلاف راي فقال اني انما احبو على الارض ومنذ صبائي في شيء من الضعة والحقارة

ووصل الى باسل بالقرب من وصول زوينكل اليها واعظ ابتدا يشتهر وهو ذو طبيعة وديعة سليمة محب العيشة الهادية ولبطئهِ وحذرهِ في الاعمال كانت لذتهُ العظمى الشغل في مكتبتهِ وانماء الاتحاد بين جميع المسيحيين واسمهُ يوحنا هوسشين ومعناهُ في اليوناني ايكولمباذيوس اي نور البيت. وُلِد في فرانكونيا من ابوين غنيين وذلك بسنة قبل ولادة زوينكل ورغبت امهُ التقية في ان تكرس للعلم ولله الابنَ الوحيد الذي تركتهُ لهما العناية الالهية فوجههُ ابوهُ الى التجارة اولاً ثم الى علم الفقه ولكن بعد رجوع ايكولمباذيوس من بولونيا حيث درس الشريعة دعاهُ الله الذي ارتضى ان يجعلهُ نورًا في الكنيسة الى درس اللاهوت وكان يعظ في بلد مولدهِ فسعى كابيتو الذي عرفهُ في هيدلبرج في اقامتهِ واعظًا في باسل فنادى هناك بالمسيح بفصاحة جذبت قلوب سامعيهِ فادخلهُ ابراسموس في صداقتهِ وسُبي ايكولمباذيوس بالساعات اللذيذة التي صرفها مع ذلك النجيب العظيم فقال لهُ ملك العلوم هذا انهُ لا يوجد سوى شيء واحد يجب ان نفتش عليهِ في الكتب المقدسة وهو يسوع المسيح واعطى الواعظ الفتى نظير تذكار لصداقتهِ ابتداء انجيل يوحنا وكان ايكولمباذيوس كثيرًا ما يقبل عربون هذه المحبة الثمينة بهذا المقدار وحفظهُ معلقًا بصليبوتهِ قال وذلك لكي اذكر دائمًا ابراسموس في صلواتي

ثم رجع زوينكل الى جبال مولدهِ وقلبهُ وعقلهُ مملوآن من كل ما كان قد رآهُ وسمعهُ في باسل فكتب الى ابراسموس بعد رجوعهِ بقليل يقول اني لو لم اظفر منك ببعض الخطاب لما كنت اقدر ان انام ولا شيء افتخر بهِ مثل رؤيتي ابراسموس وقد فُعِل بزوينكل فعل جديد. واسفار كهذه غالبًا توثر تاثيرًا

عظيمًا في طريق المسيحي. اما تلاميذ زوينكل فالنتين ويوست مع لويس بطرس واجيديوس تشودي واصدقاءهُ الشيخ ابلي والخوري بتزلي من ويسن وفريدولين برونر والمعلم المشهور غلارين فانسروا عندما رأوهُ ينمو في المعرفة والحكمة فالشيوخ اعتبروهُ محبًا للوطن شجاعًا والرعاة الامناء اعتبروهُ خادمًا للرب غيورًا ولم يكن يُعمَل شيءٌ في تلك النواحي من دون الوقوف على رايهِ اولاً وكل الصالحين ترجوا ان فضائل سويسرا القديمة تحيا بواسطتهِ

ولما ارتقى فرنسيس الاول الى تخت السلطنة في فرانسا ورغب في ان ياخذ في ايطاليا ثار شرف الاسم الفرنساوي خاف البابا اي خوف واجتهد ان يجذب الى حزبهِ مقاطعات سويسرا ولهذا في سنة ١٥١٥ زار اولريخ سهول ايطاليا ثانية مع جيوش اهالي بلادهِ ولكن الفتن التي زرعتها حيل الفرنساوية في عسكر المقاطعات جرحت قلبهُ كثيرًا وفي وسط المعسكر خاطب بنشاط وبحكمة عظيمة ايضًا جمهورًا مسلحًا من الراس الى القدم ومستعدًّا للقتال وفي ٨ ايلول بخمسة ايام قبل وقعة مارغنان وعظ في ساحة مونزا حيث اجتمعت جنود سويسرا الذين بقوا محافظين على الويتهم قال وارنر ستينار من زوغ اننا لو كنا قد اتبعنا حينئذٍ او بعد ذلك ايضًا راي زوينكل فكم كان قد توفر على بلادنا من الشرور ولكن جميع الآذان كانت مغلقة عن استماع صوت الاتفاق والفطنة والخضوع وفصاحة الكردينال شنّر الجسورة جذبت الجماعة المتحدة واضطرها الى الهجوم مثل السيل الى فلاة مارغنان المهلكة فهلكت هناك زهرة شباب اهالي هلفيتيا وزوينكل الذي لم يقدر على منع تلك المصائب طرح نفسهُ لاجل خير رومية في وسط الخطر فلعبت يدهُ بالسيف . فيا لهُ من غلط محزن . ان خادم المسيح ينسى اكثر من مرة انهُ انما يجب ان يحارب باسلحة الروح فقط . فاختبر بنفسهِ صحة نبوة الرب بقولهِ من اخذ بالسيف فبالسيف يؤخذ

فلم يقدر زوينكل واهل سويسرا على تخليص رومية واول من بلّغهُ في المدينة الحبرية خبر الكسرة في مارغنان سفير فينيسيا فذهب بفرح عظيم باكرًا

في الصباح الى الڤاتيكان فخرج البابا من خدرهِ قبل ان يكمل لبس ثيابهِ لكي يستقبلهُ وعند ما سمع لاون العاشر الخبر لم يخفِ خوفهُ وفي تلك الدقيقة الهائلة لم يكن يرى الاَّ فرنسيس الاول فقط ولم يكن لهُ رجاءٌ الاَّ فيهِ فقال برجفة يا سيدي السفير زورسي يجب ان نلقي نفوسنا بين يدي الملك ونصرخ طالبين الرحمة . واما لوثيروس وزوينكل في اخطارهما فعرفا ساعدًا آخر فطلبا رحمة اخرى

وتلك الزيارة الثانية لايطاليا لم تكن بلا فائدة لزوينكل فانهُ لاحظ الفرق الكائن بين طقس امبروسيوس المستعمل في ميلان والذي في رومية فجمع اقدم قوانين القداس وقابلها معًا وهكذا اظهر فيهِ روح الفحص حتى في وسط شغب العساكر وكذلك منظر ابناء بلادهِ الذين اقتيدوا الى ما وراء جبال الپا وسلموا للذبح مثل مواشيهم ملأهُ غضبًا وكان حينئذٍ من جملة الاقوال الشائعة ان لحم اهالي سويسرا ارخص من لحم بقرهم. فان عدم امانة البابا وطمعهُ وبخل الخوارنة وجهلهم ودعارة الرهبان وخلاعتهم وكبرياء الاساقفة وتنعماتهم والفساد ومحبة المال التي افسدت اهالي سويسرا من كل جهة جميع تلك الشرور داخلت مخيلتهُ وجعلتهُ ان يشعر باكثر حدة بضرورة اصلاح في الكنيسة

ومن ذلك الوقت نادى زوينكل بكلام الله باكثر وضوح فانهُ فسَّر الاقسام المنتخبة من الانجيل والرسائل لاجل القراءة في الصلاة الجمهورية وقابل دائمًا الكتب المقدسة بالكتب المقدسة وتكلم بنشاط وقوة وتبع مع سامعيهِ نفس الطريق الذي كان الله قد ساقهُ فيهِ فانهُ لم يفضح نظير لوثيروس قروح الكنيسة ولكنهُ علَّم قطيعهُ على قدر ما اظهر لهُ درس الكتاب المقدس امرًا مفيدًا ورغب ان يغرس الحق في قلوبهم ثم يستند عليهِ لاجل احداث النتيجة التي من شانهِ ان يحدثها وافتكر انهُ اذا فهم الشعب ما هو الحق فانهم يعرفون سريعًا ما هو كاذب وهذه الطريقة جيدة لابتداء الاصلاح الاَّ انهُ لا بد من وقت يُكشَف فيهِ الغلط بالجراءة وعرف زوينكل ذلك جيدًا فقال الربيع هو الفصل للزرع

وكان حينئذٍ وقت الزرع عندهُ

حكى زوينكل ان ذلك الوقت اي سنة ١٥١٦ هو بداءة الاصلاح في سويسرا والواقع انهُ قبل ذلك باربع سنين احنى راسهُ فوق كتاب الله وفي ذلك الوقت رفعهُ وتحول نحو شعبهِ لكي يعطيهم النور الذي وجدهُ فيهِ وذلك وقتٌ جديدٌ مهمٌ في تاريخ ظهور الحركة الدينية في تلك البلاد الآن البعض بنوا على هذا التاريخ وهمًا بان اصلاح زوينكل سبق اصلاح لوثيروس وربما كان زوينكل قد نادى بالانجيل بسنة قبل اذاعة قضايا لوثيروس واما لوثيروس نفسهُ فنادى بهِ قبل تلك القضايا المشهورة باربع سنين ولو اقتصر لوثيروس وزوينكل على المناداة فقط لما كان الاصلاح قد انتشر بتلك السرعة في الكنيسة ولم يكن لوثيروس وزوينكل اول راهب واول خوري علّما تعاليم انقى من تعاليم اللاهوتيين الآن لوثيروس كان اول من رفع جهارًا وبشجاعة قوية راية الحق ضد سلطان الضلال ووجَّه افكار الجمهور الى تعليم الانجيل الاساسي اي الخلاص بالنعمة وقاد جيلهُ الى تلك الطريق الجديدة للمعرفة والايمان والحياة التي خرج منها عالم جديد وبالاجمال هو الذي ابتدا بحركة شافية حقيقية والحرب العظيمة التي تولدت من قضايا سنة ١٥١٧ ولدت حقًّا الاصلاح ومنحتهُ نفسًا وجسدًا معًا فلوثيروس اول مصلح

وكان روح الفحص قد ابتدا يتنسم على جبال سويسرا فاتفق ذات يوم ان خوري غلاريس كان في بلاد موليس المبهجة في بيت ادم خوري المكان مع بترلي خوري ويسن ووارسخون خوري كارنسن فوجد هولاء الاصدقاء كتاب طقوس كنائسية قديم يتضمن هذه الكلمات وهي بعد ان يعتمد الولد فليشترك بسر الافخارستيا وبالكاس ايضًا . فقال زوينكل اذا كان السر يعطى في ذلك الوقت في كنائسنا تحت الشكلين . وذلك الكتاب الذي كان قد مضى عليهِ نحو مئتي سنة كان اكتشافًا عظيمًا لهولاء الخوارنة الالبيين

ان الكسرة الحاصلة في مارغنان احدثت نتائجها الطبيعية في المقاطعات

فان فرنسيس الاول الظافر كان كريمًا في الذهب والتملقات لاجل ربح المقاطعات المتحدة واما الامبراطور فاستحلفهم بشرفهم وبدموع اراملهم وايتامهم وبدم اخوتهم ان لا يبيعوا انفسهم لقاتليهم وصار للحزب الفرنساوي اليد العليا في غلاريس ومن ذلك الوقت صار السكن في ذلك الموطن ثقيلاً على اولريخ

ولو بقي زوينكل في غلاريس لربما لم يكن يتميز عن اهل عصرهِ فان حيل الاحزاب والتعصبات السياسية والمملكة وفرانسا ودوك ميلان كانت تقريبًا قد ابتلعت كل وقتهِ الّا ان الله لا يترك ابدًا في وسط اضطراب العالم اولئك الذين يربيهم لشعبهِ بل يقودهم جانبًا ويضعهم في خلوةٍ حيث يجدون نفوسهم وجهًا لوجه مع الله ويستفيدون تعليمًا لا يفرغ. فان ابن الله نفسهُ الذي هو بهذا الاعتبار رمز للطريق الذي يسوق عبيدهُ فيهِ صرف اربعين يومًا في البرية. وحان الوقت لرفع زوينكل من تلك الحركة السياسية التي بتكرارها الدائم على نفسهِ كانت اطفأت روح الله منهُ واتت الساعة لاعدادهِ لرتبة التي تنازع عليها تابعو الشرفاء والزعماء واصحاب الاغراض وحيث ضاعت من دون فائدة قوةٌ تستحقُ مصلحةً اسمى. فان اهالي بلادهِ احتاجوا الى شيءٍ افضل. وكان ضروريًا ان تنزل من السماء حياة جديدة وان الآلة لنوالها يترك التعليم بالامور الارضية لكي يتعلم الامور السموية لان هذين المذكورين ممتازين امتيازًا تامًا ووهدة متسعة تفصل بين هذين العالمين وقبل ان انتقل زوينكل على التمام من الحيّز الواحد الى الآخر كان لا بد لهُ من التغرب حينًا في بلاد ليست من هذا ولا من ذاك اي في حالة متوسطة استعدادية لكي يتعلم هناك من الله فنقلهُ الله في ذلك الوقت من وسط تحزبات غلاريس وذهب بهِ لاجل امتحانهِ الى منسك منفرد فحبس داخل اسوار ضيقة بزرة الاصلاح هذه الكريمة العتيدة متى نقلت بعد قليل الى ارض افضل ان تغطي الجبال بظلها

الفصل الخامس

دعوة زوينكل . نسخ الكتاب المقدس . زوينكل والقاصدان . اسقف قسطنسيا . شمشون والغفرانات

في نحو منتصف القرن التاسع اجتاز راهبٌ جرماني اسمهُ مينراد من هوهنزولرن بين بحيرة زوريخ وبحيرة والنستادت فاستقرَّ على تلٍ صغير قبالة غابة من الصنوبر وبنى هناك صومعة فضرَّج رجال برابرة ايديهم بدم ذلك الناسك وهكذا بقيت الصومعة المدنسة زمانًا طويلاً مهجورة وبالقرب من آخر القرن العاشر بُنِيَت كنيسة ودير باسم العذراء على تلك الرقعة المقدسة ونحو نصف الليل قبل نهار تكريس الكنيسة كان اسقف قسطنسيا وخوارنتهُ يصلون في الكنيسة فسمعوا بغتةً اصوات تسبيح من جماعة غير منظورة تملأُ الكنيسة فاصغوا ساجدين مندهلين . وفي الغد لما اخذ الاسقف في تكريس البناء سمع صوتًا يقول توقف توقف فان الله نفسهُ قد كرسهُ وتكرر ذلك ثلاثًا وقيل ان المسيح بشخصهِ باركها في الليل وان الاصوات التي سمعوها هي اصوات الملائكة والرسل والقديسين وان العذراء كانت واقفة فوق المذبح تلمع كوميض البرق ومنشورٌ من لاون الثامن نهى المؤمنين عن الشك بصدق تلك القصة ومن ذلك الوقت كان جمهور غفير من السائحين يزورون كل سنة سيدة النساك في عيد تكريس الملائكة . ولم يضاهِ سيدة انسدلن شهرةً الاَّ دلفي وافسس في الازمان القديمة ولورانتو في الازمنة الحديثة والى ذلك المكان الغريب دُعي اولريخ زوينكل سنة ١٥١٦ راعيًا وواعظًا

ان زوينكل لم يتاخر عن تلك الدعوة . قال لا ياخذني الى هناك الطمع ولا البخل بل مداخلات الفرنساويين. على ان اسبابًا اسمى من تلك امالتهُ على

قبول تلك الدعوة . فمن الجهة الواحدة كان منفردًا في هدو والابرشية اصغر فكان لهُ وقت اكثر يصرفهُ في الدرس والتامل ومن الجهة الاخرى تردُّد الجمع من السواح فتح لهُ باب واسع لنشر معرفة يسوع المسيح الى ابعد البلدان

اما اصدقاء الوعظ الانجيلي في غلاريس فاظهروا باصوات عالية شدة حزنهم . قال بطرس نشودي واحد من مشاهير اهالي المقاطعة اية مصيبة تصيب غلاريس شرٌّ من خسارتها رجلًا عظيمًا كهذا . واذ رات رعيتهُ انهُ لا يمكن امالتهُ عن ذلك عزموا على ان يبقوا لهُ اسم راعي غلاريس مع جزء من الاجرة ورخصة الرجوع متى شاء

ان كونراد من ريخبرج المتسلسل من عائلة قديمة وهو رجل رزين حر شجاع مع نوع من الخشونة احيانًا كان من اشهر صيادي البلاد التي ذهب زوينكل اليها وكان قد اقام في احدى ضياعهِ اسطبلًا ربى فيهِ نوعًا من الخيل صارت لهُ شهرة في بلاد ايطاليا . وكان هذا الرجل رئيس دير سيدة النساك وكان ريخبرج يكره على حدٍّ سواء دعاوي رومية والجدالات اللاهوتية وذات يوم في زيارة الرهبنة لُوحِظ عليهِ بعض الملاحظات فقال بنوع من الخشونة انا الراس هنا لا انتم فاذهبوا في حال سبيلكم وفي وقت آخر كان ليون يهوذا يباحث في مسئلة مشكلة مع مدبر الدير وهم على المائدة فقال الرئيس الصياد اتركا جدالكما فاني انا اصرخ مع داود ارحمني يا الله كعظيم رحمتك ولا تدخل في المحاكمة مع عبدك ولا ارغب في ان اعرف شيئًا غير ذلك

وكان مدبر الدير البارون ثيوبالد من غارولدسك رجلًا لطيفًا ذا تقوى خالصة ومحبة عظيمة للعلوم واحب كثيرًا ان يجمع في ديرهِ جماعة من العلماء ولذلك دعا زوينكل واذ كان متعطشًا للتعلم والقراءة طلب من صديقهِ الجديد ان يرشدهُ فاجابهُ زوينكل ادرس الكتب المقدسة ولكي تفهمها على احسن منوال اقرا ما كتبهُ مار ايرونيموس غير انهُ سوف ياتي زمان (وذلك قريب بمعونة الله) لا يعود فيهِ المسيحيون يستندون كثيرًا على مار ايرونيموس

ولا على عالِم آخر بل على كلام الله فقط . وسلوك غارولدسك دل على تقدمهِ في الايمان فانهُ أَذن للراهبات في دير تابع اينسدلن ان يقرانَ الكتاب المقدس في اللغة الدارجة وبعد ذلك ببعض السنين ذهب غارولدسك الى زوريخ وقطن فيها بجانب زوينكل وتوفي معهُ في ساحة كاپل . وتلك العلاقة نفسها علقت ايضًا بزوينكل اشد التعلق زِنك الواعظ والفاضل اكسلين ولوقا وغيرهم من سكان الدير وهولاء الرجال المحبون للدرس اذ كانوا بعيدين بعدًا شاسعًا عن شغب الاحزاب كانوا يتحدون في قراءة الكتب المقدسة واباء الكنيسة وافاضل القدماء وتصانيف الذين احيوا العلوم وتلك الجماعة المسرة كثيرًا ما اتاها اصدقاء من جهات بعيدة ومن الجملة وصل كاپيتو ذات يوم الى اينسدلن فكان الصديقان القديمان من باسل يتمشيان في الدير معًا ويجولان في جوارهِ المستوعر مستغرقين في الحديث يفحصان الكتب المقدسة ويطلبان ان يتعلما مشيئة الله . واتفقوا جميعًا على امر واحد وهو ان بابا رومية لا بد من سقوطهِ وكان كاپيتو في ذلك الوقت اجرا مما كان بعد ذلك

وفي تلك الخلوة الهادية حصل زوينكل على راحة وفراغ وكتب واصدقاء وكان ينمو في المعرفة والايمان وفي ذلك الوقت اي في شهر ايار ١٥١٧ اشرع في مؤلف افادهُ افادة جزيلة . فكما كان في الايام القديمة ملوك اسرائيل ينسخون شريعة الله بايديهم هكذا زوينكل نسخ بيدهِ رسائل مار بولس وفي ذلك الوقت لم يكن يوجد الاَّ نسخ كبيرة الحجم من الكتب المقدسة ورغب زوينكل في حمل هذه الكتب معهُ دائمًا فحفظ تلك الرسائل غيبًا وبعد قليل تعلم كذلك الاسفار الأُخر من العهد الجديد وجزءًا من القديم وكانت نفسهُ تزيد كل يوم محبة لسلطان كلمة الله السامي فلم يقتنع بمجرد الاقرار بهذا السلطان بل عزم عزمًا ثابتًا على اخضاع حياتهِ لهُ فدخل بالتدريج في طريق اكثر مطابقة للديانة المسيحية والمقصد الذي لاجلهِ قد أُتي بهِ الى ذلك القفر كان آخذًا في الكمال . ولاشك ان قوة الحياة المسيحية لم تدخل في كل قواهُ حتى اقامتهُ في زوريخ الاَّ

انهُ في اينسدلن نقدم في التقديس تقدمًا واضحًا . وفي غلاريس كان يشترك في التنعمات العالمية واما في اينسدلن ازداد طلبًا لحياة خالية من كل عيب ومن كل شيءٍ عالي واتضح لفهمهِ مصالح الشعب العظيمة الروحية وتعلم بالتدريج ما قصد الله ان يعلمهُ اياهُ وكان ايضًا للعناية الالهية بجلبها اياهُ الى اينسدلن مقاصد اخرى فانهُ كان عليهِ ان ينظر من قريب لا من بعيد الى الخرافات والمساوي التي كانت قد تغلبت في الكنيسة . فتمثال العذراء المحفوظ بكل حرص في الدير انتسبت لهُ قوة عمل المعجزات وكُتب فوق باب الدير هذه العبارة الوقحة . هنا ينال غفران كامل عن الخطايا . وكان جماهير من السواح يتزاحمون الى اينسدلن من كل اقطار العالم المسيحي لكي يستحقوا هذه النعمة بواسطة سياحتهم في عيد العذراء فامتلأَ الكنيسة والدير والوادي من عابديها الورعين والازدحام الاعظم صار في عيد تكريس الملائكة العظيم فيهِ صعد آلاف كثيرة من الرجال والنساء قطارات طويلة في تعاريج الجبل التي تفضي الى المصلَّى يرتلون نشائد او يصلون على مسابحهم وهولاء السواح الورعون ازدحموا برغبة داخلين الى الكنيسة ظانين نفوسهم اقرب الى الله هناك مما هم في مكان آخر

واقامة زوينكل في اينسدلن نظرًا الى معرفة مساوي البابابوية اثرت فيهِ تاثيرًا يماثل التاثير الذي حصل للوثيروس من زيارتهِ رومية فانهُ في ذلك الدير اكمل عملهُ اللازم لكي يصير مصلحًا فتعلم في اينسدلن ان الله وحدهُ مصدر الخلاص وانهُ موجود في كل مكان وهاتان الحقيقتان صارتا القضيتين الاساسيتين في لاهوت زوينكل والرصانة التي اكتسبتها نفسهُ ظهرت حالاً في اعمالهِ واذ تاثر من معرفة شرور كثيرة بهذا المقدار عزم على مقاومتها بجراءة فلم يتردد بين ضميرهِ وصالحهِ الخصوصي بل تقدم بشجاعة وفصاحتهُ الشديدة ناقضت من دون مراعاة بعض خرافات الجمهور الذي كان محدقًا بهِ . فقال عن المنبر لا تتوهموا ان الله موجود في هذا الهيكل وجودًا اخص من وجودهِ في مكان آخر من الخليقة ايًا كان فمهما كانت البلاد التي تقطنون بها فان الله

محدق بكم ويسمع طلباتكم كما يفعل في سيدة اينسدلن فهل نقدر الاعمال الباطلة والسياحات الطويلة والتماثيل وشفاعة العذراء او القديسين ان تحصل لكم نعمة الله . فماذا تنفع كثرة الكلام التي نقرن بها صلواتنا واية قوة للقلانس المزفرة وللرؤوس المحلوقة وللاردية الطويلة الفاخرة وللاحذية المزركشة بالذهب فان الله ينظر الى القلوب وقلوبنا بعيدة عنهُ

ورغب زوينكل في ان يعمل اكثر من مجرد مقاومة الخرافات بالكلام فاراد ان يروي شدة الظماء الى المصالحة مع الله التي شعر بها كثيرون من الزائرين الذين تزاحموا الى كنيسة سيدة اينسدلن فصرخ نظير يوحنا المعمدان في تلك البرية الجديدة من جبال يهوذا قائلاً ان المسيح الذي قُدّم مرة واحدة على الصليب هو الذبيحة والضحية التي اوفت عن خطايا المومنين الى ابد الدهور . فهكذا تقدم زوينكل وفي اليوم الذي سُمع فيهِ هذا الكلام المملوء شجاعة في اعظم اقداس سويسرا ارتفعت الراية ضد رومية مثل عَلَمٍ على جبالها وحدثت هناك زلزلة اصلاح زعزعتها من اركانها

فامتلأ الجمهور باسرهِ حيرة عند ما سمعوا كلام الخوري الفصيح وانصرف البعض يقشعرون وتردد البعض بين ايمان آبائهم وهذا التعليم الذي تكفل لهم السلام وذهب كثيرون الى يسوع الذي نودي لهم بهِ كوديع ولطيف وارجعوا الشموع التي كانوا قد جاءوا بها لكي يقدموها للعذراء فرجع جمهور من الزائرين الى اوطانهم يبشرون في كل مكان بما قد سمعوهُ في اينسدلن من ان المسيح هو وحدهُ يخلص وانهُ يخلص في كل مكان ومرارًا كثيرة كانت جماهير كاملة عند استماعها هذه الاخبار المذهلة ترجع قبل ان تكمل زيارتها فقل عدد عابدي مريم كل يوم وكانت اجور زوينكل وغارولدسك اكثرها من هدايا الزائرين فشاهد الحق هذا الجسور انسرَّ بخسارة المال اذا امكنهُ ان يغني النفوس بالغنى الروحي

وكان بين سامعي زوينكل الكثيرين في عيد العنصرة سنة ١٥١٨ اكسبرد هيذيو معلم اللاهوت في باسل وهو رجل عالِم ذو اخلاق لطيفة ومحبة حية .

فوعظ زوينكل عن قصة المخلع المتضمنة قول المسيح ان لابن الانسان سلطانًا على الارض ان يغفر الخطايا (لو ص ٥) وهذه الكلمات كانت مناسبة جدًا للتاثير في الجمهور المجتمع في هيكل العذراء فهيجت عظة الواعظ ذلك الجمهور وسبتهُ واثرت فيهِ شديدًا وعلى الخصوص في معلم باسل. وبقي هيذيو بعد ذلك مدة طويلة يتكلم عنها بعجب يقول ما اجمل ذلك الخطاب وما اعمقهُ واهيبهُ واوسعهُ وما اعظم مفعولهُ ومطابقتهُ للانجيل وكم يذكرنا بنشاط العلماء الاقدمين. ومن تلك اللحظة ابتدا هيذيو يعجب بزوينكل ويودهُ. وكان يودُّ لو قدر ان يتكلم معهُ ويكشف ضميرهُ لهُ وطاف حول الدير لم يتجاسر على التقدم اذ كانت تمنعهُ من ذلك كما قال جبانة خرافية ثم ركب فرسهُ وانصرف شيئًا فشيئًا وهو يلتفت مرارًا نحو الدير الذي تضمن كنزًا عظيمًا كهذا وحمل في قلبهِ اشد التاسف

فهكذا وعظ زوينكل ولاشك انهُ وعظ باقل قوة من لوثيروس ولكن باكثر اعتدال منهُ وليس باقل منهُ نجاحًا فانهُ لم يقتحم اقتحامًا. وهيج عقول الناس اقلَّ كثيرًا من المصلح السكسوني وانتظر كل شيء من قوة الحق. وتصرف بحذر نظيرهُ في معاطاتهِ مع رؤساء الكنيسة واذ لم يتظاهر بالعداوة لهم نظير لوثيروس بقي مدة طويلة صديقًا لهم فانهم كانوا يلاطفونهُ جدًّا لالاجل علمهِ ووزناتهِ (فان لوثيروس كان لهُ نفس هذه الحقوق في اعتبار اساقفة منتز وبرندنبرج) ولكن على الخصوص لاجل انحيازهِ الى حزب البابا السياسي ولاجل عظم صولة من مثلهُ في حكومة جمهورية

ان مقاطعات كثيرة اذ كرهت الخدمة البابوية كانت على حافة الانفصال عنها الاَّ ان القصاد زعموا انهم يمنعون ذلك بربحهم زوينكل كما كانوا قد ربحوا ابراسموس بواسطة الاجور والكرامات. والقاصدان انيوس وپوشي زارا مرارًا اينسدلن التي بسبب قربها الى المقاطعات الجمهورية قدروا منها باوفر سهولة ان يتداخلوا معها ولكن زوينكل اذ كان بمعزل عن تضحية الحق لمقاصد رومية

وعطاياها لم يدع فرصة تذهب من دون المحاماة عن الانجيل وشنَّر الشهير
الذي كانت ابرشيتهُ حينئذٍ في حالة الاضطراب صرف مدة من الزمان في
اينسدلن فقال زوينكل يومًا ان البابوية تستند على اساس ردي فواظبوا
العمل وارفضوا جميع الغلطات والمساوي والاَّ فترون كل البناء يسقط
بانسحاق هائل

وتكلم بهذه الحرية نفسها مع الكردينال پوشي فرجع عليهِ ربع مرات وقال
اني بمعونة الله لا اكف عن التبشير بالانجيل وهذا التبشير يزعزع رومية ثم اوضح
للقاصد ما يجب ان يُعمَل لاجل خلاص الكنيسة اما پوشي فوعد بكل شيء
ولكن لم يفعل شيئًا فقال لهُ زوينكل انهُ يريد ان يرفض علوفة البابا فترجاهُ
القاصد ان يقبلها واذ لم يكن زوينكل يريد في ذلك الوقت ان يدخل في
عصيان ظاهر ضد راس الكنيسة رضي بقبولها ثلاث سنين اخرى وقال لا تظن
اني لاجل محبة المال انقض يوطة واحدة من الحق. فخاف پوشي وحصَّل لزوينكل
وظيفة خادم قداس البابا. وذلك خطوة نحو كرامات اسمى. فقصدت رومية
ان تخيف لوثيروس باحكامها وان تربح زوينكل بانعاماتها فكانت ترشق
الواحد بحروماتها وتلقي امام الاخر ذهبها وبهجتها وهذان طريقان مختلفان
للحصول على غاية واحدة ولتسكيت اللسانين الجسورين اللذين تجاسرا رغمًا عن
البابا ان يناديا بكلام الله في جرمانيا وسويسرا والطريق الاخير احذق الاَّ انهُ
لم ينجح ولا واحد منهما فان انفس مبشري الحق المحررة كانت بحيث لا يمكن ان
يصل اليها الانتقام ولا الانعام

وان اسقفًا آخر من سويسرا اسمهُ هوغو من لندنبرج مطران قسنطسيا هيج
بالقرب من ذلك الوقت آمالاً في صدر زوينكل. فامر بافتقاد الكنائس
افتقادًا عامًّا ولكن كان لندنبرج عديم العزم فسلم نفسهُ مرة لراي نائبهِ فابر
ومرة اخرى لراي امراة ردية لم يقدر ان يفلت من سطوتها واظهر احيانًا انهُ
يوقر الانجيل ومع ذلك حسب كل من بشر بهِ بجراءة مشوشًا للشعب فكان من

جملة الناس الموجودين بكثرة في الكنيسة الذين مع انهم يفضلون الحق على الضلال يبدون كرامة نحو الضلال اكثر مما يبدونهُ نحو الحق ومرارًا كثيرة يتحولون ضد الذين كان يجب ان يحاربوا معهم فالتجأ زوينكل اليهِ ولكن كان ذلك باطلاً . واقتضى ان يختبر نفس ما اختبرهُ لوثيروس وان يتحقق عدم افادة طلب مساعدة رؤساء الكنيسة وان الطريق الوحيد لاحياء الديانة المسيحية هو ان يشتغل مثل معلم امين لكلمة الله والفرصة لذلك اتت سريعًا

في شهر آب سنة ١٥١٨ سافر راهبٌ فرنسيسيٌّ اسمهُ شمشون على مرتفعات سنت غوثرد على تلك الطرق المستوعرة التي قُطِعَت بنصب لا يوصف في الصخور العالية التي تفصل بين سويسرا وايطاليا وهو خارج من دير ايطالي حامل الغفرانات الباباوية التي أُعطي لهُ سلطان ان يبيعها للمسيحيين الانقياء من الجمهورية الهلفيتية والنجاح العظيم الذي حصل في ايام الباباوين السابقين اسبغ كرامة على تلك التجارة المشككة ومعهُ اناس مقامون لمدح تلك البضائع التي معهُ للبيع فقطع تلك الثلوج والروابي الجليدية التي هي منذ خلق العالم وهولاء القوم الشرهون الذين كان منظرهم تعيسًا واشبهوا جماعة غزاة يطلبون النهب تقدموا بسكوت الى هدير المجاري القوية التي يتكون عنها الرين والرون والتيشينو وغيرها من الانهر يتاملون باغتنام سكان سويسرا الساذجين . فوصل شمشون الفرنسيسي بجيشهِ اولاً الى اوري وفتحوا هناك بضاعتهم فانتهبوا سريعًا من هولاء الجبليين المساكين واجتازوا الى شويتز وكان زوينكل ساكنًا في تلك المقاطعة وهناك ابتدا القتال بين عبدين لسيدين مختلفين جدًّا. قال الراهب الايطاليُّ نتزلُ سويسرا مخاطبًا اهل العاصمة انا اقدر ان اغفر جميع الخطايا . السماء وجهنم هما خاضعان لسلطاني وابيع استحقاقات المسيح لكل من اشتراها بشرائهِ غفرانًا بدراهم نقدًا

فاضطرمت غيرة زوينكل عند ما سمع بهذه الخطب فنادى بغيرة قائلاً ان يسوع المسيح ابن الله قد قال تعالوا اليَّ ايها المتعبون والثقيلو الاحمال وانا

اريحكم. فاذًا اليس المناداة بعكس ذلك حماقة فظيعة جدًّا وجسارة عظيمة اي اشتروا مكاتيب غفرانات واسرعوا الى رومية واعطوا الرهبان وضحوا للخوارنة واذا فعلتم هذه الاشياء فانا احلكم من خطاياكم . ان يسوع المسيح هو الكفارة الوحيدة والذبيحة الوحيدة والطريق الوحيدة. ولم يمضِ سوى قليل حتى دُعِيَ شمشون في كل شويتز خادعًا ومضلاً فاخذ في طريق زوغ وبقي الخصمان مدةً من الزمان من دون ان يلتقيا

وبعد ما خرج شمشون من شويتز وقعت مصيبة عظيمة على ستاپفر واحد من مشاهير تلك المقاطعة (الذي صار فيما بعد كاتم اسرار المقاطعة) وعلى عائلتهِ فجأةً فخاطب زوينكل بتنهد قائلاً آه انني لا اعرف كيف اسد جوعي وجوع اولادي المساكين. فزوينكل اعطى ورومية اخذت وكان مستعدًّا لممارسة اعمال صالحة كما كان مستعدًّا لمحاربة الذين زعموا ان الخلاص ينال بها فكان كل يوم يحمل الى ستاپفر طعامًا كثيرًا . واذ لم يكن يرد ان ينال المديح لنفسهِ قال ان الله هو الذي يلد الجودة في المؤمنين ويعطي في وقت واحد النية والعزم والعمل نفسهُ. وكل عمل صالح يعملهُ الصديق فان الله يعملهُ بقوتهِ . وبقي ستاپفر متعلقًا بزوينكل كل حياتهِ واذ صار بعد ذلك باربع سنوات كاتم اسرار المقاطعة في شويتز وشعر بنفسهِ باشتياقات اسمى التفت الى زوينكل وقال لهُ بنصاحة اذ كنت انت قد سددت احتياجاتي الزمنية فكم بالاحرى انا الآن انتظر منك الطعام الذي يشبع نفسي

وازدادت اصدقاء زوينكل عددًا فان النفوس التي انفقت معهُ لم تكن في غلاريس وباسل وشويتز فقط بل ايضًا في اورى كان شميدت كاتم اسرار المقاطعة وفي زوغ كولين وموﻻر ووارنر ستينار جندي قديم رفيقهُ في مارغنان وفي لوسرن زياونكت وكنخابر وفي بيان وتمباخ واخرون كثيرون في اماكن اخرى غير تلك . ولكن لم يكن لخوري اينسدلن صديق اخلص من اوسوالد ميكونيوس وكان اوسوالد قد ترك باسل سنة ١٥١٦ لكي يكون ناظرًا لمدرسة

الكنيسة الاولى في زوريخ وفي ذلك الوقت لم يكن في تلك المدينة علماء ولا مدارس علمية فاجتهد اوسوالد مع آخرين كثيرين من اصحاب الخير من جملتهم اوتنجر مسجل البابا في تخليص شعب زوريخ من جهلهم وفي تعليمهم علوم الاقدمين وفي الوقت نفسهِ كان متمسكًا بحق الكتب المقدسة الذي لا يتغير وقال اذا امر البابا والامبراطور بشيء يضادُّ الانجيل فان الانسان يلتزم بطاعة الله فقط الذي هو فوق الامبراطور والبابا

الفصل السادس

ذهاب زوينكل من اينسدلن واقامتهُ في زوريخ

سبعة قرون قبل الحوادث الماضي ذكرها كان كرلوس الكبير قد اضاف جماعة رهبان قانونيين الى كنيسة كرسي زوريخ التي كانت مدرستها تحت تدبير ميكونيوس وهولاء الرهبان اهملوا قانونهم الاصلي ورغبوا في ان يتمتعوا بمداخيلهم في لذات عيشة متراخية فكان من عادتهم ان يختاروا خوريًا يسلمونهُ الوعظ والعناية بالنفوس وفرغت تلك الوظيفة من بعد وصول ميكونيوس بمدة قصيرة فافتكر ميكونيوس حالاً بصديقهِ وبعظمة ربح زوريخ من ذلك وكان ظاهر زوينكل يناسب ذلك المقام فانهُ كان رجلاً حسنًا ذا اخلاق لطيفة وحديث لذيذ واشتهر لاجل فصاحتهِ وفاق اهل البلاد بحذاقتهِ فتكلم ميكونيوس عنهُ مع فيلكس فراى رئيس المجمع الذي كان مشغوفًا باخلاق زوينكل ومنظرهِ ومع اوتنجر رجل مسن كثير الاعتبار ومع الراهب همان الذي كان رجلاً مستقيمًا سادجًا وكان قد وعظ مدة طويلة ضد الخدمة الاجنبية فمال الى اولريخ وكان آخرون من اهالي زوريخ قد سمعوا زوينكل في اوقات مختلفة يعظ في اينسدلن ورجعوا ممتلئين سرورًا بهِ فانتخاب واعظ لكنيسة الكرسي جعل حركة حالاً بين

كل اهل زوريخ والاحزاب المختلفة ابتداوا يحركون بعضهم بعضًا وكثيرون اجتهدوا نهارًا وليلاً في تحصيل الانتخاب لواعظ سيدة النساك الفصيح فاخبر ميكونيوس صديقهُ بذلك فاجابهُ زوينكل انني يوم الاربعاء القادم احضر الى زوريخ واتغدى هناك وحينئذٍ نتكلم في هذا الامر فحضر حسب وعدهِ ولما ذهب الى زيارة واحد من الرهبان قال لهُ ذلك الراهب اما تقدر ان تاتي وتنادي بكلمة الله بيننا فاجاب اني اقدر ولكن لا آتي ما لم أُدعَ . ثم رجع الى ديرهِ

وتلك الزيارة القت الخوف في معسكر اعدائهِ فالحوا على خوارنة كثيرين ان يعرضوا انفسهم للوظيفة الخالية ورجل سوابي اسمهُ لورنس فابل وعظ عظة امتحانية فشاع الخبر بانهُ قد أُنتخب ولما بلغ ذلك زوينكل قال صدق القول انهُ ليس احدٌ نبيًا في بلادهِ لان سوابيًا يختار على سويسري . انا اعلم ما هي قيمة مديح الناس . وحالاً بعد ذلك وصل الى زوينكل مكتوب من كاتم اسرار الكردينال شنَّر يخبرهُ ان الانتخاب لم يكن قد تم بعد ولكن الخبر الكاذب الذي وصل اولاً الى خوري اينسدلن اغاظهُ ولما علم ان رجلاً عديم الاستحقاق بهذا المقدار نظير فابل طلب تلك الرتبة صار هو نفسهُ اشد رغبة فيها فكتب بذلك الى ميكونيوس فجاوب اوسوالد في اليوم التالي يقول ان فابل لا يزال فابلاً (اي حكايةً كاذبةً لان هذا هو معنى اسمهِ) فقد بلغ اصحابنا انهُ ابو ستة صبيان ولا اعلم كم لهُ من المعاليم معاشًا

اما اعداء زوينكل فلم يحسبوا انفسهم مغلوبين . والجميع كانوا متفقين في مدح سعة مواهبهِ الى الجو الآن البعض قالوا انهُ مغرم جدًا بالموسيقى وقال آخرون انهُ يحب العشرة واللذات وقال غيرهم انهُ كان مرةً شديد الالفة لاشخاص اصحاب دناءة وقرفهُ ايضًا رجل بالفسق . لم يكن زوينكل بلا لوم ولكنهُ كان اقل فسادًا من اكليروس ايامهِ غير انهُ في السنين الاولى من خدمتهِ اطلق اكثر من مرة العنان لنفسهِ في اتباع اهواء الصباء ولا يمكننا بسهولة ان نحكم حكمًا قاطعًا على نفس ساكنة في عشرة فاسدة . وكان في البابوية وبين الخوارنة

شرور ثبتت وابحجت وحكم بانها مطابقة لشرائع الطبيعة وما قاله اينياس سلويوس الذي صار في ما بعد بابا تحت اسم بيوس الثاني يكشف لنا الحالة الدنية للآداب العمومية في تلك الايام قال لم يكن من بلغ ٢٠ سنة وبقي على عفتهِ اي صار الفساد القاعدة المسلمة بها

فبذل اوسوالد جهدهُ في صالح صديقهِ واستعمل كل قواهُ في تبريرهِ ونجح في ذلك وزار الوالي روست وهفمان وفراي واوتنجر ومدح استقامة زوينكل وعفافهُ وطهارة سلوكهِ وثبّت اهالي زوريخ في افكارهم الحسنة نحو خوري اينسدلن وقلما صار التفات الى قصص اخصامهِ فقال الناس الاكثر اعتبارًا ان زوينكل يكون واعظًا في زوريخ وكذلك قال الرهبان ولكن بصوت منخفض فكتب اوسوالد بقلب متشجع قائلاً لا نقطع الامل لاني لم اقطع الامل . الا انهُ اخبرهُ بتقريفات اعدائهِ ومع ان زوينكل لم يكن قد صار رجلاً جديدًا على التمام كان من جملة اولئك الذين انتبهت ضمائرهم اذا سقطوا في الخطية ولا يسقطون فيها من دون توبيخ ضمير وندامة وكان قد عزم مرارًا على ان يسعى بحياة طاهرة وحدهُ بين جنسهِ في وسط العالم وعند ما وجد نفسهُ مشكوًا عليهِ لم يفتخر بكونهِ من دون خطية وكتب الى القانوني اوتنجر يقول اذ لم يكن لي احدٌ يمشي معي في المقاصد التي عزمت عليها بل كثيرون حتى من اولئك الذين حولي يساؤن بها فوا اسفاهُ اني قد سقطت ونظير الكلب الذي يتكلم عنهُ مار بطرس (٢ بط ٢:٢٢) قد عاد الى قيئهِ والرب يعلم باي خجل وكآبة قد رفضت تلك الزلات من صميم قلبي والقيتها امام ذلك الكائن العظيم الذي اعترف لهُ بشقاوتي باكثر طواعية مما اعترف بها للانسان. فاقر زوينكل بانهُ خاطي ولكنهُ برّر نفسهُ من التقريفات المكروهة التي قُرّف بها واعلن انهُ كان ينفي دائمًا ويبعد عنهُ فكر العهر او افساد الاطهار امرين جاريين بكثرة في تلك الايام. قال اني استشهد جميع الذين عشت معهم. فصار الانتخاب في ١١ كانون الاول وخرج لزوينكل سبعة عشر صوتًا من اربعة وعشرين صوتًا . فحان زمن ابتداء

الاصلاح في سويسرا والآلة المختارة التي اعدتها العناية مدة سنين في دبر اينسدلن صارت مستعدةً وحضرت الساعة لانتقالها الى مكان آخر فان الله الذي اختار مدرسة وتمبرج الجديدة في قلب جرمانيا تحت حماية احكم الامراء لكي يدعو لوثيروس الى هناك اختار في هلويتيا مدينة زوريخ المحسوبة راس الجمهورية لكي يضع هناك زوينكل . وهناك كانت لهُ خلطة مع افهم واسدج واقوى وانشط شعب في سويسرا بل ايضاً مع جميع المقاطعات التي كانت محدقة بتلك المقاطعة القديمة القوية واليد التي قادت راعياً شاباً من السنتيس الى مدرسة وبسن صيرتهُ قوياً في الكلام والعمل امام الجميع لكي يجدد امتهُ وكانت زوريخ عتيدة ان تصير مركز النور لكل سويسرا

وكان يوم فرح وحزن في اينسدلن لما بلغ اهاليها انتخاب زوينكل والالفة التي انتظمت هناك كانت عتيدة ان تنحل بواسطة انتقال احسن اعضائها ومن يكفل ان الخرافات لا ترجع بعدهُ فتستولي على ذلك المزار القديم . فبعث ديوان شويتز الايالي الى زوينكل بهذه العبارة ايها المحترم العالم العلامة والسيد المنعم جداً والصديق الصالح . وقال غارولدس المنسحق القلب لزوينكل اعطِنا على الاقل خليفة يليق بك . فاجاب زوينكل ان عندي شبلاً صغيراً لكم وهو رجل سادج القلب فطن ومتعمق في اسرار الكتب المقدسة فقال الوكيل انا اريدهُ . اشار الى ليون يهودا ذلك الرجل اللطيف الشجاع الذي كان زوينكل قد عاشرهُ كثيراً في باسل فقبل ليون تلك الدعوة التي جعلتهُ اقرب الى عزيزهِ اولريخ ثم عانق زوينكل اصدقاءهُ وترك وحدة اينسدلن ووصل الى تلك الرقعة البهجة حيث كانت مدينة زوريخ الجميلة النضرة مع تلالها المكسوة بالكروم او المزينة بالمراعي والحدائق والمكللة بالاحراش التي ترى فوقها القمم العليا لجبال الپا

وكانت زوريخ مركز مصالح سويسرا السياسية واجتمع فيها مراراً كثيرة اعظم اصحاب السطوة من الاهالي وهي المكان الانسب لاجراء الاعمال في هلفيتيا

والبذر بزور الحق في جميع المقاطعات ومن ثمَّ تلقى اصدقاء العلم والكتاب المقدس انتخاب زوينكل بالفرح وفي باريس على الخصوص التلاميذ من سويسرا الذين كانوا كثيرين جدًّا امتلأُوا فرحًا عند ما بلغهم الخبر. وكانت غلبة عظيمة امام زوينكل في زوريخ ولكن بعد الجهاد الشاق فكتب اليهِ غلاربن من باريس يقول ارى ان عملك يهيج بغضة عظيمة ولكن كن طيب الخاطر فسوف تذلل العفاريت نظير هرقل

ان زوينكل وصل الى زوريخ في ٢٧ كانون الاول سنة ١٥١٨ ونزل في المنزل المسمى منزل اينسدلن وحظي بترحاب قلبي كريم فاجتمع القانونيون حالًا ودعوهُ الى الجلوس بينهم فجلس فيلكس فراي فوق وجلس القانونيون من اعداء زوينكل واصحابهِ حول رئيسهم هذا من دون تمييز وحدث في المجمع هياج غير مألوف لان كل واحد شعر بما اهم بداءة تلك الخدمة واذ كانوا خائفين من روح هذا الخوري المحب احداث امور جديدة اتفقوا على ان يوضحوا لهُ اهم واجبات وظيفتهِ فقالوا لهُ بهيبة انك تجتهد بكل قدرتك في جمع دخل الرهبان من دون تغاضٍ عن اقل شيء منهُ وتحث المؤْمنين عن المنبر وفي كرسي الاعتراف على دفع كل العشور والمتوجبات وان يبدوا محبتهم للكنيسة بواسطة تقدماتهم وتكون غير متهامل في زيادة الدخل الآتي من المرضى والقداسات وبالاجمال من كل فريضة كنائسية ثم قال المجمع واما خدمة الاسرار والوعظ والاهتمام بالرعية فهذه ايضًا من واجبات الخوري على انهُ يمكنك ان تستخدم عوضًا عنك في ذلك ولاسيما في الوعظ ولا يجب ان تعطي الاسرار الَّا لاصحاب الاشتهار وعند الطلب ولا يجوز لك ان تفعل ذلك من دون تمييز الاشخاص اي ان تعطي الاسرار لكل من طلبها كبيرًا كان او صغيرًا

فيا لها من شروط وُضِعت لزوينكل لاشيء فيها سوى المال فقط فهل قرر المسيح خدامهُ لاجل هذه الغاية . الآن الفطنة لطفت غيرتهُ لانهُ علم بانهُ لا يقدر دفعة واحدة ان يودع الارض البزرة ويرى الشجرة تنمو ويجمع الثمر فلم

يقل شيئًا عن الواجبات التي طُلِبَت منهُ وبعد ان شكرهم على معروفهم نحوهُ بانتخابهم اياهُ اخبرهم بما قصد ان يعملهُ فقال ان حياة المسيح قد بقيت مدة طويلة مخفية عن الشعب فاني ساعظ على كل انجيل متى اصحاحًا بعد اصحاح حسب وحي الروح القدس من دون شروح بشرية آخذًا كل شيء من ينابيع الكتب المقدسة فقط سابرًا اعماقهُ ومقابلاً آية بآية طالبًا الفهم بواسطة الصلاة الدائمة الحارة وانا اكرّس خدمتي لمجد الله ومديح ابنهِ الوحيد وخلاص نفوس الناس وبنيانهم في الايمان الحقيقي . اما هذه العبارات الجديدة فاثرت تاثيرًا عميقًا في المجمع ففرح البعض واما اكثرهم فحزنوا وقالوا ان هذه الطريق من الوعظ هو امر جديد وامرٌ جديد يقود الى امر آخر جديد واين ينتهي بنا الامر. والقانوني هفمان على الخصوص افتكر انهُ يجب عليهِ ان يمنع تلك النتائج المحزنة الصادرة من انتخاب كان هو نفسهُ قد اجتهد فيهِ بهذا المقدار فقال ان تفسير الكتب المقدسة هذا يكون ضررهُ بالناس اكثر من نفعهِ . فاجاب زوينكل انها ليست طريقة جديدة بل انما هي الطريقة القديمة فتذكروا مواعظ فم الذهب على انجيل متى ومواعظ اوغسطينوس على انجيل يوحنا وعدا ذلك اني اتكلم باعتدال ولا اعطي احدًا علة حقيقية للتشكي

وهكذا ترك زوينكل استعمال القطع من الانجيل التي كانت تتلى منذ ايام كرلوس الكبير وبواسطة ترجيعهِ الكتب المقدسة الى حقوقها القديمة ربط الاصلاح من ابتداء خدمتهِ بازمنة الديانة المسيحية القديمة ووضع اساسًا لدرس الكتب المقدسة في الادوار المستقبلة وفضلاً عن ذلك المنزلة الثابتة المستقلة التي اخذها نظرًا الى الانجيل بشرت بعمل جديد فانتصب هذا المصلح بجراءة امام عيون شعبهِ فاخذ الاصلاح في التقدم

واذ قصر هفمان في المجمع كتب الى الوالي يطلب منهُ ان ينهى زوينكل عن تشويش ايمان الشعب فاحضر الوالي الواعظ الجديد امامهُ وكلمهُ بكل محبة ولكن قوة بشرية لم تقدر على سد فم زوينكل وفي ٣١ كانون الاول كتب الى

مجمع غلاريس يتنازل تنازلاً تاماً عن الابرشية التي كانوا حافظينها لهُ الى ذلك الوقت فانهُ كان بجملتهِ لزوريخ وللعمل الذي اعدهُ الله لهُ في تلك المدينة

وفي يوم السبت اول يوم من سنة ١٥١٩ وهو ايضاً يوم ميلاد زوينكل الخامس والثلاثين ذهب الى منبر كنيسة الكرسي وحضر جمهور غفير مشوقاً الى نظر ذلك الرجل المشهور والى استماع هذا الانجيل الجديد الذي كان موضوعاً عمومياً للحديث فقال زوينكل اني الى المسيح ارغب ان اقودكم الى المسيح ينبوع الخلاص الحقيقي فان كلمة الالهية هي الطعام الوحيد الذي اريد ان اضعهُ امام قلوبكم ونفوسكم ثم اخبرهم انهُ في اليوم التالي الذي هو الاحد الاول من السنة يبتدي بتفسير انجيل متى. وفي اليوم التالي حضر جمهورٌ اكثر عدداً ففتح زوينكل الانجيل الذي كان منذ مدة طويلة كتاباً مختوماً وقرأ الصفحة الاولى واذ تكلم عن تاريخ البطاركة والانبياء (مت ص ١) اوضح ذلك لدى فهمهم فصرخ سامعوهُ المتعجبون المسبيون قائلين اننا لم نسمع قط مثل هذا. وهكذا داوم على تفسير انجيل متى حسب المتن اليوناني وبيَّن كيف ان الكتاب المقدس تفسيرهُ وتوجيههُ في نفس طبيعة الانسان واذ ذكر اسمى الحقائق بعبارات بسيطة بلغ وعظهُ الى جميع الرتب اي الى الحكماء والعلماء كما الى الحمقى والجهال واطنب في مدح مراحم الله الاب غير المتناهية وناشد جميع سامعيهِ ان يلقوا كل اتكالهم على يسوع المسيح مخلصهم الوحيد ودعاهم بكل حرارة الى التوبة وقاوم بنشاط الضلالات الموجودة بين شعبهِ ووبخ بشجاعة التنعم والخلاعة والملابس الثمينة وظلم المساكين والكسل وخدمة الاجانب والجوائز من الامراء قال واحدٌ من معاصريهِ انهُ في المنبر لم يوفر احداً لا البابا ولا الامبراطور ولا الملوك ولا الشرفاء ولا الامراء ولا السادات ولا المقاطعات المتحدة نفسها فان كل قوتهِ وكل بهجة قلبهِ كانت بالله ومن ثمَّ حث كل مدينة زوريخ ان تتكل عليهِ وحدهُ. قال اوسوالد ميكونيوس الذي تتبع انعاب صديقهِ بفرحٍ ورجاء عظيمين انهم لم يكونوا قط قد سمعوا انساناً يتكلم بسلطان كهذا

ولم يكن ممكنًا ان الانجيل يُبشَّر بهِ في زوريخ من دون فائدة . والجمهور الذي حضر لاستماعهِ اخذ يتزايد من جميع الرتب وعلى الخصوص من الناس الدون . وكثيرون من اهالي زوريخ كانوا قد انقطعوا عن الذهاب الى العبادة الجهارية . قال فوسلين الشاعر والمورخ ومشير المقاطعة انني لا اكتسب فائدة من مواعظ هولاء الخوارنة فانهم لا يعظون بالاشياء المتعلقة بالخلاص لانهم لا يفهمونها ولا اقدر ان ارى في هولاء الناس الاَّ البخل والخلاعة. وهنري راوشاين خازن المقاطعة الذي كان يقرا دائمًا في الكتب المقدسة كان على هذا الفكر فقال ان آلافًا من الكهنة اجتمعوا في مجمع قسطنسيا لكي يحرقوا افضلهم جميعًا وهذان الرجلان المتميزان اتيا لكي يسمعا عظة زوينكل الاولى على سبيل التفرج فظهر على وجهيهما السرور الذي بهِ اصغيا الى كلام الواعظ ولما انصرفا قالا فليكن الحمد لله ان هذا الرجل هو مبشر بالحق فهو يكون لنا موسى فيخرجنا من هذا الظلام المصري . ومن ذلك الوقت صارا الصديقين للمصلح . قال فوسلين يا اقوياء الارض كفُّوا عن لوم تعليم المسيح فانهُ عند ما قُتِل المسيح ابن الله اقيم صيادو سمك مكانهُ والآن اذا كنتم تقتلون المبشرين بالحق فانكم ترون الزجاجين والطحانين والخزفيين والبنائين والاسكافة والخياطين يعلمون في مكانهم . والى زمانٍ لم يكن في زوريخ الاَّ صوت مدح زوينكل ولكن بعد ما مضت الحمية الاولى رجع الاخصام الى شجاعتهم وكثيرون من اصحاب المقاصد الحسنة اذ خافوا اصلاحًا ابتعدوا عن زوينكل شيئًا فشيئًا وشراسة الرهبان التي خمدت حينًا حميت ايضًا فابتدات مدرسة القانونيين تقدم التشكيات واما زوينكل فلم يتزعزع ولما نظر اصدقاوهُ شجاعتهُ تخيل لهم انهم يرون رجلًا من العصر الرسولي والبعض من اعدائهِ ضحكوا وهزلوا وآخرون تهددوهُ واما هو فاحتمل الجميع بصبر مسيحي وكانت عادتهُ ان يقول اذا كنا نرغب في ان نربح الاشرار ليسوع المسيح يجب ان نطبق عيوننا على اشياء كثيرة فيما لهُ من قول حكيم لا يجب التغافل عنهُ

وكانت اخلاقهُ وتصرفهُ نحو جميع الناس تساعد على قدر خطبهِ في اجتذاب قلوبهم اليهِ. فكان في وقت واحد بعينهِ مسيحيًّا حقيقيًّا وجمهوريًّا حنيقيًّا ومساواة جنس البشر لم يكن عندهُ عبارة اتفاقية بل كان ذلك مكتوبًا في قلبهِ وظاهرًا في سلوكهِ. واذ لم تكن فيهِ تلك الكبرياء الفريسية ولا تلك الخشونة الرهبانية التي تهين على حدٍّ سواء بسطاء هذا العالم وحكماءهُ انجذبوا نحوهُ وارتاحوا بمعاشرتهِ واذ كان جسورًا ونشيطًا في منبرهِ كان رقيقًا نحو جميع الذين التقى بهم في الازقة او في الاماكن المشتهرة وتردد الى النوادي التي اجتمع الناس فيها ومحال التجارات مفسرًا للاهالي اهم امور التعليم المسيحي او مخاطبًا اياهم بانس وكان يخاطب الفلاحين والاشراف بمحبة واحدة. قال واحد من اشد اعدائهِ انهُ دعا اهالي البلاد للاكل معهُ وتمشى معهم وكلمهم عن الله ووضع الشيطان في قلوبهم وكتبهُ في جيوبهم وقد نجح في ذلك الى حد ان معتبري زوريخ كانوا يزورون الفلاحين ويشربون معهم ويفرجونهم على المدينة ويبدون نحوهم كل علامات الاعتبار

ولم يزل يشتغل بفن الموسيقى وذلك باعتدال الآن اعداء الانجيل اتخذوا ذلك وسيلة لكي يلقبوهُ بالانجيلي اللاعب على الكمنجة والمزمار. واذ لامهُ فابر ذات يوم على محبتهِ لذلك اجابهُ بصراحة شريفة يا عزيزي فابر انك لا تعرف ما الموسيقى. نعم اني قد تعلمت اللعب على الكمنجة وغيرها من آلات الطرب وهي تساعدني على تسكيت الاولاد الصغار. واما انت فانك اقدس من ان تكون موسيقيًّا. اولست تعلم ان داود كان لاعبًا حاذقًا بالعود وكيف انهُ بهذه الواسطة طرد الروح الردي من شاول. آه انك لو عرفت الحان القيثارة السموية لكان روح الطمع ومحبة الغنى المستولي عليك يذهب سريعًا عنك ايضًا. ربما كان ذلك ضعفًا في زوينكل الا انهُ بروح بهجة وحرية انجيلية درس تلك الصناعة التي ادخلتها دائمًا الديانة في اخشع انواع عباداتها. ورتب على الموسيقى بعض اشعارهِ المسيحية ولم يخجل من ان يسلي حينًا بعد حين بعض الاصاغر من

ابناء رعيتهِ بواسطة مزمارهِ وتصرف بمثل هذا المعروف نفسهِ نحو الفقراء قال واحد من معاصريهِ انهُ كان ياكل ويشرب مع كل من دعاهُ ولم يكن يحتقر احدًا وكان يحنن على الفقراء وكان دائمًا ثابتًا وفرحًا في السرّاء والضرّاء . ولم تكن مصيبة تزعجهُ وكانت مخاطباتهُ دائمًا مملوءَةً تعزيةً وقلبهُ ثابتًا . فصار حب زوينكل على زيادة اذ جلس تارةً على موائد الفقراء وتارةً على موائد الاغنياء واخرى على ولائم الامراء كما فعل سيدهُ في التديم وعمل في كل مكان العمل الذي دعاهُ الله اليهِ

ولم يملّ من الدرس فانهُ من عادتهِ ان يقرا ويكتب ويترجم من الفجر الى ما قبل الظهر بساعتين ودرس من الخاص في ذلك الوقت العبراني وبعد الغداء استقبل الذين عندهم اخبار يخبرونهُ بها او طلبوا رايهُ ثم دار مع احد اصدقائهِ لاجل زيارة رعيتهِ وبعد الظهر بساعتين عاد الى دروسهِ وتمشى قليلاً بعد العشاء

ثم كتب مكاتيبهُ التي كانت تشغلهُ الى نصف الليل وكان دائمًا يشتغل واقفًا ولم يسمح لاحدٍ ان يقطع شغلهُ الاّ لعلة مهمة في الغاية

واقتضى للظروف التي هو فيها اجتهاد اكثر من رجل واحد . وفي ذات يوم اتاهُ رجل اسمهُ لوشيان معهُ مصنفات المصلح الجرماني فان ريناnوس وهو دارس مقيم في باسل لم يكلّ عن توزيع كتب لوثيروس ارسلها عن يد هذا الرجل الى زوينكل فان ريناnوس لاحظ ان توزيع الكتب هو واسطة قوية لاذاعة التعاليم الانجيلية وكان لوشيان قد سافر في كل سويسرا تقريبًا وعرف كل واحد بالتقريب فقال ريناnوس لزوينكل انظر هل لهذا الرجل فطنة وحذاقة كافية فاذا كان كذلك فدعهُ يحمل من مدينة الى مدينة ومن بلدة الى بلدة ومن قرية الى قرية ومن بيت الى بيت بين اهالي سويسرا كتب لوثيروس وعلى الخصوص تفسيرهُ للصلاة الربانية التي كتبها لاجل منفعة العامة . فانها كلما اشتهرت يكثر الذين يشترونها ولكن اجتهد في منعهِ عن المناداة بكتب

اخر لانهُ اذا كانت معهُ كتب لوثيروس فقط فانهُ يبيعها باكثر سرعة . وبهذه الواسطة دخلت شعاعٌ من النور في بيوت عيال كثيرة ذليلة في سويسرا الّا انهُ كان يجب على زوينكل الاعتناء بتوزيعهِ كتاب آخر مع كتب لوثيروس وهو انجيل يسوع المسيح

الفصل السابع

الغفرانات . شمشون في برن وفي بادن . جهاد زوينكل الداخلي . مضادتهُ الغفرانات

انفتح باب لاظهار غيرة زوينكل في امر جديد فان شمشون بائع الغفرانات المشهور تقدم على مهلهِ الى زوريخ وكان هذا التاجر التعيس قد خرج من شويتز ووصل الى زوغ في ٢٠ ايلول سنة ١٥١٨ وبقي هناك ثلاثة ايام فاجتمع حولهُ جمهور غفير وافقرهم اعظمهم رغبةً فيهِ وبذلك عوقوا الاغنياء عن الوصول اليهِ وذلك لم يوافق مطامع الراهب فاخذ واحد من اعوانهِ ينادي الى الجمهور قائلاً ايها الشعب الصالح لا تزدحموا بهذا المقدار افتحوا طريقًا لاولئك الذين معهم دراهم ونحن في ما بعد نرضي الذين لا شيء عندهم ثم انتقل شمشون واتباعهُ من زوغ الى لوسرن ومن لوسرن الى اونتر والدن ثم بعد ان قطعوا جبالاً مخصبة واودية غنية مارين على حدود ثلوج او برلند المستمرة عرضوا بضائعهم الرومانية في تلك الاقسام الحسنى من سويسرا ووصلوا الى جوار برن فمُنع الراهب اولاً من الدخول الى المدينة ولكن بواسطة بعض اصدقائهِ هناك فاز بالدخول ووضع متجرهُ في كنيسة مار منصور وهناك ابتدا يعج بجمية اكثر من الاول فقال للاغنياء هنا غفرانات على الرق بكرون وهناك حلات للفقراء على قرطاس بباتزين وحضر يومًا امامهُ فارس مشهور اسمهُ يعقوب دي ستين على حصان ازرق مدبج اعجب الراهب جدًّا فقال لهُ الفارس اعطني غفرانًا لي ولجنودي

عددهم خمس مئة ولكل رعيتي في بالب ولجميع اسلافي فاعطيك حصاني هذا الازرق المديح الحربي. وكان ذلك طلب ثمن غالٍ للحصان ولكن بما انهُ اعجب الفرنسيسي اتفقا حالاً فانقاد الجواد الى اسطبل الراهب وحُكم بنجاة جميع النفوس المذكورة الى الابد من جهنم . وفي يوم آخر اشترى منهُ رجل بثلثة عشر فلورينا غفرانًا يمنح سلطانًا لمعرّفهِ ان يحلهُ من خطايا كثيرة من جملتها كل نوع من الحنث وكان شمشون معتبرًا بهذا المقدار حتى ان المشير دي ماي رجلاً مُسنًا متنوّرًا اذ تكلم عنهُ بقلة الاعتبار اضطر ان يطلب العفو من الراهب المتكبر وهو راكع على ركبتيهِ

وفي اليوم الاخير من اقامتهِ نادت رنة الاجراس الزائدة بذهاب الراهب من برن وكان شمشون في الكنيسة واقفًا على درج المذبح العالي والقانوني هنري لوبولوس الذي كان سابقًا معلم زوينكل ترجمانهُ . فالتفت القانوني انسلمس الى المدرّس دي واتيل وقال عند ما يطوف الذئب والثعلب معًا فالاجدر يا سيدي ان تغلق على نعاجك واوزّك ولكن الراهب لم يلتفت الى تلك العبارات التي لم تصل الى اذنيهِ فقال للجمهور المائل الى الخرافات اركعوا وصلوا ثلاث مرات ابانا وثلاث مرات السلام فتطهر نفوسكم حالاً كما كانت عند اعتمادكم . وعند ذلك خرّ كل الشعب راكعين على ركبهم واذ رغب شمشون في تفضيل نفسهِ صرخ قائلاً اني انقذ من عذابات المطهر وجهنم كل نفوس البرنيين الذين قد ماتوا مهما كانت كيفية موتهم ومكانهُ. وهولاء المزعبرون مثل اخوتهم في تلك التجارة ابقوا حيلتهم الحسنى حتى الاخير

فتقدم شمشون مثقلاً بالدراهم نحو زوريخ مارًّا بارغوفيا وبادن وهذا الراهب الذي كان منظرهُ عند ما عبر جبال الپا شقيًّا بهذا المقدار زاد في كل خطوةٍ جبروتًا ورونقًا . اما اسقف قسطنسيا فاغتاظ لان شمشون لم يثبت اوراقهُ عندهُ فنهى جميع خوارنة ابرشيتهِ عن فتح كنائسهم لهُ الآن خوري الرعية في بادن لم يتجاسر على ابداء مضادة شديدة لتجارتهِ فتضاعفت وقاحة الراهب

ومشى في راس موكب حول المقبرة وتظاهر كانهُ يتفرس بشيء في الجو وكان زعماؤهُ حينئذٍ يرتلون المزمور للموتى فادَّعى انهُ راى النفوس تفلت من المقبرة الى السماء وصرخ قائلاً انظروا كيف تطير ودخل يوماً رجل الى برج الجرس وصعد الى اعلاهُ ولم يكن الاَّ قليل حتى غطت ذلك الموكب المنذهل سحابة من ريش ابيض طائراً في الهواء فصرخ ذلك الهازل من البرج انظروا كيف تطير نافضاً وسادة ريش من راس البرج فضحك كثيرون متقهقهين فاغتاظ شمشون ولم يسكن غضبهُ حتى قيل لهُ ان هذا الرجل يعتريهِ جنون احياناً ثم خرج من بادن بالخزي التام

ولم يزل آخذاً في طريقهِ حتى وصل الى بريمغرتن في اواخر شباط سنة ١٥١٩ فدعاهُ كبير الخوارنة الذي كان قد رآهُ في بادن الى بيتهِ وفي كل تلك المقاطعة لم يكن لاحد صيت احسن من صيت الرئيس بولنجر وهذا الرجل مع انهُ كان قليل المعرفة في كلام الله وفي غلطات الكنيسة كان كريماً غيوراً فصيحاً محسناً الى الفقراء ومستعداً دائماً لعمل المعروف نحو اصاغر رعيتهِ وكان محبوباً من الجميع وكان قد اقترن في صبائهِ اقتراناً بالرضى بابنة مشيرٍ في البلدة اسمها حنة وهذا الامر لم يكن غير مألوف بين الخوارنة الذين لم يريدوا ان يعيشوا عيشة منهتكة وكانت حنة قد ولدت لهُ خمسة بنين وهذه العائلة لم تقلل البتة الاعتبار الذي كانوا يعتبرونهُ بهِ ولم يكن في كل سويسرا بيت اضيف للغرباء من بيتهِ وكان مغرماً بالصيد . يخرج ومعهُ سربٌ من كلاب الصيد نحو عشرة او اثني عشر يرافقهُ اكابر هلويل ورئيس موري واشراف زوريخ يجولون في الفلوات والاحراش المجاورة وكانت مائدتهُ ممدودة لجميع القادمين ولم يكن احد من ضيوفهِ اكثر فرحاً منهُ نفسهِ ولما انطلق وكلاء المجمع الى بادن عن طريق بريمغرتن كان دائماً يضيفهم فقالوا ان دار بولنجر كدار اعظم الامراء

وكان الغرباء قد لاحظوا في ذلك البيت ولداً عليهِ هيئة النجابة اسمهُ هنري وهو واحد من اولاد بولنجر . وقاسى اخطاراً كثيرة منذ اول صبائهِ . اصابهُ

الطاعون مرة واذ كانوا اخذين بدفنهِ ظهرت فيهِ بعض علامات الحياة الضعيفة فعاش ومرة اخرى ملَّقهُ صعلوك وانطلق بهِ فعرفهُ بعض المجتازين فانقذوهُ من يدهِ ولما بلغ ثلاث سنين عرف الصلاة الربانية وقانون الرسل وكان يدب الى الكنيسة فيصعد الى منبر ابيهِ ويجلس هناك بوقار ويتلو على اطلاق صوتهِ انا اومن بالله الآب الخ ولما كان ابن اثنتي عشرة سنة ارسلهُ ابواهُ الى المدرسة في اماريك وكانت قلوبهما مملوَّة خوفًا على ابنهما غير المختبر لان تلك الايام كانت كثيرة الاخطار فان التلاميذ اذا استصعبوا قوانين المدرسة كانوا مرارًا كثيرة يخرجون من المدرسة جمعًا غفيرًا اخذين معهم اولادًا صغارًا ويعسكرون في الاحراش من حيث يرسلون اصاغرهم سنًّا لكي يستعطوا لهم خبزًا او يهجمون بالسلاح على المسافرين وينهبونهم ثم يصرفون غنيمتهم في الخلاعة الَّا ان هنري حفظتهُ العناية من الشر في ذلك المكان البعيد وكان نظير لوثيروس يحصّل خبزهُ بالترتيل من باب الى باب لان اباهُ اراد ان يعيش بواسطة اجتهاداتهِ خاصةً وعند ما فتح الانجيل كان ابن ست عشرة سنة. قال قد وجدت هناك كل ما هو ضروري لخلاص الانسان ومن ذلك الوقت تمسكت بهذا المبدا وهو انهُ يجب علينا ان نتبع الكتب المقدسة وحدها ونرفض كل الزيادات البشرية فاني لست اصدق الآباء ولا نفسي ولكني افسر الكتب المقدسة بالكتب المقدسة من دون زيادة ولا نقصان. وهكذا اعدَّ الله ذلك الفتى المزمع ان يكون خليفة زوينكل وهو صاحب التاريخ الذي عولنا عليهِ في هذا الكتاب

وبالقرب من ذلك الوقت وصل شمشون الى بريمغرتن مع كل موكبهِ اما بولنجر الجسور الذي لم يُخِفهُ ذلك الجيش الايطالي القليل فمنع الراهب من بيع تجارتهِ في ابرشيتهِ . فاجتمع ناظر المعارف ومجمع المدينة وثاني الراعي وهم جميعًا اصدقاء شمشون والتقوا بعضهم ببعض في محل من المنزل الذي نزل شمشون فيهِ وبقلق عظيم في نفوسهم اجتمعوا حول ذلك الراهب الملحّ عند ما وصل

ثاني الاسقف اي بولنجر. فقال لهُ الراهب ها هي اوامر البابا فافتح ابواب كنيستك

فقال بولنجر انني لا اسمح بان تفرغ اكياس رعيتي بواسطة مكاتيب غير شرعية لان الاسقف لم يثبتها

فقال الراهب برصانة ان البابا هو فوق الاسقف فانا انهاك عن اعدام رعيتك مثل هذه النعمة العظيمة

فقال بولنجر انا لا افتح كنيستي ولو كلفني ذلك فقد حياتي

فقال الراهب بغضب ايها الخوري العاصي اني باسم سيدنا الاقدس البابا احكم عليك بالحرم الكبير ولا احالك حتى تفي عن هذه الجسارة التي ليس لها نظير ثلاث مئة ليرا

فقال بولنجر وحوّل ظهرهُ وخرج من المحل انا اعلم كيف اجاوب روسائي واما انت وحرمك فلا ابالي بواحد منكما

فحنق الراهب وقال ايها الوحش الوقح اني منطلق الى زوريخ وهناك اقدم شكواي امام وكلاء الجمهورية

فقال بولنجر الدرب مفتوح لي ولك وانا ايضًا انطلق الى هناك في الحال وبينما جرت هذه الحوادث في بريمغرتن راى زوينكل العدوّ يقرب بالتدريج فنادى بجرارة ضد الغفرانات وشجعهُ فابر نائب قسطنسيا ووعدهُ بمساعدة الاسقف. واذ كان شمشون متوجهًا نحو زوريخ قال انا عالم ان زوينكل سيتكلم ضدي ولكني ساسد فاهُ. والواقع ان زوينكل شعر بحلاوة مغفرة المسيح شعورًا عميقًا جدًّا قواهُ على مقاومة اوراق الغفران التي كانت بيد هولاء القوم الحمقى وهو نظير لوثيروس ارتعد كثيرًا من جراء خطيتهِ ولكنهُ وجد بالرب نجاةً من كل خوف وهذا الرجل المحتشم الثابت العزم نما في معرفة الله وقال عند ما يخيفني الشيطان بصراخهِ انك لم تعمل هذا او ذاك الذي امر بهِ الله للوقت يعزيني صوت الانجيل اللطيف بقولهِ ما لا تقدر ان تعملهُ (وحقًّا انك لا تقدر ان تعمل

شيئًا) قد عملهُ المسيح واكملهُ ثم استتلى الانجيل النقي قائلاً نعم انهُ عند ما يضطرب قلبي بسبب عجزي وضعف جسدي ينتعش روحي عند سماع هذه البشائر المفرحة وهي المسيح هو طهارتك المسيح هو برك المسيح هو خلاصك وانت لست بشيء ولا تقدر ان تعمل شيئًا. اما المسيح فهو الالف والياء. المسيح هو الاول والآخر المسيح هو كل الاشياء. ان جميع المخلوقات تتركك وتخدعك واما المسيح الطاهر البار فانهُ يقبلك ويبررك. نعم هو هو برنا وبر جميع الذين سوف يظهرون ابرارًا امام عرش الله

وامام مثل هذه الحقوق سقطت الغفرانات من تلقاء نفسها ومن ثم لم يخف زوينكل من مقاومتها فقال لاحد يقدر ان يغفر الخطايا ولكن المسيح الذي هو اله وانسان حقًا هو وحدهُ لهُ هذا السلطان. اذهبوا اشتروا غفرانات ولكن كونوا متحققين انكم لا تحلون بها والذين يبيعون غفران الخطايا بالمال هم اصحاب سيمون الساحر واصدقاء بلعام ورسل الشيطان

وثاني الاسقف بولنجر الذي لم يزل مضطرمًا من الخطاب الذي جرى بينهُ وبين الراهب وصل الى زوريخ قبلهُ لكي يلقي امام المجمع تشكياتهِ ضد ذلك التاجر الوقح وضد تجارتهِ فوجد هناك بعض الوكلاء من قبل الاسقف حضروا لاجل ما حضر لاجلهِ هو فاشترك معهم ووعدوا جميعًا بمساعدتهِ والروح الذي حرك زوينكل ملأ المدينة ومجمع الايالة عزم على منع الراهب من الدخول الى زوريخ

وكان شمشون قد بلغ الى جوار المدينة ونزل في خان وبينما استعد للركوب على حصانهِ لكي يدخل باحتفال وكان قد وضع رجلاً واحدة في الركاب اذا برسل من المجمع وقفوا امامهُ وقدموا لهُ كاس الخمر الاكرامية من حيث انهُ رسول من البابا واخبروهُ ان يعدل عن الدخول الى المدينة فاجاب الراهب ان لي شيئًا اقولهُ للمجمع باسم قداستهِ وكان ذلك منهُ حيلة محضة فاجمعوا لذلك على قبولهِ ولكن بما انهُ لم يتكلم عن شيء الّا الاوامر الباباوية طُرِد بعد ان اضطر

الى رفع الحرم الذي حكم بهِ على ثاني اسقف بريغرتن فخرج من المجمع مزبدًا حنقًا . وبعد ذلك بقليل امرهُ البابا بالرجوع الى ايطاليا . وتقدمتهُ مركبة يجرها ثلاثة احصنة موسوقة بالدراهم التي اختلسها باكاذيبهِ من الفقراء وسبقتهُ على تلك المسالك الصعبة من سنت غوثرد التي كان قد قطعها قبل بثمانية اشهر بلا دراهم ولا عظمة حاملاً اوراقًا قليلة فقط

فالمجمع السويسري ابدى عزمًا اكثر من المجمع الجرماني وذلك لانهُ لم يكن فيهِ اسقف ولا كردينال فمن ثم اذ لم يكن للبابا هولاء المساعدون فيهِ تصرف باكثر لطافة نحو سويسرا مما فعل نحو جرمانيا . في كل مكان وزمان الاكليروس اعوان البابا يصدون عن كل ما فيهِ خير الجمهور ويريدون ان يبقوا الشعب في حالة الذل لكي يركبوهم . وقضية الغفرانات التي شغلت مكانًا مهمًّا بهذا المقدار في اصلاح جرمانيا انما كانت امرًا عرضيًا في اصلاح سويسرا

الفصل الثامن

جهاد زوينكل واتعابهُ . الوبأ

ان زوينكل لم يوفر نفسهُ ومثل ذلك الجهاد العظيم المستمر استدعى راحة فأُمِر بالذهاب الى حمامات ففرس وعند ذلك قال هيروس واحد من التلاميذ المقيمين في بيتهِ ناطقًا عن حاسيات جميع الذين عرفوا زوينكل ومودعًا اياهُ . آه لو كان لي مئة لسان ومئة فم وصوت من حديد كما قال ڤرجيليوس او بالحري لو كانت لي فصاحة شيشرون ما كنت اقدر ان اصف كل ما انا مديون بهِ لك ولا ان اصف الالم الذي يسببهُ لي هذا الانفصال . فانصرف زوينكل ووصل الى ففرس مارًّا في ذلك المضيق المهيب الذي احدثهُ نهر يامينا السريع الجريان فانحدر الى تلك الوهدة الجهنمية كما لقبها دانيال النساك

ووصل الى تلك الحمامات التي ترتج دائمًا بسبب سقوط ماء النهر وترشها بنقط المياه المنتثرة . واقتضى ايقاد مصابيح عند الظهيرة في البيت الذي نزل فيهِ زوينكل وزعم الاهالي ان الاخيلة المرعبة تظهر احيانًا في وسط الظلمة

ومع ذلك وجد هناك ايضًا فرصة لخدمة سيدهِ وسهولة اخلاقهِ اجتذبت قلوب كثيرين من الضعفاء من جلتهم الشاعر المشهور فيلبس انجتينوس معلم في فريبرج من بريسغو الذي صار من ذلك الوقت عاضدًا غيورًا للاصلاح . فان الله سهر على عملهِ وقصد تعجيلهُ . وكان زوينكل قوي البنية والطبيعة والمواهب وزلتهُ هي الاعتماد على تلك القوة فاقتضى ازالتها لكي يصير آلةً يحبها الله واحتاج الى معمودية المصائب والضعف والمرض والالم . فان لوثيروس اعتمد تلك المعمودية في ساعة الكآبة تلك التي فيها كان مخدعهُ وماشي ارفورث الطويلة ترد صدى صراخهِ المولم واما زوينكل فقضي عليهِ بقبولها بواسطة مصادمتهِ المرض والموت . وفي قصص ابطال هذا العالم مثل كرلوس الثاني عشر ونابوليون ساعة ترجح طريقهم وشهرتهم وهي التي فيها تُعلَن لهم قوتهم بغتةً ومثل تلك الساعة في حياة ابطال الله الّا انها في الجهة المقابلة اي التي فيها يطَّلعون على عجزهم وكونهم لاشيء ومن تلك الساعة ينالون قوة الله من العلاء والعمل الذي كان زوينكل عتيدًا ان يكون آلةً له لا يكمل ابدًا بقوة الانسان الطبيعية لانها تذبل حالاً مثل شجرة منقولة بعد ما كبرت فان الغرس لابدَّ من ان يضعف والّا فلا يتاصل والحبة يجب ان تموت في الارض قبل ان تثمر فحمل الله زوينكل والعمل الذي كان متوقفًا عليهِ الى ابواب القبر لانهُ تعالى يرتضي ان يختار من بين عظام الموت اليابسة وظلمتهِ وترابهِ الآلات التي يقصد ان ينشر بواسطتها على الارض نورهُ وتجديدهُ وحياتهُ

فاستتر زوينكل بين تلك الصخور العظيمة التي تحيط بنهر يامينا العظيم فبلغهُ بغتةً ان الطاعون او الموت العظيم كما سُمّي في تلك الايام قد ظهر في زوريخ بكل اهوالهِ في شهر آب في عيد مار لورنس وبقي الى عيد القناديل بعد ان

اهلك الفين وخمس مئة نفس من سكانها وكان الشبان المقيمون في بيت زوينكل قد تركوهُ حالاً حسب اوامرهِ فكان بيتهُ مقفرًا ولكن حان اوان رجوعهِ اليهِ فترك ففرس بسرعة وعاد الى خرافهِ الذين كان الطاعون قد اخذ عشرهم . اما اخوهُ الاصغر اندراوس الذي كان ينتظرهُ فارسلهُ الى ويلدهوس ومن ذلك الوقت تفرغ على التمام الى خدمة المصابين بتلك الضربة المهولة وكان كل يوم ينادي بالمسيح وتعزياتهِ للمرضى وفرح اصدقاؤهُ عند ما راوهُ لاتلحقهُ مضرة في وسط سهام مميتة كثيرة هكذا الاَّ انهم كانوا خائفين عليهِ في الباطن . فكتب لهُ كونراد برونر مكتوبًا من باسل ثم توفي بالطاعون بعد ذلك بمدة وجيزة قال اكمل واجباتك ولكن في الوقت نفسهِ لا تغفل عن الاهتمام بصحتك. ولكن تلك النصيحة اتت بعد اوانها فاصيب زوينكل بالطاعون وواعظ سويسرا الشهير أُلقي على فراش ترايا انهُ لن يقوم منهُ فاتجهت افكارهُ الى داخل وعيناهُ نحو السماء وعلم ان الله قد اعطاهُ ميراثًا امينًا فعبَّر عن احساسات قلبهِ ببعض الاشعار المملوة ورعًا وبساطة قال ما معناهُ

ها على الباب اسمع قرعة الموت فكن لي ترسًا يا ربِّ قوتي وصخرتي
وارفع يا يسوع اليد التي سمرت مرةً على الخشبة وظللني
هل تغلبني ايها الموت في ظهيرة عمري فلتكن ارادة الرب
عساني اموت لاني لك وبيتك قد جُعِل لايماني كايماني

وفي اثناء ذلك زاد مرضهُ قوةً واصدقاؤهُ الآيسون نظروا ذلك الرجل رجاء سويسرا والكنيسة يكاد يسقط فريسةً للقبر وغابت حواسهُ وتلاشت قوتهُ وجزع قلبهُ الاَّ انهُ التفت الى الله وصرخ قائلاً

ان اوجاعي تتزايد فقف يا رب قريبًا فان الجسد والنفس يخلان من الخوف

الآن الموت قريب ولساني اخرس . فحارب عني يا رب فقد انت ساعتي
انظر شرك الشيطان مبسوطًا عليَّ وانا اشعر بيدهِ . هل لا بد من هلاكي

ان سهامهُ وصوتهُ لا تخيف بعد . لانني مضطجع ههنا امام صليبك
والقانوني هفمان المتمسك بخلوص بمذهبهِ لم يحتمل ان يرى زوينكل يموت في الضلالة التي كان قد نادى بها فذهب الى رئيس المجمع وقال لهُ تامل بالخطر المعرضة لهُ نفسهُ . ألم يَسِم بالبدع والاوهام جميع العلماء الذين علموا هذه الثلاث مئة والثمانين سنة الماضية كاسكندر هالس وبوناونتورا والبرتوس مانيوس وتوما اكوينا وجميع اللاهوتيين . الا يذهب الى ان تعاليمهم هي احلام قد حلموا بها داخل اسوار اديرتهم اه كان احسن لزوريخ لو خرب زوينكل كرومنا وحصادنا مدة سنين كثيرة فهو الآن على باب موتهِ فاترجاك الآن ان تخاص نفسهُ المسكينة . والظاهر ان الرئيس الذي كان اكثر تنورًا من القانوني هفمان لم يرَ ضرورة ترجيع زوينكل الى بوناونتورا والبرتوس مانيوس فترك مرتاحًا من ذلك القلق

اما المدينة فامتلأَت حزنًا وصرخ المؤْمنون الى الله ليلاً ونهارًا يصلون اليهِ ان يشفي راعيهم الامين وامتد الخوف من زوريخ الى جبال توكنبرج لان الطاعون كان قد ظهر حتى على تلك الجبال الشامخة ومات سبعة او ثمانية انفار في القرية من جملتهم خادم نيقولاوس اخي زوينكل ولم تاتِ كتابة من المصلح فكتب اندراوس زوينكل يقول اخبرني في اي حال انت يا اخي العزيز فان الرئيس واخوتنا الاعزاء يسلمون عليك . والظاهر ان ابوي زوينكل كانا قد توفيا لانهما لم يُذكَرا في مكتوب اخيهِ . وخبر مرض زوينكل حتى خبر موتهِ ايضًا انتشر في جرمانيا وسويسرا فصرخ هيذيو بالدموع والاسفاه ان حافظ بلادنا وبوق الانجيل ورسول الحق العظيم العقل قد قُطِع في عنفوان صبائهِ . ولما بلغ خبر موت زوينكل الى باسل امتلأَت المدينة باسرها من اصوات النوح والنحيب

ثم ان جذوة الحياة التي كانت لم تزل باقية فيهِ ابتدات تضطرم ايضًا ومع ضعف جسمهِ شعرت نفسهُ باقتناع وطيد بان الله قد دعاهُ لكي يرجع سراج كلمتهِ الى منارة الكنيسة الفارغة . فترك الطاعون غنيمتهُ وصرخ زوينكل بخشوع قائلاً

يا الهي وخالقي اذ قد شفيتني بيمينك اقف ايضاً على الارض
فليتني اعتق من الاثم والخطية لكي يرتل فمي بتسبيحك وحدك
ان الساعة غير المعلومة سوف تدهمني وربما كانت مغشية بظلام اكثف
فلا باس اني احمل بفرح نيري الى ان ابلغ كرة السماء

وفي اوائل تشرين الثاني حالما صار زوينكل قادرًا على استعمال القلم كتب الى عائلته وفرح اصحابهُ بكتابتهِ فرحًا لا يوصف ولا سيما اخوهُ الفتى اندراوس الذي مات بالطاعون في السنة التالية وقد بكاهُ عند ذلك زوينكل بتنهدات فوق ثكل الثكلى كما عبّر هو عن نفسهِ وكان كونرد برونر صديق زوينكل وبر ونوامر باخ الطباع المشهور قد ماتا في باسل في شبابهما بعد مرض ثلثة ايام والمصدّق في تلك المدينة ان زوينكل ايضًا قد سقط فحزنت المدينة اشد الحزن وقالوا ان الذين تحبهم الآلهة يموتون صغارًا ولكن من يقدر ان يصف فرحهم عند ما جاء كولنس تلميذ من لوسرن وبعدهُ تاجر من زوريخ بخبر صحة زوينكل ونجاتهِ من انياب الموت. ونائب قسطنسيا يوحنا فابر صديق زوينكل القديم الذي صار في ما بعد خصمهُ الالد كتب اليهِ يقول اه. يا عزيزي اولريخ كم حصل لي من الفرح عند ما بلغني انك قد نجوت من قبضة الموت القاسي وعند ما تكون في خطر يكون صالح الديانة المسيحية في خطر ايضًا فان الرب قد سُرّ ان ينذرك بهذه البلايا لتطلب باكثر حرارة الحياة الابدية

وهذا هو بالحقيقة المقصود من تلك البلايا التي جرّب بها الله زوينكل وحصلت تلك الغاية ولكن بطريق مختلفة عما توهمهُ فابر وذلك الوباء الذي حدث سنة ١٥١٩ واحدث خرابًا هكذا هائلاً في شمالي سويسرا كان في يد الله واسطة قوية لتوبة نفوس كثيرة ولم يؤثر ذلك في احدٍ كما اثر في زوينكل فان الانجيل الذي الى ذلك الوقت كان عندهُ تعليمًا فقط صار حقيقة عظيمة وقام من ظلام القبر بقلب جديد وصارت غيرتهُ اقوى وسيرتهُ اقدس وتبشيرهُ احرّ واقوى واكثر مطابقةً للديانة المسيحية وفي ذلك الوقت انعتق انعتاقًا تامًّا

فكرس من ذلك الوقت فصاعدًا نفسهُ على التمام لله والاصلاح في سويسرا حصل على حياة جديدة في نفس الوقت الذي فيهِ اصابت المصلح تلك الضربة من الله اي الموت العظيم اذ مرت على تلك الجبال ونزلت الى ود يانها اكسبت الحركة الحاصلة هناك صفة اقدس فالاصلاح وزوينكل اعتمدا بمياه الضيق والنعمة وخرجا انقى وانشط وكان يومًا يستحق الذكر في مشورات الله لاجل تجديد ذلك الشعب

فنال زوينكل قوة جديدة كان محتاجًا اليها جدًّا وذلك من الشركة مع اصدقائهِ فانهُ كان متحدًا مع ميكونيوس على الخصوص باقوى المحبة فكانا يسيران مستندين بعضهما على بعض مثل لوثيروس وملانكثون وكان اوسوالد مغبوطًا في زوريخ نعم كان في ضيق غيران ضيقهُ تلطف بفضائل زوجتهِ المحتشمة. وهي التي قال عنها غلارين لو صادفت فتاةً نظيرها لفضلتها على ابنة ملك الاَّ ان منبهًا امينًا كان مرارًا كثيرة يقلق محبة زوينكل وميكونيوس الحلوة وهو القانوني زيلونكت يدعو اوسوالد الى الرجوع الى لوسرن مسقط راسهِ فقال ان زوريخ ليست بلادك بل لوسرن هي بلادك . انت تقول ان الزوريخيين هم اصدقاؤك وانا لست انكر ذلك أَ تعلم ماذا تكون نهاية ذلك . فاخدم بلادك. هذا ما انصحك واترجاك بهِ ولو قدرت لامرتك بهِ . واقرن زيلونكت الاقوال بالاعمال وحصَّل لاوسوالد وظيفة رئيس المعلمين في مدرسة لوسرن فلم يتاخر اوسوالد عن ذلك لانهُ راى اصبع الله في ذلك العمل واعتمد على اقتحام الخسارة ولو كانت عظيمة . وقال في نفسهِ من يعلم انهُ لا يكون في ما ياتي من الزمان آلةً بيد الرب لادخال تعليم السلام في مدينة لوسرن الحربية . فما كان اغمَّ وداع زوينكل وميكونيوس فانهما افترقا بالدموع وكتب اولريخ الى صديقهِ بعد ذلك بقليل يقول ان ذهابك قد اوقع بالعمل الذي انا محامٍ عنهُ ضربة كالتي تقع على عسكر في ميدان القتال عند هلاك احد جانحيهِ فانني الآن اشعر بكل قيمة ميكونيوس وكم مرة من دون ان اشعر بذلك قد عضد عمل المسيح

وشعر زوينكل بفقد صديقهِ بنوع خصوصي لان الطاعون كان قد تركهُ في ضعف كلي وكتب في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٥١٩ قد اضعف ذاكرتي واذل قواي . وقبلما حصل على الشفاء التام اخذ في مباشرة واجباتهِ قال عند ما اعظ مرارًا كثيرة اضيع موضوع خطابي فان جميع اعضائي معذبة بالضعف وانا كجثة تقريبًا. وعدا ذلك مضادة زوينكل للغفرانات هيجت علاوة احزانها وكان اوسوالد يشجع صديقهُ بمكاتيبهِ التي كتبها اليهِ من لوسرن . أفما اعطى الله في تلك الساعة عينها عربون عونهِ بالحماية التي اعطاها في سكسونيا للبطل الشديد الذي فاز بغلبات عظيمة بهذا المقدار على رومية فقال ميكونيوس لزوينكل ما هو رايك في امر لوثيروس اما انا فاني لست اخاف عليهِ ولا على الانجيل . اذا كان الله لا يحفظ حقهُ فمن يحفظهُ . فكل ما اطلبهُ من الرب هو انهُ لا يرد يدهُ عن اولئك الذين لا يفضلون شيئًا على الانجيل فواظب ما ابتدات بهِ فيسبغ عليك جزاء جزيلاً في السماء

ان وصول صديق قديم لزوينكل عزاهُ عن فراق ميكونيوس . وذلك ان بنزلي الذي كان معلم اولريخ في باسل وكان قد خلف ثاني اسقف ويسن عم المصلح زار زوريخ في اول جمعة من سنة ١٥٢٠ وعزم هو وزوينكل على الانطلاق الى باسل لكي يزورا اصدقاءهما واقامة زوينكل في تلك المدينة لم تكن من دون ثمرة . وكتب يوحنا غلوثر بعد ذلك قليلاً يقول آه يا عزيزي زوينكل انني لا اقدر ان انساك ابدًا لانني مديون لك على ذلك المعروف الذي جئت بهِ لاجل زيارتي وانت في باسل مع انني معلم مدرسة حقير ومجهول ومن دون علم ولا استحقاق وفي حالة دنية وقد شغفت لبي تلك اللطافة والسلامة التي لا توصف التي تخلب جميع القلوب لا بل الحجارة ايضًا اذا ساغ ان اتكلم هكذا . واصدقاء زوينكل القدماء استفادوا اكثر من ذلك بزيارتهِ فان كابيتو وهيديو وكثيرين آخرين انشغفوا بعباراتهِ القوية وابتدأ الاول في باسل بعمل يشبه ما عملهُ زوينكل في زوريخ فاخذ يشرح انجيل متى للجماعة لم تزل

تتزايد دائمًا فدخل تعليم المسيح في قلوبهم واضرمها والشعب قبل ذلك بفرح وحُيِّي احياء الديانة المسيحية باصوات التهليل . وكان ذلك فجر الاصلاح ومن ثمَّ قام جمهور من الخوارنة والرهبان ضد كابيتو وفي ذلك الوقت البرت اسقف وكردينال منتز الفتى اذ رغب في اجتذاب عالمٍ كبير كهذا اليهِ دعاهُ الى ديوانهِ واذ راى كابيتو الصعوبات الحائلة دونهُ قبل دعوتهُ فهاج الشعب وغضبوا على الخوارنة وحدثت حركة عظيمة في المدينة . واعتمدوا على هيذيبو خليفة الّا ان البعض احتجوا بصغر سنهِ وقال آخرون هو تلميذ كابيتو فقال هيذيبو ان الحق يلسع فلا يأتمن من يجرح الاذان الرخصة بالانذار بهِ . لا باس فانهُ لاشيء يحيدني عن الطريق المستقيم . فضاعف الرهبان اجتهاداتهم ونادوا عن المنابر يقولون لاتصدقوا اولئك الذين يقولون لكم ان جملة التعليم المسيحي موجودة في الانجيل وفي رسائل مار بولس فان سكوتوس كان للديانة المسيحية اكثر افادة من بولس نفسهِ فان جميع المعارف التي قيلت او طُبِعَت قد سُرِقت من سكوتوس وكل ما قدر هولاء الطالبون المجد ان يعملوهُ انما هو مجرد زيادة بعض الكلمات اليونانية او العبرانية لكي يظلموا الامر باسرهِ

فزاد الشغب وخيف من زيادة المقاومة بعد انطلاق كابيتو فقال هيذيبو انني سوف اكون وحدي تقريبًا انا الانسان الضعيف الشقي لكي احارب بدون مساعدة هولاء الوحوش الاردياء . وفي تلك الاحوال طلب المعونة من الله وكتب الى زوينكل يقول قوِّ عزمي بمكاتيب متواترة فان العلم والديانة المسيحية هما الآن بين المطرقة والسندان ولوثيروس قد حُرِم الآن من مدرستي لوفيان وكولون فاذا كانت الكنيسة في خطر عظيم فذلك الآن

وفي ٢٨ ايار انتقل كابيتو من باسل الى منتز وخلفهُ هيذيبو واذ لم يقتنع هيذيبو بالاجتماعات العمومية في الكنيسة حيث كان مواظبًا على تفسير انجيل متى عرض في شهر حزيران كما كتب الى لوثيروس ان تكون اجتماعات خصوصية في بيتهِ لاجل ايضاح التعاليم المسيحية باكثر انسةً للذين شعروا بضروريتها وهذه

الوسيلة القوية للبناء في الحق ولتهييج رغبة وغيرة المؤمنين نحو الاشياء الالهية لابد ان تكون كما كانت في كل زمان علة لتهييج المضادة بين الناس الدنيويين والخوارنة المتسلطين الذين لاسباب مختلفة لا يريدون ان الله يُعبَد الاَّ داخل حدود حيطان معينة واما هيذبو فلم يتزعزع . وبينما هو يوطد عزمهُ الصالح هذا في باسل وصل الى زوريخ شخص من اولئك الاشخاص الذين في جميع الحركات يطرحون كجيفة منتنة على سطح الهيئة الاجتماعية

وذلك ان رجلاً من ارباب المشيخة اسمهُ غرابل ذا اعتبار سامٍ في زوريخ كان لهُ ابن اسمهُ كونرد وكان كونرد من اصحاب العلوم وعدوًّا شديدًا للجهل والخرافات التي كان يقاومها باقطع الهجاء وكان متكبرًا غضوبًا حادًّا سيئ الخلق في كلامهِ وخاليًا من المحبة الطبيعية مبذرًا يتكلم بصوت عالٍ ومرارًا كثيرة يخبر عن طهارة نفسهِ ولم يرَ الاَّ الشر في قريبهِ. وقد ذكرناهُ هنا لانهُ كان عتيدًا في ما بعد ان يعمل عملاً محزنًا وفي ذلك الوقت تزوج ڤاديان باحدى اخوات كونرد الذي كان يتعلم في باريس حيث كان سوء تصرفهِ قد اعدمهُ قوة المشي واراد ان يحضر العرس فظهر بغتةً بالقرب من اواسط حزيران في وسط عائلتهِ فقبل الاب المسكين ابنهُ المبذر بابتسام لطيف وامهُ الحنونة بفيض الدموع ومحبة ابويهِ لم تستطع ان تغير قلبهُ غير الطبيعي واذ وصلت ام كونرد الصالحة بل المنكودة الحظ بعد ذلك الى حافة القبر كتب الى صهرهِ ڤاديان يقول ان امي قد نقهت من مرضها وهي الآن حاكمة في البيت كالسابق تنام وتقوم وتفطر وتخاصم وتتعدى وتجادل وتتعشى وتقلقنا على الدوام وهي تجول وتشوي وتخبز وتجمع وتخزن وتتعب وتزعج نفسها حتى الموت وسوف تنتكس سريعًا. هذا هو الرجل الذي اجترأ بعد حين ان يتكبر على زوينكل وصارت لهُ شهرة كواحد من رؤساء طائفة الخلاعيين وربما سمحت العناية الالهية بظهور مثل هولاء الاشخاص في ابتداء الاصلاح لكي يقابل افراطهم وخلاعتهم بروح المصلحين الحكيم المسيحي المرتب

ان كل الدلائل دلت على ان الحرب بين الانجيل والباباوية كانت قريبة ان تبتدي وكتب هيذبو الى زوينكل يقول دعنا نحرك ابناء الزمان فان الصلح قد نُقِض فلنتدرع لانهُ يلزمنا ان نحارب اشد الاعداء وبمثل ذلك كتب ميكونيوس الى اولريخ ولكن زوينكل اجاب تلك الاستغاثات الحربية بلطافة عجيبة . قال اني اجتذب هولاء القوم العنيدين بالمعروف واعمال المحبة وذلك اولى من ان اقابلهم بمخاصمة عنيفة . لانهم اذا سموا تعليمنا الذي هو بالحقيقة ليس لنا تعليمًا شيطانيًا فان ذلك بجملتهِ امر طبيعي وبذلك اعرف اننا بالحقيقة رسل من قبل الله فان الشياطين لا يقدرون ان يسكتوا في حضرة المسيح

الفصل التاسع

المصلحان . سقوط الانسان . لا استحقاق في الاعمال . قوة محبة المسيح . هو المعلم الوحيد . مقاومة اعداء الانجيل . قتل كالستر

ان زوينكل رغب ان يسلك بلطافة ولكنهُ لم يبقَ من دون عمل وبعد مرضهِ صارت مواعيظهُ اسى وافعل وفوق الفي نفس في زوريخ قبلوا كلمة الله في قلوبهم واعترفوا بالتعليم الانجيلي واستعدوا للتبشير بهِ بانفسهم

وكان زوينكل متمسكًا بنفس الايمان الذي تمسك بهِ لوثيروس الا ان ايمانهُ كان مبنيًا على براهين. فكان ايمان لوثيروس اندفاعًا قلبيًا واما زوينكل فغلب فيهِ وضوح الاحتجاج . وفي كتابات لوثيروس اقتناع داخلي سرّي بقيمة صليب يسوع المسيح لذات شخصهِ وهذا الاقتناع الموعب نشاطًا وحياةً هذا مقدارها احيا كل ما قالهُ ولا شك ان هذا الامر نفسهُ كان في زوينكل ولكن بدرجة اوطا . وانشغف بالحري باتفاق التعاليم المسيحية وسرَّ بها لاجل جمالها الرائق ولاجل النور الذي تسكبهُ على نفس الانسان ولاجل الحياة الابدية التي

انت بها الى العالم . فالواحد تحرك بواسطة القلب والآخر بواسطة الفهم ولهذا السبب الذين لم يختبروا بانفسهم الايمان الذي كان لتلميذي الرب هذين العظيمين قد سقطوا في غلط جسيم اذ قالوا عن الواحد انهُ باطني وعن الآخر انهُ طبيعي وكان احدهما اكثر انفعالاً في ايضاح ايمانهِ والآخر اكثر تفلسفاً الاَّ انهما جميعاً آمنا بحق واحد ولم ينظرا الى المسائل الثانوية نظرًا واحدًا ولكن ذلك الايمان الذي هو واحد ذلك الايمان الذي يجدد ويبرر مالكهُ ذلك الايمان الذي لا يعبر عنهُ اقرار ولا قوانين كان فيهما هو هو بعينهِ وقد حُرّف تعليم زوينكل مرارًا كثيرة جدًّا فيليق النظر الى ما كان يبشر بهِ حينئذٍ الشعبَ الذين تزاحموا يوميًّا الى استماعهِ في كنيسة الكرسي في زوريخ

ان زوينكل وجد في سقوط الانسان الاول مفتاحًا لتاريخ الجنس البشري فقال يومًا ان الانسان قبل السقوط خُلِق بارادة حرة بحيث لو اراد لكان قادرًا على حفظ الشريعة ومرض الخطية لم يكن قد وصل اليهِ بعد وكانت حياتهُ بيدهِ ولكنهُ لما رغب في ان يكون مثل الله مات ولم يمت هو فقط بل كل نسلهِ ايضًا فاذًا بما ان جميع الناس قد ماتوا بآدم لا يقدر احد ان يردهم الى الحياة حتى يقيمهم من الاموات الاَّ الروح الذي هو الله نفسهُ

وسكان زوريخ الذين اصغوا برغبة الى ذلك الخطيب الفصيح احاق بهم الحزن عندما كشف لاعينهم حالة الخطية المستحوذة على جنس البشر الاَّ انهُ سريعًا اسمعهم كلمات التعزية وكشف لهم العلاج الذي وحدهُ يقدر ان يرد الانسان الى الحياة فقال ذلك الواعظ البليغ ان المسيح الذي هو انسان واله حقًّا قد فدانا فداء لا ينتهي الى الابد لانهُ بما ان الذي مات عنا هو ابن الله الابدي تكون آلامهُ ذبيحة ابدية ذات فعل ابدي للشفاء . فانها تفي العدل الالهي الى الابد عن جميع الذين يستندون عليها بايمان ثابت لا يتزعزع . وقال ايضًا حيثما وجدت الخطية فهناك الموت لا محالة واما المسيح فكان بدون خطية ولا في فمهِ غش ومع ذلك مات واحتمل هذا الموت عنا وارتضى ان يموت لكي يردنا الى الحياة . وبما

انهُ لم تكن لهُ خطايا شخصية قد وضع الآب الكلي الرحمة خطايانا عليهِ . ثم قال ايضًا وبما ان ارادة الانسان قد عصت الله العلي فاقتضى لاجل ارجاع الترتيب الابدي وخلاص الانسان ان الارادة البشرية تخضع في اقنوم المسيح للارادة الالهية . ومن عادتهِ ان يذكر مرارًا ان موت المسيح المكفر كان بالنيابة عن المؤمنين اي عن شعب الله

فالنفوس التي كانت في زوريخ في ظمأ الى الخلاص وجدت راحةً عند استماعها صوت هذه البشائر المفرحة الّا انهُ لم تزل في عقولهم غلطات قديمة راسخة اقتضى استئصالها . فابتدأ زوينكل بالقضية العظمى ان الخلاص هو عطية من الله ومن ثمَّ تقدم الى دحض دعوى استحقاق الاعمال البشرية فقال . بما ان الخلاص الابدي يصدر عن استحقاق وموت يسوع المسيح فقط ينتج من ذلك ان استحقاق اعمالنا هو بطلان وحماقة محضة حتى لا نقول نفاق ووقاحة . ولو امكننا ان نخلص بواسطة اعمالنا لما كان ضروريًّا ان يموت المسيح فجميع الذين اتوا الى الله انما اتوا اليهِ بواسطة موت يسوع المسيح

وسبق زوينكل فرأى الاعتراضات التي يُعترَض بها هذا التعليم بين البعض من سامعيهِ فانهم مثلوا امامهُ وقدموها لهُ فاجاب على ذلك من المنبر بقولهِ ان البعض وهم المائلون الى التخفيف اكثر من التقوى يعترضون بان هذا التعليم يجعل الناس متهاملين وسفهاء ولكن ما هي منفعة المخاوف والاعتراضات التي تقدمها وسوسة الناس فان كل من يؤمن بيسوع المسيح يثق بان كل ما ياتي من الله هو بالضرورة صالح ولهذا اذا كان الانجيل من الله فهو صالح . واية قوة غير هذه تقدر ان تغرس البر والحق والمحبة بين الناس . ثم صرخ بورع يا الله الكلي الجودة وابا كل المراحم الكلي الطهارة باي احسان قد احتضنتنا نحن اعداءك وباي امال سامية لا تخيب قد ملأتنا نحن الذين لا نستحق غير اليأس . والى اي مجد دعوت بواسطة ابنك حقارتنا وبطلاننا وانت تشاء بهذه المحبة التي لا توصف ان تجلبنا الى ان نحبك كما احببتنا

وباتباع هذا الفكر يبين كون المحبة للفادي هي شريعة اقوى من الوصايا فقال ان المسيحي اذ يخلص من الشريعة يتكل اتكالاً تامًّا على يسوع المسيح. فان المسيح هو عقلهُ ومشورتهُ وبرهُ وخلاصهُ باسرهِ. فالمسيح يحيا ويفعل فيهِ والمسيح وحدهُ هو قائدهُ فلا يحتاج الى مرشد آخر. ثم قايس مقايسة توافق عقول سامعيهِ بقولهِ اذا كان حكم يمنع رعاياهُ تحت عقاب الموت من قبول اجرة او هبة من ايدي الاجانب فكم تكون تلك الشريعة لطيفة وهينة عند الذين حبًّا ببلادهم وحريتهم يمتنعون باختيارهم من عمل ملوم ولكن بالعكس كم تكون صارمة وقاسية على الذين لا يسالون الأعن صالحهم الخصوصي فهكذا الانسان البار يعيش حرًّا وفرحًا في حب البر والرجل المنافق يسير متذمرًا تحت ثقل حمل الشريعة التي تضايقهُ

وكان في زوريخ اجناد كثيرون مسنون شعروا بصحة تلك الكلمات فقالوا أَليست المحبة هي اقوى مشترع أَليست وصاياها تكمل حالاً. أَليس الذي نحبهُ يسكن في قلوبنا ويجري فيها كل ما قضى بهِ. وعلى ذلك ازداد زوينكل جراءَةً ونادى لاهل زوريخ بان محبة الفادي هي وحدها قادرة على الجاء الانسان الى اكمال الاعمال المقبولة لدى الله وقال ان الاعمال المعمولة خارجًا عن يسوع المسيح هي بلا فائدة واذ كان كل شيءٍ يعمل منهُ وفيهِ وبهِ فماذا نقدر ان ندَّعيهُ لنفوسنا وحيثما وجد ايمان بالله فهناك يوجد الله وحيثما يحل الله فهناك توجد غيرة تحرض وتضطر الناس الى الاعمال الصالحة. فاجتهد اذًا فقط في ان يكون المسيح فيك وان تكون انت في المسيح ولا شك في انهُ حينئذٍ يعمل فيك فان حياة المسيحي هي عمل صالح دائم يبتدئهُ الله ويديمهُ ويكملهُ

واذ كان رسول النعمة هذا متاثرًا تاثرًا عميقًا بعظم محبة الله تلك التي هي منذ الازل رفع صوتهُ بعبارات اقوى داعيًا النفوس المترددة الجبانة فقال أَتخافون ان تدنوا من هذا الآب الحنون الذي اختاركم. فلماذا اختارنا بنعمتهِ ولماذا دعانا ولماذا اجتذبنا نحوهُ أَذلك لكي نخاف الدنو منهُ

فهكذا كان تعليم زوينكل وهو تعليم المسيح نفسهِ وقال اذا نادى لوثيروس بالمسيح فانهُ يعمل ما انا عاملهُ والذين اتى بهم الى المسيح هم اكثر عددًا من الذين اقتدتهم انا ولا باس في ذلك فاني لا احمل اسمًا آخر غير اسم المسيح الذي انا جنديهُ وهو وحدهُ قائدي. لم اكتب قط كلمة الى اوثيروس ولا اوثيروس كتب اليَّ. لماذا. ذلك لكي يظهر وحدية روح الله لاننا كلينا من دون اتفاق سابق نعلم تعليم المسيح باتفاق تام

فهكذا نادى زوينكل بشجاعة وغيرة وقوَّادة وكنيسة الكرسي الكبيرة لم تسع كثرة سامعيهِ وكان الجميع يسبحون الله لاجل الحياة الجديدة التي ابتدات تنعش جسد الكنيسة العديم الحياة وكثيرون من اهالي سويسرا من كل مقاطعة ممن جاءوا الى زوريخ لكي يحضروا المجمع او بداعٍ آخر اذ تاثروا بهذه المناداة الجديدة حملوا بزورها الى بلادهم فكانت اصوات الفرح في كل مدينة وجبل. وكتب نيقولاس هاجيوس من لوسرن الى زوريخ يقول ان سويسرا لم تزل حتى الآن تلد مثل برونوس وشيبيو وقيصر ولكنها بالكد ولدت رجلًا عرف يسوع المسيح حتى اوقات نفوسنا لا بالمحاكمات الفارغة بل بكلام الله. فالآن تلك العناية الالهية قد منحت سويسرا زوينكلًا لاجل الوعظ واوسولدًا لاجل التعليم فالفضيلة والعلوم المقدسة آخذة في الانتعاش بيننا فيا هلوتيثيا السعيدة لو ترتاحين اخيرًا من الحروب وتصيرين مع شهرتكِ بالحروب مشهورة بالبر والسلام. وكتب ميكونيوس الى زوينكل يقول. شاع خبر بان صوتك لا يسمع مسافة ثلاث خطوات ولكني ارى الآن ان ذلك الخبر كاذب لان كل سويسرا تسمعك. وكتب هيذيو من باسل انك قد تدرعت بشجاعة لا تتزعزع فانا اتبعك على قدر طاقتي. وكتب من قسطنسيا هوفميستر من شوفهوسن اني قد سمعتك فعسى زوريخ التي هي راس جمهوريتنا السعيدة تشفى من مرضها حتى يعود كل الجسد اخيرًا الى الصحة

الآن زوينكل صادف اخصامًا كما صادف مادحين فقال البعض لماذا

يشغل نفسهُ بمصالح سويسرا وقال آخرون لماذا يكرر الشيء بعينهِ في كل عظة. وفي كل هذه المضادة كانت الكآبة مرارًا تعتري نفس زوينكل وترايا كل شيء لهُ كانهُ ساقط الى التشويش وظهرت الهيئة الاجتماعية على شفير اضطراب عمومي. وظن انهُ يستحيل ظهور حق جديد من دون ان يظهر حالاً الضلال المناقض. وان نبت رجاء في قلبهِ نما الخوف بجانبهِ الا انهُ طرح سريعًا كآبتهُ وقال ان حياة الانسان هنا على الارض انما هي حرب دائمة فكل من اراد ان ينال المجد يجب ان يقاوم العالم ونظير داود يلزم هذا الجليات المتجرف المفتخر بقامتهِ ان يعض الحضيض. وقال كما قال لوثيروس ان الكنيسة قد افتدت بالدم وبالدم يجب ان تصلح. وبالنسبة الى زيادة نجاساتها يكون اناس نظير هرقل لكي ينظفوا هذه الاسطبلات الاوجيانية. ثم قال اني لست اخاف على لوثيروس ولو ضربتهُ صواعق هذا المشتري الروماني

احتاج زوينكل الى الراحة فانطلق الى مياه بادن وكان خوري تلك البلدة سابقًا من حراس البابا وكان رجلاً لطيفًا لكنهُ جاهل جدًّا ونال معاشهُ هذا بواسطة خدمتهِ في عسكر البابا واذ كان من عادتهِ ان يصرف النهار وجانبًا من الليل في الملاهي ووكيلهُ ستاهيلي لا يكل عن اتمام كل واجبات وظيفتهِ فارسل زوينكل في طلبهِ وقال اني محتاج الى معينين من اهل سويسرا ومن ذلك الوقت صار ستاهيلي شريك اتعابهِ وسكن هو ولوتي (الذي صار في ما بعد راعيًا في ونترهور) تحت سقف واحد

ولم يكن جهاد زوينكل من دون ثواب وكلام المسيح الذي بشر بهِ بهذا المقدار من النشاط كان لا بد ان يحمل ثمرًا فان كثيرين من الولاة ربحوا لانهم وجدوا في كلام الله تعزيتهم وقوتهم واذ كان ارباب المجالس مغمومين من استماع الخوارنة ولا سيما الرهبان يتلفظون من دون حياء عن المنبر كل ما جال في اوهامهم اصدروا امرًا ان لا يبشروا بشيء في مواعيظهم الا ما استفادوهُ من الينابيع المقدسة اي العهد الجديد والقديم وكان اول تداخل الحكم المدني في عمل

الاصلاح في سنة ١٥٢٠ عمل حسب زعم البعض مثل والٍ مسيحي لان اول واجب على الوالي هو ان يحامي عن كلام الله وان يحفظ اغلى امور الرعايا وحسب راي آخرين سلب الكنيسة حريتها اذا اخضعها للسلطة الزمنية وكشف سلسلة الشرور الطويلة المتصلة التي احدثها اتحاد الكنيسة والحكومة . ولسنا نحكم هنا في هذا البحث العظيم الذي يشغل الناس في ايامنا هذه نفسها بحرارة عظيمة في بلدان شتّى بل يكفينا ان نشير الى اصلهِ في عهد الاصلاح . وامر اخر ينبغي ايضاحهُ هو ان عمل هولاء الولاة كان بنفسهِ المناداة بكلام الله فخرج حينئذٍ الاصلاح في سويسرا من حيز الشخصيات وصار عملاً عمومياً واذ ولد في قلوب خوارنة وعلماء قليلين امتد ونهض واقام في مقام اعلى وهو كمياه مد البحر ارتقى بالتدريج حتى غطى مسافة متسعة

واما الرهبان فارتبكوا لانهم قد أُمروا بان ينادوا بكلمة الله فقط واكثرهم لم يقراها قط . ومقاومة واحدة تحرك اخرى فهذا الامر صار راية لاقوى المضادات على الاصلاح . فابتدا الاضداد يحتالون على خوري زوريخ فصارت حياتهُ في خطر واذ كان يوماً زوينكل ومعاونوهُ يتكلمون بهدو في بيتهم دخل بعض الاهالي بسرعة وقالوا هل لكم اقفال قوية لابوابكم . كونوا على حذر هذه الليلة . قال ستاهيلي قد حصل علينا مراراً كثيرة تخويفات كهذه ولكن كنا متسلحين جيداً واقيم خفير في الزقاق لاجل حمايتنا

واستعمل الناس في اماكن اخرى مقاومات اشد فان رجلاً شيخاً صد يقاً من شافهوسن اسمهُ كالستر ولهُ ذكاء نادر لمن من عمرهِ وكان فرحاً بالنور الذي وجدهُ في الانجيل اجتهد في ان يشرك بذلك النور زوجتهُ واولادهُ ومن جراء غيرتهِ التي ربما لم تكن بعقل قاوم جهاراً الذخائر والخوارنة والخرافات التي كانت مالئة مقاطعتهُ فصار سريعاً موضوع البغضة والكراهة حتى لعائلتهِ واذ سبق الشيخ فراى المقاصد الشريرة في حقهِ ترك بيتهُ بقلب منكسر وهرب الى الاحراش المجاورة فبقي هناك اياماً يقتات بما وجدهُ وفي الليلة الاخيرة من سنة ١٥٢٠ راى

مصابيح تلمع في الحرش من كل جهة وسمع جلبة الناس ونبح الكلاب الوحشية في ظلالهِ المظلمة وذلك ان المجاس كان قد امر بصيد عظيم في الحرش لكي يلاقوا ذلك الانسان المنكود الحظ فقبضت الكلاب على فريستها وسُحِب كالستر الشقي الى امام الوالي فأُمِر بانكار ايمانهِ واذ لم ينكل عنهُ قُطِع راسهُ

الفصل العاشر

برثولد هلّر. الحرب في ايطاليا

ان في اول السنة التي ابتدات بالاعمال الدموية المذكورة آنفًا زار زوينكل في زوريخ شابٌ ابن ثمان وعشرين سنة ذو قامة طويلة كان ظاهرهُ يشير الى نصاحة وبساطة ورزانة . فاخبر زوينكل ان اسمهُ برثولد هلّر ولما سمع زوينكل اسمهُ عانق واعظ برن هذا بتلك الرقة التي كان مزينًا بها. وُلِد هلّر في الدنجن في ورتمبرج ودرس اولاً في رتوبل تحت يد روبلوس ثم بفرزهيم حيث كان سملار معلمهُ وملانكثون رفيقهُ في الدرس وكان اهالي برن بالقرب من ذلك الوقت قد عزموا على اجتذاب رجال العلم الى جمهوريتهم التي اشتهرت بهذا المقدار باعمالها في الحروب فذهب الى هناك روبلوس وبرثولد الذي كان حينئذٍ ابن احدى وعشرين سنة فقط وبعد ذلك جُعِل هلّر قانوني كنيسة الكرسي ثم بعد قليل واعظها وكان الانجيل الذي علّم بهِ زوينكل قد وصل الى برن فآمن هلّر وصار من تلك الساعة مشتاقًا الى روية الرجل القوي الذي اعتبرهُ ابًا فذهب الى زوريخ حيث كان ميكونيوس قد اخبر بمجيئهِ وهكذا التقى هلّر وزوينكل . اما هلّر فكان وديعًا فاخبر زوينكل بجميع تجاريبهِ واما زوينكل فكان رجلاً قويًا فقواهُ وشجعهُ . قال برثولد ذات يوم لزوينكل ان نفسي مبتلعة . اني لا اقدر ان احتمل مثل هذه المعاملات الظالمة . فقد عزمت على ترك منبري

والانطلاق الى باسل لكي اشغل نفسي على التمام في درس العلوم المقدسة برفقة وغرايخ فاجاب زوينكل والاسفاهُ وانا ايضًا اشعر بالضعف يستحوذ عليّ عند ما ارى نفسي أُعامَل بغير عدلٍ ولكن المسيح ينبه ضميري بواسطة تحريضات وعيدهِ ووعدهِ القوية فانهُ يخيفني بقولهِ من استحى بي قدام الناس فانا استحي بهِ قدام ابي ويخولني هدوًّا عند ما يستتلي قائلاً ومن اعترف بي قدام الناس فانا ايضًا اعترف بهِ قدام ابي فيا عزيزي برثولد تقوَّ فان اسماءنا مكتوبة باحرف لا تمحى في سفر اهل العلى . وانا مستعد للموت لاجل المسيح . ثم قال يا ليت دبابكم الضارية تسمع تعليم يسوع المسيح فانها حينئذٍ تصير اليفة (اشارة الى صورة الدب المرسومة على ترس برن) ولكنهُ يجب عليك ان تباشر هذه الواجبات باين عظيم لئلاً يرجعوا اليك بشراسة ويمزقوك اربًا فانتعشت قوة هلر وكتب الى زوينكل يقول ان نفسي قد انتبهت من سنتها فيجب عليّ ان انادي بالانجيل فان يسوع المسيح يجب ان يرجع الى هذه المدينة التي نفي منها كل هذه المدة الطويلة. وهكذا اللهيب الذي اضطرم برونق وسطوع في صدر زوينكل اضرم صدر برثولد فثار هلر الجبان الى وسط هولاء الدباب الضارية التي كانت تصر اسنانها وتطلب ابتلاعهُ كما قال زوينكل

وكان الاضطهاد عتيدًا ان يثور في مكان آخر من سويسرا فان لوسرن الحربية برزت نظير عدو متسلح من الراس الى القدم وكان الروح العسكري متغلبًا في تلك المقاطعة المحامية عن الخدمة الاجنبية وروَساء العاصمة كانوا يقطبون وجوههم عند ما سمعوا كلمة صلح لاجل حصر ميلهم الطبيعي الى القتال ولما وصلت كتابات لوثيروس الى تلك المدينة ابتدا بعض الاهالي يقراونها فاقشعروا منها وقالوا الظاهر انها كُتِبَت بيد الشيطان وارتعش تصورهم وتاهت عيونهم وخيّل لهم ان مساكنهم قد امتلأت شياطين يحدقون بهم ويتفرسون فيهم بنظر شذر. فطبقوا الكتاب بسرعة وطرحوهُ جانبًا برعدة اما اوسوالد الذي بلغتهُ اخبار هذه المناظر الغريبة لم يكن يذكر قط اسم لوثيروس الاّ لاصدق

اصدقائهِ وكان مكتفيًا بمجرد المناداة بانجيل المسيح الّا انهُ مع كل هذه الملاطفة سمع صراخ عظيم في المدينة يقول يجب ان نحرق لوثيروس ومعلم المدرسة اي ميكونيوس. فقال اوسوالد لاحد اصدقائهِ ان عدوي يثور عليَّ وانا مثل سفينة بعاصف عظيم في البحر. فدعي بغتةً ذات يوم في اوائل سنة ١٥٢٠ الى امام المجلس فقالوا لهُ اننا نامرك ان لا تقرا ابدًا اعمال لوثيروس لتلاميذك ولا تذكرهُ ابدًا امامهم ولا تفتكر فيهِ ابدًا ايضًا. فحاول ارباب لوسرن كما سوف نرى ان يوسعوا سلطتهم جدًّا. وبعد ذلك بقليل خطب خطيب عن المنبر ضد الارتقة فهاج الحاضرون جميعًا وتحولت كل عين الى ميكونيوس زعمًا ان الخطيب عناهُ بكلامهِ واما اوسوالد فبقي بهدو في مكانهِ كأَن الامر لا يعنيهِ ولكن بعدما خرج من الكنيسة وهو ماش مع صديقهِ القانوني زيلونكت اجتاز بالقرب منهما واحد من ارباب الشورى لم يكن قد هدا بعد من هياجهِ فقال لهما بغضب يا تلميذي لوثيروس لماذا لا تحاميان عن معلمكما. فلم يجيبا. ثم قال ميكونيوس اني اسكن في وسط ذئاب ضارية ولكن لي هذه التعزية ان اكثرها قد خسرت انيابها فهي تعض لو قدرت ولكن بما انها لا تقدر ان تعض تعر عريرًا فقط

ثم انعقد المجلس لان الشغب بين الشعب لم يزل يتزايد فقال واحد من ارباب المجلس انهُ لوثراني. وقال آخر انهُ يعلّم امورًا حديثة. وقال آخر انهُ يفسد الشبان. ثم صرخ الجميع فليحضر الى هنا فليحضر هنا. فحضر معلم المدرسة المسكين الى امامهم وسمع توعدات ونواهي جديدة. فانجرح روحهُ البسيط وتضايق وكانت امراتهُ اللطيفة لا تقدر الآن تعزيهُ بدموعها فصرخ بكآبة ان الجميع ضدي. واذ ثارت عليَّ تلك العواصف الكثيرة فالى اين اتوجه او كيف انجو منها. ولو لم يكن المسيح معي لكنت من زمان مديد قد سقطت تحت ضرباتهم. وكتب سيباستيان هوفمستر في مكتوب مورخ من قسطنسيا يقول. لا باس ان رغبت فيك لوسرن ام لم ترغب فيك لان الارض للرب وكل بلاد هي وطن للشجاع. فلو كنا اردا الناس دعوانا عادلة لاننا نعلّم بانجيل المسيح

واذ صار للحق تلك الموانع في لوسرن انتصر في زوريخ واشتغل زوينكل من دون انقطاع واذ رغب ان يدرس كل الكتاب المقدس بلغاتهِ الاصلية انكب على درس العبراني تحت ارشاد يوحنا بوشنستين تلميذ ربوخلن . وكان مقصدهُ في درس الكتب المقدسة ان يبشر بها . والفلاحون الذين اتوا اجواقًا كل يوم الجمعة جالبين الى سوق المدينة غلاتهم ابدوا تشوقًا عظيمًا الى كلام الله ولاجل ارواء ظمئهم ابتدا زوينكل في شهر كانون الاول سنة ١٥٢٠ في شرح المزامير كل يوم سوق واستعد لوعظهِ بتامل سابق في كل آية على حدة . فان المصلحين كانوا دائمًا يقرنون دروسهم بممارسة الاعمال لان تلك الاعمال هي غايتهم واما العلوم التي درسوها فهي الوسائط فقط المبلغة الى تلك الغاية . ولم يكونوا في مخادعهم اقل غيرةً مما كانوا امام الشعب واقتران العلم والمحبة هو الهيئة المميزة لذلك العصر . واما نظرًا الى وعظ زوينكل يوم الاحد فانهُ بعد ان شرح سيرة ربنا كما كتب متى اخذ بواسطة شرح اعمال الرسل ان يبين كيف انتشر تعليم المسيح ثم اوضح قاعدة حياة المسيحي كما هي موجودة في رسالتي بولس الى تيموثاوس واستعان برسالة الرسول الى غلاطية لاجل دحض الغلطات التعليمية وقرن اليها رسالتي مار بطرس لكي يبرهن لمحتقري مار بولس وحدية الروح في هذين الرسولين جميعًا ثم ختم عملهُ بالرسالة الى العبرانيين لكي يوضح ايضاحًا اتم جميع البركات الصادرة عن عطية المسيح الذي هو رئيس الاحبار العظيم للمسيحي

ولم يقتصر زوينكل على تعليم البالغين فقط بل اجتهد ان يضرم في الاصاغر نارًا مقدسة تحييهم واذ كان ذات يوم من سنة ١٥٢١ مشتغلاً في مخدعهِ يدرس آباء الكنيسة ويستخلص احسن عباراتهم ويرتبها باعتناء في مجلد ضخم دخل عليهِ شاب العجيبةُ فراستهُ جدًا وهو هنري بولنجر . فبعد ان رجع من جرمانيا اتى لكي يراهُ اذ لم يكن يصبر عن معرفة ذلك المعلم من بلدهِ الذي ذاع اسمهُ في العالم المسيحي . فتفرس ذلك الشاب اللطيف على التعاقب في المصلح وفي كتبهِ وشعر

بدعوة ان يقتدي بمثال زوينكل فترحب بهِ زوينكل بتلك المحبة التي جلبت كل قلب وهذه الزيارة الاولى كان لها تاثير قوي في كل حياة ذلك الطالب بعد ان رجع الى بيت ابيهِ . وربحت محبة زوينكل شابًّا آخر ايضًا وهو غارولد مابر من كنونو فتعلق قلب زوينكل بالصبي غارولد الشريف الشجاع الذي كان مقضيًّا عليهِ بالحتف في عنفوان صبائهِ الى جانب المصلح ويدهُ على السيف محاطًا بجثث اعدائهِ واحبهُ نظير ابن لهُ واذ افتكر زوينكل انهُ لا يوجد في زوريخ وسائط علمية كافية لغارولد ارسلهُ سنة ١٥٢١ الى باسل

ولم يجد غارولد هيذيو صديق زوينكل في تلك المدينة لان كابيتو التزم ان يرافق رئيس الاساقفة البرت الى تتويج كرلوس الخامس فاستخدم هيذيو لسد مكانهِ في منتز وهكذا فقدت باسل على التوالي اعاظم واعظيها نصاحة وكانت الكنيسة كانها متروكة ولكن ظهر اناس آخرون وحضر اربعة آلاف سامع الى كنيسة وليم روبلي خوري سنت البان وكان ذلك الخوري يناقض تعليم القداس والمطهر والاستغاثة بالقديسين وهذا الرجل الذي كان قلقًا ومحبًّا للمديح قاوم الغلط بدون ان يحامي عن الحق وفي عيد جسد الرب كان مع الاحتفال العظيم ولكن عوضًا عن الذخائر التي كانت العادة ان تزف في الاسواق حُمِل امامهُ نسخة من الكتاب المقدس مجلدة تجليدًا لطيفًا ومكتوب عليها بحروف غليظة الكتاب المقدس هذه هي الذخيرة الحقيقية واما الذخائر الاخر فليست الاَّ عظام اناس اموات . ان الشجاعة تزين عبيد الله ولكن المجد الفارغ يشنع منظرهم وعمل الانجيلي انما هو ان يبشر بالانجيل لا ان يعمل احتفالاً لجلدهِ واوراقهِ فاغتاظ الخوارنة من روبلي وشكوهُ الى المجلس واجتمع جمهورٌ في ساحة المدينة وقال الناس لاهل المجلس حاموا عن واعظنا وترجى فيهِ خمسون امراة من ذوات الشهرة ولكنهُ اضطر الى ترك باسل وبعد ذلك بمدة اشتبك نظير غرابل في بلابل الزمان فان الاصلاح حيثما غلب نقى في كل مكان الزوان الموجود بين القمح الجيد

وفي ذلك الوقت سُمع من احقر المعابد صوت متواضع ينادي بوضوح بتعاليم الانجيل وهو صوت الفتى ولفغنغ ويسميرجر ابن مشير مقاطعة وخوري المستشفى وجميع اهالي باسل الذين شعروا باشتياقات جديدة احبوا ذلك الخوري المتواضع اكثر من روبلي المتكبر فابتدا ولفغنغ يقدس بالجرماني فجدد الرهبان صراخهم ولكنهم هذه المرة قصروا فتمكن ويسميرجر من مواظبة الوعظ بالانجيل قال مورخ قديم ذلك لانهُ كان من الاهالي وكان ابوهُ مشيرًا . وهذا النجاح الاول للاصلاح في باسل كان فالاً لاصلاح اعظم وساعد نجاح العمل في كل الجمهورية فان زوريخ لم تكن وحدها بل باسل الكثيرة العلم ابتدات تسبي بصوت التعليم الجديد واخذت اساسات الهيكل الجديد في الامتداد واخذ الاصلاح في سويسرا ينمو الى درجة اسبي وكانت زوريخ مركز الحركة ولكن في سنة ١٥٢١ احزنت قلبَ زوينكل بعضُ الحوادث السياسية المهمة التي حولت على نوع ما عقول الناس عن تبشير الانجيل وذلك ان لاون العاشر الذي كان قد عرض في وقت واحد مساعدتهُ على كرلوس الخامس وفرنسيس الاول مال اخيرًا الى الامبراطور وكانت الحرب بين هذين الخصمين تكاد تنشب في ايطاليا فقال القائد الفرنساوي لوترخ ان البابا لا يُترَك لهُ شيءٌ الاَّ اذناهُ. وهذا الهزل في غير وقتهِ زاد حنق البابا وطلب ملك فرانسا مساعدة المقاطعات السويسرية التي كانت ما عدا زوريخ متحدة معهُ فاجابت طلبهُ ووعد البابا نفسهُ بمساعدة زوريخ والكردينال سيون الذي لم يكن يكف عن الحيل واثقاً ثقة كاملة بنشاطهِ وفصاحتهِ ذهب سريعًا الى تلك المدينة لكي يجمع جنودًا لمعلمهِ ولكنهُ صادف مضادة قوية من صديقهِ القديم زوينكل لان زوينكل اغتاظ من ان اهالي سويسرا يبيعون دماءهم لهذا الاجنبي وتصور عندهُ اهالي زوريخ تحت الوية البابا والامبراطور يجردون سيوفهم في سهول ايطاليا ضد اهل الجمهورية المجتمعة تحت راية فرانسا فنفرت نفسهُ المسيحية المحبة للوطن من ذلك المنظر الدموي بين الاخوة فارعد بصوتهِ عن المنبر صارخًا اتريدون ان تمزقوا

الجمهورية اربًا وتهلكوها. اننا نصطاد الذئاب التي تفترس قطعاننا ولكننا لا نقاوم اولئك الذين يطوفون حولنا مفترسين لكي يبتلعوا الناس وهم ليس بلا سبب يلبسون الاردية والبرانيط الحمر فانفضوا تلك الاردية فيتناثر منها الفلوس والدراهم ولكن اذا عصرتموها فانكم ترونها يقطر منها دم اخوتكم وآبائكم واولادكم واعز اصدقائكم . وعبثًا رفع زوينكل صوتهُ القوي لان الكردينال ببرنيطتهِ الحمراء نجح في سعيهِ وانطلق الفان وسبع مئة مقاتل من اهالي زوريخ تحت قيادة جرجس برغور. فانقبض قلب زوينكل ولكنهُ لم يخسر سطوتهُ لانهُ في مدة سنين كثيرة بعد ذلك لم تُنشَر الوية زوريخ ولم تحمل خارج ابواب المدينة لاجل المحاماة عن الملوك الاجانب

الفصل الحادي عشر

مقاومة زوينكل التقليدات

ان الامور السابق ذكرها جرحت زوينكل في حاسياتهِ نظير ابن البلاد فتفرغ بغيرة جديدة للتبشير بالانجيل وزادت مواعظهُ قوةً وقال انني لا اكف ابدًا عن الاجتهاد في ترجيع وحدة الكنيسة الاصلية . فابتدا سنة ١٥٢٢ بتبيين الفرق بين وصايا الانجيل ووصايا الناس ولما جاء وقت الصوم الكبير وعظ بنشاط اعظم وبعد ان وضع اساس البناء الجديد اراد ان يزيل ردم القديم فقال للجمهور المجتمع في كنيسة الكرسي انكم مدة اربع سنين قد قبلتم برغبة تعليم الانجيل الطاهر وانتم مضطرمون بنار المحبة ومقتاتون بحلاوة المن السموي فلا يمكنكم الآن ان تجدوا لذة في طعام التقليدات البشرية الدني . ثم قاوم الامتناع الاغتصابي عن اللحوم في اوقات معينة فصرخ بفصاحتهِ غير المصنعة ان البعض يحكمون بان اكل اللحم اثم وخطية عظيمة مع ان الله لم ينهَ عنهُ قط ولكنهم يستحلون

بيع اللحم البشري للغريب ويدفعونهُ الى القتل . وعند هذه العبارات الجسورة امتلأ المحامون عن شروط العسكرية الذين كانوا بين الجمهور غيظًا وحنقًا ونذروا ان لا ينسوها ابدًا

واذ كان زوينكل يعظ بهذا المقدار من النشاط لم يزل يمارس خدمة القداس ويحفظ عوائد الكنيسة الجارية ويمتنع ايضًا عن اللحم في الايام المعينة وزعم ان الشعب يجب ان يتنور اولاً ولكن بعض الاشخاص المحركين لم يتصرفوا بهذه الحكمة وروبلي الذي كان قد هرب الى زوريخ ساقتهُ غيرتهُ الى مجاوزة حدود الاعتدال وكان خوري سنت البان القديم وقائد من قواد برن وكونرد هوبر من اعضاء المجلس الكبير من عادتهم ان يجتمعوا في بيت الاخير وياكلوا لحمًا يوم الجمعة والسبت وافتخروا بذلك وقضية الصوم كانت شاغلة كل عقل فجاء واحد من اهالي لوسرن الى زوريخ وقال لاحد اصدقائهِ في تلك المدينة يا قوم زوريخ الافاضل انكم تذنبون باكلكم اللحم في مدة الصوم الكبير فاجابهُ الزوريخي انكم يا اكابر لوسرن ترخصون لانفسكم باكل اللحم في الايام المحرمة فقال اننا قد اشترينا ذلك من البابا فاجابهُ ونحن قد اشتريناهُ من الجزار فانهُ اذا كان الامر امر مال يشترى بدراهم فان احدهما مثل الاخر . واذ وُشي للمجلس على مخالفي وصايا الكنيسة طلب المجلس راي خوري الرعية فاجاب زوينكل ان عادة اكل اللحم كل يوم لا لوم فيها في نفسها ولكن الشعب يلتزمون بالامتناع عن هذا العمل الى ان يحكم اصحاب السلطان في ذلك فاتفق باقي الاكليروس في ذلك . اما اعداء الحق فاغتنموا فرصة هذه الحادثة الموافقة لهم لان سطوتهم كانت آخذة في التناقص ولا بد من انتصار زوينكل ان لم يبادروا بضربة قوية فالحوا على اسقف قسطنسيا وقالوا ان زوينكل مخرب حظيرة الرب لا حافظ عليها

وكان فابر الطماع صديق زوينكل القديم قد رجع من رومية مملوءًا غيرة جديدة نحو البابوية . ومن روح تلك المدينة المتكبرة كان مزمعًا ان تصدر

اول الاضطرابات الدينية في سويسرا وكان قتال شديد بين الحق الانجيلي ووكلاء الحبر الروماني قريبًا. اما الحق فيحصّل قوتهُ العظمى بالمقاتلات الجارية ضدهُ. فان الديانة المسيحية عند ظهورها انما حصلت القوة التي قهرت بها اعداءها تحت ظل المقاومة والاضطهاد وفي زمان احيائها الذي هو موضوع تاريخنا ارتضى الله ان يقود حقهُ على هذا الاسلوب في وسط تلك المسالك الخشنة. فقام الخوارنة حينئذٍ كما فعلوا في ايام الرسل ضد التعليم الجديد ولولا هذه المقاومات لربما بقي الحق مستورًا ومخفيًا في انفس قليلة امناء ولكن الله راقب الساعة الموافقة لاظهارهِ للعالم والمضادة فتحت لهُ طرقًا جديدة وادخلتهُ في مجرًى جديد والقت عيون الامم عليهِ فكانت تلك المضادة نظير هبوب ريح يبذر الى اماكن بعيدة البزور التي لولاهُ لكانت باقية من دون حياة في الرقعة التي سقطت فيها. فالشجرة العتيدة ان تظلل شعوب سويسرا غُرِسَت في اعماق وديانها واحتاجت الى العواصف فقط لتقوية اصولها ومد اغصانها ولما راى اشياع الباباوية النار آخذة في الاضطرام في زوريخ ثاروا اليها لكي يطفئوها ولكنهم انما جعلوا اللهيب اشد واعظم وفي ٧ نيسان سنة ١٥٢٢ بعد الظهر دخل ثلثة وكلاء كنائسيين من قبل اسقف قسطنسيا الى زوريخ ولاثنين منهم منظر شنيع معبس واما الثالث فذو اخلاق الطف وهم ملخيوربتلي معاون الاسقف والدكتور برندي ويوحنا ڤنّر واعظ كنيسة الكرسي وهو رجل انجيلي وبقي صامتًا في العمل الذي اجروهُ وكان قد دخل الليل عند ما ركض لوتي الى زوينكل وقال لهُ ان رسل الاسقف قد وصلوا ولا بد من ضربة عظيمة تنهيأ وجميع احزاب العوائد القديمة هائجون والمسجل آخذٌ في استدعاء الخوارنة جميعًا الى جمعية باكرة غدًا في قاعة المدبرين

وبمقتضى ذلك صار اجتماع الاكليروس في اليوم التالي كما قال وعند ذلك نهض معاون الاسقف وخطب خطبة وصفها اخصامهُ بكونها كبريائية وقاسية ولكنهُ تحاذر من اللفظ باسم زوينكل. وبعض الخوارنة من الذين رُبحوا

حديثًا للانجيل افشعروا من ذلك مرتعدين وهيئاتهم المصفرة وسكوتهم وتنهداتهم دلت على انهم قد خسروا كل شجاعتهم. فوقف زوينكل واجاب بطريق افحم بها اعداءهُ تمامًا . وفي زوريخ كما في المقاطعات الاخر اقوى اعداء التعليم الجديد كانوا من اعضاء المجلس الادنى . واذ أُفحم الوكلاء امام الاكليروس قدموا تشكياتهم للولاة وكان زوينكل غائبًا فلهذا لم يخافوا ردًّا واخذ كلامهم مفعولاً وكان المجلس قريبًا ان يحكم على الانجيل من دون ان يُسمَع المحامي عنهُ ولم يكن الاصلاح في سويسرا في خطر اعظم ما كان في ذلك الوقت وكاد يختنق في سرير طفوليتهِ ولكن المشيرين الذين كانوا مائلين الى زوينكل رفعوا الدعوى الى حكم المجلس الكبير ولم يبقَ باب آخر واستعملهُ الله لكي ينقذ دعوى الانجيل. فاجتمع المِئتان وبذل احزاب البابا الجهد في منع زوينكل من الدخول واجتهد كثيرًا حتى يُسمَع لهُ وقرع كل باب ولم يترك حجرًا الاّ قلبهُ كما قال هو نفسهُ وكان كل ذلك عبثًا فقال الولاة ان ذلك مستحيل فان المجلس قد حكم بالعكس . قال زوينكل وعند ذلك بقيت ساكتًا وبتنهدات عميقة القيت القضية امام ذلك الذي يسمع تنهدات الماسورين وطلبت منهُ ان يحامي عن انجيلهِ. وانتظار عبيد الله بصبر وخضوع لم يخب قط. وفي ٩ نيسان اجتمع المِئتان فقال الاعضاء الذين هم اصدقاء الاصلاح اننا نرغب في حضور رعاتنا فابى المجلس الصغير ذلك واما المجلس الكبير فحكم بان الرعاة يجب ان يحضروا عند الشكوى وايضًا ان يجاوبوا اذا استحسنوا ذلك فأُدخل اولاً وكلاء قسطنسيا ثم خوارنة زوريخ الثلاثة زوينكل وانجلهارد والشيخ روشلي

فبعد ان تقابل هولاء الاخصام وجهًا لوجه وفحصوا مناظر بعضهم بعض وقف معاون الاسقف .قال زوينكل لو كان قلبهُ وراسهُ مثل صوتهِ لكان قد فاق ابوللوس وارفاوس حلاوةً والغراخي وديموستانيس قوةً

قال ذلك المحامي عن الباباوية ان نظام المملكة والايمان المسيحي هما في خطر فانهُ قد ظهر حديثًا اناس يعلمون تعاليم حديثة مكروهة مفسدة وفي آخر

خطاب طويل تفرس في اعضاء المجلس المجتمعين وقال ابقوا في الكنيسة فانهُ خارجًا عنها لا يقدر احد ان يخلص فان طقوسها وحدها هي قادرة على اقتياد البسيطين الى معرفة الخلاص ورعاة القطيع ليس عليهم ان يعملوا شيئًا الاَّ ايضاح معانيها للشعب

ولما فرغ المعاون من خطابهِ تهيأ للخروج من المجلس مع رفاقهِ فقال زوينكل بنشاط يا ايها المعاون الفاضل وانتم يا رفاقهُ اترجاكم ان تبقوا الى ان ابرّر نفسي

فقال المعاون ليس لنا اذن ان نجادل احدًا

فقال زوينكل لا رغبة لي في الجدال بل ان اوضح بدون خوف ما قد اخذت في تعليمهِ الى هذه الساعة

فقال الوالي روست مخاطبًا الوكلاء من قسطنسيا اترجاكم ان تصغوا الى الجواب الذي يريد الراعي ان يقدمهُ

فقال المعاون اني اعرف جيدًا الرجل الذي يخاصمني فان اولريخ زوينكل من شدة تعصبهِ لا اقدر ان اجادلهُ

فقال زوينكل منذ كم من الزمان دخلت العادة ان يدَّعى على رجل بري بمثل هذه القساوة ثم يُوبى ان يسمع لهُ يحامي عن نفسهِ فباسم ايماننا العمومي والمعمودية التي قبلناها جميعًا والمسيح رئيس الخلاص والحياة اصغوا لي واذا كنتم غير قادرين نظير وكلاء فافعلوا ذلك بالاقل نظير مسيحيين

فبعد ان اطلقت رومية مدافعها في الهواء خرجت سريعًا من ميدان القتال فان المصلح انما طلب ان يسمع لهُ واما وكلاء البابا وية فلم يفتكروا بشيءٍ الاَّ الفرار والدعوى التي حومي عنها هكذا قد ربحتها الجهة الواحدة وخسرتها الاخرى سريعًا والمئتان لم يقدروا ان يضبطوا حنقهم بعد فسمع ضجيج في المجمع فترجى الوالي ثانيةً الوكلاء ان يبقوا وبالخزي والسكوت رجعوا الى اماكنهم فقال زوينكل

ان المعاون المحترم قد تكلم عن تعاليم مفسدة ومضادة للشرائع المدنية فليعلم ان زوريخ اهدا واطوع للشرائع من اية مدينة اخرى كانت من مدن هلفيتيا الامر الذي ينسبهُ جميع الصالحين الى الانجيل . أَوليست الديانة المسيحية هي اقوى حصن للعدل بين امة . فما هي نتيجة كل الطقوس الاَّ استتار هيئة المسيح وتلاميذهِ استتارًا معيبًا . نعم موجود طريق آخر غير هذه الطقوس الباطلة للاتيان بالشعب الجاهل الى معرفة الحق وهو الطريق الذي سلك فيهِ المسيح ورسلهُ اي الانجيل نفسهُ ولا يجب ان نخاف عدم ادراك الشعب اياهُ لان من يؤْمن يفهم والشعب يقدران يؤْمن فاذًا يقدر ان يفهم وهذا هو عمل الروح القدس لا عمل العقل البشري مجردًا . واما من جهة الصوم فالذي لا يكتفي بصوم اربعين يومًا فليصم طول السنة اذا اراد . فان ذلك امرٌ لا طائل تحتهُ عندي وكل ما اطلبهُ هو ان لا يُلزَم احدٌ بالصوم وانهُ لاجل هذه الفريضة الزهيدة لا يجب ان يُشكَى على الزوريخيين باعتزالهم عن شركة المسيحيين

فقال المعاون اني لم اقل ذلك وقال رفيقهُ الدكتور برندي انهُ لم يقل كذلك ولكن جميع ارباب المجلس اثبتوا قول زوينكل ثم استتلى قائلاً ايها الذوات المعتبرون لا تدعوا هذه التهمة تخيفكم فان اساس الكنيسة هو تلك الصخرة التي هي المسيح الذي لقب بطرس باسمهِ لانهُ اعترف بهِ بامانة ففي كل امة كل من آمن باخلاص بالرب يسوع المسيح يخلص وخارج هذه الكنيسة لا يقدر احد ان ينال الحياة الابدية . وبايضاح الانجيل واتباعهِ نقوم كل واجباتنا كخدام المسيح فدع الذين يعيشون من الطقوس يجتهدون في ايضاحها . وهذه العبارة الاخيرة طعنت الى اللحم الحي

فخجل المعاون وبقي صامتًا وحينئذٍ انصرف مجلس المِئتين وفي اليوم نفسهِ حكموا بانهُ يجب ان يُطلَب من البابا والكردينالين ان يوضحوا القضية المتنازع فيها وانهُ في اثناء ذلك يجب ان يمتنع الناس عن اكل اللحم في مدة الصوم الكبير وكان ذلك ترك القضية على حالتها وجوابًا للاسقف بربح المهلة

وهذا الجدال اعان عمل الاصلاح فان انصار رومية وانصار التعليم الجديد التقوا وجهاً لوجه في حضرة الشعب والغلبة لم تكن لجانب البابا وكان ذلك اول قتال في حرب شديدة وطويلة وكثيرة التقلبات ولكن النجاح الاول في اول القتال يشجع كل العسكر ويرعب الاعداء والاصلاح كان قد حصّل مقاماً لم يطرد منهُ ابداً. وارباب المجلس افتكروا انهُ يجب عليهم ان يتصرفوا بحذر ولكن الشعب نادى بصوت عالٍ بانكسار رومية وقالوا انهُ لا يمكنها ابداً ان تجمع اجنادها المتبددة المنكسرة. وقالوا لزوينكل انك بغيرة مار بولس قد حاربت هولاء الرسل الكذبة وحنانياهم هولاء الحيطان المبيضة فان اتباع المسيح الكذاب لا يقدرون ابداً ان يفعلوا شيئاً اكثر من ان يصروا عليك باسنانهم. ومن اقصى اطراف جرمانيا اتت اصوات تنادي بهِ بفرح تقول انهُ فخر علم اللاهوت المنتعش وفي ذلك الوقت كان اعداء الانجيل يجمعون اجنادهم لانهم قصدوا ملاشاة الاصلاح ولم يكن لهم وقت يضيعونهُ لانهُ بعد قليل يفوتهم فقدّم هفمان امام المجمع شكوى مستطيلة على المصلح فقال لو فرضنا ان هذا الخوري يقدر ان يبرهن بواسطة شهود ما هي الخطايا وما هي التشاويش المرتكبة من الاكليروس في بعض الاديرة والازقة والحوانيت فانهُ لا يجوز لهُ ان يسمي احداً فلماذا يدّعي (نعم اني سمعت ذلك منهُ انا نفسي) انهُ هو وحدهُ يستفيد تعليمهُ من راس الينبوع وان الآخرين انما يطلبونهُ في القنوات والمستنقعات فقط أَفليس من المستحيل اذا لاحظنا اختلاف عقول الناس ان كل واعظ يعظ نظير الآخر

فاجاب زوينكل على هذه الشكوى في حضرة جميع اعضاء المجمع مبدّداً تقريفات اعدائهِ كما ان الثور يذرّي بقرنيهِ القش في الهواء والتضية التي كانت ظهرت عظيمة بهذا المقدار انتهت بقهقهة عالية على القانوني. ولم يقف زوينكل عند ذلك بل اذاع في ١٦ نيسان رسالة في حرية استعمال الاطعمة

الفصل الثاني عشر

حزن وفرح في جرمانيا . حيل ضد زوينكل . منشور الاسقف

ان ثبات زوينكل الوطيد ابهج اصدقاء الحق وخاصة مسيحيي جرمانيا الانجيليين الذين خسروا مدة طويلة الرسول القوي الذي قام اولاً في حضن الكنيسة وذلك بسبب سبيهِ في قلعة الوارتبرج وكثيرون من الرعاة والمؤمنين ممن نُفي بسبب الامر القاسي الذي اغتصبتهُ البابوية من كرلوس الخامس في وُرمس وجدوا ملجأ في زوريخ وكتب الى زوينكل نَسَا معلم فرانكفورت الذي كان لوثيروس قد زارهُ في طريقهِ الى وُرمس يقول ما اعظم الفرح الذي اشعر بهِ عند ما اسمع بالسلطان الذي تنادي بهِ بيسوع المسيح فقوِّ بانذارك اولئك الذين قد الجأتهم قساوة الاساقفة الاردياء الى الهرب بعيدًا عن كنائسنا المقفرة.

ولم يحتل اعداء الحق على اصحاب الاصلاح فقط بل لم تكن تمضي ساعة لم يبحثوا فيها عن وسائط للتخلص من زوينكل . وجاءهُ يومًا مكتوب بلا امضاء فعرَّف بهِ مساعديهِ حالاً. كتب صديقهُ المجهول يقول فيهِ ان الاشراك تحيط بك من كل جانب وان سمًّا قاتلاً قد هُيّئ لقتلك فلا تاكل ابدًا طعامًا الاَّ في بيتك وما اعدَّهُ طباخك فقط فان داخل اسوار زوريخ اناسًا يحاولون اهلاكك والذي اعلن ذلك لي هو احق بالتصديق من الذي كان في دلفي. انا صديقك وسوف تعرفني فيما بعد

وفي اليوم الثاني بعد وصول تلك الرسالة السرّية الى زوينكل عند دخول ستاهيلي كنيسة الماء اوقفهُ خوري وقال . اترك بيت زوينكل حالاً فان مصيبة مهلكة قريبة . وذلك ان بعض المترفضين الذين يئسوا من توقيف الاصلاح بواسطة الكلام تسلحوا بالخناجر . فمتى حدثت حركة قوية في الجمهور يخرج

غالبًا قتلةٌ مغتالون من اوضار الشعب الهائج القذرة . ولكنّ الله حفظ زوينكل وبينما راى القتلة خيبة حيلهم كانت آلات البابوية الشرعية في هياج ايضًا فعزم الاسقف وزعماؤهُ على تجديد الحرب ووصل خبر ذلك الى زوينكل من كل جهة فقال المصلح باتكال تام على كلام الله وبشجاعة شريفة انا اخافهم كما يخاف الصخر الشامخ الامواج العاجة وذلك بعونة الله وفي ٢ ايار اشهر اسقف قسطنسيا منشورًا يتشكى فيهِ (من دون ان يذكر اسم زوينكل ولا زوريخ) ان اشخاصًا غير متدربين يحبون تعاليم محرمة وان العلماء والجهال صار من عادتهم ان يفحصوا في كل مكان عن اعمق الاسرار . وهجم اولاً على يوحنا ونر واعظ كنيسة الكرسي في قسطنسيا فقال احب اليّ ان اكون مسيحيًا مع بغضة كثيرين من ان اترك المسيح حبًا بالعالم وراوا الامر الاهم ان تُسحَق الارتقة القائمة في زوريخ حينئذٍ وعرّف فابر والاسقف ان لزوينكل اعداء كثيرين بين الرهبان فعزما على اغتنام فرصة تلك العداوة وفي اواخر ايار وصل مكتوب من الاسقف الى زوريخ معنون الى الرئيس ومجمع الاكليروس يقول فيهِ يا ابناء الكنيسة دعوا الذين يهلكون يهلكون ولكن لا تدعوا احدًا يضلكم عن الكنيسة . وفي الوقت نفسهِ طلب الاسقف من الرهبان ان يمنعوا تلك التعاليم الملومة التي يتولد منها شيع شديدة الاضرار عن ان ينادى بها او يبحث فيها بينهم سرًّا او جهرًا وعند ما قُرئَ ذلك المكتوب في المحفل كانت كل العيون تتفرس في زوينكل واذ فهم زوينكل معنى ذلك التفرس قال لهم اني اراكم تفتكرون ان هذا المكتوب يعنيني فاعطوني اياهُ ان شئتم وانا اجاوب عليهِ ان شاء الله

فجاوب زوينكل في رسالتهِ المسماة ارخيتلِس وهي كلمة معناها البداية والنهاية. قال فيها ارجوان هذا الجواب الاول يكون الاخير ايضًا فتكلم في تلك الرسالة عن الاسقف باعتبار عظيم ونسب كل هجمات اعدائهِ الى اناس قليلين محتالين فقال ماذا فعلت . اني دعوت جميع الناس الى معرفة ضعفهم واجتهدت في اقتيادهم الى الله الحقيقي الواحد ويسوع المسيح ابنهِ ولاجل هذه الغاية لم استعمل

براهين عويصة بل عبارات واضحة خالصة مما يقدر ابناء سويسرا ان يفهموها . ثم انتقل من المحاماة الى المهاجمة وذلك بعبارات لطيفة جدًّا فقال ان بوليوس قيصر عند ما شعر بالجرح المميت لف ثيابهُ حولهُ لكي يسقط بجلال وان سقوط طقوسكم قريب فانظروا اقلما بكون حتى تسقط بلياقة فالنور في كل مكان يعوض سريعًا عن الظلمة . وهذه كانت النتيجة الوحيدة من مكتوب الاسقف الى مجمع زوريخ

ولما راوا تلك الاعتراضات الخفيفة ذهبت سدًى اقتضى الحال ان تُضرَب ضربة اقوى. وعند ذلك نظر فابر ولندنبرج الى ما حولهما حتى استقر اعتمادهما اخيرًا على المجلس اي مجلس امة هلفيتيا الاعلى. فحضر وكلاء من طرف الاسقف امام ذلك المحفل يقررون ان معلمهم قد اصدر منشورًا ينهى بهِ الخوارنة في ابرشيتهِ عن ابداع شيء في امور التعليم وان سلطانهُ قد استخف بهِ وانهُ الآن طالب مساعدة روساء الجمهورية في رد العصاة الى الطاعة وفي المحاماة عن الايمان الحقيقي القديم واعداء الاصلاح كان لهم الصوت الاكثر في ذلك الاجتماع وكان المجلس قبل بقليل قد اصدر امرًا يمنع من الوعظ جميع اولئك الخوارنة الذين كانوا في زعمهِ علة انشقاق بين الشعب وامر المجلس هذا الذي كان حينئذٍ اول امر تعرض للاصلاح سقط الى الحضيض ومن ثم عزم المجلس على استعمال القساوة فاستحضر امامهُ اوربان وَيْس راعي فسلسباخ بالقرب من بادن الذي شيع عنهُ انهُ ينادي بالايمان الجديد وبرفض القديم ثم اطلقهُ المجلس الى زمان اجابةً لطالب عدة اشخاص وتحت غرامة مئة فلوريني قد متها رعيتهُ

الآن المجلس كان قد حكم كما راينا وابتدا الرهبان والخوارنة في كل مكان يتشجعون وكانوا في زوريخ قد اظهروا نفوسهم على اكثر وقاحة حالاً بعد ان صدر الامر الاول من ذلك المحفل وكان كثيرون من اعضاء المجلس من عادتهم ان يزوروا الاديرة الثلاثة مساءً وصباحًا وايضًا ان ياكلوا هناك فتداخل الرهبان مع هولاء الضيوف وسالوهم ان يحصلوا لهم امرًا من الحكم وقالوا اذا

كان زوينكل لا يضبط لسانهُ فاننا نرفع اصواتنا اكثر منهُ وكان المجلس قد مال الى جانب المتعدين ومجلس زوريخ لم يكن يعلم ماذا ينبغي ان يعملهُ وفي ٧ حزيران اشترعوا قانونًا ينهى كل واحد عن الوعظ ضد الرهبان وحالما حكموا بهذا القانون سمع بغتةً ضجة في بيت المشورة (كما يقول تاريخ بولنجر) . جعلت الجميع يتفرسون احدهم في الآخر فلم يعد يحصل هدوءٌ والحرب التي كانت تجري عن المنابر اشتدت كل يوم حرارة فاقام المجلس عمدة أُمراء رعاة زوريخ وقُرَّاء الاديرة وواعظوها بالحضور امامهم في بيت المتسلم وبعد جدال قوي نهى الوالي الفئتين عن الوعظ بشيء يشوش سلام الجمهور . فقال زوينكل اني لا اقدر ان اخضع لهذا الامر لاني عازم على ان اعظ بالانجيل بحرية ومن دون قيد بحسب الامر السابق . انا اسقف زوريخ وراعيها والي استودع عناية النفوس وانا الذي حلف لا الرهبان فانما يجب عليهم هم ان يخضعوا لا انا فاذا نادوا بالاكاذيب فاني اضادهم حتى في منابر اديرتهم وان ناديت انا بتعليم يضادُّ الانجيل الطاهر فاني حينئذٍ ارغب ان أُونَّب ليس من المجلس فقط بل ايضًا من الجميع ايًا كان . وان اعاقب ايضًا من قبل المجلس وقال الرهبان اننا نستاذن بالانذار بتعاليم مارتوما . واما عمدة المجمع فحكموا بعد المشورة اللائقة بان توما (اكوينيا) وسكوتوس والعلماء الاخرين يوضعون جانبًا وان لا ينادى بشيء الاَّ الانجيل وهكذا غلب الحق ايضًا وزاد حنق الحزب الباباوي والرهبان الذين من عبر الجبال اي من ايطاليا لم يقدروا ان يخفوا غيظهم فكانوا يتفرسون في زوينكل صلفًا وبانَ انهم متعطشون الى دمهِ . وقساوة الرهبان وتوحشهم وخلوهم من الشفقة والانسانية ما يُضرَب بهِ المثل وذلك امر طبيعي لانقطاعهم عن العيشة التي اختارها الله للبشر

وتلك التهديدات لم تضعف زوينكل . وبقي في زوريخ مكان واحد لم يدخل اليهِ النور بعد شكرًا للدومينيكيين وهو دير راهبات انتباخ وكانت عادة بنات اكابر العيال في زوريخ ان يترهبنَ في ذلك الدير وظهر غير عادل

ان هولاء النساء المسكينات المحبوسات داخل اسوار ديرهنّ يكنّ وحدهنّ معدمات استماع كلام الله فامر المجلس الكبير زوينكل ان يزورهنّ فتبوأ المصلح ذلك المنبر الذي كان الى ذلك الوقت مختصًا بالدومينيكيين وكان موضوع وعظهِ وضوح كلام الله ويقينهُ. ثم اشهر بعد ذلك هذا الخطاب النفيس الذي لم يسقط على ارض عميقة ولكنهُ زاد الرهبان حنقًا

ثم حدث امرٌ زادت بسببهِ تلك العداوة وامتدت الى قلوب اخرى كثيرة فان اهالي سويسرا تحت قيادة ستاين ونكلرايد قد انكسرت انكسارًا دمويًا في بيكوكا فانهم كانوا قد هجموا هجمة جسورة على الاعداء الآن اسلحة بسكارا ومشاة فروند سبرج الذي كان لوثيروس قد صادفهُ على باب المجمع في وُرمس رمت القواد ونكست الالوية وقطعت بلكات وطوابير بغتةً. فونكلرابد وستاين مع اعضاء عيال موليناں ودياسباخ وبونستاتن وتسخودي وبفافر الشريفة تُرِكوا قتلى في ميدان الحرب ومقاطعة شوبتز قتل العشر من رجالها فرجعت بقايا تلك الحرب الهائلة المضرجة الى سويسرا بالحزن والذل فكان صراخ الحزن يتردد من جبال الالب الى الجورا ومن نهر الرون الى الرين

ولم يكن احد يشعر بالم اشد من زوينكل فكتب حالاً خطابًا الى اهل شوبتز ينفرّ اهل تلك المقاطعة من خدمة الاجانب فقال بحرارة محب للوطن كاملة ان اسلافكم حاربوا اعداءهم لاجل المحاماة عن الحرية ولكنهم لم يقتلوا قط المسيحيين لاجل مجرد الربح فهذه الحروب الاجنبية تجلب بلايا لا تُحصَى على بلادنا وسوط الله يودب شعوبنا المتحدة والحرية الهلفيتية هي على حافة الموت بين تمليقات البعض وبغضة البعض من الامراء الاجانب فاعطى زوينكل يدًا لنيقولاوس دي فلو واكّد تحريضات رجل السلام هذا ولما أُحضِر ذلك الخطاب الى محفل شعب شوبتز اثر فيهم حتى عزموا على الامتناع من كل مواجرة مع الاجانب الى مدة خمس وعشرين سنة ولكن لم يمضِ الاّ القليل حتى حصل الحزب الفرنساوي على نقض ذلك العزم الكريم ومن تلك الساعة عادت

شوبتز اشد المقاطعات مضادة لزوينكل وعملهِ حتى ان العار الذي جلبهُ على بلادهم المحامون عن الاتحادات الاجنبية انما كان وسيلة لزيادة بغضة هولاء القوم للخادم الجسور الذي اجتهد في ان يزيح عن بلادهِ تلك المشقات الكثيرة والعيب الشديد فقامت على زوينكل وزوريخ في الجمهورية مضادة ازدادت قساوة كل يوم فان عوائد الكنيسة واعمال الذين ارسلوا لكي يعيّنوا اجنادًا بما انها قد تقاومت معًا كانت تعين بعضها بعضًا في مدافعة قوة عاصف ذلك الاصلاح الذي يهددهما جميعًا بالدمار وفي الوقت نفسهِ ازداد الاعداء من خارج فضلاً عن البابا وجماعة من الامراء الاجانب . أفلم يحاول الاصلاح ان ينزع من صفوفهم تلك الاسلحة الهلفيثية التي اعانت طمعهم وكبرياءهم في نصرات كثيرة . واما الى جانب الانجيل فلم يبقَ الّا الله وافاضل الشعب وكان ذلك كافيًا وعدا ذلك جلبت العناية الالهية لمساعدتها من بلدان مختلفة اناسًا قد طُرِدوا لاجل ايمانهم من اوطانهم اي من انكلترا ومن فرانسا ومن جرمانيا

الفصل الثالث عشر

راهب فرنسيسي يعلم في سويسرا . جدال بين زوينكل والراهب . أكال الاموات

انهُ في نهار السبت الواقع في ١٢ تموز ظهر في اسواق زوريخ راهب اسمهُ فرنسيس لمبرت طويل القامة نحيف الجسم خشن الاخلاق لابس لباس الفرنسيسيين الاشمط ذو لهجة غريبة راكبًا على حمار بالكد يرفع رجليهِ الحافيتين عن الارض وكان قد سافر على هذا المنوال من افيغنون من دون ان يعرف كلمة بالجرمانية ولكنهُ بواسطة لاتينيتهِ عبَّر عن افكارهِ فسال فرنسيس لمبرت عن زوينكل ودفع اليهِ مكتوبًا من برثولد هلّر يقول فيهِ ان هذا الاب

الفرنسيسي هو الواعظ الرسولي لدير اڤيغنون العام وهو يعلم الحق مدة هذه الخمس السنين الاخيرة وقد وعظ باللاتينية امام خوارنتنا في جنيڤا وفي لوسان امام الاسقف وفي فريبرج واخيرًا في برن عن الكنيسة والكهنوت وذبيحة القداس وتقاليد الاساقفة الرومانيين وخرافات الرهبان وانهُ من اعجب الامور عندي استماع مثل هذه الاشياء من اخٍ فرنسسكاني فرنساوي لان هذين الامرين يفترضان كما لا يخفى بحرًا كاملاً من الخرافات . فاخبر الفرنساوي زوينكل كيف انهُ لما كُشِفت مؤلفات لوثيروس في مخدعهِ أُلزم بترك اڤيغنون من دون ابطاء وكيف انهُ اولاً وعظ بالانجيل في مدينة جنيڤا وبعد ذلك في لوسان على شطوط البحيرة نفسها ففرح زوينكل جدًّا وفتح كنيسة السيدة الراهب واوقفهُ في الخورس في مجلس امام المذبح العالي وفي تلك الكنيسة وعظ لمبرت خمس عظات قاوم بها بعزم غلطات رومية الاَّ انهُ في الرابعة حامى عن شفاعة مريم والقديسين

فصرخ حالاً صوتٌ قوي ايها الاخ انت غلطان وهو صوت زوينكل فامتلأ الرهبان والخوارنة فرحًا من توقع الجدال بين الرجل الفرنساوي والخوري الاراتيكي حسب زعمهم فقالوا جميعًا للمبرت انهُ قد رشقك فاطلب جدالاً مشتهرًا معهُ ففعل راهب اڤيغنون كذلك . وفي ٢٢ تموز قبل الظهر بساعتين التقى الخصمان في محل مناظرة الرهبان ففتح زوينكل العهدين القديم والجديد في اللاتينية واليونانية ولم يزل يباحث ويفسر الى ما بعد الظهر بساعتين وعند ذلك صرخ الراهب الفرنساوي مصفقًا بيديهِ ورافعهما نحو السماء قائلاً اني اشكرك يا الهي لانك بواسطة آلة فاضلة كهذه قد اتيت بي الى معرفة الحق بهذا الوضوح ثم استتلى ملتفتًا الى الجمع اني من الآن وصاعدًا ادعو الله وحدهُ والقي مسبحتي جانبًا وغدًا اخذ ايضًا في سفري فاني منطلق الى باسل لكي ارى ايراسموس من روتردام ومن هناك الى وتمبرج لكي ازور مرتينوس لوثيروس الراهب الاوغسطيني وهكذا انصرف راكبًا على حمارهِ وسنصادفهُ ايضًا . وهو الرجل

الاول الذي لاجل الانجيل خرج من فرانسا الى سويسرا وجرمانيا وهو سابق متواضع لالوف كثيرة من النازحين المقرَّبين بالحق واما ميكونيوس فلم يكن لهُ مثل تلك التعزيات بل بعكس ذلك كان مقضيًّا عليهِ ان يرى طرد سباستيان هوفمستر من المدينة وهو الذي اتى من قسطنسيا الى لوسرن وهناك نادى بالانجيل بجسارة وعند ذلك زادت كآبة اوسوالد وكان هواء لوسرن الرطب ضدًّا عليهِ فاعترتهُ حمى فحكم الاطباء بانهُ ان لم ينتقل الى مكان آخر يموت فكتب الى زوينكل يقول اني لاارغب في شيءٍ الَّا ان اكون بالقرب منك ولا ارغب عن مكان اكثر من لوسرن فان الناس يعذبونني والهواء يضعفني. يقولون ان مرضي هو قصاص خطيتي فوااسفاه ان كل ما اقولهُ وكل ما اعملهُ يتحول الى سم معهم . وفي السماء واحد بهِ اعلق كل امالي

وهذا الرجاء لم يخب . وفي اواخر اذار بقرب عيد البشارة كان اليوم الذي قبل مساء هذا العيد عيدٌ عظيم تذكارًا لحريق سنة ١٣٤٠ بهِ احترق اكثر المدينة وكانت اسواق لوسرن مملوءةً جمهورًا كبيرًا من الناس المجتمعين من الاماكن المحيطة ومئات من الخوارنة وكان الوعظ في ذلك العيد العظيم يُسلَّم غالبًا لواعظ مشهور فوصل رئيس اليوحنويين كونراد شميدت من كسناخت لكي يتم هذا الواجب فملأ الكنيسة جمعٌ غفير ومن يصف الانذهال العمومي عند ما ترك الرئيس عادة الوعظ باللاتينية وتكلم بالجرمانية لكي يقدر الجميع ان يفهموا كلامهُ مفسرًا بسلطان وحرارة مقدسة محبة الله في ارسال ابنهِ ومبرهنًا بفصاحة ان مجرد الاعمال الخارجية ليس لها قدرة ان تخلص وان مواعيد الله هي حقًّا جوهر الانجيل فصرخ كونراد امام الشعب المنذهل حاشا لله ان نتخذ لنا راسًا رئيسًا مملوًّا خطية كاسقف رومية ونرفض المسيح فاذا كان اسقف رومية يوزع قوت الانجيل فلنعترف بهِ نظير راعٍ لنا لا رئيس علينا ولكن اذا كان لا يوزعهُ فلا نقرُّ بهِ على وجه من الوجوه . واما اوسوالد فلم يقدر ان يتمالك نفسهُ من الفرح فصرخ لله ما هذا الانسان وما هذه العظة وما هذا الجلال وما هذا السلطان

وما املاهُ من روح المسيح . وكان التاثير عامًا . وعقب سكوتٌ مهيب المياج الذي ملأَ المدينة قبلاً ولكن ذلك انما كان لحينٍ فقط فان الشعب اذا سدوا آذانهم عن استماع صوت الله تقلُّ دعواتهُ يومًا عن يوم حتى تبطل على التمام وهكذا كان الامر في لوسرن

وبينما كان الحق يُنَادى بهِ هكذا عن المنبر في برن تقاومت البابا وية في اجتماعات الشعب في الاعياد فان نيقولاوس منويل الشاعر المفلح الذي بلغ اعلى وظائف الولايات اذ اغتاظ من نظرهِ الى شمشون ينهب اهالي بلادهِ بلا رحمة نظم بعض القصائد للمرفع هجا بها طمع وجبروت وكبرياء البابا والاكليروس هجوًا مؤلمًا وفي ثلثاء الرماد الذي كان مختصًا بالسادات (الاكليروس كانوا حينئذٍ هم السادات وابتداوا بصومهم قبل الشعب بثمانية ايام) لم يكن يُحاكَ في برن الاَّ عن كوميديا عنوانها أكَّال الاموات قصد بعض الشبان تشخيصها في سوق الصليب . فازدحم الاهالي الى الرواية وتلك الاشعار التي نُظِمَت في بداية القرن السادس عشر فيها نظرًا الى الصناعة بعض المحاسن ولكننا انما ندخلها في هذا التاليف لا لمحاسنها ولا لعيوبها بل لغاية اي اظهار كيفية انفتاح عيون الشعب ومعاملتهم تلك الاضاليل والخرافات

وفي الرواية المشار اليها يحضر اولاً البابا ملتحفًا بحلل متلألئة جالسًا على عرش وارباب ديوانهِ وحراسهُ وجمع جم من الخوارنة من كل رتبة وقوفًا حولهُ ووراءهم الاشراف والعوام والمتسولون . ثم ظهرت جنازة فلاَّح غني كانوا ذاهبين بهِ الى الدفن واثنان من اقاربهِ يمشيان امام النعش في ايديهما محارم ولما وصلت الجنازة تجاه البابا وُضع النعش عند قدميهِ وابتدا التشخيص

فقال القريب الاول بصوت حزين شعرًا

يا جنود القديسين الاشراف اسمعوا تشكياتنا المحزنة

قد مات ابن عمنا والقبر الفاتح فاهُ قد ابتلعهُ في اول زهوة صباهُ

ثم قال القريب الثاني

اننا ندفع كل ما يلزم للرهبان والخوارنة
وعندنا مئة ليرا للقداس والصلاة
اذا كنا بذلك نقدر ان نخلّص
من النار المطهرة قريبنا المنتقل
فخرج القندلفت من وسط الجمهور الذي حول البابا وركض بسرعة الى خوري الرعية الذي اسمهُ روبرت هات وهات قائلاً
يا حضرة الخوري اعطِني حق فنجان عرق
ان فلاحًا غنيًّا يذهب الآن الى قبرهِ
فقال الخوري
واحد فقط . انما يزيد عطشي
ميتٌ واحد فيا ليتهم كانوا عشرة
كلما كثر الاموات زاد رغد عيشنا
فان الموت احسن الملاعيب لي
فقال القندلفت
فيا ليتهُ كان كذلك فكانت امورنا حسنة
لانهُ احبُّ اليَّ ان اقرع الجرس لميت
من ان احرث حقلاً من الصبح الى المساء
فانهُ لا يتشكى ابدًا بل يرضى بالدفع
فقال الخوري
ان كان الجرس يفتح باب السماء لا اعلم
ولكن ما لي ولذلك . فانهُ يملأُ بيتي
من سمك البوري والمسقار والزليق وسلطان ابرهيم
فقالت مساكنة الخوري
نعمًا ذلك ولكن اعلما اني اطلب حصتي

فهذا اليوم يجب ان هذه النفس تعدُّ لي
فسطانًا ابيض او اسود او اخضر او احمر
ومنديلاً لطيفًا ازين بهِ راسي
ثم قال الكردينال الذي اسمهُ الكبرياء العظيمة وهو لابس برنيطة حمراء وواقف بالقرب من البابا
لو لم نحب ميراث الموت
لما قطعنا في اول الصبوة
كل تلك الاجواق في ميدان الحرب
المقالين بالدسائس والمسوقين بالجسد
ان رومية تسمن بالدم المسيحي
ومن ثم برنيطتي وردائي يتخذان لونهما الدموي
وكرامتي وثروتي قد ربحتها من الموت
ثم قال الاسقف الذي اسمهُ بطن الذئب
في شرائع البابا اعيش واموت
ان ثيابي حرير وكيسي ملآن
والملاهي والصيد بهجتي
ففي الازمان القديمة لما كانت الكنيسة بعدُ فتاةً
كنا نلبس كالفلاحين البسطاء ونحن الخوارنة كنا رعاة
واما الآن فاننا سادات الملوك
الاَّ انني احيانًا احب عيشة راعٍ
فيجيب صوت بالتعجب
تحب عيشة الراعي
فيجيب
نعم في وقت الجزاز . نحن رعاة وذئاب

وهم الغنم المساكين وان لم يقيتونا
يسقطون من دون شفقة بانيابنا القاسية
اننا ممنوعون عن ذوق لذات الزواج
حسنًا . تحت هذا النير الثقيل
يسقط اطهر القوم وذلك احسن ايضًا
اما الشكوك فلا ابالي بها
هي تملا كيسي وتزيد حشي
اقل ربح لا ارفضهُ
الخوري الذي عندهُ المال عليهِ الانتخاب فقط
من بين الجميلات ويدفع اربع فيورينات
هل يأتيهِ ولد . يفصد كيسهُ ايضًا
وهكذا اجمع مبلغًا وافرًا كل سنة
الفين فيورينة . ولا بارنين
كنت احصلهما لو كانوا اعفاء حكماء
للبابا كل الاكرام اني اركع
وانحني الآن امامهُ . في ايمانهِ اعيش
احامي عن كنيستهِ واقرُّ بهِ الهي
ثم يقول البابا
الآن صار اهل العالم يصدقون
ان خوريًا طماعًا يفتح او يغلق
ابواب السماء حسب ارادتهِ
نادوا باحكام مجمعي
اننا نحن ملوك اما العامي فعبد لئيم
اذا رُفِعَتْ راية الانجيل

هلكنا . نقديم ذبيحة
او دفع اجرة خوري ليس في الانجيل
لو اطعنا وصاياهُ لعشنا
ومتنا في الذل والفقر
ونودع خيلنا الجياد
ومركباتنا المزخرفة . حمارٌ
كان يحمل جلال رومية السمين
كلاَّ كلاَّ . احامي عن حقوق مار بطرس
والفخ كل مقتحم برعودي
ان اردنا فالكون لنا
والشعوب تعبدنا كآلهة
انا اصعد على جثثهم الى عرشي
ابعدوا عن خزينتنا ايها العوام الانجاس
تكفيكم ثلاث نقط ماءٍ مصلًّى
يكفي ما قد ترجمناهُ من مقالة منويل فلا حاجة الى اكثر

وذكر منويل في اشعارهِ كآبة الاكليروس وغيظهم عند ما وجدوا اجتهادات المصلحين بابطال تشاويشهم . والاحوال الخلاعية التي عبَّرت عنها تلك المقالة كانت موجودة بكثرة حتى ان الجميع تاثروا من صدق ما قيل فهاج الشعب وكانت تلك الامور مضحكات لكثيرين عند ما خرجوا من الرواية في سوق الصليب غير ان بعض الافراد تاثروا تاثرًا مقرونًا بحزن فتكلموا عن الحرية المسيحية وعن السلطان البابوي وقابلوا بساطة الانجيل بمجد رومية واحتقار الشعب تجاوز عاجلاً كل الحدود وفي اربعاء الرماد زُفَّت الغفرانات في الازقة بنشائد هجوية فضُربت ضربة ثقيلة في برن وفي كل سويسرا على بناء البابوية القديم

ثم بعد تلك الرواية بقليل صارت رواية اخرى في برن الآ انهُ في تلك لم يُخترع شيءٌ . فاجتمع الاكليروس والمجلس والاهالي قدام الباب الاعلى ينتظرون جمجمة القديسة حنة التي كان الفارس المشهور البرت ستين قد انطلق لياتي بها من مدينة ليون واخيرًا ظهر ستين حاملًا الذخيرة المقدسة ملفوفة بمنديل حرير وكان اسقف لوسان قد ركع امامها بتواضع عند مرورها على مدينتهِ فحُملت الجمجمة الكريمة باحتفال الى كنيسة الدومينيكيين فقُرِعت الاجراس ودخل الموكب الى الكنيسة وباعتبار عظيم وُضِعت جمجمة ام مريم على مذبح كان قد كُرّس لها وذلك وراء حجاب ثمين ولكن في ضمن تلك الافراح اتى مكتوب من رئيس الدير في ليون حيث كانت تلك الذخيرة موضوعة يقول ان الرهبان قد باعوا الفارس جمجمة غير مقدسة أُخِذَت من المقبرة من بين بقايا الموتى المتبددة هناك فاغتاظ اهل مدينة برن الشريفة من هذا العمل جدًّا

وكان الاصلاح آخذًا في التقدم في اقسام اخر من سويسرا فانهُ سنة ١٥٢١ رجع من مدرسة باريس رجل شاب من ابنزل اسمهُ والتر كلارار الى مقاطعة مولدهِ فوقعت مصنفات لوثيروس في يدهِ وسنة ١٥٢٢ بشر بالتعليم الانجيلي بنشاط شابٍّ مسيحي . وحانوتي اسمهُ روسبرج واحد من اعضاء مجلس ابنزل وهو رجل غني فتح بيتهُ لجميع اصدقاء الحق . وقائد شهير اسمهُ برثولماوس بروجر كان قد حارب لاجل يوليوس الثاني ولاون العاشر رجع من رومية بالقرب من ذلك الوقت واضطهد الخدام الانجيليين ولكنهُ تذكر يومًا الشرور العظيمة التي كان قد شاهدها في رومية فابتدا يقرا الكتاب المقدس ويحضر مواعظ الواعظين المستجدين فانفتحت عيناهُ واعتنق الانجيل ولما راى الجماهير الذين لم يقدروا ان يجدوا مكانًا في الكنيسة قال فليعظ الخدام في الصحاري والاماكن المشهرة ومع وجود المضادة الشديدة كانت رياض وتلال وجبال ابنزل ترن بصدى بشائر الخلاص المفرحة

وبينما كان هذا التعليم يتقدم صاعدًا على شطوط الرين امتدَّ حتى وصل

الى ريتيا القديمة . فاتى يومًا من زوريخ رجل غريب قطع النهر ودخل بيت سروجي في فلاسخ وهي اول قرية في الغريسون. فالسروجي الذي اسمهُ خريسنيان انهورن اصغى بذهول الى كلمات ضيفهِ وجميع القرية دعت الغريب الذي اسمهُ يعقوب بركلي لكي يعظهم فوقف امام المذبح ووقف حولهُ جماعة مسلحون وانهورن في مقدمتهم لكي يقوهُ من هجمة فجائية وهو ينادي بالانجيل . وخبر هذا الوعظ امتدَّ طولاً وعرضًا حتى انهُ في الاحد التالي اتى جمهور غفير الى الكنيسة وفي مدة قصيرة طلب قسم كبير من سكان تلك المقاطعات الافخار يستيا حسب ترتيب ربنا ولكن بغتةً قُرِعَت الاجراس في مانيفلدت فخاف الناس وركضوا معًا ليعلموا السبب فاشار الخوارنة الى الخطر الذي يتهدد الكنيسة وركضوا في مقدمة هولاء القوم الموسوسين الى فلاسخ . اما انهورن الذي كان يشتغل في الحقل اذ تعجب من صوت قرع الاجراس في ذلك الوقت غير الاعتيادي رجع في الحال الى البيت وخبأ بركلي في مغارة عميقة في بيتهِ فاحدقت الاعداء بالبيت وكسروا الابواب وفتشوا على الواعظ الارانيكي فلم يجدوهُ واخيرًا رجع هولاء المضطهدون عن المكان

فامتد كلام الله في جميع وَلاء الولايات العشر. وخوري مانيفلدت اذ رجع من رومية حيث توجه حنقًا من تقدم الانجيل صرخ قائلاً ان رومية قد صيرتني انجيليًا وصار مصلحًا حارًا ولم يمضِ الاَّ القليل حتى امتدَّ الاصلاح على الوَلاء المسماة بيت الله وكتب سلاندرونيوس الى فاديان يقول يا ليتك تنظر كيف يطرح السكان في جبال ريتيا نير الاسد البابلي

وتشاويش قبيحة عجلت قطع زوريخ والمقاطعات المجاورة لها النير الروماني آرابًا فان معلم اولادٍ متزوجًا رغب في ان يرتسم خوريًا فرضت زوجتهُ معهُ بذلك فانفصلا واذ وجد هذا الخوري الجديد انهُ لا يمكنهُ ان يحفظ نذر العفة وانف من ان يجرح قلب زوجتهِ ترك المكان الذي كانت تسكنهُ وذهب الى ابرشية قسطنسيا وهناك اقترن اقترانًا ملومًا فبلغ ذلك زوجتهُ فتبعتهُ فشفق الخوري

المسكين عليها وترك المراة التي كانت قد اغتصبت حقوقها واخذها الى بيتهِ فقُدِّمت الشكوى عليهِ حالاً فامتلأ النائب العام غيظًا واخذ مدبرو الكنيسة يتبصرون في ذلك فقر رايهم على ان الخوري اما ان يترك زوجتهُ او يترك وظيفتهُ فتركت الزوجة المسكينة بيت زوجها بالدموع ودخلتهُ ضريتها بالغلبة فارتضت الكنيسة بذلك ومن ذلك الوقت تُرِك الخوري الزاني بلا معارضة

ثم بعد ذلك بقليل تملق خوري رعيةٍ من لوسرن امراةً متزوجة وعاش معها ولما رجع رجلها الى لوسرن اغتنم فرصة غياب الخوري لترجيع زوجتهِ وبينما هو ذاهب بها الى البيت لقيهما الخوري المتملق فهجم على الرجل وجرحهُ جرحًا مات بهِ. فشعر جميع الاتقياء بضرورة تجديد شريعة الله التي تقول ليكن الزواج مكرمًا عند كل واحد (عب ١٣: ٤) والخدام الانجيليون اكتشفوا على ان شريعة البتولية انما هي من ترتيب بشري وضعها الاحبار وانها مضادة لكلام الله الذي يصف الاسقف الامين بكونهِ زوجًا وابًا (١ تي ٣: ٢و٤) ولاحظوا ايضًا انهُ لم يكن بين جميع الشرور التي دبّت الى الكنيسة شرٌّ اكثر رذيلة وشكوكًا من بتولية الاكليروس ولهذا افتكروا انهُ لا يجوز فقط بل يجب ايضًا من قبل الله ان يرفضوها ورجع كثيرون منهم حينئذٍ الى عادة الازمان الرسولية القديمة فتزوج زيلوتكت وزوينكل ايضًا اتخذ زوجة بالقرب من ذلك الوقت

ولم تكن امراة اكثر اعتبارًا في زوريخ من حنة رينهردت ارملة المتوفى ماير من كنونو وهي والدة غارولد فانها منذ حضور زوينكل كانت تسمع وعظهُ بكل اصغاء وكانت ساكنة بالقرب منهُ وهو لاحظ تقواها وحشمتها ومحبتها لاولادها وكان ابنها غارولد الذي قد صار كانهُ ابنهُ بالتربية يزيدهُ قربًا من امهِ والمصائب التي قاستها تلك المراة المسيحية العتيدة ان تعامل يومًا باكثر قساوة من كل النساء المذكورات في التاريخ كانت قد اثرت فيها تاثيرًا اظهر فضائلها الانجيلية اكثر سطوعًا وكانت في ذلك الوقت قد بلغت نحو خمس وثلاثين

سنة ومالها اربع مئة فلوريني فقط فرآها زوينكل قرينة موافقة لهُ وعلم جيدًا كل قداسة حالة الزواج واشترا كاتها ودعاها اقدس العهود . قال فكما ان المسيح مات لاجل اتباعهِ وبذل نفسهُ بالتمام عنهم كذلك يجب على المتزوجين ان يعملوا كل شيء ويحتملوا كل شيء بعضهم لاجل بعض ولكن لما تزوج زوينكل بحنة رينهردت لم يشهر امر زواجهِ ولا شك ان ذلك ضعف ملوم في شخص اظهر شجاعة هذا مقدارها في احوال اخرى فان النور الذي كان قد حصلهُ هو واصدقاؤُهُ من جهة البتولية لم يمتد بعد الى العامة فزعم ان ضعاف العقول يتشككون من ذلك فخشي زوينكل من ان فائدتهُ في الكنيسة تبطل اذا اشتهر امر زواجهِ . فضحى قسمًا من غبطتهِ لهذه المخاوف المعذورة وكان الاولى ان يطردها

الفصل الرابع عشر

كيفية انتصار الحق . المجمع في اينسدلن والعرضان

ان اعمالًا اسمى جدًّا من تلك شغلت عقول محبي الحق فان المجمع كما قد راينا لاجل الحاح اعداء الاصلاح عليهِ نهى واعظي الانجيل عن التبشير بتعاليم تحدث اضطرابًا في الشعب فشعر زوينكل بان ساعة العمل قد وصلت فعقد بنشاطهِ الطبيعي مجمعًا في اينسدلن جمع فيهِ خدام الرب المائلين الى الانجيل . فان قوة المسيحي لا تقوم بقوة السلاح ولا بلهيب الحريق المضطرم ولا بالحيل المزعجة ولا بمساعدة اقوياء الارض . بل باقرار بسيط جسور باتفاق بتلك الحقوق العظيمة التي يجب ان يخضع العالم لها يومًا والله يدعو بنوع خصوصي اولئك الذين يخدمونهُ الى حفظ هذه التعاليم بثبات امام الشعب من دون خوف صراخ اخصامهم وهذه الحقوق في نفسها وثيقة بغلبتها والاوثان تسقط امامها كما سقطت

في الازمان القديمة امام تابوت الله . وكانت قد انت الساعة التي اراد الله ان يعترَف فيها على هذا الاسلوب بحق الخلاص هذا العظيم في سويسرا وكان نشر راية الانجيل في مكانٍ عالٍ ضروريًا وكانت العناية الالهية عتيدة ان تخرج نفوسًا كثيرة متواضعة خائفة من خلواتها المنعزلة حتى تشهد شهادة شريفة بحضرة الامة

وفي نحو اواخر حزيران واوائل تموز سنة ١٥٢٢ كنت ترى خدام الانجيل الانقياء يسافرون من كل جهة نحو كنيسة اينسدلن الشهيرة لاجل سياحة جديدة. فاتى من ارت في مقاطعة شوبتز خوريها بلشاصر تراخسل ومن وينجن بالقرب من بادن الخوري ستاهيلي ومن زوغ ورنرستاينر ومن اوسرن القانوني كلخماير ومن اوستر الخوري بفستر ومن هونغ بالقرب من زوريخ الخوري ستاميف ومن زوريخ نفسها القانوني فبريشيوش والواعظ شميدت وغروسمان واعظ المستشفى وزوينكل . فقبل ليون يهودا بفرح كل خدام يسوع المسيح هولاء في الدير القديم وذلك المكان بعد اقامة زوينكل فيهِ كان قد صار حصن الحق ومنزلاً للابرار وهكذا قبل ذلك بمئتين وخمسين سنة اجتمع ثلاثة وثلاثون نفرًا من محبي الوطن الشجعان في مرج غروتلي المنعزل عازمين على قطع رباطات نير اوستريا واما في اينسدلن فاجتمعوا لكي يقطعوا اربًا نير السلطة البشرية في الامور الالهية . فاستدعى زوينكل ان اصدقاءهُ يقدمون عرضًا قويًّا الى المقاطعات والاسقف طالبين الاذن في الوعظ بالانجيل بحرية ونقض البتولية الاضطرارية التي هي ينبوع تشاويش اثيمة لا تُعَد ولا توصف فاتفق الجميع معهُ في رايهِ وكان اولريخ قد كتب العرض بنفسهِ فقُرِئَ اولاً العرض للاسقف في ٢ تموز وكان قد امضاهُ جميع الانجيليين المذكورين آنفًا فان محبة قلبية ربطت معًا واعظي حق الانجيل في سويسرا وكان هناك آخرون كثيرون يشتركون في حاسيات القوم المجتمعين في اينسدلن مثل هلّر وميكونيوس وهيذبو وكاپيتو وايكولمباذيوس وسباستيان مايرر وهوفمستر وونر وهذا الاتفاق هو

من اجل هيئات الاصلاح السويسري وهولاء القوم الافاضل عملوا دائمًا كانسان واحد وبقوا اصدقاء حتى الموت

وشعر رجال اينسدلن بانهُ لا يمكن ان اعضاء الجمهورية المنقسمين بواسطة معاهداتهم للغرباء يصيرون جماعة واحدة الاَّ بقوة الايمان الاَّ ان عيونهم كانت متجهة نحو السماء فقالوا لرئيسهم الكنائسي في العرض الذي كتبوهُ في ٢ تموز ان التعليم السماوي ذلك الحق الذي اعلنهُ الله الخالق بواسطة ابنهِ للجنس البشري الغارق في الخطية قد بقي زمنًا طويلاً مستورًا عن عيوننا بواسطة جهل اناس قليلين حتى لا نقول خبثهم ولكن هذا الاله القدير نفسهُ قد عزم على احيائهِ وترجيعهِ الى حالتهِ الاصلية فاتحد انت مع الذين يرغبون في ترجيع كل جمهور المسيحيين الى راسهم الذي هو المسيح . اما نحن فاننا عازمون على المناداة بانجيلهِ بثبات لا كلال لهُ وذلك بنوع لا يتشكى منهُ احد . فوافق انت هذا القصد الذي مع انهُ يظهر غريبًا ليس هو عملاً جافيًا فكن مثل موسى في الطريق في اول الشعب عند خروجهِ من ارض مصر وبيدك اقلب كل مانع يعاند تقدم الحق الظافر

وبعد هذا الطلب القوي تقدم الانجيليون المجتمعون في اينسدلن الى مسئلة البتولية ولم يكن لزوينكل شيء يطلبهُ في هذا المعنى لان لهُ امراة طبق الاوصاف التي ذكرها مار بولس الواجبة ان تكون لزوجة خادم المسيح اي غير ثالبة صاحية امينة في كل شيء (١ تي ٣ : ١١) ولكنهُ اهتم باخوتهِ الذين لم تكن ضمائرهم قد انعتقت من السنن البشرية نظير ضميرهِ وكان ايضًا يتوق الى مجيء ذلك الزمان الذي فيهِ جميع خدام الله يعيشون جهارًا ومن دون خوف مع عيالهم ويدبر بيتهُ حسنًا لهُ اولاد في الخضوع بكل وقار (١ تي ٣ : ٤) فقال رجال اينسدلن انهُ لا يمكن ان يخفاك كيف نُقِضَت شرائع العفة بنوع فاحش من قِبَل الخوارنة . وفي رسامة خدام الرب عندما يسالون الذي يتكلم بالنيابة عن الباقين هل الذين نقدمهم لنا اناس صالحون يجيب انهم صالحون . هل هم علماء يجيب

انهم علماء . ولكن عند ما يسال هل هم اعفاء يجيب بقدر استطاعة الضعف البشري . فالعهد الجديد يشجب الدعارة في كل مكان ويمدح الزواج في كل مكان (وهنا يستشهدون بشواهد شتّى من الكتاب المقدس ثم يستتلون) فلاجل هذا السبب نترجاك بحب المسيح وبالحرية التي اشتراها لنا وبشقاوة نفوس كثيرة جدًّا ضعيفة مترددة وبجراحات ضمائر كثيرة وبجميع المحركات الالهية والبشرية التي تسمح بان ما قد ترتب بحماقة ينقض بحكمة خوفًا من ان بناء الكنيسة الجليل يسقط سقوط هائلاً وينتج منهُ خراب في اماكن بعيدة متسعة فانظر ما هي العواصف التي تهدد العالم فان لم تدخل الحكمة فخراب طغمة الكهنوت يقين

وكان العرض الى الجمهورية اطول قال فيهِ مجمع اينسدلن للجمهورية في آخر عرضهم ايها السادة الفاضلون نحن كلنا سويسريون وانتم آباؤُنا والبعض منا قد قاتل في ميدان الحرب وخدمنا في مخادع الوباء وفي وسط بلايا أُخر . فباسم العفة الحقيقية نخاطبكم فمن لا يعلم اننا نقدر ان نقضي شهوات الجسد على احسن منوال بعدم خضوعنا لقوانين الزواج الشرعي ولكن يجب علينا ان نلاشي الشكوك التي تعذب كنيسة المسيح فاذا كان ظلم الحبر الروماني عازمًا على مضايقتنا فلا تخافوا شيئًا ايها الابطال الاشداء . لان سلطان كلام الله وحقوق الحرية المسيحية وسلطان النعمة المطلق تحدق بنا وتحمينا . ولنا جميعًا بلاد واحدة وايمان واحد ونحن سويس وفضيلة اجدادنا الافاضل قد اظهرت دائمًا قوتها بمحاماة قوية عن الذين يُضايَقون ظلمًا

وهكذا في اينسدلن نفسها في ذلك الحصن القديم للخرافات الذي هو في ايامنا من اشهر حصون السنن الرومانية رفع زوينكل واصحابهُ بجراءة لواء الحق والحرية والتجأُوا الى رؤَساء البلاد والكنيسة وعلقوا قضاياهم كما فعل لوثيروس ولكن علقوها على ابواب القصر الاسقفي ومجمع الامة . ثم ان جماعة الاصدقاء الذين كانوا في اينسدلن انفصلوا بهدو فرحين وموعبين رجاء بذلك الاله الذي وضعوا في يدهِ عملهم ورجعوا كل واحد الى مكانهِ البعض على طريق

ميدان قتال مرغرتن والبعض على سلسلة البيس والبقية على وديان وجبال مختلفة . قال هنري بولنجر انهُ كان بالحقيقة امرًا عظيمًا في تلك الايام ان هولاء الرجال يتجاسرون على التظاهر هكذا وان يحيطوا بالانجيل ويجعلوا نفوسهم عرضةً لكل خطر . والله حفظهم جميعًا حتى لم يعرض لهم اذًى لان الله دائمًا يحفظ خاصتهُ انتهى . وكان ذلك بالحقيقة امرًا ساميًا وخطوة جسورة في تقدم الاصلاح ومن ازهر ايام التجديد الديني في سويسرا. وانتظمت جماعة مقدسة في اينسدلن واناس متواضعون اقوياء تقلدوا سيف الروح الذي هو كلمة الله وترس الايمان دعا الى النزال لا رجلاً واحدًا فقط بل رجالاً كثيرين من مقاطعات مختلفة فتاهبوا لبذل نفوسهم وتوقعوا الكفاح

وكل الدلائل دلَّت على ان القتال يكون شديدًا . وبعد ذلك بخمسة ايام في ٧ تموز اراد ولاة زوريخ ان يقدموا ترضيةً للحزب الروماني فاحضروا امامهم كونراد غرابل وكلاوس هوتنجر اللذين كانا عنيفين برغبان في تجاوز حدود الاصلاح بفطنة وقال الوالي روست لهما اننا نهاكما عن الكلام ضد الرهبان وفي المسائل الخلافية . قال مورخ قديم وعند هذا الكلام سمع صوت عظيم في المكان فان الله اعلن نفسهُ في هذا العمل باسرهِ حتى ان الشعب راوا امارات تداخلهِ في كل شيء . فالتفت كل واحد الى ما حولهُ بتحير من غيران يقدر على كشف علة تلك الحادثة المستترة

وظهر اشد الحنق في الاديرة خاصة وكل اجتماع انعقد فيها لاجل الجدال او لاجل التنزه ظهرت فيهِ هجمة جديدة . وكانت ذات يوم وليمة عظيمة في دير فراوبرون واذ دبت الخمر الى روُّوس الضيوف ابتداوا يرشقون الانجيل بالسهام والذي اغاظ الخوارنة والرهبان اكثر من كل شيء هو التعليم الانجيلي بانهُ في كنيسة المسيح لا يجب ان تكون جماعة كهنوتية مرتفعة على المؤْمنين . وكان هناك صديق واحد فقط للاصلاح حاضرًا بينهم وهو مكرينوس رجل عامي ومعلم المدرسة في سوليور فابى اولاً الجدال متنقلاً من مائدة الى اخرى ولكنهُ

اخيرًا اذ لم يقدر على احتمال كلام الصيوف الجافي وقف بجراءة وقال بصوت عالٍ نعم جميع المسيحيين الحقيقيين هم كهنة ومقربو ذبائح كما قال مار بطرس انتم كهنة وملوك . وعند هذه الكلمات ضحك متقهقهًا واحد من اقوى المصوتين وهو اكبر مدبري ابرشية برغدرف رجل طويل القامة قوي لهُ صوت مثل الرعد وقال فهكذا اذًا انتم ايها المتعلمون بعض الكلمات اليونانية ومعلمو المدارس كهنوت ملوكي نعم انكم كهنوت لطيف فيا لهم من ملوك شحاذين وخوارنة من دون فريضة ولا معاش . وللوقت هجم الخوارنة والرهبان باتفاق واحد على العامي الجسور

وكان عمل رجال اينسدلن مزمعًا ان يحدث اعظم حركة في لوسرن فان المجمع انعقد في تلك المدينة والتشكيات اتت من كل جهة ضد هولاء المبشرين الجسورين الذين مرادهم ان يمنعوا هلفيتيا من ان تبيع على السكوت دم اولادها الى الغرباء . وفي ٢٢ تموز سنة ١٥٢٢ بينما كان اوسوالد ميكونيوس على الغذاء في بيتهِ مع القانوني كلخمير وآخرين مائلين نحو الانجيل وقف على بابهِ غلام مُرسَل من زوينكل اتى بعرضَي اينسدلن المشهورَين وبمكتوب من زوينكل يطلب فيهِ من اوسوالد ان يوزعهما في لوسرن وقال ايضًا ان ذلك يجب ان يكون بهدو وبالتدريج اولى من ان يكون دفعة واحدة لانهُ يجب علينا ان نتعلم تسليم كل شيء حتى الزوج زوجتهُ ايضًا من اجل المسيح

وكانت الساعة المهمة قريبة في لوسرن . فوقعت القنبرة في وسط المدينة وهي قريبة من ان تتفرقع فقرا اصدقاء اوسوالد العرضين فهتف اوسوالد ملتفتًا الى السماء عسى الله ان ينجح هذه البداءة . ثم استتلى حالاً فمن هذه الساعة وصاعدًا ينبغي ان تكون هذه الصلاة شغل قلوبنا دائمًا فاذيع العرضان حالاً بحرارة ربما هي زائدة عما طلبهُ زوينكل الآن الوقت كان غير اعتيادي . فان احد عشر رجلاً وهم زهرة الاكليروس كانوا قد القوا انفسهم في الثغر واقتضى تنوير عقول الناس وتثبيت المترددين وربح اعظم اعضاء المجمع صولة

ان اوسوالد في اثناء جهاداتهِ لم ينسَ اصدقاءهُ واخبرهُ الرسول الشاب بالمقاومات الحاصلة على زوينكل من قبل رهبان زوريخ فكتب اليهِ في اليوم بعينهِ يقول ان حق الروح القدس لا يمكن قهرهُ فانك وانت متسلح بسلاح الكتب المقدسة قد غلبت ليس في وقعتين فقط ولكن في ثلاث والرابعة مبتدئة الآن فتقلد بتلك الاسلحة القوية التي هي اقسى من الماس . والمسيح لا يطلب لاجل حماية اتباعهِ الأ كلمتهُ وجهاداتك تشجع جميع الذين قد كرّسوا انفسهم ليسوع المسيح شجاعة لا تكل

ولم يحدث العرضان التاثير المرغوب في لوسرن ومدحهما بعض الاتقياء ولكنهم قليلون وكثيرون خوفًا من ان يتداخلوا في ذلك لم يمدحوها ولا ذمّوها . وقال آخرون ان هولاء القوم لا ينجحون ابدًا في هذا العمل وجميع الخوارنة تذمروا منهما ووسوسوا ضدهما وصار الناس شرسين في مضادة الانجيل . وكانت محبة الحرب قد عاشت ايضًا في لوسرن بعد كسرة بيكوكا الدموية والحرب وحدها اشغلت كل العقول . واوسوالد الذي كان يلاحظ باهتمام تلك الدلائل المتنوعة شعر بضعف عزمهِ وتراءى لهُ ان نجاح الانجيل المستقبل الذي كان قد سبق فتخيلهُ في لوسرن وسويسرا تلاشى من امام عينيهِ فقال بتنهد عميق ان اهل بلادنا عميان بالنسبة الى الاشياء السماوية ولسنا نقدر ان نرجو شيئًا من اهل سويسرا مما يتعلق بمجد المسيح

وكان الغضب اعظم في المجلس والمجمع فان البابا وفرانسا وانكلترا والمملكة جميعهم كانوا في هياج حول سويسرا بعد كسرة بيكوكا وتخلية الفرنساويين لومبارديا تحت اوامر لاوترك . فقال بعضهم أَولم تكن الامور السياسية في اضطراب كافٍ حتى ان هولاء الاحد عشر رجلًا ياتون بعرضيهم ويزيدون عليها مسائل دينية محضة . ووكلاء زوريخ وحدهم مالوا الى المحاماة عن الانجيل والقانوني زيلوتكت اذ خاف على نفسهِ وزوجتهِ لانهُ كان قد تزوج بابنة رجل من اوجه عيال البلاد سكب دموع الاسف لما ابى ان يذهب الى اينسدلن ويختم على

العرضين . اما القانوني كلخمابر فكان اجسر مع ان لهُ اسبابًا شتى للخوف . وفي ١٢ آب كتب الى زوينكل يقول ان القضاء يهددني ولكني اتوقعهُ بشجاعة . وبينما هو كاتب تلك العبارة اذا محضر المجمع دخل مخدعهُ وامرهُ ان يحضر في الغد الى المجمع. فقال في مكتوبهِ ان القوني في السجن فاني اطلب مساعدتك بل نقل صخرة من جبالنا الالبية يكون اسهل من ان أُحوّل عرض اصبع عن كلمة يسوع المسيح . ولكن الاعتبار الواجب لعائلة هذا القانوني وعزم المجمع على ايقاع العاصف على راس اوسوالد خلصاهُ

ان برثولد هلَّر لم يمضِ العرضين وربما كان ذلك لانهُ لم يكن سويسيًا ولكنهُ بشجاعة لا تُدفَع فسر الانجيل متى كما فعل زوينكل وكان جمهور عظيم يحضر في كنيسة الكرسي في برن وكانت كلمة الله تفعل في الشعب باكثر قوة من مقامات منويل فأُمِر هلَّر بالحضور الى مجلس المدينة فخفر الشعب ذلك الرجل الوديع الى هناك وبقوا مجتمعين في ساحة الدار قدامها . فاختلف ارباب المجلس في آرائهم . قال اوجه الاعضاء انها قضية تتعلق بالاسقف فيجب ان نسلمهُ اياهُ . فارتعد اصدقاء هلَّر عند هذه الكلمات والتمسوا منهُ ان ينصرف بقدر ما يمكن من السرعة فاحدق بهِ الشعب ورافقوهُ الى بيتهِ وبقي امام بيتهِ جمهور كبير متقلد بالسلاح عازمين على ان يقيموا من اجسادهم سورًا لراعيهم المتواضع فكف المجلس والاسقف عند هذا العزم وخلص هلَّر. ولم يكن يحارب وحدهُ في برن لان سباستيان مايرنقض المنشور الى الرعية الذي كتبهُ اسقف قسطنسيا وعلى الخصوص التهمة بان تلاميذ الانجيل يعلمون تعليمًا جديدًا وان التعليم القديم هو التعليم الحقيقي فقال ان تمسكنا مدة الف سنة بالغلط لا يجعلهُ ذلك صوابًا ولا ساعة واحدة والاَّ لوجب على الوثنيين ان يبقوا على مذهبهم واذا كانت التعاليم القدم تؤثر فان الفًا وخمس مئة سنة هي اكثر من خمس مئة سنة والانجيل هو اقدم من قوانين البابا

وبالقرب من ذلك الوقت قبض ولاة فريبرج على مكاتيب معنونة باسم

هلّر ومابر من قانوني في تلك البلدة اسمهُ يوحنا هولارد من اهالي اوربى فحبسوهُ وخلعوهُ من وظيفتهِ واخيرًا نفوهُ فتظاهر حالاً يوحنا وانيوس احد مرتلي كنيسة الكرسي بالمحاماة عن التعليم الانجيلي لانهُ في تلك الحرب لم يكن يسقط جندي الاَّ وقام مكانهُ آخر فقال وانيوس كيف يمكن ماء التيبر الوحل ان يقوم الى جانب المعين الصافي الذي اجتذبهُ لوثيروس من ينابيع مار بولس . الآن فم هذا المرتل سُدَّ ايضًا . وكتب ميكونيوس الى زوينكل يقول انك في كل سويسرا بالكد تجد انسانًا اقل ميلاً الى التعليم الصحيح من اهالي فريبرج . واستُثني لوسرن من هذا الحكم وميكونيوس علم ذلك جيدًا وهو لم يكن قد ختم على العرضين المشهورَين نفسهُ ولكن اصحابهُ ختموها ولا بد للاعداء من ضحية . وآداب اليونان والرومانيين القديمة كانت آخذة في اشراق نورها على لوسرن بواسطة اجتهاداتهِ وطلبة كثيرون اتوا الى هناك من جهات مختلفة لكي يسمعوا هذا المعلم العالم ومحبو السلام اصغوا بفرح الى اصوات الطف من قعقعة الرماح والسيوف والدروع التي كانت الى ذلك الوقت لم تزل يسمع صداها في تلك المدينة الحربية . وكان اوسوالد قد ضحى كل شيء لاجل بلادهِ وترك زوريخ وخسر صحتهُ وكانت امراتهُ مريضة وابنهُ حدثًا فاذا طرحتهُ لوسرن خارجًا لا يقدران ينتظر ملجأً في مكان ولكنهم لم يكترثوا بذلك فان العُصَب السياسية لا ترحم وما يجب ان يحركها الى الشفقة انما يهيج غضبها. فان هرتنستين والي لوسرن المحارب القديم الشجاع الذي كان قد اشتهر في حروب سوابيا وبرغنديا اشار بطرد معلم المدرسة هذا وقصد ان ينفيهُ من المقاطعة مع يونانيتهِ ولاتينيتهِ وانجيلهِ . ونال مقصدهُ . ولما خرج هرتنستين من المجمع الذي فيهِ خُلع ميكونيوس من وظيفتهِ صادف برغور الوكيل من زوريخ فقال لهُ بتهكم اننا نرجع لكم معلمكم فاعدوا لهُ منزلاً هنيئًا فاجاب الوكيل الشجاع حالاً اننا لا ندعهُ يبيت في الفلاء الاَّ ان برغور وعد باكثر ما استطاع الوفاء بهِ

وبما ان خبر الوالي المذكور كان صادقًا وصل سريعًا الى ميكونيوس

المسكين فخُلع من وظيفتهِ ونُفي والذنب الوحيد الذي قُرّف بهِ هو كونهُ تلميذ لوثيروس فنظر الى ماحولهُ فلم يجد مكانًا يستظل بهِ هو وزوجتهُ وابنهُ الذين كانوا جميعًا ضعفاءٌ ومرضى فطُرِدوا من بلادهم وحولهُ كل سويسرا هائجة بعاصف قوي يكسر ويسحق كل ما يقاومهُ فقال حينئذٍ لزوينكل ههنا صاحبك ميكونيوس المسكين قد نفاهُ مجلس لوسرن . فالى اين اذهب لست اعلم . واذ انت محاط بثوران هذه العواصف القوية كيف يمكنك ان تظللني ففي حزني اصرخ الى ذلك الاله الذي هو رجائي الاعظم . هو الغني وهو الجواد ولا يسمح بان احدًا يدعوهُ ويرجع من دون استجابة فعساهُ يسد حاجاتي

فهكذا كتب اوسوالد ولم يلتزم بانتظار كلمة التعزية مدة طويلة . وكان في سويسرا رجل معتاد على حروب الايمان فدنا زوينكل من صديقهِ ونهضهُ وقال لهُ ان الضربات التي يحاول الناس ان يهدموا بها بيت الله هي قاسية بهذا المقدار وهكذا هجماتهم هي كثيرة حتى انهُ ليس الهواء والمطر فقط يثوران عليهِ كما تنبأ سيدنا الهُ المجد (مت ٧: ٢٧) ولكن البرد والصواعق ايضًا . ولو لم ارَ الرب يسهر على السفينة لكنت من زمان مديد قد تركت الدفة ولكني اراهُ في العاصف يقوي الادوات ويدبر العواصف وينشر القلوع نعم ويامر الرياح نفسها أفا اكون جبانًا وغير مستحق اسم رجل ان تركت مكاني وطلبت موتة معيبة وانا هارب . فاني اثق ثقة كاملة بجودتهِ الفائقة فليحكم ويتقدَّم بنا ويسرع او يبطي ويغرقنا الى اعماق الغمر ايضًا فاننا لا نخاف شيئًا فاننا آنية مختصة بهِ فلهُ ان يستعملنا كما يشاء للكرامة او الهوان . وبعد هذه الكلمات المموَّة من الايمان المخلص يستدلي زوينكل قائلاً اما نظرًا اليك فهذه نصيحتي . قف امام المجلس وقدم خطابًا يليق بك وبالمسيح اي موَّهلاً لان يلين حواسهم دون ان يقسيها وانكر كونك تلميذ لوثيروس واعترف بكونك تلميذ المسيح وليحدق بك تلاميذك ويتكلموا ايضًا وان لم ينجح ذلك فتعال حينئذٍ الى صديقك الى زوينكل واحسب مدينتنا وطنًا لك

فتقوى اوسوالد بهذه العبارات وتبع مشورة المصلح الشريفة الآن جميع
اتعابهِ ذهبت سدًى فاضطر شاهد الحق هذا الى ترك بلادهِ ونادى اهالي
لوسرن ضدهُ وقاوموهُ بهذا المقدار حتى ان الولاة في كل مكان منعوهُ من ان
يجد ملجأ فصرخ معترف المسيح هذا الذي انسحق قلبهُ عند نظرهِ هذا المقدار
من العداوة وقال لم يبقَ لي شيءٌ الآن استعطي الخبز من باب الى باب. وهذا
الفاضل صديق زوينكل وعونهُ الاقوى والرجل الاول في سويسرا الذي
قرن العلم بالمحبة للانجيل مصلح لوسرن والذي بعد ذلك صار واحدًا من رؤساء
الكنيسة الهلفيتية التزم ان يترك مع زوجتهِ المريضة وابنهِ الحدث تلك المدينة
الناكرة الجميل حيث لم يقبل الانجيل من كل عائلتهِ الّا واحدةٌ من اخواتهِ فعبر
جسرها القديم وودع تلك الجبال التي تترايا كانها تصعد من حضن بحيرة
والستاتر الى السحاب وتبعهُ مسافة قصيرة القانونيان زيلوتكت وكلمابر
الصديقان الوحيدان اللذان حُسِبا من اتباع الاصلاح وفي الساعة التي فيها دار
هذا الرجل المسكين مع الشخصين الضعيفين اللذين وجودهما متعلق عليهِ وبعين
ملتفتة نحو البحيرة وبدموع ذُرِفت على بلادهِ العمياء ودع مناظر الطبيعة السامية
تلك التي كان جلالها قد احدق بسرير طفوليتهِ. في تلك الساعة ارتحل الانجيل
نفسهُ من لوسرن وتسلطت رومية هناك الى يومنا هذا

وبعد ذلك بقليل اذ تحرك الجمع الملتئم في بادن بواسطة القساوة التي عُومل
بها ميكونيوس وهاج بسبب العرضين المقدمين من اينسدلن اللذين كانا قد
طُبِعا واحدثا حركة عظيمة في كل مكان والحّ عليهِ اسقف قسطنسيا الذي
طلب منهُ ان يسحق المصلح اثار الاضطهاد وامر ولاة المقاطعات ان يشهروا
اسماء جميع الخوارنة والعوام الذين تجاسروا على الكلام ضد الايمان وامر بالقاء
القبض حالاً على الواعظ الذي اتفق حينئذٍ وجودهُ بالقرب اعني اوربان ويس
راعي فسلسباخ الذي سابقًا أُطلق تحت كفالة وأُمِر باخذهِ الى قسطنسيا حيث
سُلِّم للاسقف الذي ابقاهُ زمانًا طويلاً في السجن. قال بولنجر في تاريخهِ هكذا ابتدات

الاضطهادات الجمهورية على الانجيل وحدث ذلك بواسطة الحاج الاكليروس الذين في كل قرن قد جرُّوا يسوع المسيح الى مجالس قضاء هيرودس وبيلاطس

ثم ان زوينكل نفسهُ لم ينجُ من التجربة . لانهُ بالقرب من ذلك الوقت جُرِح جرحًا اشد الما وذلك ان خبر تعاليمهِ ونضالهِ كان قد اجتاز السنتيس وطرّق الى توكنبرج وبلغ اعالي ويلدهوس فاثر ذلك تاثيرًا عميقًا مولمًا في عائلة الرعاة التي نبغ المصلح منها وكان البعض من اخوة زوينكل الخمسة قد واظبوا اعمالهم السليمة في الجبال والبعض احزنوا اخاهم بحمل السلاح وتركوا مواشيهم وخدموا الاجانب واندهل الفريقان عند ما بلغهما الخبر وتصوروا اخاهم يساق الى قسطنسيا الى امام الاسقف وتلاً من الوقود قد أُقيم لهلاكهِ في نفس الرقعة التي أُحرِق فيها يوحنا هس ولم يكن هولاء الرعاة المتكبرون يطيقون ان يدعوا اخوة اراتيكي فكتبوا الى زوينكل يصفون لهُ حزنهم وخوفهم من ذلك فجاوبهم زوينكل بما ياتي . قال ما دام الله يسمح لي اعمل العمل الذي سلمني اياهُ من دون خوف من العالم وظَلَمَتهِ المتشامخين . وانا اعلم كل شيء يمكن ان يعرض لي ولا يوجد خطر ولا شقاوة الاَّ وقد وزنتها من زمان مديد وقوتي هي العدم نفسهُ وانا اعلم بقوة اعدائي الاَّ انني اعلم ايضًا انني اقدر ان اعمل كل شيء بالمسيح الذي يقويني مع اني لو سكت لأُلجئ آخر ان يعمل ما الله عاملهُ الآن بواسطتي ولكن اجلب على نفسي عقابًا من القادر على كل شيء . فانفوا كل خوف يا اخوتي الاعزاء واذا كان بي خوف فانما ذلك لاني كنت الطف واودع مما يقتضيهِ زماننا هذا . انتم تقولون اي عار يلحق عائلتنا اذا أُحرقتَ او قُتلتَ بطريق آخر ايًا كان . آه يا اخوتي الاحباء ان الانجيل يستخرج من دم المسيح هذه الخاصة العجيبة ان اشد الاضطهادات فضلاً عن انها لا تمنع تقدمهُ انما تكون واسطة لتعجيلهِ واولئك فقط هم جنود المسيح الذين لا يخافون من ان يحملوا في اجسادهم جراحات معلمهم . وكل اتعابي ليس لها مقصد آخر الاَّ المناداة للناس بكنوز الغبطة التي ابتاعها المسيح لنا لكي يقدر الجميع ان يلتجئوا الى الآب بواسطة موت

ابنهِ . فاذا كان هذا التعليم بشككم فان غضبكم لا يقدر ان يمنعني . انتم اخوتي نعم اخوتي بنو اب واحد بعينهِ واثمار بطن واحد بعينهِ ولكن لو لم تكونوا اخوتي في المسيح وفي عمل الايمان لبلغ حزني حينئذٍ درجة لا تعادلها درجة فاستودعكم الله ولا ازال دائمًا اخاكم المحب لكم اذا كنتم انتم لا تزالون ايضًا اخوة بسوع المسيح

وترايا كأنَّ الجمهورية قامت كرجل واحد ضد الانجيل وعرضا اينسدلن رفعا العلامة لذلك واذ كان زوينكل مضطربًا من جراء ما اصاب ميكونيوس راى في مصائبهِ ابتداء الدواهي . فرأى اعداء في زوريخ واعداء خارجًا عنها وراى اقارب الانسان انفسهم اعداء لهُ ومضادة شديدة من الرهبان والخوارنة واستعدادات قاسية في المجمع والمجالس وهجات جافية وربما دموية من احزاب الخدمة الخارجية ووديان اعلى جبال سويسرا التي هي سرير طفولية الجمهورية تدفق صفوفها القوية لكي تخلص رومية وتلاشي بسفك دمائها ايمان ابناء الاصلاح المستجد . فهكذا كان ما رأتهُ عن بعد عينا هذا المصلح الحادتان فاقشعر من تلك المناظر الهائلة . فيا لها من عواقب مريعة . فهل كان العمل الذي بالكد ابتدا عتيدًا ان يتلاشى . وكان زوينكل هاجسًا وهائجًا ولكنهُ القى كل كآبتهِ امام عرش الله وقال يا يسوع انت ترى كيف اصمَّ الاردياء والجدفون اذان شعبك بواسطة جلبتهم . وانت تعلم اني منذ صبائي قد ابغضت كل جدال ولكن رغمًا عني ما زلتَ تلجئني الى النضال . ولهذا اتضرع اليك بثقة ان تكمل ما قد ابتدات بهِ . وان كنت انا قد بنيت شيئًا على غير استقامة فاهدمهُ بيدك القديرة وان كنت قد وضعت اساسًا غيرك فلتخربهُ ساعدك القوية . فيا ايها الكرمة المخصبة حلاوةً التي كرامها الآب ونحن اغصانها لا تترك فروعك لانك قد وعدت ان تكون معنا الى نهاية العالم

في ٢٢ آب سنة ١٥٢٢ اذ راى اولريخ زوينكل مصلح سويسرا العواصف تنحدر من الجبال على سفينة الايمان الضعيفة سكب على هذا المنوال كآبتهُ واشتياقاتهِ امام الله

الكتاب التاسع

سنة ١٥٢١ و١٥٢٢

الفصل الاول

تقدم الاصلاح . عصر جديد . فائدة اقامة لوثيروس في قلعة الوارتبرج .

هياج في جرمانيا . ملانكثون ولوثيروس

منذ سنة ١٥١٦ كان قد تجددت المناداة بتعليم قديم في الكنيسة اي البشائر العظيمة بشائر الخلاص بالنعمة التي نُشِرت في الازمان القديمة في اسيا وبلاد اليونان وايطاليا بواسطة بولس واخوتهِ كُشِفَت ثانيةً بعد قرون كثيرة في الكتاب المقدس على يد راهب وتمبرجي فبلغ صوتها الى رومية وباريس ولندن وجبال سويسرا الشامخة ردت صدى اصواتها القوية وينابيع الحق والحرية والحياة انفتحت ايضًا للجنس البشري فاسرعت الشعوب اليها افواجًا وشربت بفرح غيران الذين كانوا هناك قد اروروا ظماءهم بانشغاف لم يتغيروا في ظاهرهم بل كل شيء في الداخل كان جديدًا ومع ذلك كل شيء في الخارج بل كانهُ باقٍ كما كان . فنظام الكنيسة وطقوسها وتاديبها لم يعترها تغيير وفي سكسونيا حتى في وتمبرج وحيثما دخلت الافكار الجديدة بقيت العبادة البابا وية حسب جاري عادتها فالخوري الذي قدس قدام المذبح ترايا كانهُ اعتقد بالاستحالة والرهبان والراهبات كانوا يدخلون الاديرة وينذرون نذورهم الدائمة الوجوب ورعاة الشعب بقوا منقطعين عن الزواج الشرعي والاخويات الدينية اجتمعت

والسياحات تمت والمؤمنون علقوا نقدماتهم المنذورة على اعمدة المعابد وجميع الطقوس حتى افل شيء من عوائد المقدس حُفِظَت كالاول . كانت حياة جديدة قد دبت في العالم الّا انها لم تكن قد خلقت جسدًا جديدًا . وكلام الخوارنة ناقض اعمالهم مناقضة تامة فكنت تسمع الخوري يرعد عن المنبر ضد القداس بانهُ عبادة صنمية ثم تراهُ ينزل الى المذبح ويجري بكل اهتمام وورع طقوس ذلك العمل ففي كل مكان رد الانجيل صداهُ بين الطقوس القديمة والخوارنة انفسهم لم يُدركوا ذلك التناقض الغريب والشعب الذي اصغى بلذة الى كلام جسور من افواه الواعظين الجدداء مارسوا بورع السنن القديمة كانهم لم يكونوا عتيدين ان يتركوها ابدًا فكل شيء بقي كما كان في العيال وفي الجماعات المعشرية كما في بيت الله . دخل ايمان جديد في العالم ولكن لم تكن اعمال جديدة بعد وشمس الربيع اشرقت الّا ان الشتاء لم يزل رابط كل الطبيعة ولم يكن زهور ولا ورق ولا شيء في الخارج يدل على تغير الفصل ولكن هذه الظواهر كانت خادعة لان دمًا جديدًا اخذ يجري بالخفاء في العروق وكان عتيدًا ان يغير منظر العالم وربما كان الاصلاح مديونًا في غلبتهِ الى هذا التقدم بالحكمة فان كل حركة يجب ان تكمل في العقل قبل اجرائها في الخارج ولوثيروس نفسهُ لم ينتبه الى التناقض المذكور آنفًا في اول الامر وبان لهُ امرٌ طبيعي ان الشعب الذين قرأوا مؤلفاتهِ برغبة عظيمة يبقون متمسكين تمسكًا شديدًا بالعوائد التي قاومتها تلك المؤلفات كانهُ دبر طريقتهُ قبلاً وعزم على تغيير الضمير قبل تغيير الصورة غير ان هذا الزعم ينسب لهُ حكمة مختصة بعقل اسمى من عقول البشر بل اجرى ترتيبًا لم يكن هو نفسهُ قد دبرهُ وبعد حين عرف هذه الامور وادركها الّا انهُ لم يتصورها ولا رتبها سلفًا بل انما الله فتح الطريق وكان من واجبات لوثيروس ان يسير فيهِ

فلو ابتدأ لوثيروس باصلاح خارجي ولو انهُ حالما شرع بالعمل اجتهد في نفي النذور الرهبنية والقداس والاعتراف وطقوس العبادة لكان لا محالة

صادف مقاومة قوية فان الانسان يحتاج الى زمان لاجل اعداد نفسهِ لانقلاب عظيم ولوثيروس لم يكن بالكلية المخترع القاسي الاحمق الجسور الذي وصفهُ بهِ بعض المورخين والشعب اذ لم يروا تغييرًا في عباداتهم المعتادة سلموا انفسهم من دون خوف لمعلمهم الجديد حتى انهم تعجبوا من المقاومات الصادرة ضد انسان ترك لهم قداسهم ومسابحهم ومعرّفيهم ونسبوها الى حسد دني من اخصام ادنياء او الى قساوة ظلم اعداء اقوياء غير ان آراء لوثيروس هيجت عقولهم وجددت قلوبهم وبذلك اضعفت البناء القديم حتى سقط من نفسهِ من دون عمل بشري . لان الافكار لا تفعل فجأةً بل تفتح طريقها بهدو كالمياه التي تجري بسكون حول صخرة حتى تقتلعها من مكانها والعمل المعمول سرًّا يظهر بغتةً ويوم واحد يكفي لكشف عمل سنين بل عمل قرون كثيرة

فدخل الاصلاح على عصرٍ جديد وكان الحق قد رجع الى التعاليم وصارت التعاليم عتيدة ان ترد الحق الى كل اقسام الكنيسة والهيئة الاجتماعية ومن جرى شدة الحركة لم تستطع عقول الناس ان تبقى راسخة غير متحركة في المكان الذي وصلت اليهِ وعلى تلك الآراء المتزعزعة بقوة كهذه قد بنيت عوائد مالت الى السقوط ولا بد من تلاشيها معها وفي الجيل الجديد شجاعة وحياة عظيمتان جدًّا لا تسمحان لهُ ان يبقى صامتًا امام الغلط فان الاسرار والعبادة المشتهرة والرياسة والنذور والنظام والحياة في العائلة والجمهور عتيدة باسرها ان تتغير والسفينة التي بُنيت بالتدريج والاجتهاد عتيدة ان تترك الشط وتُلقى في البحر المتسع فيجب ان نقفو اثرها في لجج كثيرة

ان سكنى لوثيروس في قلعة الوارتبرج يفصل بين هذين العصرين المشار اليهما فان العناية الالهية المزمعة ان تسوق الاصلاح في طريقهِ اعدت الظروف اللازمة لتقدمهِ بواسطة اقتيادها الى وحدة منقطعة الآلة العتيدة ان تحدثهُ والعمل تراءيا الى زمان مدفونًا مع العامل ولكن لا بد من القاء البزور في الارض لكي ياتي بثمر ومن ذلك السجن الذي بان انهُ قبر المصلح خرج الاصلاح الى

غزوات جديدة وامتد عن قليل في العالم باسرهِ

والاصلاح الى ذلك الوقت اتخذ شخص لوثيروس مركزًا ولا شك ان ظهورهُ امام المجمع في وُرمس كان اهم ايام حياتهِ فان اخلاقهُ ظهرت في ذلك الوقت لا لوم فيها تقريبًا وبناء على ذلك قال البعض ان الله الذي اخفى لوثيروس مدة عشرة اشهر داخل اسوار الوارتبرج لو لم يسمح برجوعهِ الى العالم ايضًا لكانت آخرتهُ تأليهًا لهُ الّا ان الله لم يقصد ان يؤلّه عبدهُ فحُفِظ لوثيروس للكنيسة لكي يعلم حتى بنقائصهِ بان ايمان المسيحيين يجب ان يُبنَى على كلام الله فقط ونُقِل بغتةً عن الرقعة التي جرت فيها حركة القرن السادس عشر العظيمة والحق الذي نادى بهِ مدة اربع سنوات بهذا المقدار من القوة لم يزل في غيابهِ يفعل بين المسيحيين والعمل الذي لم يكن لهُ الّا آلةً ضعيفة حمل من ذلك الوقت فصاعدًا ختم الله نفسهِ لا ختم انسان

هاجت جرمانيا بسبب سبي لوثيروس فشاعت في البلاد الاخبار المتناقضة وغياب المصلح هيج عقول الناس اكثر مما فعل حضورهُ فقيل في مكان ان اصدقاءهُ من فرانسا قد وضعوهُ بامان في الجانب الآخر من الرين وفي مكان آخر انهُ قد سقط بسيف القاتل حتى انهُ في اصغر القرى كان الناس يفحصون عن لوثيروس واوقفوا السواح يسالون عنهُ وكانت تجتمع جماعات في الاماكن المشتهرة واحيانًا كان بعض الخطباء المجهولين يقص عليهم في اخبار مهيجة كيف ان العالِم قد خُطِف ووصفوا الفرسان القساة بانهم ربطوا يدي اسيرهم ولكزوا افراسهم وجروهُ وراءهم ماشيًا حتى خارت قواهُ وسدوا آذانهم عن صراخهِ واخرجوا الدم من اعضائهِ والبعض قال ان جسد لوثيروس قد شُوهِد مقطعًا آرابًا ولما سمع المصغون ذلك ناحوا قائلين وا اسفاه اننا لا نسمع ولا نرى بعد ذلك الرجل الزكي الفؤاد الذي كان صوتهُ يهيج قلوبنا وكان اصدقاء لوثيروس يرتعدون غضبًا ويحلفون باخذ ثارهِ والناس والاولاد واصحاب السلامة والشيوخ نظروا بخوف الى دلائل الهياج الجديد ولم يكن شيء يوازي

هياج احزاب رومية فان الخوارنة والرهبان الذين لم يقدروا اولاً ان يخفوا فرحهم لما زعموهُ قد مات والذين رفعوا رؤُوسهم بالافتراء علامةً للغلبة صاروا يرغبون في النجاة من غضب الشعب المهدد وهولاء القوم الذين اطلقوا العنان لغضبهم لما كان لوثيروس في الميدان ارتعدوا لما كان ماسورًا والياندر على الخصوص وقع في حيرة وكتب باباوي الى رئيس اساقفة منتز يقول ان الطريق الوحيدة الباقية لنجاة انفسنا هي ان نوقد مصابيح ونطوف مفتشين على لوثيروس في العالم اجمع لكي نردهُ الى الامة التي تطلبهُ . فكانَّ طيف المصلح طاف يجر سلاسلهُ ويلقي الرعبة في كل مكان ويطلب الانتقام وقال البعض ان موت لوثيروس يحدث سفك انهر من الدماء

ولم يكن في مكان حركة مثل التي صارت في وُرمس نفسها فسُمع تمرمر قوي بين الشعب والامراء فان اولريخ ڤان هوتن وهرمن بوشخ ملأا البلاد باغانيهم وترانيلهم الحربية وكرلوس الخامس وقصاد البابا فُرّفوا جهارًا والامة كلها تعصبت للراهب المسكين الذي بواسطة قوة ايمانهِ صار قائدهم

وفي وتمبرج ارفاق لوثيروس واصدقاؤُهُ ولا سيما ملانكثون غرقوا في اول الامر في اعمق الكآبة فان لوثيروس كان قد اعطى هذا التلميذ الفتى كنوز ذلك اللاهوت الطاهر الذي شغل من ذلك الوقت عقلهُ وكان لوثيروس قد اعطى الجوهر والحياة لذلك العلم العقلي الخالص الذي جاء بهِ ملانكثون الى وتمبرج وعمق تعليم المصلح كان قد اثر في الطالب الشاب وشجاعة العالم في محاماتهِ عن حقوق الانجيل الابدي من كل سلطة بشرية ملأتهُ غيرة وقادة وصار شريكًا لهُ في اعمالهِ فتناول القلم وبواسطة عباراتهِ الواضحة الخالصة التي اكتسبها من درس مصنفات القدماء أهبط على التوالي بيد قوية سلطان الآباء والمجامع امام كلمة الله الفائقة

وابدى ملانكثون في علمهِ نفس العزم الذي ابداهُ لوثيروس في اعمالهِ ولم يكن قط رجلان بينهما فرق اعظم ولا رجلان على اتحاد اشد من هذين . قال

ملانكثون ان الكتاب المقدس يكسب النفس بهجة مقدسة عجيبة فهو الطعام السماوي وقال لوثيروس ان كلمة الله هي سيف وحرب وخراب فانها تسقط على اولاد افرايم كلبوة في الغابة وهكذا راى احدهما في الكتب المقدسة قوة للتعزية والآخر مضادة قوية لفساد العالم . الأ انهما جميعًا اعتبراها الشيء الاعظم في العالم . ومن ثمّ اتفقا اتفاقًا تامًّا . قال لوثيروس ان ملانكثون اعجوبة وجميع الناس يقرّون بذلك الآن وهو اشد عدو للشيطان واللاهوتيين لانهُ يعرف حماقتهم والمسيح هو الصخرة وهذا اليوناني الصغير يفوقني حتى في الالهيات وهو يفيدكم كلوثيروسين كثيرين . وزاد على ذلك انهُ كان مستعدًّا لترك كل راي لم يعجب فيلبس . وكذلك ملانكثون من الجهة الاخرى تعجب جدًّا من معرفة لوثيروس في الكتب المقدسة وحسبهُ اعلى كثيرًا من آباء الكنيسة واعتذر عن الهزل الذي شُجب لوثيروس لاجلهِ وقابلهُ باناء خزف يتضمن كنزًا كريمًا تحت ظاهرهِ الخشن وقال انني لا اريد ابدًا ان اوبخهُ بصرامة على هذا الامر

وحينئذٍ انفصل هذان القلبان المتحدان وذلك الاتحاد العظيم انتقض وهذان الجنديان البطلان لم يقدرا بعد ان يهجما معًا لاجل تخليص الكنيسة فان لوثيروس قد توارى وربما فُقِد الى الابد والرعية في وتبرج كانت مفرطة فكانت نظير جيش واقف بوجه معبس كئيب امام جثة مضرجة بالدماء وهي جثة قائدهِ الذي قادهُ الى الغلبة

الأ انهُ بغتةً اتت اخبار اكثر تعزية فصرخ فيلبس بفرح عظيم ان ابانا العزيز حي فتشجعوا واثبتوا ولكن لم يمضِ الأ قليل حتى رجعت كآبتهم . كان لوثيروس حيًّا الأ انهُ كان محبوسًا وامر ورمس مع احكامهِ الهائلة قد اذيع الوف من نسخهِ في المملكة حتى بين جبال تيرول . أفلا ينسحق الاصلاح تحت اليد الحديدية الموضوعة بثقلها عليهِ . فامتلأت روح ملانكثون اللطيفة حزنًا

وكان سلطان يد اقوى قد ظهر فوق يد الانسان فان الله نفسهُ نزع من الامر الشديد كل قوتهِ وامراء جرمانيا الذين طلبوا دائمًا تقصير قوة رومية

في المملكة ارتعدوا من الاتحاد بين الامبراطور والبابا وخافوا من ان نهايتهُ تكون فقد حريتهم ومن ثم عند ما كان كرلوس في سفرهِ في البلاد الواطية ينظر بابتسام متهكم الى الوقود التي اضرمها الملقون واصحاب الوساوس في الاماكن المشتهرة لحرق كتب لوثيروس كانت تلك الكتب نفسها تنقرا في جرمانيا بنشاط لم يزل يتزايد وكتب كثيرة في المحاماة عن الاصلاح كانت كل يوم تضرب البابوية ضربات جديدة والقصاد ارتبكوا عند ما راوا ذلك الامر الذي هو ثمر حبل كثيرة جدًا يحدث تاثيرًا قليلاً مثل هذا فقالوا بمرارة ان الحبر الذي امضى بهِ كرلوس الخامس أمرَهُ لم يجف بعد ومع ذلك الامر الملوكي يمزّق في كل مكان والشعب يزداد محبة للرجل العجيب الذي من دون خوف من صواعق كرلوس والبابا اقر بايمانهِ بشجاعة شهيد وقالوا انهُ عرض الرجوع اذا اقنعوهُ ولكن لم يتجاسر احد على ذلك . اما يبرهن ذلك صدق تعليمهِ . وهكذا الخوف الاول عقبتهُ في وتمبرج وكل المملكة حركة غيرة وقادة حتى ان رئيس اساقفة منتز اذ شاهد ميل الجمهور هذا لم يتجاسر ان ياذن لرهبان ماري فرنسيس بان يعظوا ضد المصلح والمدرسة التي كادت تُسحق رفعت راسها والتعاليم الجديدة كانت راسخة جدًا بحيث لم تتزعزع من جرى غياب لوثيروس وقاعات المدرسة بالكد وسعت جمهور المصغين

الفصل الثاني

اشغال لوثيروس في قلعة الوارتبرج

وفي تلك الفترة الفارس جاورجيوس (وذلك اسم لوثيروس في الوارتبرج) عاش منفردًا وغير معروف فكتب الى ملانكثون يقول لو رايتني لحسبتني جنديًا

وبالكد عرفتني . وفي اول الامر تمتع لوثيروس بالراحة وكان لهُ فراغ لم يحصل علي مثلهِ في ما مضى وجال بحرية في الحصن ولكن لم يُسمح لهُ بان يخرج خارج السور ونال كل ما طلبهُ ولم يعامَل قط باحسن معاملة وكثير من الافكار ملأت نفسهُ ولكن لم يكن شيءٌ منها بزعجهُ وكان تارةً ينظر الى الاحراش المحدقة بهِ وتارةً يرفع عينيهِ نحو السماء وقال انني اسير عجيب قد أُسِرت بارادتي وضدها. وكتب الى سپالاتين يقول صلِّ من اجلي. لاني غير محتاج الى شيءٍ الا صلواتك فاني لست انغم من شيء يقال عني في العالم وقد حصلت اخيرًا على الراحة . وذلك المكتوب ومكاتيب اخر كثيرة غيرهُ في تلك المدة ارخها من جزيرة بطمس لهُ اي قابل الوارتبرج بتلك الجزيرة المشهورة التي نفي اليها في القديم غضب دومتيانوس يوحنا الرسول

ففي وسط غابات ثورنجيا المظلمة استراح المصلح من الاضطرابات التي كانت قد هيجت نفسهُ ودرس هناك الحق المسيحي ليس لاجل المخاصمة بل نظير واسطة للتجديد والحياة وابتداء الاصلاح كان بالضرورة مقرونًا بالجدالات والماحكات والازمنة الجديدة تقتضي اعمالاً جديدة وبعد قطع الاشواك والغابات اقتضى زرع كلام الله بسلامة في القلب فلو التزم لوثيروس دائمًا من دون انقطاع بان يحارب حروبًا جديدة لما عمل عملاً ثابتًا في الكنيسة فبواسطة سبيهِ نجا من خطر ربما كان اهلك الاصلاح وهو المقاتلة والخراب دائمًا من دون محاماة ولا بناء

وذلك الملجأ المتواضع كان لهُ نتيجة اثمن ايضًا لان اهالي بلادهِ رفعوهُ على ترس فصار على حافة هوة وكان اقل شيء قد اغرقهُ فيها فان البعض من اصحاب الاصلاح في جرمانيا وسويسرا اقتحموا تيارات الكبرياء الروحية والترفض وكان لوثيروس رجلاً خاضعًا جدًّا لضعف طبيعتنا غير قادر على النجاة بالتمام من تلك الاخطار الآن يد الله خلصتهُ الى حين بنقلها اياهُ بغتة من حيّز التكرمات وطرحها اياهُ في خلوة مجهولة وهناك التفت نفسهُ بالتاملات الروحية عند موطىء قدميهِ تعالى وأُصلحت ثانيةً بمياه المصائب وآلام نفسهِ ووضعها

اضطرتهُ الى المشي اقلما يكون الى حين مع المتواضعين ومبادي الحياة المسيحية انتشرت من ذلك الوقت فصاعداً في نفسهِ بنشاط اشد وحرية اوسع

ان هدولوثيروس لم يكن ليثبت زماناً طويلاً واذ جلس في وحدة على حصون الوارتبرج كان يبقى اياماً كاملة ضائعاً في تامل عميق فاحياناً ظهرت امامهُ الكنيسة بكل شقاوتها واحياناً رفع نظرهُ نحو السماء قائلاً الى اي باطل خلقتَ جميع بني آدم (مز ٨٩: ٤٧) ثم وقع في اليأس وصرخ بكآبة شديدة ياويل. لاحد في اليوم الاخير يوم غضبهِ يقف نظير حائط امام الرب ويخلص اسرائيل ثم رجع الى نصيبهِ هو وخاف ان يُتهَم بترك ميدان القتال . وهذا الفكر كان ثقيلاً عليهِ جداً فقال احبُّ اليَّ ان أُبسَط على جمر نار من ان اضطجع ههنا وانا نصف ميت . واذ انتقل بفكرهِ الى وُرمس ووتمبرج الى وسط اخصامهِ تاسف على انهُ سلَّم لراي اصدقائهِ وعلى انهُ ترك العالم ولم يقدم صدرهُ لغضب الناس فقال آه . لا شيء ارغب فيهِ اكثر من ان اقف امام اقسى اعدائي. الآن افكاراً الطف خمدت ذلك الاضطراب ولم تكن كل الامور عواصف وانواء حولهُ بل من حين الى حين سكن ضميرهُ الهائج وبعد اليقين بمساعدة الله عزاهُ شيء واحد في احزانهِ وهو تذكرهُ ملانكثون فكتب اذا متُّ فالانجيل لا يخسر شيئاً فانت تخلفني كما خلف اليشع ايليا بقسم مضاعف من روحي . ولكنهُ لما تذكر جبانة فيلبس صرخ بحرارة ياخادم الكلمة احفظ اسوار اورشليم وحصونها حتى يصرعك العدو فالى الآن نحن نقف وحدنا في ميدان القتال ولا بد انهم بعدي يوجهون ضرباتهم نحوك

والفكر بالضربة الاخيرة التي كانت رومية عتيدة ان تضرب بها الكنيسة الضعيفة جددت اضطراباتهِ فالراهب المسكين المحبوس كان عليهِ ان يحارب حروباً كثيرة وحدهُ ولكن رجاء النجاة اشرف عليهِ عاجلاً وترايا لهُ ان هجمات البابوية تهيج كل الشعب الجرماني وان جنود الانجيل الظافرين يحدقون بالوارتبرج ويطلقون المحبوس فقال اذا كان البابا يلقي يدهُ على جميع الذين هم

من جانبي فسوف يكون اضطراب في جرمانيا وكلما اسرع في سحقنا اسرع مجي آخرة البابا واتباعهِ وانا نعم انا سوف أُرَدُّ اليكم . فان الله ينبه قلوب كثيرين ويحرك الشعوب فدع اعداءنا يقبضون بايديهم على عملنا ويحاولون خنقهُ فلا بد انهُ يزداد قوة من تضييقهم عليهِ ويخرج من بين ايديهم عشرة اضعاف اقوى مما كان اولاً

الآن المرض انزلهُ عن تلك المرتفعات التي اقامهُ ايمانهُ وشجاعتهُ عليها وكان قد ضعف كثيرًا في وُرمس واشتد مرضهُ في الوحدة ولم يكن يقدر ان يحتمل الطعام في الوارتبرج الاقل غلاظة من طعام ديرهِ فالتزموا ان يعطوهُ الطعام الخشن الذي كان معتادًا عليهِ وصرف ليالي باسرها من دون نوم واضيفت اضطرابات العقل الى الم الجسم . فانهُ لا يمكن تتميم عمل عظيم مهما كان من دون الم واستشهاد واذ كان لوثيروس وحدهُ على صخرتهِ احتمل في بنيتهِ القوية آلامًا كانت ضرورية لعتق الجنس البشري . قال كنت اجلس في الليل في مخدعي اتنهد كالمراة الماخض ممزقًا ومجروحًا ومدمًى . ثم قطع سلاسل تاوهاتهِ وتاثر بالفكر بان آلامهُ هي بركة من الله وصرخ بمحبة قائلاً الشكر لك ايها المسيح لانك لا تريد ان تتركني من دون علامات صليبك الكريمة . ثم غضب على نفسهِ وصرخ قائلاً ما اعظم جنوني وما اقسى قلبي فالويل لي انني قلما اصلي وقلما اصارع الرب ولا اتنهد لاجل كنيسة الله . وعوضًا عن ان اكون حارًا بالروح تتوقد شهواتي فانني اعيش بالكسل والنوم والتواني . وحينئذٍ اذ كان غير عالم الى اي شيء ينسب هذه الحالة وكان متعودًا انتظار كل شيء من محبة اخوتهِ صرخ من قلبهِ المقفر قائلاً يا اصدقائي أَالعلكم تتغافلون عن الصلاة من اجلي حتى ان الله قد ابتعد هكذا مني

ان الذين حولهُ واصدقاءهُ في وتمبرج وفي بلاط الملك المنتخب خافوا عليهِ من تلك الحالة الاليمة وخشوا من ان يروا الحياة التي خلصوها من نيران البابا وسيف كرلوس الخامس تسقط سقوطًا محزنًا وتموت فهل كانت قلعة الوارتبرج

عنيدة ان تصير قبر لوثيروس . قال ملانكثون انني اخشى من ان الكآبة التي يشعر بها لاجل الكنيسة تكون سببًا لموتهِ. اضرم نارًا في اسرائيل فاذا مات فاي رجاء يبقى لنا فيا ليتني بواسطة فقد حياتي الشقية اقدر ان احفظ في العالم تلك النفس التي هي اجمل زينتهِ . ثم صرخ كانهُ واقف على قبر لوثيروس قائلاً يا لهُ من رجل . اننا لم نعتبرهُ قط كما ينبغي

ان ما دعاهُ لوثيروس تواني سجنهِ المعيب كان عملاً يكاد يفوق طاقة انسان واحد وكتب في ١٤ ايار يقول اني مهنا النهار كلهُ في التواني والتنعم (ولا شك انهُ اشار بذلك الى الطعام الاحسن الذي ناولوهُ اياهُ) فاقرا الكتاب المقدس في العبراني واليوناني وانا عازم على كتابة رسالة في الجرماني عن الاعتراف وسوف ارجع الى تكميل ترجمة المزامير وانشاء كتاب مواعظ حالما يصل اليَّ ما احتاج اليهِ من وتمبرج فاني اكتب من دون انقطاع . ولم يكن ذلك الاَّ جزءًا من شغلهِ

زعم اعداؤهُ بانهُ ان لم يكن قد مات فاقلما يكون لا يعودون يسمعون بهِ الآن فرحهم لم يبقَ زمانًا طويلاً ولم يكن شك بانهُ لم يزل حيًّا وكتابات جمة أُنشِئَت في الوارتبرج كانت تتبع بعضها بعضًا بسرعة وصوت المصلح المحبوب حصل في كل مكان على الترحب بكل رغبة فاشهر لوثيروس في الوقت بعينهِ اعمالاً من شانها ان تبني الكنيسة ونبذًا جدلية ازعجت افتخار اعدائهِ المتجاوز الحد فبقي نحو سنة كاملة يعلّم تارةً وينذر اخرى ويوبخ ويرعد من خلوتهِ على الجبال فتحير اخصامهُ وسالوا احدهم الآخر لعلهُ موجود شيءٌ فائق الطبيعة او سرٌّ في ذلك النشاط البليغ . قال كوكلاوس انهُ لم يكن يقدر ان يرتاح ابدًا

لم يكن في ذلك سرٌّ آخر غير حماقة احزاب رومية فانهم حالاً ارادوا ان ينتهزوا فرصة امر ورمس ويضربوا الاصلاح ضربة قوية . ولوثيروس المشجوب كان تحت غضب المملكة والمحبوس في الوارتبرج اخذ يحامي عن التعليم الصحيح كانهُ لم يزل غالبًا حرًّا وكان الخوارنة يجتهدون على الخصوص في تمكين سلاسل

رعاياهم السهلي الانقياد الى كرسي الاعتراف ولهذا كان الاعتراف غرض لوثيروس الاول . قال انهم ياتون بكلمات مار يعقوب هذه اعترفوا بعضكم لبعض فيا لهُ من معرّف غريب الذي اسمهُ بعضكم لبعض ومن ذلك ينتج ان المعرفين يجب ان يعترفوا للذين يعترفون لهم وان كل مسيحي يكون في دوره بابا واسقفًا وخوريًا وان البابا يجب ان يعترف للجميع

وحالما فرغ لوثيروس من تلك النبذة شرع بنبذة اخرى فان لاهوتيًا من لوفيان اسمهُ لاتوموس تصيت بسبب مضادتهِ لروشلين وابراسموس فقاوم آراء المصلح فاعدّ لوثيروس جوابهُ في عشرة ايام وهو من انفس مؤلفاتهِ فبرر نفسهُ اولاً من التهمة بكونهِ عديم اللطف فقال ان لطف هذه الايام هو ان تحني الركب امام الاحبار المنافقين واصحاب السفسطات الاشرار وان تقول لهم ايها السيد المنعم ايها المعلم الفاضل ومتى فعلت ذلك تقدر حينئذٍ ان تقتل من شئت وان تقلب العالم ومع ذلك لا يقلّ لطفك فتبًا لهذا اللطف . احب اليّ ان اتكلم بصراحة من ان اغش احدًا فربما كانت القشرة قاسية ولكن اللب ناعم طري

وبما ان صحة لوثيروس لم تزل ضعيفة افتكر بترك ملجاهِ ولكن كيف يتيسر له ذلك فانهُ اذا تظاهر جهارًا يوقع نفسهُ في خطر فظهر الجبل الذي كان الحصن مبنيًا عليهِ كانت فيهِ شعب كثيرة للمشاة يحدق بها من كل جهة انجم غضة من العايق واذ فُتح باب القلعة الكبير اخذ الاسير يلتقط شيئًا من الثمر ولكن ليس من دون خوف وبالتدريج ازداد جراءة وابتدا يجول في المحالّ المجاورة بلباس فارس مع احد خفراء القلعة وهو رجل فاضل صادق واذ دخلا ذات يوم الى منزل خلع لوثيروس سيفهُ الذي كان ثقيلاً عليهِ واخذ حالاً بعض الكتب كانت موضوعة هناك فارتعد خفيرهُ لئلاّ تكون هذه الحركة الغريبة جدًا في جندي واسطة لايقاع من كان هناك في الشك بان لوثيروس ليس هو بالحقيقة جنديًا ومرة اخرى حوّل هذان الصاحبان في دير رنهردسبرن حيث كان لوثيروس قد نام منذ اشهر قليلة في طريقهِ الى وُرمس فصرخ واحد من

المبتدئين بغتةً صراخ متعجب فعرِف لوثيروس هناك ولما علم خفيرهُ بذلك اختطفهُ حالاً فبعد عن الدير قبل ان استفاق الاخ المشار اليهِ من تعجبهِ

وحياة العالِم العسكرية اقترنت بامور لاهوتية حقًّا. ففي احد الايام أُعِدَّت الاشراك وفُتِحَت ابواب القلعة وخرجت الكلاب الطويلة الاذان فاراد لوثيروس ان يذوق لذة الصيد فهاج الصيادون سريعًا وثارت الكلاب وطردت الطرائد من الحدائق وفي وسط كل تلك الجلبة وقف الفارس جاورجيوس لا يتحرك فان عقلهُ كان مشغلاً بافكار سامية وما حولهُ ملأَ قلبهُ حزنًا. قال أليست هذه صورة الشيطان يهيج كلابهُ اي الاساقفة وكلاء المسيح الكذاب ويحثهم على طلب الانفس المسكينة. فعلقت ارنبة صغيرة. واذ كان لوثيروس فرحًا باطلاقها لفها بجرص بردائهِ والقاها في وسط انجم غضة ولكن لم يخطُ الاَّ خطوات قليلة حتى قفا الكلاب اثرها وقتلوها واذ تاثر لوثيروس من الضجة زفر زفرة حزن وصرخ قائلاً ايها الباباوات وانت ايضًا ايها الشيطان انكم هكذا تجتهدون في اهلاك الانفس التي تخلصت من الموت

الفصل الثالث

ابتداء الاصلاح . زواج الرهبان . نبذة ضد الترهب

بينما كان لوثيروس عالِم وتبرج كما ذُكِر ميتًا عن العالم مرتاحًا في جوار الوارتبرج كان العمل آخذًا في التقدم كانهُ من تلقاء نفسهِ وابتدا الاصلاح فعلاً ولم يعد منحصرًا في التعليم بل دخل متوغلاً في اعمال الناس وبرنرد فلدكرخن راعي كمبرج اول من قاوم غلطات رومية تحت ارشاد لوثيروس كان ايضًا اول من القى نير ترتيباتها فتزوج حسب امر الشريعة المسيحية

ان اهالي جرمانيا مغرمون طبعًا بالعيشة المعشرية ولذات العائلة ومن ثم

بين جميع الترتيبات البابا وية البتولية الاضطرارية هي ما احدث اشر العواقب وهذه الشريعة التي وُضِعَت في اوّل الامر على رؤساء الاكليروس كانت قد منعت الاملاك الكنائسية من ان تُقسَم بالوراثة ولكن عند ما امتدت بواسطة غريغوريوس السابع الى الاكليروس الدون نتج منها نتائج محزنة الى الغاية فان خوارنة كثيرين كانوا قد نقضوا الواجبات المفروضة عليهم بمخالفات فاحشة جدًّا والحقوا احتقارًا بكل الطغمة والحال ان الذين خضعوا لشريعة هلديبرند ابغضوا الكنيسة باطنًا لانها اذ اسبغت على اصحاب الرتب السامية فيها هذا المقدار من القوة والغنى والنعم الارضية والزمت خدامها الدون الذين كانوا انفع عاضديها بنكران النفس ضد امر الانجيل

فقال فلدكرخن وراعٍ آخر اسمهُ سيدلر كان قد اقتدى بقدوته انهُ لا البابا وات ولا المجامع تقدران تضع وصية على الكنيسة توقع الجسد والنفس في خطر والتزامي بحفظ شريعة الله يلزمني بمخالفة تقليدات الناس. وترجيع الزواج للاكليروس في القرن السادس عشر كان خضوعًا للشريعة الادبية . فخافت السلطة الكنائسية ورشقت حالًا ذينك الخوريين باحكامها فسيدلر الذي كان من بلاد الدوك جرجس أُسلِم الى رؤسائهِ ومات في الحبس ولكن الملك المنتخب فردريك لم يرتضِ بتسليم فلدكرخن لرئيس اساقفة مجدبرج . قال سپالاتين ان جلالتهُ لا يريد ان يمارس وظيفة ضابطي . ولهذا بقي فلدكرخن راعي رعيتهِ مع انهُ كان زوجًا وابا

فاول حركت اعترت المصلح عند ما بلغهُ ذلك هي انهُ اطلق عنان الفرح فقال انني افرح بعريس كمبرج هذا الحديث الذي لا يخاف شيئًا بل يتقدم مسرعًا في وسط الشغب . وكان راي لوثيروس وجوب زواج الخوارنة ولكن هذه القضية قادت الى قضية اخرى وهي زواج الرهبان وفي ذلك احتمل لوثيروس واحدة من تلك المقاتلات الداخلية التي تراكمت عليهِ كل حياتهِ لان كل اصلاح يجب ان يُربَح بواسطة حرب روحية فملانكثون وكرلستادت

اللذان كان احدهما خوريًا والآخر عاميًا ذهبا الى ان حرية الزواج يجب ان تكون متساوية للرهبان والخوارنة واما الراهب لوثيروس فلم يفتكر هكذا في اول الامر واذ أُحضِر اليهِ ذات يوم قائد الوارتبرج قضايا كرلستادت في البتولية صرخ قائلاً يا للعجب ان اهالي وتبرج يعطون اذًا زوجات حتى للرهبان وهذا الفكر اوقعهُ في الحيرة والارتباك فاضطرب قلبهُ وانكر على نفسهِ الحرية التي ادّعى بها للآخرين فقال بغضب آه انهم لا يقدرون ان يلزموني انا باتخاذ زوجة وقولهُ هذا نسيهُ الذين زعموا ان لوثيروس نادى بالاصلاح لكي يقدر ان يتزوج فانهُ كان يفحص عن الحق لا بالحمق ولكن بنية مستقيمة تمسك بها بان لهُ حقيقيًا ولئن كان مضادًا لكل افكارهِ السابقة فسار بين الغلط والحق الى ان سقط الغلط وبقي الحق وحدهُ

وكان حتمًا فرق عظيم بين المسألتين فان زواج الخوارنة لم يكن خراب الكهنوت بل بالعكس هذا الامر من نفسهِ يرجع للخوارنة اعتبار الشعب واما زواج الرهبان فسقوط الرهبنة ولهذا وقع البحث هل هو امر صالح تفريق وتشتيت ذلك الجيش القوي الذي كان تحت امر الباباوات وكتب لوثيروس الى ملانكثون ان الخوارنة هم مرتبون من الله ولهذا هم احرار نظرًا الى الوصايا البشرية واما الرهبان فانهم باختيارهم قد دخلوا في البتولية ولهذا ليس لهم حرية ان يخرجوا من تحت النير الذي التزموا بهِ انفسهم بارادتهم

وكان المصلح مزمعًا ان يتقدم وبواسطة الحرب الجديدة يخرب حصن العدو وهذا فكان قد داس تحت قدميهِ كثيرًا من الخزعبلات الرومانية حتى رومية نفسها واما الرهبنة فكانت لم تزل قائمة فان الرهبنة التي كانت قد حملت الحياة الى افقار كثيرة بهذا المقدار مدة قرون كثيرة اخذت تملأ الاديرة كسلاً واحيانًا كثيرة دعارة فكانها اجتمعت وذهبت للمحاماة عن حقوقها في قلعة ثورنجيا حيث صار البحث في موتها او حياتها داخل ضمير انسان واحد فعانق لوثيروس المسألة فكان مرة يكاد يتغلب عليها واخرى يكاد يغلب منها

واخيرًا اذ لم يلبث قادرًا على النضال معها خرَّ بالصلاة عند قدمي يسوع المسيح وصرخ قائلاً علنا وخلصنا وثبتنا برحمتك في الحرية المختصة بنا لاننا حقًّا نحن شعبك

فلم يلتزم بانتظار النجاة مدة طويلة لان انقلابًا عظيمًا حدث في ضمير المصلح والذي اعطاهُ الغلبة انما هو تعليم التبرير بالايمان وتلك اليد التي قلبت الغفرانات وعوائد رومية والبابا بانفسهُ احدثت سقوط الرهبان في عقل لوثيروس وفي كل عالم المسيحيين . وراى لوثيروس ان الطريقة الرهبانية هي في مضادة قوية لتعليم الخلاص بالنعمة وان العيشة الرهبانية انما هي موسسة على استحقاقات الانسان واذ اقتنع ان تلك القضية تضر مجد المسيح سمع صوتا بدون انقطاع في ضميرهِ انهُ لا بد من سقوط الرهبنة فقال ما دام تعليم التبرير بالايمان خالصًا وغير مدنَّس في الكنيسة لا يقدر احد ان يصير راهبًا وهذا الاقتناع اشتد كل يوم في قلبهِ وبالقرب من اوائل ايلول ارسل الى اساقفة كنيسة وتمبرج وشمامستها القضايا الآتية التي بها اشهر الحرب على العيشة الرهبانية

كل ما ليس من الايمان فهو خطية (رو ١٤: ٢٣)

كل من نذر البتولية والعفة وخدمة الله من دون ايمان فانهُ ينذر نذرًا نفاقيًا صنميًا اي نذرًا للشيطان نفسهِ

فان نذرًا مثل هذه النذور هو اردأ من خوارنة سيبيلي او عذارى فستا آلهة الوثنيين لان الرهبان ينذرون نذورهم مفتكرين بانهم يتبررون ويخلصون بواسطة تلك النذور وعلى ذلك ما يجب ان ينسب الى رحمة الله فقط ينسب الى اعمال ذات استحقاق

فيجب ان نهدم بالكلية مثل هذه الاديرة كانها مساكن للشيطان

موجودة طريقة واحدة فقط مقدسة تجعل الانسان مقدسًا وهي الديانة المسيحية او الايمان

ولكي تكون الاديرة مفيدة يجب تحويلها الى مدارس حيث يجب ان يتربى

الاولاد حتى يصيروا رجالاً عوضاً عن ان تكون كما هي الآن بيوتاً فيها يصير الرجال اولادًا ويبقون اولادًا طول عمرهم

نرى ان لوثيروس كان لم يزل يحتمل الاديرة اذا صارت اماكن للتعليم ولكن لم يمضِ الاَّ القليل حتى صارت مقاومتهُ لتلك الاماكن اشدَّ واقوى فان المساوي والعوائد القبيحة التي جرت بكثرة في الاديرة كانت تخطر ببالهِ بقوة فكتب الى سپالاتين في ١١ تشرين الثاني يقول انني عازم على انقاذ الشبان من نيران العزوبة الجهنمية وكتب حينئذٍ كتابًا ضد النذور الرهبانية قدمهُ لابيهِ . فقال عندما قدمهُ للرجل الشيخ في منسفلدت أترغب ألاتزال ترغب في ان تخلصني من العيشة الرهبانية . فان لك حقًّا لانك لم تزل ابي وانا لا ازال ابنك ولكن لم تبقَ حاجة الى ذلك فان الله قد سبقك فانقذني هو نفسهُ بقوتهِ فما الفرق ان لبست او خلعت الثوب والقلنسوة أهذا ما يجعل الانسان راهبًا . قال الرسول ان جميع الاشياء هي لكم وانتم للمسيح فلست انا للقلنسوة بل القلنسوة لي . انا راهب ولست راهبًا فاني خليقة جديدة لا للبابا ولكن ليسوع المسيح فان المسيح وحدهُ من دون واسطة هو اسقفي ورئيسي ومدبري وسيدي وابي ومعلمي ولست اعرف احدًا غيرهُ فلا ابالي اذا كان البابا يحرمني ويقتلني فانهُ لا يقدر ان يدعوني من القبر ويقتلني ثانيةً واليوم العظيم الذي فيهِ مملكة الفواحش تُهدَم قد قرب فياليتهُ يوافق البابا ان يقتلنا جميعًا فان دمنا كان يصرخ الى السماء ضدهُ وهكذا يسرع القضاء عليهِ وتقرب نهايتهُ

كان التغيير قد حدث في لوثيروس نفسهِ فلم يلبث راهبًا والذي احدث هذا التغيير لم يكن الحوادث الخارجية ولا الشهوات الارضية ولا الشهوات اللحمية بل حدث قتال وفي اول الامر اخذ لوثيروس بجانب الرهبنة ولكن الحق ايضًا كان قد دخل في الطعان والطريقة الرهبانية كانت قد سقطت امامهُ . فالغلبات التي تربحها الشهوات هي وقتية زائلة واما غلبات الحق فانها ثابتة لا تتزعزع

الفصل الرابع

رسالة لوثيروس الى رئيس الاساقفة البرت

وبينما كان لوثيروس كما ذُكِر يُعِدُّ الطريق لحركة من اعظم الحركات التي قُضِي بحدوثها في الكنيسة وكان الاصلاح آخذًا في الدخول بقوة في حياة المسيحيين كان احزاب رومية العمي (كما يكون غالبًا اولئك الذين يبقون زمنًا طويلاً مالكين على السلطنة) يتصورون ان الاصلاح قد مات لكون لوثيروس في الوارتبرج وانهُ تلاشى الى الابد وتوهموا انهم يقدرون بسهولة ان يرجعوا الى اعمالهم القديمة التي تاخرت حينًا بواسطة راهب وتمبرج . وكان المنتخب البرت رئيس اساقفة منتز واحدًا من هولاء الناس الضعفاء الذين اذا استوت الظروف يتجند للحق ولكنهم حالما بوضع صالحهم الخصوصي في الميزان يكونون مستعدين لاخذ بجانب الضلال وكان مقصودهُ الاعظم ان يكون لهُ بلاط ساطع نظير بلاط الامراء العظام في جرمانيا وتكون اثاثهُ كاثاثهم ومائدتهُ كموائدهم في الغنى والاحتفال . وكانت التجارة بالغفرانات من اعظم الوسائل للحصول على تلك المنية ومن ثمَّ حالما خرج الامر ضد لوثيروس من ديوان الامبراطور دعا البرت (وهو حينئذٍ مقيم مع ديوانهِ في هالى) فدعا بياعي الغفرانات الذين لم يزالوا مرتعدين من كلام المصلح واجتهد في تشجيعهم بقولهِ لا تخافوا شيئًا لقد سكتناهُ فلنبتدئ بجزاز القطيع بامان. الراهب ماسور ومحبوس داخل الاقفال والعوارض وهذه المرة يكون حاذقًا جدًّا اذا اتى لاجل ازعاجنا في اعمالنا . وهكذا فُتِحَت السوق ثانيةً وعُرِضت البضاعة للمبيع ورنت في كنائس هالى صدى خطب المشعوذين . اما لوثيروس فلم يزل حيًّا ولصوتهِ قوة كافية لخرق الاسوار والحصون التي كان مختبئًا وراءها ولم يكن شيء يقدر ان يغضبهُ

اكثر من تلك الاعمال. وقد حدثت اشد المقاتلات وهو لاقى كل خطر والحق اصبح غالبًا ومع ذلك يتجاسرون ان يدوسوهُ تحت اقدامهم كانهُ قد غُلِب. وذلك الصوت الذي ابطل مرة تلك التجارة الملومة سوف يُسمَع ايضًا وكتب الى سپالاتين يقول انني لا احصل على راحة حتى اقتحم صنم منتز مع ماخورهِ في هالى. فشرع لوثيروس حالاً في العمل وقلما التفت الى السر الذي كان البعض يريدون ان يخبئوا بهِ اقامتهُ في الوارتبرج وكان نظير ايليا في القفر يهيئ صواعق جديدة ضد اخاب المنافق وفي اول تشرين الثاني اكمل رسالتهُ المعنونة ضد صنم هالى الجديد

فبلغ خبر عمل لوثيروس الى رئيس الاساقفة المذكور فارتعد وحنق من مجرد العلم بذلك وارسل في اواسط تشرين الاول اثنين من زعمائهِ وهما كاپيتو واورباخ الى وتمبرج لكي يبددا العاصف فقالا لملانكثون الذي قبلهما بمحبة ان لوثيروس يجب ان يلطف شراستهُ ولكن ملانكثون مع انهُ كان وديعًا لم يكن من الذين يتوهمون ان الحكمة تقوم بتسليم دائمٍ وتاخرٍ وصمتٍ فاجابهما ان الله هو الذي يحركهُ وجيلنا يحتاج الى مصلح مرّ حادّ وعند ذلك رجع كاپيتو الى يوناس واجتهد بواسطتهِ ان يحرك البلاط الملكي وخبر قصد لوثيروس عُرِف هناك واحدث انذهالاً عظيمًا فقال اهل البلاط العلّة يريد ان يضرم النار التي تعبنا بهذا المقدار في اخمادها فلا يقدر لوثيروس ان يخلص الاّ بان يُنسَى وهو مع ذلك يقوم ضد الامر الاول في المملكة وقال الملك المنتخب انني لا ادع لوثيروس يكتب ضد رئيس اساقفة منتز ويشوش بذلك سلامة الجمهور

فانزعج لوثيروس عند ما بلغتهُ هذه الكلمات. كانهُ لم يكن كافيًا ان يحبسوا جسدهُ بل ارادوا ان يقيدوا ضميرهُ والحق معهُ فهل يتوهمون انهُ يخبئ نفسهُ بسبب الخوف وان اعتزالهُ هو اقرار بالانكسار. اما هو فحسب ذلك غلبة فمن تجاسر على الوقوف ضدهُ في ورُمس ويضاد الحق ومن ثمّ عند ما قرا اسير الوارتبرج مكتوب سپالاتين الذي فيهِ اخبرهُ بفكر الملك المنتخب رماهُ جانبًا عازمًا على

عدم المجاوبة الّا انهُ لم يقدر ان يضبط نفسهُ مدة طويلة فاخذ الرسالة وكتب الى سپالاتين يقول قلتَ ان المنتخب لايدعني وانا ايضًا لاادع الملك المنتخب ان يمنع عني اذنهُ بالكتابة والاجدر بي ان اهلكك واهلك الملك المنتخب حتى والعالم باسرهِ الى الابد. فان كنت قد قاومتُ البابا الذي هو خالق كردينالكم فلماذا اهرب من وجه خليفتهِ . حسنٌ قولك انهُ لايجب ان يحدث قلقًا في الجمهور والحال انك تسمح بان سلامة الله الابدية تقلق . فيا سپالاتين لا يكون هكذا. ويا امير لايكون هكذا . اني ارسل لكم كتابًا كنت قد كتبتهُ ضد الكردينال عند ما بلغني مكتوبك فارسلهُ انت الى ملانكثون

فارتعد سپالاتين عند ما قرأَ ذلك الكتاب وبيّن ايضًا للمصلح انهُ يكون جسارة عظيمة ان يُشهَر كتاب يلزم الحكم الامبراطوري ان يلقي جانبًا تظاهرهُ بعدم معرفتهِ بحالة لوثيروس ويقاصّ اسيرًا تجاسر على مقاومة اعظم امير في المملكة والكنيسة وزعم انهُ اذا ثبت لوثيروس على عزمهِ يحصل ايضا تشويش وربما أُميت الاصلاح فارتضى لوثيروس بتاخير اذاعة رسالتهِ وايضا اذن لملانكثون ان يمحو منها العبارات القوية القاسية . ولكنهُ اذ حنق من جبانة صديقهِ سپالاتين كتب اليهِ يقول ان الرب حي ومالكٌ اي ذلك الرب الذي لا يؤْمن بهِ اصحاب بلاطك ما لم يجعل مطابقة بين اعمالهِ وعقلك بحيث لاتبقى حاجة الى الايمان ثم عزم على مكاتبة الكردينال نفسهِ راسًا وبذلك استدعي الى المحاكمة كل الاساقفة الرومانيين في شخص رئيس الاساقفة الجرماني وكلامهُ كلام رجل جسور ذي غيرة حارة على الحق شعر بانهُ يتكلم باسم الله نفسهِ

فكتب من اعماق الخلوة التي كان مختبئًا بها يقول ان غبطتك قد اقمت في هالى الصنم الذي يبتلع الدراهم ونفوس المسيحيين المساكين فربما تفتكر انني عاجز وان الامبراطور يقدر بسهولة ان يسكت صراخ الراهب المسكين ولكن اعلم انني سوف اتمم الواجبات التي وضعتها عليها المحبة المسيحية من دون ان اخاف من ابواب الجحيم وكم بالاقل اخاف البابا واساقفتهُ وكردينالييهِ

ولاجل هذا السبب اصلي بتواضع الى الله لكي تتذكر غبطتك ابتداء هذه القضية كيف اضرمت جذوة صغيرة نارًا عظيمة فكل العالم كان في ذلك الوقت في حالة الطمانينة وزعموا ان هذا الراهب المسكين المستعطي الذي بدون مساعدة يحارب البابا هو قاصر عن هذا العمل ولكن الله مد يدهُ وسبب للبابا تعبًا وانزعاجًا اكثر مما اصابهُ في ما مضى منذ اخذ مكانهُ في هيكل الله لكي يحكم حكمًا مطلقًا على الكنيسة فهذا الاله نفسهُ لا يزال حيًّا فلا يشكنَّ احد في ذلك. وهو يعرف كيف يقاوم كردينالاً منتزيًا ولو كان معضدًا باربعة امبراطورين لانهُ قد ارتضى ان يقطع الارز الشامخ ويذلل الفراعنة المتكبرين

ولهذا السبب اخبر غبطتك بهذه الرسالة انهُ اذا كان الصنم لا يُطرَح يجب عليَّ اطاعةً لكلام الله ان اضادَّك جهارًا كما ضاددت البابا نفسهُ فاسالك بموجب هذه النصيحة وانا اصبر اسبوعين لجواب باكر سارٍ . قد أُعطِي في قفري يوم الاحد الواقع بعد عيد القديسة كاثرينا في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٥٢١

من عبد غبطتك المطيع

مرتينوس لوثيروس

وهذا المكتوب أُرسِل الى وتمبرج ومن وتمبرج الى هالى حيث كان الكردينال المنتخب مقيمًا لانهُ لم يجسر احد على توقيفهِ لانهم راوا النوء الذي يحدثهُ عمل جسور مثل ذلك اما ملانكثون فصحبهُ بمكتوب باسم كابيتو الفطن اجتهد بهِ في اعداد طريق لإنهاء هذه القضية الصعبة بوجه مرضٍ . ولا يمكن وصف حاسيات رئيس الاساقفة الفتى الضعيف عند ما وصل اليهِ مكتوب المصلح فان التاليف الذي بشر بهِ ضد صنم هالى كان نظير سيف معلق فوق راسهِ وفي الوقت نفسهِ توقد الغضب في قلبهِ من افتراء ابن الفلاَّح هذا الراهب المحروم الذي تجاسر على استعمال هذه العبارات نحو امير من عائلة برندنبرج ورئيس الكنيسة الجرمانية فطلب كابيتو من رئيس الاساقفة هذا ان يرضي المصلح والخوف والكبرياء وصوت الضمير الذي لم يقدران يميتهُ كانت تتشاجر بنوع هائل في صدر البرت

واخيرًا الخوف من الكتاب وربما تبكيت الضمير ايضًا غلبا فواضع نفسهُ وجمع معًا كل ما ظن انهُ يناسب لتمهيد غضب رجل الوارتبرج ولم يمض سوى اسبوعين حتى وصل الى لوثيروس المكتوب الآتي الذي هو اعجب من رسالتهِ الهائلة

يا عزيزي الدكتور قد وصلني مكتوبك ووجهتهُ توجيهًا حسنًا ولكني اظن ان السبب الذي حملك على ان تكتب لي مثل هذه الرسالة قد زال من مدة طويلة واني ارغب بنعمة الله ان انصرف نظير اسقف تقي وامير مسيحي واقر باحتياجي الى نعمة الله ولست انكر كوني خاطئًا خاضعًا للخطية والغلط واخطئ واغلط كل يوم وانا متحقق اني بدون نعمة الله لست سوى حمأة قذرة لا قيمة لها كباقي الناس او ابلغ في مجاوبتي مكتوبك لا اخفي هذا الميل الصالح لاني ارغب جدًّا ان ابدي لك كل معروف واحسان حبًّا بالمسيح وانا اعرف كيف اقبل توبيخًا اخويًا مسيحيًا قد كتبتهُ بيدي

البرت

بهذه العبارات خاطب منتخب ورئيس اساقفة منتز ومجد يبرج الذي أُرسِل لاجل تقديم وحفظ ترتيبات الكنيسة في جرمانيا الراهبَ المحروم فهل اطاع البرت في كتابتهِ هذا المكتوب حركات ضميرهِ الكريمة او مخاوفهُ القديمة . فبالاعتبار الاول هو مكتوب شريف واما بالاعتبار الثاني فانهُ يستحق الاحتقار واحب الينا ان نتصورهُ ناجمًا عن احسن حاسيات قلبهِ وكيفما كان فانهُ يدل على فووق خدام الله على جميع عظماء الارض فووقًا لا يقاس وعند ما كان لوثيروس وحدهُ وهو محبوس ومحروم صارت لهُ بايمانهِ شجاعة لا تُقهَر اما البرت رئيس اساقفة ومنتخب وكردينال محفوف بجميع سلطات العالم وانعاماتهِ فارتجف على عرشهِ وهذه المقابلة تظهر دائمًا وهي مفتاح للرمز الغريب الذي يقدمهُ تاريخ الاصلاح فالمسيحي لا يلتزم باحصاء قواهُ ولا ان يعدَّ وسائطهُ للغلبة بل الامر الوحيد الذي يجب ان يهتم بهِ هو ان يعرف هل الدعوى التي يعضدها هي بالحقيقة من الله وهل هو ناظر الى مجد معلمهِ فقط ولا شك انهُ يلتزم ان يسال

سؤالاً واحدًا ولكن ذلك هو بتمامهِ روحي فان المسيحي ينظر الى القلب لا الى الساعد وهو يزِن عدالة دعواهُ لا قوتها الخارجية واذا تحققت هذه المسئلة فسبيلهُ واضح وعليهِ ان يتقدم بجراءة ولو كان ذلك ضد العالم وكل جنودهِ المسلحين متيقنًا بان الله نفسهُ يحارب عنهُ وحسبما ذُكِر انتقل اعداء الاصلاح من قساوة مفرطة الى ضعف مفرط فكانوا قد عملوا ذلك في وُرمس وتلك الانتقالات الفجائية انما تحدث دائمًا في المشاجرة بين الحق والضلال . وكل دعوى مقضي عليها بالسقوط يحاربها انزعاج داخلي يجعلها مرتعدة ومترددة ويدفعها من جهة الى اخرى واما الرزانة في القصد والعزم فاحسنُ جدًّا فانهما يمنعان السقوط وان كان لا بد من السقوط فيكون بشرف

ان واحدًا من اخوة البرت اي يواكيم الاول منتخب برندنبرج كان قدوة في العزم الطبيعي النادر جدًّا وعلى الخصوص في ايام مثل تلك واذ كان غير متزعزع في مباديهِ وثابتًا في اعمالهِ وعارفًا كيف يقاوم عند الاحتياج تعديات البابا قاوم تقدم الاصلاح بيد قوية وفي وُرمس كان قد حكم بعدم الاستماع للوثيروس وبانهُ يجب ان يقاصّ كاراتيكي مع وجود ورقة الامان بيدهِ وحالما خرج الامر من وُرمس امر باجرائهِ بكل صرامة في جميع بلادهِ واذ كان لوثيروس قادرًا على ادراك طبيعة نشيطة بهذا المقدار والتمييز بين يواكيم وباقي اخصامهِ قال انهُ لا يزال يمكننا ان نصلي لاجل منتخب برندنبرج . والبائن ان طبيعة هذا الامير امتدت الى شعبهِ لان برلين وبرندنبرج بقيتا زمانًا طويلاً مغلقتين عن الاصلاح. ولكن ما يُقبَل بالتدريج يُحفَظ بامانة وبلدان اخرى من التي ترحبت حينئذٍ بالانجيل بفرح نظير بلجيوم ووستفاليا تركتهُ عن قليل اما برندنبرج التي دخلت في طريقة الايمان الضيقة بعد جميع بلاد جرمانيا فارتقت في السنين التالية الى اعلى طبقة من الاصلاح

لما قرأ لوثيروس مكتوب الكردينال البرت خامرهُ شك بانهُ قد أُنشي برياء وطبق راي كاپيتو الاَّ انهُ بقي صامتًا واقتصر على قولهِ لكاپيتو بانهُ ما دام

رئيس الاساقفة الذي كان بالكد قادرًا على تدبير رعية صغيرة ولا يلقي جانبًا نيشانهُ الكردينالي وافتخارهُ الاسقفي ويصير خادمًا بسيطًا للكلمة لا يمكن ان يكون في الطريق المؤدية الى الخلاص

الفصل الخامس

ترجمة الكتاب المقدس. احتياجات الكنيسة. ذهاب لوثيروس الى وتمبرج ورجوعهُ الى الوارتبرج

وبينما كان لوثيروس يقاتل الضلال كانهُ في وسط القتال اشتغل ايضًا في خلوتهِ في الوارتبرج كانهُ لم يكن يلتفت الى ما هو جارٍ في العالم وكانت قد انت الساعة التي فيها يصير الاصلاح حياة الشعب بعد ان كان مسئلة لاهوتية محضة الَّا ان الآلة العظيمة التي بها تمَّ هذا التقدم لم تكن بعد في الوجود وتلك الآلة القوية القديرة المزمعة ان تلقي قنابلها من كل جهة ضد بناء رومية المتكبر وتهدم اسوارهُ وتلقي ثقل الباباوية الهائل الخانق الكنيسة وان تكسب كل الجنس البشري حركة لا تبطل الى انتهاء العالم كانت عتيدة ان تخرج من قلعة الوارتبرج القديمة وتدخل العالم في نفس اليوم الذي فيهِ انتهى سبي المصلح

كلما بعدت الكنيسة عن الايام التي فيها كان المسيح نور العالم الحقيقي على الارض اشتد احتياجها الى مصباح كلمة الله العتيد ان ينقل بهاء يسوع المسيح الى اهل الايام المتاخرة وتلك الكلمة الاصلية كانت في ذلك الزمان مخفية عن الشعب وحصل اجتهادات كثيرة في ترجمة الكتاب المقدس من النسخة اللاتينية الدارجة في سنة ١٤٧٧ و١٤٩٠ و١٥١٨ الَّا انها لم تكن مفهومة وكان الشعب عاجزًا عن الوصول اليها بسبب غلاء ثمنها وقد نُهي ايضًا عن تسليم الكتاب المقدس للكنيسة الجرمانية باللغة الدارجة وعدا ذلك الذين لهم معرفة القراءة

لم يكثروا بين العامة حتى وُجد في اللغة الجرمانية كتاب نشيط يخص عامة الناس

ودُعي لوثيروس لكي يقدم لامتهِ كتب الله المقدسة ونفس الاله الذي قاد يوحنا الرسول الى جزيرة بطمس لكي يكتب هناك رؤياهُ حبس لوثيروس في الوارتبرج لكي يترجم هناك كلامهُ وهذا العمل العظيم الذي عسر عليهِ مباشرتهُ وهو في وسط الهموم والاشغال في وتمبرج كان عتيدًا ان يثبت البناء الجديد على الصخرة الاصلية وان يرجع المسيحيين من دهاء اللاهوتيين الى ينبوع الفداء والخلاص

ان احتياجات الكنيسة نادت بصوت عالٍ واستدعت هذا العمل العظيم ولوثيروس بواسطة اختبارهِ الداخلي أُعد الى عملهِ وبالحقيقة وجد في الايمان راحة النفس تلك التي طالما طلبها ضميرهُ المضطرب وافكارهُ الرهبانية من زمان مديد في استحقاقهِ وقداستهِ . وتعليم الكنيسة ولاهوت الفلاسفة لم يكن فيهما شيء من التعزيات الصادرة من الايمان ولكن الكتب المقدسة تنادي بها بكل قوة وهناك وجدها فان الايمان بكلمة الله حررهُ وبواسطتها شعر بالانعتاق من سلطة تعاليم الكنيسة ومن رياستها وتقليداتها ومن آراء اللاهوتيين ومن قوة التعصب ومن كل ترتيب بشري وتلك الرُبط الكثيرة القوية التي قيدت وخنقت المسيحيين مدة قرون قُطعت وتكسرت قطعًا قطعًا وتبددت حولهُ وهو رفع راسهُ بعزٍ فوق كل سلطة الاَّ سلطة الكلمة وتلك الحرية والخضوع لله اللذان تعلمها من الكتب المقدسة رغب في ان يعطيهما للكنيسة ولكي يستطيع على ذلك اقتضى ان يضع امامها وحي الله والكنيسة افتقرت الى يد قوية لفتح الابواب الثقيلة لخزنة اسلحة كلمة الله التي اخذ منها لوثيروس سلاحهُ والى ان يفتح للشعب ليوم القتال تلك المخادع والاماكن القديمة التي في مدة قرون عديدة لم تدسها قدم

وكان لوثيروس قد ترجم عدة قطع من الكتب المقدسة منها مزامير التوبة السبعة اول اعمالهِ (اي مز ٦ و٣٢ و٣٨ و٥١ و١٠٢ و١٣٠ و١٤٧) فيوحنا

المعمدان ويسوع المسيح نفسهُ والاصلاح ابتدأُوا على طريق واحد اي دعوة الناس الى التوبة وهي اصل كل تجدد في كل انسان بمفرده وفي كل الجنس البشري وهذه الخطب قُبِلت برغبة واشتاق الناس الى اكثر منها وصوت الشعب هذا اعتبرهُ لوثيروس صوت الله نفسهِ فعزم على مجاوبة الدعوة . كان محبوساً داخل تلك الاسوار الشامخة ولم يمنعهُ ذلك من الكد ففرغ نفسهُ في ساعات الفراغ لترجمة كلمة الله الى لغة اهالي بلادهِ ولم يمضِ الاَّ القليل حتى نزلت الكلمة معهُ من الوارتبرج وانتشرت بين شعب جرمانيا وجُعِلت في حوزتهم تلك الكنوز الروحية التي كانت الى ذلك الوقت مغلقة في قلوب اناس قليلين من الاتقياء فصرخ لوثيروس قائلاً ليت هذا الكتاب الواحد يوجد في كل لغة وكل بلاد امام اعين جميع الناس وفي اذانهم وبالها من كلمات عجيبة قد اجتهد في تكميلها بعد ثلاثة اجيال جماعة فاضلة (اي جمعية الكتاب المقدس) فترجموا الكتاب المقدس الى لغة كل امة على الارض . وقال ايضاً ان الكتاب المقدس من دون تفسير هو الشمس التي يستمد منها جميع المعلمين نورهم

فهذه مبادي الديانة المسيحية والاصلاح وحسب هذه الكلمات السامية لا يسوغ ان نطلب من كتب الآباء ايضاح الكتب المقدسة ولكن من الكتب المقدسة نطلب ايضاح كتب الآباء فان المصلحين والرسل قد جعلوا كلمة الله النور الوحيد كما انهم حكموا بان ذبيحة المسيح هي التبرير الوحيد وبواسطة مزج سلطان احد الناس بسلطان الله هذا المطلق او مزج برّ بشري ببر المسيح هذا الكامل نهدم اساس الديانة المسيحية تماماً وهاتان هما هرطقتا رومية الاساسيتان اللتان رغب بعض المعلمين ادخالهما في حضن الاصلاح

ان لوثيروس فتح اصول الانجيليين والرسل اليونانية واجتهد حتى جعل هولاء المعلمين الالهيين يتكلمون بلغة امهِ وذلك امر مهم جداً في تاريخ الاصلاح ومن ذلك الوقت لم يلبث الاصلاح ان يكون في ايدي المصلح فتقدم الكتاب المقدس وتاخر لوثيروس وظهر الله وتوارت الناس فان المصلح وضع الكتاب

المقدس في ايدي معاصريهِ حتى صار كل واحد يقدران يسمع صوت الله لنفسهِ واما اوثيروس فاختلط من ذلك الوقت فصاعدًا بالجمهور وجعل مكانهُ مع الذين وردوا لكي يستقوا من ينبوع النور والحياة

وفي ترجمة الكتاب المقدس اكتسب لوثيروس تلك التعزية والقوة اللتين احتاج اليهما واذ كان منفردًا ومنحرف المزاج ومغمومًا من جرى مقاتلات اعدائهِ وافراط البعض من اتباعهِ ورای حياتهُ تضمحل في ظلمة تلك القلعة القديمة قاسى احيانًا حروبًا هائلة داخلية وفي تلك الايام مال الناس الى ان يحملوا الى العالم المنظور الحروب التي تقاتل بها النفس اعداءها الروحيين وتصوُّر لوثيروس النشيط شخَّص بسهولة حركات قلبهِ وخرافات الاعصار المتوسطة لم تزل قابضة بنوع ما على ضميرهِ حتى يسوغ ان نقول عنهُ ما قيل عن كلوينوس نظرًا الى النصاص الموضوع على الارانقة اي ما زالت فيهِ بواقٍ من البابوية . والشيطان حسب راي لوثيروس لم يكن روحًا حقيقيًا غير منظور فقط بل زعم ان هذا العدو يظهر للناس كما ظهر ليسوع المسيح ومع ان صحة كثير من القصص في هذا الموضوع المتضمنة في بعض الكتب مشكوك فيها فالعدل يستدعي ذكر هذا النقص في المصلح وهذه الافكار المظلمة حاربتهُ باكثر تواتر وهو في الوارتبرج ففي ايام قوتهِ كان قد غلب الشيطان في وُرمس واما في ذلك الوقت فالبائن ان جميع قوى المصلح قد انسحقت ومجدهُ قد اظلم فأُلقي جانبًا وغلب الشيطان في نوبتهِ واذ كان لوثيروس في حالة الكآبة تراءى لهُ كانهُ يرى خيال هذا العدوّ القوي واقفًا امامهُ يرفع اصبعهُ بالتهديد لهُ ويعج عجيجًا مرًّا جهنميًا ويصر اسنانهُ بغضب هائل وقيل انهُ ذات يوم على الخصوص اذ كان لوثيروس مشتغلاً في ترجمة العهد الجديد خُيِّل لهُ انهُ يرى الشيطان مملوًّا غيظًا من عملهِ ويعذبهُ ويزأر حولهُ كاسد مستعد للهجوم على فريستهِ فخاف لوثيروس وغضب فتناول دواتهُ ورمى بها راس عدوهِ فتوارى الخيال وانسحقت الدواة سحقًا على الحائط

اخذت اقامة لوثيروس في الوارتبرج تصير غير محتملة لديهِ فغضب من

جبانة المحامين عنهُ فكان احيانًا يصرف النهار كلهُ منهمكًا بتامل ساكت عميق وعند ما يستفيق منهُ يصرخ آه يا ليتني في وتمبرج واخيرًا لم يعد قادرًا على الاحتمال. زعم انهُ قد احترز بالكفاءة على نفسهِ فلا بد من رؤْية اصدقائهِ ايضًا حتى يسمع منهم ويخاطبهم. نعم انهُ يلقي نفسهُ في خطر السقوط بايدي اعدائهِ ولكن لا شيء يعيقهُ وبالقرب من اواخر تشرين الثاني ترك الوارتبرج خفيةً واخذ في طريقهِ الى وتمبرج. وكان قد ثار عليهِ نوءٌ جديد. وذلك ان السوربون اي مدرسة باريس المشهورة التي لها السلطان الاول في الكنيسة بعد البابا والينبوع القديم المعتبر الذي منهُ خرجت تعاليم لاهوتية حكمت فاخرجت حكمها ضد الاصلاح. وهاك بعض القضايا المشجوبة من هولاء العلماء. قال لوثيروس ان الله دائمًا يعفو ويغفر الخطايا مجانًا ولا يطلب شيئًا منا عوضًا عن ذلك الا ان نعيش في المستقبل حسب البر واستثنى قائلًا انهُ بين جميع الخطايا المميتة الاعظم امانة هي ان يتذكر الواحد انهُ ليس مذنبًا بخطية مشجوبة مميتة امام الله وقال في مكان آخر ان احراق الاراتقة ضد مشيئة الروح القدس. فاجابت جماعة اللاهوت في باريس على هذه القضايا الثلاث وقضايا اخر كثيرة غيرها انها ارتقة عظيمة فليكن صاحبها محرومًا

ولكن شابًا ابن اربع وعشرين سنة قصير القامة بسيط المنظر شديد الحياء تجاسر على مقاومة المدرسة الاولى في العالم. وفي وتمبرج عرفوا جيدًا قيمة ذلك الحكم وعرفوا ان رومية قد خضعت لرايات الدومينيكيين وان مدرسة السوربون قد اقتادها اثنان او ثلاثة من العلماء الموسوسين الذين عُرفوا في باريس بالقاب هزلية ومن ثمَّ ملانكثون في احتجاجهِ لم يقتصر على المحاماة عن لوثيروس ولكن بالجراءة التي تزيّن كل مؤَلفاتهِ ادخل الحرب الى معسكر العدوّ فقال انكم تقولون انهُ مانوي انهُ منتاني فاسكتوا حماقتهُ بالنار والوقود. ولكن من هو المنتاني العلهُ لوثيروس الذي يريد اننا نومن بالكتب المقدسة فقط او انتم الذين تريدون ان الناس يومنون برايات الناس امثالهم دون كلام الله؟

وتفضيل كلام الناس على كلام الله ذلك ارتقة متنانوس نفسها ولم تزل ارتقة البابا وجميع الذين يجعلون سلطان الرياسة في الكنيسة او وساوس اصحاب التخيلات الداخلية فوق اقوال الكتب المقدسة الواضحة ومن ثمَّ معلم الفنون الفتى الذي قال انهُ احب اليَّ ان اسلم حياتي من ان اسلم ايماني لم يقف عند ذلك بل انما قرف مدرسة السوربون بكونها قد جعلت الانجيل غامضًا واطفأت الايمان ووضعت فلسفة فارغة في مكان الديانة المسيحية . وبعد عمل ملانكثون هذا تغير موضوع الجدال فانهُ برهن ان الارتقة كانت في باريس وفي رومية والحق الكاثوليكي في وتمبرج

وفي تلك الفترة اذ كان لوثيروس لا يبالي الاَّ قليلاً بشجب السوربون اخذ يتقدم وهو لابس ثيابهُ الجندية نحو المدرسة وكان متضايقًا جدًّا بالاخبار المختلفة التي وصلت اليهِ وهو في الطريق عن روح اللجاجة والحرية التي ظهرت بين اتباعهِ واخيرًا وصل الى وتمبرج من غير ان يُعرَف ونزل في بيت امسدورف وحالاً اجتمع سرًّا جميع اصدقائهِ معًا ومن جملتهم ملانكثون الذي قال احب اليَّ الموت من ان اخسرهُ . انوا فيالها من لقاء وما اعظم الفرح . ذاق اسير الوارتبرج في عشرتهم كل حلاوة الصداقة المسيحية وتحقق امتداد الاصلاح ورجاء اخوتهِ وابتهج لما راهُ وسمعهُ ثم صلى وقدم الشكر لله وبعد قليل رجع الى الوارتبرج

الفصل السادس

اصلاحات جديدة . قضايا ملانكثون . عتق الرهبان . كرلستادت والقداس . احتفال العشاء الرباني

ان فرح لوثيروس بُني على اساس متين وعمل الاصلاح كان قد خطا خطوة عظيمة وفلدكرخن الذي كان دائمًا في مقدمة الجيش ابتدا بالهجمة ثم تقدم

كل الجيش وتلك القوة التي نقلت الاصلاح من ساحة التعليم الذي نقاهُ الى ساحة العبادة والحياة وترتيب الكنيسة اظهرت نفسها بحركة جديدة اقوى على البابا وية مما كانت الاولى

ان رومية اذ تخلصت من المصلح ظنت ان الارتقة كانت على النهاية ولكن في زمان قصير تغير كل شيء فان الموت نقل من الكرسي البابا وي الرجل الذي القى لوثيروس تحت حرم الكنيسة وحدثت اضطرابات في اسبانيا الزمت كرلوس الى افتقاد مالكهِ عبر جبال البرنات وابتدات الحرب بين هذا الملك وفرنسيس الاول وكانَّ ذلك لم يكن كافيًا لكي يشغل الامبراطور هجم السلطان سليمان على بلاد الجيار واذ أُشغِل كرلوس هكذا من كل جهة التزم ان ينسى راهب وُرمس وامورهُ الجديدة الدينية . وبالقرب من ذلك الوقت طُرِدت سفينة الاصلاح الى كل جهة بواسطة ارياح متضادة وكادت تغرق ثم عدلت نفسها وسرت بجلال فوق المياه

ظهر الاصلاح اولاً في دير رهبان الاوغسطينيين في وتمبرج ولا يحق لنا ان نتعجب من ذلك نعم ان المصلح لم يلبث هناك ولكن لم يمكن لقوة بشرية ان تطرد الروح الذي كان فيهِ. والى مدة كانت الكنيسة التي وعظ فيها لوثيروس مرارًا كثيرة جدًّا ترن فيها تعاليم غريبة لدى السامعين فان جبرائيل زوبلنج راهبًا غيورًا واعظًا للدير كان ينادي هناك بالاصلاح بعزم وكانَّ لوثيروس الذي كان اسمهُ موقرًا في ذلك الزمان في كل مكان صار ذا قوة وذا شهرة متجاوزتين الحد حتى اختار الله اناسًا ضعفاء مجهولين لكي يبتدئوا بالاصلاح الذي كان ذلك العلاَّمة المعتبر قد اعدهُ فقال الواعظ المذكور ان يسوع المسيح قد رتب سرَّ المذبح تذكارًا لموتهِ لا لكي يكون موضوع عبادة فعبادتهُ هي عبادة صنمية حنيفية والخوري الذي يتناول وحدهُ يخطي وليس لرئيس حق ان يلزم احد الرهبان ان يقدس وحدهُ فليقدس اثنان او ثلاثة ودع الآخرين يتناولون سر الرب تحت الشكلين

فهذا ما طلبهُ الاخ جبرائيل وهذه الكلمات الجسورة اصغى اليها الاخوة الباقون بقبول وعلى الخصوص اولئك الذين اتوا من البلاد الواطية . حسبوا انفسهم تلاميذ الانجيل ولماذا لا يطابقون في كل شيءٍ اوامرهُ . أما كتب لوثيروس نفسهُ الى ملانكثون في شهر آب يقول من الآن فصاعدًا والى الابد لا اقدس قداسًا سريًّا وهكذا الرهبان جنود الرياسة اذ عتقوا بواسطة الكلمة قاموا بجسارة على رومية . اما في وتمبرج فقاومهم الرئيس مقاومة شديدة واذ تذكروا بانهُ يجب عمل كل شيءٍ بترتيب سلموا ولكنهم قالوا عند ذلك ان المحاماة عن القداس هي مضادة لكلام الله . الرئيس غلب ورجلٌ واحدٌ كان اقوى منهم جميعًا ولهذا يبين كانَّ حركة الاوغسطينيين هذه من جملة انواع العصيان التي تحدث مرارًا كثيرة جدًّا في الاديرة والحال ان روح الله حرَّك كل عالم المسيحيين والصراخ المنفرد المنطوق بهِ في دير قد وجد جوابهُ في آلاف من الاصوات وذلك الذي قصد الناس ان يحصروهُ داخل جدران الاديرة خرج واتخذ هيئة جسدية في مركز المدينة نفسها

واخبار الانشقاق بين الرهبان انتشرت سريعًا في البلدة واهالي البلدة وتلاميذ المدرسة انقسموا البعض ضد القداس والبعض معهُ حتى اضطرب البلاط الملكي فارسل فردريك بذهول كاتبهُ بونتانوس الى وتمبرج لكي يخضع الرهبان الى الطاعة بمقاصتهِ اياهم اذا لزم بالاقتصار على الخبز والماءِ وفي ١٢ تشرين الاول قبل الظهر بخمس ساعات جماعة من المعلمين بينهم ملانكثون زاروا الدير وانذروا الاخوة ان لا يحاولوا تجديد شيءٍ او اقل ما يكون ان يصبروا ايضًا قليلاً وعند ذلك انتبهت كل غيرتهم واذ كانوا براي واحد في ايمانهم ما عدا الرئيس الذي كان يجادلهم استشهدوا بالكتب المقدسة وبفهم المؤمنين وبضمير اللاهوتيين وبعد ذلك بيومين كتبوا اقرارهم وسلموهم اياهُ . ففحص العلماء المسئلة باكثر تدقيق ووجدوا ان الحق مع الرهبان فذهبوا لكي يقنعوا فاقتنعوا هم انفسهم فماذا يجب ان يعملوا فان ضمائرهم كانت تصرخ بصوت

عالٍ وكان اضطرابهم يتزايد واخيرًا بعد تردد طويل عزموا عزمًا شجاعًا . وفي ٢٠ تشرين الاول قدمت المدرسة تقريرها الى الملك المنتخب فقالوا بعد ان ذكروا غلطات القداس نترجى جلالك ان تلاشي كل فساد لئلاً يوبخنا المسيح في يوم الدينونة كما وبخ اهالي كفرناحوم . فلم يلبث ان يكون المتكلمون رهبانًا قليلي العدد مجهولين بل تلك المدرسة التي حيًّاها مدة عدة سنين كل الحكماء نظير مدرسة الامة ونفس الوسائط التي استعملت لابطال الاصلاح هي التي ساعدت في امتدادهِ

ان ملانكثون بتلك الجراءة التي ادخلها في العلوم اشهر خمسًا وخمسين قضية من شانها انارة عقول الناس فقال كما ان النظر الى صليب ليس هو تكميل عمل صالح بل انما هو فقط تامل بعلامة تذكرنا بموت المسيح وكما ان النظر الى الشمس ليس هو تكميل عمل صالح بل انما هو فقط تامل بعلامة تذكرنا بالمسيح وانجيلهِ كذلك الاشتراك بعشية الرب ليس هو تكميل عمل صالح بل انما هو فقط استعمال علامة تذكرنا بالنعمة التي أُعطيناها بواسطة المسيح . ولكن الفرق هو ان العلامات المخترعة من الناس انما تذكرنا بما تدل عليهِ واما العلامات المعطاة لنا من الله فانها فضلاً عن انها تذكرنا بالاشياء بعينها تحقق لقلوبنا ارادة الله . وكما ان نظر صليب لا يبررنا كذلك القداس لا يبررنا . وكما ان نظر صليب ليس ذبيحة عن خطايانا ولا عن خطايا الآخرين كذلك القداس ليس ذبيحة . ولا يوجد الاَّ ذبيحة واحدة وكفارة واحدة اي يسوع المسيح ولا ذبيحة خلافهُ . فهكذا تكلم فيلبس النقي الوديع

فتعجب الملك المنتخب . اراد ان يذلل بعض الرهبان الشبان فها كل المدرسة وملانكثون نفسهُ قاموا للمحاماة عنهم وبان لهُ ان الانتظار اثبت واسطة للنجاح فلم يكن يحب الاصلاحات الفجائية بل رغب في ان كل راي يفتح طريقهُ من دون مدافعة فافتكر ان الزمان وحدهُ ينقي جميع الاشياء وينضجها ومع ذلك رغمًا عنهُ كان الاصلاح يتقدم بخطوات مسرعة وبان انهُ حمل معهُ كل

شيء فبذل فردريك كل جهده في توقيف تقدمه فاستخدم سلطانهُ وسلطة اسمهِ والبراهين التي ظهرت لهُ انها اكثر اقناعًا فقال للاهوتيين لا تستعجلوا اكثر من اللازم فان عددكم قليل جدًّا لاحداث مثل هذا الاصلاح فاذا كان مبنيًّا على الانجيل فان الاخرين ايضًا سوف يكشفونهُ وسوف تلاشون الفساد بمساعدة كل الكنيسة فتكلموا وتجادلوا وعظوا عن هذه الامور كما تشاؤون ولكن احفظوا العوائد القديمة

فهكذا كان القتال الذي حدث في امر القداس والرهبان قاوموهُ بكل جراءة والعلماء اللاهوتيون الذين بقوا حينًا مترددين اتوا سريعًا الى نجدتهم فالامير وزعماؤهُ فقط حاموا عن المكان. وزعم جماعة ان الاصلاح قد تم بواسطة قوة وسلطان الملك المنتخب ولكن الواقع بعيد عن ذلك فان المقاتلين رجعوا الى الوراء عند سماع صوتهِ وتخلص القداس الى مدة ايام قليلة

وكانت شدة القتال متجهة نحو قضية اخرى فان الاخ جبرائيل كان لم يزل آخذًا في خطبهِ المحركة القلوب وذلك في كنيسة الاوغسطينيين وصارت الرهبنة غرض ضرباتهِ المتواترة فاذا كان القداس حصن التعاليم الروحانية الحصين فان الطريقة الرهبانية هي عضد رياستها فهذان اذًا هما الحصنان الاولان اللذان يجب افتتاحهما. وحسب تقرير الرئيس قال جبرائيل ليس احد من سكان الاديرة يحفظ وصايا الله ولا يقدر احد ان يخلص تحت القلنسوة وكل انسان يدخل الدير فانهُ يدخلهُ باسم الشيطان ونذور العفة والفقر والطاعة هي ضد الانجيل. وهذا الكلام غير الاعتيادي بلغ الرئيس فامتنع عن الذهاب الى الكنيسة خوفًا من ان يسمعهُ. قالوا ان جبرائيل يرغب في بذل كل الجهد لاجل تفريغ الاديرة فانهُ يقول اذا صودف راهب في الازقة يجب على الشعب ان يجذبوهُ من طرف ثوبهِ ويضحكوا عليهِ وانهم اذا لم يمكن طردهم من الاديرة بواسطة الهزء يجب ذلك بالعنف فقال افتحوا واهدموا واخربوا بالكلية الاديرة بحيث لا يبقى لها اثر ولا يوجد حجر واحد ساعد على تظليل هذا المقدار

من الكسل والخرافات في الرقعة التي بقيت فيها كل هذه المدة المديدة

فتعجب الاخوة وضمائرهم كانت تقول لهم ان كلام جبرائيل هو حق بالتمام وان العيشة الرهبانية لا تطابق ارادة الله وانهُ ليس لاحدٍ حق ان يتصرف باشخاصهم الاَّ هم انفسهم فثلاثة عشر راهبًا اوغسطينيًا تركوا الدير معًا وخلعوا ثياب رهبنتهم ولبسوا ثياب عوام فالذين كانوا اصحاب علم حضروا خطب المدرسة لكي يصيروا في احد الايام مفيدين للكنيسة واما الذين لم تتهذب عقولهم فاجتهدوا في تحصيل معيشتهم بكد ايديهم حسب امر الرسول وحسب قدوة اهالي وتمبرج الصالحين فواحد منهم كانت في يدهِ صناعة التجارة طلب حرية المدينة وعزم على الزواج

فاذا حُسِب دخول لوثيروس في دير الاوغسطينيين في ارفورث جرثومة الاصلاح فخروج هولاء الثلاثة عشر راهبًا من دير الاوغسطينيين في وتمبرج كان علامة دخولهِ في حوزة المسيحيين . وكان ايراسموس مدة الثلاثين سنة الماضية آخذًا في كشف عدم منفعة الرهبان وحماقتهم ورذائلهم وكل اوروبا كانت تضحك وتغتاظ منهُ ولكن لم تبقَ حاجة الى التهكم بعدُ فان ثلاثة عشر من الرجال العقلاء الشجعان رجعوا الى العالم لكي يكونوا مفيدين للجمهور ويكملوا وصايا الله وزواج فلدكرخن كان اول كسرة للرياسة وانعتاق هولاء الثلاثة عشر الاوغسطينيين كانت الكسرة الثانية وطريقة الرهبنة التي نبغت في الازمنة التي فيها دخلت الكنيسة في عصر عبوديتها وغلطها كان مقضيًا عليها بالسقوط عند اشراق الحرية والحق

وهذه الخطوة الجسورة احدثت هياجًا عموميًا في وتمبرج وتعجب الناس من اولئك القوم الذين اتوا هكذا لكي ياخذوا نصيبهم في الاعمال العمومية وقُبلوا كاخوة وفي الوقت نفسهِ سمعت اصوات قليلة ضد الذين اصرُّوا على البقاء مستظلين في حالة الكسل وراء جدران اديرتهم والرهبان الذين بقوا امناء لرئيسهم ارتعدوا في مخادعهم والرئيس اذ راى عظمة الهياج العمومي ابطل

القداسات الدارجة غير الاحتفالية . وادنى تسليم في وقت مثل ذلك يعجل بالضرورة جري الحوادث وامر الرئيس احدث حركة عظيمة في المدينة والمدرسة وسبّب شغبًا فجائيًا وبين التلامذة واهالي وتمبرج البعض من الناس القلقين الذين تهيجهم ادنى حركة وتوقعهم عاجلاً في حركات ملومة فازعجهم الفكر بان القداسات الدون التي كان الرئيس المائل الى الخرافات نفسهُ قد ابطلها لم تزل تمارس في كنيسة الابرشية ونهار الثلاثا الواقع في ٣ كانون الاول اذ كان القداس قريبًا ان يقام ركضوا صاعدين على المذابح واخذوا الكتب وطردوا الخوارنة من الكنيسة فاغتاظ المجمع والمدرسة من ذلك واجتمعوا لكي يقاصوا الذين فعلوا هذه القبائح ولكن متى ثارت الاحساسات مرة فلا يمكن اخمادها بسهولة. اما رهبان مار فرنسيس فلم يشتركوا في حركة الاوغسطينيين هذه وفي اليوم التالي علق التلاميذ ورقة تهديد على باب ديرهم وبعد ذلك دخل اربعون تلميذًا الى ديرهم فامتنعوا عن الزور بل سخروا بالرهبان حتى لم يتجاسروا على القداس الاّ في الخورس وعند المساء قيل للاباء ان يكونوا على حذر لان التلاميذ عازمون على الهجوم على الدير والرهبان الخائفون اذ لم يعرفوا كيف يقون انفسهم من هذه الهجمات الحقيقية او الموهومة طلبوا بسرعة من المجلس ان يحميهم فأرسل جماعة من الجنود الاّ ان العدوّ لم يظهر والمدرسة امرت بالقاء القبض على التلاميذ الذين اشتركوا في هذه القلاقل فظهر ان البعض منهم كانوا من ارفورت حيث صاروا مشهورين بعدم امتثالهم للاوامر فانزلوا بهم عقوبات المدرسة

ومع ذلك لم يزالوا شاعرين بوجوب الفحص باهتمام عن جواز النذور الرهبانية ومجمع من رهبان اوغسطينيين من مسنيا وثورنجيا انعقد في وتمبرج في كانون الاول فارتاوا كما ارتاى لوثيروس فحكموا من الجهة الواحدة بان النذور الرهبانية غير محرمة ومن الجهة الاخرى بانها غير ملزمة فقالوا بالمسيح لا يوجد عامي ولا راهب فكل واحد لهُ حرية ان يترك الدير او يبقى فيهِ فليختر ز الذي

يترك لئلاَّ يسيء استعمال حريتهِ والذي يبقى فليطع رؤساءهُ ولكن بالمحبة ثم رذلوا التسوُّل واقامة القداسات لاجل المال وحكموا ايضًا بان الذين هم اعلم فيهم يتفرغون للتعليم بكلمة الله وان البقية يقومون بمعاش اخوتهم باعمال ايديهم .
وبذلك انتهت مسئلة النذور واما قضية القداس فكانت لم تزل غير محكوم فيها والملك المنتخب لم يزل يقاوم الشغب ويحامي عن ترتيب رآهُ قائمًا في كل عالم المسيحيين واوامر امير هيّن كهذا لم تقدران تضبط زمانًا طويلاً شعور الجمهور وراس كرلستادت على الخصوص دار في وسط الهياج العمومي واذ كان غيورًا مستقيمًا مستعدًّا كلوثيروس لان يضحي كل شيء لاجل الحق كان دون المصلح في الحكمة والقناعة ولم يكن خاليًا بالتمام من المجد الفارغ واذ مال طبعًا الى فحص الامور الى اعماقها كان قاصرًا في الحكم ووضوح الافكار وكان لوثيروس قد انتشلهُ من وحلة اللاهوت وارشدهُ الى درس الكتب المقدسة الاَّ ان كرلستادت لم يكن قد اقر نظير صديقهِ بان كلمة الله كافية تمامًا ومن ثمَّ كنت تراهُ مرارًا يستعمل اغرب التفاسير وما دام لوثيروس الى جانبهِ كانت رياسة المعلم تحفظ التلميذ داخل الحدود الواجبة واما في ذلك الوقت كان كرلستادت حرًّا وذلك الرجل الصغير الاسمر اللون الذي لم يفق قط في الفصاحة كنت تراهُ في المدرسة وفي الكنيسة وفي كل مكان في وتبرج ينادي بحرارة عظيمة بافكار عميقة احيانًا الاَّ انها مرارًا كثيرة اقترنت بوسوسة ومبالغة فقال ان الفكر بانهُ ينبغي ان يترك عمل الاصلاح لله وحدهُ هو جنون عظيم فان حالة جديدة للاشياء قد ابتدأت فيجب ان تتداخل يد الانسان فيها فالويل للذي يتاخر الى الوراء ولا يثب الحائط في عمل القادر على كل شيء
وكلام رئيس الشمامسة هذا جعل الآخرين في قلق نظيرهُ فقال بعض الصالحين الصادقين الذين تبعوا مثالهُ ان كل ما قد رسمهُ البابا نفاقي فلا نلبث مشتركين في هذه الرذالات باحتمالنا اياها في الوجود بعد فالمشجوب من كلام الله يجب ان يزال من كل عالم المسيحيين مهما كانت سنن الناس فاذا

كان رؤساء السياسة ورؤساء الكنيسة لا يتممون واجباتهم فلنكمل نحن واجباتنا فلنرفض جميع المراسلات والمحاورات والقضايا والوكالات ونستعمل العلاج الفعال لهذه الشرور الكثيرة فاننا نحتاج الى ايليا آخر لكي يهدم مذابح البعل

ولا يخفى ان اعادة ترتيب عشية الرب في ذلك الوقت المملو من الهياج والتعصب من المحال ان تكون مقرونة بخشوع وقداسة ترتيبها الاول من ابن الله في ليلة موتهِ وعند اسفل الصليب تقريبًا ولكن الله استعمل اناسًا ضعفاء وربما اصحاب انفعالات ومع ذلك يدهُ هي التي احيت في الكنيسة وليمة محبتهِ

وفي ٥ تشرين الاول من السنة السابقة كان كرلستادت قد مارس عشية الرب سرًّا مع اثني عشر من اصدقائهِ وذلك طبق ترتيب الرب وفي الاحد الذي قبل عيد الميلاد اعلن عن المنبر انهُ في يوم ختانة ربنا اي راس السنة يوزع الافخارستيا بالشكلين اي الخبز والخمر على جميع الذين يتقدمون الى المذبح وانهُ في ممارسة هذا القداس لا يلبس رداء ولا بطرشيلًا . اما المجلس الخائف فطلب من المشير بايران يمنع مثل هذا التشويش المفرط وبناء على ذلك عزم كرلستادت ان لا ينتظر الى اليوم المعين وفي عيد الميلاد سنة ١٥٢١ وعظ في كنيسة الابرشية في ضرورة ترك القداس وتناول السر بالشكلين وبعد الوعظ ذهب الى المذبح ونطق بكلام التقديس بالجرماني ثم التفت الى الشعب المصغي وقال بصوت متخشع كل من شعر بثقل خطاياهُ وعطش الى نعمة الله فليأتِ ويقبل جسد ودم ربنا ثم من دون رفع القربان وزع الخبز والخمر على الجميع قائلًا هذه هي كاس دمي دم العهد الجديد الابدي. فهاجت افكار متضادة في الجماعة فالبعض افتكروا بان نعمة جديدة قد أُعطيت من الله للكنيسة وتقدموا الى المذبح بسكوت وتوبة واخرون اجتذبتهم على الخصوص هذه الاحدوثة وتقدموا مشعرين بالهياج واللجاجة وخمسة فقط من الذين اشتركوا كانوا قد تقدموا الى كرسي الاعتراف والآخرون اشتركوا فقط في الاعتراف الجهاري بالخطايا وكرلستادت اعطى حلة جهارية للجميع غير واضع عليهم قانونًا الَّا هذا لا تعودوا

فتخطئوا وختموا الكل بترتيل نشيدة ابتداؤُها يا حمل الله . ولم يضاد احد كرلستادت لان هذه الاصلاحات كانت قد حصلت على قبول عمومي ورئيس الشمامسة باشر عشية الرب ثانية في اول يوم من السنة الجديدة وفي الاحد التالي ومن ذلك الوقت كانت تمارس بالترتيب . وانسدلن احد مشيري الملك المنتخب عيَّر كرلستادت بانهُ طالب مجد نفسهِ دون خلاص سامعيهِ فاجابهُ كرلستادت ايها السيد المقتدر انهُ لا يوجد شكل موت يقدر ان يرجعني عن الكتب المقدسة فان الكلمة قد جاءت اليَّ بقوة عظيمة جدًّا فالويل لي ان لم ابشر بها . وبعد ذلك بقليل تزوج كرلستادت

وفي كانون الثاني سنة ١٥٢٢ ارتب المجمع والمدرسة في وتمبرج احتفال عشية الرب حسب الطقس الجديد وكانوا في الوقت نفسهِ مشتغلين في وسائط احياء سلطة الديانة الادبية لان الاصلاح كان عتيدًا ان يرد على حدٍّ سواء الايمان والعبادة والآداب وحُكِم بعدم احتمال المتسولين سواء كانوا اخوة مستعطين ام لا وانهُ في كل زقاق يُعيَّن رجل تقي لاجل الاهتمام بالفقراء واحضار الخطاة الجهاريين الى المدرسة او المجلس وهكذا سقط القداس الذي هو الحصن المتين لرومية وهكذا انتقل الاصلاح من التعليم البسيط الى العبادة المشتهرة . مدة ثلاثة اجيال كان القداس والاستحالة ثابتين على الاطلاق ومن ذلك الوقت كل شيء في الكنيسة اتخذ جهة جديدة فكان كل شيء يتجه الى مجد الانسان وعبادة الخوارنة والسر المقدس كان يعبد وترتبت اعياد اكرامًا لاعظم العجائب وعبادة مريم كانت قد حصلت على درجة سامية من اللزوم والخوري الذي في رسامتهِ قبل القوة العجيبة في اصطناع جسد المسيح انفصل عن العامة وصار حسب قول توما اكوينا وسيطًا بين الله والانسان والبتولية نودي بها كشريعة لا تُنقَض والاعتراف للخوري الزم بهِ الشعب وأُنكِرَت عليهم الكاس لانهُ كيف يمكن العوام الادنيا ان يوضعوا في رتبة واحدة مع الخوارنة المتقلدين بالخدمة الاسمى والقداس كان اهانة لابن الله فانهُ كان مضادًّا لنعمة صليبهِ الكاملة ومجد ملكوتهِ

الابدي الذي لا عيب فيهِ لحط قدر المخلص ولكنهُ رفع شان الخوري الذي قلدهُ بسلطة لا توازى بحيث يُوجَد بين يديهِ واراد تهِ الخالق العظيم ومن ذلك الوقت كانت الكنيسة تبين انها أُقيمت لا لكي تبشر بالانجيل بل انما لكي توجد ثانيةً المسيح جسديًا والحبر الروماني الذي ادنى خدامهِ يخلق متى اراد جسد الله نفسهُ قد جلس كالله في هيكل الله وادَّعى بخزنة روحية ياخذ منها متى شاء غفرانات لاجل مغفرة الخطايا

فهذه هي الغلطات الفظيعة التي وُضِعَت على الكنيسة مدة ثلاثة قرون مع القداس وعند ما نفى الاصلاح ترتيب الانسان هذا نفى تلك القبائح ايضًا فالخطوة التي خطاها رئيس شمامسة وتمبرج كانت اذًا الى مسافة طويلة فالاعياد الاحتفالية التي كانت تلهي الشعب وعبادة العذراء وكبرياء الكهنوت وسلطان البابا سقطت جميعًا مع القداس فزال المجد عن الخوارنة لكي يرجع الى يسوع المسيح والاصلاح تقدم تقدمًا عظيمًا

الفصل السابع

اصلاح كاذب . الانبياء الجدداء في وتمبرج . ملانكثون . كرلستادت والايقونات . طلب الناس لوثيروس

ان اصحاب التعصب ربما لم يروا شيئًا في العمل الذي كان جاريًا في تلك المدة الّا مفاعيل غيرة فارغة والواقع نفسهُ برهن عكس ذلك واوضح ان الاصلاح المبني على كلام الله وحركات الترفض بينهما هوَّة عظيمة . ومتى حدثت حركة دينية عظيمة في الكنيسة فلا بد ان بعض العناصر غير الطاهرة تظهر دائمًا مع ظهور الحق فنرى قيام اصلاح كاذب او اصلاحات كاذبة صادرة من الانسان وهي شهادة او علامة للاصلاح الحقيقي فهكذا ظهور مسحاء كثيرين في ايام المسيح شهد

بان المسيح الحقيقي قد ظهر واصلاح القرن السادس عشر لم يكن ممكنًا تكميلهُ من دون ظواهر كهذه وظهرت اولاً في قرية صغيرة اسمها زويكاو

في تلك القرية سكن اناس قد تحركوا بواسطة الحوادث العظيمة التي كانت حينئذٍ تهيج كل عالم المسيحيين فادَّعوا بوحي من الله راسًا عوضًا عن تقديس القلب بتواضع وزعموا انهم قد دعوا لكي يكملوا الاصلاح الذي شرع بهِ بنوع ضعيف العالم لوثيروس فقالوا ماهي المنفعة من الالتصاق بهذا المقدار بالكتاب المقدس. الكتاب المقدس. الكتاب المقدس. فهل يستطيع الكتاب المقدس ان يعظنا وهل هو كافٍ لتعليمنا ولو قصد الله ان يعلمنا بواسطة الكتاب أفما كان ارسل لنا الكتاب المقدس من السماء. انما تتنور بالروح وحدهُ فان الله نفسهُ يكلمنا وهو نفسهُ يعلن لنا ما يجب ان نبشر بهِ. وهكذا هولاء الموسوسون نظير اتباع رومية قاوموا المبدا الاساسي الذي عليهِ يُبنَى الاصلاح بتمام واي كفاءة كلام الله. ورجل صانع الجوخ اسمهُ نيقولاوس ستورخ ادَّعى بان الملاك جبرائيل ظهر لهُ ليلاً وبعد ان اعلن لهُ امورًا لم يستطع حينئذٍ ان يعلنها قال لهُ انك سوف تجلس على عرشي فاتفق معهُ تلميذ من تلاميذ وتمبرج سابقًا اسمهُ مرقس ستوبنر وترك دروسهُ قائلاً انهُ قد نال من الله راسًا موهبة تفسير الكتب المقدسة ورجل آخر حياك اسمهُ مرقس توما اتحد معهما ثم آخر اسمهُ توما منزر رجل مترفض فنظم هذه الطائفة الجديدة نظامًا قانونيًا واذ رغب ستورخ في الاقتداء بمثال المسيح اختار من اتباعهِ اثني عشر رسولاً واثنين وسبعين تلميذًا وجميع هولاء قالوا جهارًا كما فعلت طائفة في ايامنا ان الرسل والانبياء قد أُرجِعوا اخيرًا الى كنيسة الله

وهولاء الانبياء المستجدون ابتدأوا ينادون بارسالياتهم مدَّعين بانهم يسيرون في اثر الانبياء القدماء فقالوا الويل الويل ان الكنيسة التي يسوسها اناس فاسدون بهذا المقدار كالاساقفة لايمكن ان تكون كنيسة المسيح فان روُساء المسيحيين المنافقين سوف يسقطون ففي خمس او ست او سبع سنوات ياتي خراب

عام على العالم فيتسلط الكفار على جرمانيا وجميع الخوارنة يقتلون حتى المتزوجون ايضًا ولا يبقى منافق ولا خاطي حيًّا وبعد ان تنتقى الارض بواسطة الدم يقيم الله حينئذٍ مملكة ويكون ستورخ الحاكم الاعلى ويعطي سياسة الامم للقديسين وحينئذٍ يكون ايمان واحد فقط ومعمودية واحدة فان يوم الرب قريب ونهاية العالم قريبة الويل الويل الويل ثم قالوا ان معمودية الاطفال لا فائدة لها وطلبوا من جميع الناس ان ياتوا ويقبلوا من ايديهم المعمودية الحقيقية علامة دخولهم في كنيسة الله الحقيقية

وهذه العبارات اثرت تاثيرًا قويًا في الشعب وكثيرون من الاتقياء تحركوا من الفكر بان الرسل قد أُرجعوا ايضًا الى الكنيسة وجميع الذين كانوا مغرمين بالامور العجيبة طرحوا انفسهم بين ايدي مترفضي زويكاو

وحالما نبت هذا الضلال القديم الذي كان قد ظهر في ايام منتانوس وفي القرون المتوسطة صادف خصمًا قويًا لمضادتهِ وهو الاصلاح . فان نيقولاوس هوسمان الذي شهد فيهِ لوثيروس قائلاً انهُ يعمل ما نادي بهِ نحن كان راعي زويكاو وهذا الرجل الصالح لم يسمح لنفسهِ ان يضل بواسطة دعاوي هولاء الانبياء الكذبة فدافع البدعة التي رغب ستورخ واتباعهُ في ادخالها وشماساهُ ساعداهُ في عملهِ واصحاب الاوهام هولاء رفضهم خدام الكنيسة فوقعوا في ضلالة اخرى فانهم عقدوا جمعيات نودي فيها بتعاليم مهيجة الفتن فهاج الشعب وظهرت الفتن فضُرِب بالحجارة احد الخوارنة وهو حامل القربان فعارض الحكم المدني ذلك والقى مقدميهم في السجن واذ كان ستورخ ومرقس توما وستوبنر مغتاظين من هذا العمل وتائقين الى تبرير انفسهم والحصول على الترضية الواجبة انطلقوا الى وتمبرج وكان وصولهم الى هناك في ٢٧ كانون الاول سنة ١٥٢١ وكان ستورخ يتقدمهما مثل قائد عسكري ومرقس توما وستوبنر يتبعانهِ والتشويش الذي كان حينئذٍ متغلبًا في وتمبرج وافق مقاصدهم فان شبان المدرسة واهالي المدينة الهائجين هياجًا قويًا في حالة الاضطراب كانوا موضوعًا

قابلاً لكلام هولاء الانبياء المستجدين . واذ تحققوا المساعدة والنجدة ذهبوا حالاً الى معلمي المدرسة لكي يجذبوهم الى رايهم ويستاذنوهم فقالوا اننا قد أُرسِلنا من الله لكي نعلّم الشعب وقد خاطبنا الرب مخاطبة انسية ونعرف ماذا يحدث وبالاختصار نحن رسل وانبياء ونستغيث بلوثيروس . فتعجب المعلمون من هذه العبارات الغريبة

فقال ملانكثون لستوبنر تلميذِ القديم الذي قبلهُ في بيتهِ مَن ولاكم على التبشير بالانجيل فاجابهُ الرب الهنا فقال هل كتبت شيئًا من الكتب فاجاب ان الرب الهنا قد نهاني عن ذلك فاضطرب ملانكثون وخاف واندهل . فقال حقًّا ان في هولاء القوم ارواحًا غريبة وما هي تلك الارواح فلا يقدران يحكم بها الاَّ لوثيروس وحدهُ فلنتحذر من الجهة الواحدة من ان نطفي روح الله ومن الجهة الاخرى من الضلال بواسطة روح الشيطان

وكان ستورخ قلقًا طبعًا فترك حالاً وتبرج واما ستوبنر فبقي هناك وغلب عليهِ روح نشيط في ترجيع الناس الى رايهِ فجال في المدينة يتكلم مرة مع هذا واخرى مع ذاك وكثيرون سلموا لهُ بكونهِ نبيًّا من الله وعاشر بنوع خصوصي رجلاً سوابيًّا اسمهُ سلاربوس احد اصدقاء ملانكثون وقد فتح مدرسة علم فيها عددًا كبيرًا من الشبان فسلم هذا عاجلاً تسليمًا تامًّا بارسالية الانبياء المستجدين. فاضطرب ملانكثون حينئذٍ اكثر وانزعج ولم تكن رُؤَى انبياء زويكاو تقلقهُ بمقدار ما كان يقلقهُ تعليمهم الجديد عن المعمودية فانهُ يظهر لهُ مطابقًا للعقل ولذلك انهُ افتكر انهُ يستحق الفحص قائلاً لانهُ كما قال لا يجب ان نسلم بامرٍ عاجلاً ولا ان نرفضهُ بالاستخفاف

فهذا هو روح الاصلاح وتردُّد ملانكثون واضطرابهُ هما برهان على استقامة قلبهِ ولعل ذلك اشرف لهُ من اي نوع كان من المضادة الرسمية وكان الملك المنتخب نفسهُ الذي لقبهُ ملانكثون بسراج اسرائيل يتردد في ذلك فها انبياء ورسل قد وُجِدوا في بلاد سكسونيا كما كان في اورشليم قديمًا فقال ان هذا امر عظيم

وانا نظير عاميّ لا اقدر ان افهمهُ ولكن احبُّ اليَّ ان اخذ عكازًا بيدي وانزل عن عرشي من ان احارب الله. واخيرًا اخبر المعلمين بواسطة قهارمتهِ ان الاضطراب في وتمبرج كافٍ والاقرب هو ان دعاوي انبياء زويكاو انما هي تجربة من الشيطان وان احكم المساعي في رايهِ هو ترك المادة تسقط من نفسها وانهُ مع ذلك تحت كل الظروف متى راى سعادتهُ ارادة الله واضحًا فانهُ لا يستشير اخًا ولا امًا وانهُ مستعد لان يحتمل كل شيءٍ لاجل دعوى الحق

وأُخبر لوثيروس في الوارتبرج بالحركة الحاصلة في الديوان وفي وتمبرج وان اناسًا مستغربين قد ظهروا والمصدر الذي منهُ اخذوا رسالتهم مجهول فراى حالاً ان الله قد سمح بوقوع هذه الحوادث المحزنة لكي يواضع عبيدهُ ويحركهم بالبلايا الى الاجتهاد باكثر نشاط في طلب التقديس. فكتب الى فردريك يقول ان سعادتك قد بقيت سنين كثيرة تجمع ذخائر من كل بلاد وها قد اعطاك الله شهوة قلبك وارسل لك من دون كلفة ولا مشقة صليبًا كاملاً بمسامير وحراب وسياط. فصحةً ونجاحًا للذخيرة الجديدة فيلزم ان سعادتك تتنازل وتبسط يدك وتدع المسامير تدخل لحمك فاني دائمًا كنت اتوقع ان الشيطان يرسل لنا هذا الوبأ

الاّ انهُ في الوقت نفسهِ لم يكن يظهر لهُ شيءٌ اكثر اضطرارًا من ان يحصّل للآخرين نفس الحرية التي كان يدّعيها لنفسهِ فلم يكن عندهُ مكيال ومكيال وكتب لسپالاتين يقول احذروا من ان تلقوهم في السجن فلا تدع الامير يغمس يديهِ بدماء هولاء الانبياء المستجدين. ان لوثيروس سبق جيلهُ كثيرًا وسبق ايضًا مصلحين كثيرين في قضية الحرية الدينية

وكانت الاحوال تتعاظم كل يوم في وتمبرج ورفض كرلستادت كثيرًا من تعاليم الانبياء المستجدين وعلى الخصوص آراءهم في المعمودية الآن في الوسواس الديني عدوى لا يقدر راس نظير راسهِ على مقاومتها بسهولة ومن حين وصول رجال زويكاو الى وتمبرج كان كرلستادت يسرع بحركاتهِ نحو اصلاحات عنيفة

فقال انهُ يجب علينا ان نهجم على كل عمل نفاقي وان نطرحهم جميعًا في يوم واحد فجمع معًا كل الآيات الموجودة في الكتاب المقدس ضد الايقونات وهجم بنشاط متزايد على وثنية رومية فصرخ قائلاً انهم يخرُّون ويسجدون امام هذه الاصنام ويوقدون الشموع امامها ويقدمون لها هدايا فلننهض ونطرحها عن المذابح

وهذه العبارات لم ينطق بها عبثًا امام الشعب فانهم دخلوا الكنائس واخذوا الايقونات وكسروها واحرقوها ولقد كان احسن ان يصبروا حتى ينادى شرعيًّا برفضها ولكن ظن جماعة ان احتراز الرؤساء يوقع الاصلاح في صعوبة. ويبين من عبارات هولاء الغيورين انهُ لم يكن مسيحيون حنيفيون في وتمبرج الاَّ اولئك الذين لم يذهبوا الى الاعتراف والذين قاوموا الخوارنة واكلوا اللحم في القطاعات واذا اُتهم احد بانهُ لم يرفض جميع طقوس الكنيسة كانها اختراع من الشيطان حُسب عابد بعل فكانوا يصرخون قائلين انهُ يجب ان ننظم كنيسة مؤلفة من قديسين فقط . واهالي وتمبرج قدموا للمجلس بعض قضايا جُبِر على قبولها كان اكثرها مطابقة للآداب الانجيلية وطلبوا بالاخصّ ان جميع اماكن الملاهي الجمهورية تسكَّر . اما كرلستادت فتجاوز ذلك سريعًا فابتدأ يحتقر العلم وقد سُمع هذا المعلم الشيخ ينصح عن كرسيهِ تلاميذهُ ان يرجعوا الى بيوتهم وان يمسكوا القدوم والمحراث ويحرثوا الارض بجهد ولان الانسان يجب ان ياكل خبزهُ بعرق جبينهِ . وجرجس مهر معلم مدرسة الصبيان في وتمبرج اذ داخلهُ هذا الوسواس نفسهُ نادى الاهالي من طاقة مدرستهِ حتى ياتوا وياخذوا اولادهم فلماذا يدرسون فان ستورخ وستوبنر لم يدخلا المدرسة قط ومع ذلك هما نبيان ولهذا كان اصحاب الصنائع مثل العلماء في العالم وربما احسن منهم للوعظ بالانجيل . وهكذا قامت تعاليم مضادة بالاستقامة للاصلاح الذي كان قد قام باحياء العلوم ثانيةً فان لوثيروس كان قد حارب رومية بسلاح العلوم اللاهوتية واصحاب الغيرة في وتمبرج كالرهبان الموسوسين الذين كان ايراسموس وريوخلين قد جادلاهم تجاسروا ان يدوسوا تحت اقدامهم كل العلوم البشرية

ولو نجحت تلك البربرية لفقدت امال العالم واطفأ تبربر آخر النور الذي اضرمهُ الله بين المسيحيين

وعواقب هذه الخطب الغريبة ظهرت سريعًا فان ضمائر الناس تعصبت على الانجيل وثارت وتجردت منهُ والمدرسة اختل نظامها والتلاميذ الخالعون عذار الآداب قطعوا رباطات التاديب وتفرقوا وحكومات جرمانيا طلبت رجوع رعاياها وهكذا القوم الذين كانوا يرغبون في ان يصلحوا ويجبوا كل شيء كانوا عتيدين ان يخربوا الجميع فصرخ اصحاب رومية الذين كانوا من جميع الجهات يسترجعون سطوتهم فقالوا لا تلزمنا غير هجمة واحدة ايضًا وهي الاخيرة وحينئذٍ يصفو لنا الامر كلهُ

ولا ريب ان نقض افراط هولاء الموسوسين حالاً كان الواسطة الوحيدة لانقاذ الاصلاح ولكن من يقدر على عمل ذلك. أملانكثون. كان حدثًا وضعيفًا جدًّا عن ذلك وكان يقلق نفسهُ بكثرة هذه المناظر الغريبة والملك المنتخب كان احلم انسان في عصره وكانت اشغال عمره اللطيفة بناء الحصون في التبرج ووايمر ولوخار ووكوبرج وتزيين الكنائس بالصور الجميلة من تصوير لوقا كراناخ وتحسين الترتيل في المعابد وتقديم نجاح مدرستهِ وانماء غبطة رعاياهُ وان يقف في وسط الاولاد الذين يصادفهم وهم يلعبون في الازقة وينعم عليهم بهبات جزئية فهل الآن في شيخوختهِ يخاصم اصحاب الاوهام والوساوس وهل يدفع العنف بالعنف فكيف يقدر فردريك الصالح التقي ان يتنازل الى ذلك

فكان المرض لا يزال يتزايد ولم يقف احد في طريقهِ لتوقيفهِ وكان لوثيروس بعيدًا عن وتمبرج والتشويش والخراب استوليا على المدينة والاصلاح راى عدوًّا يخرج من حضنهِ اقوى من الباباوات والملوك وصار على حافة الهاوية

فكان الصراخ العمومي المتفق عليهِ في وتمبرج لوثيروس اوثيروس فان الاهالي كانوا يطلبونهُ برغبة والمعلمين يطلبون رايهُ والانبياء انفسهم استغاثوا بهِ فرغب اليهِ الجميع ان يرجع

ويعسر علينا ان نتصور ما جال في عقل المصلح فان جميع اهوال رومية لم تكن شيئًا بالنسبة الى ما قرع قلبهُ فانهُ من وسط الاصلاح نفسهِ خرجت اعداء الاصلاح وصار يفترس نفسهُ وذلك التعليم الذي وحدهُ جلب سلامًا الى قلب لوثيروس المضطرب صار علّة قلاقل مهلكة للكنيسة. قال مرة لو عرفت ان تعليمي يضر انسانًا واحدًا مهما كان دنيًّا ومجهولاً (وذلك لا يمكن لانهُ الانجيل نفسهُ) لكان احب اليّ ان اموت عشر ميتات من ان اصر عليهِ. والآن مدينة بتمامها اي وتمبرج ساقطة في التشويش وبالحقيقة ان تعليمهُ لم تكن لهُ خالطة في ذلك ولكن كان يسمع من كل جهة من جرمانيا اصوات تتهمهُ بهِ فان اوجاعًا احدَّ مما شعر بهِ قبلاً ثارت عليهِ وكانت تجاريب جديدة تحركهُ فقال في نفسهِ هل يمكن ان تكون هذه نهاية ذلك العمل العظيم عمل الاصلاح. ذلك مستحيل فرفض تلك الشكوك بيقين ان الله قد ابتدا بالعمل وهو يكملهُ. وصرخ انني احبو بتواضع عميق الى نعمة الرب واطلب منهُ ان اسمهُ يبقى مقرونًا بهذا العمل وانهُ اذا مُزج بهِ شيءٌ نجس يتذكر انني رجل خاطي

والاخبار التي بلغت لوثيروس عن الهام هولاء الانبياء المستجدين ومناجاتهم السامية لله لم ترعهُ لانهُ اختبر عمق وكآبة وتواضع الحياة الروحية في ارفورت وفي وتمبرج كان قد امتحن قوة الله ولم يسمح لهُ اختبارهُ بهذه الامور ان يومن بسهولة بان الله ظهر لخلائقهِ وخاطبهم فكتب الى ملانكثون يقول لهُ اسال هولاء الانبياء هل شعروا بتلك العذابات الروحية وبتلك التجديدات التي يخلقها الله وبذلك الموت والجحيم اللذين يرافقان تجديدًا حقيقيًّا واذا كانوا يتكلمون معك عن اشياء موافقة فقط وتاثيرات هادية وعن العبادة والتقوى كما يقولون فلا تصدقهم ولو ادَّعوا انهم قد نقلوا الى السماء الثالثة فان المسيح قبل ان وصل الى مجدهِ اضطرهُ الامر الى احتمال الموت وعلى هذا المنوال المومنون يلزمهم ان يذوقوا مرارة الخطية قبل ان ينالوا السلام فهل ترغب في ان تعرف الوقت والمكان والطريقة التي يكلم بها الله الناس فاصغَ الى ما قيل . كاسد

قد كسر كل عظامي وقد طرحت من امام وجههِ ونفسي قد ذلت حتى الى ابواب الجحيم فان الجلال الالهي لا يكلم الناس مواجهة كما يدَّعون بحيث يقدر الناس ان يروهُ لانهُ قال ليس انسان يقدر ان يرى وجهي ويحيا

الآن اقتناع لوثيروس الوطيد بالخداع الذي كان هولاء الانبياء تحت استيلائهِ لم يكن منهُ الاَّ زيادة غم لوثيروس فهل حق الخلاص العظيم بالنعمة قد فقد هكذا سريعًا جمالهُ السامي حتى ان الناس يتركونهُ لكي يتبعوا الحكايات فابتدا يشعر بان العمل ليس هينًا كما كان قد ظن في اول الامر وعثر باول حجر وضعهُ مكر القلب البشري في طريقهِ وانحنى تحت ثقل الحزن والاشواق فعزم تحت خطر فقد حياتهِ ان يزيلهُ من طريق شعبهِ وعزم على الرجوع الى وتمبرج

وفي ذلك الوقت كانت مخاطر عظيمة تهددهُ . لان اعداء الاصلاح توهموا في انفسهم انهم على نفس شفير ابادتهم للاصلاح والدوك جرجس السكسوني الذي كان يكره رومية ووتمبرج جميعًا كان قد كتب باكرًا في ١٦ تشرين الاول سنة ١٥٢١ الى الدوك يوحنا اخي الملك المنتخب لكي يجذبهُ الى جهة اعداء الاصلاح فقال ان البعض ينكرون خلود النفس وآخرين وهولاء هم رهبان يعلقون اجراسًا على الخنازير ويستاقونها لكي تجر ذخائر القديس انطونيوس في الاسواق ثم تطرحها في الحماة وكل هذا هو اثمار تعليم لوثيروس فترجَّ اخاك الملك المنتخب ان يقاص مبتدعي هذه الامور المنافقين او يشهر اقل ما يكون رايهُ فيهم فان لحانا وشعورنا الشائبة تذكرنا اننا قد وصلنا الى الجزء الاخير من طريقنا وتحثنا على انهاء مثل هذه الشرور العظيمة

وانطلق الدوك جرجس بعد ذلك لكي يمارس وظيفتهُ في الحكومة الامبراطورية في نورمبرج وحالما وصل اخذ يبذل كل جهدهِ في الالحاح على الحكومة بان تستعمل القساوة وفي ٢١ كانون الاول اصدرت جماعتها امرًا شكت فيهِ بمرارة من ان الكهنة يقيمون القداس بدون حللهم الكهنوتية ويقدسون

بالجرماني ويوزعون السر على المتناولين من دون ان يعترفوا لهم ويضعونهُ بايدي العوام ولا يعتنون بتحقيق كون الذين يتقدمون لقبولهِ صائمين . ومن ثمَّ طلبت الحكومة الامبراطورية من الاساقفة ان يفتشوا على جميع هولاء المبتدعين الموجودين في ابرشياتهم ويقاصوهم بصرامة والاساقفة بادروا حالاً الى اطاعة تلك الاوامر . فتلك الساعة اختارها لوثيروس لظهورهِ ثانيةً في حومة الميدان. نظر الخطر وسبق فتنبأَ ببلايا لاتحصى فقال انهُ عن قليل يصير اضطراب في المملكة يحمل الامراء والولاة والاساقفة امامهُ فان للشعب اعينًا فلا يريدون ان يقتادوا ولا يقتادون جبرًا فتفيض كل جرمانيا بالدم فلننهض لكي نقي امتنا في يوم غضب الله الهائل

الفصل الثامن

الانصراف من الوارتبرج . لوثيروس والراي الكاثوليكي الاصلي . مكتوب لوثيروس للملك المنتخب . مقابلة الانبياء

ذكرنا سابقًا افكار لوثيروس في ذلك الوقت الآ انهُ راى قدامهُ خطرًا اعظم ايضًا فعوضًا عن ان يخمد الاضطراب في وتمبرج اشتد كل يوم ومن قمم الوارتبرج راى لوثيروس الشهب المهولة علامة الدمار ترشق مرة بعد اخرى في الجو . أليس هو وحدهُ المعوَّل عليهِ في تلك الحالة الشديدة اما يجب ان يلقي نفسهُ في وسط اللهيب لكي يخمد قوتها . فباطلاً حاول اعداؤُهُ ان يضربوا الضربة الاخيرة وباطلاً التمس منهُ الملك المنتخب ان لا يترك الوارتبرج وان يعد تبريرهُ للمجمع الآتي بل لهُ عملٌ اهم وهو تبرير الانجيل نفسهُ فكتب ان اخبارًا مهمة تبلغني كل يوم فسوف انطلق والظروف تلزمني بالضرورة ان افعل ذلك. ومن ثمَّ نهض في ٣ اذار عازمًا على ترك الوارتبرج الى الابد فودع ابراجها

القديمة العهد واحراشها المظلمة وعبر تلك الاسوار التي حرومات لاون العاشر وسيف كرلوس الخامس لم تقدر على الوصول اليها فنزل عن الجبل والعالم الذي كان عند قدميهِ والذي كان عتيدًا ان يظهر ثانيةً في وسطهِ ربما عن قليل يطلب بصوت عالٍ موتهُ. لا باس فانهُ تقدم فرحًا لانهُ باسم الرب رجع الى اصحابهِ

كانت قد مضت مدة من الزمان فترك لوثيروس الوارتبرج لامر يختلف جدًّا عن الذي بسببهِ دخل الى هناك فانهُ كان قد انطلق الى هناك كمقاوم للتقليد القديم وللعلماء الاولين وخرج منها نظير محامٍ عن تعليم الرسل من اخصام مستجدين وكان قد دخل نظير مبتدع ومحارب للرياسة القديمة وخرج منها كمحافظ وجندي لايمان المسيحيين والى ذلك الوقت لم ينظر لوثيروس سوى شيء واحد في عملهِ وهو انتصار تعليم التبرير بالايمان وبهذا السلاح كان قد هدم خرافات قوية واذا كان وقت للهدم كان ايضًا وقت للبناء فتحت تلك الخرابات التي يدهُ القوية ملأت السهول بها وتحت تذاكر الغفرانات المنتثرة وتلك العمائم البالية المزقة وتحت قبائح وغلطات رومانية كثيرة بهذا المقدار المطروحة بالخزي في ميدان القتال راى الكنيسة الكاثوليكية القديمة ظاهرة على حالتها الاولى وخارجة كانها من التجارب الطويلة العهد بتعاليمها غير المتغيرة والفاظها السموية . فيزها عن كنيسة رومية وترحب بها واعتنقها بفرح

ان لوثيروس لم يحدث شيئًا جديدًا في العالم بخلاف ما قُرِف بهِ كذبًا فانهُ لم يقم بناء للمستقبل الذي لم يكن لهُ تعلق بالماضي بل كشف لنور النهار الاساسات القديمة التي كان قد علاها الشوك والقرطب واذ داوم بناء الهيكل بنى على الاساسات الموضوعة من الرسل فقط وراى لوثيروس ان كنيسة الرسل الاصلية القديمة يجب من الجهة الواحدة ترجيعها عنفًا عن البابابوية التي ضايقتها كل تلك المدة الطويلة ومن الجهة الاخرى تجب وقايتها من اصحاب الوساوس الذين ادَّعوا بانهم ليسوا منها والذين من دون التفات الى كل ما عملهُ الله في

الازمان الماضية طلبوا الشروع في امر جديد على التمام ولم يلبث لوثيروس ان يكون صاحب تعليم واحد بحصر اللفظ اي التبرير بالايمان مع انهُ وضعهُ في اعلى طبقة بل صار صاحب كل اللاهوت المسيحي واذ كان لم يزل يعتقد بان الكنيسة هي جوهريًا جماعة القديسين لم يكن يحتقر الكنيسة المنظورة واقرَّ بان جماعة المنتخبين هي ملكوت الله وهكذا احدث تغيير عظيم في ذلك الوقت في قلب لوثيروس وفي لاهوتهِ وفي عمل التجديد الذي كان الله آخذًا باجرائهِ في العالم والرياسة الرومانية ربما كانت تقدر ان تسوق المصلح الى التطرف ولكن الاحزاب التي رفعت روُّوسها بجسارة ارجعتهُ الى طريق الاعتدال الحقيقي واقامة لوثيروس في الوارتبرج تقسم تاريخ الاصلاح الى قسمين اوالى مدتين

كان لوثيروس راكبًا على مهل في طريق وتمبرج في اليوم الثاني من سفرهِ وهو ثلثاء الرماد وعند المساء حدث سيل عظيم هائل فطافت الطرقات بالماء وكان فتيان سويسيان مسافرين في الجهة التي كان آخذًا فيها مسرعين لكي يلطوا في مدينة جينا فكانا قد درسا في باسل وشهرة وتمبرج اجتذبتهما الى تلك المدرسة واسم الواحد يوحنا كسلر من سنت غال فاسرع هو ورفيقهُ في جريهما فكانت المدينة باسرها متحركة بملاهي المرفع والمراسح والملاعب والولائم الحافلة جعلت اهالي جينا في ازدحام عظيم ولما وصل المسافران لم يقدرا ان يجدا منزلاً في احد الحوانيت واخيرًا دُلاَّ على محل اسمهُ الدب الاسود خارج ابواب المدينة واذ كانا مهمومين تعبين انطلقا الى هناك على مهل فقبلهما صاحب الحانوت ببشاشة فنزلا بالقرب من باب الغرفة العمومية المفتوح خجلين من الحالة التي اوصلهما اليها المطر ولم يتجاسرا على الدخول وكان جالسًا على احدى الموائد رجل متوحد بلبس فارس لابس قبعًا احمر على راسهِ وسراويل سقطت عليها اطراف قميصهِ ويمينهُ قابضة على فرند سيفهِ ويسارهُ قابضة على مقبضهِ وامامهُ كتاب مفتوح قرأ فيهِ بحرص عظيم وعند ما سمع صوت دخول هذين الفتيين رفع راسهُ وسلم عليهما ببشاشة ودعاهما ان يأتيا ويجلسا على مائدتهِ ثم قدم

لهما كاس بيرا وقال مشيرًا الى نغمتهما اني اراكما من سويسرا فمن اية مقاطعة فقالا من سنت غال فقال اذا كنتما منطلقين الى وتمبرج فانكما تصادفان هناك ابن بلادكما الدكتور شيورف . فتشجعا بهذا القبول اللطيف وقالا يا سيد انقدران تخبرنا اين مرتينوس لوثيروس فاجاب الفارس اعلم يقينًا انهُ ليس في وتمبرج الاَّ انهُ سياتي الى هناك بعد قليل ولكن فيلبس ملانكثون هناك فادرسا العبراني واليوناني لكي تفهما واضحًا الكتب المقدسة فقال احدهما اذا ابقانا الله في الحياة فاننا لا نرجع الى وطننا من دون ان نرى ونسمع مرتينوس لوثيروس لاننا لاجلهِ قد اخذنا في سفرنا هذا الطويل فاننا نعلم انهُ يريد ان يبطل الكهنوت والقداس وبما ان والدينا قد نذرانا للكهنوت منذ طفوليتنا نريد ان نعرف صريحًا على اي اساس يبني قضاياهُ فسكت الفارس لحظة ثم استتلى قائلاً اين درستما حتى الآن فقالا في باسل فقال هل بقي ايراسموس من روتردام هناك وماذا يعمل فاجاباهُ عن ذلك فتحير السويسيان وافتكرا أما هو امر غريب ان هذا الفارس يتكلم معنا عن شيورف وملانكثون وايراسموس وعن ضرورية تعلم العبراني واليوناني فقال الفارس المجهول لديهما يا صديقيَّ العزيزين ماذا يفتكرون عن لوثيروس في سويسرا فاجاب كسلر يا سيد ان الآراء فيهِ مختلفة هناك كما في كل مكان آخر فالبعض لا يقدرون ان يمدحوهُ بالكفاءة والبعض يحرمونهُ كاراتيكي مكروه فقال نعم . ولا شك ان الخوارنة يفعلون ذلك

ان لطف الفارس شجع الدارسين فرغبا في ان يعرفا ما هو الكتاب الذي كان يقراهُ ساعة وصولهما فان الفارس كان قد اغلقهُ ووضعهُ الى جانبهِ واخيرًا تجاسر رفيق كسلر على اخذهِ واذا هو الزبور العبراني فتحيرا كلاهما فوضعهُ الدارس حالاً كانهُ اراد ان يستغفر عن جسارتهِ فقال اني بارادتي اعطي احد اصابعي لكي اعرف هذه اللغة فقال الفارس انك تحصل على مرغوبك اذا كنت فقط تحتمل مشقة درسهِ

وبعد برهة قليلة سمع كسلر صاحب الحانوت يدعوهُ فخاف الشاب السويسي

المسكين لئلاَّ يكون قد حدث شيء على غير صواب الآن صاحب المنزل همس في اذنيهِ اني اراك ترغب جدًّا في ان تري وتسمع لوثيروس فالذي هو جالس الى جانبك هو هو. فاتخذ كسلر ذلك متخذ الهزل وقال انك ايها الحانوتي تريد ان تضحك عليَّ فاجابهُ انهُ هو بالحقيقة ولكن لا تدعهُ يرى انك تعرفهُ فلم يجب كسلر بكلمة بل رجع الى الغرفة وجلس على المائدة تائقًا الى تعريف رفيقهِ بما قد سمعهُ ولم يجد لذلك سبيلاً واخيرًا افتكر بالانحناء الى ما قدام كانهُ ينظر نحو الباب وقال سرًّا لرفيقهِ ان الحانوتي يوكد لي ان هذا الرجل هو لوثيروس فاجاب رفيقهُ ربما قال هوتن فانك لم تسمعهُ جيدًا فقال كسلر ربما كان كذلك الحانوتي قال هو هوتن وبما ان الاسمين متشابهان كثيرًا فقد غلطت في تمييز احدهما عن الآخر

وفي تلك الدقيقة سُمع صوت خيل امام الحانوت واذا تاجران يطلبان المبيت دخلا الغرفة فخلعا نحاساتهما ونزعا ردائيهما ووضع واحد منهما الى جانبهِ على المائدة كتابًا غير مشدود فلاحظهُ الفارس حالاً وسال ما هو هذا الكتاب فاجاب التاجر انهُ تفسير لبعض الاناجيل والرسائل تاليف العالم لوثيروس وقد خرج حديثًا من المطبعة فقال الفارس اني اشتريهِ بعد قليل

وللوقت اتى الحانوتي واخبرهم بان العشاء قد أُعِدَّ اما التلميذان فاذ خافا من كلفة هذه الاكلة برفقة الفارس اولريخ هوتن والتاجرين الغنيين اخذا الحانوتي جانبًا وطلبا منهُ ان يقدم لهما شيئًا وحدهما فاجاب الحانوتي هلمَّ يا صديقيَّ واجلسا على المائدة الى جانب هذا الخواجه فانا احسب عليكما مصروفًا معتدلاً فقال الفارس تعاليا فانا ادبر الحساب

وفي وقت الاكل تكلم الفارس الغريب بكلام كثير بسيط يفيد البنا فكان الدارسان والتاجران يصغون اصغاءً تامًّا والتفتا الى كلامهِ اكثر مما التفتا الى الاطعمة الموضوعة امامهما فقال احد التاجرين في سياق الحديث ان لوثيروس اما ملاك من السماء واما شيطان من جهنم واني بكل رغبة اعطي عشر فلورينات

اذا قدرت ان اصادف لوثيروس واعترف لهُ

ولما انتهى العشاء ترك التاجران المائدة واما الدارسان فبقيا وحدهما مع الفارس الذي تناول كاسًا كبيرة من البيرا ونهض وقال بهيبة حسب عادة البلاد يا سويسبان كاسًا اخرى للشكر ولما حاول كسلر تناول الكاس وضعها الفارس المجهول وقدم لهُ كاسًا مملوة خمرًا قائلاً انتم لستم معتادين على البيرا . ثم نهض والقى رداء جنديًا على كتفيهِ وبسط يدهُ الى الدارسين وقال لهما عندما تصلان الى وتمبرج سلما على المعلم شيورف من عندي فاجاباهُ حبًا وكرامةً ولكن باسم من فقال قولوا لهُ فقط ان الذي سوف ياتي يقريك السلام وبهذه الكلمات خرج من الغرفة وتركهما مملوّين عجبًا من معروفهِ ولطفهِ

ثم اخذ لوثيروس في طريقهِ ولا يخفى انهُ كان تحت غضب المملكة حتى ان كل من وجدهُ وعرفهُ لهُ حق ان يقبض عليهِ ولكنهُ في الوقت الذي كان فيهِ آخذًا في عمل يجعلهُ عرضة لكل خطر كان هاديًا ساكنًا فكان يخاطب ببشاشة الذين لاقاهم في الطريق ولم يكن ذلك لانهُ خدع نفسهُ بل راى المستقبل كثير العواصف فقال ان الشيطان غضبان وجميع الذين حولي يكمنون لي موتًا وجهنمًا الّا انهُ مع ذلك انقدم والقي نفسي في طريق الامبراطور والبابا اذ ليس لي محامٍ الّا الله في السماء . وقد اعطى السلطان لكل الناس ان يقتلوني حيثما وجدوني ولكن المسيح هو رب الكل فاذا كانت ارادتهُ ان أُقتَل فليكن كذلك

وفي ذلك اليوم بعينهِ وهو اربعاء الرماد وصل لوثيروس الى برنا قرية صغيرة بالقرب من ليبسك وشعر بانهُ يجب عليهِ ان يعلم الملك المنتخب بالخطوة الجسورة التي كان عتيدًا ان يخطوها ومن ثمَّ نزل في حانوت وكتب المكتوب الآتي

النعمة والسلام من الله ابينا ومن ربنا يسوع المسيح ايها الملك المنتخب الحكيم والمولى المنعم . ان الحوادث التي جرت في وتمبرج للافتراء العظيم على الانجيل

قد المتني المًا شديدًا جدًا حتى اني لو لم اكن واثقًا بحنانية دعوانا لكنت وقعت في البأس . وهذا ما تعلمهُ جلالتك واذا كنت لا تعرفهُ فليكن معلومًا عندك باني قد قبلت الانجيل لا من الناس بل من السماء بواسطة ربنا يسوع المسيح وطلبي الجدال لم يكن لاني شككت بالحق بل لاجل التواضع واملاً باني اربح الآخرين وبما ان تواضعي قد تحوّل ضد الانجيل يسوقني الآن ضميري الى العمل بخلاف ذلك وقد اعطيت جلالتك فرصة كافية بصرفي هذه السنة في الوحدة والشيطان يعلم اني لم افعل ذلك بسبب الخوف وكنت لا محالة دخلت ورمس ولو كان في المدينة شياطين على عدد الآجر على السطوح والدوك جرجس الذي تخيفني جلالتك منهُ انما يخوّف اقل مما يخوّف شيطان واحد . ولو كان ما هو جارٍ الآن في وتمبرج جاريًا في ليبسك كرسي الدوك المذكور لكنت حالاً اركب حصاني واذهب الى هناك ولو كانت تمطر في مدة تسعة ايام كاملة وكل نقطة دوك جرجس على تسعة امثال شراستهِ ولا مواخذة فماذا يظن انهُ يربح من مقاومتهِ اياي فهل يحسب المسيح ربي قشًا . اطلب اليك يا رب ان تمنع القضاء الرهيب المعلق فوق راسهِ

وليكن معلومًا لدى جلالتك اني منطلق الى وتمبرج تحت حماية اسمى كثيرًا من حمايات الامراء والمنتخبين ولا افتكر بطلب الاسعاف من سعادتك ولا ارغب الحماية من قبلك بل احب اليّ ان احميك انا ولو عرفت ان جلالتك تقدر او تريد ان تحميني لما كنت انطلق الى وتمبرج مطلقًا فانهُ لا يوجد سيف يقدر ان يعين هذا العمل بل الله وحدهُ يعمل كل شيء من دون مساعدة الناس ولا نجدتهم والذي لهُ الايمان الاعظم فهو الاقدر على الحماية والبائن لي ان جلالتك لم تزل ضعيفًا في الايمان

ولكن بما ان جلالتك ترغب في ان تعرف ماذا يجب ان تعملهُ اجيب بكل خضوع . ان جلالتك قد عملت اكثر من الواجب ولا يجب ان تعمل شيئًا بعد فان الله لا يحتمل ولا يقدر ان يحتمل اهتماماتك واتعابك ولا اهتماماتي واتعابي

فليكن تصرف جلالتك بحسب هذا الراي

واما ما يختص بي فالواجب ان جلالتك تتصرف نظير ملك منتخب ويجب ان تدع اوامر جلالتِهِ الملكي تاخذ مجراها في بلادك ومدنك ولا يجب ان تبدي ادنى مقاومة اذا اراد الناس ان يقبضوا عليَّ او يقتلوني لانهُ ليس احد يقاوم السلطان الاَّ الذي رتبهُ

فاترك الابواب مفتوحة واعتبر سكوك الامان اذا جاء اعدائي بانفسهم او بواسطة وكلائهم لاجل التفتيش عليَّ في بلاد جلالتك فكل شيءٍ يعمل من دون ازعاج لك او خطر عليك

وقد كتبت هذا المكتوب بالسرعة لكيلا تقلق عند ما يبلغك قدومي ومعاطاتي هي مع رجل يختلف جدًّا عن الدوك جرجس فهو يعرفني جيدًا وانا ايضًا اعرفهُ جيدًا

أُعطِي في بورنا في حانوت الدليل في اربعاء الرماد سنة ١٥٢٢

عبد جلالتكم الخضوع

مرتينوس لوثيروس

على الكيفية المذكورة تقدم لوثيروس الى وتمبرج فكتب الى اميرهِ لالكي يعتذر عن نفسهِ . ملأَت قلبهُ ثقة وطيدة وراى يد الله في هذا العمل فاستكفى بذلك ولا يمكن ان تبلغ شجاعة الايمان درجة اسمى ما كانت فيهِ وفي نسخة من تصانيف لوثيروس كُتِب على حاشية هذا المكتوب العبارة الآتية وهي ان هذه كتابة عجيبة من ايليا الثالث والاخير

فدخل لوثيروس وتمبرج نهار الجمعة الواقع في ٧ اذار بعد ان بقي خمسة ايام في طريقهِ من ايسناخ فابتهج جميع العلماء والتلاميذ والاهالي فرحًا لانهم قد استرجعوا الربان الذي وحدهُ يقدر ان يخلص السفينة من الصخور التي هي مشتبكة بينها

ان الملك المنتخب الذي كان حينئذٍ في لوكاو مع ارباب ديوانهِ تاثر تاثرًا

عظيمًا عند ما قرأ مكتوب المصلح واذ اراد ان يبررهُ امام المجمع كتب الى شيورف يقول دعهُ يكتب لي مكتوبًا يوضح فيهِ اسباب رجوعهِ الى وتمبرج وليقل ايضًا انهُ رجع من دون اذني فاجاب لوثيروس الى ذلك . فكتب الى الامير يقول اني مستعد لان احمل غضب جلالتك وغضب كل العالم . اليس اهل وتمبرج قطيعي . ألم يسلمهم الله بيدي . أوما يجب عليَّ اذا لزم الامر ان اسلم نفسي الى الموت من اجلهم . وعدا ذلك اني اخاف من ان ارى قومة هائلة في جرمانيا بها يقاصُّ الله امتنا وليكن محققًا عند جلالتك من دون شبهة ان احكام السماء تختلف جدًّا عن احكام نورمبرج . وهذا المكتوب كُتِب في نفس اليوم الذي وصل فيهِ لوثيروس الى وتمبرج

وفي اليوم التالي مساء الاحد الاول من الصوم زار لوثيروس ايرونيموس شيورف وكان ملانكثون وبوناس وامسدورف مجتمعين هناك واستخبر منهم لوثيروس وهم اخبروهُ بكل ما كان قد حدث وعند ذلك حضر تلميذان وطلبا مواجهة الدكتور ايرونيموس وعند ما دخل هذان الشابان من سنت غال الى مجمع قوم علماء كانا في اول الامر خجلين الاَّ انهما تشجعا سريعًا عند ما رايا بينهم فارس الدب الاسود فلاقاهما الفارس حالاً وسلم عليهما كانهما من معارفهِ القدماء واشار مبتسمًا الى واحد من العلماء قائلاً لهما هذا هو فيلبس ملانكثون الذي ذكرتهُ لكما وبقيا كل النهار مع علماء وتمبرج يتذكران الاجتماع الذي حصل بينهما وبين لوثيروس في جينا

ان فكرًا واحدًا عظيمًا اشغل عقل المصلح حينئذٍ وخفض الفرح الذي شعر بهِ عند مقابلتهِ اصدقاءهُ تلك المرة الاخرى ولا شك ان الحالة التي كان عتيدًا ان يظهر فيها كانت مجهولة فانهُ كان مزمعًا ان يرفع صوتهُ في بلدة صغيرة من سكسونيا والحال ان عملهُ كان لهُ كل اعتبار حادثة مزمعة ان تفعل في احوال العالم وكانت امم واجيال كثيرة مزمعة ان تشعر بتاثيراتهِ والمسألة حينئذٍ هي في ذلك التعليم الذي اتخذهُ من كلام الله والذي من شانهِ ان يوثر تاثيرًا هذا مقدارهُ

في احوال الجنس البشري المستقبلة هل هو اقوى من المبادي المفسدة التي كانت تتهدده بالملاشاة وايضاً هل كان الاصلاح امراً ممكناً من دون ان يسبقهُ او يرافقهُ خراب وهل يمكن تسهيل الطريق للامور الحديثة من دون ملاشاة ما كان قديماً فان العمل الذي رجع لوثيروس الى وتمبرج من اجلهِ انما هو ان يسكت اصحاب الوساوس الملهمين بقوة غيرة وقادة جديدة وان يسوس جماعة مطلقة العنان ويسكنها ويرجعها الى حالة الترتيب والسلام والحق وان يسد مجرى النهر العنيف الذي كان يتهدد هدم بناء الاصلاح الجديد وتبديد خربهِ طولاً وعرضاً فهل صولتهُ كافية لذلك . ان الواقع وحدهُ يفك المشكل

ان قلب المصلح ارتجف من الفكر بالخصام الذي كان يتوقعهُ فرفع راسهُ كاسد يحرمز للوثب وقال يجب الآن ان ندوس الشيطان تحت ارجلنا ونقاتل ملك الظلمة فاذا كان اعداؤنا لا ينفصلون من تلقاء انفسهم فالمسيح يعلم كيف يغصبهم الى ذلك ونحن الذين نتكل على رب الحياة والموت نحن انفسنا ارباب الحياة والموت

ولكن في الوقت نفسهِ المصلح الجسور كانهُ محصور بقوة عليا ابى استعمال حرومات وصواعق كلمة الله وصار راعيا متواضعاً لطيفاً للنفوس فقال بالكلمة يجب ان نقاتل وبالكلمة يجب ان نغلب ونهدم ماقد بُني بالعنف فلست استعمل القوة ضد الخرافات وعدم الايمان فدع الذي يؤمن يدنو والذي لا يؤمن يبتعد فلا يسوغ ان يغتصب احدٌ لان الحرية هي جوهر الايمان نفسهُ

وكان اليوم التالي الاحد وكان هذا العالم الذي اخفتهُ اسوار الوارتبرج الشامخة عن كل ناظر نحو سنة عتيداً ان يظهر ثانيةً امام الشعب على منبر الكنيسة وشاع الخبر في وتمبرج ان لوثيروس قد رجع وانهُ يعظ في الغد وهذا الخبر وحدهُ منتقلاً من فم الى فم حوَّل الافكار التي كان الشعب قد ضلوا بسببها فانهم ذاهبون لمشاهدة بطل وُرمس فازدحم الشعب معاً وحصل فيهم تاثيرات متنوعة فكانت الكنيسة يوم الاحد صباحاً مملوَّة جمعاً مصغياً منتبهاً .

وعرف لوثيروس افكار الحاضرين فصعد الى المنبر ووقف هناك امام القطيع الذي كان مرةً قد اقتادهُ كنعجة وديعة بل الذي كان قد افلت منهُ كثور بري وكانت عباراتهُ بسيطة شريفة الّا انها كانت مملوّة قوة ولطافة فكنت تظنهُ ابًا شفوقًا راجعا الى بنيهِ ويفحص عن سيرتهم بقول لهم برفق ما قد بلغهُ عنهم واعترف علنًا بالتقدم الذي كانوا قد تقدموهُ في الايمان وبهذه الواسطة اعد عقولهم وسباها ثم استتلى بهذه الكلمات قائلاً

ولكننا نحتاج الى شيء آخر سوى الايمان نحتاج الى المحبة فان رجلاً يحمل سيفًا اذا كان وحدهُ فقلما يُلتفت الى كون سيفهِ مغمدًا او مجردًا ولكن اذا كان في وسط جمهور فانهُ يجب ان يتصرف بحيث لا يجرح احدًا . ماذا تعمل الام لطفلها انها تعطيهِ اولاً حليبا ثم طعامًا لطيفا جدًّا فلو كانت تبتدي باطعامهِ لحمًا وخمرًا ماذا كانت العاقبة . فهكذا يجب ان نعامل اخوتنا فيا صاح هل بقيت مدة كافية على الثديين . ذلك حسن ولكن اسمح لاخيك ان يرضع مثل ما رضعت انت . لاحظ الشمس فانها تمنح شيئين النور والحرارة ولا ملك يقدر ان يحوّل اشعتها فانها تاتي على خط مستقيم الينا واما الحرارة فانها تنعكس وتنتشر في كل جهة وهكذا الايمان يجب ان يكون دائمًا كالنور مستقيمًا غير متكسر واما المحبة فهي كالحرارة فيجب ان تنعكس وتميل نحو كل احتياجات اخوتنا

وبعد ان اعدّ لوثيروس سامعيهِ على هذه الكيفية اخذ يضيق عليهم فقال انكم تقولون ان ابطال القداس هو مطابق للكتاب المقدس فذلك مسلم ولكن اي نظام واي ترتيب قد حفظتم فكان يليق بكم ان تقدموا صلوات حارة لله وتلتجئوا الى السلطان المدني وحينئذٍ كان كل انسان قد سلم بان الامر هو من قبل الله

فهكذا تكلم لوثيروس وهذا الرجل الجسور الذي كان قد قاوم في وُرمس ملوك الارض احدث تاثيرًا عميقًا في عقول سامعيهِ بواسطة كلمات الحكمة والسلام . فكرلستادت وانبياء زويكاو الذين كانوا اقوياء وعظماء بهذا المقدار

مدة اسابيع قليلة وسادوا على وتمبرج وهيجوها اصبحوا حقيرين جدًّا بحضور اسير الوارتبرج

ثم قال ان القداس هو شيء ردي والله يضادهُ ويجب ابطالهُ وبالينهُ في جميع العالم يعوَّض عنهُ بعشاء الانجيل ولكن لا ندعنَّ احدًا ينفصل عنهُ رغمًا بل يجب ان نترك القضية في يدي الله . وكلامهُ يجب ان يفعل لا نحن ولعلكم تسالون ولماذا ذلك فالجواب لانني لست اقبض بيدي على قلوب الناس كما يقبض الفاخوري على الطين فلنا حق ان نتكلم وليس لنا حق ان نفعل فلننادِ والباقي يختص بالله ولو كنت استعمل الغصب ماذا كنت اربح الّا التصنع والتظاهر والادعاء والسنن البشرية والرياء بل لا يكون هنالك خلوص قلب ولا ايمان ولا محبة وحيث لا توجد هذه الاشياء الثلاثة لا يوجد شيء يستحق شراوةً بقشةٍ

وغايتنا الاولى يجب ان تكون ربح قلوب الناس ولاجل هذه الغاية يجب ان نبشر بالانجيل فتسقط اليوم الكلمة في قلب وغدًا في قلب آخر وتفعل على هذا المنوال حتى ان كل واحد يترك القداس ويبتعد عنهُ والله يفعل بكلمتهِ وحدها اكثر مما اقدر انا وانتم او العالم باسرهِ ان نعملهُ بقوتنا المقرونة معًا فالله يقبض على القلب ومتى أُخِذ القلب بربح كل شيء

ولست اقول ذلك لاجل ترجيع القداس . بما انهُ قد سقط فباسم الله دعوهُ ساقطًا . ولكن أكان واجبًا ان تشتغلوا كما فعلتم . فان بولس اذ وصل ذات يوم الى اثينا وجد هناك مذابح مقامة لاله مجهول فذهب من الواحد الى الآخر ولاحظها من دون ان يمسها ولكنهُ مشى بسلام الى السوق واخبر الشعب بان جميع آلهتهم هي اصنام فاستولى كلامهُ على قلوبهم وسقطت الاصنام من دون ان يمسها بولس

فاني ابشر واباحث واكتب الّا اني لا اغصب احدًا لان الايمان عمل اختياري فانظروا ما قد فعلتُ . قد وقفت ضد البابا والغفرانات والباباويين

ولكن من دون عنف ولا شغب . قد انذرت بكلمة الله ووعظت وكتبت وهذا كل ما عملتهُ ومع ذلك فعند ما كنت نائمًا اوجالسًا بانس على المائدة مع امسدورف وملانكثون نشرب ونتحدث على بيرانا الوتمبرجية كانت الكلمة التي كنت قد ناديت بها تهدم البابا وية حتى انهُ لا الامير ولا الامبراطور اضرها بهذا المقدار ومع ذلك انا لم افعل شيئًا بل الكلمة وحدها عملت كل شيء ولو اردت الاستعانة بالسيف لربما كانت جرمانيا باسرها قد طافت بالدماء وماذا كانت العاقبة الاّ الخراب والدمار للنفس والجسد جميعًا ومن ثم بقيت ساكنًا وتركت الكلمة تطوف العالم وحدها . أتعلمون ماذا يفتكر الشيطان عند ما يرى الناس يلتجئون الى القهر لكي ينشروا الانجيل في العالم فان الشيطان يقف مكتوف اليدين وراء نار جهنم ويقول بنظر مقطب وكشرة مريعة ما احكم هولاء المجانين في اكالهم عملي ولكنهُ عند ما يرى الكلمة تجري وتقاتل وحدها في فلاة الحرب يضطرب وتصطك ركبتاهُ ويرتعد ويغشى عليهِ من الخوف

وتبوأ لوثيروس المنبر ايضًا يوم الثلاثاء فتردد صوتهُ القوي مرةً اخرى في وسط المجمع الهائج ووعظ ايضًا في الخمسة الايام التالية فذكر امر ملاشاة الصور وتمييز الاطعمة وترتيب عشية الرب وترجيع الكاس وابطال الاعتراف مبينًا ان هذه القضايا هي اقل اهتمامًا جدًّا من القداس وان مسببي التشاويش في وتمبرج قد اساءوا جدًّا باستعمال حريتهم وكان يستعمل على التناوب كلمات المحبة المسيحية وتقريعات الغضب المقدس

ووبخ على نوع اخص اولئك الذين اشتركوا من دون فكر بعشية الرب فقال انهُ ليس المضغ الخارجي هو الذي يصير الانسان مسيحيًا ولكن الاكل الداخلي الروحي الذي يعمل بالايمان وبدونهِ جميع الطقوس انما هي دعاوي ومناظر خارجية محضة وهذا الايمان يقوم باعتقاد ثابت بان يسوع المسيح هو ابن الله وانهُ بعد ان اخذ على نفسهِ خطايانا وآثامنا وحملها على الصليب هو نفسهُ كفارتها الوحيدة القادرة على كل شيء وانهُ واقف على الدوام امام الله وانهُ

يصالحنا مع الآب وانهُ قد اعطانا سرّ جسدهِ لكي يقوى ايماننا في هذه الرحمة التي لا توصف فان آمنتُ بهذه الاشياء يكون الله محاميًا عني وبهِ اغلب الخطية والموت وجهنم والشياطين ولا يقدرون ان يؤذوني بشيء ولا ان يزعجوا شعرةً واحدةً من راسي وهذا الخبز الروحي هو سلوى للمحزونين وشفاء للمرضى وحياة للاموات وطعام للجياع وغنى للفقراء والذي لا يئنُّ تحت ثقل خطاياهُ فلا يجب ان يدنو من ذلك المذبح . فماذا يستطيع ان يعمل هناك آه دعوا ضمائرنا تونبنا ولتنشقّ قلوبنا شطرين عند الافتكار بخطايانا وحينئذٍ لا نعود الى الدنو بثقة فارغة من هذا السر المقدس

ولم يكن الجمهور ينفك عن ان يملأ الهيكل فان الناس كانوا ياتون افواجًا من القرى المجاورة لكي يسمعوا ايليا الجديد ومن الجملة كابيتو صرف يومين في وتمبرج وسمع خطابين من العالم ولم يكن قط لوثيروس وواعظ الكردينال البرث قد اتفقا بمقدار اتفاقهما في تلك المرة وكان ملانكثون والولاة والمعلمون وجميع الاهالي فرحين جدًا واذ ابتهج شيورف من نتائج امر مظلم بهذا المقدار بادر الى اعلام الملك المنتخب بذلك فكتب يوم الجمعة في ١٥ اذار الذي فيهِ وعظ لوثيروس عظتهُ السادسة يقول في مكتوبهِ هذا ما اعظم الفرح الذي احدثهُ رجوع مرتينوس لوثيروس بيننا فان كلامهُ بنعمة الله يرجع كل يوم شعبنا المسكين التائه الى طريق الحق وهو واضح كالشمس ان روح الله فيهِ وانهُ بواسطة عنايتهِ تعالى الخصوصية قد رجع الى وتمبرج

وبالحقيقة هذه الخطب هي امثلة فصاحة جمهورية لا صور تلك الفصاحة التي في ايام ديموستانيس او في ايام سافونار ولا ايضًا اضرمت قلوب الناس فان عمل الخطيب الوتمبرجي كان اصعب . لان تهييج شراسة وحش بري اسهل من تسكينها . وكان على لوثيروس ان يلطف اخلاق جماعة موسوسة وان يسكن اهواءها غير المحجومة ونجح في ذلك وهو في عظاتهِ الثماني لم يدع كلمة مساءة ضد مسببي تلك القلاقل تفلت منهُ حتى ولا اشارة غير مقبولة نحوهم ولكن بمقدار ما

كان اعتدالهُ اعظم كانت قوتهُ اعظم وبمقدار ما كان حذرهُ اكثر نحو هولاء القوم المغشوشين كانت محاماتهُ عن الحق المهان اقوى وكيف يقدر اهالي وتمبرج ان يقاوموا فصاحتهُ القوية فان الناس في الغالب ينسبون الى الجبانة والخوف والموافقة تلك الخطب التي تدل على الاعتدال وهنا لم يكن شيء من هذا النوع فان لوثيروس ظهر امام اهالي وتمبرج غير مبالٍ بحرم البابا وحكم الامبراطور وكان قد رجع ضد امر الملك المنتخب الذي كان قد اخبرهُ بانهُ غير قادر على حمايتهِ ولم يكن لوثيروس قد ابدى هذا المقدار من الشجاعة حتى ولا في وُرمس فانهُ قابل اعظم الاخطار ومن ثم لم تكن كلماتهُ من دون اعتبار بل الرجل الذي هجم على القتل لهُ حق ان ينذر بالخضوع والرجل الذي يزدري بجميع اضطهادات الناس اطاعة لله يقدر ان يتكلم بجسارة عن طاعتهِ تعالى وامام صوت لوثيروس اضمحلت جميع الاعتراضات وهدأ الشغب وانقطعت اصوات الفتن فلم تكن تُسمَع بعد ورجع سكان وتمبرج بهدوٍ الى مساكنهم

ان جبرائيل ديديموس الذي اظهر غيرة اكثر من جميع القسوس الاوغسطينيين لم يضيع واحدة من كلمات المصلح وقد سالهُ بانذهالٍ عظيم احد سامعي لوثيروس قائلاً اما تفتكر ان لوثيروس معلم عجيب فاجابهُ آه انهُ يبين لي كاني اسمع لا صوت انسان بل صوت ملاك وبعد قليل اقر ديديموس علنًا بانهُ انغش بما فعلهُ وقال لوثيروس انهُ قد صار انسانًا آخر بالتمام

ولم يكن الحال هكذا في البداءة مع كرلستادت فانهُ اذ احتقر العلوم وتظاهر بانهُ يتردد على دكاكين ارباب المهن في وتمبرج لكي يفهم الكتب المقدسة ذلَّ عند ما راى عملهُ يضمحل عند ظهور لوثيروس وكان ذلك في عينيهِ توقيفًا للاصلاح نفسهِ ومن ثم كان صوتهُ منخفضًا دليل الغم وعدم الرضى الّا انهُ بذل محبة نفسهِ اكرامًا للسلام فضبط رغبتهُ في الانتقام وتصالح اقل ما يكون في الظاهر مع رفيقهِ وبعد ذلك بقليل رجع الى خطبهِ في المدرسة

والانبياءُ الكبار لم يكونوا في وتمبرج لما رجع لوثيروس الى هناك فان نيقولاوس

ستورخ كان يطوف في البلاد ومرفس ستوبنر كان قد ترك بيت مضيفهِ ملانكثون وربما كان روحهم النبوي قد توارى فلم يكن لهم صوت ولا مجيب (٢ مل ١٨ : ٢٩) حالما بلغهم ان ايليا الجديد قد وجَّه خطواتهِ نحو هذا الكرمل الجديد ولم يبقَ الاَّ معلم الاولاد الشيخ سلاريوس وحدهُ الآن ستوبنر حالما بلغهُ ان غنم حظيرتهِ قد تبددت رجع بسرعة والذين كانوا لم يزالوا امناء للنبوة السموية اجتمعوا حول معلمهم وقصوا عليهِ خطب لوثيروس وسالوهُ برغبة ماذا يجب ان يفتكروا ويعملوا فوعظهم ستوبنر ان يبقوا ثابتين في ايمانهم وصرخ سلاريوس فليظهر وليعطِنا وقتًا للمناظرة وليسمح لنا بان نظهر تعليمنا وحينئذٍ نرى

وكان لوثيروس قلما يكترث بمقابلة اناس كهولاء لانهُ علم انهم اصحاب فظاظة ولجاجة متكبرين لا يقدرون ان يحتملوا نصيحة اخوية ويريدون ان كل واحد يسلّم من اول كلمة كما لسلطان سامٍ وهذه صفة الموسوسين في كل عصر . ولكن بما انهم قد طلبوا الجدال لم يكن للوثيروس سبيل الى ابائهِ وعدا ذلك ربما يفيد للضعفاء من القطيع اذا كشف تزوير الانبياء فوقع الجدال وفتح ستوبنر البحث موضحًا باي طريقة يرغب في ان يجدد الكنيسة ويصلح العالم فاصغى لوثيروس اليهِ بسكينة عظيمة ثم اجاب اخيرًا برزانة قائلاً ليس شيء مما قدمتهُ موسسًا على الكتب المقدسة بل انما هو باسرهِ خزعبلة محضة . وعند ما سمع سلاريوس هذه الكلمات لم يعد يقدر ان يتمالك نفسهُ فرفع صوتهُ وتصرف كمجنون ولبط وضرب المائدة بلكمتهِ وصرخ بغضب انهُ اهانة ان تخاطب هكذا رجل الله . وعند ذلك قال لوثيروس ان بولس الرسول يقول انهُ اثبت رسالتهُ بواسطة العجائب فاثبتوا انتم ما لكم بهذه الطريقة . فاجاب الانبياء اننا سنفعل كذلك فقال لوثيروس ان الاله الذي اعبدهُ يعرف كيف يلجم آلهتكم اما ستوبنر الذي لاحظ هدو المصلح فتفرس فيهِ حينئذٍ وقال لهُ بصوت يتقلد الوحي يا مرتينوس لوثيروس اني اخبرك بما هو جائل الآن في نفسك انك قد ابتدات تؤمن بان تعليمي هو صحيح فصرخ لوثيروس بعد ان وقف قليلاً قائلاً ليخزك الله يا شيطان وعند هذه

الكلمات كان الانبياء باسرهم كانهم مجانين فصرخوا الروح الروح . فقال لوثيروس بتلك البرادة والاهانة التي له اني الطم روحك على خطمهِ. فازدادت حينئذٍ ضجتهم وامتاز سلاربوس خاصةً بشراستهِ فكان يزبد ويرعد حنقا . ولم يكونوا يقدرون ان يسمعوا بعضهم بعضًا في المكان الذي كانوا يتجادلون فيهِ واخيرًا ترك الانبياء الثلاثة ميدان القتال وانصرفوا من وتمبرج في ذلك الوقت بعينهِ . وهكذا اكمل لوثيروس العمل الذي لاجلهِ ترك خلوتهُ فانهُ قام لمضادة الوسوسة ونفى من حضن الكنيسة المبتدَعة الاوهام والتشاويش التي كانت مسطوًا عليها والاصلاح طرح باليد الواحدة قوانين رومية التي علاها الغبار ورفض باليد الاخرى اوهام ذوي البدع وبنى على الاساس الذي ربحهُ كلمة الله الحية التي لا تتغير وبذلك ركز الاصلاح هكذا بثبات وطيد وكان مقضيًا عليهِ ان يسير الى الابد بين هذين الحدين البعيدين بعدًا متساويًا عن هيجان اصحاب الوساوس وبلادة البابابوية الشبيهة بالموت . فرجع الى الطمانينة والخضوع شعب كان بجملتهِ هائجًا مغشوشًا غير مفيد واكمل هدوء عاد فملك ايضًا في تلك المدينة التي كانت منذ ايام قليلة كالبحر الهائج

فاستولت حالاً الحرية الكاملة في وتمبرج وكان لوثيروس لم يزل يقيم في الدير لابسًا ثوبهُ الرهباني ولكن كل واحد كانت لهُ حرية ان يعمل خلاف ذلك اذا اراد ولاجل الشركة بعشية الرب كفت حلةٌ عمومية بلا اعتراف خاص وكان يمكن نوال حلةٍ خصوصية اذا اراد احد ذلك وكان المبدأ ان لا يُرفَض شيءٌ الاَّ ما هو مضاد لكلام الكتب المقدسة الصريح الواضح وهذا ليس من عدم اكتراث بل بعكس ذلك قد رجعت الديانة بهذه الواسطة الى ما يقوم بهِ نفس جوهرها وانجذبت عن الطرائق المقترنة التي اوشكت ان تتلاشى فيها منتقلة الى اساسها الحقيقي وهكذا خلص الاصلاح وصارت تعاليمهُ قادرة على مداومة اظهارهِ في حضن الكنيسة بالمحبة والحق

الفصل التاسع

ترجمة العهد الجديد . الايمان والكتب المقدسة

وكان الشغب بالكد قد هدأَ عند ما التفت لوثيروس الى صديقهِ ملانكثون وطلب مساعدتهُ في مراجعة ترجمة العهد الجديد المراجعة الاخيرة وكان قد اتى بها معهُ من الوارتبرج وكان ملانكثون قد وضع في سنة ١٥١٩ هذا المبدا العظيم اي ان اقوال الآباء يجب ان تُفسَّر حسب الكتب المقدسة لا الكتب المقدسة حسب اقوال الآباء . وفي تاملهِ بزيادة تعمق كل يوم في اسفار العهد الجديد تأثَّر قلبهُ ببساطتها وعمقها فقال هذا الرجل الكثير الاطلاع على جميع فلسفة الاقدمين اننا في الكتاب المقدس نجد طعام النفس الحقيقي فاجاب بالحال دعوة لوثيروس ومن ذلك الوقت صرف هذان الصديقان معًا اوقاتًا طويلة يدرسان ويترجمان الكلمة المنزلة وكثيرًا ما وقفا في ابحاثهم المتعبة لكي يطلقا العنان لتعجبهما فقال لوثيروس ذات يوم ان العقل يفتكر قائلاً في نفسهِ آه لو استطعتُ ان اسمع مرةً الله يتكلم لكنت اركض من اقصي العالم الى اقصاهُ لكي اسمعهُ . فاصغَ اذًا ايها الانسان اخي فان الله خالق السماوات والارض يتكلم معك . وطُبِعَت اسفار العهد الجديد بغيرة لا نظير لها حتى يسوغ ان يقال ان الطبَّاعين انفسهم شعروا بلزوم العمل الذي كانوا آخذين فيهِ واشتغلت ثلاث مطابع في ذلك العمل وطُبِعَت عشرة آلاف طلحية كل يوم وفي ٢١ ايلول سنة ١٥٢٢ ظهرت طبعة كاملة ثلاثة آلاف كتاب في مجلدين من قطع كامل بهذا العنوان البسيط العهد الجديد جرماني وتمبرج . ولم يكن عليهِ اسم انسان فكان كل جرماني من هناك فصاعدًا يقدران يبتاع كلام الله بثمن عادل

وهذه الترجمة الجديدة المكتوبة بنفس اسلوب الكتب المقدسة بلغت في عنوان

صبائها واول ظهور جمالها العظيم اعجبت وسحرت وحركت ادنى الرتب كاعلاها فكان كتاباً جمهورياً كتاب الشعب لا بل كتاب الله بالحقيقة حتى ان الاخصام لم يقدروا ان ينكروا مديحهم على هذا الكتاب العجيب وبعض اصدقاء المصلح المغفلين اذ تاثروا من حسن الترجمة ظنوا انهم راوا فيها وحياً ثانياً وهذه الترجمة ساعدت في انتشار التقوى المسيحية اكثر من جميع مؤلفات لوثيروس فان عمل القرن السادس عشر وُضع على اساس متين بحيث لم يقدر شيء ان يزعزعهُ والكتاب المقدس المعطى للشعب استرجع عقل الانسان الذي كان تائهاً مدة قرون في تيه الفلسفة المؤدي الى ينبوع الخلاص الالهي ومن ثمَّ صار نجاح هذا العمل عجيباً وفي زمان قصير بيعت كل النسخ التي طُبِعَت منهُ فظهر طبعٌ ثانٍ في شهر كانون الثاني وفي سنة ١٥٢٢ بلغت الطبوع سبعة عشر طبعاً في وتمبرج وثلاثة عشر طبعاً في اوجسبرج واثني عشر في ليبسك وثلاثة عشر في ستراسبرج فهكذا كانت القوى التي رفعت وجددت الكنيسة والعالم

وبينما كان الطبع الاول من العهد الجديد يُطبَع اخذ لوثيروس في ترجمة العهد القديم وهذا العمل الذي شُرِع بهِ سنة ١٥٢٢ تقدم من دون انقطاع وكلما انتهى جزءٌ من تلك الترجمة اشهرهُ لكي يرضي لحاجة الجمهور ويمكّن المساكين من شراء الكتاب باكثر سرعة

ومن الكتاب المقدس والايمان المصدرين اللذين هما بالحقيقة شيءٌ واحد نبعت حياة الانجيل ولا تزال الى الآن تنتشر في العالم وهذان المبدآن قاتلا غلطتين اساسيتين فالايمان كان مضاداً لميل الباباوية نحو بيلاجيوس والكتاب المقدس كان مضاداً لتعليم التقليد وسلطة رومية فالكتاب المقدس قاد الانسان الى الايمان والايمان ارجعهُ الى الكتاب المقدس والتعليم الذي نودي بهِ بين المسيحيين هو ان الانسان لا يقدر ان يعمل عملاً ذا استحقاق وان نعمة الله المجانية التي ينالها بواسطة الايمان بالمسيح هي وحدها تخلصهُ . وهذا التعليم لم يقصر عن الجاء المسيحيين الى درس الكتاب المقدس وبالحقيقة اذا كان الايمان بالمسيح

هو كل شيء في الديانة المسيحية وكانت ممارسات الكنيسة وسننها ليست بشيء في الديانة فلا يجب ان نتمسك بتعليم الكنيسة بل بتعليم المسيح والرباط الذي يقرن بالمسيح يصير هو كل شيء للمؤمن فاذا يعنيهِ امر الحلقة الخارجية التي تقرنهُ بكنيسة خارجية مستعبدة لاراء الناس وهكذا كما كان تعليم الكتاب المقدس قاد معاصري لوثيروس نحو المسيح يسوع كذلك على سبيل التناوب قادتهم المحبة التي شعروا بها نحو المسيح يسوع الى الكتاب المقدس ولم يكن رجوعهم الى الكتب المقدسة صادرًا كما يتوهم في ايامنا هذه عن مبدإٍ فلسفي ولا عن شك ولا عن ضرورة البحث بل انما كان ذلك لانهم وجدوا فيها كلمة ذاك الذي احبوهُ فقالوا للمصلح انك قد بشرتنا بالمسيح فدعنا الآن نسمعهُ نفسهُ فقبضوا على الصحف التي نُشِرَت امامهم كمكتوب آتٍ من السماء

مع ان الكتاب المقدس قبلهُ هكذا بفرح اولئك الذين احبوا المسيح رفضهُ بهزء اولئك الذين فضلوا عليهِ تقليدات الناس وسننهم وثار اضطهاد شديد على عمل المصلح هذا فعند ما بلغ رومية ما اذاعهُ لوثيروس ارتعدت والقلم الذي نسخ الكلمة المقدسة كان حقًا ذلك القلم الذي رآهُ فردريك في حلمهِ وصل الى الجبال السبعة وزعزع تاج البابوية فكان الراهب في مخدعهِ والملك على كرسيهِ يصرخان صراخ غيظ واقشعر الخوارنة الجاهلون من الفكر بان كل انسان بل كل فلاح يقدر ان يجادلهم في اوامر الرب فاخبر ملك انكلترا الملك المنتخب فردريك وجرجس دوك سكسونيا بهذا العمل ولكن الدوك كان قد امر رعاياهُ في شهر تشرين الثاني ان يسلموا كل نسخة من العهد الجديد الذي ترجمهُ لوثيروس الى ايدي الولاة واشهرت باقاريا وبرندنبرج واوستريا وجميع الاقاليم المتعبدة لرومية اوامر كهذه وفي بعض الاماكن احرقوا تلك الكتب المقدسة بنفاق امام الجمهور في الاماكن المشتهرة وهكذا جددت رومية في القرن السادس عشر الاجتهادات التي بواسطتها حاول الوثنيون ان يلاشوا ديانة يسوع المسيح عند ما راوا السلطة تهرب من الخوارنة واصنامهم . ولكن من يقدر ان يوقف تقدم

الانجيل المظفر . فكتب الدوك جرجس يقول حتى انهُ بعد نهي قد بيعت آلاف كثيرة من النسخ وقرئت في بلادي . واستعمل الله لاجل انتشار كلمتهِ نفس تلك الايادي التي كانت تجتهد في اباداتها واللاهوتيون الرومانيون اذ رأوا انهم غير قادرين على منع ترجمة لوثيروس نشروا ترجمة للعهد الجديد وهي ترجمة لوثيروس مغيرة في بعض المحال بواسطة ناشريها ولم يكن ثمَّ مانع من قراءتها واما رومية فلم تكن تعلم بعد انهُ حينما امتد كلام الله فهناك تتزعزع قوتها واذن يواكيم من برندنبرج لكل رعاياهُ ان يقراوا اية ترجمة كانت من الكتاب المقدس باللاتيني او بالجرماني بشرط ان لا تكون قد خرجت من وتمبرج فتقدم شعب جرمانيا وعلى الخصوص شعب برندنبرج تقدماً عظيماً في معرفة الحق

واشهار العهد الجديد باللغة الدارجة هو امرٌ مهم في تاريخ الاصلاح . كان زواج فلدكرخن الخطوة الاولى في تقدم الاصلاح من التعليم الى العيشة ونفي النذور الرهبانية الخطوة الثانية وارجاع عشية الرب الثالثة فلعل اشهار العهد الجديد كان اهم منها جميعاً فانهُ احدث تغييراً كلياً في الجمهور ليس في مساكن الخوارنة وصوامع الرهبان ومقدس الرب فقط بل ايضاً في قصور العظماء وفي بيوت الاكابر ومآوي الفلاحين ولما ابتدا الكتاب المقدس يُقرَأ في بيوت العالم المسيحي تغير العالم المسيحي نفسهُ فقامت حينئذٍ خصال اخرى واخلاق اخرى وحياة اخرى ومع اذاعة العهد الجديد ترك الاصلاح المدرسة والكنيسة لكي يستولي على منازل الشعب . والتاثير الذي حصل من ذلك كان ما لا يُحَدّ فان ديانة الكنيسة الاولى التي انتشلت من الاعماق التي طُرِحَت فيها مدة قرون بواسطة اذاعة الكتب المقدسة ظهرت بهذه الطريقة لعيون الشعب وهذا النظر كان كافياً لاظهار عدالة المقاومات التي حدثت ضد رومية فان ابسط الرجال الذين كانوا لا يعرفون القراءة والنساء وارباب المهن كانوا يقرأُون العهد الجديد برغبة وكانوا يحملونهُ معهم من مكان الى مكان وتعلموهُ سريعاً عن غيب كما شهد معاصر للاصلاح وعدوٌّ مرٌّ لهُ فكانت صحائف هذا الكتاب تنادي بصوت

عالٍ بالاتحاد الكامل الكائن بين اصلاح لوثيروس والوحي الالهي
الّا ان تعليم الاصلاح والكتاب المقدس انما كان قد ظهر الى ذلك الوقت قطعًا قطعًا فقط فأُذيع حقٌّ في جزءٍ وتقاوم غلطٌ في آخر وكانت خرابات البناء القديم ومواد الجديد مبددة مختلطة في سهل متسع غير ان البناء الجديد لم يكن موجودًا ولا ريب ان اذاعة العهد الجديد سدت هذه الحاجة اي اوجدتهُ وكان للاصلاح ان يقول عند اعطائهِ هذا الكتاب هذه هي طريقتي ولكن بما ان لكل انسان حرية في ان يدَّعي ان طريقتهُ هي طريقة الكتاب المقدس اقتضى الامر ان الاصلاح يرتب ما قد وجدهُ في الكتاب المقدس وهذا فعلهُ ملانكثون حينئذٍ باسم الاصلاح . وكان قد سلك بخطوات منتظمة راهنة في اظهار لاهوتهِ واذاع من وقت الى وقت نتائج تفتيشاتهِ وقبل ذلك اي سنة ١٥٢٠ قال انهُ في عدة من الاسرار السبعة لم يقدر ان يرى شيئًا سوى تقليد الطقوس اليهودية وانهُ في عصمة البابا لم يجد شيئًا سوى دعوة متكبرة مضادة للكتب المقدسة والعقل السليم معًا وقال اننا لكي نقاتل هذه التعاليم نحتاج الى اكثر من هرقل واحد وهكذا وصل ملانكثون الى نفس المكان الذي وصل اليهِ لوثيروس على ان ذلك كان منهُ بطريق اهدا واكثر مطابقة للعلوم وحان الوقت لكي يقرَّ هو ايضًا بايمانهِ جهارًا

وسنة ١٥٢١ في مدة اسر لوثيروس أُشهِر تاليف ملانكثون المشهور المعنون في امور اللاهوت العمومية وذلك قدم لاوروبا نظام تعاليم ذي اساس متين ونسب عجيبة فظهرت وحدة بسيطة جليلة امام عيون القرن الجديد مدهشة لها فترجمة العهد الجديد زكَّت الاصلاح امام الشعب وتاليف ملانكثون المذكور زكاهُ في راي العلماء . وكان قد مضى على الكنيسة خمسة عشر قرنًا ولم تكن قط قد رات مثل ذلك العمل . فترك صديق لوثيروس اوهام اللاهوت والفلسفة الاعتيادية ومنح اخيرًا العالم نظام لاهوتي مستخرج من الكتب المقدسة فقط وخرجت منهُ نسمة حياة وقوام فهم وقوة اقناع وبساطة تعبير بعكس طرق

المدارس الخبيثة الازدهائية فاحذق العقول فلسفةً واحق اللاهوتيين تدقيقًا امتلأوا عجبًا ولقب ابراسموس هذا التاليف بجيش عجيب قد قام لمقاومة كتائب الجائرين من العلماء الكاذبين واذ صرّح بمخالفتهِ المؤلف في بعض القضايا قال انهُ كان دائمًا يحبهُ ولكن بعد ما قرأ ذلك الكتاب احبهُ اكثر واذ قدم كلوبنوس بعد ذلك مؤلفات ملانكثون لفرانسا قال انهُ لامر صادق بالتمام ان البساطة العظمى في الكلام عن التعليم المسيحي هي الفضيلة العظمى

ولكنهُ لم يشعر احد بفرح كفرح اوثيروس وكان ذلك المؤلف موضوع اكرامهِ مدة حياتهِ فالاصوات المنفصلة التي كانت بدهُ قد اخرجتها في حركة نفسهِ العميقة من قيثارة الانبياء والرسل مزجها ملانكثون في اتفاق عجيب وتلك الحجارة المتفرقة التي كان قد قطعها باجتهادهِ من مقالع الكتب المقدسة ركبها ملانكثون في بناء جليل ومن ثمَّ لم يكف قط عن توصية الشبان الذين اتوا الى وتمبرج في طلب العلوم بان يدرسوا ذلك المؤلف وقال اذا شئتم ان تصيروا لاهوتيين فاقراوا مؤلف ملانكثون

وكان مقتضى ما ذهب اليهِ ملانكثون ان الشعور العميق بالحالة الشقية التي انحط اليها الانسان بواسطة الخطية هو الاساس الذي عليهِ يُبنَى اللاهوت المسيحي وهذا الشر العام هو الامر الاول والفكر الاعظم الذي يُبنَى عليهِ هذا العلم وهو الصفة التي تميز اللاهوت من تلك العلوم التي آلتها الوحيدة هي العقل . وذلك اللاهوتي المسيحي غاص في قلب الانسان فاوضح نواميسهُ وجاذبيتهُ السرّية كما ان فيلسوفًا آخر في الاعوام التالية اوضح نواميس الاجسام وجاذبيتها. قال ان الخطية الاصلية هي ميل مولود معنا وهو حركة توافقنا وقوة تسوقنا الى الخطية قد اوصلها آدم الى كل نسلهِ وكما ان في النار قوة طبيعية تلزمها الى الصعود وفي حجر المغناطيس قوة طبيعية لجذب الحديد كذلك في الانسان قوة غريزية تميل بهِ نحو الشر . انا اسلم انهُ كان في سقراط وكسينقراط وزينون قناعة وثبات وعفة ولكن ظلال الفضائل هذه انما وُجِدَت في قلوب دنسة وصدرت عن محبة

الذات ولهذا السبب لا يجوز ان نعتبرها فضائل حقيقية بل رذائل . وهذه العبارات ربما ظهر انها خشنة ولكنها ليست كذلك اذا ادركنا معنى ملانكثون على حقهِ ولم يكن احد اقرب منهُ الى الاقرار بوجود الفضائل في الوثنيين التي اهلتهم للاعتبار عند الناس ولكنهُ وضع هذا المبدا العظيم وهو ان الشريعة المطلقة التي وضعها الله على جميع خلائقهِ هي ان يحبوهُ فوق جميع الاشياء فاذا كان الانسان عند ما يعمل ما يامرهُ الله بهِ لا يعملهُ حبًّا بالله بل حبًّا بذاتهِ أفيقدر الله ان يقبلهُ لاجل مجاسرتهِ على وضع نفسهِ في مكان جلالهِ تعالى غير المحدود وأليست خطية عظيمة في عمل هو معصية صريحة على الله المتعال

ثم تقدم اللاهوتي الوتمبرجي الى ان بيَّن كيف يخلص الانسان من هذه الشقاوة فقال ان الرسول يدعوك لكي تتامل بابن الله جالسًا عن يمين الله يتوسط ويتشفع فينا ويطلب منك ان توقن بان خطاياك قد غُفِرَت لك وبانك قد حُسِبت بارًّا وقُبِلت عند الآب لاجل ذلك الابن الذي تالم لاجلنا على الصليب

ان طبع ذلك الكتاب الاول يُعتبَر بنوع خصوصي لاجل الطريقة التي بها تكلم ذلك اللاهوتي الجرماني عن حرية الارادة فانهُ راى (ولربما كان ذلك باكثر وضوح مما راهُ لوثيروس لانهُ كان امثل منهُ لاهوتًا) ان هذا التعليم لا يمكن فصلهُ من ذلك التعليم الذي يقوم بهِ نفس جوهر الاصلاح فان تبرير الانسان قدام الله ينتج من الايمان وحدهُ وهذا هو الامر الاول وهذا الايمان يدخل قلب الانسان بنعمة الله وحدهُ وهذا هو الامر الثاني وقد راى ملانكثون واضحًا انهُ اذا سلم ان للانسان قدرة ذاتية على الايمان فانهُ يطرح بالامر الثاني تعليم النعمة العظيم ذلك الذي قد قررهُ في الامر الاول وكان لهُ من التمييز والفهم في الكتب المقدسة ما وقاهُ من الخطاء في قضية مهمة مثل هذه الآ انهُ تجاوز الحد كثيرًا لانهُ بدلاً من ان ينحصر داخل حدود المسئلة الدينية دخل في المعقولات واثبت تعليمًا آل الى ان الله فاعل الشر تعليمًا لا اساس لهُ في الكتاب المقدس فانهُ قال ان كل ما يحدث

انما يحدث بالضرورة حسب سابق قضاء الله فلا يوجد شيء من الحرية في ارادتنا ولكن كان مقصد ملانكثون ان يجعل اللاهوت نظير طريقة التقوى فان اللاهوتيين كانوا قد جففوا هذا التعليم بهذا المقدار حتى انهم لم يتركوا فيهِ اثارًا للحياة فعمل الاصلاح انما هو احياء هذا التعليم الميت وشعر ملانكثون في الطبوع التالية بضرورية ايضاح هذه التعاليم باجلى بيان ولكن الحال لم يكن هكذا بالتدقيق في سنة ١٥٢٢ فانهُ قال ان معرفة المسيح هي معرفة بركاتهِ فان بولس في رسالتهِ الى الرومانيين اذ اراد ان يعطي خلاصة التعاليم المسيحية لا يتفلسف في سرّ اللاهوت ولا في طريقة التجسد ولا في الخلق الفاعلي والانفعالي بل انما تكلم عن الشريعة عن الخطية عن النعمة فعلى ذلك تتوقف معرفتنا بالمسيح

واذاعة ذلك النظام في علم اللاهوت كانت ذات قيمة لا تحد لدعوى الحق فانها نقضت المثالب وازالت التعصبات وقد حاز ذكاء ملانكثون بالقبول في الكنائس والقصور والمدارس واعتبروا محاسن صفات صاحبهِ حتى ان الذين لم يعرفوا المؤلف جُذِبوا الى قانون ايمانهِ بواسطة كتابهِ فان خشونة وشراسة كلام لوثيروس احيانًا كانت قد ارجعت كثيرين مرارًا كثيرة ولكنّ هنا رجلاً قد اوضح تلك الحقوق المقتدرة التي كان بروزها الفجائي قد حرّك العالم بعبارات لطيفة جدًا وذوق سليم وصراحة معجبة وترتيب كامل وطُلِب هذا الكتاب وقرئ برغبة ودُرِس بنشاط وربحت تلك اللطافة والاعتدال كل القلوب واستحقت تلك الكرامة والقوة كل اعتبار واعيان الجمهور الذين كانوا لم يزالوا مترددين ربحوا بواسطة حكمة استعملت مثل تلك العبارات الجميلة. ومن الجهة الاخرى اعداء الحق الذين لم تكن ضربات لوثيروس الهائلة قد ذللتهم بقوا الى زمان ساكتين ومرتبكين عند ظهور كتاب ملانكثون فانهم راوا بهِ انسانًا آخر استحق بغضتهم كما استحقها لوثيروس نفسهُ فصرخوا واسفاه تعسًا لكِ يا جرمانيا الى اي حد تصلين بهذا الميلاد الجديد. وبين سنة ١٥٢١ وسنة ١٥٩٥ طُبِع كتاب ملانكثون سبعًا وستين مرة ماعدا الترجمات وهذا هو الكتاب

الذي يظن فيهِ بعد الكتاب المقدس انهُ ساعد كثيرًا جدًّا في تمكين التعليم الانجيلي بين الشعب

الفصل العاشر

هنري الثامن والكردينال وُلسي . احراق كتب لوثيروس . كتاب هنري . جواب لوثيروس

بينما كان اللاهوتي ملانكثون بواسطة تلك الالفاظ اللطيفة يعضد لوثيروس معضدة قوية تحوَّل اصحاب السلطان ممن كانوا اعداء للمصلح عليهِ بشراسة قوية فانهُ كان قد فلت من الوارتبرج وظهر في ميدان العالم وعند هذا الخبر تجدد غضب اعدائهِ الاولين . وكان قد مضى على لوثيروس في وتمبرج ثلاثة اشهر ونصف عند ما شاع الخبر بواسطة الف لسان من اصحاب الاخبار بان واحدًا من اعظم ملوك المسيحيين قد قام ضدهُ فان هنري الثامن رئيس بيت تودُر الذي هو من سلالة عيلتي يورك ولنكستر وفي شخصهِ بعد سفك دماء كثيرة بهذا المقدار قد اتحدت اخيرًا الوردة الحمراء والوردة البيضاء ملك انكلترا المقتدر الذي حاول ان يثبت في اوروبا ولا سيما في فرانسا سلطانهُ القديم كتب كتابًا ضد راهب وتمبرج المسكين وكتب لوثيروس الى لانجي في ٢٦ حزيران سنة ١٥٢٢ قائلاً انهم يفتخرون افتخارًا عظيمًا بكُتَيّب كتبهُ ملك انكلترا

وكان هنري حينئذٍ ابن احدى وثلاثين سنة طويل القامة متين البنية معتدل القد وعليهِ هيئة السلطان والملك وجههُ دال على نباهة عقلهِ واذ كان حارًّا يحاول ان يخضع كل شيء لصولة اهوائهِ ومتعطشًا الى المجد كان في اول الامر يخفي زلاتهِ تحت ضرب من الحمية المختصة بالشبان والملقون شجعوهُ على ذلك فكان مرارًا كثيرة يزور برفقة ارباب ديوانهِ بيت خوريهِ وُلسي ابن جزار

من مدينة ابسويج وكان ذلك الرجل ذا حذاقة عظيمة وطمع مفرط وقحةٍ لا تحدُّ وكان تحت حماية اسقف ونشستر وزير المملكة وتقدم سريعًا عند مولاهُ واجتذبهُ الى محلهِ بجواذب اللذات والخلاعات التي لم يكن الملك الفتى يتجاسر على التمتع بها في قصرهِ وقد ذكر ذلك بوليدور ڤيرجيل الذي كان يومئذٍ محصّلاً باباويًا في انكلترا وكان الخوري يفوق في تلك الاجتماعات الخلاعية حشم الملك الشبان الذين كانوا مع هنري الثامن واذ نسي التصرف اللائق بخادم الكنيسة كان يغني ويرقص ويضحك ويشعوذ ويشاجر ويتكلم كلامًا غير لائق وبهذه الوسيلة حصل على المنزلة الاولى في مجالس الملك وصار نظير وزير مفرد فالتزم جميع امراء العالم المسيحي الى شراء رضاهُ بالعطايا

فعاش هنري في وسط المراسح والولائم والمبارزات وبذر بجنون الخزائن التي كان ابوهُ قد جمعها مع تمادي الزمان فكانت المحاضرات البهيجة يلحق بعضها بعضًا من دون انقطاع وراس تلك الملاعب الملك الذي فاق جميع الحاضرين جمالاً واذا كانت غلبة الحضار مشكوكًا فيها لهُ كانت قوة الملك وحذاقتهُ او تدبير اخصامهِ وحيلهم تعطيهِ الغلبة فيصرخ الحاضرون بالفرح والثناء عليهِ فانتفخ ازدهاءً هذا الملك الفتى بواسطة تلك الغلبات الهينة ولم يكن نجاح في العالم الاَّ وطمع بهِ وكانت الملكة احيانًا كثيرة تحضر بين المتفرجين اما هيئتها الرزينة ومنظرها الحزين دلت على كراهتها رونق تلك الملاهي فان هنري الثامن كان بعد ارتقائهِ الى التخت الملكي بقليل قد خطب لاجل اسباب سياسية كاثرينا من اراغون وهي اكبر منهُ بثماني سنين وهي ارملة اخيهِ ارثور وخالة كرلوس الخامس وبينما كان زوج كاثرينا يتبع شهواتهِ كانت تلك المراة الفاضلة التي نقواها اسبانيولية بالحقيقة تترك فراشها في نصف الليل لكي تشترك على السكوت في صلوات الرهبان فكانت تركع من دون وسادة ولا بساط وبعد نصف الليل بخمس ساعات بعد ان تستريح قليلاً كانت تنهض ايضًا وتلبس الثوب الفرنسيسي (لانها كانت قد دخلت في الرتبة الثالثة لمار فرنسيس)

بعد ان تطرح بسرعة الثياب الملكية حولها ثم تنطلق الى الكنيسة بعد ساعة لكي تحضر القداس ولا ريب ان شخصين عائشين في حالتين مختلفتين بهذا المقدار لا يمكن ان يبقيا معًا زمانًا طويلاً

وكان للعبادة الرومانية اشخاص غير كاثرينا في بلاط هنري الثامن منهم يوحنا فيشر اسقف رونشستر وهو حينئذٍ ابن نحو سبعين سنة مشهور بالعلم والتقشف لهُ الاحترام العام وكان اكبر مشيري هنري السابع ودوكة رشموند جدة هنري الثامن كانت قد دعتهُ الى جانب سريرها واوصتهُ بابن ابنها الفتى العديم الاختبار واستمر الملك مدة طويلة يحترم الاسقف الشيخ كابرٍ مع الاصرار على مساويهِ . ورجل اصغر كثيرًا من فيشر عامي ومشترع كان قبل ذلك قد جذب الى نفسهِ انتباهًا عموميًا لذكاء عقلهِ وكرم اخلاقهِ اسمهُ توما مور ابن احد قضاة ديوان الملك كان فقيرًا متقشفًا مجتهدًا واذ كان لهُ من العمر عشرون سنة كان قد اجتهد على اخماد هواء الشبيبة بلبسهِ مسحًا من شعر وجلدهِ نفسهُ ولما طلبهُ هنري الثاني مرةً وهو يسمع القداس اجاب ان خدمة الله هي قبل خدمة الملك فعرَّفهُ وُلسي بهنري فاستخدمهُ هنري في سفارات مختلفة وابدى نحوهُ معروفًا زائدًا وكثيرًا ما طلبهُ وتكلم معهُ عن علم الهيئة وعن وُلسي وعن الالهيات. وبالحقيقة لم يكن الملك نفسهُ غير مطَّلع على التعاليم الرومانية والظاهر انهُ لو عاش اخوهُ ارثور لكان هنري قد صار رئيس اساقفة كنتوربري فتوما اكوينا ومار بوناونتورا والمحاضرات والولائم واليصابات بَلُنْط وغيرها من سيداتهِ كل هولاء كانوا ممزوجين معًا في عقل هذا الملك وسيرتهِ ونظم هو نفسهُ قداسات ترتَّل في معبدهِ

فحالما سمع هنري كلامًا عن لوثيروس غضب عليهِ جدًّا وبالكد عُرِف حكم مجمع وُرمس في انكلترا قبل ان امر باجراء منشور الحبر ضد مؤلفات المصلح وفي ١٢ ايار سنة ١٥٢١ توما وُلسي الذي جمع في نفسهِ وظيفة وزير وكردينال وقاصد روماني ذهب الى كنيسة ماري بولس باحتفال عظيم وهذا الرجل

الذي كانت كبرياؤهُ قد بلغت الذروة العليا ظن نفسهُ مساويًا للملوك فكان يجلس على كرسي من ذهب وينام على فراش مذهب وكان يفرش على مائدتهِ وقت الاكل غطاء من نسيج ذهب ففي ذلك الوقت ابدى جلالاً عظيمًا فاحاطهُ اهل سرايتهِ عددهم ٨٠٠ نفس من مشايخ وامراء وفوارس وابناء اشهر العيال الذين كانوا يوملمون بواسطة خدمتهِ الحصول على وظائف سامية وبهجة الذهب والحرير لم تكن تلمع على ثيابهِ فقط (وكان هو اول اكليريكي تجاسر على لبس هذه الملابس الفاخرة) بل ايضًا على سروج الخيل وعددها وفي اول الموكب مشى خوري طويل القامة حامل عصًا من فضة في اعلاها صليب ووراءهُ خوري آخر مثل الاول طولاً حاملٌ صليب رئيس اساقفة يورك والى جانبهِ شريف حامل برنيطة الكردينال وكان الامراء والاساقفة والسفراء من البابا والامبراطور برفقتهِ ووراءهم صفٌ طويل من البغال الحاملة صناديق مغطاة باغلى واسطع الاغشية وهذا الموكب العظيم كان حاملاً كتب راهب وتمبرج المسكين الى الوقود المضطرم لكي تُحرَق فلما وصلوا الى كنيسة الكرسي وضع الراهب الوقح برنيطة الكردينالية على المذبح وجلس اسقف روتشستر الورع عند قاعدة الصليب وبصوت مرتج وعظ بنشاط ضد الارتقة وبعد ذلك أُتي بكتب الاراتيكي النفاقية فأُحرِقت بورع بحضرة جمهور غفير فهكذا كان الخبر الاول الذي بلغ انكلترا عن الاصلاح

ولم يشأ هنري ان يقف عند ذلك فان هذا الملك الذي كانت يدهُ مرفوعة دائمًا على اخصامهِ او نسائهِ او احبائهِ كتب الى المنتخب البلاتيني يقول ان الشيطان هو الذي بواسطة لوثيروس قد اضرم هذا اللهيب العظيم فاذا كان لوثيروس لا يمكن ارجاعهُ فليُحرَق هو وكتبهُ معًا

ولم يكتفِ بذلك بل اقنع نفسهُ بان تقدم الارتقة ناتج من عظم جهالة الامراء الجرمانيين فافتكر انهُ قد حان الوقت لاجل اظهار علمهِ وغلبات سيفهِ لم تاذن لهُ بان يشك في الغلبات المحفوظة لقلمهِ وساقهُ امرٌ آخر اي العجب وهو الفاعل

الاقوى في العقول الصغار وخجل من عدم لقبهِ كاثوليكيًا او مسيحيًا اعظم مثل ألقاب ملوك اسبانيا وفرانسا وكان من مدة طويلة يطلب تمييزًا كهذا من بلاط رومية واية واسطة تكون اقوى للحصول عليهِ من مقاتلة الارتقة ومن ثمَّ طرح هنري الارجوان الملكي ونزل عن عرشهِ الى ساحة الجدال في الالهيات واستنجد بتوما اكوينا وبطرس لمبرد واسكندر هاليس وبوناونتورا بين اعوانهِ فأشهر للعالم كتاب المحاماة عن الاسرار السبعة ضد مرتينوس لوثيروس تاليف ملك انكلترا وفرانسا ومولى ايرلاندا هنري الثامن بهذا الاسم الذي لا يُقهر

قال ملك انكلترا في تلك الرسالة اني اهجم الى مقدم الكنيسة لكي اخلصها واقبل في صدري نبال اعدائها المسمومة فان حالة الامور الحاضرة تدعوني الى ان اعمل هكذا فكل خادم للمسيح مهما كان سنهُ وجنسهُ ورتبتهُ يجب ان يقوم ضدًّا للعدو العمومي فلنلبس درعين الدرع الالهية لكي نغلب بواسطة اسلحة الحق ذلك الذي يحارب باسلحة الضلال والدرع الارضية حتى اذا ظهر مصرًّا على خبثهِ تغصبهُ يد الجلاد الى السكوت فيكون على الاقل مفيدًا للعالم مرةً بواسطة عبرة موتهِ الهائلة

ولم يستطع هنري الثامن ان يخفي الاحتقار الذي شعر بهِ نحو خصمهِ الضعيف فقال اللاهوتي المتوّج ان هذا الرجل يبان انهُ في مخاض الولادة وبعد المخاض لا يخرج منهُ شيء الاَّ الريح فزحزحوا الغطاء الوقاحي الذي بهِ يغطي هذا الهازر الوقح هذيانهُ كما يغطي السعدان بالارجوان وماذا يبقى سوى سفسطات فارغة تعيسة (كانهُ نَفَس البابا وبين اليوم)

ثم ناضل الملك بالتوالي عن القداس والاعتراف والتثبيت والزيجة والكهنوت والمسحة الاخيرة واذ لم يكن يتجنب كلام السوء على خصمهِ سماه ذئب جهنم وافعى سامة وعضوًا للشيطان حتى ان خلوص لوثيروس نفسهِ قد وقع عليهِ الطعن قال احد المورخين ان هنري الثامن يسحق الراهب المستعطي بغضبهِ الملكي ويكتب كما لو بصولجانهِ

ومع ذلك يجب الاقرار بان هذا المؤلَّف لم يكن رديًّا اذا اعتبرنا المؤلِّف وعصرهُ فان عباراتهِ ليست كلها من دون قوة الآن مشاهير تلك الايام لم يكتفوا بتقديم ما يحق لهذا المؤلف من المدح بل تلك الرسالة اللاهوتية التي كتبها ملك انكلترا القوي قُبِلَت بمديح بليغ فصاح قوم انها انفس ما رأت الشمس من التآليف العلمية وقال آخرون يسوغ ان نقابلها بتآليف اوغسطينوس فانهُ مثل قسطنطين وكرلوس الكبير وقال آخرون انهُ فوق ذلك انهُ فوق ذلك انهُ سليمان ثانٍ

وامتدت تلك التملقات عاجلًا الى خارج حدود انكلترا فطلب هنري من يوحنا كلارك ثاني اسقف وندسر سفيرهُ في رومية ان يقدم كتابهُ للحبر الاعظم فقبل لاون العاشر السفير في ديوان حافل فوضع كلارك الكتاب الملكي امامهُ وقال ان الملك مولاي يؤكد لك انهُ بعد ان نقض لوثيروس بواسطة القلم هو مستعد لان يحارب اتباعهُ بالسيف. فتأثر لاون من هذا الوعد واجاب ان كتاب الملك لا يمكن ان يكون قد كُتِب من دون مساعدة الروح القدس وانعم على هنري بلقب المحامي عن الايمان الذي لا يزال يلقَّب بهِ ملوك انكلترا والقبول الذي حازهُ هذا الكتاب في رومية ساعد كثيرًا في تكثير قارئيهِ وفي اشهر قليلة طُبِع منهُ آلاف كثيرة من النسخ في مطابع مختلفة. قال كوكلاوس ان العالم المسيحي باسرهِ امتلأ بذلك عجبًا وفرحًا

ان تلك المدائح الجائزة الحد زادت عجب راس بيت تودور الى درجة لا تطاق وهو نفسهُ لم يشك في انهُ ملهم من الروح القدس ومن ذلك الوقت لم يكن يطيق احدًا يضادهُ وباباويتهُ لم تلبث ان تكون في رومية بعد بل في غرنويش والعصمة استقرت على كتفيهِ وذلك بعد حين ساعد كثيرًا في اصلاح انكلترا

فقرأ لوثيروس كتاب هنري بابتسام ممزوج باحتقار وضجر وغضب فان الكذب والمساوي التي تضمنها ولا سيما كلام الازدراء والترحم الذي اخذ بهِ هذا الملك اغاظ العالم الوتيبرجي الى اعلى درجة والفكر بان البابا قد كلل هذا

الكتاب وان اعداء الانجيل من كل جهة افتخروا على الاصلاح والمصلح كانهما قد غُلِبا وتلاشيا زاد غضبهُ وفضلاً عن ذلك ما الداعي للصبر على مثل هذه النوائب أَلم يحارب من اجل امر يختص بملك اعظم من جميع ملوك الارض .
فظهرت لهُ وداعة الانجيل كانها لم يكن وقتها حينئذٍ فكان عندهُ اولى العين بالعين والسن بالسن فتجاوز كل الحدود. مضطهد مهان مصطاد مجروح دار هذا الاسد الشرس فوثب لكي يسحق عدوهُ وباطلاً تعب الملك المنتخب وسپالاتين وملانكثون وبوجنهاجن في تلطيف غضبهِ فانهم لو قدروا لمنعوا مجاوبتهُ ولكن لم يكن شيء قادرًا على توقيفهِ عن ذلك قال اني لا انلطف نحو ملك انكلترا وانا اعلم انهُ باطل لي ان اذلل نفسي واسلّم واترجّى واحاول طرق السلام.اني اظهر نفسي اخيرًا اكثر هولاً نحو هولاء الوحوش الشرسة الذين ينطحونني كل يوم بقرونهم فاني احوّل قرني نحوهم واسخط الشيطان حتى يسقط مصروعًا ولا مدد . قال هنري الثامن توما الجديد ان لم يرجع هذا الاراتيكي يجب ان يُحرَق حيًّا فهذه هي الاسلحة التي يستعملونها الآن ضدي اي غضب الحمير والخنازير البكم نسل توما اكوينا ثم الحريق فليكن الامر كذلك فليتقدم هولاء الخنازيران تجاسروا وليحرقوني. هانذا منتظرهم هنا فانهُ بعد موتي رمادي ولئن أُلقي في الف بحر يقوم ايضًا ويسعى في اثر هذا السرب المكروه ويبتلعهُ فاني في حياتي اكون عدوًّا للباباوية وان احرقت فاني اكون هلاكًا لها فاذهبوا اذًا ياخنازير توما وافعلوا ما يحسن لديكم فانكم دائمًا تجدون لوثيروس نظير دب على طريقكم وكاسد في مسالككم وهو يثب عليكم اينما توجهتم ولا يتركم ابدًا في سلام حتى يكسر رؤوسكم الحديدية ويطحن جباهكم النحاسية غبارًا

ان لوثيروس في اول الامر وبخ هنري الثامن على استناد تعاليمهِ على اوامر الناس وآرائهم فقال اما انا فاني لا اكف عن الصراخ الانجيل الانجيل المسيح المسيح واعدائي لا يزالون يجاوبون قائلين الكنيسة الكنيسة السنن السنن الآباء الآباء وماري بولس يقول لكي لا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله (١ كو

٥:٣) فالرسول بواسطة هذه الصاعقة من السماء يقلب ويبدد جميع هذيانات هنري كما تبدد الريح الهباء وان هولاء التوماويين والباباويين والهنريين سقطوا على الارض خوفًا وارتياكًا امام صاعقة هذه الكلمات

ثم انهُ ردّ على كُتيب هنري بالتفصيل وقلب احتجاجاتهِ واحدًا فواحدًا بوضوح وروح ومعرفة الكتب المقدسة وتاريخ الكنيسة بل ايضًا بثقة واحتقار واحيانًا بشراسة لا ينبغي ان نتعجب منها اذا اعتبرنا ظروف الحال . ولما انتهى لوثيروس الى آخر ردهِ اغتاظ ايضًا من ان خصمهُ قد اتخذ براهينهُ من الآباء فقط وذلك مسئلة الجدال كلهِ فقال اني اضاد كلام الآباء والناس والملائكة والشياطين لا بالعوائد القديمة ولا بكثرة الناس بل بكلام الجدال الابدي اي الانجيل الذي يلتزم اخصامي انفسهم ان يعترفوا بهِ فبهذا اتمسك وعليهِ استريح وبهِ افتخر وبهِ اعتز وارتفع على الباباويين والتوماويين والهنريين والسفسطيين وجميع خنازير جهنم فان ملك السماء هو معي ولاجل ذلك لا اخاف شيئًا ولو قام ضدي الف اوغسطينوس والف كبريانوس والف من هذه الكنائس التي يحامي عنها هنري وانهُ لامر زهيد اني احتقر واهزأُ بملك ارضي لانهُ هو نفسهُ لا يخاف من ان يجدّف في مؤلفاتهِ على ملك السماء وان يدنس اسمهُ المقدس باقبح الاكاذيب . ثم ختم كلامهُ قائلاً يا ايها الباباويون أَفلا تكفون ابدًا عن مقاتلاتكم الباطلة . افعلوا ما تريدون . امام هذا الانجيل الذي انادي بهِ لا بد ان يسقط باباوات واساقفة وخوارنة ورهبان وامراء وشياطين والموت والخطية وكل ما ليس هو المسيح او في المسيح

فهكذا تكلم الراهب المسكين ولا شك ان فظاظتهُ لا تعذر اذا حكمنا عليها بالقانون الذي هو نفسهُ يلتجي اليهِ اي كلام الله ثم لا يمكن ايضًا تبريرهُ باعتبار خشونة العصر (لان ملانكثون عرف كيف يحفظ الآداب في كتاباتهِ) ولا باعتبار حمية طبيعتهِ لان تلك الحمية كان لها فعل بكلامهِ ولكن حمقهُ كان لهُ فعل اشد . ولكن عدلاً يجب ان نلاحظ انهُ في القرن السادس عشر لم تبن

تلك الفظاظة غريبة بمقدار ما تبان في هذه الايام فان العلماء حينئذٍ كانوا جماعة مستقلة مثل الامراء وبصيرورة هنري مؤلفًا قاوم لوثيروس فجاوب لوثيروس حسب القانون المعيَّن في جمهورية العلوم وهو انهُ يجب ان نعتبر ما قيل لا صفة الشخص القائل ونزيد على ذلك انهُ عند ما صار هذا الملك نفسهُ ضد البابا كان الاحتقار الذي الحقهُ بهِ العلماء الرومانيون والبابا نفسهُ يفوق جدًّا ما قد قالهُ لوثيروس في كل عمرهِ . وعلا ذلك انهُ اذا كان لوثيروس قد دعا المعلم آك حمارًا وهنري الثامن خنزيرًا فانهُ رفض بغضب تداخل اليد السياسية مع ان آك كتب رسالة لكي يبرهن ان الاراتقة يجب ان يحرقوا وكان هنري ينصب آلات الحريق لكي يستطيع ان يجاري اوامر كاتب انكلستادت

فكان الهياج في بلاط الملك عظيمًا فان سوري وولسي وزعماء الملك اوقفوا الولائم والملاعب في غرينو يش لكي يفرغوا سخطهم بالاهانة والطعن واسقف رونشستر المحترم الذي كان مسرورًا برؤيتهِ الملك الشاب الذي قد وُضع سابقًا تحت عنايتهِ يناضل عن الكنيسة تالم الَمًا شديدًا من ايقاع الراهب بهم فاجاب على ذلك حالاً وكلامهُ يظهر بوضوح روح العصر والكنيسة بقولهِ قال السيد في نشيد الانشاد خذوا لنا الثعالب الصغار التي تفسد الكروم (٢: ١٥) ذلك يعلمنا انهُ يجب ان نصطاد الاراتقة قبل ان يكبروا واما لوثيروس فقد صار الآن ثعلبًا كبيرًا لهُ هذا المقدار من السن والاحتيال والرواغ حتى انهُ يصعب جدًّا اصطيادهُ فماذا اقول أ ثعلب هو . انهُ كلبٌ كَلِب وذئبٌ مفترس ودبٌّ قاسٍ او بالحري كل هذه الوحوش في واحد الآن . لان هذا الممسوخ يتضمن وحوشًا كثيرة فيهِ . ونزل سر توما مور ايضًا الى حومة القتال لكي يصارع راهب وتنبرج وهو مع انهُ كان عاميًا وصلت غيرتهُ في مضادة الاصلاح الى درجة الجنون ان لم تكن قد هيجتهُ ايضًا الى سفك الدماء فانهُ عند ما يحاول الاشراف الشبان المحاماة عن الباباوية فكثيرًا ما تفوق شراستهم شراسة الاكليروس انفسهم . قال ايها الاب المحترم السكير لوثيروس الهارب من رهبنة ماري

اوغسطينوس عالِم اللاهوت العديم العلم الخ . ثم اخذ يبين الطريقة التي عليها
ألَّف لوثيروس كتابة ضد هنري الثامن . قال انهُ جمع اصحابهُ معًا وطلب منهم
ان يذهبوا كل واحد في طريق ويلتقطوا جميع انواع الثلب والشتيمة فتردد
واحد على العربات والزوارق وآخر على الحمامات وبيوت القمار وآخر على
الفنادق ودكاكين الحلاقين وآخر على الطواحين والخانات وكتبوا على اوراق
معهم مطلق اقبح الاشياء وادنسها وارداها مما سمعوا ثم رجعوا بهذه الاقذار
والنجاسات وافرغوها في ذلك الدهليز النجس الذي يسمى عقل لوثيروس ثم
استثنى مور قائلاً انهُ اذا رجع عن اكاذيبهِ ودعاويهِ المزورة واعتزل حماقتهُ
وجنونهُ جانبًا وابتلع نجاستهُ فانهُ يجد من يجادلهُ برصانة ولكن اذا بقي ليتقدم كما
ابتدا بالهزل والتشنيع والحماقة والادعاء فليفعل غيري ما يشاء واما انا فاحب
اليَّ ان اترك الاخ الصغير لحماقتهِ ونجاستهِ . وكان الاولى بمور ان يضبط نفسهُ فان
لوثيروس لم يصل قط الى دناءة كهذه في كلامهِ فلم يتنازل الى جوابهِ

وتلك الكتابة زادت محبة هنري الى مور فكان يزورهُ مرارًا كثيرة في بيتهِ
الحقير في شلسيا وبعد الغذاء كان الملك يتمشى في الجنينة مستندًا على عزيزهِ
هذا ويدهُ على كتفهِ وزوجة مور واولادها وهم محتجبون وراء طاقة لا يقدرون ان
يرفعوا عيونهم المتحيرة من النظر اليهما اما مور فعرف سيدهُ تمامًا وذات يوم بعد
ان تمشيا كالعادة قال لزوجتهِ لو كان راسي يربح لهُ قلعة واحدة فقط في فرانسا
لما تاخر عن قطعهِ

واذ راى الملك اسقف رونتشستر ووزيرهُ المزمع يحاميان هكذا عنهُ لم تكن
بهِ حاجة الى قلمهِ ولكنهُ اذ ارتبك عند ما راى نفسهُ يُعامَل هكذا امام اوروپا
نظير كاتب دارج ترك الحالة الخطرة التي كان قد اخذ فيها وطرح قلم
اللاهوتيين والتجا الى وسائط السياسة التي هي افعل . فارسل سفيرًا من ديوان
غرينويش بمكتوب الى الملك المنتخب ودوك سكسونيا كتب فيهِ الملك ان
لوثيروس الحية الحنيفية قد سقط من السماء واخذ يسكب طوفان سمهِ على

الارض فهو يهيج المعاصي في كنيسة يسوع المسيح ويبطل الشرائع ويفتري على السلطات الموجودة ويثير العوام على الاكليروس والاكليروس على البابا والرعايا على ولاتهم ولا يرغب في شيء اكثر من ان يرى المسيحيين يحاربون ويهلكون بعضهم بعضاً واعداء ايماننا يحيُّون هذا المنظر المريع بكشرة هائلة

فما هو هذا التعليم الذي يدعوهُ انجيلياً ان لم يكن تعليم وكلف فالان ايها الاعيان المحترمون انا اعلم ماذا فعل اجدادكم لكي يلاشوا هذا التعليم ففي بوهيميا اقتنصوهُ كوحش بري ودفعوهُ الى حفرة واغلقوا عليهِ هناك وحفظوهُ بتحرز فانتم لا تسمحون بانفلاتهِ بواسطة تغافلكم لئلاَّ يدب في سكسونيا ويستولي على جرمانيا قاطبةً فينبعث من منخريهِ المدخنين لهيب جهنم وينشر طولاً وعرضاً تلك النار التي كثيرًا ما احبت امتكم ان تطفئها بدمها. ولاجل هذا السبب ايها الامراء الافاضل اشعر بانهُ يجب عليَّ ان اغريكم وان اترجاكم ايضاً باسم كل ما هو قدوس ان تلاشوا حالاً حزب لوثيروس الملعون ولا تقتلوا احداً اذا كان ذلك ممكناً ولكن اذا بقي هذا العناد الاراتيكي فاسفكوا حينئذٍ الدم من دون تردد لكي تتوارى الارانقة المكروهة من تحت السماء

اما الملك المنتخب واخوهُ فاحالا دعوى الملك الى المجمع الذي كان عتيداً ان ينعقد بعد قليل وهكذا خسر هنري الثامن نوال غايتهِ. قال بولس ساربي ان اسماً عظيماً كهذا اذ اختلط بالمسئلة كان واسطة لتنبيه الناس اليها وجعل لوثيروس مقبولاً عند الجمهور كما يحدث غالباً في المقاتلات والمصارعات حيث الناظرون يميلون غالباً نحو الاضعف

الفصل الحادي عشر

حركة عمومية . الرهبان . طبع الكتب واذاعتها

ان حركة عظيمة كانت جارية يومئذٍ والاصلاح الذي ظُنَّ بهِ بعد مجمع

وُرمس انهُ محصور في معلمهِ الاول ضمن مخدع حرج في قلعة قوية برز في كل قسم من المملكة بل في كل العالم المسيحي والفتتان اللتان بقيتا الى ذلك الوقت ممزوجتين معًا اخذتا في الانفصال واصحاب الراهب الذي ليس لهُ محامٍ غير لسانهِ وقفوا بدون خوف امام اعوان كرلوس الخامس ولاون العاشر وكان لوثيروس عن عهد قريب قد ترك اسوار الوارتبرج والبابا قد حرم كل اتباعهِ والمجمع الملكي قد شجب تعليمهُ وكان الامراء مجتهدين ان يسحقوا هذا التعليم في اكثر الولايات الجرمانية وخدام رومية يحطون شانهُ في عيون الشعب بواسطة مثالبهم العنيفة وسائر بلدان العالم المسيحي يطلبون من جرمانيا ان يضحوا رجلًا كانوا خائفين من هجماتهِ حتى عن بعد ومع ذلك فهذه الطائفة الحديثة مع كونها قليلة العدد ولم يكن بين اعضائها انتظام ولا رباط الوحدة وبالاختصار لم يكن شيء يجمع قوتها الشائعة الى مركزٍ خوَّفت سلطة رومية المطلقة المتسعة القديمة المقتدرة بواسطة نشاط ايمانها وسرعة انتصاراتها وكان الزرع من كل جانب كما يحدث في الايام الاولى الحارة من فصل الربيع يخرج من الارض من نفسهِ ومن دون تعب وكل يوم ظهر شيء من التقدم الجديد فان اشخاصًا وقرى وبلدات ومدنًا كاملة اتحدت في هذا الاقرار الحديث باسم يسوع المسيح وصارت ايضًا مضادة بدون رحمة واضطهادات فظيعة الّا ان القوة السرية التي حركت جميع هؤلاء القوم الى ما قدام لم تكن تُدفَع والمضطهدون وهم يسرعون نحو المنفى والحبس والنار غلبوا في كل مكان مضطهديهم

والرهبنات التي نشرتها رومية كشبكة لاقتناص النفوس واستئسارها كانت هي اول من قطع وثاقاتها ونشرت بسرعة التعليم الجديد في الكنيسة قاطبةً فان رهبان ماري اوغسطينوس في سكسونيا ساروا مع لوثيروس وشعروا بذلك الاختبار الداخلي لكلمة الله المقدسة التي بواسطة وضعها اباهم في حوزة الله نفسهِ نزعت اكاليل رومية ودعاويها المتكبرة وكذلك في سائر اديار تلك الرهبنة كان النور الانجيلي قد اشرق فيها على هذا المنوال وبينهم شيوخ ممن كانوا

نظير ستوبتز حفظوا تعاليم الحق الصحيحة في وسط العالم المسيحي المنخدع فطلبوا حينئذٍ من الله ان ياذن لهم بالانطلاق بالسلام لان اعينهم كانت قد رات خلاصهُ وبينهم شبان ممن قبلوا تعليم لوثيروس بنشاط يناسب عمرهم فادبار الاوغسطينيين في نورمبرج واوسنابرك ودلجن وراتسبون وستراسبرج وانتوربن مع الادبار التي في هسى وورتمبرج رجعت الى يسوع المسيح وبواسطة شجاعتها اثارت غضب رومية

وتلك الحركة لم تحصر في الاوغسطينيين وحدهم بل رجال الشرف اقتدوا بهم في اديرة رهبانيات اخرى وذلك رغمًا عن صراخ الرهبان الذين لم يريدوا ان يتركوا سنتهم اللحمية ومع غيظ واحتقار واقضية وتاديب وحبوس الاديرة رفعوا بدون خوف اصواتهم بالمحاماة عن ذلك الحق المقدس الكريم الذي قد وجدوهُ اخيرًا بعد تفتيشات كثيرة موجعة وبعد يأس وشك وحرب داخلية هذا مقدارها وفي الجانب الاكبر من الاديرة تحزب اعظم الرهبان روحانية وتقوى وعلمًا مع الاصلاح ففي دير مار فرنسيس في أُلم قاوم ابرلين وكتباخ اعمال الرهبنة الدنية وسنن الكنيسة الخرافية بفصاحة قادرة على تحريك الامة باسرها وطلبا ان تبطل بسرعة الاديرة والبيوت الردية الاسم وراهب آخر فرنسيسي اسمهُ استفانوس كمبي بشر بالانجيل في همبرج وقاوم وحدهُ بكل ثبات بغضة وحسد وتهديدات واشراك ومهاجمات الخوارنة الذين كانوا غضابى من نظرهم الجمهور يترك مذابحهم ويزدحم بغيرة وفادة لاستماع المواعظ الانجيلية

وكثيرًا ما تقدم رؤساء الاديرة في الاصلاح ومنهم رؤساء الاديرة في هلبرستدت ونيونورك وهالى وسغان صاروا قدوة لرهبانهم في ذلك او بالاقل علّموا بانهُ اذا كان راهب يشعر بان ضميرهُ مثقل بثقل النذور الرهبانية فانهم لا يلزمونهُ بالمكث في الدير بل يدفعونهُ الى خارج الابواب . وبالحقيقة في كل جرمانيا كان الرهبان يطرحون اعبيتهم وقلانسهم عند ابواب الاديرة والبعض منهم خرجوا بسبب قساوة الاخوة او الرؤساء والبعض اذ كانوا ذوي اخلاق

لطيفة سليمة لم يطيقوا الجدالات المتواترة والمساوي والصراخ والبغضة اللاحقتهم حتى في نومهم والاكثرون كانوا متتنعين بان العيشة الرهبانية هي ضد ارادة الله وضد العيشة المسيحية ومن هولاء مَن كانوا قد وصلوا الى هذا الاقتناع بالتدريج ومنهم من وصلوا اليهِ بغتة بواسطة قراءة آية في الكتاب المقدس . والكسل والفظاظة والجهل والدناءة التي تالفت منها طبيعة الرهبان المتسولين هيجت ما لا يوصف من الكراهة لها عند جميع الناس الشريفي العقول الذين لم يكونوا قادرين ايضاً ان يحتملوا عشرة عشرائهم هولاء الادنياء. وذات يوم وقف راهب فرنسيسي في دورانهِ على كير حداد في نورمبرج وفي يدهِ علبة يطلب صدقة فقال لهُ الحداد لماذا لا تنال خبزك بعمل يديك فعندما سمع الراهب النشيط هذه الكلمات طرح عصاهُ وقبض على المطرقة وضرب بها على السندان ومن ثم صار الراهب المتسول غير المفيد عاملاً امينًا واما علبتهُ وعباءتهُ فارسلها الى الدير

ولم يكن الرهبان وحدهم يزدحمون حول راية الانجيل فان عددًا اعظم من الخوارنة كانوا قد ابتدأوا ينادون بالتعليم الانجيلي على انهُ لم يكن محتاجًا الى واعظين لاجل امتدادهِ لانهُ مرارًا كثيرة اثر في عقول الناس وايقظهم من نومهم العميق دون ان يتكلم احد . وكانت مؤلفات لوثيروس تتلى في المدن والقرى والمزارع ايضًا وكثيرًا ما كان معلمو المدارس يقرأونها ليلاً الى جانب النار بصوت عالٍ لجماعة مصغية وكان السامعون يتاثرون من قراءتها فياخذون الكتاب المقدس لاجل ازالة شكوكهم وكانوا يقعون في الحيرة من المضادة المذهلة بين ديانة الكتاب المقدس وديانتهم وبعد ان يترددوا بين رومية والكتاب المقدس حينًا كانوا يلتجئون الى تلك الكلمة الحية التي سكبت على قلوبهم ضياء جديدًا وحلوًا بهذا المقدار وبينما هم في تلك الحالة كان يصل اليهم واعظ ربما هو خوري او راهب فيكلمهم بفصاحة وبراهين مقنعة ويبشرهم بان المسيح قد اوجد كفارة تامة لخطايا شعبهِ ويبين من الكتب المقدسة بطلان الاعمال

والقوانين البشرية وحينئذٍ كانت تحدث مضادة هائلة وكان الاكليروس واحيانًا الولاة يبذلون كل جهدهم لكي يرجعوا النفوس العتيدة ان يخسروها الَّا انهُ كان بين الوعظ الجديد والكتب المقدسة اتفاق وقوة مستورة تخلب جميع القلوب وتخضع حتى الاشد عصيانًا فكانوا مع خطر فقد اموالهم وحياتهم اذا اقتضى الامر يصطفون الى جانب الانجيل ويتركون خطباء البابابوية العديمي الحياة الموسوسين واحيانًا غضب الشعب بسبب ضلالهم مدة طويلة بهذا المقدار فيلزمون خوارنتهم الى الاعتزال واكثر الاوقات كان الخوارنة تترك الرعايا لان الرعايا تركتهم من دون معيشة ولا تقادم فينصرفون من انفسهم بالغم لكي يفتشوا على معيشتهم في مكان آخر واذ كان عاضدو الرياسة القديمة يخلون تلك الاماكن بالكآبة والذل واحيانًا يودعون رعيتهم بكلام الحرومات كان الشعب وهم مملوؤون فرحًا بالسلام والحرية يحدقون بالواعظين المستجدين بالمديح واذ كانوا متعطشين الى كلام الله حملوهم بالظفر الى الكنيسة والمنبر

ان كلمة قوية صادرة من الله كانت في ذلك الوقت تجدد الجماعة والشعب وقوادهم كثيرًا ما دعوا رجلًا مشهورًا لاجل ايمانهِ ان ياتي وينورهم فيترك ذلك الرجل في الحال حبًّا بالانجيل مصالحهُ وبيتهُ وبلادهُ واصدقاءهُ وكثيرًا ما الجا الاضطهاد احزاب الاصلاح الى هجر اوطانهم فيصلون الى مكانٍ لا يكون الاصلاح قد عُرِف فيهِ بعد ويدخلون الى بيت معدٍّ لقبول المسافرين ويتكلمون هناك عن الانجيل ويقرأون منهُ فصلًا للسامعين المصغين وربما نالوا اجابةً لطلب اصدقائهم الجداد الاذن بالوعظ مرةً جهارًا في الكنيسة فيحدث عند ذلك شغب عظيم في المدينة يقصر اعظم الاجتهادات عن اخمادهِ وان لم يقدروا ان يعظوا في الكنيسة وجدوا مكانًا آخر فان كل مكان صار هيكلًا ففي هوسم من اعمال هلستين وعظ هرمن تست وهو راجع من وتمبرج وكان خوارنة الابرشية قد اغلقوا ابواب الكنيسة دونهُ فوعظ جمهورًا غفيرًا في المقبرة تحت ظل شجرتين كبيرتين بقرب المكان الذي فيهِ كان انسغر منذ قرون قد نادى بالانجيل

للامم وفي ارنستادت وعظ غسبرد غويل راهب اوغسطيني في السوق وفي دنتزك بشر بالانجيل على تل صغير خارج المدينة وفي غرسلار علم تلميذ وتمبرجي التعاليم الجديدة في مرج كثير الاشجار . وبينما كان الخوارنة يظهرون طمعًا دنيا امام عيون الشعب كان الواعظون الحدثون يقولون لهم مجانًا اخذنا مجانًا نعطي والفكر الذي بسطهُ الواعظون عن المنابر هو ان رومية ارسلت الى اهل جرمانيا انجيلاً محرّفًا وان هذه هي المرة الاولى التي سمعت فيها جرمانيا كلمة المسيح بجمالها السموي الاصلي فاحدث تاثيرًا عميقًا في عقول الناس والفكر الكريم بان جميع الناس متساوون وبانهم جميعًا اخوة بيسوع المسيح قبض بشدة على تلك النفوس التي كانت قد بقيت زمنًا طويلاً تئنُّ تحت نير العشائر ونير باباوية القرون المتوسطة

وكثيرًا ما كان المسيحيون غير العلماء يحاولون والعهد الجديد في ايديهم اثبات تعليم الاصلاح واما الباباويون العوام الذين بقوا امناء لرومية فاعرضوا عنهم خائفين لان درس العلوم المقدسة خاصٌّ بالخوارنة والرهبان وحدهم ومن ثمَّ كان الخوارنة والرهبان مضطرين ان يتقدموا فيعاقوا الجدال وبعد قليل يرتبك الرهبان والخوارنة بسبب اقوال الاسفار المقدسة التي يوردها اولئك العوام فلم يعرفوا كيف يجاوبون . قال كوكلاوس ان لوثيروس كان قد اقنع اتباعهُ ان لا يصدقوا قولاً آخر غير الكتب المقدسة فيحدث ضجة في الجمهور ويشتهر الجهل المشكك الذي كان مستحوذًا على هولاء اللاهوتيين القدماء الذين الى ذلك الوقت حُسبوا عند حزبهم معلمين عظامًا . واناس من ادنى الرتب ومن النساء ايضًا الجنس الاضعف قد اقنعوا وحولوا بمساعدة كلمة الله قلوب الناس فالاعمال غير الاعتيادية هي نتيجة الازمنة غير الاعتيادية ففي انكلستادت قرأ تحت عيني المعلم آك فتى حائك مصنفات لوثيروس لجمهور مجتمع وفي تلك المدينة نفسها عزمت المدرسة على الزام احد تلاميذ ملانكثون الى الرجوع قامت امراة اسمها ارغولا دي ستاوفن للمحاماة عنهُ وطلبت العلماء

الى جدال مشتهر فان النساء والاولاد واصحاب الحرف والجنود عرفوا من الكتب المقدسة اكثر مما عرفهُ علماء المدارس وخوارنة المذابح

فانقسم العالم المسيحي فريقين متضادين تضادًّا ظاهرًا . على الجانب الواحد اعوان الرياسة القدماء الذين اهملوا درس اللغات والعلوم كما يخبرنا واحد من حزبهم ومن الجانب الآخر شبان كرماء العقول منعكفين على الدرس وتفتيش الكتب المقدسة ومعودين نفوسهم على افضل نمائق القدماء . واذ كان لهولاء الشبان عقول نشيطة ونفس سامية وقلوب شجاعة حصَّلوا معرفة عظيمة والذي جعلهم يفوقون معاصريهم لم يكن هو نشاط ايمانهم فقط بل ايضًا حسن اساليبهم في الكلام وشذا رائحة القدماء والفلسفة الصحيحة ومعرفة العالم التي كانت بالكلية مجهولة للاهوتيي الخمير القديم كما يدعوهم كوكلاوس نفسهُ ومن ثمَّ كان هولاء الشبان المحامون عن الاصلاح عند ما يلتقون في اي مشهدٍ كان بالعلماء الرومانيين يناظرونهم بسهولة وثقة حتى ان اولائك القوم الجهال كانوا يترددون ويرتبكون ويسقطون في احتقار يستحقونهُ في عيون الجميع . فكان البناء القديم يتفتت تحت ثقل حمل الخرافات والجهل واما البناء الجديد فارتفع على اساسات الايمان والمعرفة ودخلت مبادي جديدة وتعمقت في حياة الشعب وفي كل الاماكن عوضًا عن الخدر والفتور نهض روح فحص وتعطش الى التعلم فان ايمانًا نشيطًا منورًا حيًّا اخذ مكان عبادة خرافية وتاملات صومعية وانت اعمال التقوى عوضًا عن سنن وقوانين فارغة والمنبر تغلب على طقوس المذبح وسلطان كلمة الله المطلق القديم أُرجع اخيرًا الى الكنيسة

والمطبعة تلك الآلة القوية التي اختُرعت في القرن الخامس عشر قامت لنجدة جميع هذه الجهادات وقنابلها الهائلة كانت على الدوام تضرب اسوار العدو. فالحركة التي احدثها الاصلاح في العلوم في جرمانيا كانت عظيمة جدًّا واذ لم يكن قد ظهر سنة ١٥١٣ الاَّ خمسة وثلاثون مولفًا وسبعة وثلاثون في سنة ١٥١٧ زاد عدد الكتب بسرعة مذهلة بعد ظهور قضايا لوثيروس ففي سنة ١٥١٨

ظهر واحد وسبعون مؤلفًا متنوعة وفي سنة ١٥١٩ مئة واحد عشر وفي سنة ١٥٢٠ مئتان وثمانية وفي سنة ١٥٢١ مئتان واحد عشر وفي سنة ١٥٢٣ ثلاث مئة وسبعة واربعون وفي سنة ١٥٢٣ اربع مئة وثمانية وتسعون وابن طُبعت كل هذه ومن مولفوها . طُبعت على الاكثر في وتمبرج ومولفوها بالاجمال لوثيروس واصحابهُ ففي سنة ١٥٢٣ طُبع مئة وثلاثون من مؤلفات لوثيروس وفي السنة التالية مئة وثلاثة وثمانون وفي تلك السنة بعينها كل ما ظهر مما كتبهُ البابا وبون انما كان عشرين لا غير فآداب جرمانيا هكذا رات النور وسط القتال في نفس الوقت الذي فيهِ رات ديانتها وظهرت عالمة متعمقة مملوءة حياةً وجراءة كما راتها الازمان المتاخرة فان الروح الوطني ظهر حينئذٍ اولاً من دون امتزاج وفي لحظة ولادتها تعمدت معمودية النار من النيرة المسيحية الوقادة

وما الفهُ لوثيروس واصدقاؤهُ وزعهُ الآخرون فالرهبان اذ اقتنعوا بحرام النذور الرهبانية رغبوا في ان يبدلوا حياة طويلة من الكسل بحياة ذات جهد ونشاط ولكنهم كانوا اجهل من ان ينادوا بكلمة الله فكانوا يسافرون في المقاطعات يزورون الضياع والاكواخ ويبيعون هناك كتب لوثيروس وكتب اصدقائهِ ففاضت جرمانيا سريعًا بهولاء الموزعين للكتب الجسورين وكان الطباعون وبائعو الكتب يترحبون برغبة بكل ما كُتِب محاماةً عن الاصلاح ورفضوا كتب الحزب المضاد لكونها مشحونة في الغالب جهلاً وبربرية واذا تجاسر احد منهم على بيع كتاب في المحاماة البابوية فقدمهُ للبيع في اسواق فرانكفورت او في مكان آخر كان التجار والمشترون واصحاب العلوم يغشونهُ بالهزء والسخرية . وباطلاً اشهر الامبراطور والامراء اوامر شديدة ضد مؤلفات المصلحين وحالما اتى احد المفتشين لاجل التفتيش كان البائعون الذين عندهم الكتب عند ما يوعز اليهم بذلك سرًّا يخبئون الكتب وبما ان الجمهور يكون دائمًا متعطشًا الى ما هو ممنوع كانوا يشترونها حالاً ويقرأونها باعظم رغبة وهذه الامور لم تكن في جرمانيا وحدها لان مؤلفات لوثيروس تترجمت الى الفرنساوية

والاسبانيولية والانكليزية والايطالية وتوزعت بين هولاء الشعوب

الفصل الثاني عشر

لوثيروس في زويكاو . وتمبرج مركز الاصلاح

اذا كانت تلك الآلات الضعيفة في الغاية المشار اليها آنفًا قد اوقعت مثل تلك الضربات الهائلة على رومية فاذا كان الحال عند ما سُمع صوت راهب وتمبرج. فان لوثيروس بعد انخذال الانبياء الجدد بقليل لبس لبس عامي وجال في بلاد الدوك جرجس في مركبة فكانت جبتهُ مغطاة وظهر انهُ من جملة اهالي البلاد الدارجين فلو عُرِف او وقع في يدي الدوك المغتاظ لربما كان قد قُضِي عليهِ . وكان منطلقًا لكي يعظ في زويكاو منبت الانبياء المزعومين وحالما عُرِف ذلك في شنيبرج وانابرج والاماكن المجاورة اجتمع الناس حولهُ بازدحام فاجتمع اربعة عشر الفًا الى المدينة واذ لم تكن هناك كنيسة تسع مثل هذا العدد ذهب لوثيروس الى شرفة منتدى المدينة ووعظ امام خمسة وعشرين الف نفس كانوا مالئين الساحة وكان البعض منهم قد ركب رجمة حجارة مقطوعة كانت مرصوفة بالقرب من المكان وبينما كان خادم الله يسهب بنشاط عن الانتخاب بالنعمة اذا بصراخ في وسط الجمهور وذلك ان عجوزًا مهزولة المنظر جالسة على كومة حجارة مدت يديها المهزولتين كانها ارادت ان تمنع بيديها الضعيفتين ذلك الجمهور القريب ان يخرّ ساجدًا عند قدمي يسوع فصراخها المستوحش قطع كلام الواعظ لحظة قال سكندورف انها الشيطان قد اتخذ صورة عجوز لاحداث القلق ولكن كل ذلك ذهب سدًى لان كلمات المصلح اسكتت الروح الخبيث وحلت غيرة وقادة على اولئك الالوف السامعين وكانوا يلتفتون بعضهم الى بعض عجبًا ويصفقون الايادي بحرارة وعن قريب التزم الرهبان المربوطو الالسنة

الذين لم يكونوا قادرين ان يدفعوا العاصف ان يخرجوا من زويكاو

في قلعة فريبرج سكن هنري اخو الدوك جرجس وكانت زوجتهُ وهي اميرة من مكلنبرج قد ولدت لهُ في السنة السابقة ابنًا سُمّي موريس وكان الدوك هنري مع غرامهِ بالموائد واللذات على فظاظة وخشونة اخلاق جندي وهو باعتبار آخر كان تقيًا حسب عادة تلك الازمان وكان قد انطلق الى الارض المقدسة وزار قبر يعقوب في كمبوستلا وقال مرارًا اني قد وضعت في كمبوستلا مئة فلورين ذهب على مذبح القديس وقلت لهُ يا ماري يعقوب قد جئت الى هنا اكرامًا لك وانا اقدم لك هذا المال ولكن اذا كان هولاء الخادعون (الخوارنة) ياخذونهُ منك فليس لي سبيل لمنع ذلك فكن على حذرك

وكان لراهب فرنسيسي وراهب دومينيكي (وكلاهما تلميذا لوثيروس) برهة يبشران بالانجيل في فريبرج والاميرة التي كانت تقواها قد الهمتها النفور من الارثقة سمعت مواعظهما بحيرة اذ رات كلمة المخلص هذه اللطيفة هي المرطقة التي كانت قد تعلمت ان تهرب منها وبالتدريج انفتحت عيناها ووجدت سلامًا بالمسيح يسوع وحالما سمع الدوك جرجس ان الانجيل ينادي بهِ في فريبرج طالب من اخيهِ ان يقاوم هذه البدع وثنى الكاتب ستراهلين والرهبان طلباتهِ برفضهم فحصلت ضجة عظيمة في بلاط فريبرج فوبخ الدوك هنري زوجتهُ بخشونة وعنفها شديدًا حتى ان تلك الاميرة قد بلت اكثر من مرة سرير طفلها بدموعها الَّا انهُ بالتدريج ربحت صلواتها ولطافتها قلب زوجها فرق الرجل الفظُّ وعاد الاتفاق بين الزوجين حتى قدرا ان يتحدا بالصلاة الى جانب طفلهما وهو نائم فكانت قضايا عظيمة معلقة فوق راس ذلك الولد ومن ذلك السرير حيث كانت الام المسيحية قد سكبت مرارًا كثيرة احزانها كان الله عتيدًا ان يخرج في المستقبل منقذ الاصلاح

وكان ثبات لوثيروس قد هيج سكان وُرمس واما امر الامبراطور فخوَّف الولاة وجميع الكنائس أُقفِلت الآن واعظًا كان يرقى في ساحة مملوَّة من الناس

منبرًا خشن البناء وينادي بالانجيل بعبارات مقنعة فاذا ابدت الحكومة معارضة في ذلك كان السامعون يتبددون في لحظة ويحملون المنبر اختلاسًا وحالما مرَّ العاصف أُقيم ذلك المنبر في رقعة هي اكثر اعتزالاً وكان الجمهور يزدحم ثانيةً اليهِ لكي يسمع كلمة المسيح ونُقِل ذلك المنبر الوقتي كل يوم من مكان الى مكان وبهِ تشجع الشعب الذين كانوا لم يزالوا هائجين من تاثيرات الامور العظيمة التي حدثت في مدينتهم

وفرانكفورت على نهر المين احدى المدن الحرة في المملكة كانت في حالة الهياج فان انجيليًّا شجاعًا اسمهُ ايباخ نادى بالخلاص بيسوع المسيح اما الاكليروس ومن جملتهم كوكلاوس المشهور بسبب كتاباتهِ ومعارضاتهِ فثاروا على صاحبهم هذا الجسور وشكوهُ الى رئيس اساقفة منتز فزاول المجلس المحاماة عنهُ ولكن بجبانة فلم يجدِ ذلك شيئًا لان الاكليروس عزلوا الخادم الانجيلي وجبروهُ على الخروج من البلدة فاعتزت رومية وظهر ان كل شيء قد فُقِد وظن المؤمنون المساكين انهم قد خسروا كلمة الله الى الابد ولكن في نفس اللحظة التي فيها مال الناس الى التسليم لاولئك الخوارنة الظالمين نهض اشراف كثيرون لنجدة الانجيل فان مكس من مولنهيم وهرموث من كرنبرج وجرجس من ستوكيم وامراك من ريفنستين الذي املاكهُ بالقرب من فرانكفورت كتبوا الى المجلس يقولون اننا مضطرون الى القيام على هولاء الذئاب الروحية وخاطبوا الاكليروس قائلين احتضنوا التعليم الانجيلي ورجّعوا ايباخ والاَّ فنحن نمتنع عن دفع عشورنا . فالقوم الذين اصغوا بفرح الى الاصلاح اذ تشجعوا بكلام الاشراف ابتدأوا يتحركون واذ كان بطرس ماير مضطهد ايباخ والعدو الاقوى للاصلاح منطلقًا ذات يوم لكي يعظ ضد الارتقة سُمِعَت ضجة قوية فخاف ماير وترك الكنيسة لوقتهِ وتلك الحركة شددت عزائم المجلس فأُمر جهارًا جميع الواعظين ان ينادوا بكلام الله الخالص او يتركوا المدينة . فالنور الذي انبعث من وتمبرج كانهُ من قلب الامة كان على هذا المنوال ينشر اشعتهُ في المملكة قاطبةً وفي الغرب برج وكلاويس

ولبستدت ومنستر وويسل وملتنبرج ود يو يونت وستراسبرج اصغت الى الانجيل وفي الجنوب هوف وسخاستدت وببرج وابسلنجن وهالى في سوابيا وهلبرون واوجسبرج والم واماكن اخرى كثيرة قبلتهُ بفرح وفي الشرق امارة لياغنتز وبروسيا وبوميرانيا فتحت لهُ ابوابها وفي الشمال برنسويك وهلبرستدت وغوسلر وزيل وفريسند وبريمن وهمبرج وهلستين وايضاً دنمرك مع بلدان اخرى مجاورة تحركت عند ما سمعت اصوات هذا التعليم الانجيلي القديم

وكان الملك المنتخب فردريك قد اعلن انهُ ياذن للاساقفة ان يعظوا بحرية في ولايتهِ الاَّ انهُ لا يسلّم احداً الى ايديهم ومن ثمَّ كان المعلمون الانجيليون اذ كانوا يضطهدون في بلدان اخرى يلتجئون عاجلاً الى سكسونيا فان ايباخ من فرانكفورت وايبرلين من الم وكوكسدرف من مجدبرج والتين مستيوس الذين كان رهبان هلبرستدت قد عذبوهم عذابات قادحة وغيرهم من الخدام الامناء جميع هولاء اتوا من جهات مختلفة من جرمانيا هاربين الى وتمبرج نظير ملجأ وحيد يكونون فيهِ بامان وهناك تكلموا مع المصلحين وعند اقدامهم قوموا انفسهم في الايمان واخبروهم باخبارهم وبالمعرفة التي كانوا قد اكتسبوها مثل مياه الانهار التي ترجع بواسطة الغيم من لجج البحر العظيمة لكي تسقي الجبال التي نزلت منها اولاً الى السهول. والعمل الجاري في وتمبرج المؤلف من عناصر كثيرة مختلفة صار اكثر فاكثر عمل الامة باجمعها ثم عمل اوروبا ثم عمل العالم المسيحي وتلك المدرسة التي بناها فردريك واحياها لوثيروس كانت مركز انقلاب عظيم جداً تجددت بهِ الكنيسة ورُسم عليها بواسطتهِ وحدةٌ حقيقية حية تفوق جداً وحدة رومية الخارجية فتسلط الكتاب المقدس في وتمبرج وسُمع كلامهُ من كل جانب وتلك المدرسة التي هي احدث الجميع عهداً حصلت على الرتبة والصولة في العالم المسيحي اللتين الى ذلك الوقت اختصتا بمدرسة باريس القديمة والجماهير التي ازدحمت الى هناك من كل جهات اوروبا كانت تخبر باحتياج الكنيسة والامم ولما تركوا تلك الاسوار التي صارت حينئذٍ مقدسة لهم حملوا معهم

الى الكنيسة والشعب كلمة النعمة المقامة لشفاء الشعوب وخلاصهم

ولما راى لوثيروس ذلك النجاح تشجع فانهُ راى ذلك العمل الضعيف الذي ابتدا بهِ في وسط مخاوف ومقاتلات هذا مقدارها يغيّر منظر العالم المسيحي واندهل هو نفسهُ من تلك النتيجة فانهُ لم يكن قد سبق فرأى شيئًا من هذا القبيل عندما قام اولاً ضد تنزل فخرامام الاله الذي عبدهُ واعترف بان العمل هو عملهُ تعالى وابتهج بتحقق غلبة لا يمكن ان تخطف منهُ فقال لهرموث من كرنبرج ان اعداءنا يتهددوننا بالموت ولو كان لهم من الحكمة بقدر ما لهم من الجهالة لكانوا بالعكس يتهددوننا بالحياة فيالهُ من عظمة الحمق والاهانة ان يحاول التهدد بالموت للمسيح والمسيحيين الذين هم انفسهم سادات الموت وغلبتهُ . ذلك كما لو اردتُ ان اخيف رجلاً باسراجي فرسهُ ومساعدتي اياهُ على الركوب أَوما يعلمون ان المسيح قد قام من الاموات .انهُ في اعينهم لم يزل مضطجعًا في القبر لا بل في جهنم واما نحن فاننا نعلم انهُ حيٌّ . وانغم لوثيروس بان يحسبهُ احدٌ صاحب عمل راى يد الله في اصغر اجزائهِ فقال ان كثيرين يؤمنون بسببي ولكن الامناء هم الذين يبقون امناء ولو سمعوا (معاذ الله) اني قد انكرت يسوع المسيح فاولئك هم وحدهم يؤمنون فان التلاميذ الحقيقيين لا يؤمنون بلوثيروس ولكن بيسوع المسيح واما انا فلست ابالي بلوثيروس وماذا يعنيني اقديس هو ام مراءٍ فاني لست انادي بهِ ولكن بالمسيح فان قدر الشيطان ان ياخذهُ فليفعل كذلك ولكن دع المسيح يبقى معنا فنبقى نحن ايضًا

وبالحقيقة التعليل عن هذا الامر العظيم بوسائط بشرية عبث . نعم ان اصحاب الفلسفة شحذوا عقولهم ورشقوا البابا والرهبان بنبالهم المسنونة الحادة وصوت الحرية الذي كثيرًا ما كانت جرمانيا قد اقامتهُ على ظلم الايطاليين سُمع ايضًا في الحصون والولايات وفرح الشعب بشدو شادية وتبرج وهي قصيدة نظمها هنس سخس سنة ١٥٢٣ وكان الناس يغنونها في كل مكان ولكن لم يكن ذلك محض حركة خارجية شبيهة بتلك الحاصلة من التوق الى الحرية الارضية التي

كانت حينئذٍ آخذت في التقدم والذين يزعمون ان الاصلاح انما حدث بواسطة رشوة الامراء باموال الاديرة والخوارنة بالسماح لهم بان يتزوجوا والشعب بوعدهم الحرية يغلطون غلطًا غريبًا نظرًا الى طبيعة ذلك العمل ولا شك ان استعمال الاموال التي أُنفِقت قبلاً على كسل الرهبان استعمالاً مفيدًا وكذا الزواج والحرية اللذان هما عطيتان من الله راسًا ربما تكون قد ساعدت في امتداد الاصلاح الآن النبع لم يكن هناك فان حركة داخلية كانت حينئذٍ جارية في اعمال القلب البشري والمسيحيون تعلموا ايضًا ان يحبوا ويغفروا ويصلوا ويحتملوا وان يموتوا ايضًا لاجل الحق الذي لم يعد براحة الا في السماء وكانت الكنيسة آخذة في التغير من حالة الى اخرى والديانة المسيحية قطعت السلاسل التي تقيدت بها كل تلك المدة المستطيلة وعادت بحياة ونشاط الى عالم كان قد نسي قوتها القديمة واليد التي صنعت العالم كانت متجهة نحوهُ ايضًا والانجيل بواسطة ظهورهِ ثانيةً في وسط الشعوب اعجل حركتها مع ان الخوارنة والملوك اجتهدوا كثيرًا في مضادتها وذلك مثل البحر العظيم الذي عندما تضغط يد الله على سطحهِ يرتفع بسكون وجلال على شطوطهِ بحيث لا تقدر يد بشرية ان تقاومهُ

انتهى المجلد

الاول

م

